



---

# درس النفحات

---

فضيلة الشيخ الدكتور مازن الشريف

حفظه الله تعالى



1447 هـ - 2026 م

مؤسسة المنارة العالمية



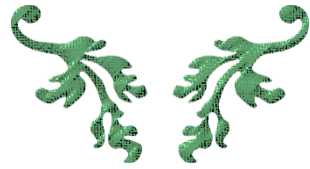
---

# درس النفحات

---

فضيلة الشيخ الدكتور مازن الشريف

حفظه الله تعالى





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# إهداء

إلى السالكين في طريق النور، والدالين عليه بالبرهان ..

نهدي هذا العمل الفريد بفرادة محتواه وأهل مجلاه

أبناء المنارة الحمديّة





# فهرس المحتويات

5	إهداء
7	فهرس المحتويات
22	فريق العمل
23	مقدمة الكتاب
27	مفاتيح الألوان
29	نفحات رمضان: وقفة مع آية ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾
29	مقدمة
30	نصيحتي في رمضان
31	أولياء الله الصالحين
32	القرآن خطاب موجه لك
33	تعلق بأستار الصالحين
35	من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب
36	أولياء الله لا يتخلون عنك

38	نفحات أولياء الله .....
41	مفهوم الصراط المستقيم .....
43	﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ .....
45	طريق الدخول على الله .....
48	خاتمة .....

## 50 ..... نفحات رمضان: القول الفصل في المنبت والأصل

50	مقدمة .....
51	رسول الله وسيلتنا إلى الله .....
52	بداية الخلق .....
55	خلق آدم وفتنة إبليس .....
56	بداية السرِّ الأحمدي مع آدم .....
58	إظهار الأنبياء وإخفاء السرِّ في الأوصياء .....
59	الأوصياء على مرتبة الأنبياء .....
61	اقتراب الأجل مع هاشم .....
61	أعظم والدين لأعظم مخلوق .....
63	حمل السيدة آمنة .....
64	معجزة سيدنا رسول الله وهو في بطن أمه .....
66	تجليات المولد وأنواره .....
67	كفالة النبي عليه الصلاة والسلام .....
70	خاتمة .....

## 73 ..... نفحات رمضان: في مقام المعية ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾

73	منطلقات .....
75	مقدمة .....
76	المعية أنواع .....
77	معيات الأنبياء في القرآن الكريم .....
79	الصالحون يستشعرون هذه المعية .....

81	..... المعية وبنو إسرائيل
82	..... معية أصحاب المعية
84	..... قول ألهمته في مقام المعية
85	..... المعية لها مصاديق في حياتك
87	..... المعية في بطن الحوت
89	..... خاتمة

## 91 ..... نفحات رمضان: خير من ألف شهر

91	..... مقدمة
92	..... ﴿حَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾
92	..... 1- ﴿حَيْرٌ﴾: فضل وأفضلية
93	..... 2- ﴿مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾
95	..... ليالي القدر المحمدية
96	..... قدر صاحب القدر
97	..... نمضي إلى رسول الله
99	..... حال من يرفض الوسيلة المحمدية
100	..... نتكلم بالسر المحمدي
102	..... إعلان مرحلة جديدة
103	..... مراقب ثلاث في هذه الأيام
103	..... خاتمة

## 105 ..... تأملات عرفانية: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾

105	..... مقدمة
106	..... ﴿فَلَا أُفْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾
107	..... ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾
110	..... ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَتَّعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾
110	..... ﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾
112	..... ﴿لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾

115 .....	رد على إحراق نسخة من القرآن الكريم
117 .....	خاتمة
<b>121 .....</b>	<b>نفحات رمضانية: رسالة إلى الأمة في رمضان</b>
121 .....	مقدمة
121 .....	وجهين ووجهتين
123 .....	1- الوجه التعبدي والوجهة نحو الله
126 .....	ليلة القدر
128 .....	2- الوجه المقاوم والوجهة نحو القدس
129 .....	من أسرار الفاتحة
132 .....	خاتمة
134 .....	انتظار قيام قائم آل محمد
137 .....	دعاء
<b>140 .....</b>	<b>نفحات رمضانية: وإذا سألك عبادي عني</b>
140 .....	مقدمة
141 .....	جفاة قساة
142 .....	﴿وَإِذَا سَأَلَكَ﴾
143 .....	﴿عِبَادِي﴾
145 .....	﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي﴾
146 .....	﴿فَأِنِّي قَرِيبٌ﴾
148 .....	دفاعاً عن النبي وآل بيته
151 .....	خاتمة
<b>154 .....</b>	<b>نفحة رمضانية خاصة في مجلس مبارك في عمان</b>
154 .....	مقدمة
155 .....	الحب باب رمضان وباب القرآن
156 .....	أحوال العاشقين

157	..... في رمضان تفتح بوابات الحب
158	..... التلاوة الحُبِّيَّة
159	..... نعمل حباً في الله ورسوله
161	..... الحب أن تكون على هوى محبوبك
162	..... رمضان شهر العطية
163	..... ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾
165	..... استشعر عظمة المشهد
166	..... "ما يزال عبدي يتقرب إلي حتى أحبه"
168	..... سلام على من حضر
169	..... يحسن في رمضان
170	..... كلُّ يسمع حسب حاله
172	..... خاتمة

## 174 ..... نفحات رمضان: في معاني الفاتحة

174	..... مقدمة
175	..... ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾
175	..... 1. معنى النقطة
176	..... 2. معنى الباء
177	..... 3. معنى الاسم
177	..... 4. معنى "الله"
178	..... 5. معنى "الرحمن"
178	..... 6. معنى "الرحيم"
179	..... ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
179	..... معنى الحمد
180	..... نعمة الوجود ونعمة الشهود ونعمة معرفة المعبود
180	..... 1. نعمة الوجود
181	..... 2. نعمة الشهود
182	..... 3. نعمة معرفة المعبود

184	..... معنى "رب"
184	..... معنى "العالمين"
187	..... ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾
187	..... ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أو ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾
188	..... معنى "يوم الدين"
188	..... ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾
189	..... 1- باب العبادة
190	..... 2- باب الإستعانة
192	..... 3- باب التوسل
194	..... ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾
195	..... ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾
195	..... ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾
196	..... القرآن مختزل في الفاتحة
197	..... دعاء الختام
<b>201</b>	<b>..... نفحات رمضان: النصر في معاني سورة العصر</b>
201	..... مقدمة
202	..... ﴿وَالْعَصْرِ﴾
203	..... ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾
205	..... ﴿لَفِي خُسْرٍ﴾
208	..... ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾
214	..... ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾
216	..... نحن في زمن العصر
217	..... خاتمة
219	..... نستطرق الباب على حضرة رفيع الجناح
223	..... هذا بيان آل بيت النبي
<b>225</b>	<b>..... نفحات رمضان: شرح الصدر في فضائل ليلة القدر</b>

225	.....	مقدمة
226	.....	من مدينة الحبيب
227	.....	ليلة القدر
227	.....	شرف زمان ومكان وإمكان
229	.....	ليلة العطية والمزية
229	.....	لمحة حول علم تفسير القرآن
233	.....	﴿إِنَّا﴾
233	.....	﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾
239	.....	﴿فِي لَيْلَةٍ﴾
241	.....	﴿الْقَدْرِ﴾
243	.....	﴿فِي﴾
244	.....	ملخص ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾
245	.....	المنازل العظيمة
246	.....	﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾
247	.....	﴿مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾
248	.....	﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾
248	.....	﴿تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا﴾
249	.....	﴿يَاذُنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾
250	.....	﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ﴾
250	.....	خاتمة

## 252 ..... نفعات رمضان: البحر النافع في فضل العشر الأواخر

252	.....	مقدمة
253	.....	قصيدة "يا من لديه جميل العفو مأمول"
257	.....	ليل سيدنا يونس
258	.....	﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾
260	.....	معنى "لا إله إلا الله"
265	.....	"لا إله إلا أنت" و "لا إله إلا هو"

267	..... الأنوار الربانية وعلم المشكاة
270	..... بين سرّ "أحمد" و "محمد"
272	..... نفحة في العرفان
274	..... هدية من سرّ الباقر عليه السلام
277	..... خاتمة
<b>278</b>	<b>..... نفحات رمضان: الوسيلة في معاني الوسيلة</b>
278	..... منطلق
279	..... العشر الأواخر بين مكة والمدينة
281	..... مقدمة
284	..... وسائل إلى الأمر و وسائل إلى صاحب الأمر
285	..... أسئلة مهمة لتوضيح مشروعية الوسيلة
286	..... الوسيلة في الأحاديث النبوية
288	..... الوسيلة في القرآن الكريم
289	..... 1- ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾
289	..... 2- المجيء إلى الرسول واستغفاره
291	..... 3- ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾
292	..... 4- ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾
292	..... 5- عصا سيدنا موسى
292	..... 6- مقام "هنالك"
294	..... 7- مقام سيدنا إبراهيم
295	..... 8- الصفا والمرورة
296	..... مرضى القلوب يحاولون كتم أنفاسنا
297	..... 9- ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾
299	..... 10- ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾
301	..... نصائح رمضان
303	..... أبواب مكة والمدينة
304	..... أول منكر للتوسّل

307	.....دعاء الختام
309	..... خاتمة
<b>311</b>	<b>.....نفحات رمضان: متون الشرح في معاني سورة الشرح</b>
311	.....مقدمة
312	.....سورة الشرح
313	.....﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾
316	.....قصتان موضوعتان عن شرح الصدر
319	.....الله تعالى حفظ النبي في آبائه
320	.....مدح قاتل الإمام!!
321	.....﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾
323	.....﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾
326	.....﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وَرِزْقَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾
329	.....﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾
330	.....﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾
334	.....﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾
337	.....﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾
339	.....دعاء الختام
340	..... خاتمة
<b>342</b>	<b>.....نفحات رمضان: آداب القوم في شهر الصوم</b>
342	.....مقدمة
343	.....بين الصوم والصيام
346	.....الصلاة والصلوات
348	.....﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ﴾
349	.....وقوف إبليس في بوابة الوصل
350	.....رمضان فرصة
351	.....الصلة أصل الأصل

- 353 ..... هل هذا صوم؟
- 354 ..... نزع الأقفال بالتدبر في القرآن
- 356 ..... حوار زميات الدين تم العبث بها
- 359 ..... حرب حقيقية على النبي وآله
- 362 ..... الدين الحق
- 363 ..... موقف الحق
- 365 ..... خاتمة
- 367 ..... بودكاست: معجزات القرآن في زمن التكنولوجيا**
- 367 ..... دوران الأرض وتعاقب الليل والنهار
- 371 ..... ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾
- 375 ..... ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾
- 377 ..... ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾
- 379 ..... ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾
- 381 ..... ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ۗ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾
- 384 ..... ﴿فَلَا أُفْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾
- 385 ..... السحاب الثقال
- 386 ..... ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾
- 388 ..... ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ﴾
- 390 ..... محاضرة محبة الحبيب الأعظم في نزاهة الأشراف العيساوية**
- 390 ..... مقدمة
- 391 ..... المرء مع من أحب
- 393 ..... سيدنا محمد في العالم الروحي
- 394 ..... سيدنا محمد في العالم الدنيوي
- 396 ..... سيدنا محمد المحبوب المخطوب
- 398 ..... يا سعدنا برسول الله

399	بين أحمد ومحمد .....
400	فليتقدّم المدّاحون .....
401	سيدنا محمد الشاب .....
402	قصة زيارتي الأولى للحبيب .....
404	سكر العشاق .....
406	كيف نصل إلى الله .....
408	حب آل البيت في تونس .....
409	دعاء الختام .....
<b>411</b>	<b>درس: نفحات حراء في الرد على أهل الافتراء .....</b>
411	مقدمة .....
412	غاية الدرس .....
413	أذيال العدو .....
413	دعوة للتحرك .....
414	الافتراء وبطلانه .....
415	عجباً كيف يحصل هذا في تونس! .....
416	نحن الذين بايعوا محمداً .....
416	لا نريد مجرد ردة فعل .....
417	تأمّر على الإسلام .....
418	والدا النبي مختارون من الله .....
419	لن نصمت عن هذا الإرهاب الفكري .....
421	من هذا الصلب النبوي المطهر .....
422	خاتمة .....
423	أثقل درس على القلب .....
<b>425</b>	<b>محاضرة في عشق المحبوب الأعظم والمحبيب الأكرم في مجلس الدرّة العمانية .....</b>
425	مقدمة .....
425	فناء بالعشق .....

426	وجدت في عُمان
427	أفعى النفس
427	قالت سُليمى
428	الْحَضْرَةُ تَرِيدُكَ بِأَكْمَلِكَ
429	فَلْيَتَقَدَّمِ الْمَدَّاحُونَ
430	فَنَاءٌ فِي الْعَشَقِ الْمَحْمَدِيِّ
431	مَجْلِسُ حَضْرَةٍ
433	قَلْتُ فِي حَالِ سُكْرٍ
435	مِنْ كَلَامِ سَيِّدِي عَبْدِ السَّلَامِ
436	مِنْ تَلَقِّيَاتِنَا عَنِ الْخَضِرِ
437	نِصَائِحٌ لِأَهْلِ التَّصَوُّفِ
439	مِنَاجَاةٌ لِلْحَبِيبِ فِي رَوْضَتِهِ
439	كُنْ عَاشِقًا وَامْقًا
440	خَاتِمَةٌ
<b>441</b>	<b>نَفَحَاتُ الْمَوْلِدِ: مِنْ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي وُلِدَ</b>
441	مَقْدَمَةٌ
442	سُؤَالٌ طُرِحَ لَيْلَةَ الْمِيلَادِ
443	خِيَارٌ مِنْ خِيَارٍ
445	أَحْقِيَّةُ الْفَرَحِ بِالْمَوْلِدِ
448	سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ أَشْرَفَ الْخَلْقِ ذَاتًا وَنَسَبًا
450	السَّيِّدَةُ آمَنَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ
452	ذَنْبُ أَبِي طَالِبٍ
454	مَوْضُوعَاتٌ وَإِسْرَائِيلِيَّاتٌ عَقِيمَةٌ
455	أَيُّعْقَلُ هَذَا عَنْ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ؟
456	أَيُّعْقَلُ هَذَا عَنْ سَيِّدِنَا مُوسَى وَيَوْمِ الْقِيَامَةِ؟
457	أَيُّعْقَلُ هَذَا عَنْ الْإِسْرَاءِ وَالْمَعْرَاجِ؟
458	كُفَى سَفَهًا فِي حَقِّ أَهْلِ النَّبِيِّ

459	.....	1500 عام كاملة
460	.....	إرث ورثته عن آبائي
461	.....	خاتمة
463	.....	دعاء الختام
<b>465</b>	.....	<b>نفحات المولد: في فقه الفرح</b>
465	.....	مدخل
467	.....	مقدمة
469	.....	أبواب الفرح
472	.....	الفضل والرحمة ضمن علم القانون
473	.....	أعظم النعم
474	.....	الوساطة المحمدية
476	.....	سيدنا محمد باب الرحمة وأعظم فضل
478	.....	عظمة مشهدية التشكل الطيني للروح الأحمدية
481	.....	السلام من معاني الإحتفال
482	.....	ميلاد الحبيب غير الموجودات
483	.....	لولا المولد لما كان ما بعده
484	.....	ينكرون الإحتفال بالمولد ويحتفلون بعاشوراء!
487	.....	خلاصة
488	.....	لا يصحّ الإحتفاء بالنبي دون والديه
490	.....	خاتمة
<b>492</b>	.....	<b>خطبة المولد: فقه الحب ومعراج العارفين</b>
492	.....	مقدمة
493	.....	أمتنا أمة أمداد لا أعداد
493	.....	من رأيي دخل الجنة
494	.....	نجتمع على أمر عظيم
495	.....	عظمة والدي النبي

497	.....مناجاة لسيد المرسلين
499	.....يحبتهم ويحبونه
500	.....شهد النبي مقامي وسمع كلامي
502	.....أقسم عليك قبل النوم
503	.....دعاء الختام
<b>505</b>	<b>.....محاضرة حرب المعنى في مجلس علماء الرباط المحمدي</b>
505	.....مقدمة
507	.....بداية حرب المعنى
507	.....إلتباس معنى الشر في الخير
509	.....بصيص نور وأمل
510	.....معركة المعنى لها تاريخ طويل
510	.....ثلاث مستويات لحرب المعنى
512	.....مدارات الحياة مع النبي
514	.....رسول الله المفتاح الذي لا يُدخل بسواه
515	.....دعاء الختام
<b>517</b>	<b>.....كلمة بمناسبة الإسراء والمعراج في مجلس علماء الرباط المحمدي</b>
<b>521</b>	<b>.....خطبة الجمعة بكلية الدعوة الإسلامية في لبنان</b>
<b>529</b>	<b>.....خطبة الجمعة بمجمع النور الإسلامي في السودان</b>



## فريق العمل



أسماء عبدالله ليبيا  
أم أحمد تونس  
سمر السعداوي تونس  
عائشة طبيب المغرب  
حوراء قاسم العراق  
شيماء خليل المغرب  
نور الزهراء تونس  
هالة شوقي مصر  
أم عماد الجزائر  
ماريا العبرطة المغرب  
زينب العكشي ليبيا  
سميرة كاشور المغرب  
شيماء كامل الولايات المتحدة  
محمود حكم كندا  
سامي رمضان بن حريز تونس



## مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء وأشرف المرسلين، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

نفتتح كتاب دروس النفحات بنفحة عظيمة الشأن، جليلة البرهان، واضحة المعاني والبنيان، معجزة في البيان، تُبهر البلغاء المتصدّرين للميدان، وتُذهل الفصحاء من إنس وجن وجان، لا يختلف في سرّها ونورها ومددها اثنان، ولا يأتي بمثلها إلا من كان سلطان الديوان، واصلاً موصولاً بل كان من الأركان، ممدوداً منفوحاً مؤيداً بملائكة وروح وريحان، محبوباً مخصوصاً مختصّاً من عند الرحمن. هي نفحة بيان الوعد الحق، فيها رفع الشيخ الدكتور مازن الشريف الراية المحمدية في مجلس علماء الرباط المحمدي ودعا إلى وحدة المسلمين والاستعداد لأمر رباني عظيم قادم، مبيّناً عن حال مهيب وكاشفاً عن سرّ جليل ومؤذناً ببداية مرحلة تحقق الوعد والوعيد. هذا الخطاب الخالد الذي أدركته الأرواح منذ الأزل، فأيقظها من سبات عميق فور سماعه في دنيا الأجل، حرّز كوامناً كانت منطوية في الصدور، وحرّك لواعجاً كانت ساكنة في القلوب، وفجّر ينابيع الأمل واليقين والإيمان، فحدّد معالم الطريق، وأنذر بقرب اندلاع الحريق.

وهذا نصّ البيان: "الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، ودعنا كما يقول الصوفية نتهتك فما تهتكنا عند أغيار.. كنت في اندونيسيا، فرأيت الحبيب جدّي محمد في رؤيائي، ومعه الخضر والإمام علي والشيخ عبد القادر والرفاعي ومجمع الصالحين، فكان ما استحضره عقلي وما حفظته ذاكرتي مما قاله: ذكروا الناس بـ "لا إله إلا الله" فقد أضاعوها، واجمعوهم تحت رايتي فقد فرّقت بينهم طرائقهم ومذاهبهم. وإنّ هذه لراية رسول الله، وإنّ سيدي أبو صالح لحامل لرايته، وإنّي أعاهدكم على حمل الراية وتبليغ الآية وتحقيق الغاية إلى القدس إن شاء الله، مسعياً بسرّ ربنا.

وإنّ في الغيب لأمرأً قد أُجمع، وعقدأً قد أُبرم، وإنّ خيلاً قد ركب عليها فوارسها، وإنّ سرّاً قريباً يظهر، تجلّى عند بني إسرائيل بمن قتلوا من إخواننا وما فعلوا في أرضنا، وإنها غيرة الجبار على عباده، وغيره محمد على أمته، وسيف ذو الفقار بأمر القهار، ويا لثارات الحسين تُردّد في الأبدين، ويا لثارات أهل فلسطين وأهل الشام والعراق.

وإني لا أتكم كلام مجاز ولا كلام إنشاء، بل إني لأخبر عن خبر، وقد اطلع القلب ونظر، وما كذبنا في الحضرة ولا حُيِّبنا بالنظرة، وإني لسليل المصطفى، دمي من دمه، وأصلي من أصله، وسري من سرّه، وإني ناطق بحضرتّه، وإنكم لمحضورون في سرّه، وإنه قد حضر مجلسكم، وقد دعا لكم، وإنا ما نكذب عليه أبداً، وما تحرّكنا في أرض الله إلا بأمره، ولا سرنا في بلاده إلا بإذنه، ولا نطقنا بكلمة إلا من بعد توقيعه، وإنّ هذه الراية انتظرناها زمناً وتوقّعناها سنيماً.

جعل الله لكم النصر، أعدّوا واستمدّوا وأبشروا بخير عظيم، فوالله ما بقي لهم إلا على عدّ الأصابع سنوات، ليتبرّوا ما علوا تتييراً بأمر الله، وإنه لموعد قريب، وسوف تسألونني أمام الله عنه إن كنت قد كذبت، وما يكذب أبناء محمد أبداً، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، صلّوا على رسول الله " انتهى البيان.

بهذه النفحة فُتح باب نفحات كثيرة توالى، في مختلف المواضيع وشتى المناسبات، وليس هذا الكتاب "كتاب دروس النفحات" سوى خيط من ديباجها، وفوح من عطورها، وقبس من أنوارها.

وفيما يخصّ محتوى هذا الكتاب فيشتمل على قسمين: القسم الأول هو دروس النفحات الرمضانية وهي الدروس التي ألقاها الشيخ خلال شهر رمضان وفيها لطائف ورفائق وبيان لمقام هذا الشهر الفضيل إضافة إلى نصائح وومضات رمضانية تهّم كل مسلم، وكذلك تضمّنت دروس تفسير لآيات من القرآن الكريم بأسلوب فريد عجيب وتدبر عميق، مع بيان الإعجاز القرآني للعلم وهو غير الإعجاز العلمي للقرآن الكريم. وأما القسم الثاني من الكتاب فهو مجموعة من المحاضرات والكلمات الدينية ألقاها الشيخ في عدة مناسبات، وكانت أساساً حول مقام الحبيب الأعظم سيدنا محمد نور البصائر وبهجة القلوب وصاحب النفحات ومصدر الإلهامات، وفيها بيان لفضله وفضل والديه وأصوله وفروعه وذوداً عنهم ورداً على كل ما يحاول الاستنقاص منهم، بكلام عاشق لهم هائم في أنوارهم جالس في حضراتهم شارب

من كوؤوسهم حاظ بنظراتهم مكلفاً من جنابهم مكمللاً لأسرارهم مبيناً عنهم بهم مشكلاً امتداداً لهم، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وقد وجدنا أن أفضل ما نكمل به هذا الكتاب هو خطب الجمعة التي ألقاها الشيخ والتي مجموعها ثلاثة فقط إلى يومنا هذا، فقد صرح الشيخ في أكثر من مناسبة أنه يتهيّب منبر رسول الله ويفضّل عدم التصدّر له، مع كل ما لديه من علم وفصاحة وقدرة على ذلك. وقد وقفنا على اثنتين من الخطب ولم نجد الثالثة، أما الأولى فقد كانت في كلية الدعوة الإسلامية في لبنان بطلب من الشيخ عبدالناصر جبيري، وأما الثانية فقد كانت في مجمع النور الإسلامي في السودان بطلب من الرئيس السوداني عمر البشير، وأما الثالثة فهي غير منشورة. ونترك تقدير أهمية هذه الخطب وما فيها من نفحات نورانية وأسرار عرفانية لقلب القارئ أن يتبيّنه دون الإفصاح، لكننا نكتفي أن نختم بها كتابنا هذا.

أما عملنا في هذا الكتاب يتلخّص في تفرّغ دروس الشيخ الدكتور مازن الشريف حفظه الله تعالى، ثم تقسيمها وترتيبها وعنونة فقراتها، مع تحديد الآيات والأحاديث والآثار والأشعار، بالإضافة إلى التركيز على الدقائق والمعطيات المهمة التي رأينا أنه من الضروري تسليط الضوء عليها، وكذلك استعمال الألوان حتى تكون المعلومات أوضح للقارئ فيسهل عليه فهم المحتوى العلمي لهذه الدروس.

هذا ونرجو أن نكون قد وُفقنا في هذه العمل المتواضع لهذا المشروع العظيم، ونسأل الله عز وجل القبول بجاه السيدة فاطمة وأبيها وأمه وأمها وبعلمها وبنيتها والسّر المستودع فيها، وأن ينال رضا واستحسان القارئ. نسأل الله عز وجل أن يكمل نقصنا وأن يوصل سرّها، فإننا نتبرّأ من جهدنا ومن أثرنا فيها ونعتمد على سرّ مجليها.

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نتقدّم بجزيل الشكر والتقدير والعرفان بالجميل للشيخ الدكتور مازن الشريف الحسيني الحسيني على كل ما قدّمه ويقدمه للإنسانية من علوم دقيقة وفهوم عميقة وأذواق رفيعة تظهر عظمة هذا الدين وتبيّن جماله ويُسره، بطريقة تقربّه إلى القلوب وتحبّبه إلى النفوس وتجذب القارئ للهداية والصلاح بسلاسة ومحبة.

جزيل الشكر أيضاً لكل من ساهم في العمل على هذا الكتاب، بارك الله فيهم ونفعهم ونفع بهم، الشكر موصول لهم على جهودهم المبذولة في هذا المشروع الهادف للتنوير ومحاربة التزوير.

وأخر دعوانا أن الحمد لله فوق ما حمد الحامدون، وشكر الشاكرون، وذكر آلاءه الذاكرون، حمداً لا يحصيه بيان، ولا يحيط به لسان. وصلى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله الكرام الذين هم لكل فضيلة تاج ولكل رقي سراج، وبهم يُهتدى في ظلام الليل الداج، ومعهم يُقوّم كل اعوجاج ويُسلّك في أقوم الفجاج.

فريق العمل



# مفاتيح الألوان

عنوان:

مقدمة

آية:

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

حديث:

"من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب"

شعر:

يا غزال الكرخ والهفي عليك      كاد سرّي فيك أن ينتهكا

سجعية:

المطلوب، الغيوب، الذنوب، العيوب، القلوب

رقائق:

إنّ ليلة القدر جعلت لسيد القدر

دقائق:

علم الشأن

حقائق - حكم:

من أحاطت به العناية فما أضرت به جناية







## نفحات رمضانية: وقفة مع آية ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

كلام عن مقام الصالحين وعن أهل الصراط المستقيم

### مقدمة

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته أهلاً وسهلاً بكم في هذا اللقاء الرمضاني، أعلم أنّ الوقت متأخر خاصة لدى بعض الدول، الآن في تونس الحادية عشر ليلاً، ولكنها نفحة أردنا أن نشارككم حالها. رمضان شهر للسمر، للقيام، شهر فيه نفحات عظيمة، خاصة في ليله، ليل رمضان عند العارفين بالله عند أحباب الله هو ليل مؤنس، فيه قيام وفيه ذكر وفيه أورد وفيه نفحات وفيه انفتاح لأبواب وبوابات وفيه انشراح صدور وتيسير أمور. وأنا في ليل رمضان أيضاً أسلك في بعض الأحوال الخاصة، ولكن أعمّم منها ما فيه نفع وما فيه خير وما فيه نوع من الترقية التي نسعى إليها، أقول "نوع من الترقية" لأنّ الترقيات أنواع كثيرة ومناهج عديدة.

ونحن إن شاء الله ضمن الدروس البرهانية نقدّم دروس علم التصوف، فهناك نوعيات لفنون الترقية، وهذه النوعيات هذه المدارس هذه المدارج والمعارج التي يعرج بها العارفون إلى ربهم إنما هي فنون ومدارس مختلفة، كلُّ يأتي بسرّ من الله سبحانه وتعالى ويقدم لمريديه طريقاً. صحيح الطرق لا تختلف كثيراً في أصولها، لا تختلف في الأصل الأول الأساسي: الشهادتان وأنها قامت جميعها على حبّ الله ورسوله وآل بيته وحبّ الناس والخدمة، خدمة الناس والذوق الرفيع، هذه أصول ثابتة، أيضاً لا تختلف

كثيراً في تفرعاتها، ولكن ربما بعض المدارس التي تباعد بها المكان اختارت طرائق لا تليق بمكان آخر، يعني ما كان لائقاً عند الرومي وشيخه شمس التبريزي في تلك الرقصة وهما يلقان، ربما في مناطق أخرى لا يليق أن يقف الشيخ ويلفّ مع مردييه، يكون لديه وقار آخر. في الهند عندما نرى المدرسة الجشدية مدرسة معين الدين الجشتي يستعملون الموسيقى فن القوالي وألوان وهيئات ويأتي الهندوس يحضرون معهم، هذا مشهد يختلف عما نراه في أندونيسيا يختلف عما سنراه في السودان أو سنراه في أرض الحجاز أو في أرض مصر.. كل بلاد لها عرفها، لها فنّها، لها أدبها، ولها سرّها وطريقها.

### نصيحتي في رمضان

هذه النفحة ربما سنقدّم فيها جانب مبسّط بغاية المؤانسة وبغاية أن نستأنس ببعض من هدي القرآن الكريم. وأنا دعوتي دائماً لكل أحبائنا لكل تلاميذنا في هذا الشهر المبارك أن نجلس مع كتاب الله، الجلوس مع القرآن الكريم في شهر رمضان المبارك أمر مهم جداً. وهذا الجلوس لا يتعلق بصلاة التراويح، صلاة التراويح الإمام يقرأ وأنت واقف خلفه وتصلي، هذا مشهد نراه في العالم الإسلامي وفيه ما فيه من مشاهد رمضانية، مشاهد تعودنا عليها، والناس يأتون إلى المساجد بكثافة ويكون فيها أنس رمضاني، هذا يدخل في عادة رمضانية إيمانية، في صلاة لا نريد أن نناقش أصلها وتفصيلها وأصولها والخلاف حولها هذا ليس موضوعنا، ولكن درجت في الأمة وظهرت في الأمة بهذا الشكل، وهذا أمر لا نناقش فيه. ولكن ما أعنيه في الجلوس مع القرآن الكريم، ليس الختمة أو صلاة التراويح، إنما أن تجلس مع آية من آيات الكتاب العظيم وأن تتدبر هذه الآية، أن يكون لك موعد تدبّري.

أعطيك مثال مما جرّبته شخصياً: هو أن تجلس مع آية كل 3 أو 4 أيام أو آية كل يوم، ستأخذ آية من الآيات القرآنية التي تجد فيه أنساً في نفسك وتحاول أن تقف معها ومع معانيها. الآن ميسرة سبل المعرفة، يمكنك أن تجد موسوعة شاملة أو موسوعات الحديث وموسوعات التفسير، تطبيق تنزّله وتحمله على هاتفك، ويمكنك حينها أن تغوص في المعاني اللفظية والكتب وما صنّف الأولون وأخذوا أعماراً يدونون، تجده في تطبيق بسيط جداً وسهل جداً، ما معنى هذه الآية لغوياً؟ ما معناها دينياً؟ ما يستفاد منها؟ ما الذي يمكن أن تستفيد منها أنت شخصياً؟ ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ هذه ما الذي يستفاد في تجربتك الذاتية نحو الله سبحانه وتعالى في طريقك إلى

الله ما الذي تستفيده من هذه الآية؟ ما الذي يمكن أن تضيف إليك هذه الآية؟ هذا أمر مهم جداً وعلى غاية الأهمية.

ونصيحتي الثانية في هذا الشهر المبارك هي الإكثار من الذكر، نذكر الله ذكراً كثيراً. والذكر على بابين:

- إما أنك تذكر بورد من أوراد الصالحين، معروفة هذه الأوراد.
- أو تختار اسم من أسماء الله الحسنى أو الأسماء الحسنى كلها وتبدأ في ترديد هذه الأسماء، في ذكر الله، في الحمد، في الاستغفار، في الصلاة على حبيبنا رسول الله، هكذا، وهذا خاصة قبل النوم.

رمضان ليس شهر المسلسلات ولا هو شهر التباري في الأكل، ويكون نهار الإنسان غضباً وحنقاً وحمقاً وجرياً لشراء ما يمكن شراؤه وما يستطيع وفوق ما يستطيع حتى يعبئ المائدة ثم لا يأكل منها إلا قليلاً ويلقى الباقي، وكثير من المشاكل الاقتصادية تحدث في هذا الشهر بسبب هلع في النفس البشرية. رمضان شهر يعلمنا الزهد، يعلمنا أننا نستوي في مقام الجوع والجميع يكون مقامه كمقام بعض. هذا هو ما أريد أن أتكلّم فيه عن هذا الشهر الكريم المبارك، رمضان فيه ما فيه من خير، فيه ما فيه من أنس، فيه ما فيه من نور.

والوقفة التي نريد أن نقفها بكل بساطة، سأعتمد ربما منهج أكثر تيسيراً في هذه النفحة التي لن تطول طويلاً بإذن الله، فقط أحببنا أن نسلّم عليكم وأن نكون بينكم وأن نقول لكم شهركم مبارك إن شاء الله، وأن نُحَقِّقَ الهمم في ما نسمو به وفيما نرتقي به في هذا الشهر الكريم، بهدوء وبالكثر من التأمل وبالكثر من رفعة الهمة ومن الذوق الذي يمكّن لنا أن نستمر في هذه المعركة الحياتية التي نعيشها ونروم من خلالها أن ننصر على نفوسنا، ننصر على الشر الذي فينا ونرتقي لنعرف الله حق المعرفة.

### أولياء الله الصالحين

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ هذه الآية الجميلة العظيمة هي معراج من معارج الترقى، لأنّ هذه الآية تعطينا مؤشراً عن هؤلاء السادة الذين كثر حولهم الجدل، الجدل كبير لدى بعض من أبناء الأمة حول أولياء الله الصالحين. أولياء الله الصالحين الذين هم لهم نور ولهم سرّ ولهم بركة، البعض يراهم شركاً ويعتبر الأمر مجرد خروج عن أصول الشريعة ودخول في أمور لا تُحمد عقباها، أنه

يكون مشركاً بالله سبحانه وتعالى وأنه اتخذ هؤلاء العباد آلهة من دون الله. وهذا لا يقوله عاقل، لا يقوله عارف على وجه الحقيقة، إنما يقوله من ضلّ ومن خُدع ومن أخذ عقائد مفسدة فاسدة كانت تروم وما زالت تروم تدمير هذه الأمة وانتزاع بركتها انتزاعاً.

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ هذا مؤشر طمأنينة في قلب الإنسان، لأنّ الله سبحانه وتعالى عندما يتكلم عن هؤلاء الأولياء الصالحين الكملّ إنما يحدث عنهم ليعرّف بهم الناس، لأنّ الناس مأمورون باتّباعهم، وهم مأمورون باتّباع الحقّ سبحانه وتعالى وباتّباع رسول الله وباتّباع آل بيت النبي، وليسوا مأمورون باتّباع أهواء الناس، هم يعدّلون هذه الأنفس التي تميل إلى الشر لتميل إلى الخير. لذلك سيدي عبد السلام الأسمر جدّنا قدّس الله سرّه يقول "عدّالة يا عدّالة \*\* يا عادلين الميل \*\* هيا اعدلولي ميلي \*\* حملي عليّ ثقيل"، لأنهم يغيّرون حال الإنسان "يا سادتي رشّدوني \*\* يا اهل الكؤوس النقية \*\* هاضت عليّ فنوني \*\* أمر عجب حلّ بي"، هذا أيضاً من كلام عبد السلام الأسمر في مناجاته للصالحين.

فأولياء الله الصالحين هؤلاء رمضان شهرهم أساساً، كانوا على أعظم ما يكون عليه حال تجلي الله عليهم في هذا الشهر المبارك، وكانوا يقفون مع الله ويقفون مع الحبيب المصطفى وتأتيهم النفحات والتجليات والأحوال والأذواق والأشواق، لأنهم عادةً في حال صيام، الأولياء في حال زهد ومعظمهم كانوا دائمي الصوم كانوا خاصة يصومون الاثنين والخميس، وكانوا زاهدين في الدنيا زاهدين في ما فيها من مال وما فيها من أحوال، ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ هذا ثابت عندهم.

### القرآن خطاب موجّه لك

ما الذي يهّمنا نحن من هذا الخطاب الإلهي من هذه الآية الربانية؟ هنا يأتي مجال التدبّر، مجال أن ننظر في مقاصد الآية وما يخصّنا.

أريد أن أقول كلمة أنا عشت بها إلى هذه اللحظة منذ أن بدأت أسافر في كتاب الله، وهي أنّ:

### القرآن خطاب يعنك مباشرة، هذا الخطاب فيه ما يخصّك أنت

أنّ الله سبحانه وتعالى نزلّه على سيد الخلق، خاطب عموم الناس وخاطب به المؤمنين وخاطب به بني آدم وخاطب به الجن والإنس، ووضع فيه خطابات علوية وخطابات من هنا ومن هناك، تجد كلام

إبليس، تجد كلام يخص فرعون، قوم عاد ماذا قالوا لنبيهم، قوم لوط ماذا قالوا لنبيهم، وتجد كلام المؤمنين والعارفين والخائفين والطامعين والراغبين والمخبتين والكُمَّل والصالحين والأنبياء، وكلام الملائكة وكلام أهل الغيب، وكلام مستقبلي لا يخص الزمن الأرضي بل يخص أزمنة ما فوق أرضية أو أبد، حوار بين الملائكة وأهل النار، حوار بين المستضعفين والمستكبرين في النار، حوار مع أهل الجنة بينهم وبين بعض، حوار بين بعض من أهل الجنة وبعض من أهل النار، وهكذا، تجد فيه أمور عجيبة، تجد فيه المشاهد الأولية، سيدنا آدم وما كان مع الملائكة وما كان من أمر إبليس، وفيه شهادات إلهية كلام الذات الإلهية عن ذاتها.. القرآن ملكوت كامل!!

ولكن في القرآن الكريم ما يخصك مباشرة، أي أنّ الله يوجّه لك الخطاب أنت أنت. إذا أردت أن تعي أنك مخاطب من حضرة القدس من حضرة العظيم سبحانه وتعالى، عندما تأخذ الآية وتبحث فيها عن رسالة من الله إليك، ما الذي أراد الله سبحانه وتعالى -وقد ألزمتك أتباع هذا الكتاب- ما الذي أراد أن يقول لك أنت وأنت في حالك ومهما كان حالك؟! ستجد في القرآن الكريم وصفة علاجية لكل أزمة نفسية اجتماعية روحية، لكل إشكال، لكل مرض، لكل معضلة، ستجد ذلك إذا فتح الله على بصيرتك، ستجد الرسائل الموجهة إليك مباشرة.

هذا لا يعني أنك نبي، ولكن هذا القرآن العظيم إنما هو رسالة لكافة الناس، ولذلك سيجد المسيحي رسالة تخصّه، ويجد اليهودي ونحن سمعنا منذ أيام قليلة أحد اليهود في قناة صهيونية يتكلم عن اليهود كيف يخربون بيوتهم بأيديهم، ويذكر القرآن، ويقول له الصحفي حينها: الآن سأؤمن بالقرآن، عن هذه الأزمة التي تحدث عندهم.

لذلك كلُّ يوجّه إليه خطاب في هذا الكتاب العظيم، فأنت عندما تبحث عما ينفعك وعما يصلحك وعما يُصَحِّحك وعما يُصَحِّح طريقك إلى الله، تجد في القرآن الكريم غايةً وضالّةً، وليس أفضل من رمضان لتقف مع كتاب الله.

### تعلّق بأستار الصالحين

عندما يقول لك الحق سبحانه وتعالى أنّ أوليائه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فإذا كان الأمر كذلك، وإذا صحَّ أنّ الموصول بالموصول موصول وهذا أمر يقيني، فأن تكون مع الصادقين ومع الصالحين

﴿وَأَدْخَلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾، إذاً إذا تمّ هذا الإلحاق وهذا الإدخال في الصالحين، مسك ما مسهم، نالك ما نالهم، أعطاك مما أعطاهم، هذه ضمانة إلهية ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

عندما تتعلق بأستار الصالحين تجد الوسيلة، وهذه الآية فيها مؤشر لوسيلة، إذا كان هؤلاء القوم ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، إذا كان هؤلاء القوم منسوبيون إلى الله وهو الولي سبحانه وتعالى، إذا كان هؤلاء القوم مخطوبون من حضرة الله، مُجتبون من عند الله، اصطفاهم وصدقاهم وصافاهم، عندما اصطفاهم وصدقاهم وصدقاهم صفاً صفاً وجعلهم في صفه وكان في صفهم ووضع يده على أيديهم (بمعنى اليد على ما علم سبحانه وتعالى لا تجسماً ولا تشبيهاً ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾)، وجعلهم خدماً ولم يورثهم ندماً، جعلهم خدم لسيد الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله. عندما جعلهم في هذه الخدمة الإلهية نفحهم بهذه النفحات، حتى نشر أسماءهم، اليوم نقول سيدي عبد القادر الجيلاني، سيدي أحمد الرفاعي (صاحب هذه النفحة) أو سيدي البدوي أو سيدي الدسوقي، أو سيدي الشاذلي أو سيدي أبو مدين شعيب أو سيدي ابن مشيش أو سيدي معين الدين الجشتي أو سيدي عبدالسلام الأسمر، أو أسيادنا أولياء الله أجمعين الذين نثرهم الله من حولكم في كل مكان، لن تمضي بضعة أمتار أو كيلومترات إلا وتجد ولياً من أولياء الله، في كل ركن في كل مكان أولياء الله جعلهم الله محطّات نورانية.

هؤلاء السادة هؤلاء الصفوة ثبتت لهم النسبة إلى الله وإلى رسول الله ونسب إلى بيت النبي، هؤلاء عندما نتصل بسرهم فإننا ندخل في مقام "لا خوف عليهم ولا هم يحزنون" وهذا مقام عظيم. "لا خوف عليهم ولا هم يحزنون" وقد قُتل كبارهم: قُتل سيدنا علي وسيدنا الحسن وسيدنا الحسين، وقُتل الإمام زين العابدين والصادق والباقر والرضا، من سُمّم من قُتل من دُبِح، ولكن رغم ذلك ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. عندما تتصل بهذه الآية وبهذا السر تدخل في الأمان، وما أحوج الإنسان للأمان، الإنسان يعيش في هذه الدنيا على قلق، أكثر الأمراض اليوم ناتجة من القلق، الأمم تعيش في حالات قلق، تملك كل شيء وتشعر أنها لا تملك شيئاً. هذا الخوف المستشري وهذا الحزن الذي يصيب النفس والذي يصيب الناس، من مآسي الدنيا، من مصاعبها، من حاسد يُسلط عليك لأنّ الله أنعم عليك، إذا أنعم عليك بنعم فلا بدّ أنّ الشياطين تأتي لقلوب الملاعين والحاسدين وأحياناً من الأقربين الذين هم أقارب كالعقارب وينشبون سهام حسدهم فيك، أو يأتي الجاحدون أو يأتي الماكرون أو يأتي الساحرون أو يأتي غيرهم ممن يؤذي الناس دون ذنب وممن يؤذي الناس لفساد في مزاجه وفي نفسه وفي قلبه، أو تأتي مشهديات دنيوية قاسية

أو سيئة. عندما تكون في هذه الأحوال، عندما تكون في هذه الحالات، فإن هذه الضمانة الإلهية بـ ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ تعطيك أماناً أنك مع قوم لا يشقى جليسهم.

من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب

إذا كان الحق جل وعلا قال "من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب" هذا له معنى ظاهري وله معنى معكوس، لأن أحياناً الله سبحانه وتعالى يأتي بالمعاني معكوسة، يبطن المعنى. عندما يقول لك ﴿كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ المعنى المبطّن لك: لا تكن مع الكاذبين، إذا قال ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ أن تصبر نفسك رسالة للحبيب محمد ومن خلفها إلينا جميعاً أن نكون مع الذين يريدون وجه الله، إذاً الذين لا يريدون وجه الله لا تكن معهم. إذا قال هنا في هذا الحديث القدسي "من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب"، و "آذّن" أي أنّ الحرب مستمرة ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾، التأذّن هذا هو بيان مستمر، هو ميثاق متواصل لا يتوقف أبداً. فالله سبحانه وتعالى قال "آذنته بالحرب" أي سأشغّ عليه حرباً مستمرة، أبتدئها ولا أنهيها. فإذا كان ذلك الخطاب كذلك، فإنّ المعنى المبطّن فيه: "من أحب لي ولياً فقد آذنته بالمحبة آذنته بالحب، من صافى لي ولياً فقد آذنته بالصفاء والمصافاة والمحبة التي فيها صفاء عظيم، من والى لي ولياً فقد آذنته أني أوليه وأواليه وأجعل منه ولياً".

من تمسك بأعتاب هؤلاء السادة، من تمسك بأذيالهم، من شرب من خمر وصالهم، من كان على سمتهم وحالهم، من تملّى في جميل جمالهم، من رام أن يكون على نهج كمالهم، من أراد أن يرى الله ورسول الله من خلالهم، نال من ذلك العطاء، ونال من تلك النفحات من تلك المنح الإلهية التي يعطيها الله لأحبابه. شهر رمضان كما قلت من قبل هو شهر الله ورسوله وأهل بيته والصالحين، واليوم نحن نقف بين أيدي الصالحين. هؤلاء الصالحون أصلحهم الله واختارهم من قبل في لوح محفوظ، وضع أسماءهم إسماءً إسماءً، وأبداهم زمناً زمناً، هم فلذات كبد الزهراء وهم منسوبون إليها. والذين هم على درجة من الصلاح من غير أهل النسب هم أهل نسبة، محسوبون، "سلمان منا آل البيت". هكذا هي الأمور مسطرة، وهكذا هي مطرزة موشاة.

"من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب": من والى لي ولياً فقد آذنته بالولاية، من أحب لي ولياً فقد آذنته بالحب. إذن عندما تحب هؤلاء السادة وعندما تذكرهم، بذكرهم تنزل الرحمت "ورز أهل الصلاح بكل

أرض \*\* فأهل الله هم سفن النجاة" كما قلت مرة في قصيدة عندما كنت في تاج محل فوجدت قبر ولي من أولياء الله وأنشدت عند ضريحه هذه الأبيات وكانت قصيدة جميلة مما سمّيته ديوان الهند إن شاء الله سوف أجمع ما فيه وأنشره، وهو ديوان كبير بحكم أني زرت الهند مراراً وكنت أكتب كل يوم كل يوم كل يوم في تلك الرحلة الهندية. المهم أننا نتكلم عن أولياء الله، علينا أن نوصّي قلوبنا كما نوصّي أجسادنا، نوصّيها بالمحبة، توصّي بماء المحبة الزلال، بهذا الطهر الذي ينفي عنك ما سواه.

أولياء الله لا يتخلّون عنك

عندما نقف في أعتاب أولياء الله، فإنّ الله سبحانه وتعالى جعل عليهم شارة ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، أنت تخرج من الخوف وتخرج من الحزن، تخرج من القلق، تشعر بالأمان وتُمنح الضمان، لأنّ هؤلاء السادة لا يتخلّون على من حُسب عليهم أو من نُسب إليهم:

يا ابن الرفاعي تدارك \*\* عبداً أتى واستجارك

شيخ العريجة أغثني \*\* قد صرت في الحي جارك

عندما تنادي على أهل الله، عندما تكون مع أهل الله، فإنّ أهل الله يكونون معك

مريدي لا تخف عادٍ فإني \*\* عزومٌ قاتلٌ عند النزال

فسيدي عبد القادر على سبيل المثال عندما يتكلم بهذا الحال ويقول:

لو أنزلت سرّي في جبالٍ \*\* لدكّت واختفت بين الرمال

أنا الجيلي محيي الدين اسمي \*\* وجدّي صاحب السرّ الكمال

وهكذا عندما يتكلم بهذا الكلام، إنما يتكلم من الحضرة، هم لا يتكلمون من فراغ.

الشيخ محمد بن عيسى يقول: "أنا ما قلت أنا \*\* إلا بالمولي سبحانه"

فلذلك سيد عبد السلام يقول:

أنا هو الشيخ الأسمر \*\* على ولادي نضرب في الغارة

ما يكرهكم كان مهوّر \*\* ما يعرف للسرّ أمانة

ونبي نخدم باش نصوّر \*\* واللي يخدمكم تعمر داره

فذلك من يخدم الصالحين من يحبهم، سينال من بركاتهم، سينال من أنوارهم.

لا تقل لي "انتقلوا من الدنيا"، هم تحرروا من قيد الدنيا، لا تقل لي "أموات لا ينفعون"، هم مرفوعون هم شهداء هم شاهدون، هم مكلفون هم مصرّفون في الحياة وبعد الوفاة. وهؤلاء لهم صاحب نوبة يكون من الأحياء في الدنيا دائماً، يكون يُسمّى **القطب الفرداني** أو القطب الصمداني، يكون واحد فقط على كامل الكوكب تكون عنده نوبتهم جميعاً، أي ينوب عنهم كلهم. ثم لديهم نواب ضمن طرقهم وأحوالهم وأسرارهم، أي تجد رجل صالح يأخذ نوبة عن سيدي أحمد البدوي، إذاً هو ينوب فقط عن السيد البدوي وحاله مع السيد البدوي، آخر حاله مع السيد الرفاعي، آخر حاله مع سيدي عبد القادر الجيلاني، آخر حاله مع سيدي الجشتي أو سيدي الشاذلي أو أسيادنا الصالحون. ولكن تجد هذا واحد منهم يكون له نوبة على الجميع، وهذا فضل الله يؤتيه ويعطيه من يشاء، إنّ الله ذو الفضل العظيم. هذا لا نريد أن ندخل فيه كثيراً أو نغوص فيه كثيراً، وهذا مقام البديل الذي يكون بدلاً عنهم جميعاً.

ولكن نتكلم عن محبتهم دون أن تكون منهم دون أن تكون من الأولياء الصالحين، كن خادماً، لذلك مرة كنت عند سيدي محيي الدين ابن عربي وجاء في قلبي من نفحة سرّه: "إذا لقيت أولياء الله فَطِرْ" هكذا، كنت في رمضان وكنت أتيت من دير الزور وكنت متعب جداً ونمت بجوار ضريحه الشريف، وجاء هذا خاطر هذا الفيض الذي يأتي إلى القلب. ف **"إذا لقيت الصالحين فَطِرْ"** ثم صمت ثم قال **"طِرْ معهم أو طِرْ حولهم أو طِرْ بهم"**، فأنت إما أن تكون واحداً منهم فتطير معهم، أو أن تكون خادماً لهم فتطير حولهم، أو أن تكون متوسلاً بهم فتطير بهم. وهذا الطيران هذا السرّان إنما هو طيران روحاني، إنما هو رقي حال رقي ذوق رقي أخلاق، تصبح عندك رفعة أخلاقية، تكون عندك علوم ومعارف وأنوار..

## نفحات أولياء الله

لذلك أنا أنصح أبناء التصوف وأبناء التشييع وأبناء التسنن وأبناء التمسلف أو التسلف أو عبارة عن الفكر السلفي، أبناء كل هذه المدارس أنا أنصحهم: ما الذي وجدت من قراءتك للقرآن؟ ما الذي وجدت من صلاتك من صيامك؟ هل تطوّر حالك؟ هل كنت صاحب غضب وصرت هادئ النفس؟ هل كنت صاحب عادات معيّنة وتغيّرت؟ هل صرت أفضل مع أهلك مع أبنائك مع أصحابك مع جيرانك؟ إن كان ذلك حالك فاستمر في ذلك الطريق حتى يبين الله لك ما خفي عنك.

ولكن ما دام قلبك كارهاً إذا قلت لك "آل البيت" ترتعش، وآخر يدعي التشييع وإذا قلت لك "أولياء الله الصالحين" تقول: "لا والله جعفر الصادق كره التصوف وهؤلاء لا نسب لهم" هذا حمق على الجانبين. وأيضاً إذا كنت تدعي التصوف وأنت تقول لي "والله إني أرى الأنوار وقمت بخلوة لمدة يومين أو عشرين يوم أو خمسين يوم أو شهر ورأيت النور"، النور عندما يلامس قلب إنسان، عندما يعطي الله نفحة نورانية لإنسان، فإنّ هذا النور يتكلم فيه، يتجلّى عليه، يتجلّى عليه بركة، يتجلّى عليه في إشفاء الناس، يتجلّى عليه في علوم وفهوم لم يكن الرجل يعرفها لم يكن المتكلم ينطق بها، تصبح عنده حلاوة وطراوة وطلاوة في كلامه، وهكذا هي الأنوار الحقيقية.

مما يُذكر أنّ الشيخ أحمد ابن مصطفى العلاوي يُذكر أنه كان صائد أفاعي -هذا يحتاج إلى تحقيق- المهم أنه يُذكر أنه كان صائد أفاعي والتقى الشيخ محمد الحبيب البوزيدي (وهذا على طريقة سيدي العربي الدرقاوي وصولاً إلى سيدي أبي الحسن الشاذلي إلى سيدي عبد القادر سند الطريقة وسلسلتها)، المهم أنه إصطاد له أفعى كبيرة، قال له: هل تستطيع أن تأتيني بأفعى أكبر منها؟ غاب عنه شهراً يبحث في الصحراء حتى أتاه بثعبان عظيم ثعبان كبير، فقال له الشيخ البوزيدي: لا يا أحمد، هنالك ثعبان أعظم من هذا. قال له: يا سيدي والله ما في الأرض في منطقتنا أعظم من هذا. قال: لا، نفسك التي بين جنبيك، إن تمكنت منها صرت من الرجال الكمل. وحينها بدأت هذه الأنوار تنتشر في قلب وصدر الشيخ العلاوي حتى صار من أمره ما صار، تلك القصائد العظيمة والتي خرج منها الشيخ محمد المداني بما عنده من قصائد ومواجيد و"أهل الله راهم حازوا" وهذه القصائد للشيخ العلاوي وهذا الديوان الجميل، وعمله الدعوي والمطبعة التي قام بها وجهاده. وكان له نفحة عظيمة أنه رأى الحبيب محمد وقال له كشفاً أو رؤياً -هذا أمر بينه وبين الله ورسوله، نحن لا نحيز ولا نضيّق على أولياء الله واسعاً، أمرهم مع ربهم وأمرهم مع نبيهم- المهم أنه رأى سيدنا رسول الله، كشفاً أو مناماً أو يقظةً هذا أمر يخصّ الله ورسوله،

ما كان الله ليعجزه من شيء، الأرواح قد تتراءى للأشباح هذا ممكن. المهم، قال له: "يا أحمد افتح مدرسة"، قال يا سيدي أنا لا أحسن الكلام، قال: "أنت افتح فمك وأنا أتكلم"، أي أنّ السرّ المحمّدي يتجلّى عليه في كلامه.

إذن إذا قلت "أنا رأيت النور" سأتيك بكتاب القرآن الكريم وأقول لك: فسّر القرآن الكريم تفسيراً جديداً لم يسبق أن سمع مثله أحد، لأنّ النور يعطيك تفسير. النور مثل برمجة كبرى تحتوي أرواح وأذواق للصالحين السابقين. **النفحة الروحانية**، ماذا أعني عندما أقول "نفحة رفاعية" أو مرة أكتب "نفحة جشتية"؟ أنا لا أهذي في الكلام ولا أجنب العقيدة والشريعة، أنا أعني جيداً ما أقول، دائماً أعني ما أقول، لا أتكلم هذر مذر. المهم أننا عندما نتكلم عن نفحة من ولي من الأولياء، أي أنّ: **روحه بسرّ من الله تنفح بأمر الله عبداً من عباد الله**. يقول لك "هذا شرك، لا يأتي الأمر إلا من الله"، أقول لك: عندما تجلس بجانب شجرة، هذه الشجرة وريقاتها وهي تنظر إلى الشمس تستمدّ من ذلك الشعاع الذي يأتي من بعيد جداً ما يبقّيها حية، ما يجعلها تنمو، مع تفاعل مع الماء والهواء. هذه النفحة التي تأتي بها الشمس إلى جسمك ليمنحك الحياة والنضارة وإلى هذه الشجرة هذه الورقة، هذا النجم البعيد هذا النجم الذي يحترق وفيه احتراق وأحوال، هذا دليل على وجود نفحات من نوع آخر. السيد أحمد الرفاعي شمس من شمس هذا الدين، شمس إلهية، خلقه الله ليكون شمساً، كذلك السيد الجيلاني، كذلك كل أولياء الله.

وفوق هؤلاء شمس أعظم، اكتشفوا في مجرّتنا البسيطة المسكينة اكتشفوا في هذه المجرة وهي ليست كغيرها هنالك مجرات أعظم منها بكثير، المهم هنالك شمس بحجم شمسنا 4.5 مليار مرة، وعليها تكون الكواكب التي من حولها بنفس المضاعفة، وكان فيها كائنات قبل هذا الخليفة الأخير سيدنا آدم كان فيها أكيد كائنات، فالمضاعفة بنفس الرقم، في الحجم وفي كل شيء، في العمر فيما أردت.. المهم أنّ هذه هي نفسها نطبّقها، هذه الشمس الرفاعية شمس عظيمة، كوكب عظيم، وهذه الشمس الجيلانية شمس عظيمة، وهذه شمس هاشمية شمس محمّدية علوية فاطمية حسنية حسينية، فوقها بمليارات الأحجام تجد: شمس سيدنا علي، السيدة فاطمة، السيدة آمنة، السيدة خديجة، سيدنا حمزة، سيدنا جعفر، سيدنا الحسن، سيدنا الحسين، هذه شمس. وبجانب ذلك ستجد شمس أخرى شمس الأنبياء، وفوقها الشمس العظمى شمس سيدنا رسول الله ﴿سِرَاجًا مُنِيرًا﴾، أعظم من الشمس ﴿سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾، **الوهج محدود والنور ليس له حدود**. وهذه الشمس كلها تجد من حولها أفلاك نورانية جبرائيلية إسرافية ميكائيلية روحانية وهكذا.

وتستمر إلى المرايا (مرايا القلوب)، فإذا سطعت شمس من تلك الشمس، أحياناً القطب الفردي الجامع تسطع فيه كل الشمس تتجلى عليه جميعها، وأحياناً تكون دالة تكون نوبة لأحدهم فيكون تجلي قلبي، مرآة قلبك الصافية تتجلى عليها شمس السيد الرفاعي فتجد من أثر ذلك الضوء. أنت عندما تعكس ضوء الشمس في مرآة على عين من الأعين، هذه العين قد تُصاب بالعمى، فما بالك عندما يعكس قلبك شعاع نور من ولي من أولياء الله أو نبي من أنبياء الله أو ملك من ملائكة الله أو من نور الله سبحانه وتعالى ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ويعطي نور لمن أراد؟! عندما تعكسه فتراه العين القلبية: العين المُحِبَّة تصبح أكثر قدرة على الرؤية، والأعين الكارهة تصبح عمياء تماماً، القلوب الطيبة تصبح أكثر طيباً وتُنْفَح من ذلك الإنعكاس، والقلوب الفاسدة تزداد فساداً ويحول الله بين ذلك الإنسان وقلبه فلا يرى في ذلك النور إلا الزور وإلا الفجور وإلا سوء الأمور، لا يرى النور على حقيقته.

إذن أنت عندما تصل إلى هذا النور، تتصل بهذا النور، بأنوار الصالحين، يتغير حالك يقيناً بالتجربة. أنا لا أتكلم عن أمر عاينه غيري، أتكلم عن أمر عاينته أكثر من 30 عام أو يزيد عن ذلك، عاينته عياناً ومشاهدةً وملامسةً ومعانقةً وجساً وحساً ومعنىً وذوقاً، معاينةً وتبينً وتحقيقً وتوثيقً ومصاديقً، تحققً كاملً. عندما أتكلم عن هؤلاء أنا لا أشهد شهادة زور، لا أُلقي بنفسي في نار الجحيم، ولا أتكلم كلام من يفترى على الله كذباً، إنما أقول عن تحققٍ وحقيقة: إنَّ الصالحين لهم زورات ولهم خطرات ولهم نظرات.

وإذا صَفَّيت مرآة قلبك، إذا عكفت على تطهير هذا القلب من الدنس وسهرت الليالي.. أنت عندما تخرج إلى اجتماع مهم تلبس بدلة جميلة وتنظر إلى حذائك فيه شيء من تراب فيه شيء تلمعه، والبعض يمضي إلى من يلمعون الأحذية ويجلس عندهم ويضع رجله كأنه الإمبراطور والآخر يكون بسيط مسكين ويلمّع حذاءه، وهو يشعر بالزهو! الآن إما أن تلمّع قلبك وتحرص على ذلك أو تمضي للصالحين يلمعون لك قلبك، وتكون على حال من الذل، وتكون على حال من الإنكسار، وتكون على حال من الافتقار والاعتراف بالذنب والاعتراف بالتقصير والنقصان. إذا وقفت هذا الموقف يلمّع قلبك تماماً. أنت تأخذ ملابسك كي تُغسل وكي تُكوى وكي تصبح على هيئة جيدة، أنت تختار الطعام الذي تأكله، ولكن لا تختار ما تضع في قلبك، لا تختار ما تضع في نفسك، لا تختار، تأخذك مشاعر سلبية، يأخذك أشخاص سلبيون، هذا يمتلئ قلبه حسداً، ذاك يمتلئ قلبه شكاً أو غيراً أو ريباً وغيرها من المسائل. لذلك قلت منذ عشرين سنة هذه الحكمة: "الذين يلمعون أحذيتهم كل يوم ولا يلمعون قلوبهم مرة في السنة!!" مصيبة.

عندما تسهر على القلب، مهما كان من مشاكل مهما كان من ذنوبك مهما كان من عيوبك، عندما تسهر حتى تنقي ذلك القلب حتى يصبح كالمرآة رقيقاً منكسراً، إذا رميت مرآة بحجر تنكسر، ولكن إذا وقفت أمامها كشفت لك حقيقة حالك ولا تكذب عليك، وعندما تكون مع المرآة ترى عجباً في المرآة، ترى عوالم ترى امتداد عالمك.

المهم هذا ما أريد أن أقوله: إذا كنت مع الصالحين إذا صححت النية عندهم، أصلحوك وصححوك. وتأخذ عن عارف، تأخذ عن عالم، تأخذ عن متبحر في القرآن وفي اللغة وفي السنة وفي الكتابة وفي غير ذلك، ولا تأخذ عن ناقص، ابحث عن الذي يكمل حالك، وابحث في الصالحين عن الصالحين، وابحث بالصالحين عن الصالحين. إذا لقيت صالحاً من أهل الحياة الدنيا سيكون معراجك للصالحين الذين غادروا الدنيا وتحرروا من سجنها وتحرروا من ثقلها ومن كثافتها ومن طينيتها، أولياء الله ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لأنهم في مقام أمان بالله سبحانه وتعالى.

### مفهوم الصراط المستقيم

الفاتحة التي نقرأها كل يوم فيها مؤشر عن الصالحين: عندما نطلب منه بعد أن بدأنا بالبسملة وذكرنا اسمه وذكرناه كرحمن وكرحيم حتى نمجد رحمانيته المتعلقة بذاته ورحيميته المتعلقة بنا، لأننا نحن المحتاجون لتلك الدائرة الرحيمية ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾، أما في ذاته فهو رحمن. نريد أن نكون من عباد الرحمن نُنسب لعباد الرحمن ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾، ونريد أن يكون الله بنا رحيماً، نأخذ من هذه الرحمة التي كتبها الله على نفسه والذي وسع كل شيء رحمةً وعلماً كما توصل إليه ملائكة وحملة عرشه.

عندما نقف هذا المشهد ونمضي إلى الحمدلة لرب العالمين الذي سيطر على كل شيء ووسع كل شيء وأحاط بكل شيء، وأننا نعبد توحيداً ونستعينه توحيداً لا شرك فيه. ولكن عندما نطلب منه أن نهتدي، أن يهدينا إلى الصراط المستقيم إلى المنهاج القويم إلى الصراط المؤدي إلى مرضاته المؤدي إلى رضوانه، هذا الصراط في نص كلام هؤلاء العارفين، لأنَّ الفاتحة إنما هو كلام الصالحين الفاتحة كلام الملائكة الفاتحة كلام النورانيين. هذا الكلام للصالحين للمكلفين إنما يبين أنه كلام من صلح من أهل الله، من صلح من الخلق، من صلح من الناس، لأنَّ فيه حمدلة. ولكن عندما يطلبون الهداية، الملائكة مهتدية لا تطلب

ذلك، تطلبه لغيرها، ولا تخاف من أن تكون في صراط الضالين أو صراط المغضوب عليهم، عندما يقولون لربهم ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، يُنسب الصراط للعباد، للذين أنعم الله عليهم. إذن الصراط له أصحاب، وليس ذلك الذي يقال أنه شعرة وأحد من الخنجر وأنّ الناس تجري فوقه في يوم القيامة، هذا قلت من قبل أنه موضوع، ولكن هذا منهج.

الصراط منهج، منهاج، له معنى عقائدي في التوحيد والإيمان بالله ورسوله، وله معنى شرعي، وله معنى ذوقي في محبة الله ورسوله وآل بيته والصالحين وخدمة الناس. المهم هو صراط عبادٍ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، هؤلاء الذين أنعم الله عليهم، وليست السبل التي يمضي فيها الضالون ويمضي فيها المغضوب عليهم. إذن هنالك مغضوب عليهم يدعون أنهم أصحاب الصراط القويم، وهنالك ضالون مضلون أو ضالون مضللون يدعون أنهم على الصراط المستقيم، وهذا في كل دين وفي كل طائفة، ستجد مغضوب عليهم وستجد أيضاً ضالين مضللين أو ضالين مضللين مضللين. وهنالك اختلاف في الضلال بين من يُضللّ غيره وبين من هو ضلّ ولم يهتدي ثم يمكن لله أن يهديه متى أراد.

المهم هذا الصراط المستقيم إنما منسوب لعباد الله، وهذه الفاتحة نفسها إنما هي كلام أهل الله، كلام المتوسّلين إلى الله، المؤمنين بالله الحامدين لله، الذين يبدأون بسملة الله. ولي كتاب اسمه "الفاتحة في أحكام الفاتحة" كتاب عجيب وجميل إن شاء الله أنشره بينكم في تفسيرها إشارياً وذوقياً.

فهذا المقام وهذه النفحة وهذه النظرة إنما توصلنا إلى ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، لأنهم عندما يقفون مع أولياء الله يقفون مع أهل الله، يتصلون بسرّ أهل الله، يكونون مع الصادقين، حينها يدخلون الصراط المستقيم. الصراط المستقيم ليس مشاعاً، ليس هكذا قد تُرك دون شيء، البعض يقول لك "لا تدعو إلا الله، لا تتوسّل إلا لله". نعم من باب العقيدة نحن لا ندعوا في الحقيقة إلا الله، ولكن الله فرض علينا طرق. ما الذي أشكل على إبليس فصار إبليساً؟ أنه لم يُرد أن يدخل على الله مما أراد الله له أن يدخل به عليه، قال له "بابي آدم"، طيب "أنا أعبدك يا ربي من ملايين السنين وتأتيني بهذا الطين وتقول لي اسجد له؟ أنا لا أسجد إلا لك!!".

هذه العقيدة ورثها أصحاب الفكر المنحرف الفكر التكفيري الفكر الظلامي، لماذا؟ قالوا: لا، نمضي إلى الله دون رسول الله، حتى إذا وجدوا "الله محمد" في المسجد سحبوا "محمد"، هذا حمق. لأنّ الله قال لك: "أنت لا تأتيني إلا من باب رسولك" من باب رسول الله. ورسول الله ماذا قال لك؟ قال لك: "لا

تأتيني إلا من باب سفينة النجاة آل بيتي " للصحابة ومن كان معهم ومن كان بعدهم جميعهم، "آل بيتي سفينة النجاة" كان يقول لأصحابه "مثل آل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك"، "مثل آل بيتي فيكم كباب حطة" ارجعوا إلى الأحاديث وانظروا فيها. الجميع من أصحاب النبي على جلاله قدرهم إلى غيرهم كلهم أمروا بهذا، هذه ليست مسألة مذهبية، هذه مسألة إيمانية هذا في صلب الدين. "أحبوا الله لما يغذوكم من النعم وأحبوني لحب الله وأحبوا آل بيتي لحبي"، ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، علينا أن نفهم.

فالصراط ملك لرسول الله، الصراط مكتوب باسم النبي وآل بيت النبي وباسم الصالحين.

### ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾

وعندما تأتي للحظة الختامية للنفس الإنسانية، عندما ترتقي بالصالحين وتكون مع الصالحين وتدخل في الصالحين وتلحق بالصالحين، عندما يأتي الحين، عندما تأتي المنية وعندما تلتفت الساق بالساق، الخطاب الإلهي يأتي موجه بإشارة أخرى ما دمنا في مقام ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، بإشارة وبشارة، أنك أيتها النفس صرت مطمئنة ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارجعي إلى ربك﴾ طيب ترجع إلى ربها بأي حال؟ راضية مرضية. "راضية مرضية": لا خوف ولا حزن، "راضية مرضية": قد حققت مرادها وبلغت مرامها ومضت إلى دار خلد وقد تيقنت أنها فيها في أفضل حال ومقام ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾، ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾. إن شاء الله سنتكلم مرة في مسألة الحساب، الأمور ظاهرة منذ البداية، منذ البداية ومن قبل البداية، حقت عليهم الكلمة أو سبقت لهم الحسنى، المهم هذا إن شاء الله موضوع آخر.

ولكن أقول: عندما تكون هذه النفس مطمئنة قد بلغت الطمأنينة، إرتقت بمدارج ومعارف الصالحين وأذواقهم وأحوالهم وأشواقهم، عندما تبلغ أن تكون مطمئنة، يناديها الحق جل وعلا: ارجعي إلي، ارجعي وأنت في حال الرضا، أنت راضية بما أعطيتك ومرضية مني أنا راضٍ عنك، أنت راضية ومرضية. سبق رضاها هنا، في غيرها يقول ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾، ولكن هنا راضية مرضية، "راضية" لأنك راجعة إلى ربك في حال من الرضا والرضوان.

ولكن قبل أن تأتي إليّ وقبل أن تصلي إلى الرجعي إلى ربك ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾. لن تدخلي جنتي إلا بعبادي، عندما تدخلين في عبادي تدخلين جنتي، حينها ترجعين إليّ وتكونين في حال الرضوان. هذا الصراط المستقيم، هذا صراط الذين أنعم الله عليهم.

إذن "عبادي" من هم؟ الذين أنعم الله عليهم. عباده من هم؟ ﴿عِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾، عباده من هم؟ الذين ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾. القرآن فيه مصفوفة معنوية عظيمة، أنا عندي الآن تقريباً 25 عام وأنا في عمقها ومضيت فيها أشواطاً، وطبعاً لو أبقى مليار مليون سنة لا أكمل ولا أتم، إلى الأبد ولا أتم، لو أنني أعكف من هنا إلى أبد الآباد لا يمكن أن أتم ذلك، هذا الكتاب عجيب معجز. وأنا أحزن عندما أرى جاهلاً يتكلم عن القرآن الكريم، عندما أرى شبه شيخ يتكلم عن القرآن الكريم، عندما أرى بعض التفاسير العقيمة أو الإسرائيليات التي تلتفت كالأفاعي حول كتاب الله. المهم هذه معارف وأذواق وعلوم آل البيت، وهذه نفحة رفاعية نفحة من السيد الهمام سيدنا وشيخي وحببي سيدي أحمد الرفاعي.

المهم يا سادتي يا أحبتي، ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ تدخل في هؤلاء العباد. وهؤلاء العباد هم أهل الله الصالحين، هؤلاء العباد هم الأنبياء، هؤلاء العباد أسيادهم سيدنا محمد وآل البيت، إن لم تدخل في العباد فلن تدخل الجنة.

طيب ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾، إن لم تكن في العباد وتتوسّل بالعباد في أيام العبادة في الدنيا، فلن تدخل في العباد في الوفاة والانتقال، لن تصل أن تكون مطمئنةً دون من يعلمونها كيف تطمئنّ ويرقونها حتى تطمئنّ ويأخذون بيدها حتى تكون نفساً مطمئنة. نفسك هذه التي بين جنبيك ميزتها القلق، النفس قلقة ضجرة، ولكن الخلوات والجلوات والصلوات والأورد والأذكار هذه تطرق على حديد النفس حتى تصقله وتحرقه جيداً. وهج الشمس الذي يصدر الضوء، الشمس تكابد نيران وآلام وأعاصير وعواصف وغيرها وانفجارات وبلازما وسواها، هذه النفس التي تغلي، هذه الشمس التي تغلي أيضاً، النفس تغلي كحمم البراكين كالحمم الآسنة، الروح تغلي كالشمس، إذا انتصرت الروح أشعت على النفس، إشعاعات وشعاعات أسيادنا الصالحين هم يحترقون بنار عشق الله، احترقوا كثيراً بنار العشق الإلهية، وعندما احترقوا جيداً صاروا شمساً وهاجةً مضيئةً منيرةً لقلوب أهل المحبة وأهل الوداد، كما يقول حببي الشيخ جابر "حيّ على الوداد".

لذلك ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ الجنة جنة الرضوان، وهذا لا يكون إلا بالدخول في الدنيا بالتوسّل في الدنيا، وأنت في هذه الدار تهتدي إلى الصراط المستقيم بالذين أنعم الله عليهم وتكون مع العباد وتكون في العباد. وأنت في صلاتك ستسلم على هذه المدارج والمعارج، تبدأ بتحيات زكيات إلى الله سبحانه تعالى درجت من لقاء بين سيدنا رسول الله وربه في عالم فوق هذه العوالم، ثم تسلّم على الحبيب سلام من يراك، من أنت معه "السلام عليك أيها النبي الكريم"، ثم تسلّم على نفسك وعلينا وعلى المجمع الذي من حولك وعلى عباد الله الصالحين، لأنهم معك حتى في صلاتك، إن لم يوقّعوا لك بالقبول في صلاتك في حياتك لن تقبل. كل شيء من حالك إنما هنالك ولي من أولياء الله يُشرف عليك (إن كنت مقبولاً) مع الملائكة، أما غير المقبول هذا ليس له إلا الملائكة الذين يكتبون أعماله ويأخذونه إلى حيث يُعذّب إلى أبد الأبد، نسأل الله أن لا نكون محجوبين ولا محرومين.

### طريق الدخول على الله

هذه نفحة إذاً مبسّطة كما أردت، فيها بعض الفيوضات بعض المعاني عن أن تكون مع الصالحين وعن أنه ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وعن الإرتباطات القرآنية المعنوية. أنا بعد إنهاء الدروس البرهانية إن شاء الله سوف أبدأ دروساً من كتاب آخر موسوعة أخرى اسمها "الآلئ الجنان في معاني القرآن" ما زلت أخفيها إلى اليوم، وهي سفر مع القرآن الكريم من أوله إلى آخره بمعاني ذوقية إشارية وبمعارف من علوم آل البيت، ورثناها صديراً عن صدر ولم نأخذها سطرّاً عن سطر، إنما هذه أنوارهم وأسرارهم وأحوالهم وأخبارهم، وهذا ماؤهم وتلك نارهم، وهذا خمرهم وذاك خمارهم، وذاك جمالهم وذاك عذارهم الذي يخلعونته تهتكاً وخمراً وسُكراً وذكرراً وفكراً وشكراً. فنحن نحب الصالحين ونحب أهل الله، ونرجو من الله أن نكون منهم، فإن لم نكن منهم أن نكون من خدامهم أو المنسويين إليهم أو المحسوبيين عندهم، وأن ننال من نظراتهم ومن حضراتهم ومن خطراتهم ما فيه ترقية لنفوسنا وما فيه غفران لذنوبنا، وأن نرتقي بهم دائماً، وأن نجتمع بهم في دار الخلد، وأن نكون معهم مجموعين في هذه الدنيا.

وهذا الكلام إذا سمعته، وجدت سروراً في قلبك ووجدت سكينه في قلبك، فأنت على خير عظيم. إذا سمعته أو سمعه سامع واشمأز منه ونأى عنه، هذا يدلّ على مرض والعياذ بالله، مرض سرطان روحي خطير جداً، مرض أفعى شيطانية تحيط بقلبه، وهذا لا شفاء له إلا أن يفعل الله فيه معجزة. الذي لا يحب الصالحين، والله لو صلى وقام وقام بالتراويح مليار سنة ضوئية، لن يغني عنه ذلك شيئاً.

لن تدخل على الله سبحانه وتعالى إلا من باب واحد باب سيدنا محمد، وسيدنا محمد لن تدخل عليه أبداً إلا من باب واحد باب آل بيته الكرام ولو توصلت بجميع الصحابة، لأن الصحابة أنفسهم مهما قدرناهم مهما احترمتناهم مهما أحببناهم، نحن نحبههم ونعرفهم ونعرف ما بين القرآن من أحوالهم من حقائقهم، نعرف من كان على منهاج ومن كان على غير ذلك، لأنها أنواع وصنوف، ولكن عموماً الحكم العام: أصحاب رسول الله قرنهم طيب، هم القرن الأفضل، وهم الذين جاهدوا وصبروا واصطبروا، ورضي الله عنهم وأرضاهم، بلا ريب. ولكن هؤلاء أسيادنا رضي الله عنهم أنفسهم رضي الله عنهم لا يدخلون على الحبيب محمد إلا من باب آل بيته، باب أمر رسول الله أن يدخلوا منه "من كنت مولاه فهذا علي مولاه" لا أحد يستطيع أن يُبطلها أو يُلغيها. فلذلك، لن ندخل على ربنا إلا من باب نبينا، ولن ندخل على نبينا إلا من باب السيدة فاطمة وسيدنا علي وسيدنا الحسن وسيدنا الحسين وهؤلاء أسيادنا آل بيت النبي خاصة أصحاب الكساء.

ثم لا ندخل على هؤلاء السادة إلا من باب الصالحين، محال لإنسان شيعي سني كن ما تكون، تكره الشيخ عبد القادر الجيلاني، والله لا تدخل لا على جعفر الصادق ولا على الباقر ولا على أحد منهم، والله أنا أقولها وأنا حسني حسيني والله على ما أقول شهيد، أقولها للجميع دون خوف ولا شيء. والله ما دام يدعي التشيع أو يدعي ما يريد ويقول أنا مع الإمام جعفر الصادق، ولا يُقرّ بفضل سيدي عبد القادر الجيلاني قطب وقته وقطب زمانه الغوث الصمداني، أو سيدي أحمد الرفاعي هذا الغوث العظيم، أو أسيادنا أولياء الله، والله لا يدخل لا على الإمام جعفر ولا على الرضا ولا على أحد منهم. وإن كان يكره التصوف السني النقي والله لا يفقه شيئاً، لأنه محال أن يدخل على هؤلاء دون أولئك من أبنائهم وذرياتهم وأقطاب وقتهم وكل زمان حتى نأتي إلى زمن الحجة المهدي عليه السلام الذي هو باب أيضاً باب عظيم وله أسرار أخرى وله مقامات أخرى ليس هذا أو أنها. هذا أقوله براءة لضميري، وأنا أكلم المسلمين كافة، وأكلمهم بنظر محب ودون أي عقدة ودون أي شيء، نحن لا نتطرف ولا نتعصب ولا نتكلم حمية. ولكن هؤلاء الأولياء الصالحين تاج فوق رأس كل محب حقيقي، من أراد أن يدخل على الله سبحانه وتعالى وعلى رسوله وعلى آل بيته الكرام، عليه بأولياء الله الصالحين.

من أراد الدخول على أولياء الله الصالحين عليه بانكسار القلب أول شيء، لا يدخل بينهم من في نفسه عُجب، من في قلبه حقد أو حسد، محال، لا يدخل عليهم جاهل واهم متوهم مخبول، لا يمكن. ولو جاءك شيخ وادّعى لك ما ادّعى وقال لك: أنا غوث الزمان وأنا القطب الصمداني وأنا الغوث الأوحده

الفرداني وأنا جمع الله لي الأول والآخر وأنا الولي الختم.. يقول عن نفسه ما يريد، العلم سيكذبه، النور سيكذبه، الأمور التي نتكلم بها الآن تُخرج أمثال هؤلاء، إذا كان عندكم أنوار أسمعونا الأنوار.

تعالوا ومعي ولنمضي إلى الفلوجة، وأنا البارحة ذكرت اسم الفلوجة يُستعمل في مسلسل للفسوق وللغجور، لكن مدينة الفلوجة العظيمة في العراق الحبيب، تعالوا واجلسوا في مجلس السيد أبو صالح الألوسي، والله ما شهدت تجلياً للسيدة الزهراء وآل البيت كما شهدته عندهم، أبداً في حياتي كلها، انظروا واشهدوا وذوقوا من تلك الخمرة، ثم قولوا إن كان هذا حقاً أم باطلاً. هذه أنوار حقيقية أورثت معارف من صدر عارف، قصائد ومواجيد وأحوال. أما آخر يقول لك: "والله رأيت النور في يومين" ثم لا وجدنا عندك علم ولا وجدنا عندك أسرار، هذا يحتاج للمراجعة، ليس تشكيك شخصاني، ليست حملة هذا ضد هذا، أبداً والله، أنا أتمنى أن تكون كل أمة رسول الله على خير وعلى صلاح، بل كل الإنسانية أن يهديها الله وأن يأخذها إلى الجنة جميعاً، ولكن من باب ترشيد، من باب نصح، من باب محبة وأخوة، أنه لا تأخذك الأوهام.

ادخل على الصالحين بإنكسار القلب، بعقل متأمل متدبر حقيقي، بجسم فيه ما فيه مما يستطيعه، إذا كان الله قد منحك الصحة فهذا أمر رائع جداً، إذا كان قد أنقص منها فاجعل صحة الروح تعوّض ذلك. ادخل على الصالحين بإنكسار القلب. عندما نقرأ لسيد عبد السلام الأسمر قصائده، كم توّسل بالأولياء، ينادي سيدي عبد الحميد، "يا بن عروس شكيتك بأحوالي \* عاري عليك راني قليل الوالي"، "سيدي بوراوي فحالي ما ينساني، يا سيدي منصور ما تنساني"، وغيرها من القصائد الكثيرة "يا ساداتي رشدوني يا أهل الكؤوس النقية"، وكيف ينادي على الأقطاب وكيف ينكسر، وهو القطب، قطب، قطب وقته، غوث زمانه! فإذا كان أحد منسوب إليه اليوم وتقول له: توّسل بالصالحين، ويقول لك "أنا جدّي الشيخ"، قل له: جدك كان يتوّسل.

فلذلك، هذا مذهب آل البيت وإن كنت أقول مذهب آل البيت هم عموم المسلمين جميعاً، ولكن أنت تقول: أنا أنتمي إلى الإمام جعفر، أين أخلاق جعفر الصادق؟ أين هذا الحس العظيم بالمسؤولية وبرحابة الصدر وبالمحبة؟ أين ذلك من اللعن والشتم والدخول على مجتمعات لها منهج معين ومحاولة تقويضها وتغييرها؟! هذا لا يرضيهم، هذا لا يرضي أحداً منهم. وكذلك إن كنت صوفياً فأولياء الله كلهم أسيادك، لماذا تميل على هذا؟ نعم هذا شيخك المباشر ولكن لديك أعمامك، عليك أن تبرّ بأعمامك أيضاً وأن تحب جميع الصالحين.

هذه مؤانسات، كما قلت: إنكسار القلب، إنكسار النفس، المذلّة في الله المحبة في الله، أن تخفض جناحك، وأن تكون محبباً وأن تكون منيباً، أن تعترف بالتقصير، أن تعترف بذنبك بينك وبين نفسك، وأن تكون بين أيديهم، والله يرقونك وتنال من عندهم بأمر الله وبفضل الله وكله من عند الله. في النهاية الخضر عليهم السلام عندما قال ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ وقال ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾ وقال ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ غير الإرادة، مرة نسبها لنفسه، مرة نسبها لمجمع ودائرة، ومرة نسبها إلى الله، ولكن في النهاية أتى بالدائرة الختامية وقال ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ أي أنّ الأمر كله من عند الله.

فنحن عندما نتكلم عن أحبابنا أهل الله لا نشرك بالله. مَنْ علّم الصالحين ليكونوا صالحين؟ الله سبحانه وتعالى. لماذا نحب الصالحين؟ لأنهم من عند الله، لأنّ الله أحبهم، لأنهم أبواب الله سبحانه وتعالى. فهذا كله متصل بعضه ببعض، موصول بعضه ببعض، نحن نحب الصالحين لأنّ الله سبحانه وتعالى أحبهم، نحب آل البيت لأنّ النبي أمرنا بحبهم، ونحب أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام ونحب الأنبياء جميعاً. ولكن نقرأ في كتاب التاريخ ونفهم الإشارات والعبارات والمعاني، أنا مرة أعبر ومرة أشير واللبيب من الإشارة يفهم، لا أريد أن أطيل في ذلك أو أدخل في أي إشكاليات أخرى.

### خاتمة

رمضان مبارك كريم عليكم جميعاً، أسعدكم الله، آنسكم الله أيديكم الله، فرّج عنا وعنكم الله، حفظنا وحفظكم الله، حفظ الله أوطاننا وبلداننا. والله ما مقامي هذا الآن وجلوسي في هذا الليل في هذه الساعة إلا طلباً للعون والمدد ونظرات الصالحين، بعد هذه الزلازل والأرض تتحرك الآن، والله ثمة بلاءات نازلة قوية جداً هكذا القلب يرى، ثمة همّة متأمرون على الإنسانية ثمة حرب عالمية تغلي الآن وتظهر بقوة كبيرة جداً، إن شاء الله نعطي تأمل استراتيجي ونبيّن بعض الأوجه، ثمة أمور كبرى تحدث من حولنا.

وما يزيد ألماً وما يزيد وجعاً: الأعمال الدرامية التي فيها فسوق كثير في رمضان، ثمة أعمال جيدة ممتازة هذا لا شك فيه، ولكن ثمة أعمال سافلة سفلى، مشاهد لا ترضي الله، وثمة ناس في رمضان يعاقرون ما عاقروا من شرور ومن خمور ومن فجور ومن زور، يستمطرون اللعنات، يأتون بالنقم، يريدون أن ينزعوا النعم. ونحن في مقامنا هذا ننوب عن غيرنا، نستمطر الرحمة أو نأتي بمزن الرحمة (المطر في القرآن ليس دائماً معناها معنى جيد)، نأتي لنفتح باب الرحمة ونعدل كفة الميزان. وواحدنا يغلب مليوناً منهم، مهما

أنفقوا من مال مهما صوّروا مهما فعلوا، لحظة واحدة يمسك فيها مسبحة واحد من المنسويين إلى الله من أحباب الله ويقول "نستغفر الله نستغفر الله نستغفر الله" ويطلب المدد، الله سبحانه وتعالى يُبطل عذاباً كان سينزل. أنا أقول لكم: كل رمضان يضايقون الحضرة مضايقة كبيرة، بمشاهد، كل مرة جرأة أكبر، كل مرة شهر الطهر يجعلونه شهراً للعهر، كل مرة أفسد وأفسق وأفجر وأسوأ. ولكن نحن بحمد الله واثقون من الله، متكلمون من فضل الله من فيض الله، إن شاء الله نحن بهذه البركة والمدد غالبون بعون الله، وإلى الرقي.

تحية إلى كل أبنائي وبناتي من أبناء المنارة وإلى كل أحبائنا في العالم كل من يتابعنا من جميع المدارس المختلفة جميعاً، إلى جميع أحبائنا، نحن معكم وإن شاء الله نستمر ونسأل الله عفوه ولطفه، ورعاكم الله. أتمّوا الصيام والقيام، أكثروا من الصلاة على سيد الأنام، استغفروا الله واسألوا لطفه، حتى لا تأتي البلاءات على حين غرة، ونحن ننسى كذاكرة السمكة، منذ يومين ما حدث في تركيا وما حدث في باكستان. اطلبوا العفو واللطف حتى نصل إلى ضفة الأمان، إلى ضفة ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ونحن سالمون غانمون، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الدرس بتاريخ: 2023-03-29





## نفحات رمضانية: القول الفصل في المنبت والأصل

كلام عن شجرة النور المحمدي وجذورها

### مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي تفرّد بكرمه وجلاله، وعظّمته وكَماله، وبكل خير من عنده سبحانه وتعالى من عظيم عطفه ومنّه وعطائه ونواله، الذي اشتاق المشتاقون وهام العاشقون في جميل جماله، وطمع الراغبون وسعى العارفون لنيل وصاله. وصلى الله على من عَظّم ربه ذاته الشريفة من ميمه إلى حائه إلى داله، الحبيب محمد جميل الجمال كامل الكمال الموشّى بالعطاء والنور المباح الزلال، المعظّم عظيم الجمال، سيدنا محمد وعلى آله خير آل، الصادقين مع الله في الحال والمقال، اللهم صلّ عليه وعلى والديه وعلى أصوله وفروعه كما يرضيه يا رب العالمين، وكما نبلغ به رضوانك ومرضاته ورضوانهم أجمعين، واكتبنا اللهم لهم من العاشقين، وألحقنا بحسبهم كما ألحقتنا بنسبهم.

أحبابنا الكرام يا أحباب رسول الله وعشاق رسول الله، والكلام إليكم دالٌّ منكم بكم عليكم، سلام الله عليكم في رمضانكم في شهر صيامكم وقيامكم، وأنتم بين يدي رب رحيم كريم جليل عظيم، يعطي على ما يريد لمن يريد، فالسلام عليكم من الودود الحميد ذي العرش المجيد. نحن في هذه الليالي المباركة نتلمس طرق النور، ونتلمس سبل المفازة والسرور، والطرق التي تؤدي بنا إلى الفلاح والحبور، نحن في هذا الشهر المبارك نتقرب زلفى إلى ربنا في شهر باركه وكرّمه وجعل فيه المآثر والعبر، فيه أيام الله وفيه

ليلة خير من ألف شهر، وفيه نفحات ورحمات وبركات، وفيه للذي يريد الزلفى أبواب زلفى، وفيه لمن يريد القربى مواضع للقرب والقربى، وفيه لكل قاصد خير أبواب لذلك الخير.

### رسول الله وسيلتنا إلى الله

ونحن في هذا الشهر نرى أن نتلمس طريق النور إلى الله الذى هو نور على نور بالتوسّل، لأنّ من حُرّم التوسل فقد حُرّم الخير الكثير. والتوسل إلى الله له باب واحد مفرد، منه تتعدد الأبواب وتتعدد الوسائل ﴿يَبْتَغُونَ إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾، هذا الباب العظيم القديم المتجدد الدائم الأزلي السرمدي الأبدي هو **الباب المحمدي** باب سيدنا رسول الله، باب لم ولن يغلق أبداً في وجوه العشاق في وجوه المؤمنين والصابرين والمنكسرة قلوبهم والذين عليهم من مذلة العشق والخضوع والخشوع، الذين أعينهم تفيض بالدموع، الذين تئنّ من أشواقهم الضلوع، الذين يرومون ذلك الرجوع وتلك الرجعى إلى رب العالمين فيُطيلون السجود والركوع.

هذا الباب المحمدي هذا الباب العظيم تلاعب المتلاعبون على أمة سيدنا محمد حتى تُحرم منه بظن إبليسي له من السفالة والسُفلية ما له، إذ زيفوا للناس وصوروا لهم أنّ التوسّل برسول الله شرك وأنّ العابد يبلغ أن يصل إلى معبوده بمحض ذاته، تألياً على الله واستكباراً وغروراً وقولاً زوراً، لأنهم لم يوقروا ما عظم الله ولم يدخلوا من حيث أمرهم الله ولم يسلكوا سبل الله التي فرضها الله من عنده، ولا هم مضوا إلى الصراط المستقيم الذي كُتب بإسم سيدنا محمد ولا دخلوا من الباب المفرد الأوحى باب سيدنا محمد. فإنّ إبليس الذي سبقهم بذلك وعلمهم ذلك ظن أنه بالغ من رضوان ربه وقربه ونيل عطائه وحبّه بعبادته دون وسيلة، فلما أن ارتقى في المراقي حتى صار من أصحاب الأجنحة امتحنه الله بباب ذلّ بباب توسّل وامتحن بذلك الملائكة فأمرهم بأن يسجدوا لمخلوق خلقه من طين. فأما الملائكة فسجدوا أجمعين، وأما إبليس اللعين فقد أبى ظاناً أنّ ناريته خير من طينة آدم، وهذا في **علم العناصر** حق، إذ أنّ الطين هو العنصر الأدنى في الخلق، أما النور فهو أعلى، وأما النار فهي دون ذلك ولكن بينها وبين الطين مسافات. ولكن ذلك الأعمى البصيرة لم يعلم أنّ ذلك الطين عندما يُشرف بنور من الله ونفخة من الروح العظمى، عندما يُشرف بذلك فإنه يكون أعلى وأعظم.

باب الوسيلة الذي رفضه إبليس، رفضه كل تعيس نال من نفس الأمر وشرب من ذات الخمر، خمرة سفلية تطغى على قلب صاحبها، ونفس فاسدة فاجرة مستكبرة، وقلب لم يجرب السجود، فلو سجد قلب إبليس لكان السجود عليه يسيراً، ولكن استكبر قلبه فكان سجوده عسيراً. وإن قابيل عندما عرف أنّ الله شرّف أخاه هابيل بسرّ الوراثة أبي واستكبر فقتله.

واليوم بعون الله ضمن ما أسمّيه "القول الفصل في المنبت والأصل" سأحدّثكم عن خبر آل بيت النبي ابتداراً من خلق الله للخلق إلى يوم مولده الشريف، ولعلي أضيف إلى ظهور الإمام الحجة القائم عليه السلام. وهذا الكلام قول فصل بعون الله، على دراية وعلى علم وعلى جلاء بصيرة، وهذا الكلام فيه ما يُغني من يريد أن يناقش في هذه المسألة. ولا يصدّ عن هذا الكلام بعد تبيان حجّته وجلاء برهانه وسطوع دليله إلا مريض قلب لم يرضَ بكثيرنا واغترّ بقليله، ولم يرضَ بصحيحنا واستكبر بعليّه، فذاك شأنه ويمضي إلى سبيله.

نحن بحمد الله متوسّلون متوسّمون الخير في وجه الخير، الذي ما أشرقت شمس على وجه أظهر ولا أبشر ولا أجمل منه، ولا جاء ليل على أظهر من قلبه وأقرب منه إلى ربه، ولا سطع ضوء نهار على أشرف وأعظم وأكرم منه صلى الله عليه وعلى آله. هذا الحبيب محمد وسيلتنا إلى ربنا، ذخرنّا عند ربنا، أنس قلوبنا ومرضاة محبوبنا ونوال مطلوبنا ومرغوبنا. سيدنا رسول الله نحن عندما نقف في هذا الباب متوسّلين به فلعظيم شأنه رغم حقارة شأننا، ولجلال قدره رغم وضاعة قدرنا، ولقربه وزلفاه من مولاه رغم ما يحول بيننا وبين مولانا من كثرة ذنوبنا وعثرات عيوبنا، ولكننا برسول الله بعون الله بالغون من رضوان ربنا جل في علاه ما به تطمئن نفوسنا وما به تُملأ بالخير كؤوسنا وما به نصل إلى الله في رضوان الله ونلتقي بالحبيب محمد في جنات الله ونخلد عند الله بعون الله في أنس الله، فذلك ظننا بالله وبرسول الله.

### بداية الخلق

بدايةً كان هذا الخلق عدماً، وكان الله ولم يكن شيئاً معه، الله سبحانه وتعالى نادى: أنا العظيم أنا الكريم، وشهد لذاته أنه لا إله إلا هو، وليس من أحد غيره سمعه. كان ولم يكن أحد معه، مجدّ ذاته العظيمة،

وكان على ما كان عليه وعلى ما يكون عليه بلا تبديل، رغم أنه في **علم الشأن**: كل يوم هو في شأن، فذلك شأنه في تجليّه وشأنه في أسمائه وصفاته وعظيم ذاته، وتلك أمور وأنوار وأسرار عظمى.

ثم كان الخلق الذي أَرادَهُ اللهُ، أَرادَ اللهُ سبحانه وتعالى **ليس لأمر ابتدره بل لأمر قدره**:

1. أن يجعل خلقاً يسبّحونه فيسمعهم، ويسألونه فيعطيههم، ويستغفرونه فيغفر لهم، وأراد سبحانه وتعالى أن يخلق خلقاً يعبدونه فلا يعصونه

2. وآخرون بين ذاك وذاك يعبدون وينسون يطيعون ويذنبون

3. ثم خلق لإظهار عظيم فضله على الذين يعبدون ولا يعصون، وسبل عفوه للذين يعصون ويذنبون ثم يطيعون، أَرادَ أن يبيّن ذلك بخلق خلق يعصون ولا يطيعون أبداً

فلما أن بدأ هذا الأمر، كان أوله أن يخلق مخلوقاً يحبه لذاته، يُفرده بقربه ويعطيه مفاتيح حبّه، ويسكب عليه من أنواره ويفيض عليه من أسراره، ويجعله باباً إلى جنته وحجاباً عن ناره، ويجعله القريب من خلف أستاره، يجعله محموداً من ربه حامداً لربه. وأراد سبحانه وتعالى أن يخلق تلك الروح الأقرب إليه والأدلّ عليه، والأقدر والأجدر بأن تكون في **مقام إثنين**، إذ **إذا ذكر الله ذكر ذلك المخلوق**. فيكون هذا الرب الأعظم قد خلق المخلوق الأعظم، ويسري نور بين أعظم من خَلق وأعظم من خُلِق فيكون مقاماً فردانياً صمدانياً رحمانياً ليس لمخلوق آخر أن يناله. ثم جعل كل خلقه (سواءً الذين يطيعون ولا يعصون أو الذين فيهم إمكانية الطاعة والعصيان) جميعاً مدعوّين إلى ذلك الباب. ثم جعل ذلك الباب له أبواباً، شمساً عظمى خلق لها شمساً لئيسعدها ويؤنسها.

فأراد الله أن يخلق مخلوقاً كل الخلق له خدم، وأراد أن يخلق مخلوقاً لولاه ما أخرج الدنيا من العدم، وأراد الله أن يخلق مخلوقاً ثابتاً لا تزلّ به القدم، وأراد أن يخلق مخلوقاً يشفع في الخلق عندما يكونون في يوم الندم، هذا سيدنا محمد. هذا النبي العظيم الكريم خلقه قبل الخلق بأن حمّده فكان أحمدته، **وجعل من نور أحديته في سرّ أحمديته**، وبين الأحدية والأحمدية أنوار وأسرار عظيمة وأنوار قديمة، فسيدنا أحمد في السماء هو الروح العظمى الأولى التي عليها مدار قصة الخلق كله.

وبعد ذلك جعل له الله سبحانه من نوره، وبين النورين (بين نور أعظم من خَلق ونور أعظم من خُلِق) تجلّت أنوار كان منها سيدنا عليّ وأمنا الزهراء فاطمة وسيدانا الكريمان الحسنان الإمامان الحسن والحسين، وكان من ذلك السيدة آمنة والسيد عبدالله والسيدة خديجة وذرية النبي، وكان من ذلك أصول

النبي وفروعه ما مرّت به من أنبياء ومن أوصياء ومن أولياء ومن أقطاب، وكان من ذلك الأئمة والحجة القائم وأبدال الصالحين أجمعين، وكان حول ذلك حرس من نور الله أسياد الملائكة جبرائيل وإخوانه، وكان من ذلك الخضر وأعوانه، وذو القرنين وسلطانة، وكان من وراء ذلك ما وراء ذلك من نور الله وسرّه وعطفه، وأجناد الديوان وروحانه، فكذا بدأت قصة الخلق.

ثم خلق الله سبحانه وتعالى خلقاً كثيرين في هذا العالم الفاني **وكانوا جميعاً يبشرون وينتظرون الموعد سيد الوجود** الذي لولاه ما خرجت الدنيا للوجود. كانوا جميعاً ينتظرون الخليفة الذي سيكرم بأن يكون جدّ ذلك العظيم، وكانت تلك الحضارات تُبشّر بقدومه، وكان في ذلك الزمان قبل هذا الزمان كان أنبياء وكان رسل وكان أصفياء وكان أتقياء وكانت حضارات وكانت أمم في كواكب شتى أنشأ الله فيها الخليفة على ما أراد، ثم كتب عليها أن ينتشر الفساد، لأنّ هذه السماء المغلقة بالسواد فناء وعدم وموت وإفساد وظلم وبغي وطغيان، فسلب الله عليهم من عذابه. حتى إذا دنا الزمان أخرج يأجوج ومأجوج يفسدون في الأرض، وأرسل ذي القرنين الذي كان حاكماً لهذا العالم بأكمله، وجعل له من خلق النار الذين خلقهم على مراحل خلق جائهم ثم جتّهم وخلق الجتّة أجمعين ممن كان من كائناتهم. وبعد ذلك كان من تدبير الله أن يولد الشيطان الأخير بعد شياطين سابقين له، وهذا الشيطان الأخير لم يكن يعلم أنه شيطان، كان من والدين صالحين ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ﴾، كما خرج قابيل من لدن صالحين آدم وحواء. وُلد هذا الآمون من صالحين من صالح الجن الأزرق، وارتقى حتى صار أمر لواء ذي القرنين ووزيره المباشر، وكانت تلك القصة وشهد المشاهد وأبديت الحياة كلها، وحُفظ يأجوج ومأجوج في كوكب خاص، وكان الإنطماس، وكان من شأن ذلك ما جرى للكائنات الأرضية والكونية، ثم بقي الجن والجان في موضعهم في ذلك البعد الموازي، وبقيت بعض الكائنات كدابة الأرض مخفية، وأخفي وجمّد بعض ما أراد الله أن يبقى حياً، وصار الكوكب الأرضي الذي عُرف بوجود البيت الحرام فيه أنه \*كوكب الاستخلاف الأخير\* كان في حالة تجميد بعد سجر بحره وبعد قتل وإبادة الكائنات التي كانت عليه إلا قليلاً مما حُفظ.

ثم عرف ذلك الكائن الناري أنّ زمن الخليفة الأخير قد حلّ وأنّ عهده قد أطلّ، وأنه سيكون من ذريته السيد الأجلّ العظيم الأكرم أحمد السماوات والأرض الذي هو سيد الكائنات كلها، والذي سيكون معه ذلك اللطيف من العالين من الطيبين من المُكرمين من الأنبياء والمرسلين ممن سيكونون مفاتيح النهاية على مقربة من يوم القيامة. فكان إبقاء كوكب الأرض عند أولئك الخلق علامة دالة على قيامة الساعة

الأخيرة "القيامة الكبرى"، وكل ما ذكرنا مما أُبديت به الكائنات قبل ذلك في شتى الكواكب إنما كانت قيامات صغرى قامت بأمر الله وقامت عليهم ساعتهم فأبيدوا.

### خلق آدم وفتنة إبليس

عندما رُفِع ورُقِّي هذا المخلوق إلى مرتبة عالية ومضى إلى السماء الخامسة، كُتِّي عزازيل، حُوّل من ناري إلى ناري نوراني، صُبغ بالنور اصطباعاً، صار من أصحاب الأجنحة والقوى والقدرات والمعارف والعلوم، له قصر عظيم، وله ما له من كنوز وله ما له مما به كل من قُرب يفوز، دخل في مقام "يجوز ولا يجوز" الذي دخل فيه هؤلاء الذين ورثوا عليه فقهه وورثوا عليه توحيده الإِبليسي، لأنه كان موحداً ولكن على منهج خاص.

المهم، عندما عرف أنه قد رُفِع، استيقن في ظنه وظن نفسه، وهو كان في خفية سرّه يتصل بروح سفلية في عالم سجين يظنه إلهاً ثانياً، كان فاسد العقيدة كان فيه فساد عقيدة، ليس "إلهاً" من باب أنه كالله سبحانه وتعالى ولكن من باب أنّ له قدرة وأنّ له تحكماً في المصائر، وكان يخاطبه قبل أن يرتقي بأنه سوف يرقّيه، وكان الله يبتليه لذلك قال ﴿رَبِّ بِمَا أَعْوَيْتَنِي﴾، كان الله يبتليه سبحانه وتعالى، لأنّ الروح الإِبليسية صادرة من ذلك العالم السفلي، محال أن تكون روح جنوية. هذا المخلوق البائس اليأس عندما استيقن أنه سيكون هو الخليفة الأخير صار يتبختر بين الملائكة.

وفجأة مضت فيالق ملائكية مسرعةً إلى الكوكب الأخير وجلبت منه شيئاً من طينه من أنواع من الطين مختلفة وعُجنت بأمر القدرة الإلهية، وسوّاه الله سبحانه وتعالى من صلصال من حمأ مسنون شكل رجل. ثم قال للملائكة وكان إبليس من ضمنهم: هذا المخلوق هو خليفتي الأخير، وهذا هو الذي ستكون له من ذريته أسياد الخلق وسيد الخلق أجمعين. جُنّ جنون هذا الكائن الناري الوضيع الذي كان يحمل في قلبه حقداً وفي نفسه غروراً واستكباراً واعتراضاً، وكان يريد أن يكون ربه على هواه ولم يرد أن يكون على مراد الله كما يريد الله.

جُنّ جنونه، سعى بين الملائكة ينشر الفتنة: لم يخلق الله من طين فيه شقاوة وفيه شر وفيه ما يمكن أن يسفك الدماء وأن يُفسد في الأرض؟! فنطقت الملائكة بذلك دون أن تدري مرام إبليس من ورائه، وعندما نطقت بذلك أظهر الله لهم بعظيم برهانه أنه علّم آدم علوماً لم يعرفوها في أسماء "هؤلاء". و "هؤلاء"

هم الماكثون الذين سيكونون من ذريته، فعرفت الملائكة أسماءهم الفردانية، وعرف آدم أسماءهم الأسرية التي فيها الأب والابن والأم وهكذا تسلسلاً إليه (إلى آدم بنفسه). وهكذا جعل الله هذه الذرية كلها بعاليها بمتوسطها بمن كانوا في منزلة الأشقياء وفي لوح الأشقياء (كفرعون ومن كان في ليفه)، جعلهم من حيث أزمنة ظهورهم و﴿أَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾. وكان هذا المشهد الملائكي، وجرّ جنون الشيطان حينها ونطق بما في قلبه وقال: أنا لا أسجد، ما كنت لأسجد لما خلقت طيناً، وأنا من نار، ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾، انكشف ما في قلبه.

وهنا يتمّ القدر الإلهي ﴿اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ وتوجد هذه القاعدة الإلهية والقانون الرباني: "بعضكم لبعض عدو"، لا بدّ من نور وظلام. وجعل هذه العداوة بين المخلوقين: المخلوق الطيبي والناري السفلي الذي صار دخانياً، وجعل بعضاً من النارين مع ذلك الناري صاروا مرّدة، وجعل له نسلًا من الأبالسة والشياطين، وجعل كذلك من حكمته ومن مرار الحكمة هنا جعل نصيباً كبيراً من ذرية الطيبي جعلهم تابعين لذلك الشيطان. عندما اطلع ورآهم من حيث قدموا عليهم السواد قال ﴿لَأَخْتَبِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾، قال ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ كان يعين هنا، كان يكلم الله في مشهد خُلق للتو سيدنا آدم ولم تُخلق السيدة حواء بعد، كيف عرف؟ لأنه كان يُعابنهم مشاهدة مباشرةً فعرف، وعرف أنّ هؤلاء أنه سيكون فيهم الكثير من الأشرار وأنه سيأتيهم من أيّمانهم إلى غير ذلك.. فأعطاه الله المجال، قال: هذه نظرة تعيش فيها وتبقى فيها إلى النهاية، طلب أن يبقى إلى يوم البعث، قال له ربه: لا، ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾: إلى يوم ظهور الذي سوف ينتقم منك ويُزيلك من الوجود وينتقم من كل ظالم، في قيامة صغرى. إذن وقتّ لزمان المهدي عليه السلام من تلك المرحلة، لأنه ذلك اليوم يوم الوقت المعلوم هو يوم الظهور والاكتمال المهدي.

### بداية السرّ الأحمدى مع آدم

وهذه الروح العظمى التي نفخ منها الله إلى آدم هي الروح المحمدية. الله لا يتبعّض، عندما يقول ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ مثلاً، لا يعني أنها روحه كما أقول أنا "روحي \* التي في جسدي"، إنما هي منزلة ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ أو ﴿نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾، هذا كله من معاني القرب والنجوى. فالله لا يتبعّض، ليس الله سبحانه وتعالى نفخ من روحه بمعنى كأنّ إنساناً ينفخ على النار، إنما: الروح الآدمية محمدية،

قال الحبيب محمد "كنت نبياً وآدم منجدلٌ بين الماء والطين"، والطينة المحمدية آدمية. فمزج هذا بذلك: جعل الروح الآدمية أحمدية، وجعل الطينة المحمدية آدمية.

هنا بدأت مرحلة جديدة، الله سبحانه وتعالى جعل هذا السر وراثته في آدم. عندما ﴿عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾، وعندما -بعد أن تعلّم الأسماء- نزل إلى هذه الأرض مكث أربعين عاماً، حواء في أفريقيا وهو في بلاد آسيا في بلاد التبت بلاد "تُبتُ إلى الله"، وهنا تلقى الكلمات. ما هي الكلمات؟ كان قد شاهدها في اللوح، كان قد شاهدها في مجلى من مجالي العرش: أسماء سيدنا محمد وآل بيته الكرام. هذه الكوكبة هي أبواب الوسائل، هم الوسائل الربانية العظمى، قسم من الاسم الأعظم يتعلق بهم.

- الاسم الأعظم: اسم الله في ذاته واسم الوسائل التي تفعل ذلك الاسم والتي تقرب إلى صاحب الاسم سبحانه وتعالى.

إذن عندما اطلع سيدنا آدم ورأى الرؤيا في المنام رؤيا خضرية وأرى هذا الباب، قيل له: هذا بابك للزلفى للرجعى، كي تلتقي زوجتك وكي تنال البركات وكي تنال العفو، هذه الكلمات تلقاها عن ربه، تلقاها وحيّاً في رؤيا. وعندما رآها: محمد علي فاطمة الحسن الحسين زينب وهذه الدائرة آمنة عبدالله خديجة وآباء النبي، توّسل بهم. عندما توّسل بهم غفر الله له وقال: **لولا هؤلاء لما خلقتك يا آدم**، وهنا بدأ السر.

عندما عرف هابيل وقابيل أنّ هنالك سر استخلاف ليولد العظيم المعظم، كان متّصلاً بامرأة (ابنة آدم)، وعلى اختيار تلك الفتاة سيكون زوجها صاحب السر. فأراد قابيل أن يكون هو ولكن الله حرّمه من ذلك (وكانت روحه ظلماوية) وأعطى ذلك إلى القاتيل هابيل. حملت امرأته وقُتِل، أنجب، ثم بعده جاء شيث، وبدأت السلالة وبدأ السر يمضي والكل يتكلم عنه. **لم يكن نبي ولا آدم نفسه لم يتكلم عن كائنين اثنين أساسيين: "المحمّد والمحمّدي".** سيدنا محمد ﷺ مع دائرة السياف الأعظم سيدنا عليّ ودائرة سيدة نساء العالمين السيدة فاطمة، وأيضاً المحمّدي الذي يأخذ بحقهم قائمهم المهدي عليه السلام الذي سينال الاستخلاف الأعظم. استخلاف سيدنا آدم هو جزء من الاستخلاف المهدي الكامل الذي سيكون على الملكوت لأنه تمثيل لسيد الخلق. هذان ذُكرا، طبعاً حُدّر من فتنة الدجال، تمّ الكلام عن سيدنا عيسى والذي سيرجع في آخر الزمان وعن أمه، وكل نبي عندما يقترب زمن النبي بعده أيضاً يبشّر به، حدّث نوح عن سيدنا إبراهيم كيف يُلقى في النار، وحدّث سيدنا إبراهيم عن سيدنا محمد وعن سيدنا عيسى.

## إظهار الأنبياء وإخفاء السرّ في الأوصياء

طيب، تمضي هذه السلالات، هذه السلالة المطهّرة المذكورة في القرآن، وتجدون آيات الإصطفاء ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾، وتجدون هذه الإصطفاءات وهذه الشجرة مبينة في القرآن الكريم. ولكن كانت ثمة لعبة، لا أقول لعبة إلهية إنما أقول ربما أنّ الله سبحانه وتعالى مكر مكرًا، هذا المكر الإلهي أنّ الله يُخفي ويُبدي، كان ثمة مكر إلهي عظيم في إخفاء نصف الشجرة وإبقاء وإظهار النصف الثاني. كيف يتم ذلك؟ عندما يولد سيدنا إبراهيم وعندما يكفر عمه آزر الذي لم يرث السر، ولكن والده كان مؤمنًا كان عظيمًا كان وصيًا من الأوصياء الكبار لذلك في آخر حياته يقول ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ وقد نُهي عن الاستغفار لأبيه آزر أي عمّه. المهم عندما يولد سيدنا إبراهيم ويظهر، يكون الوارث لسرّه علامته الذبح (علامته أن يؤمر بذبحه)، وعندما جاء الأمر بذبح سيدنا إسماعيل عُلم حينها أنّ النبي الأعظم سيكون من ذرية هذا الذبح، والآخر سيدنا إسحاق سيكون من سلالته أنبياء كثر إلى أن يأتي السيد المسيح عليه السلام.

بين هذين البحرين العظيمين تمّ إظهار وإخفاء. تمّ إظهار الشجرة الإسحاقية اليعقوبية اليوسفية التي منها سيدنا موسى ومنها آل عمران ومنها سيدنا داوود وسليمان ومنها كل أنبياء بني إسرائيل والسيد المسيح وإشعيا وداانيال وهؤلاء السادة الكرام. والشجرة الثانية أُخفيت، الشجرة الإسماعيلية، لأنّ بني إسرائيل وقد عرفوا بوجود النبي الخاتم وأنه يوجد في أرض نخل، وأنّ هذا النبي الأعظم -الذي عليه مدار القصة كلها، مدار الوجود الآدمي، مدار الدنيا كلها، بل مدار الوجود- سوف يولد، فطمعوا أن يكون منهم، فلما عرفوا أنه يوجد في أرض نخل أتوا ليغيّروا قدر الله. فسكنوا أرض نخل، سكنوا طيبة قبل مئات الأعوام من قدوم الحبيب محمد عندما رأوا العلامات (ثلاثمائة سنة ونيف)، سكنوا هنالك وجاء قبلهم غيرهم. وبقوا ينتظرون أن يولد منهم بعلامات مبينة محدّدة في ليلة الميلاد، علامات فيها ما يشابه ما ظهر من كواكب وما ظهر من سطوع وما ظهر من شهب وما ظهر من نجم وضّاء محدد (هو ليس بنجم في الحقيقة)، يظهر نور معيّن في السماء وتتوالى الشهب، ظهر عند ولادة السيد المسيح وسيظهر أعظم منه عند ولادة السيد الأعظم، والسيد المسيح قال ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ ولكن لم يبيّن.

توارث بنو إسماعيل سرًّا إلى عدنان إلى الآباء، توارثوا سرًّا أنّ النبي الأعظم منهم، وأنّ علامة ظهوره أساساً علامتان:

1. أن والده سيكون كإسماعيل ذبيحاً، أي سيُراد ذبحه وينجو
2. وأنه يولد في عام يأتي فيه فيل له علامات: مكسور الناب، أعور العين، أشرم الخرطوم، وعليه قتره وغبرة، يركبه رجل أسود اللون، يروم تهديم الكعبة في ذلك العام.

هذه العلامات تناقلوها، وثمة علامات في الوجوه ثمة أنوار معيّنة كانت تتوارث سرّاً بينهم، خوفاً من الحسد الذي سيكون من بني إسرائيل لو عرفوا.

إذن الله سبحانه وتعالى أظهر أنبياء بني إسرائيل، خلفاء سيدنا إسحاق عن سيدنا إبراهيم، خلفاء يعقوب ويوسف والأسباط، وأخفى الأوصياء الذين تواصلوا بالسرّ وتواصلوا بشأن سيد الخلق، وهؤلاء تمّ إخفاؤهم بأمر الله وعناية الله حتى لا يتمّ استهدافهم. وتمّ هذا الاستخلاف وهذا الأمر بأمر الله سبحانه وتعالى، خلفه رؤى وخلفه أسرار وخلفه أحوال وخلفه أذواق وخلفه أنوار. وكان العارفون من أهل المسيح كانوا يعرفون أسراراً كثيرة، لذلك سيدنا سلمان الفارسي أخذ السرّ عن واحد عن واحد عن السيد المسيح، عن علم حقيقي، وقال له: اذهب إلى أرض نخل وتجد عليه خاتم النبوة وعلامات، فعرف النبي وهام في عشق النبي وباع نفسه حتى صار عبداً وحزّره رسول الله، وهام حتى صار سلمان المحمدي حتى مُنح ذلك اللقب ذلك الوسام "سلمان منا آل البيت".

### الأوصياء على مرتبة الأنبياء

هذا التناقل لهذا السرّ مضى، فكانوا على مرتبة أنبياء بني إسرائيل، لأنّ هذا ابن نبي وهذا ابن نبي، يعني ابن سيدنا إسماعيل لا يقلّ عن ابن سيدنا إسحاق، لا يقلّ الابن المباشر لسيدنا إسماعيل عن سيدنا يعقوب. القرآن أبان عن قصص بني إسرائيل وأنبيائهم لأنّ التحديّ والمعركة الختامية التي تنتهي بالمهدي إنما هي في بني إسرائيل، لأنّ البلاء سيكون في هؤلاء بعد أن ابتلى أمماً أخرى، ولكن الملحمة الأخيرة ستكون مع بني إسرائيل، هم الذين سيعادون هذا النبي الخاتم، سيقتلون أنبياء الله، سينجون من فرعون وهم أسوأ منه، وسيظهر الله منهم أموراً عجيبة، وهم الذين سيكونون على كتاب من الله ﴿لَتُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾، وبتليهم في الأولى ببختنصر البابلي، وفي الثانية بقائم آل محمد ﴿لِيَتَّبِعُوا مَا عُلُوًّا تَثِيرًا﴾ بعد أن يكون لهم لفيف أكثر ونفير أكبر ومال وبنين، وبعد أن تكون لهم غرورات وأسلحة

وغيرها مما نراه في هذا الزمان الذي نحن فيه والذي نعائنه ونشاهده. هؤلاء مكثوا يراقبون وأتوا وسكنوا في المدينة وسكن قليل منهم في أرض مكة.

مع ظهور سيدنا هاشم الذي هشم الخبز لأهل مكة، ظهرت علامات عليه لم تظهر على عبد شمس، هنا كانت المباهلة. غضب عبد شمس عندما استشار كاهناً قال: إنَّ السرَّ ليس فيك بل في هاشم. عندما رأى ذلك امتلاً قلبه حقداً وتباهل مع هاشم، وعندما تباهل كان شيخ الأحباش هو الذي أشرف على ذلك وكانت العقوبة للخاسر: يذبح مائة من الإبل سود الحدق ويُنفى عشرة أعوام إلى الشام، ونُفي عبد شمس. وهنا بدأ الحقد الذي ظهر مع أمية، ظهر مع أبي سفيان مع هند مع معاوية وظهر مع يزيد، وما زال يزيد حتى يخرج المهدي بأمر ربه المجيد. وعندما كان الأمر كذلك، ظهر أيضاً لفيف من الذين يحملون الحقد مع هؤلاء والذين كانوا يوالونهم والذين كانوا معهم. ولذلك بهذه اللحظة الفارقة من هاشم، بدأ الأمر يُجلى في أي أسرة، لذلك في حديث المصطفى "إن الله عز وجل اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم"، لذلك لما نقول "شموس بنو هاشم" لأنَّ هاشم الخير هو قطب تلك المرحلة.

طبعاً كلهم أقطاب، الأوصياء لهم منازل الأنبياء بلا ريب ولا شك، لم يؤتوا نبوة لأنَّ النبي الخاتم منهم، ولكنهم كانوا أوصياء رب العالمين، كانوا أوصياء على سر سيدنا محمد. إذن كيف يكون الذين لم يحملوا سر النبي عليه الصلاة والسلام - وهم أنبياء الشجرة الإسحاقية اليعقوبية - أعظم شأناً من الذين حملوا السر من إبراهيم إلى إسماعيل إلى رسول الله؟! غير ممكن. الخط الموصل للتيار المحمدي هو خط عالي جداً، والخط الموصل للتيار العيساوي التيار المريمي تيار آل عمران أيضاً خط عظيم جداً جداً، ولكن الله أظهرهم بالنبوة والآخرين أخفاهم بالوصاية بأمره وحكمته، فلا ينقص هذا عن ذلك. لذلك، هذه الشجرة المحمدية هي الشجرة الأعظم، هي الشجرة المباشرة ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾، ما زال يتقلب في الأصلاب الطاهرة والأرحام الطاهرة خياراً من خيار، يتخيَّر الله الخلق واحداً بعد واحد ليكونوا آباء سيدنا محمد. إذن عندما نقول: لهم مقامات الأنبياء، هو "علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل" عندما تكلم عن أولياء الله في أمته قال كأنبياء بني إسرائيل، لأنهم وارثون للأمر والسر والنور. فسيدنا عليّ سيد الخلق بعد سيد الخلق "أنت مني بمنزلة هارون من موسى"، وسادة الجنة هم سيدنا محمد وعلي والحسن والحسين وحزمة والمهدي وأبو طالب وعبدالله، هذا بيان محمدي. فهذا الأمر يجب أن نعرفه، هؤلاء

الأوصياء لم يكن فيهم كافر، لذلك سيدنا عليّ يقول أنه لا جدّه هاشم ولا عبد المطلب ولا والده عبدوا صنماً، إنما كانوا على الحنيفية الإبراهيمية يتوارثونها فيما بينهم.

### اقتراب الأجل مع هاشم

مع سيدنا هاشم بدأ الإنقسام وظهر قابيل تلك الشجرة ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، ظهر الظالمون الذين سيقومون بالذبح -والله سبحانه وتعالى عندما افتدى إسماعيل بالكبش فالكبش رمز، الذبح العظيم الحقيقي هو الحسين ابن عليّ، لذلك قالت السيدة زينب في ذلك المقام الجليل "اللهم تقبّل منا هذا الذبح العظيم" - يذبح بعض ذريته بعض ذريته. مع هذه الذرية التي انقسمت يظهر الظلام القابيلي، ظلام قابيل القاتل الأول يظهر في عبد شمس، يظهر الحسد، ويظهر الشر الذي في بني إسرائيل أيضاً فيه، وهي لعنة متوارثة ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾، ومن أمية ينبع هذا، ولا يخرج من أمية من الذين ينجون من هذه اللعنة إلا قليل من بينهم سيدنا عمر بن عبد العزيز. المهم أنّ هذا هو الذي كان.

مع سيدنا هاشم تبدأ العلامات تترا والآيات تترا والرؤى تكثر، ويُخبر ابنه عبد المطلب باقتراب الوقت، يقول له "يا بني اقترب الأجل". طبعاً هنا تبدأ الأيام والأزمنة ترفض هذه المسائل، ويبدأ أحبار اليهود وكذلك النصرارى وكذلك حتى العارفون في غير الأديان يرون الآيات على قرب ظهور هذا النبي المنتظر. في لحظة فارقة يرى عبد المطلب الرؤيا التي تعيد بئر زمزم بعد اختفائه، ظهور زمزم أيضاً يعني ظهور صاحب زمزم، عندما رأى هذه الرؤيا طلب أن يُعينوه فلم يُعنه أحد، لحسدهم له، ولعلمهم أنّ إظهار عبد المطلب لهذا البئر إنما دلالة على أنه سيحظى بهذا الشرف وأنه سيكون الذي بيده مفاتيح سرّ هذا الأمر القادم، هذه الوصاية العظيمة التي أعطاهم الله لها وأعطاهم إيهاهم في نفحة سرّه، فهم موهوبون للنفحة وموهوبون في النفحة بالنفحة.

### أعظم والدين لأعظم مخلوق

هؤلاء السادة الكرام، سيدنا عبد المطلب أقسم أن ينجب أولاداً وأنه يذبح العاشر منهم ليحفر ذلك البئر، ويأتي هذا الموعود وهو "عبدالله"، سمّاه عبداً لله لأنّ الله أفرده بسرّ من أسراره ونور من أنواره، بل أفرده

بأعظم سرّ وأعظم نور أن جعل في صلبه الطهور سيد الخلق أجمعين نوراً على نور. هذا الوصي العظيم صاحب المقام العظيم اصطفى له من النساء صاحبة الإسعاد القديم، السعادة الأزلية الأبدية التي كانت في عالم الأرواح وتجلّت في عالم الأشباح، فسماها "آمنة" لأنها آمنة عند ربها، ضامنة مضمونة، فهي ضامنة في الخلق. إذا كان زوجات النبي أمهات للمؤمنين، فكيف تكون أم رسول الله؟ هذه الأم أمّ للأمة وأمّ للإنسانية وأمّ للخلق لأنها أم سيد الخلق. و "مقام الوالدة من مقام مولودها" و "مقام الوالد من مقام مولوده"، فإذا كان رسول الله خير فأمه خير، أعظم من مريم العذراء وأعظم من كل أم، لأنها أم من لكل الخلق يؤمّ، فهي أعظم أم وأكرم أم وأشرف أم. وكذا أبوه، إذا كان والداً لسيد الخلق فهو من أسياد الخلق، هو أعظم الآباء، إلا أنّ ولده منه أعظم، الأب الأعظم سيدنا محمد. ولكن هذه الأم العظمى السيدة آمنة لا يخلق الله ولم يخلق الله ولن يخلق الله أعظم منها أمومة، لعظيم ما استودع فيها.

يجمع الله النورين، ويظهر على سيدنا عبدالله أحوال وأسرار وأنوار وآنها بعض الكهنة ورأتها امرأة وطلبت الزواج منه، وهذا النور الذي فيه يسري في زهرة قريش التي كانت الأجمل والأطهر والأعفّ، وكانت عليها مهابة وأنوار وأسرار وجمال ونُصرة من عند الله، حورية من حوريات الله، وكانت السيدة فاطمة من أشبه خلق الله بها. هذه السيدة آمنة يزوّجها الله جل في علاه زواج النور بالنور بكتاب من عند الله، بمرايٍ أتت وبأسرار عظيمة، تتزوج من سيدنا عبدالله وهذا السر ينتقل من الصلب المطهر لسيدنا عبدالله. لا نتكلم عن الذات المحمدية الروحية، نتكلم عن الصلب الطيني، البعض يظن أنّ ذات سيدنا محمد تناقلها الآباء، إنما تناقلوا صلبه، تناقلوا سرّه ونطفته التي يكون منها جسمه الشريف، أما الروح فهي أقدم، ولذلك سيدنا عيسى قال ﴿آتَانِي الْكِتَابَ﴾ و ﴿أَوْصَانِي﴾ وغير ذلك مما كان في مقام روحه لا في مقام جسمه.

فهذا المشهد، عندما يمضي هذا النور إلى السيدة آمنة، سيدنا عبدالله حمل نوراً كبيراً. هذا النور انطلق من قبل الدنيا وبقيت الأمم تتحدث عنه، ثم كان في سيدنا آدم، هو الذي رفع سيدنا آدم ليسجد له الملائكة، هذا هو الروح، هذه النفخة الروحية التي أتت من سيد الخلق. سيدنا آدم حمل هذا النور، أورثه إلى هابيل، ورثه شيث، ورثه نوح، ورثه إبراهيم، وانفصل، فأخذ إسحاق ويعقوب سلالة من الأنبياء المكرّمين العظام لا ريب في ذلك، وأخذ إسماعيل سلالة من الأوصياء العظام المؤمنين الموحّدين الثابتين على ذلك الدين \*الحنيفية المسلمة\*، حتى هاشم فعبد المطلب، ثم بعد ذلك عبد الله الذي أودع السر في السيدة آمنة، وكان هذا السرّ عظيماً على جسمه وروحه فأفناه فمات بعد أيام قليلة وفارق حبيبة قلبه التي لم يمكث معها إلا قليلاً (قيل ثلاثة أيام ونحن نراها سبعة أيام) وبعدها مضى وأصابه السقام وانتقل

إلى رب الأنام. وحُرْم ذلك النبي من أب لن يراه إلا في الإسراء والمعراج، حُرْم من هذا الأب، وهذا الأب العظيم وصي عظيم، هو الوصي الأخير قبل ظهور النبي البشير، ليتجدد أمر الأوصياء مع سيدنا عليّ الوصي الذي سينقل الأمر منه إلى أبنائه من الأئمة والأقطاب حتى المهدي عليه السلام. إذن هكذا هي السلسلة: الأصل والمنبت وبعدها الفروع.

### حمل السيدة آمنة

وعندما حملت السيدة آمنة بدأت ترى الأسرار والأنوار، أعطيك شاهداً على ذلك: إذا كانت بنت عمران السيدة مريم كَلَمَتها الملائكة وناذتها الملائكة، وكَلَمت الملائكة سيدتنا سارة زوجة سيدنا إبراهيم، وإذا كان ذلك المقام للصدّيقات السيدة مريم والسيدة سارة، فالسيدة آمنة أولى بذلك. ولكن القرآن لم يخصّص لأنها أسرار إلهية، لا تُكشف إلا لقلب من دمهم، يُشترط لهذا العلم أن يكون صاحبه منسوباً إلى رسول الله نسبة دم ونسب، وأن يكون خضري المشرب والمنبع والمعين، وهذا من عند رب العالمين تلقيناً وكشفاً وبتاً من صدر إلى صدر. المهم أنّ السيدة آمنة رأت الرؤى ورأت البشائر، وناجها الأنبياء وناجتها الملائكة، وأنتها الحضرة العلوية القدسية بنساء عظيمات السيدة مريم وسيدات نساء العالمين، وأنتها العوالم الروحانية، وانطبقت الأكوان تنحني لهذه الآمنة التي في بطنها كان يتكوّن جسم أعظم مخلوق خلقه الله، أنور مخلوق خلقه الله، أشرف مخلوق خلقه الله. كيف احتوى هذا الجسد الطاهر هذا النبي العظيم، كيف احتوت تلك القطرة الطينية الآدمية بهذه الروح النورانية هذا المحيط الرباني هذا البحر الواسع الشاسع الذي نسّميه "سيدنا محمد" ولا نعرف عنه إلا قليلاً قليلاً. ماذا عرفنا عن شرفه، عن قيمته وعن عظيم قدره، عن مقامه عند ربه، وعن أسراره وأنواره وعن حقائق أخباره؟! ما عرفنا من ذلك شيئاً إلا قليلاً قليلاً.

سيدنا محمد وهو يتشكل في بطن السيدة آمنة بهذه الخفقة الطينية، هذه المضغة الربانية الرحمانية، ينطوي فيها سر كل الأنبياء وسر كل الأزكياء والأصفياء والأولياء، وينطوي فيها النور الذي كان من آدم، والأنوار الإلهية كلها، الأنوار الجبرائيلية كلها، الأنوار الروحانية كلها، ونوره المخصوص القادم من ربه، تجليات الأسماء والصفات عليه، أسماء الله كلها، أنوار الله كلها، من كل نور قبس، من كل خير طرف، من كل سرّ، من معدن طاهر طهور. الذي نقل هذا الأمر لا بدّ أن يكون سلك ذهبي سلك إلهي

- كيف يمكن أن يكون واحد ينقل هذا النور من آدم إلى عبد الله وهو كافر؟!!

- يقول لك "أبو إبراهيم كافر" كذبتهم، هذا عمّه.

- يقول لك: "أبوه في النار وأمه"، كيف يختار الله لسيد الخلق من هم شرار خلق؟

- كيف يمكن أن تحمل في بطنها آمنة بنت وهب رسول الله ثم تدخل النار، وتأكل الأخرى كبد حمزة وتُبكي عين النبي وتُغضبه ثم تدخل الجنة؟!!

- كيف يمكن أن يكون القتلة والسفاكون والذين أمضوا أعمارهم يحاربون رسول الله أسياً في الجنة، ويكون عمه وجده وأبوه وآبؤه وأمه في النار؟!!

هذا قاله مرضى القلوب، ولكن ما أقوله لكم هو الحق، من لم يُرده ولم يَرْمِه فليراجع طبيب القلوب لأنّ في قلبه مرضاً. إنّ الله سبحانه وتعالى اصطفى الأنبياء وبين الشجرة الإصطفائية، وأخفى الشجرة المحمدية لأنّ ذلك الإخفاء فيه حفظ وحماية له ولهم.

وعندما بدأت الطينة تتشكل جنيناً وحرك يده، عندما اتصلت الروح الأحمدية بالجسم المحمدي كانت أنوار عظمى تصدّع لها الزمان، وتحركت لها الأكوان، ونزل لها على الركب الجن والجان، وفزع منها الشيطان، وارتجّ الكونان والثقلان، ونزلت أنوار كائنات النور والنوران. عندما كان هذا الأمر وتحركت يد أعظم الخلق في بطن أمه، كان حدثاً مهيباً عظيماً، وكان أبوه قد ارتفع إلى حضرة القدس مع آبائه.

معجزة سيدنا رسول الله وهو في بطن أمه

وعندما اقترب الزمن قبل خمسين يوم من ولادته وقد كثرت الرؤى على السيدة آمنة، وكان عبد المطلب يقول لها "إنّ هذا والله لَمَن حدّثني عنه أبي هاشم عن أبيه عن أبيه إلى أبينا إسماعيل إلى إبراهيم أنه النبي المنتظر الذي دعا إبراهيم وإسماعيل إذ يرفعان البيت أن يأتي الله به يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكّيهم وكان ذلك وعداً مفعولاً". وهنا تحركت بيادق الشيطان ومضى إبليس إلى أحد أعوانه وأتى بجيش عرمرم جرّار، يروم في ظاهر الأمر تحطيم بيت الكعبة والأسرار، ويروم في حقيقة الأمر طمس تلك الأنوار وقتل الصبي الذي في بطن أمه الرضيع الذي في تلك الدار، أراد أن يحطّم الكون بقتل سيد الكون وأن يمنع

الولادة. هكذا الشيطان عندما مضى إلى فرعون أمره بقتل كل مولود حتى يمنع ولادة موسى ووُلد موسى، وكذا في زمن المهدي هكذا سيرومون أن يجدوه وأن يكشفوه والله يخفيه عنهم وهم يرونه أمام عيونهم ولا يعرفونه بل يُنكرونه، بل لو عرفوه لكذبوه، هكذا بأمر الله.

يأتي هذا الأحقق أبرهة مع جيشه، وعندما يأتي يعلم عبدالمطلب أن الأمر قد اقترب، ويمضي يحثّ الخطي في الطلب، مع ابنه أبي طالب سيد المطالب وباب تحقيق المطالب، يترك فاطمتين: فاطمة زوجة عبدالمطلب وفاطمة زوجة أبو طالب (وتنظرون نور الفواطم العظيم الذي له سر ارتباط كبير جداً بسر السيدة آمنة وبسر سيدنا رسول الله). يمضيان في ذلك الموضع والناس خائفون يترقبون، أول شيء يطلبه عبدالمطلب ما هو؟ لم يكن لقاء ذلك الحاكم الظالم القادم بجيشه، إنما أن ينظر في الفيل، فمضى سعيّاً وجرياً نظر في الفيل فرأى كل العلامات: هذا الكسر في نابه، هذه الضربة في عينه، هذه ضربة السيف في هذا الخرطوم.. وعندما نظر إليه عرفه (سمّاهم الله بـ "أصحاب الفيل")، عندما عرفه قال لأبي طالب: "لقد آن الأوان، نعم والله بشرانا هذا هو سيد الخلق سيولد بيننا"، طبعاً كان موقناً من قبل لكن زاده يقيناً وزاده إيماناً وزاده سكيناً وطمانينة. فمضى ضاحكاً مستبشراً على غير الحال، وعندما رآه أبرهة قال: "إني عندما رأيتك استكبرت أمرك"، فقال له: "أنا أريد فقط إبلي" مكرراً من عنده، قال: "يا رجل أنا رأيتك واستعظمت أمرك، وأنت في هذا الموضع تسألني عن إبلك؟"، قال: "أنا رب الإبل والنوق، وللبيت رب يحميه" وأخبر القوم أن يخرجوا.

من بقي في ذلك المشهد؟! شاهدوا معي بأرواحكم، من بقي في ذلك المشهد؟ قريش كلها فزعت، لم يبق من أحد أبداً إلا من أذكر لكم: السيد عبدالمطلب عليه السلام وامراته السيدة فاطمة عليها السلام، والسيد أبو طالب عليه السلام والسيدة فاطمة بنت أسد عليها السلام، والسيد الهمام سيدنا محمد الإمام كان في بطن أمه، فوقفت آمنة التي في الدنيا ضامنة وكان الحبيب في بطن أمه. هؤلاء كانوا واقفين في هذا المشهد، كيف تقول لي بعد ذلك "أبو طالب كافر وجمرتان يغلي منهم الرأس"؟ كيف تقول لي بعد ذلك أنّ آمنة كانت كافرة؟ وقفوا، ومن حولهم هبّت العواصف التي تحجب الرؤية، واقترب ذلك الجيش وهم ينظرون، وعبدالمطلب يقول "اللهم إنّ المرء يحمي رحاله فاحم رحالك \* \* إن كنت تاركهم وكعبتنا فأمر ما بدا لك".

والله على وجه التحقيق: أول معجزة لرسول الله وهو في بطن أمه هي معجزته التي حرك بها جيوش السماء، وهذا الحق. الرضيع في بطن أمه يسمع، وسيدنا المسيح عيسى عليه السلام تكلم بمجرد

الولادة، ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾، ولكن الحبيب محمد له أنواره وله أسرار. عندما تحركت هذه الروح الأحمديّة وتحرك النور، تحرك فيلق ملائكي فيلق الأبايل، ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ هنا \*طير\* يمكن أن نستخدمها لمعاني كثيرة، لكن يمكن أن نرى من خلالها طيراً تحمل في مناقيرها جمراً، أو يمكن أن نراها سفناً فضائية وأسلحة متطورة جداً ضربتهم بأسلحة فسفورية أحرقت أجسادهم، لك أن ترى ما تريد، والحق أنّ الأمر على ثاني المعاني. المهم أنه لفيف من الجيش الإلهي تحرك، وهذا الفيلق هو الفيلق الخاص بحماية سيدنا محمد، هذا الفيلق كان يرافق آباءه، هذا الفيلق المخصوص الذي مُنع من التحرك جهرياً إلى أن يخرج المهدي عليه السلام في اكتماله، وهذا من عظيم البلاء. لم يتحرك ذلك الفيلق عند قتل الحسن وقتل سيدنا عليّ، لم يتحرك عندما ضُرب سيدنا محمد في أحد وعندما قُطع جسم سيدنا حمزة. لم تتحرك تلك الفيالق بشكل مباشر لأمر إلهي، من أصحاب الفيل إلى ظهور ذلك الطيب الجميل، وهذا قدر الله سبحانه وتعالى، حكمته المرة التي لا ندركها في هذه الدنيا. تحرك هذا الفيلق وأباد الجيش عن بكرة أبيه وقتل الفيل وصاحب الفيل وجعلهم كعصف مأكول. هذه أول معجزة محمديّة ظاهرة ثابتة نابذة لهذا الرضيع في بطن أمه. وعندما رأوا ذلك، أيرى ذلك ويُشرف على ذلك ويشاهد ذلك كفرة؟! إنما هم أوصياء، أمه صديقة وأبوه صديق تقي ولي وصي وعمّه وجدّه.

### تجليات المولد وأنواره

يولد هذا الحبيب الأنور في يوم هو أعظم أيام الله وأشرقها وأنورها، يوم صرخ فيه إبليس التعيس لولادة السيد الرئيس، الذي سيكون رئيس الدواوين وهو رئيس الدواوين كلها، قائدها إمامها، المعدن النفيس ومن في الحضرة عريس، سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، مولد الأنوار والأسرار. وعند تلك الليلة تظهر أنوار يراها بعض تجار بني إسرائيل من بينهم صموئيل، وهؤلاء عندما يرون ذلك يذهبون ويذهلون ويسألون: هل وُلد لبني إسرائيل ولد في هذه الليلة؟ يقال لا. هل ولد لقريش أحد في هذه الليلة؟ يُقال: لا، إلا ابن عبدالمطلب.

سأخبركم أمراً: الليلة التي وُلد فيها سيدنا محمد لم يولد فيها جني ولا إنسي أبداً سواه، خذوها من عندي، والله ما وُلد ليلة ميلاد سيد الخلق في تلك الرقة أحد غيره، أبداً، أجل ميلاد كل مولود حتى لا يشارك شرف الولادة مع سيدنا محمد أحد، وهذا كُرّر في مولد سيدنا عليّ أيضاً. هذه الموالد موالد خصوصية،

سيدنا عيسى الثالث ساعات التي وُلد فيها لم يولد فيها أحد قبله وبعده، وسيدنا محمد لم يولد في يومه ولا في ليله أحد سواه، ولا سيدنا الإمام عليّ عليه السلام. كي لا يُشارك أحد، **حتى يوم القيامة كي لا يُقال "هذا مولود في يوم ميلاد سيدنا محمد"**، لم يولد أحد، إذا قرأتم وُلد هذا كذب.

المهم عندما سألوا: هل ولد أحد لبني إسرائيل؟ لم يولد أحد، راجعوا الكتب رأوا شهياً رأوا الكوكب ساطعاً خافوا، هذا صموئيل التاجر طاف بينهم، ولم يجدوا أحداً. واشتعل الحسد واشتعل الحقد في قلوب أمية، الأمر حتى ترونه هكذا، ما كان في قلب عبد شمس انتقل، الكراهية من البداية منذ أن وُلد رسول الله، اشتعل الحقد في القلوب، وهذا الأمر دفعهم إلى الكثير من النعمة والكثير من الحقد. **وموت السيدة آمنة لم يكن موتاً طبيعياً**، السم يتبعهم حيثما مشوا وحيثما كانوا، وهذه قصة أخرى ولكن ليس هذا سياقها.

المهم أنّ هذا النبي الأنور عندما وُلد كان موعداً إلهياً ربانياً، أنجبت سيدة النساء سيد الأولين والآخرين سيدنا رسول الله. ويوم مولده العظيم كان يوماً من أيام الله سبحانه وتعالى، من الموالد الكبرى ولكنه كان الأعظم. نعم مولد سيدنا إبراهيم أيضاً مولد عظيم، سيدنا موسى مولد عظيم، هذه موالد نسّمها **"الموالد الربانية"** نعني بها أيام ولادات الأسياد والأطهار والأشراف وولادة الأكابر الكبار الذين خلقهم الله نساءً ورجالاً، ولكن هذا المولد النبوي الشريف هو المولد الأعظم **"الأعظم على الإطلاق"**.

### كفالة النبي عليه الصلاة والسلام

في هذه النقطة يبدأ أمر الكفالة. بعد أن بيّنا أنّ والدي النبي على مقام عظيم للإنتساب والسلسلة التي انطلقت من سيدنا آدم، الآن يأتي الله سبحانه وتعالى فيقول لحبيبه ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾، المأوى الذي كان فيه هذا اليتيم هو مأوى إلهي، الله يقول "آوى". من الذي آوى على وجه الحقيقة؟ هو الله، ومن الذي آوى على وجه التكليف والإسناد والتشريف؟ رجلان فقط: عبد المطلب وأبو طالب. هل هذا حق أم لا؟ هل آواه أحد غيرهما؟ إذن الكافلان لرسول الله، هذا **المأوى الإلهي** يبدأ بجده عبد المطلب وينتهي بعمّه أبو طالب، فهما عليهما السلام، لأنّ عبد المطلب صاحب تلك الآية التي شهد عليها من الفيل موحد، ويقول **"اللهم إنّ المرء يحمي رحاله"**، إذأ لم يكن يعبد الأصنام، كان حنيفياً مسلماً، وكان يقول للناس **"لم يبق على الحنيفية المسلمة أحد غيري"**.



المهم سيدنا أبو طالب يكفل هذا اليتيم، ماذا فعل حينها؟! كان يُنيمه على لحمه، كان يحميه، كان يطعمه ويسقيه، كان بروحه يفتديه، كان يوصي به وكان يتواصى به، وكان يأخذه في رحلاته يعلمه ويدربه ويُعدّه ويجهّزه، وهو يعلم بنبوته. عندما تقرأون خبر النبوة عندما جاءه سيدنا جبريل أنه رجع مرتعشاً وأنّ السيدة خديجة حاشاها كشفت عن ساقها ولما اختفى قال هذا ملك، وأنه اختبل وأنه اختلّ، وأنه مضى إلى ورقة يسأله، هذا والله لم يكن فيه شيء صحيح! **كان عمّه يعرف، وكانت السيدة خديجة وقد تزوجته تعرف أنه مبارك وتسمع عن خبر النبي الأخير وأنه هو،** وكانت قريش كلها تعرف أنه سيدها وأنه المختار للأمر، وسُمّي الأمين وعُرف بذلك. كان الأقوى قوة، الأشجع شجاعة، الأسخى يداً، الأكثر حكمة وهدوءاً وجمالاً ومهابةً، الأقوى جسماً، الأصلب عوداً، هكذا رسول الله. يُقرّمه الأوغاد يجعلون منه يخاف مرةً، وبعض أصحابه يسبق الوحي دونه، بعض أصحابه أشدّ منه قوة وأشدّ منه حكمة وأشدّ منه علماً، هكذا هكذا.. والله كل أصحابه تراب قدمه، وكل الخلق تحت قدمه، وما من مخلوق أفضل منه ولا أشرف منه ولا أعلى منه، هذا سيدنا محمد.

لذلك، سيدنا أبو طالب وهو هذا الكافل بأمر الله، كفل أعظم الكافلين أعظم المكفولين. كان مأوى الله لهذا اليتيم، فأى مقام عظيم هو هذا؟! عندما رأى راهب نجران وراهب بحيرة، قالوا له وبشّراه هذا نبي، وقال أعلم، فقالوا "احفظه من يهود". فآمن هؤلاء به قبل بعثته: سيدنا أبو طالب آمن به قبل بعثته، عبد المطلب، أمه آمنة، وكانت وهي توصيه وهي تفارقه في تلك الأرض الخالية في الأبواء تمسك يده وتقول له **"أعلم يا بني أنك نبي هذه الأمة وأنتك سوف تُقاتل وتُحارب وتهاجر"** كانت عارفة بالله.

تظنون أنّ رسول الله لم يكن يعرف نفسه؟

يعني ورقة ابن نوفل سيعرفه قبل أن يعرف نفسه؟

لم يعرف جبرائيل عليه الصلاة والسلام؟

لماذا كان يتحدّث ماذا كان ينتظر؟

هكذا يبحث؟!

لم يكن يعرف الله؟!

كان يطوف بالأصنام؟

أبدأً والله!

فلذلك ذلك المقام حتى نختم، هكذا كان الأمر.

أتظنون بربكم أنّ المذنبين من أمة رسول الله ينتظرون شفاعته ويشفع لمن أحب له ربه، وأمه وأبوه وعمّه وجدّه في النار؟!

فإذا صلّيتم على رسول الله قولوا "اللهم صلّ على أصوله وفروعه، اللهم صلّ على والديه وعلى عمّه وعلى جدّه". كل حديث تجدونه "عمي وعمك في النار"، "أردت أن أستغفر لأمي فلم يؤذن لي"، "سألت عن أبويّ فقيل من أهل النار".. كل هذا كلام فارغ، كلام أموي ناصبي مريض، خذوها من عندنا بحمد الله نحن نتكلم من هذه الدوحة ونحن من أبنائها.

رسول الله المعظم عليه الصلاة والسلام وآبؤه وأصوله وفروعه خط نوراني يمتدّ إلينا بحمد الله، فنحن عندما ننبع بهذه العلوم والمعارف ونتكلم بهذا الكلام الواثق، لا نتكلم دجلاً، إنما نُظهر شيئاً قليلاً مما أعطانا ربنا من هذا الإتصال بهذه السلسلة الموصولة إلى سيدنا آدم إلى خالق سيدنا آدم، وشرّفها بوصلها بسيد الخلق سيد آدم ومن كان من ذرية آدم وما قبل ذرية آدم سيدنا محمد. هذا الوصل يُعيدك للأصل، وهذا هو القول الفصل الذي لا يمكن أن يدحض حجّته أحد أبداً، إلا بما يكون من شقشقات الكلام ومما يفعل اللئام من عناد ومن جحود ومن فعل كل حقود وحسود. هكذا من أراد أن يبلغ الدرب وأن يفهم العبارة والإشارة وأن يُنور بنور المنارة، فعليه أن يفهم هذا الأمر ليستحقّ المقام عن جدارة.

#### خاتمة

صلّ اللهم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، اللهم صلّ عليه وعلى والديه وعلى كافليه وعلى آبائه أجمعين، وعلى عليّ وفاطمة وحسنه، وعلى ذريته وأولاده وحجّته وقائمه ومهديّه، وعلى كل الأقطاب والأبدال الذين هم من ذريته وسلالته، وارض اللهم عن أصحابه الميامين الصادقين الموالين لعليّ أمير المؤمنين، وعلى كل نبيّ أرسلت في العالمين، وعلى ملائكة قدسك والذين يسقون من خمور أنسك، وباركنا يا رب العالمين برحمتك وأنوار وبركات أمنا آمنة التي فينا ضامنة، وبسرّ سيدتنا خديجة التي تحسن بها النتيجة. وإن شاء الله سنخصص درساً عن سيدتنا

خديجة أيضاً وعمّا إنتابنا عندما زرنا مقامها وقبرها الشريف المنيف، وكان من قبل مقام سيدنا أبو طالب مع مقام السيدة خديجة، كانا مقامان عظيمان نسأل الله أن يُعيدهما، وسنحدّثكم عن جمالها وعن حالها وعن كمالها وعن سرّها وعن حقيقة معرفتها بهذا النبي العظيم.

ولما نزل الوحي على سيدنا محمد كان أول من أسلم وآمن به وقال أشهد أن لا إله إلا الله وأنت محمد رسول الله بمجرد وصوله، هو عليّ ابن أبي طالب والسيدة خديجة، ثم أبو طالب كان ثاني المؤمنين بعد أن مضى إليه رسول الله. أول من مضى إليه هو عمّه ولم يمضِ إلى ورقة ابن نوفل، بعدها لورقة قصة ولكن لم يكن هو الذي دلّه و "مضى إليه مرتعشاً جاهلاً حائراً"، هذا كله كلام فارغ، أبداً، حتماً أبداً. وأسلم حمزة من البداية أيضاً وبعده يأتي الناس، حمزة جعلوه يُسلم في النهاية ويغضب لغضبة غضبها على أبي جهل، هذا أيضاً ليس صحيحاً، حمزة من أوائل المسلمين (الثالث أو الرابع). وهكذا أسلموا جميعاً، كان الأمر هاشمياً في البداية، العباس، بعضهم أخفى إيمانه لغايات تكتيكية استراتيجية، والآخرين كانوا مؤمنين. أيضاً سيدنا طالب عليه السلام، لذلك عندما نقول سيدنا "عليّ ابن أبي طالب"، الأول يقول لك "عليه السلام" والثاني سيقول لك "عليهما السلام"، والحقيقة تقول "عليهم السلام"، تسلّم على عليّ وأبي طالب وطالب. سيدنا طالب من المؤمنين الموحّدين وكان رسول الله يحبه، وسيدنا أبو طالب له قصائد يوصي طالباً بنصرة النبي، وكذلك كان طالب شاعراً مُجيداً له قصائد عظيمة، توفي بعد الفتح وكان من مخابرات سيدنا رسول الله كما سيدنا العباس، وهؤلاء جميعاً كان لهم أدوار مهمة جداً في هذه المسألة، تعلمون "الحرب خدعة". وكذلك سيدنا طالب عليه السلام كان موحّداً، هذا أخو جعفر، وهذا البطل الكبير الفارس أيضاً كان فارساً عظيماً ومحارباً كبيراً، وكان لهم مدرسة قتالية خاصة بهم، فسيدنا علي بن أبي طالب عليهم السلام جميعاً.

فهذا بعض مما أردنا أن نقوله والحمد لله، هذا القول الفصل في المنبت والأصل. رمضان مبارك إلى لقاءات رمضانية أخرى إن شاء الله، نلقاكم بخير وعلى خير، كان الحال عظيماً جميلاً جليلاً مرهقاً متعباً، نُبنا نوبة عن هذه الحضرة، أوصلنا ما علينا إيصاله. بقي لقلبك أن ينظر، بقي لك أن تشاهد أن تسمع أن تقرّ أن تتابع أن تتأمل أن تعرف أنّ هنالك حقائق كثيرة أنّ أوان كشفها. هذا زمن آل البيت بلا ريب، هذا زمان الخير زمان النور زمان الذخر زمان البشائر الإلهية المهدوية، هذا ليس كلاماً نقوله اعتباطاً إنما هذا هو الحق بحمد الله. لن نترك بعون الله جداراً من جدران الباطل إلا ونضربه، لا أقول نهدمه ولكن على الأقل نشير إليه، ولا جداراً من جدران الحق إلا ونقيم به عيون الله، حتى يُظهر الله من أمره ما أراد ويفعل

بنا ما أراد، غير خائفين ولا هيّابين إلا له سبحانه وتعالى والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة  
الله تعالى وبركاته.

الدرس بتاريخ: 2023-04-04





## نفحات رمضانية: في مقام المعية ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾

جولة في سر المعية ووجوهها وأنواعها وفضلها وشرفها

ورحيل مع قصص الأنبياء ومشاهد النبي وآل بيته التي تجلت فيها معاني المعية العظيمة

### منطلقات

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الصادق الطاهر الأمين وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وسلام على عباد الله الصالحين في كل وقت وحين حيثما كانوا وحيثما تحيّنوا. الحمد لله على هذا الشهر المبارك وما فيه من نفحات ومن بركات، على خيره وبركته ويؤمنه وأن جعله لنا طهوراً يذهب به عنا الرجس ويطهرنا تطهيراً، تقبل الله منا ما كان من صيام ومن قيام وما كان من أحوال وجعلها مراقي إليه سبحانه وتعالى. أحبابنا الكرام السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته أهلاً وسهلاً بكم إلى هذا الموعد الجديد مع النفحات الرمضانية، وهي نفحات بروح التأمّلات العرفانية التي كنا درجنا على تقديمها في هذا المنبر وعلى هذه الصفحة، فحياكم الله، أهلاً وسهلاً بكم.

أريد أن أشير في البداية أننا سنعقد غداً بعون الله تعالى ندوة علمية سوف نقوم بنشر تفاصيلها وستحمل عنوان "تولية الإمام الحسن عليه السلام"، والإمام الحسن تولى إمارة المؤمنين والخلافة بعد استشهاد والده سيدنا الإمام علي عليه السلام. وسوف نتكلم عن هذه الشهادة المباركة العظيمة عن هذه الذكرى الأليمة، والتي تمتزج أيضاً بسعادتنا بهذه الخلافة التي وإن لم تكن طويلة المدة فقد كانت كبيرة المدد،

وكان فيها قصص وأحوال وظلم وآلام تجرّعها الإمام عليه السلام حتى اضطر إلى أن يسلمها لمن سيبدأ مرحلة من الطغيان والظلم، ولكن كما قال له أبوه: **"فكذلك حتى يبعث الله رجلاً من عباده يؤيده بملائكته، طوبى لمن حضر أيامه وسمع كلامه"**، سيكون إذاً هذا الكلام في هذا المستوى.

ملاحظة ثانية أودّ أن أسوقها هي الحقيقة أسعدتني، أنا مع هذه الرواية "المعلم والتنين" هذه النسخة الورقية التي سعدت بها وفرحت بها كثيراً، بل وعجبت وأنا أقرأها من حال استغراب ما فيها وكأني لست بكتبتها، وهو حال الكاتب كلما كتب أمراً بعد أن يغادر الحال يستعجب ويعجب مما خطت يده. وتليها إن شاء الله رواية "ولي الله" ثم رواية "الغريب"، وسأشرح بعدهم بمشروع رواية أخرى إن شاء الله أعلن عنها في وقتها، مع ما نحن بصدد من كتب ومن نشرات. وكذلك الدروس البرهانية عمل كبير قام به تلاميذنا جزاهم الله خيراً عمل مبارك جهد والله يُذكر فيشكر، جهد كبير جداً أنهم نقلوا ما كان من الدروس كله كاملاً مكملاً من الدرس الأول إلى الدرس الأربعين نقلوه ورقياً، وهذا عمل مضني ومجهد ولكن جزاهم الله خيراً تكبّدوا هذا العناء فكان هذا. هما جزءان (الجزء الأول والجزء الثاني) وهذه الدروس اشْتُغِلَ عليها كثيراً بشكل جيد وبشكل ممتاز، وملوّنة وفيها الآيات وفيها حتى أسئلة المشاركين في هذه الدروس التي عبرت علوم كثيرة، وتكلمنا فيها عن علوم كونية وعن علوم فيزيائية وسواها.

وكل هذا بحمد الله إنما هو شرح لموسوعة برهانية حقيقية طبعاً، ربما البعض يشكك ويقول هو يدّعي أنه كتب هذا الكمّ (سبعة آلاف صفحة أو غيرها). هذا هو الجزء الأول من موسوعة البرهان وهي النسخة الشامية التي عليها توقيع عدد من علماء الشام، مفتي حلب محمود عكام، الشيخ نقشبندي مفتي دير الزور، والشيخ عيسى العلي، الشيخ العلامة المحدث الكبير الشيخ عبدالعزيز الكيالي رحمة الله، أيضاً الشيخ أحمد حسون مفتي الشام، وهذا الجزء الأول فيه سبع مجلدات. فهي ليس أسطورة هي حقيقية، لكنها أول موسوعة تُشرح قبل أن تُنشر، لما فيها من أسرار ولما فيها من أمور ربما لن أنشرها أبداً، ولما يقرأ الإنسان يعرف لماذا، فيها عما يحدث في وقتنا اليوم وعما سيحدث، وغير ذلك من علوم خضرية لدنية. هذا برهانها في ذاتها، يعني هي إرث لآل البيت، ليس لنا مرجع في هذا البرهان في هذه الموسوعة إلا القرآن العظيم ونفح الصدر للصدر، وهذا مُثبت مُبرهن. وفيها من علوم الكون ومن علوم التكوين ومن علوم الكائنات والمنطق والفلسفة والتصوف والاقتصاد والاجتماع، أكثر من خمسمائة علم تُناقش ضمن هذه الموسوعة. ضمن قاعدة: **"أَدْخِلْ أَيُّ عِلْمٍ إِلَى كَوْنِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، إِمَّا أَنْ يُصْلِحَهُ أَوْ أَنْ يُبْطِلَهُ أَوْ أَنْ يَطْوِرَهُ"**، إما أن يصحح ذلك العلم، إما أن يبطل مفاهيمه مثل التطور الدارويني أو أنه يقوم بالغائه يبطله، أو أنه يطوره يصبح هذا العلم أكثر تطوراً. عندما نأخذ علم الجمال يُطوّر بمفاهيم الذوق الجمالي

وغيرها ضمن مفاتيح الآيات القرآنية، تحتاج إلى شيء من النفح الإلهي حتى تربط بين العلم وبين تلك الآية أو ذلك السياق.

ولنا موسوعات أخرى في فنون الدفاع تجدون معارفنا فيها في رواية "المعلم والتنين"، ورواية "ولي الله" ستكون رواية خاصة بأسرار أهل الله ورجال الله وكيفية تربيتهم وتدريبهم، ورواية "الغريب" ستكون مستوى آخر يدمج بين الروايتين دمجاً جميلاً. وبعون الله سنستمر في ذلك، لنا دواوين ولنا كتب كثيرة، هذه سلعتنا التي نعرضها على الناس، هذا العلم وهذا النفح وهذه المعارف.

### مقدمة

موضوع الليلة موضوع مهم وقد كتبت عنه في البرهان تحت مسمى "علم المعية". وأذكر بسعادة أنّ أول ما أسمع صوتي في المدينة المنورة منذ قرابة ستة عشر عاماً كان على يد أحد أحببنا وتلاميذنا هنالك وكان يكلمني بالهاتف، وكنت ألقى دروساً على بعض الأحابب المحبين في تلك البقعة الطاهرة، قبل أن أزورها بسنوات بأكثر من ستة عشر سنة، فكان الدرس الأول الذي ألقيته حينها هو "علم المعية".

وعلم المعية لعل مفتاحه في جانب العرفانيات والذوقيات:

"إن كنتُ معك فمن عليك؟ وإن كنتُ عليك فمن معك؟"

- وهذا الباب وهذا الكلام نعيشه واقعاً، الإنسان طالما هو في هذه الدنيا وطالما يحقق نجاحات سيجد حاسدين وراصدين ومفسدين وجاحدين وحاقدين، وهؤلاء جميعاً ليس لنا ما نواجههم به إلا هذه المعية، أن يكون الله معنا، وحينها لا يضرنا من كان ضدنا.

- أما المخدول المحجوب المحروم لو كان كل شيء معه ولم يكن ربه معه، حينها لن يُنصر ولو توهم الانتصار، لن يفوز ولو توهم الفوز.

لأنّ الرقم الأساسي في هذه المعادلة هو الرقم الرباني، كل الأرقام صفر أمام هذا الرقم الحقيقي الحق، فالله سبحانه وتعالى عندما يؤيد عبداً من عباده، لا يمكن لأي قوة أن تزعه أو تزلزله. سيقول لي قائل: كان الله مع الحسين ابن علي عليه السلام ولكنه قُتل شر قتلة، فأقول له: إنّ الله الذي كان معه أحب أن

يراه على ذلك الحال. الله الآن مع أبطال فلسطين مع أبناء فلسطين وهم يواجهون ما يواجهونه، مع المرابطين في القدس الشريف، ولكن هذه المعية لا تمنع عنهم أذية كُتبت على أصحاب النبي وكُتبت على الأنبياء، وكُتبت على سيد الخلق عندما أُوذي في غزوة أحد وعندما بُقر بطن عمه وجُدع أنفه وقُطعت أذناه ومُثل به ومُثل بأصحابه بشهداء أحد. فهذا مشهد من مشاهد أخرى يبين الله فيها أنّ الأذية هذه ليست خذلاناً، لا تعني أنّ الله ليس مع هؤلاء السادة والثلة، إنما أنّ الله يمتحنهم، ولكن الحكم العام:

"إن كان الله معك فمن عليك؟ وإن كان الله عليك فمن معك؟"

### المعية أنواع

هذا منطلق لهذا التأمل، وهذا التأمل سوف يمضي ضمن سياق آيات قرآنية، آيات مباركة من الذكر الحكيم، وهذه الآيات فيها معية. الله سبحانه وتعالى يقول لبني إسرائيل ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ﴾، ويقول مخاطباً سيدنا موسى وأخاه هارون ﴿لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾، وقال سيدنا موسى عن ذاته وهو يواجه خوف قومه من أن يدركه فرعون وجنده وقد حوصروا بالبحر ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾، والله سبحانه وتعالى أيضاً يتكلم عن النبي وعمن كان مع النبي عليه الصلاة والسلام ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾.

إذن هذه المعية لها أنواع. ثمة معية عامة: ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ معية عامة، معية رقابة. وثمة معية نصرة: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ﴾ هذه معية خاصة. ولكن الله مع جميع الخلق بالمشاهدة، بالمراقبة، أنّ الله سبحانه وتعالى يرانا وأنه قريب منا ﴿إِنِّي قَرِيبٌ﴾ ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾. والمعية مع الحضور لها تقاطعات، فهذا الحضور هو معية علم ومعرفة وإحاطة. ولكن المعية في جوهرها تعني العون والمدد والدعم والإسناد والتأييد والتمكين.

هذه المعية التي تعني هذه المعاني العظيمة إنما هي هبة من الله سبحانه وتعالى، إما شرطية أو مطلقة. فالشرطية: عندما يقول لبني إسرائيل أنه معهم ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ﴾، فإن لم يفعلوا فهو ليس معهم، هذا ميثاق، فمن وفوا وأوفوا بعهدهم مع الله فالله معهم، ومن خانوا وخالفوا ومضوا في طرق أخرى فالله سبحانه وتعالى ليس معهم لا يؤيدهم.

## معيات الأنبياء في القرآن الكريم

وأعظم هذه المعيات التي نرى برهانها في القرآن الكريم في مقام سيدنا موسى عليه السلام ومقام سيدنا هارون عليه السلام، وهذا المقام الذي فيه سيدنا موسى وسيدنا هارون يمضيان إلى فرعون، وفي هذه الرحلة المحفوفة بالمخاطر يمضون إلى طاغٍ باغٍ قتال يسفك الدماء ويتلذذ بذلك وله ثأر على سيدنا موسى، وسيدنا موسى يعبر عن هواجسه لربه وعن مخافته أن لا يبلغ الرسالة، ليست مخافة على نفسه ولكن مخافة أن لا يؤدي دوره كرسول لله، فالله يقول له ولأخيه ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾، ما دام الله معهما فلا يضر من كان ضدهما، فيمضيان مؤمنين ثابتين متيقنين. في مشهد الغار مع الحبيب المصطفى ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾، هذه المعية أيضاً معية عظيمة، معية عطف وأنس، والله حينها ينزل السكينة على حبيبه محمد ويؤيده بجنود لا تراها العين. هذان المشهدان مفتوحان لكل إنسان مؤمن بالله، أي أن كل إنسان يصل إلى هذه المرتبة من اليقين أو يتصل بشيء منها، يصل إلى شيء من ذلك اليقين، لأنه من المحال على إنسان أن يصل إلى يقين الأنبياء، ولكن يتصل بشيء من ذلك، يتصل بيقين الصالحين الكمل، يتصل بيقين العارفين، وهو يواجه الأعداء وهو يواجه البأس وهو يواجه الشدائد والمحن، عندما يستيقن أن الله معه، ويستيقن من هذه المعية، سيحفظ الهمة وينجز المهمة ويقوم الحجة حتى يظهر الحجة.

عندما تكون هذه المعية ثابتة نابذة في الصدر والقلب فإنها تؤنس صاحبها، عندما كان سيدنا يوسف عليه السلام في البئر عندها أوحى الله إليه، أرسل إليه كائناً خضراً يُنبئته أن الله سبحانه وتعالى سيجعل له علماً ينبئ به إخوته بأمرهم هذا وهم لا يشعرون ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾. والله سبحانه وتعالى أرسل إليه من يعلمه في ذلك السجن علوم عظيمة وعلوم وحكم تعلمها حتى صار معبراً للرؤى وحتى قال لهم ﴿لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ وقال ﴿يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبُّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾ وغيرها مما كان من أمره وشأنه. فهذا من قوة المعية الإلهية، من استشعار المعية الإلهية، من تجلي هذه المعية الإلهية.

عندما كان سيدنا الإمام علي ينام في فراش النبي صلى الله عليه وعلى آله يفتديه بنفسه في الهجرة، كان الله مع علي، فأيده الله ونصره الله، عندما حمل سيدنا علي باب خير، كان الله مع الإمام علي. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ هي معية إلهية، ﴿وَلَنُصَنِّعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ هي معية إلهية، ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ هي معية إلهية، الآيات القرآنية عابقة بهذه المعية. عندما يكون الإنسان في معية الله

في أنس الله، في استحضار ذلك الحضور العظيم والتجلي العظيم وهذه القوة العظيمة ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾، سيجد هذه المعية.

السيدة مريم وهي تبحث عن ملاذ وهي تنجب ولداً وتقول ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا﴾ تجد هذه المعية الإلهية، يكلمها ويناديها من تحتها، هذا الجنين الذي وُلد للتو يكلمها بلسان فصيح بلسانها ولسان قومها ويقول لها أن لا تحزن وأن الله قد جعل تحتها سرياً وأن تهزّ إليها بجذع النخلة تُساقط عليها رطباً جنياً، فإن تأكل وأن تشرب وأن تقرّ عيناً، وأن تقول ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾. ولما تأتي قومها يكون الله معها وهي وحدها، هذه الشابة الجميلة الطيبة الرقيقة التي تواجه شرار القوم والخبثاء، وهم يرون دليل الجريمة بين يديها، دليل الزنا معاذ الله كما يزعمون، فيقولون لها: ﴿مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأً سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾ ويعاتبونها، وتجد وجه سيدنا زكريا ينتظر المدد من الله وهو لا يفقه ما الذي يجري من حوله. ولكن تشير إليه ولا تتكلم، هي تشعر بهذه المعية، تدرك أن الله معها، متيقنة واثقة ثابتة، نابثة أشجار الثبات في صدرها وقلبها.

عندما تشير إليه، وهم لا يعرفون من المعية التي معها، من هذه الحضرة القدسية التي تؤيدها، عندها يضحكون ويسخرون ويقولون ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾، المنطق العادي: لا يكون هذا الأمر على حقيقته إلا سخرية. ولكن يأتيهم صوت كأنه صوت قادم من السماء، يحدثهم هذا الرضيع بصوت كبير، بصوت روح قديمة، لم يخرج من فم المسيح صوت رضيع بل خرج صوت روح المسيح، الروح القديمة تكلمهم بصدى كأن السماء تردده، كأن أبواق السماء تتكلم، صدى رهيب مهيب مخيف عنيف مرجف لتلك القلوب، يتقهقرون يتأخرون يخافون يصرخون يفززون، بعضهم يسقط مغشياً عليه بعضهم يموت، وهو يقول لهم ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ وينبئهم بما كان بينه وبين ربه بسر تلك المعية، عندما كان مع الله عند الله وأوصاه الله أن يكون بَرًّا بوالدته وأوصاه بالصلاة والزكاة ما دام حياً، وأعطاه السلام وجعل عليه السلام يوم وُلد ويوم يموت ويوم يُبعث حياً، ولم يجعله جباراً عتياً.

هذه المعية، هذا الأُنس الإلهي، هذا الدفء القلبي، نستشعره عندما نقرأ سير هؤلاء السادة الكبار.

بعض أسيادنا لم يشعر بتلك المعية أول الأمر، سيدنا لوط عندما هوجم في ذلك البيت الذي سكنه في القرية الخبيثة، وهو الذي قال ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ كان مع سيدنا إبراهيم وهو قريبه. عندما مضى في هذه الرحلة، أرسلته العناية الإلهية لإقامة حُجة على قوم خبثاء ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾. وعندما هاجموه وعندما أحاطوا به وعندما أحيط به من كل جانب، وعندما قال

﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ وعندما قالوا لا نريد بناتك وتعلم ما نريد، وعندما نوا وطمعوا بما لم ينالوا، وهي سخرية إلهية عجيبة، هذا من مشاهد الكوميديا الإلهية الساخرة من هؤلاء القوم ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، عندما وصلوا إلى كسر الباب، عندما اقتحموا وتقافروا من سور ذلك المنزل، عندما أدركوه ومدّوا أيديهم النجسة المرتجفة بشبقها ونهمها، ومن حولهم شياطينهم وأعينهم التي كأعين الأفاعي وأصواتهم كنباح الكلاب وهم كالذئب المسعورة والكلاب المسعورة إلى ما رأوه وتبدّى لهم شباباً جميلين نضرين وعليهم جمال غريب عجيب لم يروه من قبل، عندها قال سيدنا لوط وقد أحس بذلك الثقل وتلك الأمانة وكأنه لم يدرك من هول ما رآه هذه المعية التي من خلفه وهو لا يشعر بها، نادوه من خلفه: ﴿يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾، نحن معك منذ البداية يا لوط، كنا معك وأتينا إليك وجئنا ننفذ الحكم عليهم. في هذه اللحظة الفارقة، يخرج عليهم جبرائيل عليه الصلاة والسلام ويتبدّى لهم على شكله المهيب، على قوته التي تصهر النجوم والشموس والكواكب، فيصهر من كانوا بجواره حتى يحولهم إلى غبار إلى هباء، ويذيقهم الله العذاب. هذه المعية لها جلال ولها جمال ولها كمال ولها عظيم حال ولها حسن نوال ووصال.

### الصالحون يستشعرون هذه المعية

هذه المعية نستشعرها اليوم بنفس المذاق بنفس السر عندما نرى المحاصرون في القدس عندما نراها يستشعرون معية ربهم، فلا يهابون ولا يخافون ولا يخشون. هذه المعية يستشعرها الصالحون إذا أحيط بهم، الأولياء الكمل العارفون. هذه المعية كان يستأنس بها الحسين ومن كانوا معه وهم ينتقلون إلى ربهم شهداء ويرون هذا الجيش العرمم الذي يحيط بهم. هذه المعية استشعرها سيدنا حمزة وسيدنا علي وأصحاب النبي وهم يواجهون جيشاً ثلاثة أضعاف عددهم في بدر. هذه المعية استشعرها سيدنا علي وهو يرفع باب خير ويواجه عمرو بن ود، وهو يواجه الحارث ومرحب، وهو يواجه كل ما واجهه عليه السلام بشجاعة وثبات جأش وقلب مليء بالإيمان واليقين. هذه المعية استشعرها الإمام الحسن وهو يمضي إلى ربه بسر ربه ويؤتم ما كتبه الله له وما كتب الله عليه.

هذه المعية التي كانت مع أقطاب الأولياء والسادة الصالحين معية عظيمة، معية تخترق كل الحجب وتحلّ في القلب فتُسكنه ويسكن هذا القلب بأنس ربه ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾. هذه المعية بابها اليقين بالله، ومفتاحها التسبيح لله، إذا أكثر التسبيح استشعرت المعية، هذه المعية تاجها وعنوانها

تقوى الله، الذي يتقي الله يشعر بمعية الله. وهذه المعية لها معانٍ ولها دُرْبَةٌ في قلوب الصالحين، عندما نقرأ عن سر السري السقطي، وعندما نقرأ عن التلقينات للصالحين وكيف كانوا يلقنون بعضهم، وعن معروف وعن كلام "الله شاهدي، الله ناظري، الله معي"، قال: "ما دام الله شاهدك ومعك وناظر إليك، فلا تعص الله أبداً". هكذا كانوا يرتبون مرديهم على فهم وإدراك هذه المعية، لأنَّ هذه المعية عنوان توفيق، هذه المعية عنوان فلاح ونجاح.

ومن لم يستشعر هذه المعية يشعر بالضعف يشعر بالوهن، كلما هبَّت ريح مهما كانت خاف منها وارتعدت فرائصه، هكذا المنافقون يحسبون كل صيحة عليهم. هنالك خلق ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾، اليوم يحبك غداً يكرهك، إذا شعر أنّ لك قوة هابك، وإذا شعر أنك ضعيف وتوهم ضعفك أراد أن ينهشك بأنيابه كطباع الضباع. لذلك، عليكم وعلينا باستشعار هذه المعية، بدوام أنسها في قلوبنا، بدوام سرها ونورها وعبقها في قلوبنا، بدوام الإحساس بها في قلوبنا.

عندما كان سيدنا إبراهيم يريد أن يذبح ابنه، كان سيدنا إبراهيم يشعر بمعية الله له وهو يضع السكين على عنق فلذة كبده. وكان إسماعيل الذي سمّاه الله "صديق الوعد" كان أيضاً وهو طفل قد بلغ للتو السعي، كان يشعر أيضاً بتلك المعية. وكانت السكين التي تقع على رقبة هذا الإمام هذا النبي كانت تنقلب، لأنَّ المعية منعته أن تتمّ أمراً، حتى قضى الله أن يفتديه بذبح عظيم. وهما ذبحان في الحقيقة: ذبح على وجه الرمز والمجاز، وذبح على وجه الحقيقة.

1. فأما الذي هو على وجه المجاز، فنستمر إلى اليوم في نحره ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾، هذه الذبائح هذا الكبش هذا الذبح العظيم إنما أتى هدية من الله وعرساً وعيداً بنجاة سيدنا إسماعيل ونجاة هذا الذبيح.

2. ولكن الذبح الحقيقي هو ابن فاطمة، هو الحسين بن علي عندما ذبحه الظالمون وطعنوه اثنا عشرة طعنة وصعد على صدره واحتزّ رأسه، وقطع الآخر إصبغه، وأركضوا عليه خيلهم، وقتلوا أولاده وأولاد أخيه وأصحابه وأشقاءه وسبوا نساءه، عندما كان كل هذا قالت السيدة زينب عليها السلام "اللهم تقبل منا هذا الذبح العظيم".

يقول لي البعض لماذا تذكر الحسين كثيراً؟ ويقول لي البعض: لا تذكره كثيراً. إنّ هذا الدين بُني على محمد وآل بيته، بعدها الصحابة أنفُسهم بل وأنفُسهم وأفضلهم أمروا بالدخول من هذا الباب، باب حِطَّة باب

آل البيت، سفينة النجاة. لذلك نحن نذكرهم دائماً، لأنهم مَظْهَرُوا وَجَلَّوْا كل المعاني العظيمة التي أتى بها جدّهم المصطفى صلى الله عليه وعلى آله. ولي سياق آخر أتكلم فيه عن آل إبراهيم، آتاهم الله الكتاب والحكم والنبوة والملك العظيم ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾، كيف أننا نقول "كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم" ونغفل عن سر عظيم، وهو أنّ من آل إبراهيم: آل إسماعيل وهم آباء النبي، وأنهم يدخلون في تلك الصلاة. لأنّ الذي ظنه الكثيرون: فقط الشجرة اليعقوبية الإسحاقية والأنبياء الذين خرجوا إلى أن وصل بنو إسرائيل وآل عمران، ولكن الحقيقة هما فرعان: فرع بالسرّ وفرع بالجلاء.

- فأما الذين كانوا يبشّرون بأحمد في الجلاء فهم أنبياء بني إسرائيل.
- وأما الذين كانوا يحملون سرّه فقد أخفى الله أمرهم حتى أظهرهم، كانوا نعم ظاهرين في أقوامهم في قومهم حينها ولكن السرّ المطوي فيهم كان مخفياً.

هذه الحقيقة أنهم أيضاً آل إبراهيم، إلى النبي. لذلك "اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم" يلتفون يلتحمون في آباء النبي إلى سيدنا إسماعيل. هذا من باب الأئس بهذه المعرفة والحمد لله رب العالمين.

### المعية وبنو إسرائيل

المعية هذا بابها، ولكن لها أيضاً باب آخر وهذا الباب مخصوص جداً، وهذا الباب فيه تضارب عجيب أنه يكون مع قوم وعلى قوم آخرين، وهذا اجتناب من الله سبحانه وتعالى. كي نفهم هذه المسألة، علينا أن ننظر في خبر سيدنا موسى عندما أخذ قومه وأتى بهم إلى البحر وهم يشكون شكاً ويرتابون ريبة وهم لا يكادون يصدّقون، وكانوا يتدمّرون من موسى، وكانوا يريدون حقاً أن يُغلب موسى وأن ينتصر فرعون، لذلك عاقبهم الله بالعجل ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾.

حتى نرى هذه المسألة، نقول أنّ سيدنا موسى عندما قال له قومه ﴿إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾، قال ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾، لم يقل "إنّ معنا ربنا"، لو قال "إنّ معنا ربنا" لعنى ذلك أنّ الله مع بني إسرائيل أيضاً. صحيح أنّ الله سبحانه وتعالى فيما بعد يقول لهم ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ ولكن اشترط عليهم شروط، أي لم يدخلوا في هذه المعية التي فيها سيدنا موسى. وطبيعي لما نقول سيدنا موسى سنقول سيدنا هارون

وعائلة سيدنا موسى وسيدنا هارون وهؤلاء الثابتين الذين في الدائرة الضيقة لسيدنا موسى، ولكن في العموم قال ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ ولم يقل "إنّ معنا ربنا". هذه المعية التي كانت مع سيدنا موسى والثابتين الذين معه حفظته وحفظتهم، ولكن الآخرون لم ينعموا بتلك المعية فُتنوا. إذن من لم تكن له المعية يُفتن، ومن لم تكن له المعية سوف يُخذل. إبليس عندما سما إلى الطباق ومضى في السماوات حتى بلغ السماء الخامسة وصار له أجنحة، ظن أنه أصبح من العالين من الكبار، ولم يستشعر تلك المعية الإلهية، حينها عصى ربه وأغضب ربه واستكبر وجحد وعاند وأبى، وكان من حاله أن كان رجيماً وأن كان شيطاناً.

الذين كانوا مع النبي موسى عليه الصلاة والسلام وعلى نبينا الصلاة والسلام، هؤلاء كانوا ممتلئين بالخيانة ممتلئين بالنفاق، لذلك أول فرصة رأوها، أول شيء قالوا "لم يهلك فرعون" وهم يرون البحر قد سُقّ كالجبلين، فالله سبحانه وتعالى أظهر لهم مشهداً ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً﴾. ثم بعد ذلك مَرّوا بقوم يعكفون على أصنام، قالوا نريد مثل هذا ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾. ثم مجرد أن مضى موسى كانوا يعبدون عجلاً وُفُتِنُوا بالسامري، وهذا يبيّن أنّ استحضارهم لهذه المعية لم تكن كاملة بل كانت منعدمة منقطعة. ومضوا ولم يقولوا حِطّة ولم يدخلوا الباب وخافوا من الجبارين، وأنزل عليهم المن والسلوى، وُفُجِرَتِ الأعين بعصا سيدنا موسى، ولكن في النهاية يقول ﴿رَبِّ إِنِّي لَأَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَقَوْمِ الْمَاسِيكِينَ﴾.

فهذا مقامهم، يُعاقبون بالتيه، ثم تقوم عليهم قصة نهاية النهايات، قصة النهاية التي تنطلق معهم حتى نبلغ هذه الساعة التي نحن فيها، مروراً بالحبیب المصطفى ومن كان من أنبياء، ويكون من شأنها ما يكون في قادم الأيام والأعوام.

### معية أصحاب المعية

المعية التي نتكلم عنها أيضاً لها خصوصية أخرى وهي معية صاحب المعية، يعني لا تكون معية مباشرة مع الله سبحانه وتعالى، هذا باب، ولكن ثمة معية أخرى تكون مصداق لوجود المعية الإلهية. كيف يثبت لك أنّ الله معك؟ أن تكون أنت مع الله ومع الذين استوجب الله عليك وفرض عليك أن تكون معهم وأن تُشرف بمعيتهم، فإذا شُرِفَ بمعيتهم وكنت معهم كانوا معك، فإن كانوا معك فالله معك. وهؤلاء لا يكونون مع ظالم، لا يكونون مع خائن، لا يكونون مع منافق، لا يكونون مع دجال مع كذاب،

وبراهين معيتهم جلية في العلم والحال والمقال، في الملمح في النظرة في الصوت، في كل شيء، إذا كانت هنالك معية ستشاهد المشاهد المبيّنة لوجود هذه المعية. وهذا ستجدون في أمة الحبيب محمد من تتجلى عليهم هذه المعية بتجليات عجيبة وعظيمة وبأسرار وأنوار من عند رب العالمين.

من علامات هذه المعية الكبرى (معية أصحاب المعية): الآية الكريمة ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ هؤلاء شُرفوا بأن يكونوا مع الحبيب محمد. ومن كان مع الحبيب محمد صادقاً مؤمناً مخبتاً مخلصاً، داخلاً من الأبواب المفروضة عليه ألا وهي باب سيدنا علي والسيدة فاطمة وسيدنا الحسن وسيدنا الحسين وأبواب آل البيت، من كان كذلك وعلى ذلك تحت الذراع الشريفة والذراع الشريفة، أي تحت الجناح المحمدي وجناح سيدنا علي الذي قال عنه النبي "من كنت مولاه فهذا علي مولاه"، تحت هذه المظلة، حينها سيكون حقاً مع النبي. ومن كان مع النبي كان النبي معه، ومن كان معه رسول الله وكان معه آل بيت رسول الله وكان معه الصالحون من خلق الله، حينها كان معه من ملائكة الله ومن أنس الله وكان معه الله سبحانه وتعالى.

الله لما يقول عن نبيه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ هذه معية، هذا إمداد وإسناد وجيش إلهي يأتي مع النبي عليه الصلاة والسلام. ويجعل في هذه المعية: الله وجبريل وصالح المؤمنين وهو بالحقيقة علي بن أبي طالب، لأن سيدنا علي أيضاً كان أنس معية إلهية لرسول الله. الحضرة العلوية هي معية ربانية، هو يد ربانية أعطيت لسيدنا رسول الله، سيف إلهي أسند لسيدنا رسول الله، ومعجزة من معجزات النبي سيدنا الإمام علي. ولذلك هذه المعية الخاصة المخصوصة نسأل الله من أنسها ومن سرّها ومن بركتها.

عندما نكون مع الصالحين يكون معنا الصالحون، عندما نكون مع آل البيت يكون معنا آل البيت، عندما نكون مع الأنبياء ومع الملائكة مع الأصفياء يكونون معنا. هذه المعية تشكّل نسيج ما نسميه "الحضرة"، الحضرة هي هذه المعيات، معية فمعية فمعية، وهذا باب علم المعية، أن تكون معية إلهية خاصة ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾، وأن تكون هذه المعية أيضاً معية فيها سر من أسرار الله، أن تكون هذه المعية نبوية محمدية، أن تكون أنت مع الله ومع رسوله ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾. عندما تجتمع هذه المعيات، تستأنس بقرب الله، تشعر بمدد الله، وإذا سألت الله أجابك، إذا دعوت لإنسان فإنّ الله يعطيه ببركة تلك الدعوة

لسر هذه المعية وتيقنك من وجودها، وإذا دعوت على إنسان وأنت صادق وهو ظالم فإن الله سبحانه وتعالى يُريك فيه العجائب.

### قول ألهمته في مقام المعية

ومن بديع ما ألهمني ربي في مقام المعية مع الصالحين وفي مقام المعية مع الله قولان كنت دونتهما منذ 16 عام، وأقول في أولها:

• "اللهم إني معك بك ومعك لك ومعك من أجلك، معك عليهم ومعك عليّ ومعك إلى أبد

### الآبدین"

لا تكون معيتك لله إلا بالله، بتوفيق من الله. ولا تكون هذه المعية إلا من الله، إسناداً من الله. ولا تكون هذه المعية في حقيقتها إلا في سبيل الله لا في سبيل نفسك، لذلك ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ يريدون وجه الحق سبحانه وتعالى، وهم لم يريدوه إلا وقد أرادهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ﴾، فإذا أرادهم كانت معيته لهم وكانت معيتهم له أنساً في أنس، فكان ذلك مجمع بحرین، بحر تكون المعية من الله لهذا العبد، وبحر تكون معية العبد لربه فيشعر بأنس الله ويكون الله معه ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ هذه كلها معيات، قرب وأنس واستئناس إلهي.

وإذا كانت هذه المعية بالله ومن الله سبحانه وتعالى، عليها أن تكون لله كاملة، أي أن لا يكون هذا الأمر من أجل أن يحصل الإنسان جنة وأن ينجو من نار، إنما أن يكون من أجل محبة الواحد القهار، من أجل محبة الله، من أجل رضوان الله، من أجل أن نتقرب زلفى إلى الله، من أجل أن ننال نظرة ربانية ونظرة محمدية، أن ننعيم بمعية مع رسول الله في جنة عرضها السماوات والأرض، وتكون تلك هي الجنة وتلك هي المنة، أن نكون مع نبي القرآن والسنة، أن نحظى بمعية علوية فاطمية حسنية حسينية زينية، أن نحظى بمعيات الأنبياء والأولياء والصالحين والكمّل والشهداء والصدّيقين وحسن أولئك رفيقاً. لذلك، نجد أنّ هذه المعية يذكرها الله سبحانه وتعالى "مع" وتكون مع النبيين ومع الصدّيقين ومع الشهداء ومع الصالحين ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصّٰدِقِينَ وَالشّٰهَدَاءِ وَالصّٰلِحِينَ﴾ مع هذه الدوائر ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾.

## المعية لها مصاديق في حياتك

هذه المعية الإلهية ﴿كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، أن تكون مع الصادقين مع الصالحين، أن تكون في معية الأئمة مع أهل الأئمة مع أهل الود مع أهل الصلاح. هؤلاء يرسلونك إلى معية أعلى، إلى معية سيدنا محمد، حتى تكون ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ ﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾. لما يكون النبي فينا ويكون معنا ونكون معه، يكون في قلوبنا في أرواحنا، ويكون معنا بنفحاته بأنواره بأسراره بسرّه بنظراته بأمداده، بهذه الأمداد المحمدية التي لا تتوقف أبداً، ولا يُمنع منها ولا يُحرم منها إلا محروم محجوب مخذول.

لذلك، لما نكون مع الصادقين، لما نكون مع العباد الصادقين، لما نهتدي لصراط الله المستقيم صراط العباد الذين أنعم عليهم، لما نكون في هذه المعية في هذه النظرة في هذه الحضرة، نرى من عجائبها وبديعها وغرائبها ما نراه بالعين تحقّقاً ونلمسه باليد تحقّقاً، ويكون لها مصاديق في حياتك كلها، في كل أمر يأتيك، سواء أمر عسير أو أمر يسير، إذا كنت في خير لم تُفتن بالنسيان، وإذا كنت في بلاء لم تُفتن بالخذلان.

ويكون من أنس هذه المعية استشعار لطائفها واستشعار لطفها الخفي، واستشعار الأيدي الإلهية والحنان الإلهي والدلال وأحوال السكر والفكر والشكر والذكر، هذه أبواب في أبواب من هذه المعية. حينها تُرشد بهذه الوفادة وهذا المقام، وتكون زمراً ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾، تكون مع الصديقين تكون مع النبيين تكون مع الصالحين تكون مع الشهداء وحسن أولئك رفيقاً. هذه الرفقة أيضاً معية، هؤلاء الرفاق إن لم ترافقهم في الدنيا لن ترافقهم في الآخرة، من لم يستشعر معية الحبيب المصطفى في الدنيا لن يُشرف بها في الآخرة، من لم يكن مع النبي في الدنيا لن يكون معه في الآخرة.

كيف تكون مع رسول الله؟ عندما تأتمر بأمر رسول الله، عندما تكون مع الله حباً وعندما تكون مع النبي حباً، وعندما تدخل الباب المحمدي من أبواب فرضها عليك الله ونبيّه أن قال لك "أهل بيتي سفينة النجاة"، تدخل على هذه السفينة تركب هذه السفينة، تكون مع الضامنة السيدة آمنة، تكون مع البهية السيدة خديجة، تكون مع الكوكب الزينبي، تكون مع باب المطالب سيدنا ومولانا أبو طالب، تكون مع أنس الله مع سيدنا عبد الله، تكون مع السر الذي مَنَّ الله رمزه سيدنا حمزة، تكون مع الذنب الذي يُغفر في سيدنا جعفر، مع أئمة آل البيت، مع الذرية الصالحة، تكون في أنس القادر بسر الشيخ عبد القادر، وتكون في نور الله الداعي والسر الساعي والعقل الواعي للعهد راعي سيدنا أحمد الرفاعي، وتكون مع السر النبوي عند السيد البدوي، وتكون مع أنوار تسري في العروق بالسيد الدسوقي، وتكون مع النور الذي شدَّ

لي والذي لدد لي مع الإمام الشاذلي، وتكون في أنس الله تسمر مع الشيخ عبد السلام الأسمر، تكون مع هؤلاء السادة أجمعين وتراهم وتستشعرهم.

يكون مقامك عند بلاءات الدنيا وكثرة أعدائها وحسادها الذين يناوشونك يميناً وشمالاً، أن تدرك ما لم يدرك سيدنا لوط في تلك اللحظة وهو يقول ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾، أن تدرك أنهم من خلفك وأنهم حولك وأنهم معك، وأن الله الذي أيد رسوله بجنود لم ترها الأعين ما زال يرسل تلك الأجناد بالأمداد التي تحتاج إلى استعداد وإلى إمداد.

مشاهد عديدة، عندما نمضي إلى مشهد قريب في مدينة "حديثة" والمؤمنون الصالحون الصادقون مع السيد أبو صالح الألوسي محاصرون من قبل إرهاب إجرامي يأتي بتمويل ودعم عالمي، وقد تقاعس الكثيرون وقد خذل الكثيرون وقد فرّ الكثيرون وقد سقطت المدن، وتُرفع الراية المحمدية وتأتي المعية المحمدية، ثم نمضي ونشهد بأعيننا على وجود هذه المعية في مجالس الذكر في مجالس الإنشاد في مجالس الانتصار مع المنتصرين في عراق الانتصار بعون الله تعالى. عندما نرى هذا الأُس وهذه المعية، حينها يجمع الله أبناء فاطمة، شمس بني هاشم يجمعهم بهذه المعية حتى يرسل من بينهم وفيهم ومنهم رجلاً يُجلّي عليه سر المعية الكاملة، يُجلّي عليه الذات والصفات، الأسماء اسمه العزيز واسمه القادر واسمه المقتدر واسمه المنتقم ويجلّي عليه اسمه الرحمن، يجلّي عليه المعية المحمدية الكاملة - التي ذاق من سرّها من قال:

"في حالة البُعد روعي كنت أرسلها \*\* تقبل الأرض عني وهي نائبتي

وهذه دولة الأشباح قد حضرت \*\* فامد يمينك كي تحظى بها شفتي"

هذه المعية التي استأنس بها سيدنا أحمد الرفاعي فقبل اليد الشريفة. - ستكون معية كلية مبهرة لهذا العالم، مذهلة للناس، مبهرة لهم لتظهر قوة الله الذي قال ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ﴾، عندما ﴿يَرُونَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾، عندما يدركون معنى سر قوله ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ﴾، عندما ﴿يُنَادِ الْمُتَّادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾، عندما تنزل أجناد السماء، وعندما تجلّي السماء بأمر ربها وتجلّي الأرض بأمر ربها بعظيم قدرة، عندما يُظهر الله ما أظهره من قبل ﴿قَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾، عندما نرى بسر الله ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ إِرَمَ

**ذَاتِ الْعِمَادِ**، ونرى ما حلّ بثمود وما حلّ بفرعون ذي الأوتاد، وعندما ذاك يتكرر كما تتكرر المآثم التي نُسخت استنساخاً، كُزرت كلها، فكما كُزرت فسنة الله أن تُضرب كلها بنفس المستوى، على ما كتب الله عليهم من زيادة يكون العذاب وزيادة، يكون ﴿وَلِلْكَافِرِينَ أَهْمَالُهَا﴾، هذه من أبواب المعية أيضاً.

المعية إذا لم تشعر بها في قلبك فعليك أن تدرّبه عليها ليلاً ونهاراً، أن تشعر بأنسها، أن يكون بينك وبين الله حال خاص، في لحظة نومك، في لحظة استيقاظك، عندما تغمض عينيك، عندما تمضي عندما تمشي عندما تأكل عندما ترى نعم الله، عليك أن تشعر بتلك المعية. حتى عندما تُذنب اشعر بالمعية بعد ذلك واستغفر، تجد الله معك يصحّح لك النية ويكسبك القضية. صَبِيَّ هذه النية، فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا صَفَى عَبْدًا صَافَاهُ، فإذا صافاه جعله صفيّاً، فإذا جعله صفيّاً وكان من الأصفياء صوفي فكان صوفياً، فكان على معنى المصافاة الحقيقية والتصوف الحق الذي ندعو إليه سُنِّيًّا سَنِيًّا محبّاً لآل بيت النبي، وإن كنا نتكلم الآن من مقام محمدي أكبر من المذهبية وأكبر من الطائفية، ولكن هي سمات مدارس ليس من جور ولا من حيف أن نقول عنها أو نذكرها.

### المعية في بطن الحوت

أحبابنا في الله إخواننا الكرام تلاميذنا الأعزاء، نحن عندما نحدثكم عن هذه المعية إنما كنا قد سلكنا سبلاً فجاءاً، وذقنا من بلاءات الدنيا، وكنا في مقام الفردانية ليس لنا إلا الله وليس معنا إلا الله، في بطن حوت في قلب ألم لا ينجّي منه إلا الله. وهنا عندما استشعرنا ببطن ذلك الحوت مرة فمرة فمرة، تذكرنا سيدنا يونس ورأينا سيدنا يونس وسرّ سيدنا يونس، وفيه نور وفيه سرّ وفيه بركة وفيه فهم ودرس.

هذا ذا النون عندما يمضي غاضباً، وعندما يمضي في هذا المركب، وعندما يُلقى في بطن الحوت ليُريه الله سبحانه وتعالى الحي الذي لا يموت درساً عظيماً عن المعية. أنت الآن وحدك في اليم، أنت في ظلمة الليل، وأنت في هذه الرياح العاصفة وهذه العواصف القاصفة، وهذه الأمواج القاسمة وهذا العواء المستمر من حولك لهذا الماء الذي تحول كذئاب مائية، وهذا الموج الذي يكسر الجسم، وهذا الحوت الضخم الكبير الذي أنت في ظلمة ليل وظلمة سحاب وظلمة بحر وظلمة ما في البحر وظلمة الحوت وبطن الحوت، ظلمات بعضها فوق بعض. ولكن سيدنا يونس عندما ألقى هنالك لم ينسَ ربه ولم ينسَ نفسه، لم ينسَ أبداً أنّ الله بعثه وأنّ الله معه، وأنّ الله لا يُحجب عنه شيء ولا يمنع شيء ولا يعزب

عنه شيء، وأنه مطلع على كل شيء، وأنه منه قريب وله سميع مجيب. ولم ينسَ أن الله بعثه، وأنه يحمل مصباح الله في قلبه، يحمل سر النبي محمد وأسرار الصالحين في صدره، لأن الشفعاء هم آل بيت النبي والنبي عليه الصلاة والسلام.

عندما كان في ذلك المقام، تجاوز مقام "لا إله إلا الله" نفيًا وإثباتًا بالقياس إلى أن كل شيء يُثبت أن الله واحد، وتجاوز سياق "لا إله إلا هو" إخباراً عن حضرة الله بعد رؤية أنس الله ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، إنما مضى إلى معية أعظم ومضى إلى أنس أعظم وإلى سر أقدم وإلى أمر أضخم وأفخم، مضى إلى وجه الكريم الأكرم ﴿رَبِّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، مضى إلى مقام آخر.. من تلك الظلمات أشرقت شمس قلبه، في ذلك المقام في تلك الوحدة في تلك الوحشة في ذلك الحصار في ذلك الألم في ذلك الليل الذي فيه ليل وفيه ليل وفيه ليل، ظلام في ظلام في ظلام، استشعر هذا الأُنس وهذه المعية، فقال "لا إله إلا أنت سبحانك" ﴿فَتَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. من اتَّهم هنا؟ لم يعاتب ربه، لم يتَّهم الحوت، لم يتَّهم القوم الذين أرسل اليهم فأبوا أن يسمعوه، لم يتَّهم القوم الذين اقتسموا وألقوه في البحر ظلماً وهم يظنون أن ذلك ينجيهم من غرق، لم يتَّهم البحر والليل، لم يتَّهم الموج والعاصفة، اتَّهم نفسه وهو نبي معصوم، قال ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

هذا درس لنا جميعاً، نحن دائماً نتَّهم الظروف "أنا مسحور لا أستطيع أن أنجح، أنا مسحور مرصود لا أستطيع أن أنجح في علاقة أو في شيء أو في زواج أو في عمل، أنا في عالم فيه أزمة لا أستطيع النجاح، أنا نفسي غلبتني ولكن الشيطان لبسني والجن لبسوني والناس أقنعوني بهذا وجاري فعل ذاك" وهكذا هكذا.. نعم المحيط مؤثر، نعم الظروف مؤثرة، نعم للنفس أن تؤزّ في ابن آدم، نعم للشيطان أن ينزغ، نعم للمحيط الذي يحيط بك مؤثرات، لذلك الله قال ﴿كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، لكن هذا لا يبريء ذاتك الداخلية، لا يلغي عنك المسؤولية.

لذلك لم يقل قول السيدة زليخة وهي قالت ﴿وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ وقد صدقت، هذا مقام النفس، لكن سيدنا يونس مضى إلى ذاته ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، أنا أنا وليست نفسي، أنا في ذاتي ظالم. لماذا "إني كنت من الظالمين"؟ لأنني يا رب غادرت دون استئذان، لأنه على قدر القرب يكون العقاب أشد أو تكون الملامة أشد، لأنه في مقام قرب عظيم جداً. لم يكن يقصد ﴿فَطَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ لا يعني القدرة، بل ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ أي لن نؤاخذه بذلك.

## خاتمة

فهذا سيدنا يونس في هذه الظلمات ﴿نَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، هذا درس عظيم في استشعار المعية في الأيام الصعبة والأيام الشديدة والشدائد التي ستأتي لهذا العالم ستحتاج إلى هذا النداء ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. هذا النداء سيحتاج إليه في قادم الأيام وقليل الأعوام القادمة حتى يفرج الله على أمته وعلى خلقه الطيبين. نحن نحتاج إلى الأمداد والمعية الإلهية، نحتاج لاستشعار هذا الأُنس الإلهي الرباني هذه المعية العظمى التي استشعرها سيدنا إبراهيم وهو يُلقى في النار "هل لك حاجة؟" يقول له سيدنا جبرائيل، يقول "أما لك فلا، اللهم علمك بحالي يغني عن سؤالي". هذه المعية تجدها في دموع المصطفى في الطائف وقد رمي بالحجارة ويناجي ربه ويناديه ويقول له "لمن تكلي لمن تدرني لمن تتركني؟ ويشكو ويبكي، ويقول له "إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي".

هذه معية سيدنا علي وهو يقترب منه قاتله وقد عرف بالأمر وأدرك أنه في ذلك اليوم، ولم يقم بحركة مراوغة ولم يمسك السيف، إنما انتظر أن يتم الله أمره وقال حينها "فرتُ ورب الكعبة". هذه المعية التي يستشعرها الإمام الحسن وهو يحتضر وقد دخل عليه الإمام الحسين وقال: "كيف أنت يا أخي؟ قال: أنا كما ترى، في أول أيام الآخرة وآخر أيام الدنيا، وا حزني على فراقك وفراق الأهل والأحبة"، يغمض عينيه هنيهة ثم يقول وقد فتحهما "أستغفر الله من هذا الكلام، بل واشوقاه إلى أبي وأمي وجدي"، عندما يقول هذا الكلام يكون قد اطلع ورأى ونودي وخوطب ودعي ورأى مقامه الكريم الحميد، فترك الدنيا لأهلها. هذه المعية يستشعر بها سيدنا علي وقد بكت ابنته أم كلثوم بعد أن ضرب ضربته التي استشعر فيها فتقول "وا حزني عليك يا أبي" فيقول "لا حزن علي أببك بعد اليوم"، ونحن في هذه الذكرى من ذكرى استشهاد عليه السلام فداه نفسي وروحي وأهلي وكل ما أملك وكل هذه الدنيا. المهم هذه معية، وإن كان في حرقة سيدنا الحسين وهو يقول "من لنا في هذا اليوم؟ من يزود عن حرمان رسول الله؟" ولكن والله كان الله معه، وكان النبي معه، وكانت أمه، وأبوه وأخوه كانوا معه، كان الأنبياء معه، وكانت أرواحنا في سابق العهد معه، وكان كل جندي يحمل سلاحه معه، ولكن الله أحب أن يراه شهيداً، لأمر عنده لديه، وحكمة مَرَّةً عندنا، ولكن الله أعلم والله أرحم والله تعالى أعز وأكرم.

إنها المعية التي ندعوكم إليها لتشعروا بأنسها، كما نشعر بأنسها، ولتروا من جناها عجباً، ومن ثمارها علماً وأدباً، ولتُنزَع عنكم الحجب بعد أن تكاثفت حجباً، ولتجدوا إلى الله ورسوله وآل بيته والصالحين سبباً

﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾، فُتْتَبِعُونَ السَّبَبَ خَلْفَ السَّبَبِ، بسر النور والعلم والأدب، وبأن تكونوا موصولين بموصول، وكما قلت لكم من قبل: "الموصول بالموصول موصول، والداخل بالمقبول مقبول، ومعرفة المفتوح عليه فتح، ويحتاج السر سرّاً لفهمه". دتمتم في معية الله سبحانه وتعالى.

كان من الجنى الثاني أردت أن أذكره من الحكمة في المعية: قول كان في قلبي وأنا أنام في جوار ضريح سيدي محيي الدين ابن عربي بعد أن جئت مرهقاً من دير الزور في رمضان المبارك وقد ظمئت شديداً، فسمعت في قلبي من حضرته الشريفة في رؤيا من الرؤى وأنا حينها بين يديه الكريمتين "إذا وجدت الصالحين فطر، طر معهم أو طر حولهم أو طر بهم". طر في آفاق الله، طر بهم إن كنت متوسلاً بهم، وطر حولهم خادماً لهم، وطر معهم إن كنت واحداً منهم، فأنت تعيش في هذه المدارات. أن تعيش مع النبي عليه الصلاة والسلام أن تكون معه وأن تكون حوله وأن تكون حياً به، حوله في سيرته، ومعه عندما ترى معه وتنظر من عينه، وبه عندما يكون نفسك ونفسك. وهذا كنت بسطته في درس في مدرسة الإمام الشاذلي بدمشق تجدونه إن شاء الله، ولنا بسط آخر ولنا وصل آخر.

جزاكم الله خيراً على المتابعة، بارك الله في أيامكم، هذه العشر الأواخر المباركات إلتمسوا فيها ليلة القدر ليلة خير من ألف شهر. غداً لنا ندوة حول تولية الإمام الحسن عليه السلام، من كان يتابعنا من أحببنا المشائخ من أراد أن يشاركنا في ذلك فأهلاً وسهلاً به، وأبناء المنارة جميعاً إن شاء الله هذه المدرسة العظيمة التي تظهر وتُبهر بحول الله تعالى نريدكم أن تشاركوا معنا، بين مقام ألم في الحقيقة باستشهاد الإمام علي ومقام فرح بتولية الإمام الحسن. ولا بدّ أن نذكر الإمام الحسن لأنّ الإمام الحسن مظلوم، يُذكر لماماً وقليلاً وهو إمام عظيم وذو مقام عظيم وسيد أبي ونقي وتقي، وقل عنه ما تريد فهو فوق ما تقول عنه، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الدرس بتاريخ : 2023-04-11





## نفحات رمضان: خير من ألف شهر

كلام في مقام الفضل والأفضلية، وتدبر في الأفضلية المحمدية

### مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين القوي المتين، الذي أظهر الحق ونصر الدين، وهدى العباد إلى سبيل اليقين، وشرف الخلق بسيد الأولين والآخرين، سيدنا محمد الهاشمي الصادق الصدوق الأمين، صلى الله عليه وعلى آله وسلّم تسليم المحبين، وقدّسه في القديسين والصدّيقين، وشرفه مقاماً على من بعث وابتعث من النبيين، وجعله خاتم المرسلين وسيد خلقه أجمعين. وصلى الله على سيدنا محمد نبي الهدى ونور المدى، الذي جاهد في الله حق الجهاد وما ضاع سعيه سدى، أكرم من مشى على الأرض وخير من هدى، وأعظم مخلوق من به كل طيب وخير اهتدى، المبعوث بلا مِرَا في أم القرى، حبل الله موصول العرى، الذي قام الليل إلا قليلاً منه ولم يركن للكرى، والذي ما كذب على ربه وما افترى، النبي الذي أحبه الله وأيّده الله، فصلى عليه الله، وعلى آل بيت رسول الله أبواب الله إلى الله وأشرف وأفضل خلق الله.

أحبابنا في الله، في هذه الليلة المباركة الرمضانية ليلة السابع والعشرين من رمضان المبارك، نقرئكم السلام والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته. حياكم الله وأهلاً وسهلاً بكم في هذا الموعد الذي نخصه لليلة القدر مجدداً، تحت عنوان "خير من ألف شهر". ويسعدنا ويشرفنا أن يحضر بيننا أخ عزيز وصديق مقرب الشيخ المهندس هشام الفزاني المشرف العام على منارتنا بليبيا، الرجل الذي أخلص معنا المسير

وكان له علينا فضل كبير، وكان فضل الله علينا جميعاً كبيراً، فالحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً. وحيثما كان الله كل أبناء المنارة المدرسة العلمية العرفانية الفكرية التي تتميز يوماً بعد يوم، ويظهر فرسانها ويظهر برهانها ويُجلى ميدانها ويُكسب رهانها ويُخذل أعداؤها بحمد الله، فإن الله سبحانه وتعالى ينصر الحق بأهل الحق، وينصر الحق بالحق، وهو أحق أن يُتبع ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾. فالحمد لله الذي وعدنا وعداً أتمه، ووعدنا وعداً سيُتمه هو أعلم به، وهو الجامع جل في علاه.

## ﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾

### 1- ﴿خَيْرٌ﴾: فضل وأفضلية

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ لها مقامات كثيرة، حسب إطار الكلام الذي نتكلم عنه، وحسب إطار الكلام الذي نتكلم فيه، وحسب إطار الكلام الذي نتكلم حوله. أي أنّ هذه الليلة المباركة لها معانٍ ومبانٍ، وأنّ هذه الآية العظيمة لها أطر، من حيث يمت وجهك ومن حيث حدقت نظرك ومن حيث أخلصت بلبك وفكرك ستجد لها معنى غير الذي سبق.

ففي مقام ﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ نجد سرّاً من أسرار الله، وهذا السر يورده الله سبحانه وتعالى جلياً في قوله ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ ﴿نُفِضَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ﴾ ﴿تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ﴾، هذا التفضيل وهذا التخصيص وهذا التنصيص ضمن ما يُسمّى بـ "علم التخصيص والتنصيص" أي ما هو مُخصّص ومُنصّص، وما هو مخصّص غير مُنصّص، وما هو مُنصّص وغير مُخصّص. أي:

- هنالك نص عام لا يختص بنوع واحد ولا فرد واحد ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾
- وهنالك نص خاص ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾
- وهنالك تخصيصات غير مُنصّصة، أي لها أسرار لا توجد في الكتب، كقول الخضر ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ و ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ وقبل ذلك ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا زُجْرًا﴾، فهذه الإرادات وهذه الأفعال تخصيص إلهي خصّ به الخضر عليه السلام، لم يجد سيدنا موسى فيما نُصّ في شريعته نصاً يُبيّن حقيقة ذلك، فحكم بالشرعية وكان حكمه ضيقاً، وكان الحكم الخاص أوسع.

إذن هذا الحكم إذا طبّقناه على ليلة القدر وأنها خير من ألف شهر، ثم وسّعنا المعنى إلى معنى التفضيل والأفضلية والفضل، سنرى في ذلك آيات بيّنات، نسمو ونسري من خلالها لفهم مقاصد ومرامي آخر من هذا الكلام الإلهي العظيم. ذلك أنّ كلام الله حمّال أوجه وحمّال معانٍ وحمّال بواطن وحمّال أكثر من زاوية يمكن أن يُنظر إليها، لا يعني ذلك أن نلوي أعناق الآيات، ولا يعني ذلك أن يتكلم أحدهم بالترهات أو يقول على الله ما لم ينزل، إنما يكون ذلك على علم بالناسخ والمنسوخ وأسباب النزول والتفسير والتأويل ولغة العرب ولسانهم ومجازهم وإعرابهم واستعارتهم وتشبيههم ومدارات لغتهم وكلامهم، مع ما يكون من نفحة من الله في صدر عبد من عباده تُزلي له بواطن المعاني وتُظهر له حقائق المباني وتُبين ما خفي، ويصدر عنها سر وفضل وبركة وكلام ونظر وتصديق وتحقيق.

﴿حَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ تحمل معنى الأفضلية وتحمل معنى الفضل. فهي بفضل الله، الذي أجرى فضله على تلك الليلة، وأدار فيها من أموره وأسراره، وأفاض عليها من بركاته وأنواره، ونزل فيها قرآناً يحمل من حقائق أخباره، ونزل أنواراً من خلف ستاره، ونزل ملائكة وروحاً، وجعل فيها نفحاً وفتوحاً، وباباً مفتوحاً مسموحاً، وجعل أمراً وخبراً وسراً ممدوحاً. ذلك أنّ الله عندما فضّل وتفصّل، فضّل بتفصّل من عنده، ففضّل هذه الليلة وشرفها بسر ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾. وهذا النزول نزولات: نزول الروح المحمدي، ونزول القرآن العظيم، ونزول قائم آل البيت عندما يكتمل، وكذلك نزول الواردات الإلهية.. ولكنها على وجه تخصيصها عُني بها نزول القرآن العظيم على صدر النبي العظيم بالملك جبرائيل العظيم من عند ملك الملوك العظيم بالنبا العظيم والخبر العظيم والقول الفصل العظيم والإنباء عن الأمر القادم العظيم فيما يكون من سر ربنا سبحانه وتعالى وهو العظيم. فهذه التعظيمات وهذه المقامات العظيمة مُدمجة مُدرجة في بعضها، مطوية مخفية عند رب العالمين، يُبديها لمن أراد ويُخفيها عن من شاء. هذا الإنزال وهذا الإمداد وهذا النفع فيها قدر، وهذا القدر له سرّ ينبع في الصدر، هذا القدر إنما يُعنى به "معرفة مقادير الخلق".

## 2- ﴿مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾

فإذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يبيّن شرف ليلة من ليالي خلقه، من ليالي الزمان الذي خلقه سبحانه وتعالى، والذي تعالى عليه كما ننصّ دائماً في العقيدة أنّ الله لا يحويه مكان ولا يطويه زمان، محال أن يكون في الأين وقد خلق الأين، ومحال أن يكون في ظرف زمان وقد خلق الظرف والزمان. لذلك من قالوا أنّ الله في السماء جهلوا الله وجهلوا السماء، فكيف يكون الخالق في خلقه خلقه؟ وأين كان قبله؟ وإذا

كان الخالق مُحْتَوَى في مخلوق -وقد عُلِمَ أنّ المُحتَوَى أعظم من المُحتَوَى- تكون السماء أحاطت بربها وكانت أعظم منه، والله بكل شيء محيط ولا يُحيط به شيء.

• كل ما تصوّرت الأفهام وكل ما توهمت الأوهام وكل ما خطر ببالك، فالله غير ذلك.

الله سبحانه وتعالى فضّل هذه الليلة وشرفها حتى جعلها خيراً من ألف شهر. وهذه الألف من الأشهر هل هي خيرٌ من ألف شهر من الشهور العادية أم أنها خير من ألف شهر من شهور رمضان المعظم؟ أي شهر عتّى الله سبحانه وتعالى، هل شهر من أشهر السماء والتي يومٌ فيها بخمسين ألف عام أو بألف أم أنها من أشهر أهل الأرض؟

إذا كان الورود ونزول هذه الآية من فوق السماوات، فلعلها تعني **بالأساس أزمنة السماوات**، أي أنها تعني الأزمنة الإلهية والأشهر الربانية. فإذا كانت ليلة القدر المفردة خير من ألف شهر من أشهر اليوم فيها بخمسين ألف سنة مما نعدّ، فكيف بأيامنا وأشهرنا؟! وهذا باب للمعنى يمكن أن يكون صحيحاً، فلا توجد قرينة تمنع من تحقيقه، وكذلك لا يوجد ما يمنع أن يكون ذلك بالتعداد البشري الزمني أن تكون تلك الليلة خيرٌ من ألف شهر من أشهر الدنيا وأشهر البشر. ولكن بما أنّ الأمر يتعلق بالقدر ويتعلق بالإنزال ويتعلق بتنزل الملائكة والروح، فإنها أليق وألصق وأوثق أن تكون من أشهر السماء، من أشهر يومها بخمسين ألف عام، فضارب ذلك ما يكون حتى نجد الشهر.

ثم تكون الأفضلية في أنقى وأرقى الأشهر، فإننا إذا فضّلنا أمراً نختار أن نفضّله على الأفضل ولا نفضّله على المفضول، فإذا قلنا "هذا أفضل الفرسان" فقد فضّلناه على الفرسان ولم نفضّله على الذين ليسوا بفرسان. فإذا قال الله سبحانه وتعالى أنها "خيرٌ من ألف شهر"، لا بدّ أن تكون الأفضلية على أفضل الشهور، أي يكون التفضيل على المُفضّل لا أن يكون التفضيل على من هو دون ذلك. فتكون ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر من أشهر رمضان الذي نحن فيه، فتكون الليلة خيراً من ألف من شهر هي فيه وهي منه، فهذا من عجيب الأمر وهذا من عظيم الأمر. وسواءً كانت خيراً من ألف شهر من أشهر رمضان السماوي الذي اليوم فيه بخمسين ألف سنة أو من رمضان هذا الكوكب، فإنّ ذلك فضل عظيم.

## ليالي القدر المحمدية

ويُستسقى من هذا، إن كان هذا شأن الأيام فكيف بشأن الذين جعل الله من أجلهم الأيام، وكتب بهم ولهم الأيام، وفضل فضلهم فتفضلت بهم الأيام، الذين وجودهم في هذا الكون والملكوت أيام خير؟! ﴿وَسَلَامٌ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ فضل الله هذه الأيام في حياة سيدنا عيسى فجعل السلام عليه يوم وُلد وجعل السلام عليه يوم يموت وجعل السلام عليه يوم يُبعث حياً، وكذلك قال الله في شأن يحيى نفس الأمر أنه سلام عليه يوم وُلد وأنه سلامٌ عليه يوم يموت وأنه سلامٌ عليه يوم يُبعث حياً. فكيف بسرّ الأيام المحمدية، والأيام العلوية الفاطمية الحسينية الحسينية، كيف بسرّ هذه الأيام التي تسمو على الأعوام؟! كيف يكون اليوم من أيام سيدنا رسول الله ﷺ؟ كيف يكون يوم مولده؟ **إنّ يوم مولده ﷺ فضل على سائر الأيام، وعليه فيه سلام من رب العالمين السلام، وكذا يوم يموت وكذا يوم يُبعث حياً.**

وهذا التفضيل والتشريف للأيام المحمدية يمضي إلى سائر أيامه وأعوامه، فكل يوم عاشه سيدنا رسول الله وكذا آل بيته وكذا الصالحون من الأنبياء من قبل ذلك وممن صلح من أصحابه ومن خلق الله من ذريته من أقطابهم وأوليائهم، كل يوم من هذه الأيام بسائر أعوام الناس، بسائر أيام الناس. أي يوم يُطوى وأي يوم يُجلى وفيه سيد الخلق قائماً بين الناس يتنفس هواءً، لم يتنفس أحد أشرف منه ذلك الهواء، ويمشي تحت سماء لم يمش تحت سقفها أحد خير منه، ويسعى على أرض لم يسع على وجنتها وعلى ترابها أحد أشرف منه، وتشرق الشمس على وجه لم تشرق الشمس على وجه أنور ولا أضوء ولا أحب إلى الله منه، وتظلم الليالي على مخلوق لم يخلق الخالق ولم يبرأ البرأى ولم يفطر الفاطر سبحانه مخلوقاً أعز وأحب وأقرب إلى ربه منه ولا أعز على ملائكة الله منه ولا أحب إلى أنبياء الله وخلق الله الصالحين منه.

هذه الأيام في طيّها وفي سرّها أيام قدر. كل ليلة من ليالي الأنس المحمدي، كل ليلة كان فيها في بطن أمه كانت ليلة قدر وكانت خيراً من ألف شهر، كل ليلة كان فيها رضيعاً يحبو وكان فيها طفلاً يسعى وكان فيها شاباً فتياً ينبض بالحياة وكان فيها كهلاً تفيض منه الحكمة، وكان فيها في غار حراء، وكان فيها زوجاً صالحاً وولداً صالحاً وأباً صالحاً، وأميناً مُصلحاً صالحاً، ثم ضُمَّ بالضمّة فالضمّة فالضمّة، فكان الذي سرى الله فيه بنوره -أي سرى سر الله فيه بنوره، كقوله "كنت يده التي يبطش بها"، فيكون ذلك على معنى المجاز أي كنت قوة في يده- فسرى سرّ الله فيه وسعى نور الله فيه، فزملوه ودثروه، ثم مضى يسعى داعياً إلى

ربه.. كان كل يوم من أيامه بحزنه بألمه، في آلامه بالطائف، في حصاره في شعب أبي طالب، في نظره إلى آل ياسر يُعدّبون، في هجرته وفي جلسته في ذلك الغار والحمامة والعنكبوت قد نُقذت المهمة الإلهية وتنزلت الجنود عليه، في أيامه ببدر معتزلاً بعلي وبحمزة، في يومه بأحد باكياً على عمّه وقد ضُرب وأُدمي كما أُدمي في الطائف، في أيامه في خيبر يرفع يد علي ويقول "لافتي إلا علي"، في أيامه عندما حاصره الأعداء في الأحزاب وبنى الخندق وخرج الإيمان كله للكفر كله (خرج علي لعمر بن ود)، في أيامه حتى آخر أيامه وحتى آخر آلامه وحتى آخر ما كان من بلاءات الدنيا عليه، حتى يلفظ أنفاسه على صدر الإمام علي، وقبل ذلك فاتحاً لمكة وقد جعل علياً على كتفه يهدم أصنامها ويضرب ظلامها، ثم وقد سعى الحسن والحسين على كتفيه الشريفين، ثم عندما ينزل وحي الله عليه ويُنزل الله عليه الأنوار، ثم في إسرائه وفي معراجيه وفي ذلك اليوم العظيم وتلك الليلة العظيمة، وفي نزولات القرآن عليه يوماً بيوم، ولقاءاته مع سيدنا جبرائيل.. **كل ذلك خير من مليار شهر، كل ذلك خير من الدهر.** إنّ أيام النبي خير من كل الأيام التي خلقها الله، إنّ الأيام النبوية إنما هي أيام إلهية.

### قدر صاحب القدر

وإنّ ليلة القدر لخادمة لصاحب جلال القدر، إنّ ليلة من ليالي الله لا تكون خيراً من رسول الله الذي شرفه الله فكان خيراً من الأمد والأبد وكان خيراً من الدنيا وما فيها، بل ما خلق الله الدنيا وما فيها إلا لأجله، ولا جعل ذلك الأبد المؤبد في جنته إلا حباً وكرامةً لعينيه، ولا عدّب من عدّب إلا لخروجهم من قلبه الشريف ومن رحمته العظيمة، لأنّ الله جعله رحمة للعالمين، فمن خرج من العالمين من تلك الرحمة فهو الشقي في الأولين وفي الآخرين.

إنّ قدر سيدنا رسول الله إنما مطويّ في سر ليلة القدر، لأنه عظيم القدر مشروح الصدر وطلعة البدر، فكذا زهراؤه وحوراؤه، وكذا وصيّته وولّيته، وكذا ريحانتا فؤاده، وكذا الذين هم أصوله والذين هم فروعه، وكذا المتفرعون من الفروع، وكذا الأصول للأصول من أنبياء الله ومن خلق الله، هذا الفضل من الله يؤتيه الله لمن يشاء.

وهذه السلسلة التي تكلمنا عن أعلاها قد تكلم أدناها، لأننا نحن في أدناها ونحن في أضعف مستواها، ولكنّ ضُعب المستوى الذي هو نابع من حقارة هذه النفس إنما أيضاً يطلع بشمس الروح العظيمة من

شمس تلك الروح العظيمة، إنعكاس شمس على شمس وإلتماس سر من سر ووراثة صدر إلى صدر ونيابة ونوبة عن حضرة المصطفى بياناً وبرهاناً وقولاً وفصلاً. فذلك يسقي خمرها ويعرف أمرها خضر الأرواح عليه السلام، يُشرف على السلسلة فينقل أسرارها ويُظهر أنوارها ويعطي أخبارها، ويمضي بين الإشارة والعبارة والبشارة حتى يُتمّ لنا هذه المنارة. إنّ هذه المنارة التي نحن نتكلم عنها ومنها وفيها، لها من شرف تلك الليلة، ولها من شرف صاحب تلك الليلة.

**إنّ ليلة القدر جعلت لسيد القدر،** وإنّ الذي لم يعرف قدر صاحب القدر وعظيم قدر صاحب القدر، وأنّ كل يوم من أيامه خير من الدهر ومن ألف شهر، وإنّ الذي لم يعرف قدر الذين رفع الله قدرهم وجعل الصراط مكتوباً باسمهم ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، وقد أنعم الله على نبينا بنبينا، وعلى نبينا بفاطمته وعليه وحسنه والأصول والفروع، يشمل ذلك الأنبياء والأولياء والخلق المجتبيين، وكل صدّيق وكل أمين وكل شهيد وكل مُراد مُريد من حضرة القدس الأعلى.. كل ذلك يُبيّن قدر المصطفى ويُظهر قدر المصطفى.

### نمضي إلى رسول الله

فمن لم يعرف هذا القدر العظيم وهذا الجلال العظيم وهذا الجمال العظيم، ولم يهّم بحب محمد العظيم، ولم يكن له في قلبه محبة لزهرائه وعليه، ولم يكن في قلبه محبة لآل بيته الطيبين الطاهرين، ولم ينظر إلى كل شيء من خلالهم، ولم يدخل إليهم بسر الله وانكسار القلب وحب الصالحين وخدمة الخلق والرأفة بهم، ولم يدخل بهم على سيدنا محمد، ولم يدخل بسيدنا محمد على رب العالمين متوسلاً يسترضيه ويناديه ويناجيه ويسأله في هذه الليلة وفي كل ليلة:

"اللهم بحق هذا النبي الكريم،

بحق هذا النبي العظيم،

بحق ابن أمنة،

بحق الذي نفسه أمنة،

بحق الذي أمه فينا ضامنة،

بحق هذا النبي الأكرم،

بحق هذا الإنسان المقدّس المبارك،

بحق سره ونوره ومقامه وقدره وشرفه وروحه وذاته وصفاته وحياته ومماته وفنائه فيك..

إلا رحمتنا وغفرت لنا وتقبّلتنا،

ورفعت مقامنا وهديت إمامنا،

وأظهرت لنا مقامنا وأريتنا مقامنا عندك في مقعد صدق عند عزيز مقتدر،

وأسمعته كلامنا وأبلغته سلامنا

عاجلاً غير آجل الآن بثاً من عندك يا رب العالمين"

متوسّلين مستشفعين إليه برب العالمين، مستأنسين بسر الله، متنورين بنور الله، نناديه:

"يا رسول الله،

بحق من بعثك وحق من خلقك،

وجاه الذي يحبك وتحبه،

إلا قبلتنا في روضة قلبك وفي رياض روحك،

وفي أنسك وفي شرف نظرتك،

وفي شرف عينيك ونورك وسرك يا رسول الله،

وأن نكون خادمين بين يديك،

وأن نأتي إليك لا بنورانية الملائكة بل بحالة الطين،

ب "فَرّوا إلى الله" بهذا الفرار،

نحن أتينا إليك لا بحالة الإنصاف إنما بظلمنا لأنفسنا"

لأنّ رب العالمين أرسل إلينا الإشارة وقال ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾، ونحن بحمد الله هُدينا إلى هذا الباب، فجئنا بظلمنا لأنفسنا، جئنا بهذه الذنوب الطينية، بهذه الظلمات النفسية، بهذه السيرة والمسيرة، مستغفرين، لا نرى لأنفسنا إحساناً، فكل حسنة جاءت منا إنما أنبأت عنا من عند حضرة الله سبحانه، فهو الذي أحسن إلينا فألهمنا الإحسان فبدونا محسنين، فلا حسنة لنا على وجه التحقيق والتصديق، وكذا قلتُ في سرّ سيدي البدوي: "نظرتُ إلى حسناتي فلم أجد إلا إحسانه إليّ فلا حسنات لدي".

هذا المقام الذي نحن فيه نمضي فيه إلى سيدنا رسول الله، بسر ليلة هي خير من ألف شهر، بسر فاطمة هي خير من ألف إنسانة، بسر عليّ هو خير من كل هؤلاء الذين خلقهم الله إلا رسول الله لأنه قال "أنت مّي بمنزلة هارون من موسى". فهذه السيادة الإلهية وهذه المنزلة الربانية وهذا الأُنس، وهذان السيدان الأنوران الأملحان الأصبهان الأبطحان الأفضحان، اللذان هما نور الله الأصبِح، وهما الوجه الأملح، واللسان الأصبِح، والنفوس الأسمَح، وهم الصبِح الأبلج إذ أصبِح، هؤلاء حيثما سار السر وحيثما سعى وحيثما مضى وحيثما غدا وحيثما أصبِح، إنما بهم نُنفِج وبهم نُمنح، لأنّ الله أمر النبي بحبهما فقال صلى الله عليه وعلى آله: "إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِحُبِّ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ"، ثم بشر المحبين فقال: "وهما في الجنة، ومن أحبهما في الجنة".

حال من يرفض الوسيلة المحمدية

إنّ الذي لم يعرف هذه القواعد ولم يعرف هذه الأسرار ولم يعرف هذه الأخبار، صلى التراويح صلى التهجد، صام قام، صلى خلف الإمام، صلى ألف ألف عام، فاق إبليس إذ صلى في جنح الظلام، وإذ صلى ولم ينطق آدم بالكلام، وإذ صلى في أرض الله ثم صلى في السماوات مع الملائكة الكرام، ثم طوي أمره في لحظة رفض فيها الوسيلة الآدمية. إذا كان حال الذي رفض الوسيلة الآدمية في لحظة سجدة واحدة لرب العالمين أمره بها فرفضها وامتنع منها وجحدها فصار شيطاناً رجيماً، فكيف حال الذين

يرفضون الوسيلة المحمدية؟! وما خلق الله آدم إلا لمحمد، ولا غفر الله لآدم إلا بسيدنا محمد وآل بيت سيدنا محمد ﴿فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾.

كيف يكون حال الذين يرفضون هذه الوسيلة المحمدية؟ كيف يكون حالهم؟ إنهم أتعس من الشيطان. كيف يكون حال من يرفض وسيلة فاطمة وعليّ وهما باب الله الجلي، وباب كل ولي إلى الولي، وكل ذي قدر علي إلى ربنا العلي، بل هم الباب الباب إلى حضرة النبي؟ وكيف حال من يرفض جاه السبطين الأنورين وجاه أهل الجاه من آل بيت النبي، والذين هم أبواب الله، وأبواب الأنبياء إلى الله؟! بهم توَسَّل الأنبياء والأولياء والملائكة المقربون الأصفياء الأوفياء.

من رفض هذه الوسيلة ليس له من حيلة، لن يجد إلى ربه سبيله، ولن يُشفى غليله، ولن يهتدي دليله، فقد ضاع دليله وضبيح في التيه دليله، إنّ المسألة دون سيدنا محمد وآل سيدنا محمد مستحيلة. إنّ الله سبحانه وتعالى لن يقبل أحداً إلا من هذا الباب ومن هذا الجنب، هؤلاء أبواب الثواب، المُتَّجُونَ من العذاب والعقاب، الذين كانوا أسياداً وآدم ما زال لم يُعجن جسده من التراب. فسيدنا رسول الله عظيم الجاه في سر ﴿حَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ أفضلية وتفضيل من رب العالمين، وفضل من الله على من أراد الله. الذي لم يعرف هذا، أتعبت نفسك يا هذا، في جوع يومك وحرمانك، وفي صلاتك بالليل مع الناس وأنت تمضي مُعَطَّر الثوب ولم تُعَطَّر قلبك، قد نزعت الشوب من ثوبك ولم تنزع الدنس من قلبك.

إنّ عدم حب رسول الله، إنّ استنقاص عمّه أبي طالب، واستنقاص أمه وأبيه ونسبة النار إليهم، وإنّ استنقاص قدر سيدنا عليّ وأمنا فاطمة وسيدانا الحسن والحسين، بل إنّ كره أولياء الله وكره آل بيت رسول الله وتعظيم بعض الصحابة فوق آل البيت وجعلهم أفضل منهم، إنّ كل هذا عنوان حجاب وعنوان حرمان. إنّ كل الصحابة أمروا جميعاً بل شرفوا بالأمر أن يكون علي مولاهم وأن يدخلوا من باب حِطَّة آل البيت وأن يركبوا سفينة آل البيت، لنص قول الحبيب المصطفى بينهم وهو فيهم "مثل آل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك" "مثل آل بيتي فيكم كباب حِطَّة".

نتكلم بالسرّ المحمدي

هذا النص الذي نقوله، نقوله بالسرّ المحمدي الذي يتجاوز الأفق المذهبي والضيق الطائفي، لانقوله من باب إعلان شيء كنا نُخفيه تقيّة، فنحن والله فينا البقية، ولا نخشى أحداً من الخلق حتى نتخذ تقيّة،

إنما هذا باب كل تقي وتقية، وكل نقي وكل نقية، وكل ولي وكل ولية. وهذه أبواب، لمن عرفها فهي أبواب جلية، بل عليّة، بل سرمدية أبدية، بل أحمدية محمدية، بل فاطمية علوية، بل علوية فاطمية، بل حيدرية حمزوية، بل طالبية جعفرية، بل هي من سر عبد الله وأمنة النقية، بل من سر خديجة السخية، بل من سر الحسن والحسين الذين ربحا القضية، بل من نور زينب الأبية، بل هي أنوار خضرية، بل جيلانية رفاعية بدوية دسوقية، بل شاذلية جشتية أسمرية، بل قل عنها ما هي، بل هي مهدوية، فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء إن الله ذو الفضل العظيم.

أيها الناس إنما نكلكم بسرّ في القلب، بقبس في الروح، ليس هذا كلاماً حفظناه، ولا كلاماً في كتاب قرأناه، ولا كلاماً من أحد من الناس سمعناه، ولا كلاماً نحن أظهرناه، بل كلام من نفع الله، ومن مدد نور سرّ نسبنا ودمنا وشرنا بسرّ رسول الله، بل من مدد حبنا لرسول الله، بل من فيض ذات رسول الله، بل من سرّ أنس آل بيت رسول الله، بل من فيوضات الصالحين عباد الله، الذين فنوا في الله، وكان صمتهم الله وقولهم الله وحالهم دالاً على الله، وأنسهم بالله وإخباتهم بالله وسعيهم في مرضاة الله، وسموهم في معارج الله وتوفيقهم من فضل الله، وكان حالهم وبالهم وانشغالهم في الله، فلم يريدوا جنة الله بل أرادوا الله، ولم يريدوا الحور اللائي أنشأهنّ الله بل أرادوا وجه الله، فكانوا مريدين لوجهه وكانوا مُرادين من وجهه، فلما أرادوا وجهه وتحققوا علموا أنه لو لم يردهم وجهه لما أرادوا ذلك الوجه.

وهذا "الوجه" على وجه التوجّه، لا على وجه "الوجوه" التي ضربوا فيها معاني الوجوه، فليس من أوجه "وجه الله" وجه واحد يعني "وجهاً كوجوهنا"، إنما الوجه على ما أراد وعنده المراد، وكذا اليد على ما أراد، لا تجسيمياً ولا تجسيداً. حاشا ربنا أن يكون له يد كالأيدي وأن يكون له وجه كالوجوه التي ننظر بها إلى بعضنا، فقد خلق ذلك وتسامى عن ذلك. ولم يخلق خلقاً يشبهه كما قيل، ولا خلق آدم على شكله، ولا يوجد في الحقيقة أنّ "الدجال أعور وأنّ الله ليس بأعور"، فإذا قيل "الله ليس بأعور" فله عينان، فإذا قيل له عينان فله وجه، وهذا تجسيم! حاشا لله أن يقوله رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وهو أعلم الخلق بالله. فقد مزجنا هنا بين علم العقيدة وبين شيء من هذه النفحات.

## إعلان مرحلة جديدة

وبعون الله تعالى وتوفيقه سنسعى في أرض إفريقية في بلادنا وفي ديارنا نعيد ما كنا بدأناه في أيام نحسات عندما تعالى الظالمون وتعالى التكفيرون بأصواتهم وأرعبوا الناس، كان لنا صولة وجولة في مساجد البلاد وزواياها، بعضها كان مُغلقاً بالشمع ففتحناه وافتتحناه بحمد الله وأتينا بأهل الله، والناس على ذلك شاهدين وهم شاهدون. ولذلك إن شاء الله نرجع إلى هذا الأئس وإلى هذا السرور وإلى هذا السر في هذه البلاد المباركة، وكذا في أرض الله كلها، حتى لا يكون في أيامنا إلا أيام قدر، لأننا نخدم فيها رفيع القدر مشروح الصدر الذي نوقى به من كل شر ونفاق وخيانة وغدر.

ولذلك وبعون الله نعلنها من الآن في هذه الليلة المباركة مرحلة جديدة من الدعوة إلى الله، مرحلة جديدة من ذكر الله، مرحلة جديدة نصفع فيها وجوه المنافقين والأفاقين، نصفع فيها بالحجة حتى يظهر الحجة كل عُتَلّ زنيم، كل كذاب لئيم، ادعى ما ادعى، ادعى تشيعاً، أو ادعى تمسلفاً وبدع، أو ادعى تصوفاً وخادع وخدع، أو ادعى ما أراد مما يدعيه، سنكشفه أمام شمس الحقيقة وأمام نور الطريقة ونذره عارياً ويعلم الناس حقيقته. وسيسندنا في ذلك ونكون في ذلك مع جمهرة من الصادقين من شמוש بني هاشم من أبناء فاطمة ومحبيهم، يُظهرهم الله ويُعليهم الله. وكما هزمننا من قبل بالعلم داعش، سنهزم بالعلم داعر، وليس بينهما إلا حرف واحد، بين الذين يزورون والذين يكفرون، بين الذين يتخذون منهجاً داعشياً وآخرون يتخذون منهجاً داعرياً سفلياً ليس فيه خير وليس فيه نفس نقيه.

فبعون الله هذا إعلان وبيان وسوف نتمه بعون الرحمن، شاء من الخلق من شاء وأبي من أبي، فإنها تنزلات قلبية. أوتينا بياناً وأوتينا علماً وأوتينا فضلاً لا يُنكره إلا حقود حسود كنود جحود، وظالم تعس لا يسود. وإنا داعون بعون الله لمن أحبنا بالخير، وداعون بحمد الله وقوة الله على من عادانا في الله لم نظلمه ولم نؤذه، ندعو عليه بعون الله بسر سيدنا نوح ألا يذر الله على الأرض من الكافرين دياراً، وأن لا يجعل لهم دليلاً ويجعلهم كحمار العزير موتى غير أحياء فإذا جُمعت عظامهم لم يفهموا من الآية شيئاً، فكذلك كان عليهم الأمر وبالاً. ونحن بحمد الله في نور رسول الله وفي سر رسول الله وفي أنس رسول الله وفي لطف رسول الله.

## مراقٍ ثلاث في هذه الأيام

ما جُعل هذا الشهر المبارك، وما جُعلت هذه الأيام المباركة، إلا لثلاث مراقٍ:

1. أما المرقى الأول: أن ترتقي النفس إلى ربها بحبها.
2. وأما المرقى الثاني: أن يتعرّف القلب تفكّراً وتحيّراً على الذات العليّة وعلى الذات المحمدية وعلى أسيادنا آل بيت النبي، حباً ونوراً وأنساً وتوجّهاً ووسيلةً وتشقّفاً وإنكساراً وتذللاً وعشقاً وهياماً وغراماً ووجداً وشغفاً ودنفاً وولهاً.
3. وأما الترقى الثالث: أن يترقى العقل بالتفكّر والنظر والتدبّر في آيات الله وعظيم أسرار الله وبيّنات الله وكلمات الله، حتى يعرف الله وحتى يعرف رسول الله ﷺ وحتى يعرف آل بيت رسول الله وحتى يعرف أنبياء الله وملائكة الله والصالحين عباد الله، وحتى يعرف نفسه فيهم ويعرف نفسه بهم ويعرف نفسه منهم ويعرف نفسه عنهم، ويُعرّف نفسه بنفسه، ويسعى فيُكتب في ديوان السعداء وتأتيه البطاقة من عند رب السماء "إنك من المقبولين والموصولين والواصلين". و "الواصل بالواصل واصل، والموصول بالموصول موصول، ومعرفة المفتوح عليه فتح"، فيؤتى السر الذي يُعرف به السر، ويؤتى السر الذي يُقرأ به السر، ويؤتى السر الذي يُفهم به السر، وتطوف به الأسرار والأنوار ويصبح من الأخيار، ويوقى من عمل الفجار والكفار، ويوقى من دخول النار ومن صحبة أهل النار.

## خاتمة

هذا ميدان وهذا برهان وهذا نور من القرآن، نور المصطفى العدنان، نور العرفان والإيقان والإيمان. فالحمد لله ربنا الملك المليك الرحمن، الحي القيوم الديان، عظيم الشأن واسع السلطان، خالق الأكوان والأزمان، الذي مَنَّ البنين، وعرف ما يكون وما كان، وخلق الإنسان من صلصال فجعله حياً وجعل منه رجالاً كثيراً ونساءً وعنده أمرهم وسرهم وما يكون من شأنهم وما كان، سبحانه الله الذي تعالى عن الزمان والمكان، والحمد لله على هذا البيان.

آنسكم الله بنوره وسركم بسرّه وعلمكم من فضله، وبارك لكم في كل ليلة من لياليكم جعل الله فيها نور القدر. تعرّفوا على سيد القدر ورفيع القدر، تعرفون ليلة القدر، تجدون أنس ليلة القدر، ليلة القدر لا تكون إلا لمن عرف أسياذ هذا القدر وأصحاب هذا القدر.

هذه نفحة مباركة أردنا أن نحبيكم بها، لعلها تكون آخر نفحاتنا الرمضانية، نرجع بعدها بعون الله إلى دروسنا البرهانية وكذلك إلى النفحات وإلى التأمّلات العرفانية والإستراتيجية الفكرية، ونرجع إلى ما بدأنا في نشره من كتب ومن روايات ومن دواوين. هذه أعمارنا نُكمل البناء، نحن بحمد الله نبي، ونحن بحمد الله نسعى، ونحن نصبر على الأذى والألم ونصبر على كل شيء، وفنينا في الله، وما نطقنا إلا بفضلته وحمده ونوره وسره، لا نريد من الدنيا إلا ما كتب الله لنا منها وقد زهدنا فيه، لا ننافس أحداً ولا نزاحم أحداً. ولا يُزاحمنا أحد إلا هلك، لأنّ هذا الأمر الذي نحن فيه إنما تعيين رباني، وليس باجتهاد مجتهد ولا سعي ساعٍ، ولا يفتكّه حاسد ولا يبلغ منه قاصد ولا يرصده راصد "فكذلك حتى يبعث الله رجلاً من رجاله وعبدًا من عباده يفتح الله على يديه، يؤيده بكلماته ويؤيده بملائكته، فطوبى لمن حضر أيامه وسمع كلامه"، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس بتاريخ: 2023-04-17





## تأملات عرفانية: ﴿إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾

كلمات في حق الكتاب العظيم والنبى الكريم

### مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له **عوجاً**، قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً **حسناً**، ماكثين فيه **أبداً**، وصلى الله على من جعل له مقاماً لم يجعل له في المثل **أحداً**، الذي دعا ووعى وسعى ورعى **وهدى**، سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين خير من خلق الله في **المدى**، وعلى الصالحين الذين كانوا لدعوتهم **صدى**، وعلينا معهم بسرّ الذي خلقنا ولم يجعل ذلك الخلق **سدى**، وهدانا سبيل الرشاد **والهدى**.

أحبابنا الكرام السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته إلى هذا الموعد الجديد من التأملات العرفانية، وتأملنا اليوم يمضي إلى موضوع هو من الأهمية بمكان ومكانة.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَفُرْءَانٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هذا القسم الإلهي الذي أقسم الله به في قرآنه عن قرآنه بما نثر ونشر وأوجد في أكوانه، إنما يحتوي على عظيم شأن من عظيم سلطانه، وعلى عظيم حُجَّة من عظيم برهانه.

يقسم الله عز وجل بمواقع النجوم، يقسم بمواقعها ما ثبت منها، وما كان من شعاعها وما كان من سرها، وما كان من عظيم أمرها وعظيم حجمها مقارنة بالذين سيتلون الكتاب ويطلبهم هذا القسم. فما أعظم تلك النجوم مقارنة بالبشر وبكوكب البشر والأرض التي هم عليها. ولكن ما أحقر وما أصغر وما أوهن وما أدنى تلك النجوم مقارنة بعظمة ربها، فهذه الأحجام على اتساعها هباء عند الله سبحانه وتعالى.

فهو يقسم بعظيم مما عظم، يُبين من خلاله عظمة الموضوع الذي يقسم به ويقسم فيه، ويبيّن أيضاً للإنسان أنّ الله سبحانه وتعالى يريد أن يبيّن له أمراً عظيماً، أمراً مهماً، أمراً يصدر من فوق فوق. وهذا الأمر يُعلّق فوق مواقع النجوم، إنه سرّ لا يمكن محوه ولا تحويله، إنه أمر كبير، طالما أنّ الله الذي لا يحتاج أن يقسم بشيء، وهذا القسم الإلهي دلالة على مكانة الموضوع وقيمته. كلما نجد قسماً إلهياً بشيء مما خلق: بالليل، بالنهار، بالسماء، بما نبصر، بما لا نبصر، وغير ذلك من الأقسام الإلهية، فذلك يدل على أنّ المسألة هامة وكبيرة ومهمة.

يقسم ربنا بمواقع النجوم، مبيّناً من خلال ذلك ما لهذه النجوم من مكانة في هذا الكون، إنها أساس في التكوين، في مدارات الكواكب، في الإهداء ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾، في معرفة السبل في البر والبحر. وهذه نظرة الأرضي لها، أما نظرة القريب منها فهي طاقة مهولة، نار وشعاع وانفجار وأوار وأمور عظيمة غريبة، ما كان أحمر منها وما كان أزرقاً وما كان مصفراً، وما يكون من شأنها مما اكتشف العلماء لاحقاً تباعاً. لقد كان الناس في ذلك الزمان يظنونها نقاطاً مضيئة صغيرة، فإذا هي شمس كبيرة بعضها يفوق شمسنا بملايين ومليارات المرات.

﴿إِنَّهُ لَفُزَّانٌ كَرِيمٌ﴾

هذا القسم عن كتاب عظيم نزله الله سبحانه وتعالى على سيّد خلقه بسيد ملائكته بسرّ جلال وكمال وجمال. وكان هذا التنزيل تباعياً في فترة من الزمن، مقطّطاً، منجّماً:

- بعضه كان عن ذات الله وبعضه عن صفات الله
- وبعضه عن ثبوت نبوة النبي فيما قاله وفيما نطق به وفيما أبان عنه وفيما صدع به من دعوة، وأنه مُرسل من رب العالمين، ما هو بساحر ولا هو بمجنون
- وكذلك من القصص الحق ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾، وما فيه من تشريع، وما فيه من قصص الأنبياء، وما فيه من أخبارهم وأحوالهم، وشأن سيدنا آدم وسيدنا إبراهيم وسيدنا موسى خاصة
- وما كان من شأن الظالمين كفرعون وغيره، ومن شأن الأمم التي أهلكتها الله كعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب وتبع والمؤتفكات
- ومن إشارات إلهية عن أحداث جليلة عظيمة، عن إبادة تلك الأقوام، عن طوفان سيدنا نوح وعن خبره، وعما طوي في سجع الأزمنة
- وكذلك إنباء عن سيدنا يوسف وقصته، ومحايثة ومتابعة له صغيراً، ثم في البئر، ثم عندما شروه بثمن بخس، ثم ما كان من أمره لاحقاً
- وكذلك إشارات لما كان من شأن الأرض والأحوال عند قرب ظهور النبي صلى الله عليه وعلى آله، من ولادة لسيدنا عيسى، ومن أصحاب الفيل وما فعل الله بهم
- ثم يكون معه التنزيل الأول على سيدنا رسول الله ﴿اقْرَأْ﴾ وما يعقب ذلك من حال "مزمل" ف "مدثر"
- ثم يمضي حتى يكون في رحلة الإسراء والمعراج
- ثم يبيّن أموراً ستحدث بعد وفاة رسول الله وانتقاله
- ويبيّن إشارات وبشارات وعبر وأحوال وشؤون في الكون وأسرار

"مائدة الرحمن" كما ذكر سيدنا محمد، لا ينضب ببحث العلماء، ولا ينتهي إلى كل سرّ الحكماء، ولا يمكن لمخلوق أن يحيط بكل ما فيه. هو في البيان أجمله، وفي العلم أكمله، وفي اللفظ أفضله، وفي السلس أجزله، في كل ما يكون هو الأفضل والأعلى، كتاب من كتب الله التي نزلها على أنبياء من قبل ولكنه أفضل

تلك الكتب، أكثرها بلاغة، وفصاحة، ودلالة، وجمالاً، وإغازاً، ووضوحاً، وغموضاً. فيه التشريع، وفيه الحكمة، وفيه فصل الخطاب، وفيه البيان، وفيه البرهان، وفيه الحجج والأدلة، وفيه ما يكون من شأن النفوس على اختلافها، وفيه ما يرتقي به العارفون وما يصلح به الصالحون، وما يصل به الواصلون وما يوصل به الموصولون، وما يُفتح به على الذين يُفتح عليهم، وما يُرفع به شأن أقوام، وما يُجلى به حال أقوام بين ضلالة أو هدى، بين مغضوب عليهم أو مُنعم عليهم، بين من سبقت لهم الحسنى ومن حقت عليهم الكلمة.

هذا الكتاب القرآن الكريم، قرآن لأنه يُقرأ، ولأنه قُرئ على حضرة الحبيب، وأمر أن يقرأ به بسر الله، ولأنه آيات في القلب، ولأنه أنوار وأسرار وأحوال، ولأنّ فيه ما فيه مما يطول شرحه ومما يبعد على كل ناطق غوره ومجاله وأفقه وشاعته. كل هذا مطوي في هذا الكتاب العظيم المُنزّل على أعظم قلب، والذي نطق به أعظم لسان مبيناً عن حضرة ربه، فما كان بكلام رسول الله. بل حتى كلام رسول الله عليه وعلى آله الصلاة والسلام في غير القرآن إنما هو وحي مفسر للقرآن الكريم، وهو وحي أيضاً من عند رب العالمين لأنه لا ينطق عن الهوى في كل أحواله. **فكل أحواله وحي، وكل حياته هدي، وكل ما ينطق به هدى، وكل ما يفعل فيه صلاح وفيه خير.**

إنّ رفعة شأن القرآن العظيم فيها سرّ رفعة شأن النبي العظيم، فيأتي الله بقسم بمواقع النجوم، عالياً غالباً ممالياً، في هذه المساحات المطلقة الكبيرة الواسعة الشاسعة البعيدة، ليبيّن علو هذا القرآن، وأنه بعيد المنال عن كل يد تروم به سوءاً، فيقول أنه: "قرآن كريم" من كرم الله سبحانه وتعالى. النبي عليه الصلاة والسلام نبي كريم، والملك ملك كريم نزل به من رب العالمين، وربّه جل في علاه هو الكريم سبحانه وتعالى، فمنتهى الكرم الخالق سبحانه جعل منتهى الكرم في المخلوقين في سيدنا محمد وجعل هذا الكرم مُدمجاً في كرمه، **وجعل القرآن كراماً من عنده، وإكراماً من لدنه، وكرامة معجزة لرسول الله، وتكريماً لمقامه، وتكريماً لسعيه وروحه وجسمه ونفسه وذاته الشريفة، وتكريماً للمُلتحقين بكرمه، لآل بيته الكرام، وصحبه الكرام المخلصين المخلصين، والأنبياء قبل ذلك ثم التابعون الصالحون الذين اتبعوا بإحسان إلى يوم الدين.**

هذا القرآن الكريم كريم أيضاً في ذاته، من قرأه وتدبره وحفظه وحافظ عليه، حُفظ به وأكرم به ونال من كرمه، نال من معانيه ومبانيه، نال فصاحة في لسانه، وثباتاً في جنانه، وقوة في بيانه، وحُجّة لبرهانه، ودعماً لسلطانه، وتقوية لأركانه، وشدّاً لبنانيه.

هذا القرآن الذي يطوي من سر الله ما يطويه، كتاب يشير إلى كتب أخرى:

1- الإنسان كتاب من كتب الله، يحوي آيات الله سبحانه وتعالى، ما في نفسه وجسمه وعقله وروحه. والقرآن الكريم يؤشّر إلى ذلك ويشير إلى ذلك، ويبين أسراراً في الإنسان ويدعوه إلى أن ينظر إلى نفسه وإلى أن يبصر ما أودع الله فيه وإلى أن يتفكر ما أوجد الله فيه وما فطر وما أنشأ وما ذراً.

2- وكذا هذا الكون، أمر الله في قرآنه أن يُنظر في هذا الكتاب المفتوح أمام الناس أجمعين، يُنظر إليه بعلم وبحكمة، ليصل الناظر إلى ذلك إلى رب ذلك، وليعرف ويعلم ويوقن ويستيقن أنّ الذي خلق هذا الكون وخلق هذا الإنسان هو الذي نزل القرآن.

وأبان في كتابه عما يجاوز الأكوان إلى ما فوقها، إلى سدرة المنتهى، إلى العرش وما فيه وما يخفيه، وحملته ودعائهم ورجائهم وثنائهم على ربهم واستغفارهم للمؤمنين. وكذا إلى ما يجاوز الزمان إلى آخره، إلى أشراط الساعة وعلاماتها وطارقها وظهور قائمها، وكذا يأجوجها ومأجوجها وما يكون من شأن ذلك بعد أن يُذكر السبب الأسبق لسجنهم في قصة ذي القرنين، ويبين معاني من حكم لدنية خضرية.

ويسعى بعد ذلك لبيّن للذي سينتقل عن هذه الدنيا ما يكون من حاله وشأنه: إن كان من الطيبين تستقبله الملائكة بالبشرى، وإن كان من الفاجرين تضرب الملائكة وجهه ويقول: ﴿رَبِّ اَرْجِعُونِ لَعَلِّيْ اَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ ولعلي أهتدي، فيقال له: ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾. ثم يبيّن حال العظام الرميم كيف يحييها الرب العظيم، وكيف يُبعث الناس يتخافتون ويتهامسون أن ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾. وأحوال المحشر، وأحوال من بالمحشر، وأحوال المحشورين إلى ربهم، وكل نفس معها سائق وشهيد. والنار ومن فيها، وأحوالهم بين مستضعفين ومستكبرين، والجنة ومن فيها، بين سابقين مقدمين مقدرين مبجلين، وبين أصحاب يمين فائزين على سرر متقابلين. وكذا ما يكون من حوار بين الذين آمنوا والذين كفروا، وهؤلاء في الجنة، وهؤلاء في النار. استيقاناً بالغيب ويقيناً أنّ ذلك حادث لا محالة، لأنّ الذي ذكره هو رب ذلك والذي يعلمه علم اليقين، ويعلم ما فيه وما يبدية وما يخفيه، لأنّ الله يطوي الأزمنة ولا تطويه، ويسبقها ولا تسبقه، ويحيط بها ولا تحيط به، ويعلمها ولا تعلمه، وهو سبحانه وتعالى المحيط بكل شيء.

عقيدة وشريعة وتزكية وتهذيب وأخلاق وحكمة، وعلوم نافعة وأسرار رافعة ودافعة للإنسان ليستكشف ويستجلي، ويُبهر ويتعمق.

﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾

الإنسانية عندما سرى فيها سرّ هذا الكتاب، أنبتت واهتت ما فيها من سر وأظهرت من كل زوج بهيج، وظهر العلماء في كل فن: في الرياضيات، والفلسفة، والطب، والهندسة، في الجغرافيا، في معرفة التاريخ، والأرض وما فيها، وطوّروا الحضارة حتى بلغت ما بلغته اليوم، متنكّرة لهذا الكتاب العظيم، وفضل أبناء هذا الكتاب العظيم، والمخلصين الخالصين الذين أذهلوا الدنيا بهذا الكتاب العظيم.

فيقسم الله تعالى بمواقع النجوم أنه قرآن كريم، ويبيّن أنه قسم عظيم، قال ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾. وكلما تعلّمت الإنسانية عن سرّ النجوم أكثر، كلما عُرف أنّ القَسَمَ أعظم وأنّ المُقسَمَ به أعظم وأنّ المُقسَمِ أعظم وأنّ المُقسَمَ حوله وعنه أعظم. وهكذا العلم يبين لأصحابه، ويبيّن لهم شؤوناً أكبر وأكبر وأكبر، لأنّ الجاهل مستحقّر محقّر لما خلق الله من كثرة جهله، أما العالم فإنه يعظّم من خلق الله. ما يراه العالم العارف في الذرة وفي قطعة من قطع هذه الدنيا (حجراً صغيراً أو شجرة أو خلية أو نجماً بعيداً)، هذا التركيب الإلهي بكل ما يمثّله وبكل ما يكونه، الناظر بالعلم إليه -سواءً إن كبر ما صغُر أو قرّب ما بُعد- فإنه يرى أعاجيب، بين الذرة والمجرة، وبين الخلية والخلية العصبية وبين خلايا النجوم والمجرات وما يُنسج من كواكب وما يكون في هذا العالم. وإنّ ما حُجب أعظم مما ظهر، وما لا يُرى أكبر مما يُرى.

فكل هذا مطوي في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾.

﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾

هذا القرآن الذي نسب إليه الكرم والسماء والجود لأنه مغداق، لأنه غدق وودق ومطر إلهي يفيض فيضاً، يُغرق قلوب الآثمين، وينفح قلوب العارفين، ويرتقي به أقوام، ويشقى به أقوام، فالذين شقوا به: "رَبِّ قارئ للقرآن والقرآن يلعنه". وهكذا يبيّن الله أنه في طيّ وفي سجد وفي سرّ وفي حفاظة، فيبيّن أنه ليس فقط تلك الصورة التي نُسخت، إنما يتكلم عن جوهر القرآن، عن روح القرآن، عن أصل القرآن. إذ أنّ لكل شيء أصلاً، فأصله رباني، نور إلهي، كلام رب العالمين (على ما يُراد من كلامه لا على ما نظن وما نتصور)، فيه المُحكّم، ومُحكّم المُحكّم، وفيه المتشابه، وفيه علوم ومعارف، لا يمكن إلا لعارف بالله وعارف عن الله أن يفهم المتشابه منه وأن يفهم التفسير والتأويل وحكمة التنزيل.

فبيّن الله سبحانه وتعالى أنّ هذا القرآن العظيم الكريم إنما هو في كتاب مكنون، وفي مقامات أخر أنه في لوح محفوظ، وأنه قرآن مجيد. وللمقامات القرآنية فهوم وأذواق وأشواق تحتاج إلى روح صافية، إلى قلب صفي خلي نجي ولي لرب العالمين سبحانه وتعالى، وهو العلي الولي. يحتاج إلى دراسة مدعومة منفوحة بالنور، لا إلى ما يتكلم به أهل الزور. "في كتاب مكنون" هذا المكنون هو كُنّ وسرّها، هذا المكنون هو كون وتكوين ومكوّن، هذا المكنون هو محفوظ مخبوء خفي، بمعنى أنه في وجاءة إلهية، في حفاظة إلهية، في مقام فوق مقام النجوم.

وهنا الكلام دائماً عن نور القرآن، عن سرّ القرآن، عن حقيقة القرآن، عن تنزّله من عند رب العالمين، ينزل به ملك ويجعله في كتاب مكنون، في لوح مكنون، في حفاظة، في ذات ذلك الملك، في الذات الجبرائيلية وهي أعظم من هذا الملكوت كله، أعظم من هذا الكون الظاهري بأكمله. فعندما يحمله السيد جبرائيل في لفيف من ملائكة الله يجعله في مكنون صدره، يبلغه كما هو، ليودع في مكنون قلب رسول الله، في صدر مشروح، وقلب منفوح، في الجسم وفي العقل وفي الروح، يودع في الخلايا المحمدية، في السرّ المحمدي، فيكون في ذلك الكتاب المكنون واللوح المحفوظ بحفظ الله سبحانه وتعالى.

وعندما كان هذا القرآن نوره وسرّه وأمره في هذا النبي العظيم، أرسل النبي نوره إلى الأقربين فالأقربين. فكان الذي حوى سرّه من بعده: سيدنا الإمام علي عليه السلام. فقال له رسول الله: "يا علي أقاتل على تنزيله وتقاتل على تأويله". وقال الإمام الحسن: "علمّ رسوله الحلال والحرام والتأويل والتنزيل" - هو الفرقان المطلق، ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ - فعلمّه رسول الله لعليّ كله، وعلمّه أمير المؤمنين ليّ كله". فانتقل السرّ من سيدنا الإمام علي والسيدة الزهراء التي حوت من نور وسرّ أبيها وأورثت ذلك النور والسرّ القرآني، انتقل إلى سيدنا الحسن، ثم إلى سيدنا الحسين. ثم إنّ النبي أبان عن ذلك وقال: "إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي آل بيتي"، فتكلم عن القرآن وبين فضله، ثم تكلم عن آل بيته وبين فضلهم وحثّ على اتباعهم وحثّ على ركوب سفينتهم للنجاة بهم. وأبان أنهم لا يفترون عن القرآن: "آل بيتي والقرآن لا يفترقان حتى يردا علي الحوض". وهنا لا يعني السورة التي في المصحف المكتوب المنسوخ الذي حُطّ على ورق، وحُطّ بعضه على عظم وعلى شجر، وما كان من قبل إلى اليوم، وعلى ما كان عليه حال الأمة في تطورها حتى بلغت هذا المستوى، إنما المعنى والمعنى هو نور القرآن الكريم، الذي انطلق من صدر نبوي إلى صدر فاطمي علوي إلى صدر حسني حسيني إلى صدور ذرياتهم، إلى صدور أبنائهم، حتى وصل إلينا، ويمضي بعون الله إلى ذرياتنا وذرية النبي الباقية، حتى يظهر في صدر القائم مشرقاً كاملاً.

وهذا الكلام الإلهي المبيّن لمقام القرآن، يبيّن أنّ هذا الكتاب المكنون إنما هو معنى، ولا يُقصد به المصحف المكتوب المركون، وإن حوى ذلك المصحف على صورة من الآيات ونسخة من تلك البيّنات، وهي صورة مباركة مقدّسة، ولكنّ الأعظم من ذلك في ذلك: ما طويّ في صدور الذين ورثوه. وهكذا عندما رُفعت المصاحف في وجه الإمام علي، بكلمة حق أُريد بها باطل، قال: "أنا القرآن الناطق"، أما ذاك فكتاب مسطور بين دفتين لا ينطق، وتنطق به أفواه الرجال. وعندما ظهر القتلة من خوارج وممن كان من شاكلتهم من الذين اتبعوا الدعي ابن الدعي، كانوا يتظاهرون بقراءة القرآن. فحدّث رسول الله منهم وأبان عن شأنهم وقال: "رُب قارئٍ للقرآن والقرآن يلعنه"، أي أنه يقرأ من تلك الصورة وتلك السورة ولكن جوهر القرآن وسرّه وملائكته وحفظته يلعنونه. وأبان أيضاً قائلاً: "يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم (أو حناجرهم)". وأبان أيضاً مشيراً إلى خلّص أصحابه: "تحقرون تلاوتكم إلى تلاوتهم وصلاتكم إلى صلاتهم، يمرقون عن الدين كما يمرق السهم عن الرمية". ولما أبان ذلك، أظهر حدثان الزمان ذلك.

كان يقول دائماً لسيدنا الإمام علي: "أتعلم يا علي من أشقاها؟ أحيمر عاد (الذي تعاطى فعقر ناقة سيدنا صالح) والذي يخضب هذه من هذه" يضع يده الشريفة على لحية سيدنا علي وعلى هامته، يخضب لحيته من رأسك. ولما فعل ابن ملجم فعلته، كان من قبل من حفظة القرآن في ظاهر الأمر، وكان كذلك من الذين يُكثرون التلاوة، حتى أنّ سيدنا العباس عندما ذهب إلى الخوارج وجد جباههم وأيديهم وركبهم كأثافي القدر. وتلك العلامة في الجبين لعل كثيرين إلى اليوم يرثونها، وقد قرأوا القرآن ولعنهم ولم يجاوز تراقيهم، ومرقوا عن الدين كما مرق السهم عن الرمية، فقتلوا الآمنين وكفّروا المؤمنين وفجّروا أضرحة الصالحين. عندما فعل فعلته وهو أشقى الخلق، بات ليله يتلو القرآن بصوته، يتظاهر بتلك الغنّة وتلك القواعد، ولما أرادوا أن يقتصّوا لسيدنا علي قال: "أريد أن ألقى الله ولساني رطب بذكره". وقال أحد أصحابه مادحاً له بعد ذلك: "يا ضربة من تقي ما أراد بها، إلا لذي العرش قرباناً ورضواناً"، وردّ عليه غير واحد من علماء هذه الأمة "بل ضربة من شقي". فهذا الشقي يتلو القرآن ظاهر الأمر!

﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾

ولكنّ الله أبان في نفس تلك الآيات سرّاً عظيماً لم يفهم وفُسر تفسيرات خاطئة، لأنهم قرأوا أنّ القرآن المعني هي صورة المصحف (النسخة)، وكأنما صورتك هي أنت (على ما يكون من قيمة صورتك)، لكن صورتك التي خلفي الآن أو صوري التي تظهر لكم الآن ليست ذاتي الحقيقية، إنما انعكاس لها. وكذا

المصحف الذي بين أيدي الناس ليس هو جوهر القرآن المعني في القسم، بل نسخة خطية للقرآن العظيم، هنالك نسخ صوتية مسموعة للقرآن العظيم، نسخ مرئية، وغير ذلك كثير، ليس هذا تحقيراً بل تبياناً.

فلما يُقسم الله عن قرآن في كتاب مكنون وفي لوح محفوظ إلهي، وفي صدر سيدنا جبرائيل وصدر الملائكة، في صدر سيدنا محمد وفي الوارثين له، قال: ﴿لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾، "لا يمسّه" وليس "لا يلمسه". وقد أفتي من أفتي حول المصحف هل يلمسه الإنسان على وضوء أو بغير وضوء، أو في المرأة وما يكون من حالها إذا لمستته على اختلاف أحوالها التي تعيشها وغير ذلك كثير، وهذا لا إشكال فيه، لأنّ العناية بالمصحف والعناية بهذه النسخ القرآنية أمر واجب، وهي على قداسة عظيمة، هذه النسخة توضع فوق الرؤوس. ورأينا في شعوب العجم وشعوب باكستان والهند عجباً في تقديرهم لنسخ هذا القرآن العظيم وأنهم يضعونها دائماً في مكان رفيع.

ولكن الله سبحانه وتعالى يشير إلى السرّ، إلى جوهر القرآن، "لا يمسّه" لم يقل "لا يلمسه"، أي: لا يلامس سرّه ولا يدرك أمره إلا المطهّرون. فمَن هم المطهّرون؟ أول ذلك أنهم الذين قاموا بالغسل من جنابة وبالوضوء!

- الذي قتل سيدنا علي كان يغتسل ويتوضأ
- الدعي بن الدعي ومن كانوا معه من الأشقياء كانوا يتوضأون
- الذين قتلوا سيدنا الحسين ابن علي قبل قتله صلّوا خلفه وهم متوضّئون
- الذي قطع رأسه كان متوضّئاً وصلّى بعد ذلك وهو يتغّى "قتلتُ خير الناس أمّاً وأباً"
- الذين دخلوا الحرة واغتصبوا بنيات الصحابة في الحجرة النبوية ويمسح المجرم أثر فعلته بورق القرآن، كانوا على وضوء أيضاً، وكانوا يصلّون بعد ذلك ويتباكون
- الذين ذبحوا الناس في الشام وفي العراق وفي اليمن وفي ليبيا، قتلوا من قتلوا، الإرهابيون المجرمون، الذين فجّروا مقامات الصالحين ووقفوا فوق كتب القرآن، هؤلاء جميعاً كانوا يصلّون ويتوضّأون.

هل هؤلاء كلهم مطهّرون؟!

ولكنَّ الله أبان التطهير عن آل بيت النبي ﴿وَيُطَهِّرْكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وأن يصرف عنهم الرجس، وأبان بذلك أنّ المطهّرين هم المُلحّقين بالحضرة المحمدية، من أسلافه وآبائه، إلى سيدنا إبراهيم، إلى آدم ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾، إلى الذين هم من ذريته، إلى عليه وفاطمته وحسنه، وأصوله وفروعه ووالديه وكافليه، إلى هذه الشجرة المباركة ومن اتّصل بها، من ركب السفينة من صحابة ومن سواهم. كل الراكبين في السفينة، كل الموالين المحبين، مُلحّقون بهذا التطهير الإلهي.

#### • لا يمَسُّ سرّ القرآن إلا الذي حفظ سرّه الرحمن

وبهذا فإنّ هذا الكتاب المكنون الذي يحتوي نور القرآن العظيم هو في سرّ المطهّرين، يُلمّس أمره في سرّهم، فالمطهّرون في ذواتهم يصلون الذين طهّروا بحبهم. فنحن عندما نحب النبي وآل بيت النبي نُطهّر بهذه المحبة، ونكون بذلك من المطهّرين على قدرٍ ما، ولكن هم المطهّرون حقّاً، هم الأطهار حقّاً. يذكر الإمام الحسن فيقول: "قامت أمي الزهراء ليلها تصلي، فإذا هي واقفة ساجدة راکعة حتى أشرقت عليها الشمس، وأخذت تدعو وتسمّي بعض من تدعو لهم، ولم تدع لنفسها بشيء، فقلت: يا أمي لمّ لم تدعي لنفسك بشيء؟ قالت: يا بني، الجار قبل الدار". هذه الزهراء التي وضعوا عنها أنّ النبي قال لها: "اعملي فإني لا أغني عنك من الله شيئاً" و "لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم" كذباً وزوراً، بل قال: "إنّ الله يرضى لرضاك ويغضب لغضبك".

إنّ كلامنا عن القرآن الكريم يدفعنا دفعاً إلى الكلام عن النبي الكريم وعن آل بيت النبي الكريم، وعن عشاقه وعن عشاقهم، وعن أحبّابهم، وعن محبّبيهم ومحبوبيهم ومرغوبيهم وراغبينهم، ومراديينهم، وعن ذرياتهم، وعن بقيتهم، وعن تجلّي سرّهم، وعن هذه الرفقة والصحبة والمخاللة التي بينهم وبين القرآن فلا يفترقان. أي أنّ ورثة هذا السرّ وهذا البرهان وهذا البيان هم ذرية المصطفى العدنان، ومن أراد أن ينال من ذلك فعليه أن يوصل بحبّهم في الدنيا، وأن يتّصل بحبّهم خارج الدنيا وفوقها، فالذين غادروها عند ربهم أحياء، والذين هم من سرّهم في الدنيا هم أحياء الأحياء، وهنالك موتى في الأحياء وهنالك أحياء في الموتى.

## رد على إحراق نسخة من القرآن الكريم

فالله سبحانه وتعالى أرسل رسائل عظيمة وكبيرة، وما قولنا هذا اليوم عن القرآن العظيم، انفعال لإحراق أثيم لنسخة من القرآن الكريم، لصورة. لأنّ هذا الذي فعل تلك الفعلة، على خسة نفسه، وعلى جراته على أمة سيدنا محمد، وعلى جراته في أمر لا يجوز عقلاً وعرفاً، ولا يجوز في عرف الدول والشعوب، ولا يجوز في القانون الدولي، أنّ الرموز تُحترم، وأنّ هذه موثيق بين الأمم. كما لا يجوز ولا يحق لمسلم، وإن كان لا يعتقد في كتاب بوذا، وإن كان لا يعتقد في كتب الهندوس، أن يقف يوم محفل للهندوس أو البوذيين، على اعتقاده في أنّ دينهم غير حقيقي، على اعتقاده في أنّ الدين الذي ينتمي إليه هو الحق، فإنه لا يحق له أن يقف فيحرق ذلك الكتاب. الله نهى المؤمنين عن لعن الأصنام وعن سب الأصنام حتى لا يسب أصحاب الأصنام الله سبحانه وتعالى، نهاهم عن هذا اللعن لأنّ المسلم ليس بلعان ولا شتّام، إنما المسلم طيب اللسان والبيان، مهما كان الكتاب الذي تحمله تلك الأمم والشعوب: الإنجيل أو التوراة، نعلم وجود وضع ووجود تحريفات في الكتب الكثيرة.

وكذلك ما يكون من شأن المتطرفين هؤلاء الذين يغذون المتطرفين، يعطون مبرراً لحرب دينية واسعة النطاق، في زمن مليء بالفوضى، مليء بالقبح والفحش، بكل معانيه ومجاليه وصوره. هؤلاء الأشقياء يريدون النار أن تشتعل في الأرض كلها، يريدون الحروب، يريدون أن يتنازع الناس في شوارع المدن على اختلاف ألوانهم ومذاهبهم ودياناتهم ومعتقداتهم، وكلّ يقتل الكل في فوضى عارمة. هذا ما يُراد قبل الهرمجدون التي يستعدّون لها ويُعدّون لها العدة.

لذلك عندما يخرج في يوم العيد والمسلمون يحتفلون بعيدهم ويحرق هذه النسخة من القرآن الكريم، إنما يريد أن يهين هذه الأمة، ولكن على الأمة أن لا تُهان. نعم، نغضب لحرق هذه النسخة من القرآن العظيم، ولكن القرآن العظيم لا تطاله يد من أيدي أولئك الأثمين، لأنها معاني وأنوار وأسرار، ما أُحرق صورة، والصورة يمكن أن يُنسخ منها عدد لا يحصى. لا يعني ذلك أن نحط من مكانة الصورة لأنّ مكانة الصورة من مكانة أصلها، فإنّ نسخة القرآن هي تحمل آيات القرآن، وتحمل من أنوار ذلك الكتاب، وتحمل من سرّه وبركته وقداسته، ولكن هذا الكتاب تطاله كل يد: يد المحب الذي يحب ويرغب، ويد المنافق الذي ينافق ويضع ويدس، ويد المجرمين والقاتلين والسقّاكين، وأيدي أخرى لمن يريدون أن يدرسوه فيجدوا فيه نقاطاً يهاجمون بها الأمة ويشككونها في دينها (وهذا عمل قام به المستشرقون لأعوام طويلة)، وغير ذلك كثير.

كيف يكون ردنا ردأً فعلياً لا رد فعل ولا انفعال؟ بأن نشرق في هذا العالم بأنوار القرآن، بأن نبين للعالم كله عظمة هذا القرآن، وهذا يحتاج إلى نفح وإلى علم، وإلى أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته. وأيضاً فهم هذا الكلام على أنه الذين يحفظون القرآن الكريم حفظاً إملائياً، ولكن الحقيقة: الذين يحفظون القرآن **حفظاً ربانياً**، أي الذين لا يكتفون بحفظ آياته، بل **يلهمهم الله من أسرار آياته، يلهمهم من معانيه ومن مبانيه، يخلط أرواحهم وأسرارهم بذلك النور**. وهذا محال أن يكون بالقطع لمناصب بالعداء لآل بيت النبي ولكاره للصالحين ومبغض لكل ولي، لا يكون أبداً لمن يبغض الإمام علي، لا يكون أبداً لمن يستنقص من حضرة النبي، من والديه وكافليه وآل بيته الكرام. لا يمكن إطلاقاً أن يصل ويتصل من زاحم آل بيت النبي بغيرهم كائناً من كان، صحابياً أو سواه. إن الصحابة كلهم إنما يمتاز بينهم ويُعرف مؤمنهم وتقيهم ممن خرج عن ذلك، ببيان الله ورسول الله في محبة آل بيت رسول الله. بل يُبان عن الإيمان بالله وبرسول الله بحب سيدنا علي، لذلك قال له: **"لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق"**، وقال لهم جميعاً وهو في خم وقد جمعهم بعد حجة الوداع: **"مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك"**.

وهذا بيان حق، بيان محمدي لا مذهبي، ليس فيه مذهبية ولا طائفية ولا عنجهية ولا عصبية، بيان محبة، وبيان محمدي يراد به أن نحفز همة الأمة المحمدية لتقف لدينها ويقينها وقرآنها. ما نحن والقرآن؟ وأين نحن والقرآن؟ إن أهل القرآن الحق يغلبون أهل العلم مهما كان علمهم. وقد أبتأ في الدروس البرهانية أن الله عندما يحب عبده، ويهبه شيئاً من قبس نور القرآن، ومن سر المصطفى العدنان، وآل بيته رفيعي الشأن، وأهل الله الصالحين أصحاب الديوان، يُظهر عجباً، وينطق عجباً، علماً وفهماً وأدباً، في الكون، وفي التكوين، وفي الإنسان والكائنات والمنطق وغير ذلك، مما أبتأ ومما سنيين ونبين بعون الله. وهي حجة من الحجج، وآية من الآيات، وبرهان من البراهين، ودليل من الأدلة، والأدلة كثيرة، والحجج وافية كافية ضافية شافية، بأمر الله، ولها رجالها في وقتنا وفي كل وقت، ينوبون عن الحضرة المحمدية بأمر ربهم، ويتكلمون بالمعارف اللدنية الخضرية بأمر ربهم، ويفيضون فيضاً بياناً ومنطقاً يذهل العاقلين ويتحدى حكمة العارفين بأمر ربهم كذلك، وما فعلته عن أمري، ولا يطيق معهم ذو عناد صبراً ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

لن ننتظر دعياً يحرق قرآننا لنعرف قيمته، ولا شقياً يقول "إن مولد النبي بدعة" لنعرف قيمة المولد. لا نريد الوعي بعد الصدمة، نريد وعياً ثاقباً لا يتأثر بهذه العواصف ولا يتأثر بهذه الأشياء. لأن القرآن ونبي القرآن منذ نزل ومنذ نزل عليه القرآن في حرب ومحاربة، حاربوه وحاربوا نبيّه، بل رام بعضهم أن

يفصل بين النبي وبين الكتاب في مشهد وفاة النبي قبل انتقاله، وهذا عجيب في الحقيقة. من أين عُرف القرآن وسُمع وفُهم؟ من سيدنا محمد، وسيدنا محمد وضح للأمة أين الطريق وأين سرّ القرآن، وقال أنه ثقل ولا يمكن أن يُفهم إلا بالثقل الذي معه، وهم آل بيت النبي. وجعل الوضّاعون كلمة "سنتي" مكان "عترتي"، وهذا تحريف وتخريف، وصرف للأمة عن حقيقة دينها. لأنّ آل البيت هم الناطقون بالسنة وهم العارفون بالقرآن، والنبي صلى الله عليه وعلى آله ممتزج سرّه وحاله وقوله بالقرآن الكريم.

ومن وضعوا وزيّقوا وقالوا أنّ النبي تطرأ عليه أحوال بشرية فيها نقصان، فيخطئ وتعمى عليه الأمور وعليه أن يستشيرهم، إنما كذبوا. قال الله تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ "أمرهم" وليس "أمر النبي"، ولكن: إذا قضى الله ورسوله أمراً لا تكون لهم الخيرة، وبما حكم رسول الله يُقضى، وإذا أطيع رسول الله أُطيع الله، ولا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، كل أحواله بل حتى قبل النبوة هو وحي يوحى، كان وحيّاً ولكن مطوي مخفي فيه. هو نبي منذ أن خلق الله روحه، نبي منذ أول لحظة تحرك جنيناً في بطن أمه، هو النبي حقاً، ولكن البعثة النبوية تَمّت في تلك اللحظة في غار حراء. فكل حياته كاملة، وكل تصرفاته كاملة، وما يكون من بعض القصص إنما يكون تعليماً له ولنا، وتعليماً لأصحابه معه "لا أنسى، إنما أنسى لأسن".

#### خاتمة

لذلك إن شاء الله ندعو كل أبناء مؤسسة المنارة العالمية وأبناء الطريقة الخضرية أن نخصص الأيام القادمة أيضاً للقرآن العظيم. وغداً إن شاء الله لدينا ندوة حول القرآن الكريم، وستقام ندوات، ولنا حركة كبيرة في خدمة هذا الكتاب، كل ما كان وكل ما يكون له علاقة مباشرة بخدمتنا هذا الكتاب. وإن شاء الله، الله يثبت أهل المحبة وأهل الإيمان على هذه المحبة الإلهية. وأشار إلى مجلس الوظيفة الخضرية بعد قليل الذي سيُقام، ويمكن متابعته والمشاركة فيه ضمن الروابط التي سنضعها.

وأوقف جماح كلامي الآن، وكلامي كذلك لأنّ فيه كلام فيه جرح وفيه إحساس نريد أن نبثّه، ونسأل الله أن نبثّه إلى هذه الأمة حتى تغادر الانفعالية إلى الفعلية، لأننا الآن نرى فقط انفعالات، لا يمكن أن نبقي رهينة بعض الأشقياء يقومون بحركاتهم تلك المعروف مقصدها. وكل مرة يخرج علينا لكع من هؤلاء أذعياء الثقفوت ويقول: "القرآن آيات مرگبة، القرآن من كتب السابقين، القرآن... " هكذا قيل منذ

البداية. هؤلاء لا يؤثرون في هذا المسار الإلهي العظيم، إنما ينطقون بما نطق به الكافرون والفاجرون والساخرون والمستهزئون قبلهم، ولهم مصيرهم عليهم من الله لعنات كما كان على الذين من قبلهم، وعليهم الخزي والعار، وسيصيبهم ما يصيبهم ويأتيهم وعد الله، والله بهم محيط. ومن أحرق هذه النسخة القرآنية المباركة إنما سيحرقه الله في نار سقر وفي جحيم أبدي لا يغادره أبداً، إنَّ الله بهم محيط وبهم عليهم. ونحن علينا أن نقُدِّس النسخة القرآنية، وأن نقُدِّس أيضاً أسرار الذرية التي فيها نور القرآن، وأن نفهم عن الله سبحانه وتعالى مراميهِ، وأن لا نفصل بين النبي والقرآن، بين النبي وآل بيته، بين آل البيت والصالحين، هذا مجمع إلهي. وثمة عمل خبيث قام به خبثاء هذه الأمة للفصل بين رسول الله وآل بيته، بين رسول الله ووالديه، بين رسول الله والقرآن "حسبنا كتاب الله"، وغير ذلك كثير مما يطول به السياق، ولكن هذه كلمات أردت أن أبيتها.

وكنت أتكلم في حال الحقيقة -ربما غادرته الآن- ولكنه حال من باب المحبة والغيرة على هذا الكتاب، ليس غضباً انفعالياً، ولكنها الغيرة والغضب لله سبحانه وتعالى. لسنا أهل عنف، ولسنا ندعو للكرهية، ولا ندعو للتشتيت والتشردم، ونحن نرى النيران تشتعل في مدينة الأنوار وفي كل مكان فوضى عارمة. نحن صوت حكمة هادئ، صوت محمدي يدعو الأمة بكل أطيافها وطوائفها ومذاهبها لخدمة هذا الكتاب، ولمعرفة قدر هذا الكتاب العظيم وما فيه من علوم والبحث فيها، وكذلك إلى معرفة الاتصال الوثيق بين النبي وهذا الكتاب، وبين النبي وآل البيت والصالحين، وهذا كله وصل موصول إلى رب العالمين. واتصال الكتاب العظيم مع كتاب الكون وكتاب الإنسان، هذا ما أبتأه في الدروس البرهانية، وما عليه بُنيت موسوعة البرهان منذ أكثر من ستة عشر عاماً.

وإن شاء الله في مؤتمرنا العالمي للذكاء الاصطناعي في المغرب الشقيق بعون الله تعالى، سنقيم أيضاً حواراً حول **الخوارزميات القرآنية**، وكيف أنّ الذكاء الاصطناعي مهما بلغ لا يمكن أن يولد آية قرآنية واحدة، لوجود خوارزميات وأسرار عظيمة بجميع أنواع العلوم. وكما قلت من قبل في البرهان: **"إئت بأي علم وأدخله كون القرآن، إما أن يُصَحَّح، وإما أن يطوِّره، وإما أن يُلغيه"**، مهما كان هذا العلم، إذا أدخلته كون القرآن فإنه إما أن يُصَحَّح إما أن يطوِّر إما أن يُلغى ويظهر أنه كذب وإفك. وكذا التطور الدارويني الذي تُكلم فيه عن الإنسان كيف أنه كان قردياً، إذا أدخلناه كون القرآن الكريم سوف تُصَحَّح بعض الأمور، **التطوير الجيني** وليس "التطور الجيني"، ويكون هذا في الأسر فقط في النوعية ويتطوِّرون حسب الزمن، كما تطور من ذرية آدم من لون واحد ومن أبوين إلى هذه الألوان وهذه الشعوب، تطويرات جينية. أما أن يكون كائناً ثم يصبح كائناً آخر، أن يكون سمكة ثم يتحول إلى زرافة، وأن يتحول إلى قرد وإلى إنسان، هذا

كله تخاريف فارغة. وهذا يُقاس عليه في الرد على الملاحدة وعلى غيرهم وفي الأمور العقائدية والدينية والذوقية.

هنالك عمل كبير قمنا به لسنوات، لآلاف الصفحات والكتب الكثيرة التي كانت في بحر هذا الكتاب العظيم، منذ أن وعى قلبي بهذه الأسرار وأنا أسبح فيها وهي لا تنتهي، ولا يمكن أن ينتهي إليها بحث باحث ولا علم عالم ولا عرفان عارف، ولكن هي محاولات والحمد لله، بهداية من رب العالمين. وإن شاء الله سنقيم العديد من الأعمال العلمية والمعرفية التي نضع بها أمثال هؤلاء، ونضرب غرورهم وزورهم. هذا جهدنا وهذا قدرنا، ويأتي الله بمن هو أعظم مقاماً وأكبر قدرة وأعظم وأجلّ قدراً ليُبين أسراراً أعظم للقرآن الكريم ويبيّن ما في طيه ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلَّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾ وأنه لو نزل على جبل لكان دكاً. كل هذا سيبان بعون الله وسيظهر وسيُبهر، وسيتحدّى به الله المتحدّين له، ولكن ﴿خَلِقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ ۗ سَأْرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾. هذا القرآن فيه براهين ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، وفيه أسرار عظيمة وعجيبة.

لذلك إن شاء الله نكمل في هذه الرحلة. وهذا ردنا الفعلي وليس الانفعالي على أمثال هؤلاء. وهذه دعوتنا للسادة المشايخ والعلماء أن نبين للناس حقائق قرآنية وأن نبحت في المعارف، لأنّ كتب التفسير حاد معظمها عن علوم آل البيت، عن الوارثين الحقيقيين. وحتى الذين تكلموا في مدرسة آل البيت ثمة أيضاً كثير من الوضع والكذب والتزييف على هؤلاء الأئمة. وهذه آفة موجودة في جميع الطوائف والمذاهب، تقلّ أو تكثر، موجودة في جميع الأديان، كما حرّفوا عن سيدنا موسى وعن سيدنا عيسى، كذب بعضهم على سيدنا رسول الله، وكذب آخرون على سيدنا الإمام جعفر الصادق، وهكذا. ولكن في المجمل يمكن ببحث وتحقيق أن نستبين الحقائق وأن نرى هذه المعاني وأن نخرج من تفسيرات سقيمة عقيمة، كما يبيّن مثلاً في سورة سيدنا يوسف تفسيرات عقيمة جداً وأنه رضيع تكلم وغيرها من الأمور. نرجو أن نرى وسنعمل على أن نرى، تفسيراً للقرآن الكريم بما يليق، من معارف لدنية خضرية، تفسير خضري لكتاب الله إذا أردنا العبارة، إن شاء الله هذا نعمل عليه، وهذا مشروع أعمل عليه منذ أعوام طبعاً وإن شاء الله يأتي أوانه ويأتي أوان إظهاره، وندعم به جهد من يجتهدون من علماء الأمة ومن خدام هذا الكتاب العظيم. وأغتنم هذه الفرصة لأترحم على أخوين لي خدما القرآن الكريم: الدكتور صبحي طه الذي اجتهد طيلة حياته وكنت أعرفه لسنوات طويلة في خدمة الكتاب العظيم، وأيضاً علي أبو الخير الذي اشتغل في هذا الباب، رحمهما الله، إلتقيتهما في مصر بعد 12 عام من الفراق، وانتقلا تبعاً بعد شهرين من ذلك اللقاء. لهما الرحمة، ونكمل المهمة إن شاء الله ونرفع المهمة.

وهذا ندعو إليه كل مردينا وتلاميذنا وكل أحببنا من المشايخ والعلماء الكرام، التحديات القادمة سوف تكون أكبر وأعظم، ويريدون إصابتنا في مقتل في كل مكان يؤلمنا، ويراد فوضى كاملة وأعطيت الأوامر لهؤلاء ليتحركوا في العالم ككل ويستغلون الحرب الحالية الدائرة. ثمة أسرار أخرى إن شاء الله سنتكلم عنها في تأملاتنا الفكرية الأسبوع القادم، سنتكلم عن هذا الأمر. وتحية لكل متابعينا على قلة متابعينا ولكن لهم قيمة كمواقع النجوم بأمر رب العالمين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، دتمم بخير.

الدرس بتاريخ: 2023-07-03





## نفحات رمضانية: رسالة إلى الأمة في رمضان

### مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد الهادي المصطفى الأمين، اللهم صلّ وسلّم وبارك على كنزك العظيم وعلى حبيبك القديم، بالمؤمنين رؤوف رحيم، نبينا محمد الكريم، صاحب القلب السليم، وعلى آله الطيبين الطاهرين كما ينبغي لهم في مقام الإجلال والتعظيم.

نحن اليوم في هذا اللقاء الجديد هذا التأمل، ربما هي رسالة لن تكون طويلة ستكون مختزلة، نوجهها إليكم أحببنا ومريدنا وتلامذتنا، وأيضاً جميع متابعينا وخاصة متابعينا الجدد عبر الوسائط التي بدأت تحتلّ مكاناً أكثر وأكثر وأكثر في وجدان الإنسانية تسوقها يميناً ويساراً، وكلّ يوظّف ذلك حسب ما يستطيع وحسب ما هو موجه له وما هو ميسر له.

نحن على مشارف شهر رمضان العظيم، شهر القرآن، شهر الإيمان، شهر الإحسان، شهر الخير، وهذا الشهر المبارك الذي نحن على مشارفه بعون الله تعالى إنما هو شهر قُربى ونجوى وإقتراب من الله سبحانه وتعالى.

### وجهين ووجهتين

هذا الشهر المبارك الذي يقترب ونقترب معه من أيام تليه وأيام تكون فيه، يرتسم لنا بوجهين وبوجهتين:

1- الوجه الأول هو وجهنا ووجهتنا نحو وجه الله سبحانه وتعالى ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ هذا التوجه نحو مرضاة الله والإقتراب إليه ومنه والنهل عنه والتلقي من لدنه. رمضان المعظم باب عظيم، باب من الأبواب التي فتحها الله، وفيه ليلة خير من ألف شهر، فيه ما يعبق بالأمة من تاريخها النبوي، تنزل القرآن الكريم، وكذلك الأحوال المحمدية التي كانت فيه، وغزوة بدر وما كان فيها وما كان من شأنها، وغير ذلك كثير.

فهذه الوجهة الأولى أو الوجه الأول الذي نتلمسه في شهر رمضان، نتوجه بكليتنا إلى الله، نوجه أنفسنا إلى مرضاته ورضوانه. حتى لا يتحول شهر رمضان إلى مجرد فلكلور، إلى مجرد طقوس فارغة من محتواها، ويتصيد الصائدون والصيادون الذين يرومون أن يحولوا الشهر إلى مناسبة لكل ما يفسد الذوق ولكل ما يخرج عن ناموس هذا الشهر عبر تفریغات من بينها أن يكثر الغضب والعتب والمشاكل في رمضان في نهاره، يتحول الصوم إلى سبب لخلق المشاكل وإلى إختلاقها وإفتعالها بحجة أو بأخرى، ويتحول ليله أولاً إلى هستيريا طعام وتفرغ المحلات والأسواق ويتنافس الناس على ما هو موجود أصلاً، ويؤدي ذلك إلى أزمات إقتصادية أحياناً. ثم بعد ذلك بعد هذا الأكل والثخمة نبدأ في الدراما المشهدية التي ترتسم في عدد كبير من القنوات الإعلامية بفساد، كل مرة جنون وفساد وجرأة أكثر. وهذا يفرغ الشهر من مضامينه، يتحول عند البعض إلى سهر حتى الصباح وفي الغد نوم إلى إقتراب الأذان، إلى نوع من العطالة، وهذا لا يليق بهذا الشهر، إنما هو شهر نتوجه فيه إلى الله.

الوجه الأول هو وجه تعبدي تقرّبي، والوجهة الأولى هي نحو الله سبحانه وتعالى.

2- الوجه الثاني والوجهة الثانية أمر يؤلمنا جميعاً، الآن ما يجري في فلسطين ما يجري في أرض غزة، ما يجري لهذه الإنسانية من تجاذبات الإفساد والفساد والإلحاد وغير ذلك أمر مؤسف ومؤلم، وخاصة المشهد الفلسطيني المشهد الغزّاوي، هذا المشهد المؤلم المحزن الذي يحطم القلوب ولعله يصل بنا إلى حالات من الشعور بالوهن والضعف والعجز لم يسبق أن شعرنا بها. وهنا تكون الوجهة، الوجهة: الدعاء لهؤلاء القوم الذين هم ممّا ونحن منهم، لهؤلاء القوم الصابرين والصامدين والمتألمين والمحاصرين والمُجوعين والمُنكّل بهم على مرأى ومسمع هذا العالم. الوجهة التي نتوجه بها أن نتوجه القلوب إلى الله سبحانه وتعالى حتى يعينهم وحتى يؤيّدهم، وحتى نكون نحن أيضاً ممن يؤيّدهم ولو بالكلمة الطيبة، ولو أننا نتوجه إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء لعلّ أحداً يصيب ساعة إستجابة

فيستجيب الله ويرفع هذه البليّة هذه الرزية الثقيلة التي أودت بهؤلاء الألوّف خاصة من الأطفال والنساء الشهداء والجرحى والذين طُمروا تحت المباني.

وهذه العنجهية التي نراها الآن هي **نهاية النهايات** بالنسبة للظالمين والغاصبين، هم يقومون بأخر أطوار وأدوار ما هم مكلفون به، ما هم مأمورون به، ما هم مسخّرون له ممن يديرهم سواء من العوالم السفلية أو سواء تقديرات الله، لأنّ الله سبحانه وتعالى هو الذي كتب عليهم ذلك وجعل لهم هذه الدنيا حتى يفتكوا بالطيبين وحتى يظلموا، كما كان من قوم عاد وثمود وكذلك فرعون الذي سبقهم في ذلك، ولعلمهم فاقوه في ظلمهم وشّرهم وغرورهم وما يفعلون.

### 1- الوجه التعبدي والوجهة نحو الله

الوجهة الأولى في هذا الشهر المبارك: علينا أن نوجّه قلوبنا وأرواحنا نحو وجهة الله نحو وجهة محبة الله، ونتوجّه إلى رسول الله، التوجّه إلى البيت النبوي، التوجّه إلى محبة الصالحين، التوجّه إلى الرحمة ببعضنا، التوجّه إلى تطهير قلوبنا من كثير مما شابها ورابها وسكنها من حزن ووجع وغضب ومقت، ولعلّه حقد لعلّه حنق ولعلّه أمور أخرى لا ندري بها. نحن كلما فتحنا قلوبنا ونظرنا فيها قد نجد أموراً تسرّبت من أشخاص آخرين أشخاص سلبيين أشخاص أشرار زرعوها في قلوبنا حزناً أو غيضاً وتحول ذلك الغيظ إلى حقد وإلى نقمة، وهذا يمنع عنا نور السعادة. **لا سعادة مع قلب حاقد، لا سعادة مع نفس مستكبرة، لا سعادة مع عقل جاهل ضلالي، نعم وهم سعادة لكن الحقيقة ليست سعادة فعلية.**

نتوجّه في رمضان الوجهة الأولى نحو التّرقّي، يكون شهر ترقّي وتلقّي وإرتفاع وإنتفاع وإندفاع نحو غاية راقية، نحو أنوار باقية، ونحو أسرار من عند الله سبحانه وتعالى تفتح فيها البوابات. وكذلك وجوهنا متوجّهة إلى الله سبحانه وتعالى بالإثبات بالإجابة بالخضوع بالخشوع بالدموع، لا يمكن أن يمرّ هذا الشهر دون سجدات وركعات تبكي فيها ذنبك وتناجي فيها ربك. لا تحوّل هذا الشهر إلى فلكلور، إلى ما يريد أعداء هذا الدين تحويله إليه، لا تحوّل إلى متابعة مجنونة محمومة لمسلسل يعبث بعقلك وتقضي طيلة اليوم وأنت تفكر في الحلقة القادمة ماذا سيصيب البطل والبطلّة، هذه **تلاعبات ذهنية.**

طبعاً هذا الكلام موجّه لمن أراد أن يكون من الخاصة وخاصة الخاصة، لمن أراد أن يقيم ويقوم قلبه ويقيم جدار نفسه في هذا الشهر المبارك. أما عامة الناس فلا يلام عليهم، كلّ يتبع أمراً، والقوة الإعلامية

وقوة الميديا قوة السيطرة العقلية أكبر من قدرات الناس على تحملها ومواجهتها، ولكن نحن نوجّه نخبة النخبة ممن نروم فيهم ونرى فيهم القدرة على الإنتفاع بذلك.

الوجه الأول وجه تعبدي، الوجهة الأولى نحو الله. وعندما نقول نحو الله: نحو الحبيب محمد، **نحو مزيد إستجلاء سرّه وكنهه وعبق سيرته وعطر ذكره والصلاة عليه**، الإكثار من الصلاة على النبي في رمضان أمر محمود محبوب، مع آل بيته الكرام. الإكثار من زيارة الصالحين إن تمكّنت بالجسد أو زيارتهم بالروح والفواتح وإهداء السور القرآنية إلى هؤلاء السادة أمر أيضاً ممدوح جداً ومهم جداً. الإكثار من حمد الله والتسبيح لله وذكر الله في رمضان وأنت صائم وأنت قائم وأنت تصلي. عندما تختم القرآن في رمضان تدبر الآيات، قم بتدبر معاني الآيات وانظر في عمقها، لا أن تقرأ إمراراً هكذا دون بيّنة دون رويّة.

عندما تقف في صلاة التراويح إن كان وقوفك في صلاة التراويح لأنّ الإمام صوته جميل ولأنّ الناس يأتون بكثرة وتريد أن تنضم إلى القطيع فلا تذهب، إن كان ذهابك للقرب من الله نعم، ولكن يتحول الأمر إلى مجرد ممارسة ومباهاة ويتنافسون ويتخاصمون ويتعاركون وهذا صوته أفضل وهذا مكان أفضل ويعجّ الأمر بكثرة لا مدد فيها، هذا أمر ليس بالجيد. ولكن إذا كان الوقوف مع هؤلاء المؤمنين مع هؤلاء الصائمين في هذه اللحظات في هذه الأوقات من القربى من الله سبحانه وتعالى فهذا أمر لا بأس فيه، دون أن نخوض في التفصيلات الفقهية لهذه الصلاة من باب أصلها وفصلها ومن باب ما كان من أمرها. وهذا ليس مبحثاً يخص عامة الناس هو مبحث الخاصة، ولا يمكن تبديله ولا تعديله إلا بما سيأتي من تبديل وتعديل بقوة إلهية.

أما عموم هذا الأمر أن نحاول التقرب من الله سبحانه وتعالى، الصلوات والتسبيحات، الأوراد إن كنت متصوّفاً فالأوراد لها معنى وطعم آخر في شهر رمضان المعظّم شهر رمضان المبارك الكريم الذي يفتح الله فيه بوابات طاقة ونورانية وروحانية، بوابات كبرى بوابات مهمّة، ولا يمكن أن تكون هذه البوابات إلا للقلب المُخبت المُنيب الخاشع الذي يريد فعلاً الوصول. **لا بدّ أن تركز في الرغبة الحقيقية في أن تصل، لا تجعل العبادة مجرد قضاء أمر أنت مأمور به وأنت لا تريده أنت مضطر إليه، هذا إن كان الإنسان يصلّي وإن كان الإنسان يريد أن يتقرّب.**

لا تجعل رمضان شهراً للعادات السيئة، في النهار أنت لا تشرب قهوتك أو لا تدخن سيجارتك، البعض يدخن السجائر، البعض لديه عادات معيّنة، في رمضان يتحول ذلك إلى غضب، حتى إذا أخطأ مع أحد

يقول له "مرمضن": أنا اليوم في حال في يوم صيام خاصة في اليوم الأول، ويتخاصم مع زوجته ويتخاصم الذي يعمل مع زميله.. ما السبب؟ ما هذا الغضب؟ لأني صائم! أنت عندما تكون صائماً هذا يمنعك من ذلك، لا يدفعك إليه. تم التلاعب الذهني أن الإنسان إذا كان صائماً في رمضان عليه أن يخاصم وعليه أن يغضب، وإذا مضى إلى المخبزة واقترب موعد الإفطار عليه أن يتخاصم ويتضارب، ويصبح الناس يتنافسون وترى المحلات عليها زحمة ويشترون ما لا يريدون وما لا يحتاجون. في نفس الوقت تجد في اليمن وتجد في بعض خيام اللاجئين في سوريا وتجد في غزة في هذا الشعب المحاصر، تجد قوماً صابرين زادهم قليل وصرهم كثير. يا ليتنا نستطيع أن نوصل الغذاء ونوصل أموراً إلى إخواننا في غزة، ولكن يحتاجون أكثر للدعاء وإلى مدد الله سبحانه وتعالى.

شهر رمضان شهر قُربى، فلنقسّم كما قلت لكم وقلت أنه شهر ترقّي وتلقّي، وجهتان ووجهان، وجه تعبدي وجهته الله وجهته رسول الله وجهته آل بيت الحبيب وجهته الترقية الذوقية وزيارة الصالحين بالقلب والتنعّم بهذه النفحات، دون إستماع إلى الذين يقولون لك هذا شرك. قضية الشرك ليست قضية صحيحة ليست قضية أصلية جوهرية في هذا الدين، النبي عليه الصلاة والسلام ضمن له ربّه أن لا يُشرك به من بعد النبي عليه الصلاة والسلام وعلى آله الصلاة والسلام. هذه الضمانة الإلهية هذه الوعود الربانية تجعل القوم الذين يتهمون الأمة اليوم بالشرك قوماً ضالين مخالفين لرسول الله "إنّ الله قد ضمن لي أن لا يُشرك به من بعدي"، "إن الشيطان ينس أن يشرك بالله في جزيرة العرب"، "لا أخشى عليكم الشرك من بعدي لكن أخشى عليكم الدنيا". فالذين يحولون وجهة من يزور ولياً أو صالحاً أو يتوسّل بآل البيت أو بالنبي أو يحبّهم إلى الشرك، هؤلاء ضالّون مُضلّون مخبولون محتالون على معاني النصوص وكذّابون على الله ورسوله.

نعم رمضان شهر لُحمة شهر محبة، لا تحوّله إلى متابعات دراماتية، إلى متابعات تلفزيونية تفقدك صوابك. نعم إن كان عمل راقٍ وجيّد، العام الماضي إستمتعتنا بجزيرة غمام على سبيل المثال فيه رسائل وفيه معاني ومباني، لا أقول لك أغلق على نفسك في رمضان واجلس داخل قارورة مغلقة سوداء، لا أبداً، لكن أقول لك: إستكّنه المعاني. إذا تلوت القرآن تدبر القرآن، أما تتلو القرآن تقول والله ختمته في رمضان عشرين مرة وأنت لم تقف مرة مع آية تنظر في معانيها تنظر في مجالها تتأمل فيها تقرأ هذا التفسير وذاك التفسير، خصوصاً عندك الآن في الوسائط في هاتفك فقط يمكنك أن تنزل تطبيق فيه جميع الشروحات للقرآن الكريم، التفاسير، كتب لو أنك تضعها في بيتك يملأ بناية كاملة، ما كان يتعب الطبري أو ابن حجر

العسقلاني أو غيرهم على الجمال وعلى السفن سنوات لتجميعه، تجمعه في ثواني! هذه الأجهزة التي بين يديك هي أمانة عندك وتحاسب عليها، تُسخرها في ما ينفعك ولا تُسخرها في ما يضرّك ويضرّ أهلّك ويضرّ نفسك.

## ليلة القدر

هذا الوجه الأول وجه تعبدي وجهته الله ورسوله وآل بيته والصالحين بإنكسار قلب بمحبة، وجه لتطهير النفس. إن غادرك رمضان وقد جُعت وضمّت وصلّيت ولم يتغير شأنك وحالك ولم ترتقي، فيا خيبة المسعى. تنتظر ليلة القدر، الجميع ينتظر ليلة القدر حتى يُفتح عليه باب العرش ويطلب من الله فيستجيب له، **باب العرش مفتوح 24/24 لأصحاب المحبة، لأصحاب الذوق، للدخلين بالله ورسوله وآل بيته والصالحين وإنكسار القلب.** باب العرش مفتوح إذا كان مفتاحك النبي، إذا كان مفتاحك علي وفاطمة والحسن والحسين وزينب وهؤلاء السادة والثلة والأولياء الصالحون الكمّل، إذا كان مفتاحك انكسار القلب، الشفقة على المؤمنين، الغيرة على هذا الدين، الدعاء للمسلمين، انشغالك بأن ترى الناس في خير، أن لا تحسد من الناس أحداً، أن لا تحقد على أحد.. يفتح عليك باب العرش. لا تنتظر ليلة القدر، **كل ليلة من ليالي الأُنس بالله هي ليلة قدر**، نعم تلك ليلة القدر المُعيّنة ولكن ليالينا كلها ليلة قدر، ليالينا كلها ليالي محبة. إذا كان قلبك محب لرسول الله لآل بيته لآبائه فهذا الباب مفتوح لك، يُجاب ويُستجاب لدعوتك، وأنت حتى إذا حدّثت نفسك بأمر الله يستجيب لك. هذا باب لا يُغلق أبداً طالما عرفت المفاتيح، طالما عرفت كيف تدخل.

- من يستكبر على رسول الله ويجاوز مقامه ويريد المباشرة مع الله هذا يخيب.
- من يريد الوصول إلى رسول الله ويعظّم أحداً على عليّه وفاطمته وحسنه ولا يحسن الأدب مع هؤلاء السادة ولا يحبهم، الباب مغلق في وجهه.
- من أراد أن يصل إلى آل البيت وهو يكره الصالحين وحتى سيدي عبدالقادر الجيلاني يتهمه في نسبه، ويسبّ بعضاً من ذرية النبي مدّعياً حب البقية وغير ذلك من الأمور، هذا أيضاً يتوهم ولا يدخل أبداً.
- من أراد أن يدخل على الصالحين دون إنكسار قلب، فقط ببعض الأناشيد ببعض الأمور، دون أن يكون قلبه منكسراً، عرفت بعض أذعياء التصوف يتكلم عن الأولياء وهو في الحقيقة شيطان

إنس، شيطان يلبس جبّة نظيفة على نفس كالجيفة، على نفس مخيفة فاسدة عنيفة سخيّة، ويريد أن يدّعي أنه موصول وهو ليس بموصول، بل لعنه أكثر الناس لعناً، يُلعن من الملائكة ويُلعن من الذين ينطق بأسمائهم من أهل الله والصالحين.

• وكذا أيضاً من يدّعي حب آل البيت وهو شتّام لعان مليء بالكراهية.

هذه أمور واضحة، هذا منهج وهذه المدرسة، وهذا ما ندعو إليه كل من يتابعنا وكل من يحبنا، أننا على نهج من المحبة والإخبات والإنكسار والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى والبحث عمّا يقربنا منه.

ليلة القدر إذا تلمّستها، لا تتلمّسها من أجل مصالحك الذاتية. والله لو يُفتح عليك باب العرش وتقول "اللهم ارحم أمة سيدنا محمد، اللهم بارك لسيدنا محمد وبارك لآل بيت سيدنا محمد، واجمعنا بالصالحين وأدخلنا في الصالحين، وعافنا واعفُ عنا، وفرّج الكرب عن أهل غزة، وأشهدني صلاة في القدس مع قائم آل محمد، وابعثني يوم القيامة بلا حساب ولا عتاب ولا عقاب، وأدخلني الجنة من ألف ألف باب مما أردت مع النبي والأصحاب والأحباب" هذا يكون خير لك من أن تجعل الأمر في جانب نفساني أو جانب آخر مما تظنه طلباً. اطلب للأمة، إبدأ برسول الله، ادعُ للنبي عليه الصلاة والسلام بالصلاة عليه، اطلب من ربك سبحانه وتعالى أن يزيد في الإكرام له، هو لا يحتاجك والله لا يحتاجك، ولكن هذا لما تدعو به الله يقبلك. تدخل بالنبي يقبلك الله، تدخل إلى النبي بعلي وآل البيت يقبلك الله، الصحابة أنفسهم والله ما دخلوا ولا وصلوا إلا برسول الله وإلا بآل بيت رسول الله، "بَخِ بَخِ لَكَ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ صرنا مولانا ومولى كل مؤمن ومؤمنة".

هذا الكلام ليس مذهبي، من يقول هذا الكلام لا يعني أنه ينسلخ عن المدرسة السُّنية السُّنية والتصوف السُّني السُّني. وإن لم تكن صوفياً كن صاحب ذوق، أنا لا أطلبك أن تكون في طريقة معينة، ولا حتى طريقي أنا وإن كنت أعلم على منهاج الطريقة الخضرية وعلى منهاج التصوف عموماً علماً وتأصيلاً. ولكن أقول لك: كن صاحب ذوق، كن صاحب أخلاق، كن صاحب همّة، كن صاحب سرّ، كن صاحب وصل.

هذا الوجه الأول والوجهة الأولى.

## 2- الوجه المقاوم والوجهة نحو القدس

الوجهة الثانية والوجه الثاني هو وجه مقاوم دون مراوغات، وجه للمقاومة، وجه أن نقف مع أهل غزة وأهل فلسطين وأن ندعو لهم، وأن نقف مع الأمة ضد أعدائها من التكفيريين والعاثين والواهمين واللاعبين بالأذقان من أدعياء المذهبية، وأدعياء الطرق الصوفية المزيفة التي لا سند لها ولا حقيقة لها، مع إحترامنا للصادقين من أبناء هذه المذاهب وأبناء هذه المدارس. الوقوف مع المقاومة بالمعنى الذي يعني أنك تقف مع المظلوم ضد الظالم، مع أهل الأرض المغتصبة ضد من إغتصبها، مع المقتولين ضد القاتل، هذا منهج ومبدأ.

أن تقف معهم يعني أن تدعو لهم، يعني أن تتفكر فيهم، يعني أن لا تنسى بطول الوقت، عندما يطول الأمر ويطول أمد الأمر قد ينسى الإنسان وقد يجعل له في الدنيا ما يشغله، وقد يُعذر في ذلك. لا تنس هؤلاء الذين يُقتلون الآن، لا تنس أبدأ ما كان من أمرهم، لا تنس آباءهم، فلتكن لديك ذاكرة. تذكر من أُحد ومن آلام النبي في الطائف إلى ما كان بعد ذلك، إلى وقعة الطف والحزة وفخ، إقرأ ادخل للتاريخ وإقرأ، إقرأ كتاب "مقاتل الطالبين" وانظر فيه، تذكر حتى تعلم أن هنالك جانباً من الوجد. أنت تحب آل البيت وتقول أنا أحبهم، تحب أفراحهم وأيامهم الملاح ولكن لا تبكي جراحهم ولا تتألم لما أصابهم، هذا كذب.

"من مُبْلِغِ عني الحسين رسالةً \* \* ولو أنكرتها أنفُسٌ وقلوبُ"

يُصَلِّي على المختار من آل هاشم \* \* وَيُغزَى بنوه إنَّ ذا لعجيبُ"

كما قال سيدنا الإمام الشافعي

لا تنس ولا يقسون قلبك، طول الأمد دائماً يُقسِي القلب.

الوجه الثاني لصيام هذا الرمضان هو وجه مقاوم، ورمضان هذا له ما بعده، سيكون فيه وسيكون ما بعده أمور أخرى إن شاء الله يُجلِّبها الله في أوانها ووقتها. الوجه الثاني وجه مقاوم والوجهة الثانية نحو القدس نحو غزة، نحو المظلومين نحو المبتلين، نحو التائهين أيضاً، حتى نكمل هذه الوجهة من باب **المقاومة للرداءة** والفساد ومقاومة لكل معنى ليس بمعنى جميل ليس بمعنى جيد ليس بمعنى فيه روحانية فيه نور، هنالك معاني قبيحة للأسف. لا بد أن نفهم أن وظيفتك كمؤمن كعابد كإنسان مستقيم إذا كنت على

إستقامة ما، أن تدعو للضالين الذين يحبهم الله وقد نسوا، هذا مبحث مهم جداً وأنا إن شاء الله أذكر به وإن كنت قلته في درس ماضٍ، أن ندعو للذين ليس لهم لا رمضان ولا غير رمضان، مُبتَلون. بلاءات الذنوب بلاءات شديدة جداً، أنفس مريضة وقلوب طيبة، هؤلاء يحتاجون وهم غرقى إلى من يدعو لهم، كن أنت هذا الداعي، إصطد في البحر البعيد. لا بدّ أن تدعو من قلبك في رمضان في لحظات قبورك لإخوتك وأخواتك الذين هم مؤمنون طيبون ولكنهم ضالّون ضائعون جائعون للنور، هذا نوع من القتل الآخر. الصهاينة ليسوا فقط يقتلون أهل غزة، هم يقتلون القلوب بالمعاني المزيّفة، يقتلون الأرواح بالروحانيات الفاسدة، يقتلون العقول بأمراض الوهم، يقتلون القلوب بالكراهية والتكفير والتعهير والتزوير. كثيرون هم الذين ضلّوا عن السبيل وهم طيبون، عندما ندعو لهم لعلّ الله سبحانه وتعالى يلتفت إليهم ولعله يناديهم ويعيدهم.

### من أسرار الفاتحة

في الفاتحة نفحة عجيبة، سرّ كبير جداً، في أواخرها، لي كتاب كما كنت ذكرته إسمه "الفاتحة في أحكام الفاتحة". في آخر هذه السورة العجيبة، تجد أنه ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾. القرآن الكريم له نظام، وهذا النظام من معانيه أنّ التدرج عند الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم تدرّج منطقي، على سبيل المثال تجد: السابقون - أصحاب اليمين - أصحاب الشمال (الأفضل - الأقل فضلاً - السيئون)، أو تجد: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ الأكثر سوءاً ثم السيء ثم الأقل سوءاً، من الجندي القائد العسكري إلى الجندي التافه الأبله الذي لا يعي من الأمر شيئاً. إلا الفاتحة تجد: الأفضل - الأسوأ - الذي هو بين الأفضلية والسوء (المنعم عليهم - المغضوب عليهم - الضالين).

هذا التمشّي فيه سرّ كنت كتبتّه، هذا السرّ حسب ما أشرت إليه هذه اللطيفة أنّ: وظيفة المغضوب عليهم، وهم منتشرون في كل الإنسانية، لا تعني الآية أنّ المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم المسيحيون والمنعم عليهم هم المسلمون، المنعم عليهم هنا هم محمد وآل بيته ومن دخل في هذه الزمرة الطيبة، هذا المعنى الأصلي، لأنهم أصحاب الصراط ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، هم المؤمنون يقولون ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ﴾ بمعنى: إهدنا إلى طريق قوم هم أصحاب هذا الصراط. من صاحب الصراط؟ النبي محمد. ومن أعطى الصراط؟ سفينة النجاة آل بيت النبي محمد. ومن الذين

هم بوابة لتلك السفينة؟ هم الصالحون، والصالحون معنى واسع جداً، الأنبياء طلبوا أن يكونوا من الصالحين، الصحابة أيضاً فيهم الصالحون وفيهم المنافقون بلا ريب وفيهم من هم بين هذا وذاك (والقرآن يُثبت ذلك)، وكذلك أهل الله عباد الله الصالحين الأقطاب والأغواث والأبدال وغيرهم. هؤلاء أصحاب الصراط، يطلب الناس أن يدخلوا في هذا الصراط.

عمل المغضوب عليهم:

- أن يحاولوا تحويل أتباع المنعم عليهم إلى ضالين، تجد أنه تابع للمنعم عليهم لكنه يضلّ الطريق.
- وتحويل الضالين من ضالين لهم أمل في أن يعودوا إلى الطريق إلى مغضوب عليهم، حُتِمَ عليهم، شياطين إنس.

أما **وظيفة المنعم عليهم وعملهم فهو: أن يخترقوا المغضوب عليهم**، المغضوب عليهم حاجز بين الضالين والمنعم عليهم، وهذا واقع. أن يخترقوهم بالأنوار والأسرار بالعلوم بفقهِه الواقع بالفهم بجميع الوسائط كما نفعل نحن الآن، أن يخترقوهم حتى يتصلوا بالضالين ويُنقذوهم من هاوية الضلال والغضب ويُدخلوهم في دائرة المنعم عليهم.

**القرآن برمته موجود في الفاتحة**، المآلات والمسارات الدعوية والإنسانية كلها، كل القرآن يفسر الفاتحة، يفسر معنى البسملة، معنى الألوهية الرحمانية الرحيمية، معنى الحمدلة، معنى رب العالمين، معنى العالمين، إلى غير ذلك.. معنى يوم الدين ومُلك يوم الدين، وهذه العبادة والإستعانة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. في النهاية نحن عندما نطلب المدد من نبي أو ولي إنما نستعين بالله، نستعين بعبد مقبول عند الله، ليس الأمر شركاً بالله بل هو عمق التوحيد بالله. لما تزور ولياً تعتقد أنّ الله وآله وتعتقد في الله، لا يمكن أن تزور ولياً وأنت غير معتقد في ربه، أو أن تعتقد أنّ الولي هو الله أو هو الفعّال دون الله، أما **فعّال بالله** موضوع آخر، فعّال بالله طبعاً! وأنت تزور السرّ إذا كنت تعتقد، يقولون مثلاً أنّ "النبي في حياته يتوسّلون به وبعد مماته لا"، لماذا؟ هل هو في حياته هو الذي يُتوسّل به على أنه هو النافع الضار دون الله؟ إذا كان الأمر بالله فالروح حيّة، والروح هي المقصودة هي المرجوة هي الغاية، إنما غايتها أن توصلك إلى ربّها، فهي غاية خلفها غاية، غاية أولى النبي عليه الصلاة والسلام يحملك إلى غاية أعلى.

وهذا القرآن الكريم يبيّننا ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ ماذا قال لها؟ ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾، طيب كيف ترجعين إلى ربك؟ الغاية الله ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾. أيتها النفس المطمئنة،

حتى ترجعي إليّ راضية مرضية، عليك أن تدخل في العباد، ثم تدخل في الجنة التي قام عليها العباد. هذا المسار إذا بلغت الطمأنينة الروحية والنفسية في الدنيا، لا تحتاج أن تسمع هذا النداء بالموت، أنت الآن تموت نفسك قبل موتك، فتدخل في العباد تدخل في الجنة الإلهية، جنة المعاني جنة اللطائف جنة الأذواق والأشواق، وترجع إلى الله. هذه الآية لو يفسرها هؤلاء الحمقى تصبح شركاً: "أنت راجعة إلى ربك ماذا تفعلين بالعباد وماذا تفعلين بالجنة؟! هذه حُجب". لا، لا يمكن أن ترجع إلى ربك وأن تصل إلى ربك إلا بنبيك وإلا بآل بيت النبي وبالصالحين، تدخل حينها في جنة اللطائف والمعاني.

حتى في صلاتك عندما تنهيتها وتقول "التحيات لله والزكيات لله..". تسلّم على النبي "السلام عليك أيها النبي". "عليك أيها" تعني أنه حاضر معك، "عليك" ولست تقول السلام على النبي الكريم، "عليك" إذاً هو يراك ويسمعك، أنت داخل به. و "السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين" على المؤمنين أجمعين كوحدة وعلى الصالحين الحاضرين أيضاً، وإلا لا تُقبل صلاتك. فهذه من المعاني.

فالمعاني في الفاتحة تعطيك مهمة أننا عملنا أن نخترق المغضوب عليهم إلى الضالين حتى نهددهم. الطبيب يعمل عند المرضى ولو انقطع المرضى لانقطع عمل الأطباء، والداعية الرباني الحقيقي يعمل عند الضالين لو انقطع هؤلاء فلا يمكن أن يبقى ويستمر له وجود. ما بال داعية يدعو فقط في مجموعته، يدعو في قومه، يدعو في الذين هم يشابهونه؟! هؤلاء يعينونك يؤيدونك. أنا ألترم وملترم منذ زمن أنّ عملي العلمي والمعرفي يستهدف البعيدين عن المدارات الإيمانية، والحمد لله عدد كبير من الذين كانوا على الإلحاد وهم من تخصصات علمية راقية جداً، لما قابلوني أو بعضهم راسلني وتواصل معي وشاهد دروسي خاصة الدروس البرهانية، رجع إلى جادة الصواب، لأنني ربطت له بين العقل والنقل وضربت الأحاديث الموضوعية الباطلة التي تُعقد الإنسان وتُبعده عن الإيمان ويقول "أنا أصدق العلم ولا أصدّق هذه الترهات" وجمعنا بينهما بعلم الكشف وبعلم أخرى كثيرة.

من تابع الدروس من أبنائي ممن عرفني وتابعني في السنوات الماضية يعرف جيداً عما أتكلم، وعندما نتكلم عن تأملاتنا العرفانية وكذلك الفكرية والعلوم التي حُضنا فيها في الأبعاد الإستراتيجية والكونية والفلكية وسواها، يعرف جيداً عن هذا التمكن، وأنّ الغاية هي الله سبحانه وتعالى، أنّ الغاية والمطلوب والمقصود هو البارئ عز وجل وخدمة هذا النبي الكريم وهذا الدين. وإن كان الإنسان لا يرى نفسه أهلاً، في مرّات كثيرة يشعر بأنّ الأمر كبير عليه وأكبر منه، ولكن كلّ ميسّر لما خُلق له، هذا ما خلقنا الله له حتى ندعو على بصيرة وحتى ندعو على علم وعلى بينة.

## خاتمة

هذه رسالة نوجهها لأحبابنا وللأمة الإسلامية كلها، لتكن أيام رمضان القادمة ليست مجرد أيام هكذا نضيّعها، ولا أيام أنانية تضيّعها في الطعام وتضيّعها في الخصام وتضيّعها في الأوهام، إنما لديك مهمة. **مهمة أن نحرك شيئاً من مدد الله من سرّ الله، لعلّ الله يطف، لعلّ في رمضان لا نسمع إطلاق نار ولا نسمع قنابل على أهل غزة، لعلّ الله يحقن دماءهم على الأقل في هذا الشهر المبارك، ثم لعلّ يحقنها في ما بقي من الأيام، لعلّ الله سبحانه وتعالى يطف بنا وبهم. وإن كان الصهاينة قد جنّوا وفقدوا عقولهم، وأخذوا البقرات الحمراء وينتظرون إحراق بقرة بعد ذبحها وتطهيرهم والهجوم على المسجد الأقصى، هذا سيكون في الأيام والأشهر القادمة. ولكن الله له حكمته وله تديره، نحن نؤمن أنّ الله له خطة إلهية، قدر مُحكم سيتّم وسينقذ، ما علينا إلا إنتظاره، وهذا الإنتظار يكون معه عمل ويكون معه استمرارية.**

هذا ما أردت قوله لكم الليلة وما أردت أن أرسله إلى قلوبكم الطيبة، كُنّا في العراق وما زال العراق فينا، كنا في هذه الزيارات وهذه النيارات وهذه المحبة التي غمرنا بها هؤلاء القوم الطيّبون الكرام الأحاب، جزاهم الله خيراً وبارك الله فيهم ولهم وحولهم، كنا مع قوم من أحببنا من أهل الله من أهل التصوف من أهل المعرفة من أهل النور من أهل السر، وكنا أيضاً نزور هؤلاء الصالحين. ورددنا بالعلم والحجة على بعض الحمقى الذين لا علم لهم ولا فهم لهم، يتشدّقون تشدّق الصبيان وينظرون نظر العميان وليس لديهم لا علم ولا برهان، فقط مجرد تشدّقات "شرك شرك، بدعة بدعة، قبورين، هذا ليس من أهل السنة والجماعة، هذا خطر، هذا من الروافض..". وغير ذلك من الكلام الفارغ. نحن بحمد الله على تصوف سنيّ سني، نمدّ أيدينا لإخوتنا في الإنسانية وإخوتنا في الديانة، لكل عاقل، لكل من يعي بأمانة المرحلة وبثقل المرحلة وأنه مكلف بأمر كبر أو صغر، المهم لديه أمانة، لديه برنامج رباني يطبّقه، برمجة إلهية في داخله، اتّصل بذلك البرنامج الرباني وعرف أنّ له مهمة وبدأ يقوم بها.

**العجيب أنّ النحلة تعرف مهمتها، النحلة تبني هذا البناء العجيب لبيت النحل بهذا الشكل العجيب والنحلة تصنع عسلها وتستمر فيه، النملة كذلك، الطيور كذلك، إلا هذا الإنسان المسكين! بكثرة المضلّين قد يعيش ويموت ولا ينجز من مهمته شيئاً، هذه تعاسة كبيرة جداً، أن يعيش كالبهيمة يأكل ويشرب وليس غير ذلك. وبعضهم أيضاً يُخيّل إليه أنه فهم ولم يفهم، أنه علم ولم يعلم، ويضيّع الناس خلفه، هكذا هي الدنيا للأسف.**

لذلك نعيد ونكرر وفي الإعادة إفادة، رمضان إن شاء الله هذا الشهر فليكن شهر ترقّي وشهر تلقّي. ستكون لنا دروس إن يسّر الله لنا ذلك. قد نساfer في رحلة روحية عظيمة هذا الشهر لعلنا نفعل ذلك وتكون لنا وجهة يُريها الله لنا إن شاء الله في هذه الأرض قد نفعل ذلك، إن لم يُمكن لنا من هذا الأمر فإن شاء الله نبثّ بعضاً من تأملات في هذا الشهر الكريم، وقد نعلّق الدروس البرهانية بحكم أنها غير ممكنة في شهر رمضان ولكن سيكون لنا مجال وفرصة لبعض الدروس أو بعض التأملات أو بعض النفحات وبعض الكتابات. ولكن أنا شخصياً أركز في رمضان على جوانب ذاتية وروحية لمزيد الترقية والتطوير حتى نقدّم أموراً أفضل إن شاء الله ونكون في حالة أفضل.

وجه أول لرمضان وجه تعبدي، وجهة أولى نحو الله نحو النبي عليه الصلاة والسلام نحو راية النبي وبيت النبي وآل بيت النبي نحو أصحاب النبي نحو أصحاب النبي نحو العارفين من أمة هذا النبي الكريم نحو الصالحين والصلحاء والأتقياء، وجهة قلبية إيمانية تطويرية ذاتية، حتى لا نقع في الأوهام ولا نقع في سوء الأفهام ولا نقع في الإتهام أيضاً ونجلس نتهم بعضنا البعض ويتحوّل الشهر إلى خصومة وإلى أمور أخرى لعلها بهائية. عندما نشاهد هذا الهلع نحو الطعام، هو رمضان شهر زهد، هذا الهلع وبعد الإفطار يعلم كلُّ أنه طبخ فوق ما يطيق، ماذا يفعل؟ يلقي به بعد ذلك! **والله سيحاسبك على كل ذرة قمح، سيحاسب الإنسان على كل ما أعطاه، هذا ليس ملكك، هذا أخذ من فم جائع آخر وأعطيت لك وأنت أنفقته في لا شيء.** وكذلك يتتبّع هذه اللعبة المشهوية التي تتكرر في كل عام بشكل أسوأ، كل عام تقترب من الدعارة مسلسلات وفساد وكاميرا خفية فيها نوع من الإذلال ونوع من الانحطاط، كان ربما تُفعل بعض المسلسلات الذكية الجميلة الأصيلة، ولكن اليوم إلا ما رحم الله.

وجهة أولى نحو الله وجه تعبدي، والوجه الثاني وجه المقاومة بلا ريب نحن لا نماري في هذا. نحن عندما نتكلم عن المقاومة نتكلم عن أننا نرفض أن نصمت على القتل، نرفض أن نتهم المظلوم ونترك الظالم، نرفض أن ننساق خلف مشروع تخريب الإنسانية وتخريب القيم الإنسانية، ويهدّدون الآن بأمراض جديدة وبوباء عالمي جديد وغير ذلك من الأمور، نرفض أن ننساق في ذلك. لا نقدر على مواجهته، ليس لدينا أسلحة ليس لدينا أمور معيّنة تفوق قدرتنا، نقف بالقلوب، بالكلمة الصادقة، بالموقف، بالوعي، يكفي أن تكون واعياً، يكفي أن تكون صاحب ذاكرة وأن تتذكر. لا تنسَ أشقاءك الذين قُتلوا والذين يُقتلون والذين يُحاصرون وأنت تستمتع بطعامك في أهلك، لا تنسَ ذلك، لا أقول اقتل نفسك كمدماً وحنناً (وإن

كانوا يستحقون هذا) ولكن لا تنسَ. ومن جانب ثاني: الوجهة القدس، الوجهة النصر للامة كلها، إنتصار معنوي، إنتصار قيمي، إنتصار أخلاقي، إنتصار علمي.

### انتظار قيام قائم آل محمد

الوجهة الحقيقية: إنتظار قيام قائم آل محمد، هذا الإنتظار لا يعني أن تجلس منتظراً، بل أن تبني نفسك، لا يعني أن تصدق الواهيمين والكذابين، كل مرة يخرجون لنا مهدي جديد. منذ فترة مهدي إنجليزي لا يتقن اللغة العربية، واستوديو متطور جداً وكراسي ومجموعة يلبسون الأسود (شبيهة بداعش)، وهو يضع قلنسوة على رأسه، تبدو عليه التعاسة، ومُدرب جيداً، ويأتون بصحفية جميلة تحاوره، ويتكلم بأحاديث آبائي بأحاديث أجدادي آل بيت النبي، يتكلم بلساننا!! كالذين من قبله التجار المتاجرون بدماء آل بيت النبي، بدماء الصالحين، بدماء الشهداء، بدم النبي محمد، بقرآنه، بالسّر الذي نزل عليه، كالذين خانوا في البدايات والذين خانوا فيما بعد، هؤلاء يلعبون بمخابرات معينة. تعساً لك وتعساً، المهدي لا يتكلم اللغة العربية؟! أنت لو جئنا بتلميذ بسيط من معبد شاولين مارس الكونغ فو منذ شهرين لكسر لك فمك وأنفك ويديك.

المهدي الحقيقي رجل عظيم مقاتل بارع ما رأى الناس له مثيلاً، علي ابن أبي طالب في هيئة جديدة في سرّ جديد. المهدي الحقيقي عالم لا يمكن لأحد أن يفوقه علماً إلا جدّه المصطفى عليه الصلاة والسلام. المهدي الحقيقي رجل ذو ذوق وأخلاق وحزن وألم وأسى على آبائه. رجل يقف موقفاً يوقفه الله فيه يُظهره الله فيه، المهدي الحقيقي لا يظهر أبداً إلا بالنداء الجبرائيلي، معجزة إلهية. نؤمن بها لأنّ النبي عليه الصلاة والسلام ذكرها والقرآن أشار إليها ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَهُمْ﴾، من يقود هذه المرحلة؟ هذا الرجل المحمدي الفاطمي الحسيني الحسيني، هذا الرجل الخضري المُلهم المعلم المُحدّث. عندما يُظهره الله يُظهره بمعجزة، لا صفحة فيسبوك أو شخص يصوّر على يوتيوب أو شخص يتكلم هكذا.. كل مرة يأتونك بواحد، هذا المهدي اليمني، وهذا المهدي المدّعي في العراق، كلهم أدعياء وكذابين.

دعنا من الخلاف بين السنة والشيعة إن كان ابن الحسن العسكري أو كان يولد في وقته هذا موضوع آخر لا ندخل فيه، فليُظهر الله ما أراد. المهم أنك إذا آمنت بهذا الأمر لا يعني ذلك دخولك في تنظيم سري

أو تنظيم ظاهري، لا يعني ذلك أننا ندعو إلى تدمير الدول وتدمير الأنظمة، هذه أوهاام. إنما نقول أنّ الله ورسوله قد وعدانا والإمام علي وأئمتنا والصلحاء في أمتنا والعارفون بظهور رجل يملأ الأرض عدلاً بعد أن مُلئت ظلماً وجوراً وكذباً وزوراً، وأنّ الله سبحانه وتعالى ينصره بملائكته وأنّ جبرائيل ينادي في بيعته، هذا نؤمن به. ويؤمن به أيضاً اليهود بمسيح، يؤمن به رؤساء الكيان الصهيوني وأتوا ببقرة حمراء ليحرقوها بعد ذبحها ويطهروا الشعب اليهودي ويدخلوا على القدس ويخربوها وبينوا المعبد. يؤمن به الأمريكيان يؤمنون بالهرمجدون ويؤمن به الرؤساء من قبل واليوم، من قبل ريغن والذين قبله والذين بعده كلهم يؤمنون بهذا الأمر. يؤمن الهنودوسي بوجود مخلص، يؤمن البوذي بمخلص، تؤمن الشعوب الطوطمية والبدائية بوجود مخلص، يؤمن بقايا الأناكا والأزتكا بأن مخلصاً سيرجع، كتب السومريون والأكاديون عن رجل سيأتي في آخر الوقت ويخلص الإنسانية. أنت لمن تنتمي إن كنت لا تؤمن بهذا؟!!

وإن كنت تتهمنا في عقائدنا وتتهمنا بالسخف والخرافة، فأنت صاحب خرافة. أنت من؟ ملحد؟ حتى الملاحدة يؤمنون بالطبيعة الخارقة والإنسان الخارق القادم، حتى الملاحدة لديهم إيمان بالإكس مان والسوبر باورز وهذه القدرات الخارقة القادمة، ويكتبون الأفلام ويروجون أنّ الطبيعة ستقوم بطفرة جديدة بعد الطفرة التي حوّلت الخلايا الأحادية إلى ثدييات والثدييات إلى قرد والقرد إلى اومو سابيان سابيان وإلى إنسان. هذه منظومة كاملة، الكل الآن يؤمن بطفرة، سواء هذا سمّاه المهدي، مشيح، عودة المسيح، مخلص.. الأسماء مختلفة، الأسماء عند البوذيين والهندوس كلٌ يسمّيه، عودة بوذا الثاني أو غير ذلك.. كلهم! إلا الثّقّة من هذه الأمة، إلا الحمقى المُنبَتِّين الذين لا دين لهم والذين يسخرون من هذه العقائد لأنهم أذيال الصهيونية. والذيل لا يرى، الذيل ليس فيه عقل ليس له عينان، الذيل هو ذيل فقط، مكنسة، كثيرون الآن في المشاهد الإعلامية وفي غيرها أذيال لا أكثر، لا يملكون إلا الجدل، ولو جادلوا لجادلوا من هو عاجز عن المجادلة، ولو جادلونا لأفحمناهم.

هذا الإيمان الذي نؤمن به ونعتقد فيه **كاعتقادنا في يوم القيامة**، أنا أقول لك: "يوم القيامة تُخرب المدن والكواكب"، تقول لي: أنت تريد تفجير المدن وتدعو إلى تخريب المدن؟ إمنع يوم القيامة إذا أتى! إن كنت لا تؤمن به سيأتي رغماً عن أنفك وسيحشرك الله ويدخلك النار إذا أراد ويعفو عنك إذا أراد، ستقوم الساعة وهذا العالم سينتهي، وهذه الكواكب ستنفجر، ولن يكون انفجارها بسبب تقادم كما يظن العلماء بعد مائة ألف مليار سنة، ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ يا عزيزي إنتهى الموضوع.

كذلك هؤلاء الصهاينة والله مهما علوا ومهما فعلوا وأتوا بمليار بقرة، زوالهم اقترب، نهاية هذه الحضارة بكل عنجهيتها. قوم عاد كان لديهم برامج لآلاف السنين عتوا ﴿فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾، فرعون كان لديه برامج مستقبلية ثم غرق وانتهى برنامجه. عندما يأتي أمر الله سيأتي أمر، عندما يريد الله إزالة سوف يزيل، عندما يريد ذلك نحن ننتظر نؤمن، إذا لم يتم في زماننا يتم في زمان أولادنا لكن لن يطول الأمر كثيراً. هذا الإيمان ندعو إليه ونؤمن به، ولا يعني ذلك أبداً أننا نتبع الخزعبلات والخرافات ولسنا بواقعيين، كان فرعون واقعياً جداً، وكان جنرالاته واقعيون جداً وهم يقولون: "هؤلاء شرذمة قليلون ونحن سندركهم وهذا يحمل عصا في يده ماذا سيفعل سيشق البحر؟" شق الله له البحر! راعي يمسك عصا يزيل بها حكم أكبر طاغية في زمانه، والله سيفعل ذلك بهؤلاء. ولو لم يكونوا يعلمون يقيناً أنّ زوالهم اقترب وأنّ أمرهم خرب، لما قتلوا أهل غزة ولما فعلوا في العالم ما يفعلون الآن، من تسخين الكوكب، من شعاع أزرق، من إذابة جليد، مما يفعلون في القطب الجنوبي، من تجارب نيكولا تسلا التي عثروا عليها وسيطروا عليها وغير ذلك، ملف كبير ليس هذا أوانه الكلام فيه ولا التفصيل فيه.

هذا ما أردناه، رمضان مبارك لكم جميعاً متابِعونا، شهر مبارك إن شاء الله شهر بركة شهر خير، شهر استرجاع للذاكرة، شهر استحضار لعظمة الله وكرامة النبي محمد. الأمة في جفوة مع نبيها لأنّ الفكر الدخيل الفكر التفكيري هذا الفكر الضال الضئيل قزم من شخصية النبي: بشر كغيره، ويخطئ أكثر من غيره، وأمه وأبوه في النار، وعمّه الذي ربّاه في النار، وابنته قد تُقبل عبادتها وقد لا تُقبل "إعلمي فإني لا أغني عنك من الله شيئاً" "لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم" كلام فارغ! وعليه لا يساوي شيئاً وبعض الصحابة خير منه، وغير ذلك مما جعل أسساً في بعض المشهد المذهبي! لا، نحن كمحمّدين كرتانيين كأبناء النبي وأحفاده والمنسوبون إليه والمحسوبون عليه، ديننا أن نلقى الله بهذا التوقير والتعظيم لسيدنا محمد، هذا الحب لآل بيت النبي، هذا الحب للصالحين. هذا الدين المنفوح المشروح الذي يُؤتى لقلب تنبض فيه الروح، يُؤتى لإنسان لديه هذه النفحة الإيمانية الرحمانية.

هذا الشهر الكريم شهر رمضان شهر البوّابات النورانية، شهر الأسرار الرحمانية، شهر اللطائف الأحمدية المحمدية، شهر الغيرة العلوية، شهر الهيبة الحمزوية، شهر الفداء الجعفري لجعفر الطيّار، شهر السناء الفاطمي، شهر الجمال الحسيني، شهر الإباء الحسيني، شهر الصبر الزيني، شهر الجمالات والكمالات الجيلانية والرفاعية والدسوقية والشاذلية والجشتية والتيجانية والأسمرية وغيرها، شهر الإنتظارات المهدوية والأحوال المهدوية، شهر أئمة آل البيت، شهر الصادق والباقر والكاظم وزين العابدين والرضا

والجواد والهادي والعسكري، شهر أئمة آل البيت على إتساع المصطلح، شهر أبنائهم الحسن المثنى وعبدالله الكامل وإدريس ومحمد نفس الزكية وزيد ابن علي، شهر الأتقياء، شهر عمر المختار، شهر الأمير عبد القادر الجزائري، شهر الشيخ بوعمامة، شهر عزالدين القسام، شهر شهداء غزة الذين هم الآن في موائد الرحمن عند الله.

رمضان الآن هو أول شهر يقضيه شهداء غزة عند النبي، يقضونه في جنة، يقضونه في برزخ، يقضونه في نور، يقضونه في سرور، ونحن عليهم في أسى وفي حزن، ولكن هؤلاء الرضع الذين قُتلوا والذين الآن أجسادهم ندية طرية تحت الثرى، أول شهر لهم، هم يستبشرون بنا لأننا من خلفهم، ويأكلون عند الله يُرزقون ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾. أول شهر لهؤلاء النسوة اللاتي مضين إلى ربهن، هؤلاء المبتلين الصابرين. وهم ينظرون إلى رايات النصر ترتفع، إلى الملائكة تستمع وتندفع، وتنزل فيالق إلهية تقصد هذا الكويكب الصغير، هؤلاء الضحلاء الضؤلء الدخلاء الذين ليس لهم شيء وليس لهم إلا نار جهنم تسعى خلفهم، هؤلاء الضعفاء الذين لا يملكون شيئاً في الحقيقة. تعست قواهم وخاب رجاهم وغضب عليهم ربهم ومولاهم، قادم إليهم من يهدهم، وقادم إليهم من يصدّهم، وقادم إليهم من يردّهم، عامان عشرة أعوام، أعوام قليلة. لعلّ هذا رمضان هو بداية حساب في كفّ اليد الواحدة، لعلّ الله سيأتي بأمر لا تتخيله عقولكم، لعلّ الأفلام افنجرز واند غايم وهذه الأفلام السينمائية المشهدة الذي يُنفق عليها المليارات لعلّ الله أتى من خلف ذلك بأمر له ومكر مكرراً أعظم من مكرهم الذي مكروه ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ وسيأتي الله بنيانهم من القواعد.

فلنهيء قلوبنا، أنت تنتظر هذه الحضرة المهدوية ماذا أعددت لها؟ ماذا أعددت لها في قلبك في روحك في عقلك؟ إستيقظ، ليكن رمضان شهر الإستيقاظ وشهر إيقاظ الهمم إن شاء الله.

#### دعاء

صلّ اللهم وبارك على سيدنا محمد نبي الهدى ونور المدى، الذي دعا إلى الله وما ضاع سعيه سُدى، وعلى آل بيته الذين كانوا لصوته الصدى، ولصيته المدى والندى، اللهم صلّ عليه وعليهم، اللهم أرسل سلامنا إليه وإليهم.

اللهم رب العالمين أوقفنا حاجتنا بين يديك وتبنا إليك فدلنا بك عليك، اللهم اعفُ عنا فيما اظلمت به من ذنوبنا، واستر واغفر وانزع ما ظهر وما خفي من عيوبنا، وحقق لنا ما حُقق وما سيُحقق من مطلوبنا ومرغوبنا، بمرضاة محبوبنا وبنوال من عندك يا رب العالمين، ننال فيه الرضا وننال فيه المحبة. اللهم أحبنا حباً لا يمكن أن يخترقه من عملنا شيء فاسد، ولا أن يبطله حاسد، ولا أن ينتزعه راصد، وقنا من شر كل حاسد وفساد وكاسد، اللهم قنا السيئات وارفح لنا الدرجات واعفُ عنا يا رب الأرضين ورب السماوات، بجاه نبيك شريف الذات والصفات، مفتاح الجنات، المخبت لك في كل الأوقات، وبجاه آله الذين هم لذاته مرآة وأكرم بها من مرآة، وبالصالحين الذوات السادات رفيعي الريات محققى الغايات أصحاب البدايات والنهايات، وبمهدي الكلمات والآيات والبيئات، الذي يأتي فيما هو آت، يا رب العالمين.

اللهم صلِّ وسلِّم على رحمتك المهداة، على الداعي إلى سبيل النجاة، على الذي أخلص لك الصيام والصلاة، وبارك لنا يا رب العالمين في هذا الشهر رمضان المعظم، أدخلنا اللهم بالإقبال والقبول والوصول، بجاه الرسول وابنته البتول، وعلي سيد الفحول، والحسنين أصحاب النهى والعقول، وصدق اللهم على ما نقول. بارك اللهم في تلاميذنا وأحبابنا ومحبينا، وبارك فيمن تبعنا واتبعنا، اللهم وخذ أعداءنا أخذاً وبيلاً، لا تغادر منهم كثيراً ولا قليلاً، لا تفرغ اللهم عليهم صبراً، واجعل الدنيا عليهم قبراً، أعمِ اللهم شيطانهم وهدم أركانهم وأر عزرائيل عنوانهم. اللهم رب العالمين وأرحم الراحمين، من أرادنا بكيد فكِد به، ومن أرادنا بشر فاجعل الشر فيه وعليه وحوله، ومن كاد لنا فاجعل ملائكة المكر عندك يكيدون به من حيث لا يعلم واجعل تدميره في تدبيره.

اللهم احفظ بلادنا وأوطاننا، واحفظ هذه البلاد التونسية الأبية الجميلة، رُدّ اللهم مجد زيتونتها، واحفظ حاكمها وقائمها، واحفظ اللهم شعبها وجيشها وأمنها وكل صادق فيها، وخذ كل ظالم وخائن وكل فاسد أخذ عزيز مقتدر إنك قادر، ببركة صُلاحها وصالحيتها وأهل الولاية والعناية فيها، ببركة ذرية النبي وأصحاب النبي، بأبي زمعة البلوي وأبي لبابة الأنصاري، وبكل وليّ وتقيّ ونجّيّ وصفيّ وسيّد من ذرية الإمام علي، اللهم رب العالمين بارك في أرض النبي، في كل أرض فيها راية له.

اللهم وارفح البلاء وارفح البلاء عن أهل غزة، بنصر يُسر وعِزة، وأشهدنا اللهم نصرأ لهم وكسراً لعدوهم، وأشهدنا صلاة مع قائم آل محمد لا تُردّ عنها ولا نُصدّ عنها بذنوبنا وعيوبنا، أشهدنا اللهم صلاة بالقرب بالقرب بالقرب في قرب القرب ومحض عين القرب، بعين التحقّق والتصديق والتصديق والعشق

الكامل والعهد الوثيق يا رب العالمين، أشهدنا تلك البيعة واجعلنا من أهلها وأهل جنابها، وإن لم نشهدها بالأشباح فلنشهدها عندك بالأرواح، إنك يا ربنا كريم وهّاب فتّاح، داعٍ إلى سبيل الفلاح والصلاح والنجاح. اللهم بسرّ حيّ على الفلاح وحيّ على الصلاح، أدخلنا رمضان.

وهذا بياننا وهذا برهاننا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وكل عام وأنتم بألف ألف خير، في أمان الله.

الدرس بتاريخ: 2024-03-04





## نفحات رمضانية: وإذا سألك عبادي عني

### مقدمة

أحبابنا الكرام السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته حياتكم الله وبيّاكم، أسعد الله أوقاتكم في هذا الشهر المبارك شهر رمضان المعظم شهر الصيام والقيام. نحبيكم بعد خروجنا مجدداً أو كدنا نغادر بطن الحوت، وبعد كل قبض نرى وجوه البسط في القبض ثم نرى وجوه البسط في البسط، ثم نرى وجوه القبض في البسط نفس طالما أنّ الدنيا دار فراق ودار حجاب عن الله سبحانه وتعالى. نرى الفقد في الوجد ونرى الوجد في الفقد، ونرى العسر في اليسر واليسر في العسر، إذ أنّ العسر إذا قَرَبَكَ من الله فهو يسر، واليسر الذي يحجبك عن ربك فهو عسر، لذلك الله سبحانه وتعالى يقول أنه يبلونا بالخير والشر فتنة ﴿وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾.

فالحمد لله على ما أراد والحمد لله على ما قصد والحمد لله على ما رصد، والحمد لله على ما قضى وما أمضى في عهده وما جعل في أعناقنا من عهد معه جل في علاه سبحانه وتعالى، والحمد لله حتى يرضى الله، الحمد لله حتى يرضى مولانا وحتى ننال من رضوانه ما فيه سرور قلوبنا وفيه سعادة أرواحنا وفيه رضوان ربنا ورضوان نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلّم، الحمد لله على كل حال.

ونحن اليوم نلتقيكم مجدداً في هذا اليوم الرمضاني المبارك هذه الجمعة المباركة نلتقيكم في رحمة ونفحة ونظرة من الله جل في علاه، هذه الرحمة والنظرة الإلهية التي نُمَتَّع فيها والتي نستمتع بسرّها وأنسها

ونورها، ليس لقاءً علمياً بقدر ما هو لقاءً روحاني، لقاءً محبةً ولقاءً أنس ولقاءً اشتياقاً اشتقنا إليكم، والحمد لله الذي جمع والذي جعل بيننا هذه اللقيا المجددة.

وأنا بحمد الله بعد كل محنة بعد كل إمتحان بعد كل ألم أنهض أقوى، بسبب بسيط أني مسلم لله فيما أراده، وأن هذا التسليم لا يتعلق بحال من الأحوال إنما هو تسليم في كل حال، ودائماً الروح عاشقة وواقفة وواثقة في ربها. الروح التي تحب الله والتي تحب رضوانه وتحب امتنانه وترى في رضوان الله سبحانه وتعالى كل الخير، وإن كان الإنسان أحياناً يصاب بأمور لا يدري من أين جاءت ولا يدري كيف أصيب بها، ولكن لله الأمر فيما قضى والله الأمر فيما أراد.

بسم الله والحمد لله وصلى الله على الهادي رسول الله الهادي إلى مولاة بإذن مولاة، الذي دلّ على الله وأخلص في حب الله وجاهد في سبيل الله، والذي ذكره ذكر لله لأنه إذا ذكرنا النبي ذكرنا رب النبي، وهذا من هذا، فالذي يريد أن يفصل بين النور النبوي والنور الإلهي خاب وخاب رجاءه وبطلت دعواه.

أحبابنا الكرام في هذا الشهر المبارك شهر الصيام والقيام شهر السلام شهر الرحمة من رب الأنام، هذا الشهر الذي تصوم فيه الجوارح عما أمرت به، له أسرار وأذواق وأشواق وأبواب وفتوحات ومنوحات يمنحها الله سبحانه وتعالى لمن أحب ولمن أراد ولمن وقف بالباب يطرقه متوسلاً مخبتاً.

### جفاة قساة

وأريد أن أتكلّم كلاماً عقائدياً ذوقياً مختزلاً مختصراً فيه فائدة، وليس المقام بمقام إطالة وإن كان الأمر يستحق التفصيل.

إنّ الدعوى التي يرفعها المحجوبون عن رب العالمين، الجفاة لسيد الأولين والآخرين، الذين أرواحهم في جفوة وحجاب عن هادينا طه ياسين محمد الأمين، وعن آل بيته الطيبين الطاهرين، بل هم في حجاب عن الصالحين، وهم محبون للمبغضين كارهون للمحبين، محجوبون بالمحجوبين محرومون من مقام المحبوبين، هؤلاء الذين لا خلاق لهم في هذا الدين ولا شرعة ولا نهج ولا يقين، ولا سبيل ولا طريق موصل إلى رب العالمين، مخذولون يتبعون مخذولين، منافقون على خطى منافقين، أفاقون أفاكون على نهج أفاقين أفاكين، لا يفلحون وما كانوا بمفلحين، الذين قالوا أنّ الله سبحانه وتعالى يُبلغ دون أسبابه

وَيُدْخِلُ عَلَيْهِ مَنْ غَيْرَ أَبْوَابِهِ وَمَنْ غَيْرَ حُجَّابِهِ، وَأَنَّ الْوَسِيلَةَ ضَلَالٌ وَأَنَّ التَّوَسُّلَ بِالنَّبِيِّ شَرِكٌ وَأَنَّ زِيَارَةَ الصَّالِحِينَ كُفْرٌ. هَؤُلَاءِ يَتَّخِذُونَ مِنْ رَمَضَانَ بَابًا لِبَثِّ دَعَاوِيهِمْ وَأَكْذِيبِهِمْ وَأَبَاطِيلِهِمْ، يَسْتَعْمَلُونَ آيَاتِ فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهَا وَيَسْتَعْمَلُونَ الْأَحَادِيثَ لِيَأْتِيَ الْأَعْنَاقَ الْكَلِمَاتِ، نَاطِقِينَ بِالرَّهَاتِ، كَاذِبِينَ عَلَى رَبِّ الْأَرْضِينَ وَرَبِّ السَّمَاوَاتِ، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ وَوَلَاتِ ثُمَّ لَاتِ أَنْ يَجِدُوا سَبِيلًا لِلنَّجَاةِ، وَهُمْ أَمْوَاتٌ عَلَى خَطَى أَمْوَاتٍ، وَنَحْنُ أَحْيَاءٌ عَلَى نَهْجِ أَحْيَاءٍ، وَنَحْنُ دِينَنَا جَلَاءٌ وَقُلُوبُنَا صَفَاءٌ وَسِيرُنَا عَلَى نَهْجِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ، نَحْبُ الْأَوْلِيَاءِ وَنَحْبُ النُّجَبَاءِ النَّقَبَاءِ، وَنَحْبُ أَهْلِ الصَّفَاءِ وَالْوَفَاءِ وَنَحْنُ أَهْلُ الْوَفَاءِ وَالصَّفَاءِ.

الَّذِينَ يَدْعُونَ أَنَّ الْمُتَوَسِّلِينَ بِسَيِّدِ الْأَوْلِينَ وَالْآخِرِينَ هُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ، الَّذِينَ يَقُولُونَ لِلنَّاسِ: "ادْخُلُوا عَلَى رَبِّكُمْ بِأَنْفُسِكُمْ لَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِ مِنْ بَابِ رَسُولِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ اللَّهُ، فَإِذَا دَعَوْتِ فَادْعُ اللَّهَ وَإِذَا سَأَلْتِ فَاسْأَلِ اللَّهَ"، يَقُولُونَ ذَلِكَ كَاذِبِينَ، وَيُرَدِّدُونَ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، الْقَرَبُ الْإِلَهِيُّ هُنَا مَنْوُطٌ بِكَلِمَةٍ، مَنْوُطٌ مُتَعَلِّقٌ بِكَلِمَةٍ لَمْ يَفْقَهُوْهَا وَبِحَرْفٍ لَمْ يَدْرِكُوا مَعْنَاهُ وَبِإِشَارَةٍ مَطْوِيَةٍ فِي الْعِبَارَةِ، مِنْ فَهْمِهَا رَأَى نُورَ تِلْكَ الْمَنَارَةِ. الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ عَلَى حَالِ الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ مِنْ قَبْلِ ﴿تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوْ أَوْسَوْهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾، الَّذِينَ لَمْ يَقِفُوا بِبَابِ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ ... هَؤُلَاءِ جَفَاةٌ قَسَاةٌ عَرَاةٌ مِنْ آيَةِ مَحَبَّةٍ.

### ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ﴾

"وَإِذَا" هُنَا ظَرْفِيَّةٌ وَشَرْطِيَّةٌ: "فِي حَالٍ" جَاءَكَ النَّاسُ وَسَأَلَكَ. طَيِّبٌ كَيْفَ يَكُونُ اللَّهُ قَرِيبًا؟ لَيْسَ "وَإِذَا سَأَلَ" عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ"، تَسْأَلُ مَنْ؟ تَتَّبِعُ مَنْ؟ تَهْتَدِي بِمَنْ؟ تَقْتَدِي بِمَنْ؟ تَدْخُلُ بِمَنْ؟ تَطْرُقُ الْبَابَ بِمَنْ؟ مَنْ هُوَ بَابِكَ إِلَى رَبِّكَ؟ مَنْ وَسَيْلَتِكَ إِلَيْهِ ﴿يَتَّبِعُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾؟ مَنْ هُوَ دَلِيلُكَ عَلَيْهِ؟ مَنْ الَّذِي هُوَ أَثِيرٌ لَدَيْهِ وَسَاجِدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ؟ مَنْ الَّذِي يَلِيُّ اللَّهَ دَعْوَتَهُ؟ مَنْ الَّذِي يَلِيُّ دَعْوَةَ اللَّهِ؟ مَنْ الَّذِي عَرَّفَكَ اللَّهَ؟ مَنْ الَّذِي أَشْهَدَكَ مَقَامَ الْأَنْسِ بِاللَّهِ؟ مَنْ الَّذِي عَلَّمَ الَّذِينَ تَعَلَّمُوا مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ مَنْ اللَّهُ؟ مَنْ الَّذِي عَلَّمَ الْمَلَائِكَةَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ فِي عَالَمِ الْأَشْبَاحِ وَهُوَ فِي عَالَمِ الْأَرْوَاحِ؟

مَنْ مِفْتَاحُ الْبَابِ وَمَنْ الْبَابِ وَمَنْ صَاحِبُ الْحِجَابِ؟ وَمَنْ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ اللَّهُ، اللَّهُ أَجَابَ وَاسْتَجَابَ؟ مَنْ الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ؟ مَنْ الَّذِي بِهِ نُؤْمِنُ مِنَ الْعَذَابِ وَنُوقِي شَرَّ الْعِقَابِ؟ مَنْ الَّذِي إِذَا تَوَسَّلَ بِهِ

متوسل صادقاً ما خاب؟ من الذي به تُقبل توبة من تاب وأوبة من آب؟ من الذي به ننال عند الله جزيل الثواب وندخل الجنة بغير حساب؟ من الذي به يُستأنس في الوحشة وبه تُبصر الأنوار في الظلمة؟

من الذي كان باب استغاثة يونس وباب الفرج الذي فُتح على يوسف؟ من الذي كان سرّ النخلة التي هزّت بها مريم؟ من الذي كان سرّ نطق عيسى؟ من الذي كان سرّ سفينة نوح؟ من الذي كان أنس الله وسلامه في نار إبراهيم؟ من الوسيلة العظمى التي توسل بها آدم لما تلقى من ربه كلمات فتاب عليه؟ من الذي قال "كنت نبياً وآدم منجدل بين الماء والطين"؟ من الذي أخذ الله ميثاق الأنبياء أن يؤيدوه وأن يعزّروه وأن يساندوه وأن يكونوا معه بأمر الله؟ وإن كان سيأتي بعدهم جسماً، فقد كان قبلهم روحاً وكان أعلاهم مقاماً وآخرهم ظهوراً!

من هذا الذي قال ربنا عنه ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي﴾؟

كيف تسأل ومن تسأل وعمن تسأل؟

← "وإذا سألك" يا محمد، "وإذا سألك" يا حبيب الله، "وإذا سألك" يا نبي الله، "وإذا سألك" يا أحب الخلق إلى الله وأقرب الخلق من الله، يا سيد الناس يا نور النبراس يا صافي الإحساس.

﴿عِبَادِي﴾

"وإذا سألك عبادي" من هم عباده؟ ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾

"وإذا سألك عبادي" الذي الذين هم مقربون والذين هم مؤمنون مخبتون و

"وإذا سألك عبادي" المؤمنون الذين استجابوا للدعوة الربانية والندهة الإلهية ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ من باب التسليم لا من باب السلام فقط. هؤلاء الذين صلوا عليه مستجيبين لمولاه، فأتى مشرعاً، فقال "أيها المؤمنون لا تصلوا علي الصلاة البتراء" قالوا وكيف نصلي عليك يا رسول الله؟ قال "قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد". فكاف الشمول والمخاطبة المباشرة تشمله، ويُدخل عليه بآل بيته، فلا باب إلى النبي من غير الإمام علي. إن كنت يا هذا على أي مذهب أردت وعلى أي مذهب اتّبعته، فإنك والله لا تدخل على

حضرة المصطفى إلا بالإمام علي الكرار "من كنت مولاه فهذا علي مولاه"، لا تدخل عليه إلا من باب زهرائه وحسنيه وأبنائه وآبائه، من باب والديه من باب كافييه. هذا الباب وهذا الجنب يُدخل عليه بالأنس بالله والرفق والذل والمذلة بعباد الله الصالحين.

"وإذا سألك عبادي" عبادي: هؤلاء الذين قيل للنفس المطمئنة وهي ترجع إلى ربها راضية مرضية قال ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾. إنك وأنت راجعة إلى الله لا تدخلين مباشرة على الله، تدخلين على العباد وفي العباد، ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ الأنبياء توسلوا أن يكونوا مع الصالحين وأن يلحقوا بالصالحين وأن يدخلوا على الصالحين، وهذا اللعين يدعي أن الذي يحب الصالحين كافر برب العالمين! هذا الذي رفض السجود لآدم وقد خلقه الله مما أراد أن يخلق به أب الأولين، وقال ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾، هذا الذي هو في ظلمة نفسه سجين ومآله إلى سجين وإلى سقر بعد حين. يتبعون الذي رفض الوسيلة، إبليس لم يكفر بربه، إبليس رفض الوسيلة الآدمية، وهؤلاء يرفضون الوسيلة المحمدية التي توسل بها آدم وكل الأنبياء، والذي كان يتوسل بمن هم دونه وكان يقول إذا غادر بيته الشريف إلى منبره الشريف "اللهم بممشاي إليك وبالسائلين عليك".

﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ ترجعين إلى ربك راضية مرضية فيكون أول باب الدخول في العباد، والدخول في العباد يوصل إلى سيد العباد وإمام العباد والزهاد، سيد الأسياد، جد الإمام الهادي والإمام الجواد، وجد عبد القادر قطب بغداد. لا يمكنك أن تدخل على الله إلا وقد دخلت في العباد، ثم تدخل جنة، جنة النعيم جنة التسليم جنة الذوق جنة المحبة، جنة في جنة في جنة.

والذي ماتت نفسه في الدنيا وفنى في الله وانطوى، فعين البقاء في الفناء والفناء في البقاء، يدخل على الله سبحانه وتعالى من كل باب، يدخل على الله سبحانه وتعالى من باب سيدنا الإمام علي بن أبي طالب، من باب سيدنا محمد "أنا مدينة العلم وعلي بابها". وهل رسول الله يُعزل عن علمه؟ وهل يُدخل على الله إلا بالعلم والحكمة والرحمة والذوق والتقوى والإيمان؟ وهل الإيمان إلا علم وهل الإسلام إلا علم؟ علي بابها! لا يمكن لك أن تقول: "أنا لا أريد مدينة العلم التي بابها علي، أريد باب الله، أريد أن أدخل على الله.. بماذا يا هذا؟ بمقام إبليس إذ قال "أنا خير"؟ يقول قائلهم "الحسين بن علي مات ويمكنك أن تكون أفضل منه" و "لم يكن صحابي وكان النبي قد انتقل والحسين صغير" هكذا، سبحان الله في هذه العقول وفي هذه القلوب!

"ادخلي في عبادي" وهنا "إذا سألك عبادي"، ليس "إذا سألك الجفأة"، جاء المنافقون إليه وقالوا نشهد إنك رسول الله والله سبحانه وتعالى لم يقبلهم وقال ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾. إذا سألك عبادي المخبتون المنيبون، إذا قصدوني بك، إذا أتوني من بابك، إذا سألك أنت، إذا جاؤوك أنت. هل هذه الآية مطلقة في المعنى؟ أجل. إذن هذا القرآن القديم قرأه إبراهيم وقرأه الأنبياء (أو قرأوا من محكمه) ورأوا من أسراره ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾، "إذا سألك نوح فإني قريب" أما إذا سأل نوح دونك فلا يدخل على الله من دونك.

إذا سألك المنيبون المخبتون ودخلوا عليك. بماذا؟ كيف يبلغونك حتى يسألونك؟ "سألك عبادي". كيف يكونون عباداً؟ بموالة النبي. وكيف يوالون النبي؟ بموالة علي. ما برهانك على أنك توالي رسول الله؟ "الله مولاي وأنا مولى كل مؤمن ومؤمنة، ألا من كنت مولاه فهذا علي مولاه" "يا فاطمة إن الله يرضى لرضاك ويغضب لغضبك" "أهل بيتي سفينة النجاة من تعلق بها نجا ومن تخلف عنها هلك" "الحسن مني وأنا من حسن، أحب الله من أحب حسناً" "الحسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسناً" وغير ذلك من الأحاديث الدالة على مقام هؤلاء السادة.

"أنا خيار من خيار من خيار" "أبي خير من آبائكم وأمي خير من أمهاتكم" أيباهي رسول الله بكافرين مشركين ماضيين إلى النار؟! ووضعوا حديث "سألت عن أبوي فقيل لا تسأل عن أهل النار" وقال "استأذنت ربي لأزور والدِّي فأذن لي واستأذنته أن أستغفر لهم فلم يأذن" وأبو طالب "جمرتان يغلي منهما الرأس!!" كذبت أمية، وكذب وضاعوها ودساسوها وكذب المنافقون الأفاقون، ونلقى الله على هذا وعلى هذا اليقين. أتدخل أم منافق الجنة وأم النبي في جهنم؟! أيعقل أن يضع الله نوراً ويستأمن سرّاً وحبوراً وحضوراً وأن يستأمن أنساً وأنوراً وأسراً في فاجرة كافرة حاشاها من ذلك؟! أو أن يضع الصلب الطاهر في رجل كافر؟ أو أن يكفله كافر فاجر جمرتان يغلي منهما الرأس؟! ألا غلت رؤوس المنافقين في نار جهنم والوضاعين والدساسين.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي﴾

"وإذا سألك عبادي" وإذا جاؤوك فسألك ودخلوا عليك بما أمرتهم أن يدخلوا عليك به، بآل بيتك بسفينة النجاة، إذا ركبوا السفينة فأتوا إليك، على أعلى قمة جبل العزة والجلال والكمال والجمال، إذا خلعوا

النعلين: النفس التي تحجب، والكبر الذي يحجب. إذا أتوك بغير نفوس وبغير كبر، إذا أتوك مخبتين، إذا ألقوا القلب الذي عصى فكان كالعصا في طوى سرّك، فصار القلب حياً وعادت النفس حية ونجت من سم تلك الحية، حينها بسرّ الحي تفد على أهل الحي وتكون عندهم حياً في حي في حي، ويردك الذكر حياً عن حي، وتنادي "الله حي الله حي الله حي".

"وإذا سألك عبادي" إذا أتوا إليك إذا جاؤوا إليك إذا استغفروا الله بين يديك واستغفرت لهم. "إذا" هذه فيها شروط، "سألك" فقط إذا سألك أنت، إذا أقرّوا لك بالفضل والمزية وأدركوا وأيقنوا أنه لا يدخل علي إلا بك يا محمد، إذا أيقنوا من ذلك، إذا استيقنوه، إذا صلّوا عليك وسلّموا تسليماً وأتوا إليك وقد فوّضوا الأمر إليك وفوّضوا إليك فيما شجر بينهم ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، انظروا الآية، اقرأوا القرآن وانظروا مقام هذا النبي العظيم الذي يريد هؤلاء السفلة أن يحطّوا من شأنه، الهبائيون أصحاب الدعوة الهبائية، أصحاب الهباء في الهباء في الهباء والهراء في الهراء، الذين قلوبهم مرآة وكلامهم افتراء ونظراتهم ازدراء، والذين لم يؤمنوا بالذي نزل عليه الوحي في غار حراء، إنما كذبوا وكذبوا على أنفسهم وعلى الناس.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾، هنا ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ ضمن هذه الشرطية، ليس بالإطلاق، لا يجيب الله دعوة داع مستكبر. لذلك لم يُستجب لإبليس، ولما قال فرعون أنه آمن لم يُستجب له، ولما جاء المنافقون لم يُقبلوا، بل حتى النبي لما استغفر لمنافق قال له الله ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ مليار مرة (70 بمعنى إطلاق العدد) لن يغفر الله له، ﴿أَفَأَنْتَ تُنْفِذُ مَن فِي النَّارِ﴾ ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾ ﴿وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ ﴿حَتَّمَا اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ السمع والبصر عليه غشاوة، قلوبهم في أكثّة، ختمة، لا يراعون ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾.

﴿فَأِنِّي قَرِيبٌ﴾

"وإذا سألك عبادي عني فأني قريب" هذا القرب هل هو قرب رب جالس في السماء على العرش؟ "الله في السماء جالس على العرش" العقيدة الهبائية، اليوم هذا المصطلح \*الهبائيون\*، الفكر الهبائي.

الله سبحانه وتعالى الذي لا يحيط به شيء والله بكل شيء محيط، الذي لا يشبهه شيء، الذي خلق كل شيء من لا شيء، ولم يكن من شيء له شبيهاً، وتنزهه تنزيهاً، وتعالى عظيماً كريماً رحيماً وجيهاً، وخلق الدنيا وما حلّ فيها إنما حلّ أمره فيها، يسمع ويرى على غير ما نسمع ونرى، نزل القرآن على نبيه في أم القرى بحق بغير مرا، فما ضل نبيه ولا غوى ولا افتري، حبله الموصول العرى، نبينا نور السرى، الذي بلغ ما فوق الذرى، والذي لن تبلغ عند الله مقاماً إن لم تضع رأسك تحت قدمه على الثرى، هذا النبي الكريم العظيم علّم عن الله.

الله تنزهه عن الأشباه، له يد بمعنى قدرة، تأييد، عزة ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾، إذا شككنا، سنتخيل يد مطاطية تتمطط من فوق السماء وتنزل على أيديهم. ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ إذا أخذوا العبارة فالله له عيون أعين كثيرة.. ما هذا الهراء أيها الهبائيون أيتها المدرسة الهبائية البلاهية التي جتبت الناس الحقيقية، وألقتهم في زيغ الطريقة، التي ليس لها عند الله وثيقة، الذين يصمتون على قتل أشقائنا في غزة ولم يقتلوا إلا أبناء الأمة والأمين والطيبين والمسالمين، هؤلاء مخبولون لا يعقلون، على قلوبهم أكنة وفي آذانهم وقر وعليهم أختام من رب الأنام.

"وإذا سألك عبادي عني" هذا الإله الذي ليس له نظير ولا شبيه، ولا زمان يطويه ولا مكان يحويه، تعالى أن يكون في السماء وقد خلق السماء، وكان ولم يكن شيء، ما السماء إلا مخلوقة ظرفية، بكفه مطوية (بكفت قدرته). ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يقصد هنا: الكواكب كلها تحت سيطرته، وليست قبضته بمعنى أنّ الله سبحانه وتعالى كأفلام الخيال العلمي كائن ضخم جداً ويمدّ يده ويمسك بالكواكب في كفه كما صوره حمقى بني إسرائيل المجسّمة، لا يمكن أن يتبادر إلى ذهن عاقل هذا الأمر. وأنه بيمينه، "كلتا ذراعي ربي يمين" كلام فارغ، "ألا إنه أعور وليس ربكم بأعور" كلام فارغ، هل الله له عينان كما لدينا عينان؟ ولكن هنا كلام إشاري. ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ﴾: تحت سطوته، ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾: بعزته، وليس بيمينه بمعنى يده اليمنى. الله سبحانه وتعالى إذا كانت السماوات مطويات بيمينه، فكيف يكون في السماء؟ أيكون في شيء مخلوق صغير مطوي؟

﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ "بلى" هنا أنه خلق أبعاداً وعوالم، سماوات في سماوات، عوالم في عوالم، وما السماء وفوقها السدرة؟! النبي يقول "عندما صعدت إلى السماء رأيت الأرض كحلقة في صحراء، وعندما صعدت إلى العرش رأيت السماوات كحلقة في صحراء". أيكون العرش حجمه عظيماً (مجلاه عظيماً) إلى درجة أنّ السماوات أمامه كحلقة

في صحراء، فوق سدرة المنتهى وما أدراك ما سدرة المنتهى والجنة والنار تحتها كطي هباء، والله في سماء؟! كيف عرشه أعظم؟ كيف هو في السماء على العرش والعرش أعظم من السماوات السبع؟ أي منطق مريض هذا؟

ثم العرش ليس مجلس، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ليس كما أستوي الآن على هذا الكرسي الذي أجلس عليه، "استوى" جلس معتدلاً، ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾ اكتمل. أما الله ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ أي تجلى بأعظم مجاليه. وعرش العرش محمد، أعظم تجلي على مخلوق هو على النبي عليه الصلاة والسلام. العرش مجلى من مجالي الله، ليس مجلساً لله، أكان جسداً كي يجلس؟ ولو تصور هؤلاء الهبائيون الله جالساً، فخلفه فراغ لا يرى ذلك الفراغ، نقطة عمى، لا أرى خلفي، وحوله فراغ!

هؤلاء هم الهبائيون، لا تسمعوا للهبائيين، عقيدة فاسدة، قلوب حاسدة، سلعة كاسدة، أعين عمياء بكماء صماء، أنفس لا ترى، كلام فيه افتري، كلهم مراء، كذابون على نبي أم القرى، دود يتراقص تحت الثرى، هكذا حالهم.

### دفاعاً عن النبي وآل بيته

لقد سلّطني الله يا هؤلاء عليكم بالحجة، بعلوم آل بيت النبي بعلوم آبائي، لم أرتدي العمّة الخضراء عبثاً، وأطحن طحناً، تأخذني العزة الإلهية بين قبض شديد وعسر شديد، وبين يسر وبسط من عنده، يبلوني على غير عقاب، إنما ليرقيني. تلقيني الحضرة وأنا بخورها في مجامرها، تحرقني وأهل الحضرة في فرح وسعادة، كما يفعل الناس في الأعراس وفي الحضرات عندما نلقي البخور ونحن في حال السرور، البخور مسكين يحترق على مجمرة، ولكن لو لم يُحرق لما فاح بخوره. فهذا البخور العلمي العرفان الذي الآن يفوح من هذه الروح، نبع من آلام وجروح، نبع من صدر مشروح وقلب منفوح وباب من عند الله مفتوح ودخول مسموح، بسيدنا محمد حبيب الروح، صلى الله عليه وعلى آله وسلّم.

وإنّ عمري وحياتي إلى مماتي في هذا الدرب وهذا الطريق، الدفاع عن العقيدة كما دافع عليها أبي علي وآبائي الأولين وجدي رسول الله، الدفاع عن حضرة المصطفى نبياً وأباً ووالداً وحبیباً قديماً، كم ضمّته الروح، وكم أنس به القلب، وكم من مرة في ظلمة ذلك البئر ووحشة ذلك السجن وبطن ذلك الحوت، رأينا نور الله به حتى نادينا "لا إله إلا أنت سبحانك". لولا نور النبي محمد ما أبصر يونس نور ربه، ولا

**أدرك يوسف من علم ربه،** ولا بلغ قريب مقاماً من مقامات قربه، ولا قُبل محب على رفعة وسمو ونور حبه. حبيبي ونور عيني وقرة روعي وسرّي ووصلي، شفيعي في الدارين، إمام الجنّتين، كحيل العين، البهي الجميل الزين، جد الحسن والحسين، وجد الزهراء أم أبيها في الكرتين والمّرتين، وجد زينب الأبية، ابن آمنة النقية، زوج خديجة التقية، أبي أم كلثوم وزينب ورقية، والد الإمام البقية، الآتي بالهدي وهو الهدية، رحمة الله المهداة إلى البرية، صاحب الطريق السوية، صاحب النفس الخلية، صاحب الأذن الواعية والعين الندية، سيدنا محمد.

"إذا سألك عبادي عني"، يا عباد الله في رمضان تنادوا بحب رسول الله، تنادوا بمدح رسول الله، تنادوا بالتقرب إلى الله برسول الله، اعلّموا أنكم لن تبلغوا من ريكّم قريباً إلا برسول الله، عظّموا شأنه فما تعظيمكم له إلا ذرة، فقد صلى عليه الله، وقد باركه الله واختاره الله واجتباّه الله، وهو سيد خلق الله، إمام رسل الله. لو كانت عبادتك ودخولك على الله فقط في مدح النبي وآل بيت النبي وآباء النبي والذود عن والديه وعن كافليه وعن أصوله وفروعه، والكلام عما ألمّ بهمّ وعما أوجعهم. لا يكون الكلام عن أهل البيت فقط في كلام الأّنس والفرح والمدائح، الحسين قُتل والحسن قُتل وعلي قُتل والزهراء مضت إلى ربها كظيمة حزينة أسيفة، وأبناء النبي قُتلوا وشُردوا، وأبواها أثّما بالكفر باطلاً، وعمّه كذلك، وحورب وأوذّي ولاكت تلك اللائكة كبد عمّه، وكذلك قُطعت يدا جعفره، النبي أوذّي في ابنته زينب، أوذّي في ابنتيه، أوذّي في ابنه إبراهيم وفي زوجته ماريّا، هذا الحبيب. لا بدّ أن نعرف ما آذى وما ألمّ، نتألّم لما آلمهم لما ألمّ بهمّ، ونفرح لما أفرحهم، هكذا.

إن كنت سنياً بحجاب عن آل البيت، إن كنت تعتقد أنّ التسنن أن لا تتكلم في كربلاء والطف وما وقع في آل بيت النبي، إن كنت تعتقد أنك تدخل على الله سبحانه وتعالى -حتى إن كنت صوفياً- تدخل بعبد القادر الجيلاني قدس الله سرّه على حضرة المصطفى وأنت تجافي ابنه الكاظم وتقول "الكاظم والجواد والهادي ملك للشيعّة" و"الطف موضوع لا علاقة لنا به" "نجّى الله منه أيدينا لا نورّط فيه ألسنتنا".. أنت منافق يا هذا، أنت كذاب دجال.

**لا يمكنك أن تدخل في أي حال إلا بالوعي بما أصاب آل النبي من مظلمة،** تستمر إلى اليوم في غزّة. إن كان أحد اليوم يقول: أنا أرضى بما يحدث لأطفال غزّة، بقتل رضّعهم، بقتل نسائهم، بمحو ديارهم، بهذا العذاب المسلّط عليهم، ولكني رغم ذلك أحب فلسطين وأهل فلسطين.. نقول له: يا منافق يا كذاب يا دجال. إذا قال أحد أيضاً: أنا أحب رسول الله ولكني لا أهتم لقتل الحسين ابن علي ولا أبالي بذلك ولا

يهمني ذلك، ليس الحسين بنبي وليس حبه بشرط.. أقول له: يا منافق، حب حسيننا شرط في حب نبينا، وحب نبينا شرط لبلوغ ربنا وبلوغ سرّ ربنا وأنس ربنا. نعم نعم نعم هو الحق. وإن كنت تتألم لما أصاب أهل غزة، فما أصاب الحسين أشدّ، وهو أعلى رتبة وأرفع منزلة وأقرب من الله، انظر إلى رضيعه عبد الله كيف يُرمى في حضنه. عليك أن تعي، هذه ليست مسألة مذهبية يا عزيزي، هذه مسألة مبدئية.

البعض يريد اليوم أن يأخذ بعض الصور مع المهدي عندما يُبعث، ينشغل بصفات المهدي، من هو؟ أين يوجد؟ هل يوجد في هذه الدولة أم تلك؟ هل هو مخفي هنا أم هناك؟ والله لو كان المهدي الآن يجلس في مكاني هذا ويلبس عمامتي هذه وينطق من مقامي هذا ما عرفتموه، لا يعرفه إلا الذي شرح الله صدره لذلك، مخفي أخفاه الله، ما لك وما لهذا الأمر؟! ولكن كيف تكره آباءه وتواليه؟ وكيف تطمع أن تكون معه وأنت تخذل جدّه علياً، وأنت توالي أعداءهم، وأنت تقف مع الذين كانوا يبغضونهم ويكرهونهم ويحاربونهم، والنبي دعا وقال "اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله". كيف؟ كيف تظن أنك تصل وتعرف الحق وتجد طريقاً إليه وقلبك غافل؟! يا هذا إنتبه. المدرسة الهبائية جُعلت لأن تحجبك عن رسول الله، أرادوا الحظّ من قدر رسول الله، ولها صلة بالمنافقين الأولين، بذى الخويصرة وبالأزارقة، بهؤلاء المجرمين، لا تنخدع.

كذلك عشاق آل البيت أقول لهم: آل البيت لم يكونوا أهل حقد، ولم يكونوا أهل شتم ولعن وسب، دع الشتيمة، انثر عطرهم وعبقهم، ذكّر بأخلاقهم، قال الإمام جعفر الصادق "ذكروا الناس بأخلاقنا، عرّفوهم بنا فإنهم متى عرفونا أحبونا" لا أن تقف لسانك يقول يا حسين وقلبك على قلب يزيد، وعلى ذلك بل يزيد، قف بالمحبة. نعم نوعي الناس بالمصاب، ولكن ليس فقط المصاب ولا المظلمة، ثمة وجوه جمالية، الحسين ليس فقط الذي قُتل في كربلاء، الحسين عاش قبل ذلك وله مشاهد ودروس وعبر وعلوم.

إن كنت صوفياً اجعل تصوفك على منهج، كيف يقبلك عبد القادر الجيلاني أو الإمام الرفاعي وأنت تبغض أباه الكاظم أو العسكري أو الجواد أو محمد النفس الزكية أو زيد بن علي؟ الحشاشون استثمروا في محبة آل البيت، الحسن الصباح استثمر في هذا وادّعى أنه مفتاح الجنة وأخذ الناس إلى القتل والظلم وإلى أمور باطنية فاسدة.

فلا هذا ولا ذاك، لا تشيع من يلعن، ولا تسنن ناصبي من يجافي النبي ويحظ من قدر النبي جاهلاً محاولاً يأساً في ذلك، ولا تصوف أصحاب الخزعبلات والترهات والروحانيات الفاسدة، وأنا أشاهد البعض وبعضهن تقول أنّ الإمام عبد القادر يكلمها جهرة، بل يبثون بث مباشر وأصوات تخرج من هنا وهناك وكأنّ الملائكة أو الأولياء يتكلمون، هذه خدع وخزعبلات، أو "انظر هل ترى النور هل ترى النور" كله كلام فارغ. لا تصوف خزعبلاتي، ولا سلفية تتبع السلف الطالح لا السلف الصالح، تلفية وليست سلفية، هبائية.

### خاتمة

فهذه المدرسة الخضرية التي أقودها الآن بفضل الله، وهذه الطريقة التي أنا بحمد الله شيخها في وقتي وزمني بحمده تعالى، تقوم على هذا:

- على عقيدة سليمة بالله سبحانه وتعالى تنزيهاً له وتعظيماً لشأنه، وتسبيحاً وذكراً، وعبادة شكر لا عبادة طلب، نعم نطلب ونسأل ولكن عبادتنا عبادة شاكرين حامدين "أفلا أكون عبداً شكوراً".
- ومحبة نبوية صافية خالصة، ولاء كامل تام، إلّتزام بالأوامر الإلهية في حق رسول الله وإلّتزام بالأوامر النبوية في حق رسول الله، تعظيماً وتقديراً لشرفه، لأبويه لكافليه لأبنائه لذريته.
- واحتراماً وحباً لأصحابه الصادقين الذين ثبتوا على العهد والذين ثبتوا على الوعد والذين يوالون علي بن أبي طالب، النبي ميّز بينهم وقال "وال من والاه وعاد من عاداه" هو كان يرى أمامه ويصف من أمامه، دون دخول في إشكاليات ومهاترات لا جدوى منها، ولكن هذه قاعدة عامة. نقف مع الزهراء ولا نقف مع الذين كانوا ضدها وإن كنا لا نلعن ولا نشتم، لكن هكذا المنهج. أئمتنا أئمة أهل السنة، الأئمة الإحدى عشر كلهم، الأوزاعي الليث بن سعد سفيان الثوري عبد الله بن مبارك سعيد بن جبير الإمام مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وأبو حنيفة النعمان وحتى في تونس سحنون وغيرهم كلهم كانوا تحت لواء علي بن أبي طالب، لا يخرج على ذلك إلا ناصبي مقيت، ودس كثير في هذه المسائل، هكذا.
- حب آل البيت، حب الصالحين، التوسل، الأمداح، الأشعار، التميز العلمي، الجمع بين العقل والنقل والكشف، ونحن ندرّسكم منذ زمن وسنفيض بما هو أكثر.

ولعلنا إذ نؤذى ونتألم بحمد الله لعلنا نحمل عنكم عن مريدنا والموصولين بنا والذين أخذوا علينا العهد سواء قلباً أو مباشرة، نحمل عنكم شيئاً مما حملتموه ولا تقدرّون على حمله بحمد الله، لأننا أولى بذلك منكم.

فالحمد لله الذي اختارنا واختار آباءنا، وعلمنا من لدنه علماً، وآتانا الحكمة وهو يؤتي الحكمة من يشاء، والحمد لله الذي جعل هداية الأمة في أولها بمحمدنا، وسرّ تأويلها في عليّنا، وسرّ صفائها في فاطمتنا، وسرّ جلائها في حسننا وحسيننا، وسرّ نورها وصفائها في النخبة من أئمة وأولياء وأقطاب هم آباؤنا وأسيادنا، وجعل بقية البقية فينا وفي مهدينا وقائمتنا. الحمد لله الذي رفع رايتنا وحقق غايتنا وأظهر آيتنا وولائتنا وعنايتنا بحمده، الحمد لله الذي كتب في لوحه وسرّه أن لا يحبنا إلا مؤمن ولا يبغضنا إلا منافق سيء الولادة، الحمد لله الذي أعطانا الملاحه والفصاحة، فألسنتنا أفصح ووجوهنا أملح وأكفنا أمتع ونحن بنفوسنا وأرواحنا في سبيل الله لأسمح.

الحمد لله الذي جعل لنا صدرًا مشروحًا، وقلبًا منفوحًا، ودخولًا مسموحًا، وبابًا مفتوحًا، وجعل من آبائنا آدم وإبراهيم ونوحًا. الحمد لله الذي أذن لنور سرّنا أن يلوح، وأذن للسان سرّنا أن ييوح "وقال لي حضرة المختار قولي، قال شمسي خشيت من أفول، قال بنا قد أمنت من الأفول". الحمد لله الذي ألهم عبده مرة فتغنى:

"يدلّلنا الإله بكلّ خيرٍ \*\* ونصبح في نعيمه شاكرينا

ويمنحنا العلي فليس يلقي \*\* نقي القلب غير الله فينا

نعاهد والإله بنا حفيّ \*\* وأحمد قد مددنا له اليميننا

أهيل الحي قد حلّوا سراعاً \*\* ودار الصالحون بصالحين"

وإنّ من نظر بعين قلبه رأى من أحاط بنا، فنحن لا نتكلم عبثاً عابثين، إنما حضرة قدسية سندسية مهدوية محمدية، مجلّة بالأنوار العلوية الفاطمية الحسنية الحسينية الزينية، محلّة بسرّ آمنة وعبد الله، بنور أبي طالب وعبد المطلب وهاشم، محلّة مزينة بأنوار السيدة خديجة، مزينة بأنوار حمزة وأنوار جعفر الطيار وجعفر الصادق وآبائه وأبنائه، مزينة بالأسرار القادرية الجيلانية الرفاعية الشاذلية البدوية

الدسوقية الجشتية التيجانية الأسمرية العروسية، بأسرار السهروردية والنقشبندية والخضرية وأولياء الله أجمعين، بسر الصالحين، والحمد لله رب العالمين.

تقبل الله صيامكم وقيامكم، أثابكم الله نوراً وحلاًكم سروراً وأعطاكم حبوراً وأدخلكم جنة قد جعل فيها حوراً، وجعل شأنكم ونوركم دائماً لن يبور، وجعل لكم سرّاً فليس عليكم عدو يجور ومُنْع أن يجور، وجعل نوراً عليكم يدور وقد أمر أن يدور، وجعل لكم عند حضرته حضوراً، واسماً مذكوراً مشهوراً، بسرّ نبي جلى الله سرّه بعد أن كان مخفياً مستوراً، ورفعته فوق ما رفع الطور فكان الطور الذي وقف على الطور فأعظم به طوراً، فإنّ الطور الذي تجلّى الله عليه اندك وإنّ تجلّيه على نبينا كان نوراً نوراً فنوراً. فالحمد لله الذي دكّ الجبل دكّاً، وجعل نوره على نبي المدينة ومكة، المبعوث بأمر الكتاب في أم القرى بكة. والحمد لله الذي مكّن لنا ما مكّن لنا، وأعزّنا وآتانا من كل شيء سبباً.

جعل الله لكم أنساً به ويسراً به، يا عباد الله أحبوا ربكم وادخلوا عليه بنبيه تجدوه، واسألوه به ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾. والحمد لله وصلى الله على جدي وسيدي وشفيعي وحاضري وشاهدي وناظري ومبتسمي ومبتسمي ونور عيني وقبلة قلبي وعشقي القديم الأبدي الأزلي الأمدي المتجدد، عهدي الوثيق وصاحب ذلك الطريق، والنور البريق، الذي نجاني الله به من شدة الحريق، ومن ضيق المضيق، ومن كل غم وهم وضيق، أغث أمتك يا رسول الله، أغث أمتك يا رسول الله، أغث غزتك، أغثنا بسطوع شمس مهديك ونور عليّك وأنوار صفيك ونجيك، وأنطقنا بأمر ربك بما شئت، إنّ الله يُجيبك فيما شئت. السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته في رعاية الله.

درس بتاريخ: 2024-03-22





## نفحة رمضانية خاصة في مجلس مبارك في عمان

### مقدمة

السلام على عباد الله الصالحين حيثما كانوا وحيثما تنزلوا، الذين صمتهم الله وكلامهم الله وحياتهم الله ومماتهم الله ونجواهم الله ونُسكهم إلى الله وسيرهم بالله ومعرفتهم عن الله من الله، الذين إذا رأيتهم ذكرت الله وإذا أحببتهم أحبك الله وإذا تبعتهم وجدت الله وإذا ضممتهم ضممت فيهم ومعهم وعندهم رسول الله، الذين إذا عاشوا في الدنيا **نوروا** وإذا مضوا إلى البرازخ التي فوق البرازخ **أناروها**، إذا نودوا **أجابوا** وإذا دُعوا بربهم **استجابوا**، الذين يفعل لهم ربهم ما أرادوا ويفعلون ما يريد، الذين لهم من سرّ الله المراد **والمريد**، الذين هم من الله أقرب وهو إليهم أقرب من حبل الوريد.

اللهم نولنا مما نولتكم وأعطنا مما أنلتهم وجملنا كما جملتهم وكملنا كما كملتهم وحملنا مما حملتكم، مع الصبر **والاستطاعة**، ومع **الطاعة**، وضمان **الشفاعة**، وأن نقف بين يديك قبل قيام **الساعة**، بالرضوان والمحبة والتحنان "أقبل ولا تخف".

## الحب باب رمضان وباب القرآن

ونحن على بُعد مسافة قليلة زمنية من شهر رمضان المعظم، نقف عند بابه وجناحه في باب أحد أحباب النبي وأصحابه للنظر في سرّ الله ونور كتابه، وهذا السرّ متّصل برمضان ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾. إذن رمضان شهر القرآن، والقرآن كما فسّرنا من قبل: قافه قلب وراءه رحمة وهمزته آية ونونه نور "آيات نورانية ربانية رحمانية قلبية"، ولذلك جعل الله تدبر القرآن ليس منوطاً بالعقل بل منوطاً بالقلب فقال ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾. ومجال القلب هو مسكن الحب، والحب باب الرب ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾، وقاصدو سرّ حب الله سبحانه وتعالى أمروا باتّباع الحبيب ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾.

وهذا كتاب الله في شهر الله، فيسير لنا أن نقول ويسير علينا أن نقول وميسر لدينا أن نقول، أنّ باب رمضان وباب القرآن باب واحد هو الحب: أن تصوم حباً لله، وأن تقوم حباً لله، وأن تجوع حباً لله، وأن تظماً حباً لله! وهذا معنى مبطن خلفه معاني الشريعة، أي أن تصوم طاعة لله واستجابة لما شرع وفرض عليك، وأن تقوم طاعة لله واستجابة لما فرض وشرع وأوجب عليك، وأن تقوم وأن تصلي شرعاً ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْفُوتًا﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾. فالذي يغوص في أبواب الشريعة يصل إلى عوالم الحقيقة حيث يكون العمل مداره الحب، مطلق الحب لله، ليس لأنّ الله أوجبه فقط بل لأنّ الله جعله باباً لحبه. ولذلك أقام الله سيدنا رسول عند باب الحب، باب إرادة وجهه الكريم ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾، يريدون مطلق الحب، يريدون نظرة الرضى.

باب رمضان أيها الأحبة وباب القرآن باب واحد. كيف يكون الحب باب القرآن؟

- إنّ الذي يقرأ القرآن من باب الإنكار له يقف أمام باب العجز ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾
- وإنّ الذي يقرأ القرآن من باب التدبر والشريعة وفهم الدين، يجعل الله له من ذلك علم الاستنباط ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾، ويجعل لهم علوم التأويل ويجعل لهم علوم التفسير ويجعل لهم من علوم الكتاب ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُرَكِّبُهُمْ﴾.
- أما الذين يقرأونه من باب المحبة، ماذا سيقول المحب عندما يقف أمام باب القرآن؟

يقول أنّ أول ما تنزل على سيدنا محمد لم يتنزل عليه بنار يحسبها ناراً فإذا هي نور كموسى، ولا بكوكب يقول ﴿هَذَا رَبِّيَ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْأَفْلِينَ﴾ كإبراهيم، ولا في سجن يُلقى فيه علوم التأويل والتعبير ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ﴾ كيوسف. إنما بعث الله ملكه الأحب إليه إلى عبده الأحب إليه في مقام الغار الأحب إليه وإليه (إلى الله ورسوله)، فضمه الملك ضمة فضمة فضمة، ولا يكون الضم إلا بالحب، فغظه باشتياق وعانقه عناق عشاق وضمه ضمة مشتاق ثم قال "اقرأ"، من باب الحب: اقرأ، من باب الشرع: اقرأ، من باب السر: اقرأ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾.

إذا كان مستهلّ هذا الدين ضمّ، وحب بالإمام علي ألم، وني مسّه ألم، فناداه ربه ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾، وإذا كان مستهلّ هذا الدين شرح الصدر الذي يُوسع إمكانية العشق والحب، وإذا كان مستهلّ هذا التنزيل ضمة، فإنه لا يفقه القرآن من لم يحب الله، لأنّ فقه المحبة هو الفقه الأعظم، ولا يؤمن بالني من لم يحب النبي لأنّ الحب معراج الإيمان الأعظم.

### أحوال العاشقين

ولو أننا أقمنا سيدنا بلال تحت الحكم الشرعي ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ لحقّ له أن يقول "هبل"، فقد قالها عمار مضطراً خائفاً على والديه فقال النبي: "إذا عادوا فعُدّ". ولكن بلالاً بلغ من العشق أن نادى تحت الصخرة محباً، لم يكن عالماً بأصول الفقه ولا فقيهاً في الشافعية ولا شيخاً في القادرية ولم يكن محيطاً بالأسانيد، ولا كان يناقش في السدل والقبض وغير ذلك في قواعد الوضوء والصلاة، إنما كان محباً خالصاً خرج من عبودية الذل للمخلوق إلى عبودية الدلال للخالق، فهان عليه أن يقول وصدّره يندكّ تحت الصخرة "أحد أحد"، فرفعه الواحد الأحد فوق بيت الأحد ليقول "الله أكبر".

إذن هكذا أحوال العاشقين، أكلوا معه ورق الشجر في شعب أبي طالب، وماتت حبابة قلبه ومات عمه الذي رباه حباً فيه، ولما تأسى رسول الله تجلّى حب الله له بإسراء ومعراج يسرى عنه حزنه لأنه الحبيب الأعظم.

سيدنا خبّاب وقد أمسكه كفار قريش يعذبونه، قال له أبو سفيان: أترجو أن تكون في أهلك سالماً ويكون محمد مكانك؟ قال: "بل والله إني لأرضى أشدّ من هذا العذاب ولا يصاب رسول الله بشوكة".

سيدنا ثوبان اصفرّ وجهه وطال بكأؤه وقلّ نومه وأظلم عليه يومه واحترار فيه قومه وكثر من حوله لومه، فجاء النبي فقال له: ما يبكيك يا ثوبان؟ قال: ذكرت الجنة وذكرت منزلتك فيها، فقلت أنت عني بعيد فلا أراك، فكيف أمكث ولا أراك يا رسول الله؟ فقال النبي مبتسماً: "يا ثوبان المرء مع من أحب".

وعندما وصف الله رجالاً يأتي بهم الله سبحانه وتعالى مشرفاً لقدرهم شارحاً لصدرهم، لم يتكلم عن صلاتهم وعن نجواهم وعن أحوالهم الشرعية وعلومهم الفقهية، قال ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾، فجعل حبه لهم مقدماً، وجعل حبه لهم مقدماً، فقدّم حبه وقدّموا حبه، فهم الذين قدّموا بالحب وقد ذاقوه، ولولا أن أحبه ما أحبوه، ولولا أن عرفهم ما عرفوه.

الحب أيها الأحبة باب إلى رب العالمين، لأنّ الله لم يخلق الخلق إلا محباً، فقال في حديثه القدسي: "كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف". الله جل في علاه أحب ذاته وأحب صفاته، فشهد لنفسه بنفسه بالقيومية ومطلق الربوبية، فقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾، فكان الشاهد على ذاته بذاته قبل خلق مخلوقاته، ثم بعد ذلك أفرد الشهادة لملائكته، ثم أرسلها لأولي العلم من خلقه. فلما خلق الخلق خلقهم محباً للخلق حتى يُعرف حتى يُعبد حتى يُقصد، وكان أول من خلق في عالم الأرواح: سيدنا محمد، فجعله المحبوب الأعظم.

### في رمضان تفتح بوابات الحب

إنّ رمضان يا أحبتي - كي لا أطيل عليكم - تفتح فيه بوابات الحب، بوابات الضمّ. الضمّة التي ضمّها جبرائيل لسيدنا محمد:

1. الأولى: اسمها ضمة جلال

2. والثانية: اسمها ضمة الجمال

3. والثالثة: ضمة الكمال

هذه الضمات مقدّرات في اسمه محمّد، ثلاث ضمات. سنقسّم كل ضمة إلى عشرة أيام من رمضان، فنقول أنّ:

1. العشرة الأوائل جلال: تتعب من الصوم، من العطش، من قيام الليل، تجد أمامك جلال المشهد، بالحب تسلكه.
2. وعشر من الجمال: التراويح والمسك الذي يفوح، والجسم الذي بدأ يرتاح "صوموا تصحوا".
3. وعشر الكمال: التي فيها ليلة الكمال، ليلة خير من ألف شهر، والتي فيها ذكريات ونفحات ومواقيت.

### التلاوة الحُبّية

فإذا أردنا أن نقصد باب الله في رمضان بالحب، علينا أن نقرأ القرآن متدبرين محبين، وهذه التلاوة أسميها **التلاوة الحُبّية**. عندما أقرأ "بسم الله الرحمن الرحيم"، إذا ذكر اسم ليلى أمام قيس أحب المسمّى وأحب الاسم، بل رأى في الاسم مجلى للمسمّى، فتبدّت له من حروف ليلى وجهها في لامة وسحرها في يائه ووجه سر روحها في اللام الثانية وهكذا... فتخيل معي أنه إذا ذكر اسمها ارتعش جسمه. فإذا قرأت "بسم الله" وأنت تحب الله، تسري فيك هذه المحبة لله سبحانه وتعالى، إذا قرأت بالمحبة حظيت بها، فتقول أنّ هذا الاسم هو الاسم الأعظم الأجل الأكمل، تملّى في جمالات الله. أما إذا قرأت من باب الشريعة أو مجرد التلاوة أو المدارس الخاصة بذلك -وهو حق- ولكن لن تذوق المعاني التي تذوّقها الشيخ عبد الباسط عندما يتلو ويرتلّ يتمايل، يتذوّق لذة الكلام.

خذ معي الآن مشهد من الحب، الله يحب رسول الله أرسل ملكه الأحب بالكلام الأحب إليه (القرآن الكريم) على النبي المحبوب، نطق به المحبوب أمام أحبابه وأصحابه. **الحرف نفسه، موسيقى الحرف، النغم الموجود في القرآن مليء محبة، فيه شوق ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، فيه سرّ "زملوني دثروني".**

قلت في قصيدة:

يا رفاقي زملوني \* دثروني بالغمام

فاض دمعي فاعذروني \* قد سبي روجي الغرام

قوم سلمى عدّبوني \* إنهم قوم كرام

وسليمي في عيوني \*\* فهي مصباح الظلام

\*\*\*\*

أشرقت شمس التجلي \*\* ودنا الصبح القريب

قل لأصحاب التخلي \*\* قد أتى ذاك الحبيب

نعمل حباً في الله ورسوله

الإنسان عندما يدخل باب رمضان بالحب ماذا يفعل؟

أولاً لا حب إلا من براءة من كراهية، حتى الذين نكرهم لأنهم أعداء الله ورسوله علينا أن نتعلم كرههم خارج قلوبنا. أنا من بين أوائل ما تعلمت من أهل الله أن الكره لأعداء الله لا يكون في القلب، في مكان لا أعرف اسمه. البغض في الله لا يكون مقامه في القلب، القلب بيت الله، وهذا البغض صنم.

لذلك، أعمال الصحابة رضوان الله عليهم كانت أعمال محبين، سيدنا علي عندما جرح عمرو بن ود ظلّ يلفّ حوله، قال "كرهت أن أقتله (بعد أن شتمني) كرهًا، وأردت أن أقتله حباً في الله ورسوله". كانوا يفعلون كل شيء حباً في الله ورسوله، يتنازل الأنصاري عن بيته للمهاجر وعن زوجته للمهاجر حباً في الله ورسوله. فلما أحبوه أحبوا تراب قدمه، أحبوا ماء وضوئه، أحبوا دم حجامته، أحبوا شعره، تنافسوا على ماء وضوئه، رسول القيصر عندما مضى وصف له المشهد، قال له يتنافسون. لما أحبه الجذع أنّ لفراقه، لما أحبته الغزالة ناجته، وأحبه الجمل فكلمه وحدّثه عن ألمه ففهمه.

والله لما وصفه قال ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾، ولما وصف العلاقة بين الزوجين في منتهى كمالها قال ﴿مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾، ولما وصف سرّ الخضر قال ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا﴾، فلما أراد أن يصف الفرح المحمود المحبوب قال ﴿بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾ ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾. إذن ما هي الرحمة؟ الرحمة هي رسول الحب، الحب سلطان ورسوله الرحمة. لذلك الله المحب قال ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾، ملائكة العرش عارفون بالله قالوا ﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةٌ﴾،

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾. الرحمة هي عين الحب، والمودة هي ثمار الحب، أحب زوجته أثمر ذلك مودة بينهما ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾. لذلك المودة هي ثمر الحب المستمر، والرحمة رسوله الدائم، أنت عندما تحب الخلق توذهم وترحمهم.

لذلك جاء البيان في حضرة المصطفى عن آل بيته ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، لأنّ المودة والود دوام المحبة، أما الحب فهو فُجأة الشعور.

- فإذا بلغ أن يموت المحب في غياب المحبوب صار **وجداً**
- وإذا صار الفكر فيه دائماً صار **شغفاً**
- وإذا تجاوز الشغف حدّه صار **كلفاً**
- وإذا مسّ العقل منه شيء صار **هياماً**
- وإذا أحرق النفس منه شيء صار **غراماً**
- وإذا سرى بالروح إلى أعلى صار **عشقاً**
- وإذا غاب المحبوب بالنوى صار **شوقاً**
- وإذا غلب الشوق مع الحنين صار **جوى**
- وإذا انتصر الجوى في النفس صار **هوى**
- وهكذا إلى أن يصير محض جنون كامل فيُسمّى **ولهاً**
- وإذا صار مرضياً وسقماً صار **تيمماً**
- وإذا صار صبوة إحساس أصبح **صبابة**

كل هذا في الحب، وفوق ذلك وزيادة.

يسمّوني المجنون حين يروني \* \* بلى بي من ليلي الغداة جنون

وإني لأبغي النوم في غير وقته \* \* لعل لقاء في المنام يكون

## الحب أن تكون على هوى محبوبك

هذا الحب يفعل الأفاعيل في الإنسان، هذا الحب عجيب، يلين الصعب. زليخة لما أحبت يوسفها غلقت الأبواب، وكذا المحب الذي يريد أن يكون محبوبه على هوى نفسه يغلق الأبواب ويقول ﴿هَيْتَ لَكَ﴾، أما المحب الذي يريد أن يكون على هوى محبوبه يقول ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾. فزليخة أرادت يوسف على هواها، ويوسف أراد أن يكون على هوى مولاه فقال ﴿السَّجُنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾.

إبليس عندما أحب الله وعبد الله حتى ارتقى إلى جنة السماء الخامسة وهام في حب الله عابداً وعالماً، أقامه الله بعد أن أقامه في باب عز المحبوب المدلل عند باب ذل المحب المتذل، فقال: اسجد لمن خلقت طينا. فأبت عليه نفسه لأنه أراد أن يكون ربه على هواه ولم يشأ أن يكون على هوى مولاه. فأقسم بعزة الله ولم يقبل الذل لله، ومن لم يقبل الذل أذله الله إلى أحقر خلق الله، فأذله الله إلى نفسه. فدخل من باب الرحيم فحلت نقطة الحسد فألقي في باب الرجيم، ودخل من باب العطاء فحلت نقطة الحسد والكبر فصار في باب الغطاء، دخل من باب النور فغاص به النور إلى الزور، فخرج وهو المذموم المدحور، فلم يستطع، لأنه كان عالماً ولم يكن عارفاً ولو عرف الله لأطاعه، ولأنه كان عابداً ولم يكن عاشقاً ولو كان عاشقاً لسجد لنملة

تعصي الإله وأنت تدعي حبه \*\* هذا لعمرى في الفعال شنيع

لو كان حبك صادقاً لأطعته \*\* إنَّ المحب لمن يحب مطيع

فَعَصَى إِبْلِيسَ رَبَّهُ.

أما آدم من فرط حبه أن يبقى في عالم الخلود فيخلد أبناؤه معه ﴿شَجَرَةَ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾، لم يرده لنفسه بل لذريته، حباً فيهم، لأنَّ الشيطان هدده قال ﴿الْأَخْتَنَكَنَّ دُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾، من هذا الباب (ولم يُشر إلى هذا من قبل قط)، لم يكن من باب ذاته. ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَى وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾، لماذا عفا الله عن آدم الذي اقترف أمراً أكبر من الأمر الذي اقترفه إبليس من حيث الظاهر؟! بمعنى: إبليس رفض السجود لمخلوق وهو ساجد طول عمره للخالق، أتلغي يا رب كل هذا السجود لك لأجل سجود لمخلوق؟ أما آدم مضى لأمر ممنوع عنه بالكلية، فأكل من الشجرة وكشفت عنهما سوءاتهما، وجزَّ معه امرأته. لأنَّ آدم ما عصى الله مستكبراً، آدم طلب الحق فأخطأه

وإبليس طلب الباطل فأصابه، يقول سيدنا علي: "ليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأصابه".

إبليس استكبر وادم نزل إلى مقام الذل، فلما ذلّ إلى العظيم، العظيم دلّاه لقاها الكلمات فتاب عليه. قابيل أراد أن يكون الأمر على هوى نفسه وأحب حباً أعمى. أشقاء يوسف ألقوه في البئر ﴿قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ آبَاءَنَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، أبناء نبي ابن نبي وأشقاء نبي ﴿افْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ﴾.

إذن الحب يا أحبابي عليه أن لا يُخالط بالأنا، أن أحبك لك أنت لا لي أنا، أن أكون لك على ما تريد، وأن أرضى بما تريد، وأن أفتيديك بما أملك وما لا أستطيع ولو بالنية. الحب عجيب، قال الحبيب "رجل آتاه مالاً ينفقه في الخير، وفقير يقول ليت لي مال فلان حتى أنفق في الخير، قال فيكتب له مثل أجره. ورجل لديه مال ينفقه في معصية الله، وآخر فقير يقول لو كان لي مثل مال فلان فأنفقه في معصية الله فيكتب له مثل ذنبه". قال "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى".

الحب خطير، احذر أن تحب المحجوب فتفقد حب المحبوب، احذر أن يخادعك حب الهوى للأنا فتقول ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾، احذر أن تحسد أحداً من الناس فتقول ﴿لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا﴾ "فلان أحب إلى ربه منا". حتى المشائخ عندما يتحاسدون أشد من الضرائر من النساء إلا من رحم الله: قال كلمة خير من الشيخ، وضعوا له الطعام، قدّموه في المجلس... يبدأ الحسد، حب الأنا، ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ النفس تبخل على الإنسان أن يحب غيره.

### رمضان شهر العطية

فلذلك شهر رمضان شهر العطية، شهر المزية، شهر صفاء النية، شهر نكسب فيه القضية، شهر نمضي فيه على حسن الطوية، شهر الولي والولية، شهر المرتبة العلية والكفّ السخية والعين السخية. شهر لك فيه أن تدمع، وأن تأكل فلا تشبع، لا أن يكون وكأنّ الساعة ستقوم بعد قليل، يعدّ طعاماً كثيراً، النفس في هلع، النفس مجبرة في صاحبها أن تصوم فتنبج في داخله "اشتري هذا اشتري هذا، تستطيع أن تأكل كل هذا يا فلان، سمكة الحوت الأزرق تستطيع أن تأكلها" في وهمه وهو صائم. والبعض يمضي إلى أكثر

من ذلك: اغضب واضرب واشتم فأنت صائم. البعض يقولون في تونس "مرمضن"، عندما يضرب رأس شخص آخر على الجدار يقول له: مسكين مرمضن، لأنه مدمن على السجائر ولم يجدها!

لا تصم لا تزعج الملائكة لا تتعب الحاضرة، دعنا، إن شاء الله لا تصوم ونحن نحمل عنك ذنبك. أرحنا من صيامك إذا كان صيامك سيؤدي إلى تبلك في وظيفتك، إلى غبائك، إلى اشتعالك بالغضب، تمضي إلى الإدارة تجده نائم "والله نائم مسكين صائم"، والناس صف ينتظرونه "قام يصلي" ما شاء الله الإمام الشافعي نفاقاً وكذباً.

لا تصم إذا كنت بمجرد الأذان تتحول إلى كائن الفقمة الكبير يتناول الأسماك بشره، يتعاركون "هات هذا وخذ هذا" وتفرغ الأسواق. يا حبيبي إن كنت غنياً أراد الله لك أن تجرب الجوع حتى تفقه كيف يجوع الجائعون، هذه فرصة لك حتى تطعم الناس، وإذا كنت فقيراً يريد الله أن يريك عدله في الخلق ونعمته في الرزق، وأن الدنيا عابرة، وأن الأذان الذي تنتظره لتفطر عليه هو الأذان الذي تنتظره بعد أن تنتقل من هذا العالم ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ، وأنه حتى ثمار الجنة وما فيها من أكل وحوار ما هو إلا حجاب.

أنت تريد الله لماذا يا هذا؟ لم تقوم الليل؟ ﴿كَأَنُورًا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، ﴿فَمِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا﴾، لماذا؟ "خوفاً من النار" ضمناً لك أن لا تدخلها (هكذا الحاضرة ستكلمك)، "طمعاً في الجنة" خذها، أذاك كفايتك؟ والله إن الله لأعظم، وإن نبيّه لأكرم، وإن لقيا الله من كان يريد لقاء الله، والله إن السرّ في أن نريد وجه الله محض الإرادة بالمحبة.

﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾

لذلك الحبيب الأعظم -وكررت هذا مراراً لفائدته- ربنا لما أمر نبيّه أن يصبر نفسه قال ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾. الله ذكر من يدعونه رغباً ورهباً، ذكر من قالوا قنا عذاب النار إنك من تدخل النار فقد أخزيتك، ذكر الذين قالوا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، ذكر الذين قالوا أنهم يريدون الجنة، يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض، ذكر أنواع وكلهم محمود مقامه. من التقوى أن تخشى النار، أعوذ بالله من عذابها، من اليقين والإيمان والحب لنفسك أن تطلب الجنة، أما الحب لربك يزول كل ذلك، فقال "يريدون وجهه".

لماذا طلب من نبيه أن يصبر نفسه؟ قلنا فف تفسيرنا ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ بمعنى أن وجه النبي مكرّم، من أراد وجه الله لن يصل إليه إلا فف النظر إلى وجه رسول الله، لأنّ الذين يريدون وجهه عليهم بالذي يريد وجه الله ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾. الله أراد وجه المحبوب، وكل الخلق الذين يريدون وجه الله عليهم بوجه هذا النبي الذي قال: "من رأي دخل الجنة، قيل فما بال أبي جهل؟ قال: لم يرني بل رأى يتيماً أبي طالب"، قال سيدي عبد القادر "إنك تنظر إلى القطب بعيني رأسك، وما دمت تنظر إليه بعيني رأسك دون عيني قلبك فلن تراه". إنّ الذين نظروا إلى الأمور بأعين رؤوسهم يكادون لا يرون ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ﴾، الله هنا لا يتكلم عن الأعين الحسية بل عن الأعين القلبية.

لذلك، اقرأ القرآن بعيني قلبك وروحك تجد من يدلك على المعاني، من يلقي فيك جنى سرّ ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾، يلقي عليك من سرّ ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾، الذين أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلّوا بالليل والناس نيام،

الذين مالوا فف حال الوجد والحب: فناداهم عبادي لا تناموا \*\* ينال الوصل من هجر المنام

الذين ينظرون إلى سرّ الجمال فيقولون:

دع جمال الوجه يظهر \*\* لا تغطي يا حبيبي

طول ليالي فيك أسهر \*\* زاد شوقي ونحيبي

الذين يتنادون إذا اهتزت الأرواح شوقاً إلى اللقاء: "بلى ترقص الأشباح يا جاهل المعنى"

الذين قالوا:

أوميض بزق بالأيبرق لآحا \*\* أم فف ربّي نجد أرى مصباحا

أم تلك ليلى العامرية أسفرت \*\* لئلاً فصيرت المساء صباحا

الذين ليالي أنسهم وقيامهم لله كحال العاشق المشتاق الوامق، والوَمَقُ أن يبلغ العشق من الإنسان حدّ الاحتضار، هو الوامق فف لغة العرب، أن يكون حالهم كقول العاشق الوامق:

أتاني زماني بما أرتضي \* فبالله يا ليل لا تنقضي

ويا ليلة الوصل دومي لنا \* فإنّ الحبيب علينا رضي

استشعر عظمة المشهد

من بين ما أنصح به أحبتي مشائخ خطب الجمعة أن يقولوا للمصلي وقد دخل عليهم وجلس في مجلسهم: إنك إذا دخلت على ملك أو سلطان وجدت عظمة الظاهر، فوقر في قلبك من مهابة المشهد ما هو حق، وأنت في بيت الله داخل على سلطان السلاطين ورب العالمين، الذي ينادي بعد أن يفنى كل شيء "من الملك؟ من الملك؟ أنا الملك" ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾.

إعلم أنك في لحظة عظيمة أن جلست في مجلس علم عند عارف بالله تحقّه الملائكة، وتشهده أرواح الصالحين، ويسمع النبيون فيتنادون، لأنّ النبي الخاتم سيدهم، ولأنّ كل من بلغ آية عن سيدهم في عيونهم وفي قلوبهم، يسعدون بهذا الدين ويفرحون له بالتمكين، وأنّ النبي العظيم شاهد على كل مبلّغ آية من لدن الله بسرّه، وأن لم يقم قائم يخطب لا عبد القادر ولا الرفاعي ولا من سبق ولحق ولا قمنا اليوم إلا من بعد أمر نبوي وفرمان محمدي، فإنّ رسول الله غيور على سرّه وغيور على ذريته، أسقاها لأبناء فاطمة وأعطاهم لأولاد علي، وكل من أخذ من غيرهم أخذ بهم، قال: "آل بيتي والقرآن لا يفترقان حتى يردا علي الحوض" وقال: "إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي".

أنت في المسجد أو في الزاوية، عليك أن تستشعر عظمة المشهد، إنك إذا أغمضت عينيك وفتحت عيني قلبك شعرت أنك مع النبي في الغار ثاني اثنين، فرأيت الجنود التي أيده بها، شعرت بحفيف أجنحة الملائكة، استشعرت عبق أنفاسهم وبخور أرواحهم، رأيت أنّ جيلانيها ورفاعيها وشاذليها وجشتيها وبدويها ودسوقيها وتيجانيها وأسمريها ومهدويها وخضريها، كل ذلك مجتمع في عالم من عوالم برازخ ملكوت بجوار قلبك، فلو أنك فتحت باباً في قلبك لوجدتهم مجتمعين فيه، لأنّ القلب بيت الرب "ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن".

"ما يزال عبدي يتقرب إلي حتى أحبه"

وإنك إذا نظرت بالقلب فهمت قول الرب "وما يزال عبدي يتقرب إلي حتى أحبه" وأضافوا "بالنوافل" وليست صحيحة، لأنّ الحب بلا تقييد. "وما يزال عبدي يتقرب إلي" بأوجه القرب كله "حتى أحبه" أي حتى أعلن له عن حبي له، لا أنّ الله يتغير حاله من كره إلى حب، لأنه أحب من قبل الخلق، أي حتى أظهر له نعيم حبي الذي خزنه له، بسرّ ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾، حتى أظهر له الحب. فإن تجلّى عليه حبي له وحلّ فيه الذي أحللت فيه، إذا حلّ تحلّى، حينها: "كنت عينه التي ينظر بها" فيرى لطائف رحمتي، ويرى كنوز ذخري وعزّي، ويرى أنوار إشراقي وتجلياتي، يرى ملائكتي.

قال النبي: "لو أنكم مكثتم على الحال الذي تكونون فيه بين يدي لصافحتكم الملائكة في الطرقات"، وسؤالي هنا: هل كان علي يغادر ذلك الحال؟ ألم تكلم الملائكة مريم؟ ففاطمة بذلك أولى، وخديجة أولى، وآمنة أولى، وعلي أولى، والحسنان. لكنه أمر كتموه فأورثوه، لم ينقطعوا لحظة، لأنّ آل البيت عجيبة أخرى وسرّ آخر، أحب ذلك من أحب، وكبّ في النار بذلك من كرهه. ما نازعهم بيت إلا خرب، ولا نبج عليهم كلب إلا جرب، ولا أراد سلبهم أحد إلا سلب، ولا أراد غلبهم أحد إلا غلب، حتى إن قتلهم هم منتصرون حتى وهم مقتولون، لأنهم في حب الله، في الفناء في الله.

قال جدي الحسن ابن علي: "قامت أمي فاطمة الزهراء تصلي وجلست أنظرها حتى طلع الصبح، فجلست تدعو لقوم تسميهم ولم تدعو لنفسها بشيء، فقلت: يا أمي دعوت لقوم تذكريهم ولم تسألني الله شيئاً، فتبسّمت وقالت: يا بني الجار قبل الدار".

ومرة دعا علي زين العابدين الذي سمي السجاد لكثرة سجوده حتى كان يحطّ عليه الطير، والذي قال في حقه الفرزدق:

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطَائَتُهُ \* وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ

هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كُلَّهُمْ \* هَذَا التَّقِيُّ النَّقِيُّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ

هَذَا ابْنُ فَاطِمَةَ إِنْ كُنْتَ جَاهِلَهُ \* بِجَدِّهِ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ قَدْ حُتِمُوا

مَا قَالَ لَا قَطُّ إِلَّا فِي تَشْهِيدِهِ \* لَوْلَا التَّشْهُدُ كَانَتْ لَاءُهُ نَعَمُ

طلب من أحد أبنائه قال له: يا بني إئتني بتلك الصحيفة، فقرأ منها وبكى وقال من "يطيق عبادة علي ابن أبي طالب؟! " هذا زين العابدين يقول هذا عن علي جدّه!! ولو أننا جلسنا مع علي لقال: من يطيق عبادة رسول الله؟

هذا الحب يا أحباب أفنى هؤلاء القوم، حتى كان علي يبكي ويقول: "يا صفراء ويا بيضاء غري غيري". هذا الحب الذي به نطقنا، هذا الحب الذي يسري في أرواح الأسرار.

قال "كنت عينه التي ينظر بها، ولسانه الذي ينطق به" يصبح بوق للحضرة، ليس هو المتكلم. سيدي عبد الرزاق ابن سيدي عبد القادر الجيلاني قال: سألت أبي أن أخطب مرّة، فخطبت مكانه ساعة فأتيت بالآيات والرقائق والأشعار، فطفق الناس يتبرّمون مني وتنادوا بأبي منزعجين، فوقف أبي غاضباً وقد كثرت الهرج والمرج فقال "إيش بكم يا هوش"، فبكى الناس وتصايحوا وتمايلوا. قال فقلت لأبي بعد ذلك: ما لي يا أبت أتيتهم بالآيات والرقائق والأشعار فلم أحزك لهم ساكناً، وقلت: ايش بكم يا هوش، فأبكيتهم؟! فتبسّم أبي وقال: "يا بني أنت المتحدّث عنك وأنا المتحدّث عن غيري". من تلك اللحظة صار سيدي عبد الرزاق متحدّثاً عن غيره.

"كنت لسانه الذي ينطق به"، إذا كان الله يقول "كنت لسانه" ألا يكون النبي لسانه؟ ألا يكون علي؟ ألا يكون عبد القادر؟ ألا يكون الرفاعي؟ ألا يكون الخضر؟

هذا كلام العاشقين، هذه المعاني التي تأتي باليقين، هذه قبلة المتقين، وهذا معراج الوامقين وحبل الواثقين، حبل الله المتين. هكذا تجد سجعتها مرصّعا، وبديعها مجمّلا، وحرفها مكتملا، وحالها مبجّلا، معجّلا أو مؤجّلا، هكذا يؤجج الحب الأعماق.

قال "كنت يده التي يبطش بها": "ضرية علي يوم الخندق بعمل الثقلين، ضرية علي يوم الخندق بعمل أمّتي إلى يوم القيامة" ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾

"وكنت رجله التي يسعى بها": ما الذي أتى بي إليكم؟ سيارة سارت؟ آلاف مثلها، طيارة طارت؟ آلاف مثلها... أتى بي سرّ الله بالحب.

وكل هذا "كنت، كنت، كنت..". ليس فيها تبعيض لله ولا حلول الخالق في مخلوق، بل بالإرادة والمحبة والتوجيه، والإسعاد والإسناد والإنشاد والإمداد والإرشاد. لأنك إذا أنشدت أشدت فأرشدت، المنشد

يشيد بالله ورسوله، أنشدت أشدت فأرشدت فشيّدت قصرّاً في قلوب العشاق. وبعد الإنشاد الذي فيه إرشاد يأتي إمداد، والإمداد يحمل الإسعاد، والإسعاد فيه إسناد، يكون سنداً ﴿سَدَّشُدُّ عَضْدَكَ بِأَخِيكَ﴾.

دائرة الحب القطبانية الربانية تفتح في رمضان، في غير الأيام "إِنَّ لِرَبِّكُمْ نَفَحَاتٍ فَتَعَرَّضُوا لَهَا"، أما رمضان كله نفحات، كل ساعاته ومواقيته نفحة. اطرق بقبضة قلبك على باب ربك، وائت ببضاعة مزجاة من حبك، فإذا أحبك أبدل سيئاتك حسنات. قد تفوق الذين صلّوا أكثر منك بسيئاتك تبدّل حسنات، ويحبط عمل الذين أحسنوا ولم يحسنوا، اقترفوا حسنات وأتوا باستكبار القلب والغرور على الرب كأنّ أحدهم يقول له "إني صلّيت لك فأين الجنة؟" فيقول: إذا آتني أجر عينيك نظرت بهما إلى ما خلقت من لون وقد سلبت غيرك النظر، وآتني بأذنيك سمعت بها صوت الكون وقد سلبت سواك السمع، وآتني أجر هدايتك عرفتك بي وقد خلقت خلقاً لم يعرفوني فقربوا قرباناً لمن هو دوني، ولعلمهم يأتون يوم القيامة يلوموني: لِمَ لَمْ تَدُلَّنَا عَلَيْكَ وَتَهْدِينَا مِنْكَ إِلَيْكَ فَجَعَلْتَنَا نَعِيشُ فِي فِتْرَةٍ لَمْ نَعْرِفْكَ فِيهَا؟ ولو كوفئوا بالجنة فلن يرضوا.

لذلك قال الحق سبحانه وتعالى ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ ولم يقل "نعم الله"، لأنّ في النعمة المفردة نعم لا تحصى، أوجه النعم في النعمة الواحدة بشكل لا يحصر، لأنّ النعمة من كلمات الله التي ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾، وجاء بها في عالم الاختزال فقال ﴿مَا خَلَقْنَاكُمْ وَلَا بَعَثْنَاكُمْ إِلَّا كَفْئِيسٍ وَاحِدَةٍ﴾، حتى نفهم أنّ الله عظيم قدير محيط ﴿أَخْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾.

سلام على من حضر

واسمحوا لي أن أسلم على من حضر من الأصحاب: سيدي مازن بن غضوبة، وسيدي أسعد ابن زرارة، وسيدي سعد ابن عبادة، وسيدي مصعب ابن عمير، وسيدي عبد الله ابن جحش، وأن أسلم على سيدنا الخضر عليه السلام بعالم الروحانية الذي يردّ السلام إذا سلّم عليه، وعلى مجمع الصالحين وأخصّ بالذكر أصحاب هذه الدائرة سيدي عبد القادر وسيدي أحمد الرفاعي.

وهذا سلام روحاني لا أوهم به سامعي أي أرى ما لا يرون، ولكني أوكد لهم أي لو لم أكن أرى ما لا يرون، ما علمت ما لا يعلمون، ولا نطقت بما لا ينطقون، ولا أوتيت ما لا يتصورون، وإني من سرّ النبي الذي أتى

سرّه بين الكاف والنون، فقال ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةٍ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾، وما أنا بنعمة ربي بمجنون، فإنّ الدم متّصل بالدم، وإني أهزّ بجذع نخلة سرّه فتساقط عليّ رطباً جنياً، وما كان ربنا منسياً. والحمد لله على ذلك، كم من مبغض لآل محمد فهالك، وكم من محب لنا آل محمد فسالك، وكم بنا ارتفعت ممالك وهوت ممالك، وكم بنا قوم مضوا إلى رضوان وقوم نادوا يا مالك ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ﴾.

يحسن في رمضان

لذلك أختم أنّ:

★ رمضان شهر استشعار مهابة الله أولاً، يحسن عند ذلك التسبيح

★ رمضان شهر استشعار رحمة الله، فيحسن عند ذلك ذكر اسم الله اللطيف الحفيظ

★ رمضان شهر القرب من رسول الله، فيحسن عند ذلك إكثار الصلاة عليه وعلى والديه وكافليه وعلى آل بيته

★ رمضان شهر التلقيات والترقيات، فيحسن عند ذلك إكثار السلام على سيدنا الخضر والصالحين: "السلام على الخضر في الأولين والآخرين وعلى عباد الله الصالحين"، وتكررها. لأنّ الخضر لو نظر إليك وحلّ سرّه عليك، تُلقَى من المعارف ما لا يعرفه إلا من هو بالله عارف، ولا ينأى عنه إلا جاحد خائف.

إنّ رمضان صومه يحسن أن يتحول من صوم إلى صيام، فيكون الصوم حسياً ويكون الصيام معنوياً، ويحسن بك أن لا تؤذي من الناس أحداً، ويحسن بك أن لا تكثر من الطعام كمن استيأس من رحمة الله ورزقه وكانّ الساعة تقوم ولا يطعم بعدها أبداً، ويحسن بك أن تكون سخي اليد زاكي النفس.

ويحسن بك إذا بدأت في الدعاء في رمضان أن تبادر بالدعاء لحضرة الحبيب محمد وآل بيته والنبين والصالحين والشهداء والصدّيقين، وأن تدعو لأشقائك الضالّين أن يهديهم الله كما هداك وأن يدلّهم كما دلّك عليه مولاك، لأنّ دعاءك لمن ضلّوا وقلّوا وهزلت أعمالهم فيه تواضع لله، لأنّ أعمالك بعين رسول الله إذا قسناها قياساً: أهزل من عمل الفاسقين في عينك. يعني ما أنت؟ ما صلاتك ما صيامك؟! أنت لا

شيء! إذا سيدك الرفاعي يقول: "أنا لاش اللاش". أنت بهم أسد الأسود، أنت بهم بطل الأبطال وفحل الرجال، أنت دونهم لا شيء.

فإذا نظرت إلى الذين ابتعدوا عن الطريق، فاللهم اهدهم إليك ودلهم عليك. سيدي معروف الكرخي مرّ بشباب يرقصون ويغنون ويسكرون، قال تلاميذه: "يا سيدي ادعُ عليهم"، لعل من قال ذلك حاسد لهم يرغب قلبه أن يكون بينهم، لأنّه وجد عندهم نشوة، فمدّ يديه وقال: "اللهم كما أسعدتهم في الدنيا أسعدهم في الآخرة". قالوا: يا إمامنا طلبنا أن تدعو عليهم فدعوت لهم! قال: "إذا أراد أن يسعدهم في الآخرة هداهم في الدنيا ولا ينقص ذلك من عملكم شيء". هل إذا دخل الجنة يأخذ بيتك وحموريتك؟! فلما سمع الشباب بذلك أتوه باكين فتابوا على يديه.

رمضان يحسن بك أن تصدق في البيان، سيدي عبد القادر صعد فوق سطح بيته وهو صغير فرأى الناس يطوفون بالكعبة واقفون بعرفات، فنزل وقال "يا أماه أطلقيني لوجه الله"، فضمّته وقالت: يا بني أعرف أنني لن أراك ثانية"، حتى مرة في درس وقف وقال: "الله أكبر ماتت أمي الآن"، كتّبت عليها الهجر والبُعد. أم موسى كم عانت، أم النبي عانت أكثر تركته وقد وضعت يدها على وجهه وقالت "لا تبك يا بني إني أرى نوراً يخرج من بين المشارق والمغرب، إنك لنبي هذه الأمة"، أنا شهدت المشهد وأنا عندها في الأبواء. المهم قالت له: "هذا إرثك من أبيك وامض"، مضت القافلة ونزل عليها عصا بصوت، فجاء زعيمهم فقال: هل سلبتم القوم؟ قالوا نعم سلبناهم جميعاً إلا غلام مجنون كلما سألناه: ما عندك يا فتى؟! قال: عندي أربعون ديناراً من الذهب، ويلبس أسماً بالية، فأنتي له بذلك؟! فأنتي به وقال: ما عندك يا غلام؟! قال عندي أربعون ديناراً من الذهب ورثتها عن أبي، قال: وأين هي؟ قال: ها هنا، قال: لماذا تقول ما تقول؟ قال: إنّ أمي أوصتني أن لا أكذب ولن أكذب أبداً. فبكي زعيم اللصوص وقال: أنا أعصي الله أربعين عاماً، وأنت تُخرج مالك لأنّ أمك أمرتك أن لا تكذب؟! فيبتسم عبد القادر وهو يرويها فيقول: "فكان ذلك اللص وجماعته أول من تاب على يدي".

كلُّ يسمع حسب حاله

بالحب، بالمحبة، مدد يا حب، مدد يا نبي الحب، يا أحب الخلق إلى رب الحب

الحب كله .. حبيته فيك

وزماني كله .. انا عشته ليك

حبيبي قول للدنيا معايا

ولكل قلب بدفته حس

يا دنيا حبي وحبي وحبي

دا العمر هو الحب وبس

واسقيني واملا

واسقيني تاني اسقيني تاني

من الحب منك من نور زماني

اسقيني ياللى من يوم ما شفتك

حسيت كأني اتخلقت تاني

يا حبيب امبارح وحبيب دلوقتي

وحبيبي لبكرى واخر وقتي

احكي لي قولي من الاماني

ناقصني تاني وانا بين ايديك

عمري ما عشت حنان فحياتي زي حنانك

ولا حبيت يا حبيبي حياتي الا عشانك

لما نسمع السيدة أم كلثوم نسمعها بصوت الحب، يا سلام، شوف أهل الله يتمايلون ويكون

في حلب واحد ينادي "يا زعتر بري"، واحد سمع "يا شارب خمري" والآخر "يا فاهم أمري" والآخر "يا مبصر سرّي" كلّ سمع على حاله.

أنت لما تسمع:

بيسالوني لو غبت عني

اورحت مني .. اعمل ايه

احب تاني .. تاني تاني

مش ممكن اقدر .. تعرف يا روجي

ياروجي ياروجي .. ما اقدرش ليه

هو اللي زيك لو كان في زيك

في الدنيا حد يحب عليه ..

✓ يعني سيدنا النبي!!

سيدي أبو الحسن الشاذلي قال: "لو غاب عني رسول الله ساعة من نهار ما عدت نفسي من المسلمين".

#### خاتمة

لذلك أيها الأحباب نسأل لنا ولكم ذخراً وفخراً وسراً ومدداً ومحبة من الله ورسوله، وأن نكون ممن يحبهم ويحبونه، وأن يلقي علينا ثمار هذه المحبة **وجناها**، وأن يضيف علينا من مددها **ومزنها**، وأن يسقينا من **عسلها**، وأن يصبرنا على علقمها **وجمرها**، وأن يعطينا من تمرها **وخمرها**، وأن يفهمنا من حقيقة أمرها، وأن يسلكنا فيها، وأن يدنينا إليها، وأن يدلنا عليها، وأن يجعلنا من أهلها وأهل رايتها وغايتها **وآيتها**، وأن يقينا من كل **جناية**، وأن يعطينا من كل **عناية**، وأن يجعلنا من العاشقين **آية**، ويرفع بنا **الراية**.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، ويحبّذ في رمضان كثرة الاستغفار، ويحبّذ كثرة الذكر، ويحبّذ استمطار الرحمات. جزاكم الله خيراً، سلام أهل الحضرة القدسية والسندسية والرحمانية والربانية والدوائر القطبانية سلام قلب إلى قلب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس بتاريخ: 2025-03-02





## نفحات رمضان: في معاني الفاتحة

من كتابنا الفاتحة في أحكام الفاتحة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي زكى ورقى، وعلم ولقى، وجعل عبداً يرون في حبه المراقى ويتسابقون في معارج العشاق، أسرى بهم على براق الاشتياق إلى تلك المراقى، فلقت لديهم الساق بالساق وقيل من راق، وطاب لهم المقام في ذاك المساق، وبشروا بالمساقى من كف الساقى، سبحان الحي الواحد الباقي، سبحان الذي نزل محبته في الأعماق، وأسكن دمع الأنس به في الأحداق، سبحان الحي القيوم الباقي

وصل اللهم على إمام العاشقين وقبلة المتقين وسيد الواثقين وعماد أهل اليقين سيدنا محمد، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين الغر الميامين، وارضى اللهم عن أصحابه، وسلام على أحبائه الواقفين بجنابه المؤمنين بكتابه الراغبين في نواله ومثابه، الباكين على بلائه ومصابه، الذي أمنوا به من بطش الله وشديد عقابه ومولم عذابه

اللهم صلّ عليه ما نزل من سحابه، وثاب عبد إلى صوابه، وآب إلى مآبه، وقبّل تائب في مثابه، اللهم صلّ عليه وأنت أعلم به وبما به، اللهم صلّ على من به حُلّيت الدنيا وزُيّنت الآخرة وزُخرفت الجنة، إمام

القرآن والسنة، الذي عطاؤه جزل بلا مِثَّة، الذي به شُرِفنا وبحضرته كُنَّا وفي حضنه سَكْنَا، به سلكننا وبه ملكنا وبه نجونا فما هلكننا.

اللهم صلّ على إمام أهلك، مَنْ سریت به على مهلك، مَنْ عصيانه مُهلك، الذي به سلك السالك، وفي معصيته هلك الهالك، إمام جبريل وإسرافيل وميكائيل وعزرائيل ورضوان ومالك، وسلام على أئمتنا وأسيادنا وأشياخنا وعلى أحببنا أجمعين.

أيها الأحباب، هذا المشهد الذي نقف فيه الآن، سنقف مع الفاتحة، ضمن كتاب من كتبنا أسمىناه "الفاتحة في أحكام الفاتحة".

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

فبدا هذه الفاتحة: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

### 1. معنى النقطة

قال الإمام علي: "أنا النقطة التي تحت الباء"، فكان الكتاب مستهلّه هذه النفحة العَلوية.

فنقول بحمد الله أنّ الباء قوام معناها: النقطة، فلورُفعت كانت نوناً، ولو تُثّبت كانت تاءً، ولو تُثّلت كانت ثاءً، ولو نزلت فتُثّبت كانت ياءً.

وهذه النقطة التي تحت الباء ترمز إلى أنّ: كل شيء خلقه الله نقطة في ملكوته

﴿أَخْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾

﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾

﴿مَا خَلَقْتُمْ وَلَا بَعَثْتُمْ إِلَّا كُنُفُسٍ وَاحِدَةٍ﴾

الزمان على امتداده نقطة، والمكان على شساعته نكتة ونقطة، وكذلك الأكوان والملكوتات والأبد نفسه عند الله نقطة. إذ لا يظن ظان أنّ أزلّيتنا وأبدّيتنا تماهي وتحاكي أبدية الله، إنّما كلّ له معنى، فالله أحاط بالزمان في أواخره، وأحاط بما خلف الزمان. ولذلك خاب من ظن أنّ الله يحويه مكان أو يطويه زمان، والله سبحانه وتعالى خلق الأزمنة ولم يكن فيها وخلق الأمكنة فلم تحتويه.

﴿فتعالى ربنا عن زمان يطويه ومكان يحويه، وعن نظير أو مثيل أو شبيه، أو شيء من خلقه يحلّ فيه﴾،  
قوام العقيدة.

فهذه النقطة التي تحت الباء **نقطة المعنى**، والإيمان بالله هو المعنى، واليقين بالله عبادته هي جوهر هذا المعنى

**مستهل كل شيء أن يكون نقطة:**

- نقطة الجنين في بطن أمه
- نقطة الذرة الأولى الهباءة التي كان منها كل شيء، بعد انفجارها وتعدّدها كما يظن علماء هذا الشأن
- نقطة تُطوى فيها حياة الإنسان كأن لم يكن
- نقطة يودع فيها في قبر من الأرض
- نقطة يعيش فيها
- نقاط يتحرك داخلها
- وما هو إلا نقاط مجمّعة فيه: نقاط الخلية، نقاط الفكر.. كلها نقاط

﴿فهذه النقطة التي تحت الباء هي مستهل، هي باب نحو معرفة المعنى.﴾

## 2. معنى الباء

وأما الباء فهي مستهلّ هذه البسمة وترمز إلى الوسيلة، كما أنّ النقطة وسيلة لنمّيّز الحرف إذا كان باءً أو نوناً "ن والقلم ويسطرون" أو "كهيعص" أو "يس"، هذه التنقيطات التي كانت في زمن مخفية ثم صارت

مبدية، كما أنها مستهل المعنى فإنّ هذه الباء وسيلة لمعرفة المعنى، وسيلة لمعرفة الوظيفة (كتبت بالقلم، أكلت بيدي، ضرب بالسيف).

فلا تعني فقط بدار الجملة بل بدار الوسيلة، ولا تعني فقط جرّاً بنيوياً بل جرّ معنوي، إذ كلُّ شيء يُجرّ نحو اسم الله.

فاسم الله سبحانه وتعالى هو مستهلّ الأسماء ﴿افْتَرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾، مستهلّ القراءة والوحي ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾. هذا المستهلّ أن يكون مستهلّ المؤمن في كل شيء بسملة بالله سبحانه وتعالى.

فالباء بداية ووسيلة

### 3. معنى الاسم

والاسم أول الكُنه، أول ما أعرف الاسم، لذلك **عَلَّمَ آدَمَ أَوَائِلَ الْكُنْهِيَّاتِ وَلَمْ يُعَلِّمْ بَوَاطِنَهَا**

فماذا عَلَّمَ؟ عَلَّمَ الْأَسْمَاءَ

ولما تاب الله عليه ماذا تلقى؟ تلقى الكلمات

لأنّ **الكلمة عمق الكُنه**، أما الاسم فأوله، أول ما أعرف اسمك، لكن الاسم قد لا يحمل صفة المُسمّى، فربما سُمّي بالاسم الزكي من لم يكن كذلك، قد يحمل اسم محمد من ليس فيه من سرّ اسم محمد، وقد يحمل من ذلك الاسم من فيه سرّ من ذلك الاسم.

فالاسم "بسم الله" اسم الله هو المستهلّ في كل خير.

### 4. معنى "الله"

أما "الله" سبحانه وتعالى فهو أول أسماء الذات، هو الله الواحد الأحد الفرد الصمد الخالق.

• ألف ترمز للاستواء

- همزته مخفية: استواء مخفي
- لام تدل على الشمول، ولام تدل على الاحتواء، فيها لام ملتصقة بها تدل على احتواء الظاهر والباطن، الغيب والشهادة
- على ذلك شدة فيها شدة قوته ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾
- فيها هاء التخلل واللفظ ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، هذه الهاء العظيمة التي حتى في رسمها تخلل.

#### 5. معنى "الرحمن"

فأما "الرحمن" فهو أول أسماء ذات الله المتعلقة بالذات، أي أنه:

- "الرحمن" أمدأ وأبدأ
  - "الرحمن" قبل الخلق وبعد الخلق
- فليس اسم "الرحمن" بمستوجب لوجود مرحوم، إنما كل ما هو منسوب إليه إلى "الرحمن" ممن اختص قال:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَانًا﴾

➤ فهو في ذاته رحمان ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾

#### 6. معنى "الرحيم"

أما "الرحيم" فهو اسمه ذاته المتعلق بخلقه، لأن الرحيمية مستوجبة لوجود خلق، مثل النفع والضرر والإحياء والإماتة، أما الحي غير مستوجب لذلك، فهو الحي، ولكن لما خلق صار "مُحيي". لما خلق، الله

سبحانه وتعالى صار ينفع ويضر. من **تفعيل الأسماء** ليس من إيجادها، ثمّة فرق، هذا اسمه "**علم الذات والصفات**".

ولذلك يقول الله ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ لم يقل "رحمن"، وأعطاه لسيدنا النبي وقال: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ لم يقل "رحمان"، لأنّ:

- **مقام الرحمانية** مقام فردانية الإلهية
- **ومقام الرحيمية** مقام رحمة الربوبية

☞ وكلاهما من تجليات الألوهية، فهو الرحمن فرداً سبحانه وتعالى صمد أحد.

و"الأحد" غير "الواحد"، لأنّ الواحد هو الذي يُثنى ويكسر ويُجمع ويُضاعف ويُقسّم، أما الأحد فلا يقبل شيئاً من ذلك. فهو أحد واحد سبحانه وتعالى.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

معنى الحمد

فأما الشكر فهو: شكر المعطي بعد العطية

﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾

﴿اعملوا آل داوود شكراً وقليل من عبادي الشكور﴾ بعد العطية، آتاهم.

أما الحمد فهو: شكر المعطي على العطية بأخذها أو منعها أو فقدها

- إذا أعطى، محمود
- وإذا أخذ، محمود
- وإذا منع، محمود

☞ وهذا **لواء الحمد**، فكان سيد الحامدين في البأساء والضراء والسرء سيدنا محمد، أعظم من امتحن، أكثر من ابتلي، وكان من الحامدين.

مستهلّ الحمد في "الحمد لله رب العالمين" فيه أنواع كثيرة عددنا منها 70 حمدية، من بينها:

- حمديات الأبدية ﴿وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
- هناك حمد جبروتي ﴿فَقَطَّعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

لها تجليات، 70 تجلي للحمد.

ولي كتاب اسمه "كتاب الحمد" جلّيت فيه من المحامد التي ألقاها ربي علي، لأنني أنا لا أكرر حمدية أبداً، كل درس أقول فيه حمدية تكون حديثة عهد برب العالمين

"الحمد لله" اللام هنا تعني الشمول الذي لا يُحصيه عاقل ولا يُحيط به ناقل  
"الحمد لله" بمحامده التي هي له التي نعرف قليلاً منها ولا نحصيها، لذلك قال: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ قال: "نعمة" ولم يقل "نعم"

- لأنّ النعمة الواحدة في تصريفها فيها ما لا يحصى، فكيف بالنعمة؟!
- لأنّ النعمة الواحدة يجعل لك الله فيها آلاف الأشياء، نعمة البصر انظر كم نعمة في البصر، نعمة الحياة، نعمة الوجود..

نعمة الوجود ونعمة الشهود ونعمة معرفة المعبود

أنا عددت النعم فبيّنت ثلاث نعم كبرى، قلت أعظم النعم: نعمة الوجود، ثم نعمة الشهود، ثم نعمة معرفة المعبود

## 1. نعمة الوجود

فأما نعمة الوجود فالله خلقك، وتلك نعمة عظيمة.

أبداك من عالم المحو إلى عالم الصحو، أبداك من عالم كنت فيه كلمة إلى عالم كنت فيه روحاً ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾

- عالم كنت فيه روحاً
- ثم رُكبت في بدن
- ثم أشهدت ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾
- ثم بعد ذلك حَللت في طينة الأجساد
- ثم تخرج من طينة الأجساد إلى عالم الأرواح فُتبقى الجسد منتظراً
- ثم تحلّ في الجسد بعد أن تغير ليلائم الأبدية، فيكون وجه أبيض وقد كان من قبل أسود، وآخر يُحشر أزرق أسود وقد كان ربما من قبل أبيض ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾

## 2. نعمة الشهود

ثاني نعمة: نعمة الشهود.

فليس كل موجود بشاهد، فبعض الموجودين لم يشهدوا بشهودنا، لا يشهد الحجر على الوجود كما تشهده أنت بعينيك، وليست عينك الشاهدة كعين بعض الحيوان الذي يراك طيفاً، وبعضه يراك أشعة، وبعضه يراك موجات صوتية، وبعضه يراك بالسونار، كائن البحر غير كائن البر، الكائن الذي يرى في الظلام غير الذي يرى في النور، وغير ذلك.. من عين الأفعى إلى عين البومة إلى عين الذئب إلى عين السمكة إلى عين الحوت الذي يرى بطريقة أخرى إلى عين العنكبوت التي ترى بـ 300 عين، إلى عين الذبابة التي ترى تباطؤ الزمان فيما تراه أنت سريعاً فتراه هي بطيئاً، إلى عيون الخلايا التي فيك، إلى عين عين قلبك، إلى عين عين عقلك، إلى عين عين روحك، إلى تعيينات العيون التي أوجدها الله فيك وهي شاهدة، من بين ذلك أنّ الجلد له عين وله لسان ويوم القيامة ينطق ﴿قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، إلى عين الكاميرا التي تصوّر ولا نفهم كيف كان ذلك، إلى غيره... فنعمة الشهود نعمة عظيمة.

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ هذه شهود. من أول من شهد؟ الله لذاته. وهذه اللحظة الشهودية التي شهد الله فيها لذاته كان فيها قرار الخلق، لأنه لما شهد لذاته بالجلال والجمال والكمال وقف الله عاشقاً لذاته محباً لذاته مادحاً لذاته، فقال: لأخلقن خلقاً يمدحونني فيشهدون جمالي وجلالي وكمالي.

فكان أول من خلق سيدنا محمد روحاً، الذي قال: "كنت نبياً وآدم منجدل بين الماء والطين"، وقيل في القرآن ﴿وَأَنَا أَوْلُ الْمُسْلِمِينَ﴾.

فأتى بألف الاستواء في "أحد" وحاء الاحتواء ودال الديمومة، فأدمج فيها ميم الماء الأزلي الذي كان عليه عرشه، الذي يعني الحياة ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾، فلما أفردتها بين ألف الاستواء وحاء الاحتواء ودال الديمومة كانت "أحمد"، فتحامداً، فكان أول من حمد من خلق الله "أحمد"، وكان أول من حمد الله بمعرفة الله من عند الله "أحمد"، فكان من ذلك لواء الحمد.

ثم لما أذن للزمان أن يُشرق بأنوار مولده البهي وطلعت السنية، بعد أن أسراه في خيار من خيار من خيار، بعد أن اجتبي له آدم ومن آدم اجتبي له نوح ومن نوح اجتبي له إبراهيم ومن إبراهيم اجتبي إسماعيل إلى عدنان إلى هاشم إلى آباءه إلى أبيه عبد الله وأمه آمنة، انحنت الألف في بطن أمه ميماً، وضمّت في ذلك البطن المطهر.

ثم جاءت الحاء تحمل الأعلى إلى أدنى: المعجزات والأنوار والقرآن إلى الدنيا. ثم حلت ميمان قد أدغمتا ودُمجتا دمجاً، مولده ومماته، مبعثه مسراه معراج، مكّته ومدينته. ثم جعل الله على ذلك الاسم الذي لقاه إلى عبد المطلب عن إسماعيل، جعل على تلك الميمين شدة، والشدة شدة، وجعل على الشدة فتحة والفتحة فتح ميين

ثم جاء بدال ديمومة سرّه ورفعته أمره وشرح صدره وأبطال بدره، رفع من تلك الدال من الظلمات إلى النور ومن الجهل إلى الإسلام، ثم جعل عليها سكوناً "محمد" لسكون السرّ لديه، أو جعل ضمّتان "محمد" فإذا جمعنا الضمة الأولى (في الميم) بالتي في الدال كانت ثلاث ضمّات التي ضمّها له جبريل:

- ضُمَّ جِلاَلاً وَضُمَّ كِمالاً وَضُمَّ جِمالاً
- ضُمَّ نيابة عن ربه وَضُمَّ نيابة عن ملائكة حبه وَضُمَّ نيابة عن أحمده الذي فيه والذي سرى فقال: "زَمَلُونِي دَرُونِي" إذ استيقظت الروح في الجسد

### 3. نعمة معرفة المعبود

ثم نعمة معرفة المعبود، نعمة عظيمة.

ثمة من يظن أنّ الله بقرة، وثمة من ظن أنّ خالقه نار، وثمة من حسب أنه طوطم. وكلهم خلقهم وأشهدهم قبل هذه الدنيا ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ قَالُوا بَلَىٰ ﴿﴾ ولكن أنساهم، لعلمهم يقفون يوم القيامة يجادلون في حقهم: لما يا رب أنسيتنا؟ الذين عاشوا في الفترة على سبيل المثال ولم يأتهم نبي، يجادلون في حقهم: نحن بنينا كل هذه التماثيل لرب مزعوم فكيف لو عرفناك أنت؟! نعمة معرفة المعبود!

ثمة حتى من يشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله ولكنه لا يُقرّ لله بما له، أي لا ينزّهه سبحانه، فيقول "له يد كما لنا يد" و "له رجل كما للبعير رجل" إلى غير ذلك من الأمور، وهذه سفسطات.

من شبّه الخالق بالمخلوق فقد جهله

ومن حدّ الله فقد جهله

ومن جعله في حدّ من حدود خلقه وجهة من ذلك فقد جهله

فقولنا "الحمد لله" فيها:

- علم التوحيد
- وفيها علم الحمد
- وفيها سرّ علم "لا إله إلا الله"، "لا إله إلا هو"، "لا إله إلا أنت".

فإنّ القوم لما تملّوا في الوجود رأوا أنّ له خالقاً، فنفوا سواه وأثبتوها لله، فقالوا: "لا إله إلا الله" بالتأمل في الوجودات.

ولما نظروا ورأوا من تجليات جماله عليهم وهم في قلب البلاء، تعال معي إلى سيدنا يونس: ليل مظلم، بحر مظلم، بطن حوت مظلم، بلاء مظلم، عمّ مظلم، شعور بالذنب مظلم.. ظلمة النفس وظلمة القلب وظلمة الروح، فتجلى عليه الحي السبّوح، فقال: "لا إله إلا أنت".

إذن، المقام الأول "لا إله إلا الله"، المقام الثاني مقام الشهود "لا إله إلا أنت".

فلما رجع القوم يحدثون عن ربهم قالوا "لا إله إلا هو"، لذلك من أذكار التصوف (هو) "لا إله إلا هو".

معنى "رب"

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

الرب: هو الحرّ في موازين خلقه

الراء: تعني الحرية

الباء: تعني الموازين

لذلك الراء عندما تكون فيها الحرية، وتكون الباء تعني الامتداد والتخلل، وتكون الحاء فيها اللطف وفيها سرّ، تأتي "ريح". فإذا جاءت الواو التي تعني الانعتاق والاندماج، تكون روحاً.

وما عمل الحروف والنقاط هكذا

- فالرحيم باب، دخله إبليس بنقط حسد في قلبه صارت رجيماً
- ودخل من باب العطاء، فحلّت نقطة الحسد والكبر في عين "العين"، فماذا حدث؟ غطاء
- وسرى في النور فغلب عليه الزور
- وسرى بالسر فغلب عليه الشر
- وسرى بالحب فحلّت راء فصارت حرباً
- وسرى من سرّ إلى سحر وحاء الحرمة حلّت بينهما

هذا علم كبير في الحروف ليس عبثياً، فهي لغة القرآن.

معنى "العالمين"

و "العالمين" هنا أيها الأحباب غير "العوالم"، لأنّ العوالم ما يفصل بينها نوع أو مسافة، تقول (عالم الإنس، عالم الحيوان) أو (عالم الأرض وعالم المشتري) أو بينها فواصل (عالم الجن، عالم الإنس)

أما العالمين فهي عوالم مندغمة في بعضها ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ﴾. إذاً في نفس العالم الذي نحن فيه الآن، مثلاً هذا "عالمين" ما معنى عالمين؟ نحن في

مجلسنا هذا إذا أردنا أن نؤمن بالغيب، أو نأخذ حتى بعلوم الفيزياء: عيننا لا ترى جميع الأشعة التي تسري هاهنا، هنالك هيولات كونية وأشعات لا تراها العين أبداً، لو جئنا بجهاز ما رأينا، لو أتينا بجهاز تلفاز لوجدنا القنوات كلها تمر بنا وتُبث، تمر ولا نراها، هذا عالمين.

هذا المجلس عليه -من القرآن- وجودات غير وجودنا هذا:

1. أولها رقيب وعتيد يدون كل لفظ
2. ثم معقبات ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾
3. ثم شياطين وجن ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾

هل هذه الوجودات تتراصّ في نفس البعد؟ لا، لا تتزاحم، يسري الملك في عالمنا فيجده طيفاً، ويسري الجن فيه فيجده طيفاً. ويرى الأعلى الأدنى والأدنى لا يراه، فيرى الجن الإنس والإنس لا يراه إلا المخصوصين، ويرى الشيطان الجن والجن لا يراهم، ويرى الملائكة الشياطين والجن والإنس وهم لا يرونه، ويرى جبريل من هو تحته مقاماً والآخر قد لا يراه، وترى روح النبي المحيطة بنا كلنا ولا نراها، ويرى الله الكل ولا يرونه، هذه العالمين، فهو أقرب إلينا من حبل الوريد.

العالمين فيها إدماجات مكانية وإدماجات زمانية، بمعنى: يمكن أن أنتقل من نقطة أ إلى نقطة ب دون سرعة ودون وقت ودون جاذبية تمسكني وقوة أحتاجها. عفريت الجن قال ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ احتاج قوة وسرعة "قوي أمين"، أما جالب العرش فلم يحتج لشيء من ذلك، فاستعمل سرّ العالم فطوى له المكان.

وكذلك الزمان يسري، فسرى الزمان على حمار العزير كما هو، وبُطّي إحساسه به إلى ليلة وبعض يوم، وكذلك بُطّي إحساس أهل الكهف وبُطّئت خلاياهم، فلو أنّ لحاهم نمت على 300 سنة لكانت كيلومترات، لكن بُطّيء النشاط الخلوي حتى شعروا أنهم ناموا ليلة. أما الطعام فلم يتسنّه، أي سرى الزمن حوله ولم يسر عليه، وهذا من قواعد العالمين أيضاً.

وكذلك إذا كان طعام العزير لم يتسنّه أي بقي صفر، كيف بجسد النبي عليه الصلاة والسلام؟! لا يتسنّه، أجساد الأولياء لا تتسنّه، حب النبي لم يتسنّه، الآن صوت رسول الله في المدينة وهو يُلقى الدروس لم يتسنّه، لو عندك جهاز يستطيع أن يدخل في تلك الأبعاد، كأنّ النبي قائم الآن.

لذلك الله لما يأتي يوم القيامة بهذه الأسرار ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ حَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾، لو أنّ قاتلاً يقتل مقتولاً يأتي الله بالسكين تقطر دماً كأنما قتله الآن، من عظيم قدرته سبحانه وتعالى، عظّموا الله جل في علاه.

فالحمد لله رب العالمين: الحمد لله المتحكّم في العالمين

- الذي جعل العصا حية
- وجعل مخلوقاً من تراب جعل له أنثى من جسمه
- وجعل مخلوقاً بلا أب سمّاه عيسى
- وجعل نار إبراهيم برداً وسلاماً
- الذي جعل طعام العُزير لم يتسنّه
- وأحيى لعيسى الموتي
- الذي يحيي الأحياء ويميت الأموات ويفعل في خلقه ما يشاء
- الذي جعل المحيط الأعظم سيدنا محمد يُحتوى في بطن أمه، وهذه من الأعاجيب!

لأنك لو جنّت بمحيط تضعه في قارورة لاستحال عليك، فكيف بهذه الذات الأعظم؟ الذي ما وقف بجوار سماء إلا وكان أعظم منها، أعظم الخلق، أعظمهم مقاماً وأعظمهم حجماً (في تحاُجُم الأرواح) وأعظمهم سرّاً، إذا كان جبريل قد مدّ بين المشرقين والمغربين ثم دنا فتدلى وهو قاب قوسين أو أدنى، فكيف الذي صعد إلى ما لا يطيقه جبريل بنفسه؟! هذه عظمة حجم وعظمة سرّ.

فكيف صار رضيعاً وكيف صار مضغّة وعلقة؟! هذا من إعجاز الله، يفعل ما يشاء، يديرها كما أراد.

وكذلك نطقنا الآن عن إرث له، عن كلام لم نفكر فيه، عن برقية أرسلها من صدره الشريف إلى صدر حفيده ينوب عنه. ينطق أولاد فاطمة عنها وينوب أحفاد علي عنه، وينطق أحفاد الحسنين بسر الحسنين. وكذلك للأولياء صولة وجولة في قلوب عشّاقهم، تجد للرفاعي نوبة وللجيلاني نوبة وللشيخ الحداد نوبة، وللشاذلي نوبة، والبدوي والدسوقي والجشتي وصاحب مرباط. فالكلام في ظاهره نُطق ناطقه، وعلى وجه الحقيقة ﴿إِنَّا سَأَلْنَاكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾، كلام حديث عهد برب العالمين كما بيّن العز بن عبد السلام بعد لقائه بأبي الحسن الشاذلي.

## ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾

لماذا أعادها؟

لأنّ هذا الوجود لو لم يكن منوطاً بالرحمة لأزاله منذ أول ذنب اقترفه مذنب لأنّ الله شديد العقاب

لأنّ الله لو لم يكن رحماناً رحيماً ما بقي في هذا العالم من شيء ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾

إنما الله سبحانه وتعالى: "رحمن" عندما خلق ونزل القرآن، و "رحيم" عندما لطف بهذا الإنسان

وأحاط بذنبه فأخذه برحمانيته فأدّبه فصار من ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾، وألقى

فيه الرحيمية فأدّب به سواه فكان النبي ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِيَتَّخِذُوا لَهَا ذِكْرًا﴾ ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾

ملائكة عرشه الأعلم به كأموه من باب الرحمة لا من باب النعمة ﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةٌ وَعِلْمًا فَاغْفِرْ

لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾

وكذلك عيسى لما قال: ﴿إِن تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ثم جعل

باب الغفران هو الأولى.

## ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أو ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾

فأما "الملك": ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وأما "المالك" فهو الذي لديه حق

على ما يملك دائماً

فأما "المُلك" و"المَلِك" فهو الذي يدير شؤون ملكه، وأما "المَالِك" فهو صاحب الحق المستمر في من

يملك

فهو من حيث أنه مالك لديه عليك الحق الدائم. هذا يستوي فيه جبريل وإبليس، فهذا مالك له

بالرحمانية وذاك مالك له بالقهر ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ

وَالْآصَالِ﴾، فهو مالك.

لذلك سمى الذي يسيطر على الناس في جهنم بـ "مالك" ﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَأْكُوثُونَ﴾ لأنه متحكّم فيهم وهم فيها، أما من هم في الجنة فهو "رضوان" لأنه يأتي من باب الترضية ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ۖ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾.

فأهل الجنة يعيشون في عين الرضوان لهم ما يشاؤون عند ربهم، وأهل النار يعيشون تحت المالك فهم مقهورون فيما هم فيه، والأسماء ليست مختارة عبثاً.

### معنى "يوم الدين"

"يوم": اليوم هو مجمع من الساعات، وهذا اليوم مختال في معناه، لأنّ يوماً عند الله بألف ويوم بخمسين ألف ويوم مقداره مليار سنة. ولذلك لما عددنا خلق السماء الدنيا، مرة ذكر ستة أيام ومرة ذكر ما مفاده ثمانية، واحترار المفسرون، فلو جمعنا بين الستة والثمانية لوجدنا أربعة عشر، وقد أجمع علماء الكونيات أنّ عمر الكون أربعة عشر مليار عام، فيكون اليوم مقداره مليار. فيوم الخلق مقداره مليار، ويوم العروج له معنى، فلكل يوم معنى، والزمن مقادير، فيوم بألف ويوم بخمسين ألف ويوم بكل هذا الوجود، لعل وجودنا الدنيوي يوم.

و "الدين" هاهنا هو إظهار الحق بعد غمس الباطل فيه

فلذلك يوم الدين له مجالي، من بينها:

- فتح مكة فهو يوم دين
- ظهور قائم آل محمد ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ هو يوم دين
- وكذلك يوم يُدان الخلق إلى ربهم، هو يوم دين، هو يوم القيامة ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

"إياك": هو ما يُسمى بوجهة الوجود أو بغاية الوجود

أي أنّ هذا الوجود له غاية منصوبة مقصودة، حُدّت في بابين:

- **باب عبادة:** أن يكون كل عمل لك يُقصد به وجه الله، فهو عبادة.
- **باب استعانة:** فيه إقرار بضعفك كمخلوق وفيه إقرار بقدرته كخالق، فلا يصحّ وجهه دون آخر، فلو أنك ظننت أنّ الله قادر وأنت قادر تحايث بقدرتك قدرته، فتقول "إنّ الله يرزق وأنا أرزق" ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾، فهذا خطأ. إنما أنت قادر من تحت قدرة القادر نعم، أنت غني من تحت غني المغني نعم، أنت مستطيع من خلف من وهب الاستطاعة نعم.

لذلك كان من أدعيتي لربي:

"اللهم إنك تُظهر لي كل يوم كم أنت خالق عظيم،

وأظهر لك كل يوم كم أنا مخلوق وضعيع،

فتجلّى بعظمتك على وضاعتي لأكون عظيماً،

وتجلّى بهدايتك على ضلالي لأكون مهتدياً،

وتجلّى بغناك على فقري لأكون مغتنياً،

أنا الضعيف لربي القوي بري وربي القوي،

أنا الفقير لربي الغني بري وربي الغني"

هذه من بين الأدعية التي ندعو بها.

## 1- باب العبادة

"إياك نعبد": إفراداً وتوحيداً لوجهك الكريم، أي أننا في الحقيقة لا نعبد شهواتنا ولا زوجاتنا ولا مالاً ولا وزخرفاً. وإنّ إمالة القلب عن وجه المحبوب فيه عبادة ما دون المحبوب، فإنّ من أمال عين قلبه عن النظر لوجه الله ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ إنما عبد من دونه، من باب العبادة الخفية التي لا يطلع عليها ولا يعرفها، لأنّ حسنات الذين هم دون المقام هي ذنوب عند أصحاب المقام. لذلك

الله أقام حبيبه محمد مع قوم يدعونه بالغداة والعشي يريدون وجهه، أي أن يكون المحبوب هو عين المطلوب.

لو أنّ غايتك من عبادة الله أن لا تدخل النار فالنار رب لك، ولو أنّ غايتك أن تدخل الجنة فالجنة رب لك، لذلك خرجت السيدة رابعة تحمل مشعل وقالت: "دعوني أحرق الجنة التي حجبتكم عن ربكم". ومعنى "رب" هنا: السيد المسيطر، لا نتكلم عن تأليه، لذلك قال سيدنا يوسف ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾. إنما أن يكون المحبوب عين المطلوب وعين المرغوب، أن تحب الله، وهذا مقام الإحسان "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك".

وهذا مدار علم التصوف بين مقام التزكية إلى مقام الإحسان.

كل مدارات علم التصوف تندرج من المقام الأول التزكية إلى 70 مدرج، 70 مقام، الفناء والبقاء والسكون واللوم والعتاب والأنس والوحشة والوجد والشوق والعشق والندم والملامة.. إلى 70 مقام، حتى يصل إلى مقام الإحسان.

- يبدأ من ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾
- يصل إلى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَكَاهَا﴾
- يسمو إلى ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾
- يمضي إلى ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾
- ثم يمضي إلى ﴿اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾
- حتى يصل إلى الصابرين المخبتين ﴿الَّذِينَ يَدْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

إذن "إياك نعبد": أفراداً للعبادة لك، حباً فيك.

## 2- باب الإستعانة

"وإياك نستعين": لأنك ألقيت في دنيا تحتاج فيها أن تستعين به.

فأول عدو لك رُكِّبَ فيك ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾، أكبر أعدائك بين أحشائك، أقوى عدو لك يمكن أن يؤذيك يسكن فيك، اللدّ عدو قد أوتيته أنت تُغذّيه وتُقوّيه وتُطعمه وتسقيه. فإذا علمت أنه يسكن فيك، علمت أنه يمكن أن تسكن فيه، فإذا علمت كيف تسكن فيه علمت كيف تُسكن ما فيه، فإذا أسكنت ما فيه مضيت إلى عين أودعها الله في قلبك فشربت من معينها فصارت نار نفسك برداً وسلاماً، وألقيت عصا النفس التي عصت فهي كالعصا في وادي طوى سرّ الله فإذا هي حية تسعى، تنتقل من كونها حية أفعى إلى كونها حية من معنى الحياة، فتنتقل من معيشة ضنكاً ومعنى العيش إلى معنى الحياة ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاتًا طَيِّبَةً﴾، معاني تنتقل فيها.

1. أول هذه الأعداء تستعين بالله على شيطان النفس:

"اللهم إني أستعيذ بك وألوذ بك من شيطان نفسي"

﴿وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلِمُ مَا تُوسَّوْسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾

هذه النفس بهذه المعاني

حتى نصير لؤامة، فإذا صارت لؤامة تلوم بلا توقف، لا يرضيها شيء، كالزوجة النكدة، إن أرضاها غضبت، وإن أغضبها غضبت، إن تزوجها وحدها غضبت، إن تزوج عليها غضبت، أنجبت غضبت، إن لم تنجب غضبت.. من بلائات الدنيا المرأة النكدة. وخير متاع الدنيا المرأة الحسنة، إن تكونين جيش بأكمله أيسر من تكوين امرأة صالحة.

فلما تنتقل إلى مقام اللؤامة تُعلم الحب، فإن تعلّمت الحب توقفت عن اللوم واطمأنت، فإذا اطمأنت سكنت، فإذا سكنت سرت بصاحبها في معارج الرحمن.

صارت راضية مرضية، فدخلت في العباد، دخلت في جنة صاحب ورب العباد. وهذا يكون للعارفين بالله في الحياة قبل الموت، لأنّ أنفسهم مطمئنة، لأنّ الله قال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ جنة في الدنيا بالرضوان وجنة في البرزخ في عليين، ثم جنان أخرى...

2. وثاني الأعداء شيطان حقد على أبينا آدم فاستمر في أذيته:

وله فرعان: شياطين إنس وجن ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ ففصل، وقال: ﴿يُوحَىٰ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾، ثم ما هي من بلاءات الحياة.

المهم أنت تستعين به دون أن تعلم وأنت في بطن أمك ثم يُخرجنا لا نعقل شيئاً، وتستعين به عندما تكبر، وتستعين به عندما يأتي الموعد الذي لا بدّ أن يأتي ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ مَا كُنْتُمْ مِنْهُ تَحِيدُونَ﴾، تستعين به في كل شيء، وهذا باب الإستعانة.

إذن، هما بابان:

- باب العبادة والإستكانة
- وباب المدد والإستعانة

### 3- باب التوسّل

وأما باب العبادة والإستكانة فلا يقوم إلا بعارف عرفك عليه وهداك إليه، أي أنّ العبادة لا تكون كفاحاً مع الله، إنما لا بدّ من يوصلك إليه، ولذلك أنت في صلاتك تسلم على حضرة النبي، وهنا الوسيلة المحمدية. وهنا باب التوسّل، لأنّ العابد الذي يعبد من كفاح نفسه يُترك لها. وهذا مقام إبليس، لما عبد الله كفاحاً دون واسطة تشدّه ودون روح عظيمة أعظم منه تمده، فُتن.

- ما هي قصة إبليس في النهاية؟ طلب الله منه أن يدخل من باب عبادته عبر مخلوق، أن يدخل تحت جناح هذا المخلوق، أن يقبل به واسطة بينه وبين ربه، أن يسجد له إقراراً لعظيم تلك المنزلة.. فرفض ذلك.
- قابيل وهابيل قَرِباً قرباناً فرفض الأخ أن يكون أخوه أعلى منه، أي أن يدخل على جناب الله من حضرة أخيه، فقتله.
- إخوة يوسف رفضوا هذا الجمال اليوسفي ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ رموه في البئر.

← لذلك لا يمكن أن تُقبل "لا إله إلا الله" دون "محمد رسول الله"، ولا تقال لفظاً بل هو مقام النبي ﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾

← لذلك ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾، لم يقل "ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم فاستغفروا الله لوجدوا الله"، جاؤوك أولاً. طيب أنا اليوم كيف أجيء؟ أجيء بروحي، أجيء سره لا فقط أجيء مدينته، أجيء قلبه الشريف، يراني ويسمعني، فاستغفر الله بين يديه، هذه الكاف "السلام عليك أيها النبي الكريم" شاهد ناظر حاضر قريب.

أحدهم يناظرني قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، قلت: إذا سألك أم إذا سألك؟ سألك! و "عبادي" ليس "عبيدي"، هل أنت وصلت إلى مرتبة العباد؟ ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾، ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾، أنت ما زلت في مرتبة تحت العبيد.

إذا قصدوك فسألك فإني قريب. أما القرب الآخر ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ هذا إسمه قرب الجلال، قرب القهر والإحاطة. أما قرب الحب، قرب النوال، قرب الوصال، موضوع آخر، هو قريب من كل قريب، وأقرب من كل أقرب.

أنا ضربت مثلاً في كتاب اسمه "الياقوت في أسرار الملكوت"، قلت: يأمر الله ملك الريح فيمدّ يده إلى غصن فيحركه بالريح، فيحرك الغصن ورقة فتتحرك الورقة قطرة الماء، فتسقط في الأرض فتتحرك نبتة كانت نائمة هامة، قلت: والله أقرب من الغصن من الملك، وإلى الورقة من الغصن، وإلى القطرة من

**الورقة، وإلى النبتة من القطرة، أقرب من كل أقرب، لكن بمعنى قربه، ليس قرب ذات، بل قرب علم وقرب قدرة، أما الله فلا يحلّ في الأشياء ولا تحيط به ولا ندرك ذاته أبداً.**

مقام الإستعانة ومقام العبادة والإستكانة، حتى مقام الإستعانة لا يقوم إلا بالمدد، نفسه الذي وقف بينك وبين ربك ليكون واسطة لك وشفيعاً لك هو الذي منه باب الأمداد. وهنا من باب النبي إلى باب علي وفاطمة والحسنين إلى أبواب الأولياء والصالحين والأنبياء، كل الأمداد متصلة بالنبي، فقال: **"ألا وإنّ الله مُعْطٍ وأنا قاسم"** قال: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾**.

**﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾**

"اهدنا": لأنّ الله سبحانه وتعالى جعل الهداية هدية، ولا تؤخذ غصباً ولا نصباً، إنما من باب **﴿فَانصَبْ﴾** (باب النَّصْب لا من باب النَّصْب). ولذلك **هذه الهداية ما دامت هدية لا بدّ أن يتلمس أمرها،** وهذا من أدب التعامل مع ملك الملوك أن نطلب منه الهداية، لأنه من باب العبادة والإستعانة إن لم يهدنا لا نصل إلى ذلك أبداً، فقال "اهدنا" فنطق صاحب الحضرة بأصوات العبيد والعباد الذين يتلمسون أن يكونوا عبداً.

"اهدنا الصراط": **الصراط هو المنهج القويم،** هو الطريق الدال، هو الطريق المستقيم بين نقطتين. طبعاً كتب كثيرون حول الصراط ومعانيه، وليس هذا موضع نقاش ذلك مما تزيده كعب الأخبار ووهب ابن المنبه أو مما لم يزيده، لأنّ لبني اسرائيل عقيدة في التجسيم فأدخلوا بعض رواة حديثهم فصوروا أموراً، وهذا ليس مقامهم، لأنّ الله يقول: **﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾** تجد مرويات أخر تحتاج إلى تحقيق وتمحيص.

ولكن نقول: إنّ هذا الصراط المستقيم الذي هو المنهج القويم تحت راية "لا إله إلا الله" وبند "محمد رسول الله"، الذي فيه الرحمانية والحمدية والإستكانة ومقامات الرحيمية ومقامات تجليات الإسم الأعظم، ومقامات الألوهية والربوبية وغير ذلك كثير من أبواب الإستعانة والمدد ومن أبواب العبادة مما ذكر في هذه الآيات، إنما يكون **هذا الصراط المستقيم الذي هو لله سبحانه وتعالى قد أُحيل إلى عباد،** مرة أخرى توّسل.

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾

لم يترك الصراط مشاعاً، قال "صراط الذين أنعمت عليهم"، إذ الصراط ملك، إذن: أنت لما تهدينا إلى الصراط المستقيم، اهدنا إلى أصحابه.

لماذا قال: ادخلي في عبادي؟ لن ترجعي راضية مرضية إن لم تدخل في عبادي. من هم هؤلاء العباد؟ أصحاب الصراط. من أصحاب الصراط؟ أليس سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام سيّد هؤلاء؟ أليس أهل البيت وأصحابه الأنبياء من قبله والأولياء من قبله ومن بعده أصحابه؟

إذن هذا يدل أيها الأحباب على أنّ علم الوسيلة وعلم التوسّل والواسطة الربانية قائم منذ الفاتحة، وأنّ مفتاح الباب في هؤلاء العباد.

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾

ولكن الله أوجد معاني في هذه الآيات الأخيرة تستحق النظر.

الله جل في علاه له تمثلي منطقي في القرآن، فإما أن يذكر الأفضل فالأقل فضلاً ثم يذكر السيء، أو يذكر الأسوأ فالأقل سوءاً فهكذا، منهج منطقي.

قال مثلاً: "السابقون" ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [الواقعة:10]

ثم قال: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة:27]

ثم قال: "أصحاب الشمال" ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ [الواقعة:41]

أو قال: "فرعون وهامان وجنودهما" ﴿فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص:8]، فرعون هو الظالم الأكبر، هامان يليه ظلماً، وجنودهما من الطاغية والمجرم والسفاح إلى الأبله الذي لا يفقه من الأمر شيء، ترابعية.

حظّم هذه الترابعية في الفاتحة: أتى بالأكمل "أنعمت عليهم"، وأتى بالأسوأ "المغضوب عليهم"، وأتى بمن هم يتأرجحون بين الكمال والسوء وهم "الضالون". فتساءلنا: ما الحكمة من ذلك؟

فقلنا: ذلك لأنّ دور المغضوب عليهم أن يحاولوا أن يحولوا بعض المنعم عليهم إلى ضالّين، أو يزيّفوا عليهم. كثير من الخلق منعم عليهم لكن يضيعون ويتيهون، ألم يكن إخوة يوسف ممن أنعم الله عليهم؟ نعم، أبناء نبي ابن نبي وإخوة نبي، ولكن كانوا فترة ضالّين واعترفوا لأبيهم بذلك.

المغضوب عليهم أول أدوارهم أن يحاولوا نقل بعض المنعم عليهم ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾، أن يستجذبوهم إلى الضلال، وأن يحولوا الضالّين إلى مغضوب عليهم فتحرم عليهم الرحمة والمغفرة

﴿حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس:96]

﴿وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر:71]

﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يس:7]

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ [يس:7]

ما دور المنعم عليهم إذآ؟

قلنا: أن يخرقوا المغضوب عليهم حتى يتصلوا بالضالّين فيهدوهم إليه

إذن العمل الدعوي كله هذا.

### القرآن مختزل في الفاتحة

تبدأ الفاتحة ببدايات البسملة وتمجيد الله، ثم التبيان أننا نوجه العبادة والاستعانة، ثم طلب الهداية، ثم المنهج القويم والصراط المستقيم وإظهار الدين في أبهى حُلّة، في أجمل ما يكون، بعد التمكن والفهم، ثم تمضي إلى أنّ ذلك الصراط ملك لعباد، ثم تنتهي بالمهمة الموكلة بهؤلاء العباد: أن يخرقوا المغضوب عليهم إلى الضالّين فيهدوهم.

وهنا كل القرآن مختزل في الفاتحة:

- كل القرآن تفسير لمعنى إسم الله.
- كل القرآن تفسير لمعنى الرحمانية والرحيمية وما يكون بينها من الأسماء الحسنى.
- كل القرآن تبيان لمعاني يوم الدين والقيامة وما كان فيها.
- كل القرآن تبيان لمعاني العالمين وما كان في العالمين من قصص ﴿نَحْنُ نَقْصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾

- كل القرآن تبيان لمعاني العبادة، موجباتها طاعاتها ما فيها من سلوكيات.
- كل القرآن تبيان لمعاني الإستعانة، من ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ﴾ إلى غير ذلك.
- كل القرآن معاني للتفكر في ملكوت الله، هذا تفكر في العالمين
- ذكر الله، هذا تسبيح للقوي المتين.
- كل القرآن منهاج نحو الصراط المستقيم، الذي يقسم ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ هي الطرق الصوفية والمدارس الفقهية هذه سبل، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾ هذه سبل الشيطان.
- كل القرآن فيه قصص الذين أنعم عليهم وقصص الذين غضب عليهم وقصص الضالين
- كل القرآن هذا مجمعه.

الفاتحة يا أحببنا هي مجمع سرّ القرآن الكريم، وهي باب بدايته، ومنتهى كماله ونهايته، وبرهان تحقيق غايته، وإظهار لمجلى ومعاني آيته، ورفع لعالي وعلي رايته.

### دعاء الختام

فالحمد لله الذي نزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، والحمد لله الذي سلكه وأنزل به من المُنزّل ماء ثجاجاً، والحمد لله الذي سلك ونهج، عدد من بذكره لهج، والحمد لله الذي زكى ما نتج، والحمد لله الذي جعل بعد كل عسر يسراً وبعد كل شدة فرجاً، والحمد لله الذي أفنى بحبه مهجاً، والحمد لله الذي أسرى بظه وعرج، والحمد لله ما أمر اندرج، وما أنزل فرج بعد أن نادى الناس يلتمسون الفرج.

اللهم صلّ على سيدنا محمد صاحب التاج والمعراج، صاحب السبيل والمنهاج، من هو لكل علة علاج، ولكل فضيلة تاج، اللهم صلّ عليه وبارك في هذا النتاج.

وصلّ اللهم على من حسنت منها النتيجة وأدخلت الجنة البهيجة، الحُبابة خديجة.

وصلّ على من نوقى بها النار الحاطمة، بحار الله المتلاطمة، السيدة فاطمة.

وصلّ اللهم على من هو ولي، سرّه جلي، وقلبه عن غير مولاه خلي، الإمام علي.

وصلّ اللهم على من بُسّر بالعطاء الحسن، ومُنح الوجه الحسن والسلوك الحسن والمقام الحسن، سيدنا وجدنا الحسن.

وصلّ اللهم على من هو في الجنة معه ثاني اثنين، كحيل العين، ابن طه الزين، الذي ضحّى في سبيل ربه مرتين، إمامنا الحسين.

وصلّ اللهم على النبي وآل النبي، وسلام على باب تحقيق المطالب سيدنا أبي طالب.

وسلام على أئمة الفقه والعلماء والصالحين والنجباء والأوتاد والأصفياء الظاهرين والأخفاء أصحاب النقاء والوفاء، وسلام على الحاضرين معنا وبيننا، وعلى سيدي صاحب هذه النوبة سيدي محمد بن علي صاحب مرباط، وسلام على روح الشيخ محمد الخزرجي وعلى من طاف بروحانيته وبسرّه، إلى آباءه، إلى أصحاب رسول الله

وسلام على الخضر ساقى الخمرة الدنية، وعلى ذي القرنين صاحب القوة العظيمة الجليلة، وعلى ملائكة الله أصحاب الأسرار السرمدية، وعلى الأنبياء المُحلّين بالحلّة السندسية، وعلى كل ولي وولية ونبي وصديقه نجية، وعلى كل نفس وروح تقية، وعلى المهدي والبقية، وعلى عيسى وموسى وإبراهيم، وعلى كل أصحاب المجامع وكل أصحاب المجالس ومن حضر مجلسنا هذا من الروحانية وأصحاب السراقات الربانية.

اللهم رب العالمين اجعلها لك واجعلها بك واجعلها منك واجعلها معك واجعلها إليك ودّلنا عليك ونجّنا رحماك، لبيك وسعديك، بجاه نبيك ومصطفاك.

اللهم أسكّنّا في عيني رسول الله، وأسكّنّا في قلب رسول الله، وأشهدنا جمال رسول الله، حلّنا بحلّاه، نعمنا بسرّه ورضاه، متّعنا يا رب العالمين في الدنيا بأن نلقاه، وفي الموت أن نشهده وأن نراه، وفي الآخرة أن نجاوره وأن نكون جيراناً له صلى عليه الله.

الصلاة والسلام عليك يا من حلّاك الله، يا من زيّتك الله، يا من رقّاك الله، يا من لقّاك الله، يا من اجتباك الله، لتكون حبيبه ومُجتباهه ونبيّه ومصطفاه، أيها العبد التائب الأواه.

السلام على دموعك وعلى خشوعك، وعلى رجوعك وعلى خضوعك لمولائك سبحانه وتعالى، وعلى صبرك وجوعك.

السلام عليك روحاً في الأرواح، وشبهاً في الأشباح، رضيعاً بين يدي أمك، وجنيناً في بطن أمك، وطفلاً في حضن عمك.

والسلام عليك في البادية، والسلام عليك في الأسرار البادية، والسلام عليك في حراء، والسلام عليك يا والد الزهراء، صاحب القبة الخضراء.

السلام عليك يا إمام نجد وتهامة، السلام عليك يا من له الزعامة، السلام عليك يا صاحب العمامة، المظلل بالغمامة، شفيع الخلق في يوم القيامة، الداعي إلى صراط السلامة، من عصيانه وكرهه ندامة.

الصلاة والسلام عليك وعلى والديك وعلى كافليك وعلى قلبك ومُهجتك وعينيك، وبسرّ أسرار ونور أنوار الفاتحة مع الصلوات.

سقوني وقالوا لا تغني ولو سقوا \* جبال حنينٍ ما سقوني لغنتِ

اللهم صلّ على الحبيب

مَنْ هو من أرواحنا قريب

من آخر ما أنشدت هذه الأبيات نختم بها، قلت فيها:

يا من لهم قلبي وفيه تجملوا \*\* وتحملوا في الله حين تحمّلوا

أنتم ضيا عيني وأنتم نورها \*\* غرّ هداةً للعباد وكُمّل

فإذا نطقت فنطق حربي عنكم \*\* وإذا صمت ففيكم أتأمل

صمتي تأمل فيهم ونطقي نيابة عنهم، ما كان أمر ليكون لولاهم بفضل مولاهم، ما كنا ولا عشنا، كان سيدي أبو الحسن الشاذلي يقول: "لو غاب عني رسول الله ساعة من نهار ما عدت نفسي من المسلمين" لذلك، اتبع حشوية الفقهاء العبارة، واتبع العارفون بالله والعارفون من الفقهاء الإشارة، وقد ضاقت العبارة واتسعت الإشارة، فمن لم يفقه متن العبارة ضاع عن الإشارة، ومن فهم متن العبارة وأدرك الإشارة بلغ المنارة، ووصل للاستنارة، وأتاه النبي فزاره فعمّر داره وحفظ زوجته وصغارها، نعم، فنور أنواره وماتن أسرارها ونضج أفكارها.

ولذلك لا أرضى من الذي زرتة إلا أن يزورني، ولا أرضى من الذي أحببته إلا أن يحبني، ولا أرضى أن أكون محباً فلا أكون محبوباً، ولا أرضى أن أخطب فلا أكون مخطوباً، بل إنّ الذي خَطب خَطب قبل أن يُخطب، لذلك قال ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾، ولو لم يحبهم ما أحبّوه، ولو لم يعرفهم ما عرفوه.

الدرس بتاريخ: 2025-03-07





## نفحات رمضانية: النصر في معاني سورة العصر

رحلة معنوية ماثعة في خواص سورة قلّت كلماتها وآياتها وعظمت بيناتها

### مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي الهادي الأمين، اللهم صلّ وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

أحبابنا الكرام، في رمضان الخير رمضان البركة إفطاراً شهياً لمن ينتظرون الأذان، وصياماً مقبولاً لمن بلغ ميقات إفطارهم. والحمد لله رب العالمين على نور وبركة هذا الشهر المبارك، شهر الخيرات والبركات، شهر النفحات، شهر العطاءات ورفع البليات وكشف الكربات، وكذلك شهر الإمتحان يمتحن الله فيه من عباده من يشاء ويصيب بفتنته من يشاء ويبلو بحكمته من يشاء ويجعل من نعمته أو نعمته على من يشاء. فالحمد لله على صبر الصابرين وعلى صيام الصائمين وصلاة المصلين وقيام القائمين وأواب المخبتين واستغفار المذنبين، فكل ذلك محض فضله. الحمد لله الذي بسط الستار ورفع **الحجاب**، ودُعي **فأجاب**، ونودي **فاستجاب**، وأنزل على عبده محكم **الكتاب**، بشر به **بعظيم الثواب**، وأنذر به **بشديد العذاب**، ووعد أحبابه بالجنة يدخلون عليها من كل **باب**، وتوعد أعداءه بقوي **العقاب**. اللهم

صلّى على حبيبنا محمد عدد السحاب وقطر السحاب، وعدد ما هديت إلى التقى والصواب، وعدد غير ذلك وفوق ذلك يا رب العالمين.

اليوم يوم جديد من رمضان، وكنا عبرنا بليلة بدرية ليلة من ليالي الله ويوم من أيامه، ذكرى بدر وما أدراك ما بدر، وذكرى الأيام التي خلّدتها الأيام والأعوام التي لم تسر عليها سنة الأعوام فلم تتسّته، لم يخبُ بريقها ولم ينطفئ أوارها ولم تُحجب أنوارها إلا على من حُجب أصلاً. هذه الأيام المباركة من رمضان على ما نرى فيه من عجيب رخاء وعجيب بلاء، من عظيم امتنان وعظيم إمتحان، فالأمة بين ممتحن ومنعم، بين من هو يمضي في نعيم الرخاء ومن يقضي في شديد البلاء، بين صبور وشكور، وكذا قدر الله مقادير الأمور.

### ﴿وَالْعَصْرِ﴾

الله سبحانه وتعالى خلق هذا العالم ليمتحن به سكان العالم بما يرون وما لا يرون، بما يبصرون وما لا يبصرون، فقال في محكم تنزيهه وعظيم تأويله ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

العصر مع واو القسم، واو القسم التي يقسم الله بها بما شاء ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ ﴿وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾، يقسم بذاته ﴿فَوَرَبِّكَ﴾، أو يقسم بعمر النبي ﴿لَعَمْرُكَ﴾، أو يقسم بما شاء من خلقه ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾. وهذه الأقسام كلها دليل على عظيم ما خلق الله وأودع في هذه الكائنات حتى أقسم بها، وما أودع في هذه الموجودات ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ وغير ذلك كثير.

والعصر فيه إشارة لميقات صلاة عظيمة من الصلوات التي فرضت على الإنسان، قال بعضهم أنها الصلاة الوسطى ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾، وقال آخرون أنّ العصر باب استجابة دعاء، وما ذكر عن حضرة المصطفى أنه كان يدعو بين الظهر والعصر، ولكل ميقات سرّ وله نفعة.

والعصر كذلك: الزمن، ما يكون فيه من شأن الناس الذين هم فيه، فهو الزمن الميقاتي المباشر لكل قوم من أقوام الدنيا، فكلّ لهم عصرهم كما نحن لنا عصرنا، فهذا العصر الذي نحن فيه هو فرصتنا الزمنية،

وهذا من معاني المعاصرة. ولكل قوم ممن سبق عصرهم وأمرهم وحالهم وامتحانهم وشأنهم عند الله، وكل عصر يمضي ويأتي الذي يليه، وكله سوف يمضي حتى يأتي الله بأمره.

وفي العصر عصرٌ (من عَصَرَ يَعِصِرُ) وليس فقط من (عاصَرَ يُعاصِرُ) أو من (أعصر يعصر)، ومنه صلاة العصر ومنه ميقات العصر. فلعل في ذلك إشارة إلى إمتحان الدنيا كما يُعصر الزيت، أنّ الإنسان في هذه الحياة يُمتحن ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾: هذا الكائن الذي خلقه الله والذي شرفه الله وابتلاه، ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ والإنسان حمل الأمانة وكان ظلوماً جهولاً، والإنسان خُلِقَ عجولاً، والإنسان خُلِقَ من ضعف خُلِقَ ضعيفاً والإنسان يُغَرَّ ويغترّ بربه الكريم ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾

والإنسان فوق ذلك مبني على النسيان ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾

والإنسان يتأنسن أي يعيش مع بعضه، يحب التقارب ويحب التعايش ويحب التألف ويحب التعارف ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾، وهذا من معاني "الإنس" الذي إذا أقمنا همزته صار أنساً أي ما يأنس ببعضه. فالإنسان من يأنس بنوع جنسه ويخشى الوحشة والوحدة غالباً، وهذا معنى التأنسن ومعاني الإنسانية. ومن معاني الإنسانية كذلك: اللطائف القلبية والأخلاقية والقيمية التي تسمو بالخُلُق الإنساني، فنقول: هذا تصرف إنساني وهذا تصرف غير إنساني.

"إن": التي أتى بها توكيداً، و "إن" هذه لها أسرارها ومقامها في القرآن الكريم ولها سياقاتها التي تأتي تأكيداً وتوكيداً.

"الإنسان": هذا الكائن الذي يمتاز بتكليف يختص به، بتركيبة خصه الله بها من جسد وجسم وبدن وهيكل طاقي ومن سرّ روحي ووجود روح ولطائف روحانية وأنفس مختلفة تتصارع فيه: أمارة بسوء

ولوامة عن سوء وكاملة مطمئنة لا تأتي بسوء ولا تصدر عن سوء ولا تمضي إلى سوء ولا يكون منها ما يسوء، وكذلك نفس ذات وقلب وبصر وسمع وإدراك وحس ووعي وشعور وعقل ومنطق، وكذلك لب وفؤاد ولغة ولسان ولون وشكل وطبيعة وزمان وبصمة وصوت يختص به وخلية وأجهزة وما أودع الله فيه.

هذا الإنسان بكل هذه المكونات، هذا الذي له سالفة عهد مع الله وسابق وعد معه ﴿الْأَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ **قَالُوا بَلَىٰ**، وهذا الذي فيه من سبقت له من ربه الحسنى وفيه من حقت عليه كلمة العذاب.

وهذا الإنسان الذي يسمع ويرى ويبصر، والذي قد يُبتلى بنقص كل ذلك

هذا الذي يبني ويبدع ويكتب ويفكر ويحلم وينام ويصحو ويغفل وينتبه، منه من يتعظ ومنه من يمتعض، منه من يقبل ومنه من يرفض، منه من يؤمن ومنه من يكفر، منه من يصبر ومنه من لا يصبر، منه عبد شكور ومنه عبد كفور، منه حامد زاهد ومنه ناظر شاهد، ومنه مقاتل في الحق على الحق مجاهد (وأعظم ذلك أن يجاهد نفسه)، ومنه كذلك طاغٍ وباغٍ غير صاغٍ أو داعٍ وراعٍ وواعٍ بأمر وساعٍ لخير

هذا الإنسان الحضارة والثقافة والعلوم والإبداع، الذي له مشهد في الأدب والشعر، في العلم والفكر، في الآلة والصناعة والاقتصاد والتطوير والموسيقى وشتى ضروب ما يُنتج هذا الإنسان

هذا الباقي الفاني والفاني الباقي، العابر لمراحل وجودية: من روح إلى نطفة وسلالة ماء مهين إلى أصل من الطين، إلى رضيع لا يعلم شيئاً ثم يحبو ويسعى، إلى طفولة وصبا وشباب، إلى كهولة وإلى كبر وهرم وعجز ونسيان، إلى من يبلغ أرذل العمر فلا يعلم من بعد علم شيئاً

الإنسان الذي فيه العالم والجاهل، المحب والمبغض، الصادق والمنافق، الإنسان الذي تفعل فيه الكلمات والعواطف والمشاعر، الذي يتأنسن ويبنى يكون الأسر يُنجب الأبناء، ثم يفضي إلى ربه ويترك جسده في الدنيا في ترابها ويمضي في مآبها، والإنسان الذي ينتظر في براخ عليين أو سجين ثم يُبعث عند ربه بعد حين

كل هذا ليس سوى الإنسان، الإنسان الذي أقام له الله معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله، والذي جعل الله عليه شياطين يغوونه ويؤزونه ويفتنونه ويُنسونه، وجعل له رزقاً وأجلاً وفعلاً وعملاً وحلماً وأملاً يعلو أو يهوي.

والإنسان الذي اجتبى الله منه الأنبياء، وجعل منه الأولياء، وكتب نصيباً منه أن يكون من الأشقياء، فامتحن هؤلاء بهؤلاء، وابتلى هؤلاء بهؤلاء، ويؤتى به يوم القيامة فيشهد سيدهم على هؤلاء وهؤلاء.

هذه كلها بعض ملامسات لمعنى هذا الإنسان والأمر يتجاوز ذلك إلى تفسيرات أخرى: في علم الاجتماع نظر، وفي العرفان نظر، وفي الشريعة نظر، وفي التنزيل والتأويل نظر، وفيما يكون من حاله مع الحلال والحرام والمباح والمكروه والمندوب نظر، وفي حاله فيما يكون من أمره ثقافة وحضارة وأمناً وسلاماً أو حرباً نظر، وفي أن يكون من أم وأب، وأن ينال من رطب وقمح وأب، وأن يُطعم ويُسقى ويُمنح ويُمدّ، ما بين أخذ وردّ، وقبول وصدّ، فبعض إمداد بعناية وبعض إمداد بغواية.

والإنسان الذي خلقه الله كما خلق من قبل، والذي هو بشر من أبشر سابقين له، من حضارات كانت قبل آدم الطين أفناها ربنا القوي المتين.

وهذا الإنسان المحدود في جوانب، والذي لا حدّ لطموحه وما أودع فيه من قدرات في جوانب

هذا الإنسان الذي قد يصارع الأمراض وقد يصارع الأعراض، وقد يمضي بما في الأرض للانقراض، يفسد في الأرض والجو والبحر، ومنه ما يُصلح ومن يُصلح في الأرض والجو والبحر.

إنسان وأمم وحضارات وشعوب وقبائل وعوائل، لغات وألسنة، ألوان وألبسة، مدن ومنازل، وصاعد ونازل، هذا الإنسان السالك بين ناجٍ وهالك.

هكذا هو الإنسان، هكذا أراد الله له وهكذا خلقه.

﴿لَيْفِي خُسْرٍ﴾

فلذلك، يُقسم الله بالعصر، وعنوان درسنا "النصر في معاني سورة العصر"، يُقسم الله قائلاً ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾، الخسران والخسارة والخُسْر:

- فأما الخسارة التي تكون مرة، كخسارة في تجارة
- وأما الخسران فهي الخسارة التي لا ربح بعدها، الخسران المبين
- وأما الخُسْر فهي خسارة مستمرة تسعى يوماً بيوم، تناقص ونقصان مستمر

هذه الحقيقة التي يبينها الله مقسماً بالعصر أنّ الإنسان في خُسْر، لأنّ الحقيقة أنّ يوم ميلاده هو يوم عقد يوم وفاته، فهو مُقام بين دقّتي كتاب وضفّتي ظهور وغياب، وحضور وإياب

"ولدتك أمك يا ابن آدم باكياً \*\* والناس حولك يضحكون سروراً"

فاعمل ليوم تكون فيه إذا بكوا \*\* في يوم موتك ضاحكاً سروراً"

كل وجود هذا الإنسان يومان: يوم يموت فيه بالولادة ويوم يولد فيه بالموت، وما بين اليومين قليل.

فهذا الإنسان أيها الأحباب هذا حاله وهذا مقاله وهذا مآله، وهذا وضعه الذي أودع فيه وكان فيه.

ما الخسر إذا؟ إنه حال عام مُقام بين "إنّ" و "إلّا"، "إنّ" التقريرية التوكيدية الإقرارية التي فيها حقيقة ثابتة وشجرة حق نابذة، وبين "إلّا" الاستثناء التي فيها استثناء من ذلك التوكيد وباب يُفتح ضمن باب وصيد.

الإنسان في خسر، من أول لحظة يسعى إلى آخر لحظة، لا يعلم متى يقف عدّاد الأعوام وتعداد الليالي والأيام، يسعى هذا الإنسان بين امتحانات تكون له وعليه منذ أن يكون في ظلمات ثلاث، إلى أن يكون ضعيفاً محتاجاً لوالديه، إلى أن يرجع ضعيفاً محتاجاً لولده وأحفاده ومن يعينه أو يعيله

وهذا الإنسان في خُسْر، كل يوم يمضي ورقة تسقط من شجرة العمر

وهذا الإنسان في خُسْر لأنه مُكره على نفس تأمره بسوء، مذنب، آتٍ لسوء، ينسى ويجهل ويغفل

هذا الإنسان في خُسْر لأنّ الدنيا تلهيه عن ربه وتحجبه عن خالقه، وتناى به شهوات جسمه ونفسه عن سرّ روحه

في خُسْر لأنّ نزوله وسقوطه في هذا العالم الفاني خُسْر بدوره، فقد كان روحاً مطلقاً

وهو بهذه المعاني، كل وجوده الدنيوي خُسْر في خُسْر، إن كان في يُسر أو كان في عُسْر

هذا الإنسان سيُمْتحن ويُفتن ويُزلزل ويُبتلى، وقد يَمْتحن وَيُفتن وَيُزلزل وَيُبتلى، ممتحن من ربه ممتحن لغيره

وهذا الإنسان سوف يُسقى من خمرة الدنيا التي تقنعه أنها لا تزول وأن أيامها لا تحول وأنّ عهدا قائم  
ويطول

وهذا الإنسان يسعى به شيطانه وينأى به إيمانه وينقص عنه إحسانه

وهذا الإنسان قد يكون بعينين ويعمى

وهذا الإنسان قد ينال مما ينال من عطاءات الدنيا فتحرمه تلك العطاءات من عطاءات الآخرة

كل هذا سياق عام للإنسان عموماً، جهول ضعيف يُغَرِّبُ بربه الكريم، ناسٍ متناسٍ، مستكبر قاسٍ

وهذا الإنسان في شهوانياته الظلماوية أو في حالاته الروحانية ينازع الخُسر، فلطالما استعصت عليه  
مفاتيح الروح، ولطالما أوصد دونه باب نجوى القدوس السَّبَّوح، ولطالما رأى ما رأى ونسى ما رأى،  
ولطالما كان هذا الإنسان في هذه الدنيا مياساً بها متباهياً بها، رُزِنَ له منها ما رُزِنَ، وزِنَ له الشيطان فيها  
ما زِنَ، تلوّن وتكوّن وسعى، جهل أو وعى، هكذا هو الإنسان.

ولو مضينا في هذا الخُسر لأطلنا الكلام وطال بنا الكلام..

ولو نظرنا في آيات القرآن التي تبين هذا الخسر، فتبين ما كان من خسران فرعون وكيف كان طاغياً، وما  
كان من خسران قارون وكيف كان باغياً، وما كان من خسران قوم لوط وقوم شعيب وصالح وقوم هود  
وفجرة اليهود ومن كانوا قبل ذلك وبعده، ومن عدّبوا أصحاب الأخدود، ومن عليهم في كل مرحلة وعصر  
ملائكة شهود، وكانّ الخُسر متّصل بالعصر إذ كل عصر فيه من يطغى، ولا ينأى عصر أو ينأى زمان أو تنأى  
أمة إلا أن يصيبها العذاب وإلا أن تطغى ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ ﴿وَتِلْكَ الْأَمْمَاتُ لِمَا  
ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾

وهكذا الأمم **وآجالها**، وهكذا الأيام **ومجالها**، وهكذا الأعمار والمواقيت والأقذار **ومجالها**، وهكذا أبناء  
الدنيا نساؤها **ورجالها**، كذا حالها وكذا فعالها وكذا ما ينبئ **مقالها**.

الدنيا فتنت كثيرين وتفتن كثيرين، والإنسان في خُسر، يسعد بكل ساعة يضيعها لا يعبد فيها ربه ولا يذكر  
فيها مولاه ولا يسجد فيها لله، وشياطينه **قوية**، ونفسه **شقية**، وطبعاها **عصية**، شحيحة عليه وليست  
**بسخية**، يخسر من أيامه ويخسر من أعوامه.

ولطالما كانت الدنيا دار فتن ودار محن، فكما طغى فرعون في الأولين يطغى فرعون في الآخرين، وكما ابتلى الله من قبل المؤمنين يبتلى الله اليوم وغداً المؤمنين، يبلوهم بالخير والشر فتنة.

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ لو أن الآية والسورة وقفت هنا (أو أوقفها الله سبحانه وتعالى)، في سر سورة التين والزيتون أن الإنسان خلق في أحسن تقويم ثم رده الله أسفل سافلين، أو أن الشعراء يتبعهم الغاؤون، لكان المقام للجميع في هذا. ولكن الله استثنى، فكان الاستثناء في الشعراء وفي التين وفي العصر بالإيمان وبعمل الصالحات ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، الذين آمنوا مُستثنون من هذه الخسارة، وهذا مقام عظيم وعلم قديم.

الذين آمنوا بالله سبحانه وتعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾،  
الذين آمنوا بعلام الغيوب

الذين ﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾

الذين يعملون الصالحات ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ﴾، والذين يسعون في الخيرات ويسارعون في الخيرات ﴿أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾

الذين منهم من يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً، ومنهم من يبيتون لربهم سجداً وقياماً، ومنهم من يقولون ﴿رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾

والذين منهم من ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾

والذين منهم من ﴿تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾

والذين ﴿تَلِينَ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾

والذين أيدوا وآمنوا بالحبيب رسول الله، والذين أتوه فسألوه عنه فإذا هو قريب، والذين استجابوا لله ولرسوله وقد دعاهم لما يحييهم

والذين هم مخبتون وذاكرون ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الذين يؤمنون بالغيب ويؤتون الزكاة ويطيرون الصلاة والذين هم سجد ركوع يدعون ربهم رغباً ورهباً

والذين ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾

والذين يستبحون الله تسبيحاً كثيراً ويذكرونه بكرةً وأصيلاً ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾

والذين منهم من يخشون الله وهم العلماء، والذين يستنبطونه، والذين يعلمون بتأويله ويعلمون متشابهه وغير ذلك كثير..

الذين آمنوا والذين استقر الإيمان في قلوبهم.

"إلا": هذه لها علم مفرد بها، كنت دوّنت فيها كتاباً اسمه "كتاب إلا" وشرحت فيه كل آية ذكر الله فيها "إلا" التي استثنى بها. وكان مجمل ما قلت في هذا أنّ:

"إلا" باب صغير مفتوح في باب كبير مغلق، إلا في قولنا "لا إله إلا الله"

كقولنا:

- إنّ الإنسان لفي خُسر: باب كبير مغلق قام عنه وعنده وفيه أغلب الناس.
- الإنسان خُلِق في أحسن تقويم ورُدّ أسفل سافلين: باب كبير مغلق فيه يقيم أكثر الناس.
- وكل من قال كلمة الكفر كافر: باب كبير أودع فيه أكثر الناس ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.
- الشعراء جميعاً يتبعهم الغاؤون..

هكذا قبل "إلا"، فهو باب كبير مغلق فيه باب صغير مفتوح:

- في خسر إلا الذين آمنوا

- من أحسن تقويم إلى أسفل سافلين إلا الذين آمنوا
- والشعراء يتبعهم الغاوون إلا الذين آمنوا وانتصروا من بعدما ظلموا
- وكل من قال كلمة الكفر كافر ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ إلا من اضطر غير معتد ولا باغ.

﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ﴾ هذا معنى آخر: \*إن لا\* أصلها.

كل هذا باب كبير مغلق فيه باب صغير مفتوح، باب توكيد عام وباب تخصيص وتنصيص واستثناء

إلا في قولنا "لا إله إلا الله"، ف "لا إله" باب صغير مغلق، لأن كل ما عدَّ إلهاً دون الله مقامه ذلك الباب الصغير الحقيق الذي يُمتحن به كل من غرّه بالله الغرور، أما "إلا الله" فهذا الاستثناء تعالى ربه أن يكون باباً صغيراً فهو الباب الأعظم، وهذا نفي وإثبات نفي سوى الله ونثبت لله ما هو لله

"فيا عجباً كيف يُعصى الإله \*\* أو كيف يجحده الجاحد

وفي كل شيء له آية \*\* تدلّ على أنه واحد"

أو كما قلتُ:

"الله في الخلق سرٌّ جلّ معناه \*\* فانظر بروحك تُبصر كيف جلّاه

في كل شيء براه الله مقتدرًا \*\* صوتٌ يقول: أنا قد صاغني الله"

"لا إله إلا الله" هي النفي والإثبات، و "لا إله إلا هو" إثبات الذات للذات، و "لا إله إلا أنت" إثبات نظر إلى الذات.

ف "لا إله إلا الله": تأمل الناس والخلق في الوجود ليثبت لهم الوجود أن لا موجد للوجود غير موجد الوجود، الحي الحق الواحد المعبود. وهذا يقوم في مقام العوالم التي يكون فيها من يعبد فيها غير الله، وإن كانت تُرفع إلى مقامات أعلى من ذلك، فلا شعار في الملكوت إلا ب "لا إله إلا الله"، لأن الله أقام هذا الأمر على حكمة له ومنه وفيه، وأبدى ما أبدى منه من امتحان بعض خلق بأن إلهاً غير الله، ولا إله سوى الله ولا خالق غير الله على حقيقة المراد من الله وعلى حقيقة مراد الله سبحانه وتعالى.

و "لا إله إلا هو": شهادة حق لحق كان أول الشاهدين بها ربنا سبحانه ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾

وكذلك "لا إله إلا أنت": شهادة مشاهدة وكشف حجابات، قامت في ظلمات من ظلمات من ظلمات، ظلمات البحر والليل وبطن الحوت وظلمة الذنوب والوحشة في حال سيدنا يونس، فتجلى عليه الجمال فقال "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، لا إله إلا أنت سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي"، قال ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾.

وهذا يُستجرب به ويُستحب ذكره 77 مرة أو 19 مرة "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، لا إله إلا أنت سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي"، لأنك تستجمع وتستحضر مشهد سيدنا يونس، ولا يخلو أحد من الناس من ظلام ليل وظلام بحر الدنيا وظلام ليلها وويلها، وظلام النفس وحجباتها وشهواتها وإفسادها وغوايتها وطغيانها وبغيها، وظلام نزغ الشياطين، وظلام حسد الحاسدين، وظلام لعنة الملائعين، وظلام جور الجائرين وطغيان الطاغين وبغي الباغين، وظلام المفسدين والحاquدين، وظلام الإنس والجن أجمعين، فننادي دائماً "لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين".

وأما "لا إله إلا هو" فيحسن الذكر بها، لأنه هو الذي شهد لذاته بذاته على عظيم ذاته، ثم أشهد أقرب مخلوقاته، ثم أفرد ذلك لأهل العلم من كائناته ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، عَزَّ فَحَكَّم، وأحاط بما ظلم.

فالإنسان في خسر وخسارة تستمر يوماً بيوم، كل لحظة من أيامه خسارة. ويكون مآل من خسر: الخسران وحبط الأعمال والنسيان ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ ﴿نَسَاكُمْ كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ ﴿أَخْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ ﴿عِلْمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ ۗ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾.

الإنسان في خسر ب "إن" التقريرية، التي قد تمتد بسرّها وفخرها إلى ﴿إِنَّا نَحْنُ الذُّكْرُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، وقد تمتد إلى إقرار أمور أعظم ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۗ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى﴾ ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ﴾ ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ وغير ذلك كثير..

و "إلا" التي ذكرنا بعض أوجهها في القرآن، فكل إنسان في خسر إلا المؤمنين، والإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل، والإيمان ما يكون بعد الإسلام وما يكون بالشروط التي جعلها الله فيه: إيماناً بالله وكتبه ورسله وبالغيب والقضاء والقدر والجنة والنار، ثم الإيمان العملي بعد الإيمان القولي، وإلا يكون مقامه كمقام المنافقين الذين كفروا من بعد إيمانهم، وكالذين يعبدون الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة. أن يكون الإيمان طريقاً للإحسان بالتركية ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾، أن يكون الإيمان ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾.

أن يكون الإيمان تسليماً لله ووقوفاً بين يدي رسول الله، وأن لا يمر الإيمان مباشرة إلى الله دون نبيّه ودون رسوله، فمن مضى بذلك إلى ذلك فقد خاب سعيه كذلك، لأنّ المؤمن الحق مُلزم بالأدب، فالإيمان آداب، والإيمان أدب في الدخول على ملك الملوك ضمن سرّ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾، أي أنّ المؤمن الحق والذي صدّق بالحق سيمضي إلى نبي الحق ورسول الحق الذي أرسله الله بحق وبمطلق الحق، هكذا ﴿بِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَهُ﴾. فهذا مقام "وإذا سألك عبادي عني"، مقام الذين يسألون رسول الله في حال وجود جسمه أو في حال وجود روحه وسرّه ووسمه، وفي حال مجالي اسمه، مجالي الحمد وراية الحمد ولواء الحمد وسرّ الحمد في لواء المحامد وعلى لسان كل حامد.

"وإذا سألك" أنت، وخصّوك أنت بالسؤال، وأتوا إليك ﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾ ﴿فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ اتبعناه وأحببناه وأحبنا ربنا، هذا رحمة الله للعالمين.

"إذا سألك عبادي" الذين بلغوا مرتبة العباد وتجاوزوا مرتبة العبيد ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾، الذين أقامهم الله سبحانه وتعالى فقامت لهم العبودية وقاموا بالعبودية، حتى كان أعلى مقام النبي أن أسرى الله بـ "عبده" (ولم يقل بنبيه أو برسوله)، والذي يشارك فيه الملائكة ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾. فيقاموا في باب الرحمن (باب اسم الذات الذي يتعلق بالذات والذي لا يستوجب وجود المخلوقات والمرحومين كما هو حال اسم الله الرحيم) فأقيموا بهذا السرّ ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾، ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ بالتملّي في وجه رسول الله فهو الذي يريده وجه الله.

"إذا سألك عبادي عني فإني قريب" حينها يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ هو الذي يجيب ويستجيب ولكن من باب الحبيب "ألا وإنّ الله معطي وأنا قاسم". وضمن باب الحبيب باب آل البيت الذين هم باب إليه صلى الله عليه وسلّم ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ "أهل بيتي سفينة النجاة".

ومن باب ذلك أبواب الصالحين والنبیین وخلق الله المجتبيين والشهداء والصدّيقين، وأبواب الخير والإنكسار والذل بين يدي الله، والمآب والمتاب والدعاء المستجاب، والحكمة وفصل الخطاب.

- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾
- ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾

هذان بابان

فباب الإيمان هو باب أن تأتي رسول الله، أن نقصد رسول الله، الإيمان مشروط بهذا، ولا يصلح إيماننا بالله دون إيماننا برسول الله، ولم تقم "لا إله إلا الله" دون أن يكون معها "محمد رسول الله"، من قبل القبل وبعد البعد. ولا يقام إيمان بالحبیب صلى الله عليه وسلّم دون حب آل بيته الذي لا يخلو منه مسلم ومؤمن أبداً. ولا يُبلغ مقام إحسان إلا بنبي الإحسان، ولا يمكن أن يكون شأن لذي شأن إلا بعظيم الشأن صلى الله عليه وسلّم، ولا يقوم جاه لذي جاه إلا بعظيم الجاه صلى الله عليه وعلى آله وسلّم، ولا يقوم فضل لذي فضل إلا بصاحب الفضل صلى الله عليه وعلى آله وسلّم، ولا يُفتح باب لصاحب وسائل وطارق باب إلا بباب كل باب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم، ولا يُطرق باب النبي إلا بالمولى علي وبآل بيت النبي "أنا مدينة العلم وعلي بابها". وهكذا مراتب وعوالم في الإيمان.

والإيمان بالله أن يؤمن بالله على وجه مراد الله وحقيقة وجود الله وحقيقة ذات الله ومجلى صفات الله وبالتوسل بأسماء الله وأهل القربى لله ﴿بَتَّغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾. أن يكون الإيمان بالله تحت بند "تعالى ربنا عن زمان يطويه، ومكان يحويه، وشيء من خلقه يحلّ فيه، وعن نظير أو شريك أو شبيهه"، تعالى عن مشابهة المحسوسات، ومجانسة الموجودات، وأن تحلّ ذاته في أي ذات، تعالى سمعاً وبصراً، له الحمد وله الفضل وله الملك، أقرب من كل أقرب، جهلت ذاته ولم تُعرف، وتجلّت صفاته ليُعرف، فلا يدرك ذاته فهم ولا يصل إليها وهم، تعالى عن إدراك الأفهام أو إحاطة الأوهام، وكل ما خطر ببالك فالله غير ذلك.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ لفي بلية، ونحن الآن نجلس في هذا المجلس كم من إنسان في خسر: كم من باغ ومفسد وقاتل ومجرم؟ وكم من إنسان في وجهه من وجوه الخسر بلاء وتقتيل وتشريد؟! ولكن الله أقام الربح والفوز والفلاح في الإيمان، فقال ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، ما وقر في قلوبهم وثبت في أعمالهم وتجلّى في

مقالهم ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾  
 ﴿وَإِذَا خَاطَبْتَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ ﴿قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ يسجدون ويركعون، وهم هكذا  
 إلى ربهم يهرعون، ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ يفرون إلى مولاهم ويلوذون بمصطفاهم ومجتباهم.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

ويضيف الله في سرّ سورة العصر، وما أدراك ما سرّ صلاة العصر، وما أدراك ما بلايات العصر، وما فيها  
 من الشدّة والعصر، حتى يُعصر المؤمن عصرًا، ويواجهه وقتًا ومقتًا وعصرًا ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ  
 وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالصَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا  
 مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ﴾ ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ  
 الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿  
 الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾  
 وهكذا..

أضاف الله بابين، وهذان البابان قائمان ليثبت للإنسان الانتصار في مطلق ما كان لغيره من هزيمة، وليثبت  
 له الربح والغنيمة وعلو القيمة، فيما يكون لغيره من عموم البشر من خسر ومن أحوال عديمة وعقيمة،  
 أنه يتوصى. وهذا التواصي وصية تُذكر دائماً، موعظة حسنة ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ  
 الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ ﴿آتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ  
 الْخِطَابِ﴾ ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ -مِّنْ أَنفُسِهِمْ- يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ  
 وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ دعاكم واجتباكم للإيمان.

هؤلاء الذين نور الله بصائرهم فتواصوا، بماذا تواصوا؟ بأمرين عسرين صعبين، ليس فقط في التواصي  
 بهما بل في العمل بهما، وكأنّ هذا المؤمن الذي برّاه الله ونجّاه واستثناه من الخسر، مُطالب بعمل ينجو  
 به من الخسر ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

﴿بِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ ﴿حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾ ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ مقام كامل للحق! أساس من أسس الملكوت: الحق!

فالله هو الحق ودينه الحق ونبيه الحق، والساعة حق والموت علينا حق، وكذلك حق أن نُبعث، والحق مرسل بمهمة ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَرَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ شهب الحق المرسل من عند الله.

الحق صعب، قوله صعب، الثبات عليه صعب، قال الإمام علي "أيها الحق لم تذر لي صاحباً".

و "عندما يصمت أهل الحق، يعتقد أهل الباطل أنهم على حق"

و "ليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأصابه"

وبين الحق والباطل معارك، أعظمها أن يتقمص الباطل الحق وأن ينسب الحق إلى الباطل، أن يلتحف المدنس بالمقدس وأن ينسب الدنس للمقدس. وكذا حق على قوم أن يصبروا بحق، وحقّت كلمة ربك، ﴿بِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

تواصوا بالحق، والوقوف مع الحق، ومعرفة الحق، لأن معرفة الحق صعبة بحق، والثبات على الحق أصعب من معرفة الحق، أن نعرف الحق حقاً ونُرزق اتّباعه وأن نعرف الباطل باطلاً ونُرزق اجتنابه، فكم من عارف للحق لم يُرزق اتّباعه، وكم من عارف للباطل لم يُرزق اجتنابه، وكم ظن أن أمراً هو حق فإذا هو باطل ﴿وَرَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانَ أَعْمَالَهُمْ﴾ ﴿وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ ﴿أَفَمَنْ رُئِيَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾. وكم من حق يجاور حقاً فلا يرى صاحب الحق أن ذلك الحق حق، كما لم ير موسى -وهو على حق- أحقية ما فعل الخضر وهو بفعل الحق أحق، وهكذا..

ورسولنا محمد نبي الحق، نطق بالحق ونصح للحق، وآمن بالله الواحد الحق، والله ربنا هو الحق. فإذا أكثرنا ذكر اسم الله الحق 70 مرة، وإذا أتينا بآيات ذكر فيها الحق -وهذا سننشره بينكم اسمه "وظيفة الحق"- تُرزق معرفة الحق بعون الله، وتُرزق فهم الحقائق التي تنجب عن سواك في دخان الأيام وفيما يكون فيها من ظلام وقيام.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾: ﴿مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾، وآخر أسماء الله الصبور، ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نُّعَمُّ الْعَبْدَ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾. دعاء الله للصبر وبالصبر وتبشيره للصابرين لأنّ الدنيا دار إمتحان، يُبتلى فيها الحق بالباطل ويُبتلى فيها الإنسان بالإنسان وبالشیطان وبمحن الزمان وبسريان الحدثان، بالحياة والموت وما بعد الموت.

فجعل الله سبحانه وتعالى في قَسَمِ العصر وأنّ الإنسان في خسر، استثناءً لأهل الإيمان الذين تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر.

### نحن في زمن العصر

سورة قلّت كلماتها وعظمت آياتها، سورة تستحق أن نفث عندها، والأمة اليوم تعاني ما تعاني والإنسانية تتجرع ما تتجرع، وقد أحيط بها وأريد بها شرّاً، وقد ظهر الفساد في البر والبحر جهراً وسراً، وقد ذاق المؤمنون فيها علقماً ومراً، وقد أمضى الله أمره عسراً ويسراً وأمضاه أمراً فأمرّاً، هكذا نحن اليوم.

أيها الأحباب أيها المؤمنون يا عشاق الحبيب صلى الله عليه وسلّم، بلى نحن اليوم في إمتحان، وبلى إنّ الإنسانية كلها بحضارتها وتطوّرها اليوم في هذا العصر لفي خسر، وإنّ الذين يحاربون ويخططون ويقتلون ويُفسدون ويسفكون ويستكبرون ويعصون رب العالمين، لفي خسر وخسران مبین، وإنها لسوء التجارة وأعظم الخسارة. وإنما هي أيام معدودات وأعوام مرقومات ويأتي الله بأمره على ما أراد، إعجازاً لخلقه وإظهاراً لأمره وتحقيقاً لوعده ونصراً للمؤمنين الذين يرثون الأرض وما عليها، وإنها لبشرى للصالحين، أمر يتمّه الله ولو بعد حين.

فبسرّ هذا العصر، وبسرّ ما فيه، وبسرّ سورة العصر وما تبديه وما تخفيه، وبسرّ النبي الذي ما زال ربنا لكل مكرمة يجتبيه ويصطفيه، وبسرّ ما نطق من فيه، وبسرّ البيت ومن فيه، وبسرّ الأمر الذي يقرّ به كل ملك ولا ينفيه، بكل سرّ من الله سبحانه وتعالى، نحن في زمن العصر وفي شدة عصر العصر، يُعصر المؤمنون عصرّاً، ويلقون فيه ما يلقون فيه، كل الإنسانية في خسر إلا الذين آمنوا ولو بدا أنهم فعلاً خاسرون. لقد قُتل ابن فاطمة الزهراء ولم يخسر، وقتله قاتلوه وفي الحرب ربحوه ولم ينتصروا، ويقتل القاتلون اليوم

وهم غير منتصرين، ويُقتل المقتولون اليوم وهم غير مغلوبين، إنما يمتحنهم الله، فمن لقي ربه فقد فاز، ومن نُعم بالشهادة فقد اجتاز.

ودون ذلك إذا أمرناها إلى غير ذلك من الأحوال، فالمؤمن مهما خسر هو في ربح وضمانة بعون الله، فكل يوم يمضيه في عبادة مولاه والتسبيح له: نصر لا خسر. وكل يوم يمضيه في يسر أو عسر ذاكراً حامداً شاكراً مصلياً داعياً متفكراً ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾، هو في يسر وريح لا في خسر. إن مضت به الأيام والأعوام فكان في قرب إياه وغيابه، هو في نصر وفي تمكين ما دام يسجد لرب العالمين.

- إن كان شاباً جعل طاقته في ذكر ربه وخدمة الناس وبناء الأوطان وثقيف الإنسان
- إن كان حاكماً حكم فأحكم، عدل فلم يظلم، بنى فلم يهدم، فهم ولم يوهم، وقام حيث يفهم، فإنه كذلك في نصر
- وإذا كان محكوماً من الرعية ورعى ولم يخرب بلاده، ولم يظهر عناده، ولم ينشر ما أبدى الشيطان إذ نشر في الأرض فساده، أعطاه الله فزاده ﴿الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ ﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ يزدادون ويزدادون ويزدادون خيراً، وإذا أفضى إلى ربه كان منتصراً، تتوفاه الملائكة مع الطيبين، يُنادى في محفل الوفادة على حسن العبادة ومعنى الإشادة وخير استفادة، يُنادى على معين عين الشهادة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ﴾، فيسعى في عباده ويسعى إلى جنته، ويرجع ويدخل في العباد والجنة، يُهدى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم، فيقوم قيامة الحق، ويوفى صبره بغير حساب ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

## خاتمة

هكذا تكون معاني هذه السورة على هذه الصورة، وهكذا الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن هدياً لعباده وإرشاداً لهم، وإمداداً وإسعاداً لهم وإكمالاً لهم، أنزله على خير خلقه على صدر أشرف مخلوقاته، فأنطقه بلسان سيد كائناته، من الروح القدس والروح الأمين إلى طه الأمين، إلى يس وآل يس، إلى صحابة مقربين، وإلى الأولياء والصالحين والشهداء والصدّيقين، وأجرى نوره من قبل على السنة المرسلين والنبیین، من

آدم الطين إلى من هم قبل آدم **الطين**، ومن الأرض إلى أعالي **عليين**، وما فوقها إلى عرش القوي **المتين**، على السنة الجن المؤمنين والجان **المسلمين**، وعلى السنة الملائكة **الرواحين**، وعلى السنة وأسرار الشاهدين **والمستبحين** من خلق الله **﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾**.

هكذا سافرنا مع العصر، وهكذا نظرنا في حقيقة العصر، وهكذا مدرسة آل بيت النبي والمدرسة الخضرية في تفسير القرآن، وإن لي كتابان في هذا:

1- موسوعة اسمها "لآلئ الجنان في معاني القرآن" فيها إفاضة واستفاضة في المعاني الظاهرية والباطنية، حتى أنّ بعض معاني بعض الآيات ليبلغ 70 وجهاً، فيها من اللغة ما هو **فريد**، وفيها من المعنى ما هو **جديد**، وفيها ما **يفيد**، وما منه كل مؤمن بارٌّ برّ **يستفيد**، وفيها أصول، وفيها رجح لأصوات الأولين من **المفسرين**، وفيها من الله زيادة، وفيها لآلئ المعاني التي كانت في صدور آل بيت النبي وأئمتهم وأقطاب أهل الله **فمرّت** من صدر إلى صدر ولم تعبر من سطر إلى سطر.

2- وأما الموسوعة الثانية والتي ما زلنا نعمل عليها فاسمها "المرتقى من تفسير المنتقى"، أي آيات منتقاة أو سور في تفسيرها ما يكون من رسائل ومن وسائل ومن **ردود**، ومن دحض **لحجّة الجحود**، ومن أمور أخرى **تُكشَف** بعون الله في وقتها ولو بعد **عقود**.

فالحمد لله الذي علّمنا وأفهمنا وجعلنا من ذرية سيد خلقه، ومن أبناء ابنة سيد خلقه، ومن أولاد الكرار على الظالمين من خلقه، ومن سبطين نيرين أكرمين، ومن سلالة مطهرة وشجرة مباركة بكلمة مباركة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

والحمد لله الذي علّمنا وأفهمنا وسلّمنا، ورفع حجّتنا فوق ما يدّعي المدّعون، وما ينطق به الظالمون، وما يافك به الأفاقون ويأفق به الأفاقون، وما يبديه أو يُسرّه المنافقون، فبرّاً مدرستنا منهم، فلم نأخذ عنهم، ولم ننظر إليهم، ولم نأسّ عليهم.

والحمد لله الذي نجّانا فنجاناً فنجاناً، فكم ابتلانا ثم أنجانا، والحمد لله الذي له سرّ العصر، فكتب لنا النصر، ولم يجعل أعمالنا في خسر، وثبّتنا في العسر واليسر، والحمد لله على رمضان وعلى أيام رمضان، ابتغوا إلى ذي العرش وسيلة، وابتغوا إليه بالدعاء والإخبارات.

## نستطرق الباب على حضرة رفيع الجناب

ونحن بعون الله نستطرق من هذه المدينة الطيبة من رياض الخير، ومن قبل من مجمع البحرين، ومن قبل ذلك من أرض سيدنا مازن عمان الخير، ومن مصر الكنانة، ومن خضراء إفريقية وسرّها، نستطرق الباب على حضرة المصطفى رفيع الجناب، لنعيد زيارة إليه في ليالٍ عشر، وليكون لنا معه عهد نلقاه يوم الحشر، ولنطوف بالبيت العتيق ونطوف به ونسعى بين الصفا والمروة، وننظر في الآيات البيّنات ومقام إبراهيم، وأن نصلي عند الكعبة الشريفة، وأن نمضي لصاحب السكينة نور المدينة ابن السيدة أمينة، آمنة المؤمنة الطيبة التي فارقتة وهي حزينة، مستبشرة مستيقنة أنه سيد الخلق وأنه إمام الأولين والآخرين.

نطرق الباب على حضرته صلى الله عليه وسلّم بأدب وبذلّ حال وافتقار واعتراف بالتقصير، وبسرّ من عنده، ولفظ من عنده، ونور منه إليه دلّ الله به عليه. ليس كلامنا ولا مقامنا إلا من تحت قدمه الشريفة، التي رُفعت فوق العوالم المنيفة، إلى أعلى عليين وما فوق ذلك

"حفظ الإله كرامة لمحمد \*\* آباءه الأمجاد صوناً لاسمه

تركوا السفاح فلم يصبهم عاره \*\* من آدم وإلى أبيه وأمه"

وكان من مناجاة فجر هذا اليوم، وما كان من قيام ليله، وما كان من استمطار دمه وفيضه وسيله، وما كان من نجيع وجعه وويله، إذ للأشواق أوجاع

"إن كنت لم تذق الغرام فإنني \*\* ثمل بكأس للغرام دهاق

ما كنت أعلم ما الصبابة والبكا \*\* لولا فراق خريدة معناق

ودّعتها والدمع يسكب بيننا \*\* وكذاك كل مودّع مشتاق

شُغلت بتنشيف الدموع يمينها \*\* وشمالها مشغولة بعناقي"

هكذا أنشد الشيخ حسن الفارسي، وهكذا قال من قبل الوليد الكبير الشيخ عبد الرحيم البرعي في قصيدة يناجي فيها رسول الله مستهلّها غزلي.

فكان استئناس بابنا إلى رسول الله ما ننشره بحول الله بينكم وما نُشرف بأن نقرأه عليكم الآن:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة ١٢٨]

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾ [الأحزاب ٤٥-٤٧]

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء ١٠٧]

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال ٢٤]

﴿فَكَيفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء ٤١]

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل ٨٩]

السلام عليك يا رسول الله.

السلام عليك يا حبيب الله.

السلام عليك يا نبي الله.

السلام عليك يا أحب الخلق إلى الله.

السلام عليك وعلى والديك **وكافليك**، وكل منسوب إليه وكل منسوب إليك، على أصولك وفروعك وآل بيتك **الطيبين**، وعلى من تبعك وصدّقك من **المؤمنين**، وعلى عباد الله الصالحين **أجمعين**، وعلى النبيين من قبل **والمرسلين**، وعلى ملائكة القدس **المقرّين**، وعلى كل خلق الله **الطيبين**.

السلام عليك أيها المجتبي **الأمين**، وعلى روحك والروح **الأمين**.

السلام عليك يا باسط اليمين، وعلى السابقين وأصحاب اليمين، وعلى من يؤتى كتابه باليمين، وعلى من عاهد فبّر باليمين.

السلام عليك يا إمام المتقين، وقبلة العاشقين، وعروة أهل اليقين.

السلام عليك يا قائد الغر المحجلين.

السلام عليك في الأولين والآخرين، وفي الملاء الأعلى إلى يوم الدين.

والصلاة عليك في برازخ الماكثين، ومرقوم عليين، صلاةً بعدد الأولين، وتعداد الآخرين، ومَن خلق الله من سلالة الطين، وما خلق من قبل من الآخرين، وعدد ما أبدى ربنا وأخفى وما أحصى كتابه المبين، وما يأتي وما يمضي وما يخفى وما يبين، وما كان وما يكون وما يبصرون وما لا يبصرون وما في ملكوت الله من المخلوقين، وعدد الأقدار والأعمار والمواقيت والسنين، وما أجرى الله من الأمر على مطلق الإرادة والتمكين، وعدد التقدير والتصوير والإنشاء والتكوين، وعدد الإخفاء والإبداء والتعديل والتزيين، وتعداد الأعداد والآماد إلى أبد الآبدين، وعدد اللغات والكلمات والحروف والتدوين.

الصلاة والسلام عليك يا ملاذ الخائفين، وغيث المبتلين، وحنة القوي المتين.

الصلاة والسلام عليك يا من زينك الله وطهرك، وأبداك وأظهرك، وجمّل باطنك ومظهرك، ورفع ذكرك وأشهرك.

الصلاة والسلام عليك يا من مولاك ذلك، ونصرك ومدّ لك، وخلقك وعدلك، وأعطاك وأعدّ لك، وحلّلك وجمّللك، وربّك فكمللك، وسخر المخلوقين لك.

الصلاة والسلام عليك يا صاحب العمامة، ومولى الإمامة، والختم والعلامة، شفيع الناس في يوم القيامة، يا من طاعته سلامة، وعصيانته ندامة، يا من سعت به الكرامة، وظلّته الغمامة، وسترت عليه الحمامة، ونصر الله به الدين وأقامه.

اللهم صلّ وسلّم على جدي وسيدي ومولاي وشاهدي وناظري، الذي ألقى علي من سرّه، والذي ألقى علي من حبّه.

اللهم صلّ وسلّم عليه، جد الحسنين كحيل العين طه الزين، الذي ما خلق الله منه إثنين، عماد وسرّ الجنّتين، إمام القبّلتين.

اللهم صلّ عليه في كل حين، وصلّ عليه في المؤمنين والنبين والصالحين، صلّ على روحه في الأرواح وجسده في الأشباح، وصلّ على قائد الغرّ المحجلين الملاح، الداعي إلى سبيل الفلاح.

اللهم صلّ عليه عدد السرّ وما في السرّ، وما في البحر وما في البرّ، وعدد ما نجّيت من الضرّ، وعدد من صرفت عنهم أو كتبت عليهم الشر.

يا أرحم الراحمين، بالصلاة والسلام على رسول الله، بالمحبة والهيام في رسول الله، بسرّ سرّ لا إله إلا الله، بنور نور محمد رسول الله، بخير من ارتضاه وأشرف من اصطفاه، وأفضل من قدّس لله وسجد لله، وأعظم خلق الله، الهادي الأمين سيدنا رسول الله، نظرق باب المدينة، ونطرق باب السكينة، ونطلب ونسأل ونتوسّل أن نركب السفينة، بجاه أصحاب السفينة، بجاه فاطمة وخديجة وآمنة الأمينة، ومريم من قبل فقد كانت على سرّ ربها أمينة، وبكل من بهم تُكشف الكربات وتضحك الأنفس الحزينة والأرواح الحزينة، بمن بهم نبلغ السكينة، بمن بهم يرضى الله علينا ويجعل السرّ فينا، بمن بهم نعلو وإن ابتلينا، بمن بهم كُفينا وشُفينا وأعطينا من فضل الله.

ثبّت اللهم المؤمنين، واكشف البلاء عن المبتلين، واجعلنا في عين وقلب رسول الله سيد الأولين والآخرين، اجعلنا اللهم في روح وعيني طه الأمين، واضرب اللهم المفسدين، واضرب اللهم الباغين والطاغين، خذهم كما أخذت عاداً وثمود وفرعون منذ حين، بأمرك الذي سيحين، واجعل معنا اللهم الملائكة والرواحين، واجعل معنا الأبدال والأقطاب والأغواث والصالحين.

أصلح اللهم حالنا، وطمئن اللهم بالننا، وأدخلنا الجنة عزّفتها لنا، زكّ اللهم فعالنا ومقالنا، جمّل بجمالك وجمال حبيبك جمالنا، جلّل بجلالك وجلال حبيبك جلالنا، كمل بكمالك وكمال حبيبك كمالنا، اجعل الحق مقالنا، واجعل الجنة مآلنا، واجعلنا اللهم من الشاهدين والمؤمنين، وتوقّنا وأنت راضي عنا، ونادنا مع المرضيين، نفس مطمئنة راضية مرضية، راضية عن ربها مرضية منه، دالة عليه ملهمة عنه.

اللهم واجعلنا مع آل بيت الحبيب، واجعلنا اللهم مع أصحاب الحبيب، خير الناس أصحاب سيدنا محمد، الذين أيّدوه وناصروه ونصروه، وآمنوا بالله فلم يكفروه، وثبتوا على العهد فلم ينقضوه، وصدّقوا بالحق فلم يجحدوه، والذين والوا أمير المؤمنين فلم يعادوه ولم ينافقوه ولم يحسدوه، ارض اللهم عن

هؤلاء الصحابة أصحاب الإجابة **والإنابة**، وأعظم لهم الجزاء **والمثابة**، واشملنا اللهم بمن شملت من رحمتك من النبيين والمرسلين، واجعل حولنا الملائكة يحفظوننا يا رب العالمين

الحمد لله الذي نجّانا وصرف الضر **عنا**، والحمد لله الذي أظهر السرّ لنا وأبداه **منا**، والحمد لله الذي أعطانا وهو ذو فضل وبذل **ومنة**، والحمد لله الذي وعدنا الجنة وسيدخلنا **الجنة**، والحمد لله على نبينا محمد نبي القرآن **والسنة**

صلى الله عليه وعلى والديه وكافليه، ومهجته وعينيّه، وأصوله وفروعه، وكل منسوب له ومنسوب إليه ومحسوب عليه.

### هذا بيان آل بيت النبي

أحبابنا نترككم الآن إن شاء الله في ضمان وأمان الله سبحانه وتعالى، جزى الله خيراً من سمع الكلام فاتّبع أحسنه، وهدانا الله وإياكم. وهذه أيام مباركات طيبات، اغتنموا فيها الصلوات واغتنموا فيها التسبيحات، صلوا إلى الله صلاة مقرب لا صلاة مغترب، صلاة من أراد القرب لا صلاة من اضطر إلى القرب، صلاة من أتى إلى الله محبباً لا من أتى لواجب يقوم به، واذكروه ذكراً كثيراً، وسبّحوه بكرة وأصيلاً، واعلموا أنّ ربكم يرى وأنّ ربكم يسمع وأنّ ربكم يعطي وأنّ ربكم ينفع وأنه الضّر يدفع، فمن ابْتُلِيَ فليصبر ومن مُنِح فليشكر.

واعلموا أنّ هذا بيان آل بيت النبي، وأنه لا يقوم لقائم إلا من قام بهم ومن قام عنهم، وأنه يصعب عن **الفصحاء**، ويعسر عن **البلغاء**، وأنه لا يكون إلا برضوان رب الأرضين **والسماء**، وبختمة سيد الأنبياء، وبسرّ أصحاب **الكساء**، ونظرة فاطمة سيدة **النساء**، وأنّ هذا به من يفرح وبه من **يُساء**، فاما المحبون فبه فرحون، وأما الذين كرهوا نظروا إليه بعين القبح فهم مقبّحون ومقبّحون، وهم فاسدون ولا يصلحون ولا يُصلحون.

فالحمد لله عدد ما يبصرون وعدد ما لا يبصرون، وعدد ما يعلمون وعدد ما لا يعلمون، وعدد من هم في الدنيا وعدد من سُقوا كأس المنون، وصلى الله على الممدوح في نون والقلم وما يسطرون، ما كان بنعمة ربه بمجنون، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الدرس بتاريخ: 2025-03-18





## نفحات رمضانية: شرح الصدر في فضائل ليلة القدر

نفحات من التفسير، ومعانٍ ليلية القدر العظيمة

### مقدمة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أحبابنا الكرام حياكم الله وبياكم وأهلاً وسهلاً بكم إلى هذا الموعد الجديد من مدينة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلّم وعلى آله الطيبين الطاهرين ورضي الله عن أصحابه العزّ الميامين. أحبابنا الكرام حياكم الله وأهلاً وسهلاً بكم في درس جديد ضمن سفر فيما سمّيته "المرتقى في تفسير المنتقى" أي أُنِي أختار بعض الآيات وبعض السور وأفسرها وفق ما يكون فيه شفاء للصدر إن شاء الله، وفق معاني أتأملها آخذاً بما سبق ومضيفاً شيئاً من نفحات ومن شأن القلب وشأن الوقت الذي نحن فيه وما يُحتاج إليه وما يُحتاج لسماعه.

قبل أن نبدأ في هذا الدرس المبارك سنسمع السورة التي نحن إن شاء الله في ساحة سرّها وباحة أمرها وواحة خيرها. ونحن نرد حياض الليالي الأخيرة من رمضان، ونحن نتملّى في الجمال المحمدي والسناء المحمدي هنا في مدينة الحبيب، في روضٍ من رياض الجنة، في حرمة النبي وهو الذي قال: **"اللهم إنك حرّمت مكة وإني محرّم المدينة"**. فضمن هذا الإطار وضمن هذا المبني والمعنى إن شاء الله اليوم سوف نمضي قليلاً مع بعض المعاني التي نتلمّسها والتي أردتُ أن أسمّيها **"شرح الصدر في فضائل ليلة القدر"**. نسمع بعضاً من صوت شجي ونسافر إن شاء الله مع هذه السورة المباركة: **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا**

أَدْرَبَكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَمٌ  
هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿١٩٠﴾

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، الحمد لله القوي المتين، الذي نزل كتابه بلسان عربي مبين، على خير خلقه وأشرف مخلوقاته وإمام أنبيائه وأوليائه وأصفيائه وخاتم رسله، سيدنا محمد الهادي الماحي الحاشر القاسم أبي القاسم طه الأمين. اللهم صلّ عليه وعلى والديه وعلى كل منسوب إليه ومحسوب عليه، وارض اللهم عن أصحاب رسول الله الذين أيدوه في البأساء والأواء، والذين أرضوا فيه رب الأراضين ورب السماء، وعلى عباد الله الصالحين حيثما كانوا وحيثما تنزلوا.

### من مدينة الحبيب

أحبابنا في الله السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته من مدينة الحبيب محمد، من مدينة رسول الله، من هذا الموضع الطاهر المبارك، ونحن على مسافة خطوتين من الحرم النبوي، من مسجد رسول الله، من أشرف بقعة فيها أشرف خلق الله، حيث ثوى أشرف الأجساد، وحيث سعى من قبل سيد العباد، الذي دعا إلى الله وكان هادياً على بصيرة ووحى من الله سبحانه وتعالى. أبقى الله الجسد محفوظاً وأبقى الروح ملحوظة، فالروح تطوف في أكناف هذه الأمكنة المباركة في مدينة النبي والجسد لم يتسنّه كأنما دُفن للتو، وكذا أجساد الأنبياء والشهداء، فما بالك بسيد الأنبياء والشاهد على جميع الشهداء؟

نحن هاهنا نتلمّس من أنوار وأسرار فيوضات سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، من ذلك ما يكون فكراً، من ذلك ما نتفكّر به ونفتكر به ونحن نتأمل ونتدبر في هذه الأرض التي سعى فيها النبي عليه الصلاة والسلام، كيف كانت حياته، كيف كانت كلماته، كيف كانت مواقفه... إنّ قراءة السيرة النبوية إنّما ذلك إجمال وشيء مما يُنَاط بالخيال، بالتصور، بالتمثّل، بالظن أحياناً، بالقصور المعرفي والإدراكي أحياناً، بشيء من الوضع، بشيء من الدس، بأشياء أحر كثيرة، ولكن مجرد التفكير في حقيقة المشهد كيف كان حقيقةً هذا يُذهل العقل ويُسكر القلب ويُهيمّ الروح ويحيرّ اللب، وهو أمر عظيم لا محالة، نحن نتكلم عن سيد الأولين والآخرين، نتكلم عن هذا النبي الذي أرسله الله سبحانه وتعالى على فترة من الرسل هادياً ومبشّراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

## ليلة القدر

تأمل الليلة سيكون حول ليلة القدر، نحن نظن أنّ هذا العام الليلة الثالثة والعشرين من رمضان هي ليلة القدر لبعض العلامات وبعض الأمور القلبية والروحية. وكذلك ليس غريباً أنّ كثير من الأمة كان يذهب إلى أنها ليلة الثالث والعشرين أو ليلة السابع والعشرين، هنالك أحاديث وردت عن فضل ليلة الثالث والعشرين من رمضان وأنّ النبي أشار إلى أحد أصحابه أن يأتي مسجده في تلك الليلة ضمن مضمّن إشارة أنها ليلة القدر، وكذلك في فضائل ليلة السابع والعشرين من رمضان والتي يتّخذها المسلمون مناسبة للقاء والإحتفاء، فبين الليلتين ما يكون بين الليلتين. لا يمنع أن تكون الواحدة والعشرين أو الخامسة والعشرين، النبي عليه الصلاة والسلام قال: "إلتمسوها في العشر الأواخر"، وهنالك من نصّ أنها في الليالي الفردية وليس الزوجية. المهم إن كانت الليلة أو كانت ليلة تليها، في كل الحالات نحن في أيام بركة في أيام خير في أيام من رمضان المعظم المبارك، من أيام هذا الشهر الذي أنزل فيه القرآن هدىً للناس ورحمة وبيّنات من الهدى والفرقان.

## شرف زمان ومكان وإمكان

وكذلك نحن في شرف زمان وشرف مكان، في أشرف الأزمان والأوقات وأفضلها شهر رمضان، رمضان وليله والعشر الأواخر وما يكون فيها، وكذلك في مدينة الحبيب محمد وما يسري في هذه المدينة وما سرى من قبل وما يزال سارياً إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، ثم يُجدد ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ ويوم تُشرق الأرض بنور ربها. هاهنا خطو النبي ودمعه وبصره وسمعته، هنا كان سجوده وركوعه، وهنا كان بكأؤه وخشوعه، وهنا انهمرت دموعه، وهنا كان صبره وجوعه، ومن هنا كان سفره في غزواته وإلى هنا كان رجوعه، ولما مضى إلى مكة فاتحاً رجع إلى المدينة، إحتضنته فلم تتركه، وكذلك كان من حقها وقد أحبته أن تفتّحه من مكة التي أودى فيها وإن كانت كما قال لما هاجر منها "أنتِ أحب بقاع الأرض إلي".

فنحن في شرف مكان ونحن في شرف زمان ونحن في شرف إمكان، أي أنّ الإمكانيات الربانية والإمكانات الرحمانية لهذه الأيام المباركة عموماً في عموم الأرض ولهذه الليالي المباركة عموماً، أنها إمكانيات عظيمة ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾، إمكانيات عظيمة من أجل

الوصول نحو الله سبحانه وتعالى، نحو قرب من الله، وهذا لا يتم إلا بالقرب من حضرة النبي الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. وهنا في المدينة المنورة كانت صلاة التراويح المباركة وكان صلاة العشاء المنورة، وكان الإفطار على مشهد ربما نشرته من هذه الجموع الغفيرة من المحبين من كافة أصقاع الدنيا، ونحن هنا ننتظر إشراقه اليوم الجديد ننتظر أن نصلي يوماً من قيام الليل أو شيئاً مما يرتجى من ذكر ومن دعاء، وكذلك ننتظر أن نصلي صلاة الفجر وأن نكون مع الواقفين ضمن هذا الموقف العظيم، هذا شرف كبير جداً.

فباب الإمكان باب الزمان باب المكان، هذه الأبواب الثلاثة التي تُتاح في هذا الشهر المبارك بعموم الإتاحة، وإن كان للمدينة ومكة خصوصية. فباب زمان أنها ﴿وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾، وكذلك باب مكان: الأرض كلها شُرِّفت برسول الله فما بالك بمدينته؟ ونحن هنا إن شاء الله سنمضي إلى عمرة رمضان، إلى البيت العتيق وإلى الشعائر الربانية التي أرادها الله وارتضاها من سعي وطواف وما يكون من ذلك وما يكون معه وما يكون فيه، وما ينجر عنه من خير وما يُجنى من جناه ومن سناه ومن نوره من بركات ومن مغفرة وعفو ولطف ومن قربى وزلفى إلى رب العالمين سبحانه وتعالى.

ولذلك نحن والحمد لله رب العالمين في هذا الفضل في هذا الشهر الفضيل نتلمس إذْ بوابة الزمان، بوابة العشر الأواخر وفي فضلها فضل كبير، ثم نتلمس بوابة المكان، كل موضع يمكن أن يكون ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾، حيث تسجد حيث تبكي حيث تذكر الله سبحانه وتعالى حيث تشعر بالقرب. فإذا نعمك الله بأن تكون في بيت من بيوته فهذا عظيم، في أن تكون في بعض هذه الأماكن المباركة التي تطوف فيها أرواح الأنبياء والصالحين، أما إذا كنت مخطوباً محظوظاً من الحضرة الإلهية تكون في المدينة في هذه الأيام أو في مكة هذا لشرف عظيم.

والآنس لقلبي أن أكون في مدينة رسول الله، لأنّ المدينة نورها جمالي نورها إيناس، مثل وادي العقيق البارحة أنس عظيم، أما مكة فهي جلال، جلال عظيم لا يطاق، جلال مع جمال لكن هو الجلال غالب عليها، وفي كل خير عظيم، والحمد لله في كل. نجد أثر خطو النبي وأنفاس رسول الله وأصحابه وآل بيته، وآباءه ممن صلح ممن كمل ممن كانوا أوصياء على سرّه، نجد أثر سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل إلى آثار آدم وحواء ونوح وشيث والأنبياء جميعاً كل من طاف بهذا البيت، إلى آثار من سبقهم ممن كان من المؤمنين، لأنّ البيت ببكة وُضع لكافة الكائنات المكلفة التي كانت مع آدم أو قبله.

## ليلة العطية والمزية

واليوم الحمد لله رب العالمين نتكلم عن ليلة مباركة، ليلة عظيمة، ليلة من ليالي الله سبحانه وتعالى، قال ربنا لنوح: ﴿وَذَكَرْهُمْ بِآيَاتِنَا اللَّهُ﴾. فله أيام، ولله ليالي، ولله سبحانه وتعالى مواقيت، ولله ساعات ونفحات، طلب النبي أن نتعرض لهذه النفحات "إنَّ لربكم في أيامكم لنفحات فتلمسوها".

لله سبحانه وتعالى جود وإغداق، وعطاء يُغني صاحب الإملاق، لله من خزائنه إنفاق وإنفاق وإنفاق، فلا تفرغ الخزائن ولا يمكن لعبد من عباد الله أن يستوفي فضل الله. كما ورد في الحديث القدسي: "يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم اجتمعوا على أظهر قلب رجل واحد منكم لم يزد ذلك من مُلكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم اجتمعوا على أفجر قلب رجل واحد منكم لم ينقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم اجتمعوا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كلَّ سائل مسألته لما نقص من مُلكي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن لم يجد فلا يلومنَّ إلا نفسه" هذا من الأحاديث التي مُستهلّها "يا عبادي كلکم جائعٌ إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمکم" حديث قدسي شهير معروف معلوم عند أهل العلم وله مكانة، وكان بعض من يرويه من التابعين المخلصين يقف إذا قام بروايته. الله سبحانه وتعالى الذي يقول ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ هو صاحب الخزائن والمعطي الذي يهب ويهب ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾.

هذه الليلة المباركة ليلة العطية وليلة المزية، وليلة الجود من صاحب الوجود، ليلة جعلها الله سبحانه وتعالى في منزلة عالية، لها سلعة غالية، وذكرها أن لها فضل منذ العهود الخالية، ليلة يستمر نورها، يستمر سرورها وحبورها، وينجلي في ميقاتها حضورها، ليلة الأرواح، ليلة الملائكة، ليلة إنفتاح البوابات، ليلة تجلّي أنوار العرش على الفرش، ليلة عطاء الله بغير حساب، ليلة رضوان، ليلة امتنان، ليلة إحسان، ليلة أهل الإيمان، ليلة القدر.

## لمحة حول علم تفسير القرآن

وقد أنزل الله هذه السورة العظيمة التي قلت كلماتها وعظمت بيئاتها، قُصرت آياتها وتناهت معجزاتها، سورة فريدة من سور القرآن الكريم في إيقاعها وفي سرّها وفي مضمون لفظها: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَّمَ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾. كلمات قليلة ولكن لكل كلمة جبل من المعاني وبحر من المعاني والأسرار، كل ما سنقوله قطرة من هذا البحر، وكلها نفحات قلبية.

ولا يمنع أن يطلع الإنسان على ما كان من شروحات السلف الصالح، فإني قد قرأت في عدد كبير من كتب التفسير ودرست جانباً منها، من تفسير ابن كثير والطبري إلى ما ذكره الطاهر ابن عاشور والآلوسي وغير ذلك من المدارس، بعضهم ركز على الجانب اللغوي، بعضهم ركز على روايات بعض التابعين الضحّاك مجاهد قتادة وغيرهم، بعضهم ركز على تفسيرات الصحابة ومن قالوا به وخاصةً ركزوا على ابن عباس حبر الأمة وما كان يقول من معاني بعض الآيات أو سيدنا الإمام علي أو غيرهم من أصحاب رسول الله، وهنالك أيضاً رجوع إلى معاني وردت من فم النبي عليه الصلاة والسلام مما يكون من تفسير أو تأويل. المهم هي خزانة كبيرة من كتب التفسير تحتاج بلا ريب إلى تمحيص إلى تنقية حتى تُخرج منها الإسرائيليات وبعض الوضع وبعض العقم إذا وُجد بعض الأمور التي ليست صحيحة، ولكن المهم أنّ هنالك مكتبة كبيرة في تفسير القرآن الكريم.

فلا يتصدّر لتفسير كتاب الله كل من هب ودب، وليس الأمر مجرد رغبة، أنا شاهدت بعضهم يفسّر القرآن على هواه ويفسّره بطريقة سمجة، يجهل نصّه ويجهل متنه. لا بد لمن يريد أن يفسّر هذا الكتاب أن يحفظه أولاً كاملاً، وقد فعلنا بحمد الله، وأنا منذ خمس وعشرين سنة أؤلف في القرآن الكريم، ألّفت موسوعة "البرهان" بلغت سبعة آلاف صفحة، ألّفت "الآلئ الجنان في معاني القرآن". ألّفت كتباً أخرى تتصل بذلك وتجاوزت 200 كتاب، الحقيقة هو رقم يبدو كبيراً ولكن ليس هذا بعزيز على الله سبحانه وتعالى، بالإضافة إلى مجموعة أخرى تقارب 140 كتاباً تقريباً في معاني آخر في مجالات آخر كالأدب والفلسفة والمنطق والشعر والدواوين الكثيرة والرواية والقصة وفنون الدفاع ومجالاتها وغير ذلك مما اتّسع عليّ حتى حصره. ولكن ركزت على كتاب الله، وكنت كلما غصت في معينه وكلما مضيت فيه، وجدت أنّ الأمر أكبر وأعظم مما نتصور، لذلك الحبيب المصطفى قال واصفاً كتاب الله: "القرآن مائدة الرحمن، لا تنقضي عجائبه ولا ينتهي إلى ما فيه العلماء" بمعنى أنّ العلماء مهما بحثوا مهما قرأوا فإنهم لا يستوفون ما في القرآن، مائدة إلهية يُدعى إليها من يُدعى إليها من أهل الفضل ومن أهل الخير ومن أهل الجود ومن أهل الكرامة ومن أهل العلم.

فليس تفسير القرآن هكذا، والتفسير في أصله **تلقين رباني**، قال الإمام الحسن ابن علي: "علم الله رسوله التنزيل والتأويل والحلال والحرام، فعلمه رسول الله لعلي كله، وعلمه أمير المؤمنين لي كله" وهذه الوراثة التي في أهل البيت، قال الحبيب المصطفى: "آل بيتي والقرآن لا يفترقان حتى يردا علي الحوض" أو "إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتكم بهما لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله وعترتي". معلوم أنّ المعنيين بالأمر الأئمة الذين انتقلوا من هذه الدنيا لا بد أن يكون لهم نواب وأن يكون لهم خلفاء من أبنائهم من ذرياتهم يرثون عنهم هذه الأفهام، وينتقل ذلك من صدر إلى صدر.

ولكن هذا المعنى على ما قد يوحي من معاني الكشف من معاني التجليات، لا يقوم أبداً دون علم، فلا يقوم أن يكون جاهل بالقرآن الكريم، لا يُتقن قراءته ولا يحفظ منه آية، وإذا قرأه معوجاً، ولا يعلم من تفسيره شيئاً، ولا يفترق في إعرابه، ولا يدرك ما يكون من مجمل قوله، من خواص سرّه، مما كان من المتشابه أو ما كان من محكمه أو غير ذلك من الأسرار والعلوم والمعارف حتى البسيط منها، ثم يخرج يقول لك "عندي كشف" ويفسر على هواه، هذا لا يمكن أن يُسمح به.

كذلك لا يفسر القرآن من جهل حديث النبي، لأنّ أحاديث رسول الله لطالما فسرت القرآن. ولا يفسر القرآن من جهل اللغة العربية إعرابها ونحوها وبديعها وبيانها وعمقها وجمالها، ويتمكّن منها فصاحةً وبياناً وتبياناً، إذ أنّ **الذي ينعكس عليه نور كتاب الله فإنه يزداد فصاحةً**، فالقرآن الكريم يقوّي البيان ويلين اللسان ويثبت الجنان ويعطي من فضل الله الرحمن، وبه تُبلغ المقامات ويُرتقى إلى مقام الإحسان "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك". القرآن الكريم يقوّي فصاحة الإنسان وفهمه، يضيء آفاق فكره، لأنّ فيه من البيّنات ومن الإعجازات، وله لطائف روحانية تسعى في قلب صاحبه فينجلي على وجهه وينجلي على لفظه وعلى نطقه وعلى كلامه وبيانه. ومن خلا من ذلك فليس من أهل هذا، والبعض كما قلت قد يحفظ دون فهم، وقد يحاول أن يفسر دون علم، وقد ينحصر في تفسير السابقين آخذاً بما فيه من غث ومن سمين، من ماء ومن زبد جفاء. وهذا يحتاج إلى تمحيص وإلى تنقية كما قلت، لذلك سمّيت كتابي "المرتقى من تفسير المنتقى".

وما أقدمه الآن عفو خاطر إنما جاء من تدبّر ﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ تدبّر في كتاب الكون، ثم تدبّر في كتاب القرآن الكريم ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾، وكذلك في الذات ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾. وهكذا عندما الإنسان ينظر

ويجمع بين كتاب الإنسان وكتاب الأكوان وكتاب القرآن يجد معاني عظيمة، فهي كتب ثلاثة في هذا الوجود نحن فيه:

1. أنت كتاب من كتب الله "وتحسب أنك جُرم صغير، وفيك انطوى العالم الأكبر".
2. والكون من حولك كتاب ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآيَاتِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾، للجبال، وغير ذلك من المعاني القرآنية.
3. وكتاب الله مُجمع فيه ومجموع فيه ومُجمَع فيه ما يكون من فضل وسرّ الله سبحانه وتعالى، وما يهدي لقراءة الأكوان وقراءة الإنسان وقراءة الزمان والمكان، وقراءة العلم وفهمه تشريعاً وما فيه من عقيدة ومن معاملات ومن فقه ومن أصول، وكل ما نبع من علوم عديدة كثيرة، وما نبع ونبع من علماء زَيّنوا الدنيا وأقاموها بنور سيدنا محمد. وحي أنزل على نبينا صلى الله عليه وسلّم، وهذا الوحي ما زال يُذهل الدنيا وما زال نوره ساعياً سارياً، يحتاج إلى ذرب لبيب وفطن أريب حتى يدرك بعضاً من خزائنه. بما أنّ الشجرة الطيبة التي هي من أصل كلمة طيبة ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾، فليس أطيب من كلمة القرآن، وليس غريباً إذاً أن تنجلي له من المعاني في كل لحظة وفي كل حين معاني جديدة لا تنتهي ولا تنقضي. ولا يمكن لعصر أو لزمان أن يحجب ذلك النور، بل ليس القرآن صالحاً لكل زمان ومكان، بل مُصلح لكل زمان ولكل مكان ولكل وقت وميقات.

فعلى هذا نسلك هذه المعاني التفسيرية، وعلى هذا نتكلم في هذه المعاني، وعلى هذا نقول أننا لدينا فهم وأنّ هذا الفهم ليس مخالفاً أو شاذاً عن فهم سلفنا، وليس فيه شطح أو ميل إلى معانٍ، أو من يُنكر السنة بالكلية ويقول أنه قرآني فقط، أو من يفسّره على أهواء نفسه، أو من يفسّره بادّعاء الروحانيات والكشف وغير ذلك من الخزعبلات الفارغة.. بل هو علم وبيان وتبيان، على يسر وعلى رغبة في زيادة الفهم. أنت يمكن أن تجلس الليلة وهنالك مواقع هنالك برمجيات فيها تفسير القرآن كامل تجد فيها كل كتب التفسير، كلها جميعاً، هذا جهد كبير، ويمكن أن تسافر مع سورة القدر أو غيرها، ولكن سنعطيك نفحة وأنت حرّ خُذ منها ما ينفعك ودع ما لا تراه مناسباً، وإن اختلفت معي في شيء فلعلك إذا ناقشتني وجدت أنّ فيه معانٍ، فلعلي أفرد بعض الوقت من هذا الدرس لبعض الأسئلة إذا كان تيسر ذلك.

﴿إِنَّا﴾

نبدأ على بركة الله، يقول الحق سبحانه وتعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾.

"إِنَّا" التقرير والتوكيد في "إِنَّا" هذه، والتي ذكرنا في الدرس الماضي عن سورة العصر ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ أنها توكيدية تقريرية، وأضيف إليها نون العزة ثم تم حذفها وإدغامها وإدماجها في النون الأولى لدلالة قوة العزة، "إننا" غير "إِنَّا".

والله سبحانه وتعالى يختار "إِنَّا" هذه في مواضع العظمة ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَخَفِظُونَ﴾ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، أي مؤكداً على أن الأمر رباني محض وأنه وحي من السماء وأنه تنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلب الحبيب ونزل به الروح القدس من عند رب الحبيب، وأن هذا الكلام هو كلام حق وأنه تنزيل رب العالمين لا رياء في ذلك ولا ريب ولا شك.

"إِنَّا" دلالة على عظمة الله، دلالة على عز الله، دلالة على أن هذا الإله العظيم الكريم إنما يتجلى بالعظمة في كتاب العظمة على نبي جعله من أسرار ومواقيت ومجالي العظمة الإلهية، فكان قرآناً يمشي وكان ربانياً صرفاً مطلقاً محضاً، لم يشبهه شوب ولم يقترب منه دنس ولم يخالط صفاء روحه أي شيء مما قد يخالط الأرواح الأخرى والأنفس الأخرى، زكي نقي تقي مبارك ممجد، هو سيدنا ومولانا محمد.

"إِنَّا" تدل كما قلت على هذا التوكيد المعظم الذي يلتحم بالألوهية، ويلتصق بالربوبية، وينبع عن قوة الخالق، عن قوة المنزل، عن سرّه.

﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾

وكذلك نزل الله سبحانه وتعالى كتاباً لم يجعل له عوجاً، ونزله بالحق ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾، وأنزله على علم، وأنزله على روح منه وعلى وحي منه، وجعله روحاً يحيي به، ونوراً يهدي به من يشاء، ويدعو الله به النبي، ويدعو الله به النبي، فالله يدعو نبيه ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ وكذلك النبي يدعو الله بهذا الكتاب ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾. دعوة إلهية لنبي الله ودعوة نبوية إلى ربه في القرآن وكذلك ما كان ممن أخذ المشعل عن رسول الله وأخذ الراية عنه فهماً وذوقاً وخلافة وعلماً ومقاماً.

"إنا أنزلناه" وهذا الإنزال دليل على مكانة المنزل ومكانة المنزل عليه ومكانة المنزل الذي نزل فيه ومكانة المنزل الذي سعى بذلك.

1 - فأما المنزل فهو الله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾

2- وأما المنزل فهو جبريل عليه السلام، ولعل الإشارة بين الروح القدس الذي نزل به من ربك كما قال القرآن الكريم ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾ وبين الروح الأمين ﴿نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ﴾، لعل اختلاف الوصفين والإضافتين بين "الروح الأمين" و "الروح القدس" فيهما أسرار، وكنت سبرت من ذلك ولكن نتركه. فنقول أنه سيدنا جبريل عليه الصلاة والسلام هذا هو المنزل المكلف بأداء المهمة، فهو نازل من عند الله سبحانه وتعالى، من رفعة قدر من نور من سر.

وهذا النزول لا يعني أنّ الله في مرتفع من هذا الوجود أو أنه فوقه بالفوقية المادية التي نراها عندما نقول "فلان فوق الشجرة" أو "فلان يجلس فوق الكرسي". فهذه الفوقية الربانية لا تُقاس بالموجودات ولا تُشابه المحسوسات ولا يمكن أن يسقط عليها ما يُنزل على المخلوقات. فليس الله بجالس على كرسي، أو بمستوى على العرش استواء من جلس عليه، أو أنه في السماء وقد خلق السماء، تعالى ربنا عن زمان يطويه ومكان يحويه وعن نظير وعن شبيه وعن شيء من خلقه يحلّ فيه. إنما فوقية العزة، لأنّ الفوقية والتحتية هي لها معنيان: إما معنى عزة أو معنى مكاني.

- المكاني أنّ بعض الأماكن فوق بعض، قمة الجبل فوق سفح الجبل، وتحت الجبل تراب وتحت التراب ما تحت التراب.
- والعوالم كذلك: عالم علوي ملائكي، عالم وسط، عالم سفلي، إلى غير ذلك.. ومراتب الجنة فوقية (فوق وأعلى منه)، ومراتب النار تحتية (تحت وأدنى منه)، ليس في الجنة تحت وليس في النار فوق، وهذا ما دونته مرة في كتابي الذي شرحت فيه هذين المعنيين وما يُحاط به من علوم ما يخصّ الجنة والنار.

المهم أنّ الله هو المنزل، وأنّ جبريل هو القائم بالفعل التنزيلي على صدر رسول الله بأمر الله.

3- وأما المنزل فهو القرآن العظيم، هذا القرآن الذي فيه ذكر للأولين وتنبيه للآخرين، وتبيان عن مقام رب العالمين، وذكر لصفوة من النبيين والمرسلين، وكذلك أحوال الطغاة والملاعين، وقصة آدم وذلك الشيطان الذي يُكَنّ له الحقد الدفين، وكذلك قصة قابيل وهابيل القتل الحزين، وكذلك ما كان من عباد

الله **الصالحين**، وما يكون من جدال بين الناس كأصحاب الجنة أو أصحاب الجنتين وغير ذلك كثير، وما يكون من أصحاب الأخدود، وما يكون من خبر موسى ومن خبر عيسى وإبراهيم، وما يكون من خبر نوح وهود وصالح وأيوب وسليمان وداوود، وما يكون من أسرار ومعاني، وما يكون من شأن القيامة ومن شأن أصحاب الجنة وأصحاب النار، وما يكون من شأن رسول الله وأحواله والردود الإلهية على من يجادله، وذكر مواضعه ومواقعه وأحواله الشريفة صلى الله عليه وسلّم وآلامه وأحزانه، وكذلك إشارات إلى آل بيته، وكذلك ما فيه من عقيدة ومن تشريع ومن فقه ومن معاملات وما كان من بيوعات ومن غيرها من الأمور مما يخصّ الإنسان في كل ما يبني مجتمعه وحياته من قوانين في هذا الكتاب العظيم، وما يكون من وصف الكون، وما يكون من حديث الجلال على الجلال، إلى غير ذلك، لا ينتهي إليه وصف وتحليل. هذا هو المنزل.

4- أما المنزل عليه فهو النبي العظيم، الذي ضُمَّ فقيل: اقرأ، فقال: ما أنا بقارئ، قيل ﴿**أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ**﴾، فقرأ بسم الله وأوحى إليه الله، ثم ناداه مَرْمَلًا وناداه مُدَثِّرًا ﴿**يَأْتِيهَا الْمُدَّثِّرُ فَمَ فَاذْبُرْ**﴾ ﴿**يَأْتِيهَا الْمُرْمَلُ فَمَ الْيَلِّ إِلَّا قَلِيلًا**﴾.

وهذا التنزيل على هذا النبي هو إجتباء وإصطفاء، فحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلّم لم يتم إختياره من ربه في الدنيا، ولم يكن ذلك على إمتحان بينه وبين الناس أو مسابقة بينه وبين غيره فبدا لله حينها أنّ الأولى أن يأخذ هذه الرسالة هو النبي محمد، كما يكون من شأننا نحن البشر عندما نريد أن نختار أحداً لمهمة سنختبر مجموعة ونختار منها الأكفأ والأفضل. ولكن رسولنا صلى الله عليه وسلّم هو الأكفأ والأفضل بالجبلّة الإلهية، وبالفطرة الربانية، وبسابق إسعاده وإمداده عند ربه روحاً، وكذلك سابق إجتبائه في الأجساد وسابق إجتبائه بالأجداد والوالدين والأبناء والأحفاد. بمعنى أنّ النبي عليه الصلاة والسلام قال في شأنه ربه سبحانه وتعالى ﴿**وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾، أي أنّ أول روح آمنت وأول نفس أيقنت وأول لسان ذكر الله وأول قلب أحب الله وأول عين نظرت إلى سناءات الله هي عين النبي وقلبه ولسانه وروحه، هذا في مقام الأرواح.

ولقائل أن يقول: كيف تُقرّ بهذا وبعضهم يظنّ أنّ النبي خُلق من نطفة الأبوين وأن لم يكن له من قبل وجود ولا ركوع ولا سجود، وأنّ الأرواح ليس لها لسان تنطق به؟

- فأخر ما نقول ضمن لسان الأرواح، أنّ الله سبحانه وتعالى يذكر أحوال كل المنتقلين من الذين ظلموا: ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾، "قال ربّ ارجعون" هذا بيان، وهذا يحتاج إلى قدرة على التبيان، وهذا في مقام الأرواح.
  - وكذلك الذين هم يُرزقون عند ربهم من الشهداء ويستبشرون ويتكلمون ويراسلون الذين لم يلحقوا بهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، هذا تبيان أرواح.
- وأما ما يكون من السابقة:

- فالآيات أشارت إلى أنّ الله أخذ الميثاق من النبيين ليويدوا رسول الله ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾، وهذا الميثاق الذي اجتمع فيه النبيون جميعاً ورد بلسان الماضي وحال الماضي ولا يمكن أن يكون ذلك في الدنيا.
- والله لما أبان أنّ الناس كانوا أمة واحدة فاختلفوا ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾، إنما أبان عن مشهد كانوا فيه معاً جميعاً، ولم يتم ذلك في الدنيا.
- والله إذ ذكر أنه أخذ منهم من ظهورهم -أي أنهم قسّمهم ووّرّعهم على زمن ظهورهم- وأشهدهم على أنفسهم ألسنتُ بربكم فقالوا بلى، كان ذلك على علم وبيّنة، ف "ألسنتُ" لا تُقال إلا للذي يعرف، أما التعارف الأول كما تمّ بين موسى وربه في التعارف الدنيوي ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾، أما "ألسنتُ بفلان؟" سابق معرفة، لا تُقال ألسنت لمن يتعرّف الآن ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾. وهذا دلّ على وجود حياة سابقة للدنيا ليست في الدنيا كما يدعي مدّعو تناسخ الأرواح، إنما هي من قبل الدنيا، وهي أطول وأكثر أمداً وأعظم أثراً.
- ومما يدلّ على ذلك ويثبتته أيضاً أنّ إبليس عندما قام في مقام المعصية وكان يُناظر ربه في شأن سيدنا آدم، لم يكن لآدم حينها زوج، ولم يُعلم أنّ الله سيخلق له زوجة. لولا أنّ ذلك الشيطان الخسيس قد إلّقى ورأى هذه الكائنات التي كانت تنتظر فعرف أنّ فيهم أشقياء وأنّ معظمهم أشقياء والله قال ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وعرف أنّ قلّة منهم أزكياء أصفياء، فقال أنه سيحتنك ذريته أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين ﴿لَأَخْتَبِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾. كيف عرف إبليس

والأب خلق للتو نفخت فيه الروح للتو والمشهد مشهد توي مشهد مباشر؟ وكذلك لم تُخلق الأم بعد لم تُخلق حواء بعد ولم تبدُ ذرية في الدنيا؟! إنما هذا في مقام عالم الروح.

- وكذا قتل الخضر للغلام عرفه من عالم الروح
- وكذا دعاء سيدنا نوح عندما قال ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاكِهًا كَفَّارًا﴾، كان الحكمُ شمولياً، فلما تأتي الإبادة تأتي الإبادة للجميع، من الرضع إلى الكبار. لم ينجُ من قوم لوط ولا من قوم صالح ولا من قوم هود ولا من قوم نوح أحد إلا من آمن، هكذا الله أعلم سبحانه وتعالى.
- والدليل الآخر كنت أذكره دائماً هو ما كان من كلام سيدنا عيسى عندما وُلد وعندما نادى أمه من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً، وأن هُزي بجذع النخلة يُساقط عليك رطباً جنيماً، وأن ﴿فَكَلِمِي وَأَشْرِبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينِ مِنَ النَّبَشْرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ كلمها هو، هو الذي كلمها حتى تطمئن، لأنه لو كان أول مرة تكلم بين يديها لعلها فزعت، ولكن إطمأنت ورأت بعينها، ثم كلم القوم وقال ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ﴾ في الماضي ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ إلى غير ذلك من المعاني التي أبانت عن معرفة الروح العيسوية بماضي حياة عيسى الروحية، ووصايا الله سبحانه وتعالى له، وبمستقبله من حياة وموت ومن بعث، يوم يولد يوم يموت يوم يُبعث حياً. وهذا لو نطق رسول الله في مهده لقال أعظم من قول سيدنا عيسى لأنه أعظم منه قدراً، وفي كل خير في كل سيادة وفي كل وجهة ربانية عليهما السلام وعلى كل نبي من أنبياء الله الصلاة والسلام.

"إنا أنزلناه" وهذه الهاء تكلمت عن هذا المنزل القرآن الكريم، فالمنزل عليه سيدنا رسول الله.

فالمنزل عليه سيدنا رسول الله.

- 5- أما المنزل، مهبط هذا الوحي، فهو قلبه الشريف صلى الله عليه وسلم ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ﴾. من إشراقه هذا القلب نبع سر القرآن ونبع البيان القرآني وكانت أحوال وكانت قصص ومشاهد عديدة لا تُحصى ولا تُعد.

"أنزلناه" بعض المفسرين قال "القرآن نزل من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا" وهنا القول بقدّم القرآن، وبعضهم قال "بل أول تنزيل القرآن كان في ليلة القدر". ولعلي أقول أن نور القرآن وليس ألفاظه، نزله الله

سبحانه وتعالى بأنواره في ليلة القدر في مستودع أراده، ونور القرآن (نفس الأمر) نَزَلَ بِهِ الْمَلَكُ عَلَى قَلْبِ رَسُولِ اللَّهِ كَامِلًا كَنُورٍ وَكَسِيرًا، ثم بعد ذلك كانت التجليات اللفظية والمعنوية. ويمكن أن نرى من ذلك أيضاً أنّ موعد التنزيل الإلهي، موعد اللقاء وضممة سيدنا جبريل لسيدنا محمد، كانت في ليلة القدر. ويصدق أن يكون ذلك جميعاً، فأن يكون القرآن نزل سراً أو نزل نوراً أو نزل لفظاً (كما قال بعض السلف).

وإن كنت أنا لي رأي في موضوع خلق القرآن أو أنه قديم، وأقول أنّ بعض القرآن محكم ومحكم المحكم هذا ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾، والبعض الآخر وإن كان الله قد علمه ولكن ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ تفاعل مباشر، ثم آيات تفاعلية، ردود مثلاً ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾ ردّ على حال، نعم علم الله بالحال سابق، ولكن ليس هذا كقوله سبحانه ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾. فأنا أرى أنّ هنالك اختلافات جوهرية بين مقامات القرآن العظيم، وعلى هذا نقول أنّ الأمر يحتاج إلى نظر، وأنا نقبل بما كان من قول سلفنا، ولكن كما قلت لي رأي في موضوع القرآن من قديمه أو من إحدائه، والله يحدث ما يشاء يفعل ما يشاء، ثم الله سبحانه وتعالى ليس بمقتيد، ولكن ثمّة ما هو أزلي قديم وثمرّة ما يكون تفاعلاً أو ردوداً آنيةً حينيةً من الله سبحانه وتعالى، أو يسأل النبي فيأتيه الجواب من الله سبحانه وتعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الذِّكْرِ الَّتِي نُنزِّلُ﴾ إلى غير ذلك من الكلام الرباني.

وعموماً، الله يُبَيِّنُ أنّ هذه الليلة نزل فيها وحى عظيم، ونزل فيها أمر عظيم.

وقد تحمل كلمة "إنا أنزلناه" نزول روح رسول الله في بطن أمه في جسده الشريف، فهو أيضاً مُنَزَّلٌ، فيكون هذا النزول إنما فيه أمر عظيم تجلية عظيمة، أعظم روح تحلّ في جسد، وهذا من بين المعاني الإشارية التي قد تصحّ ولا يمنع أمر على صحّتها.

وكذلك قد يكون فيها نزول أسرار ونزول أنوار ونزول أمور قادمة أو قديمة تتعلق بهذا الموعد.

عموم ما يمكن فهمه أنّ هذا الميقات ميقات للتزييلات العظمى، لأعظم التزييلات، لعل "أنزلناه" أمر إلهي ﴿مَنْ كُلُّ أَمْرٍ﴾، (السورة فيها "من كل أمر"). فهكذا يمكن أن يُطرح ويُطرق هذا الباب، هو نزول لأمور عظيمة وعظيمة جداً.

البعض يروي أنّ "الله ينزل إلى السماء الدنيا وينادي: هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فأعطيه؟" مع مواقيت الفجر. طيب هذا الحديث يحتاج إلى مراجعة، ولكن فلنأخذ أنه صحيح، فهو مجاز معنوي،

أَيَّ أَنَّ اللَّهَ يَكُونُ أَقْرَبَ بِلُطْفِهِ وَعِنَايَتِهِ مِنَ الْإِنْسَانِ وَمِنِ الدَّاعِي فِي تِلْكَ المَوَاقِيتِ ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾، هذا قرب عناية قرب إطلاع قرب معرفة قرب قدرة قرب سمع وبصر وإحاطة، وليس قرب مادي كما يفهم منه ضمن الذين جَسَمُوا اللَّهَ. فهذا النزول إذا صحَّ هو فتح باب، لأنَّ هذه مواقيت مباركة، أما ما رواه البعض أنه ينزل من السماء الدنيا نزولاً مادياً فهذا جهل بالله سبحانه وتعالى ولا يصحَّ أبداً، الله لا يتحرك ولا ينزل ولا يتبعَّض ولا يحلّ في الأشياء. إلى غير ذلك مما يستوجب على المؤمن فهمه في عقيدته حتى تصحَّ، فهو لا يُثَبِّتُ لِلَّهِ أَمْوَرًا تَمَسُّ مِنْ سُبْحَانِيَّتِهِ كالجسمانية والموضع والجهة، ولا ينفي عنه أَمْوَرًا أَقْرَبَهَا وَلَكِنْ مَعَ إِمْرَارٍ مَعْنَاهَا أَوْ تَأْوِيلٍ مَعْنَاهَا بِمَا يَلِيقُ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَقَوْلِهِ ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ أَوْ ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾.

### ﴿فِي لَيْلَةٍ﴾

"في ليلة القدر": والليلة هنا ظُلْمَةٌ وَمَوَاقِيتُ أَنْسٍ وَمَوَاقِيتُ هُدُوءٍ وَمَوَاقِيتُ عِبَادَةٍ. الله جعل الليل والنهار آيتين، وجعل في الليل والنهار أسراراً، فالليل يغشى والنهار يتجلى، والليل جعل فيه السكن وجعل في النهار انتشاراً ومعاشاً، وكذلك الشمس في ضحاها لها قمر تلاها، ليل يغشاها ونهار جلاها، ويكور الله الليل على النهار، وله تقلبات الليالي والأيام، وله الأسرار سبحانه وتعالى. لليل أنسه، لليل سكينته، يحلو للعاشق أن يلتقي معشوقه في الليل، مناجياً مستبجاً موحداً ذاكراً مصلياً على حبيب رب العالمين.

الليل موعد الخلوة والنهار موعد الجلوة، والليل فيه ما يكون من فرض جماعي وفيه ما يكون من أمر فردي، لأنَّ العلاقة في الدين ليست علاقة قطيعية، الإسلام ليس دين قطع، هنالك فرض جمعي كصلاة الجمعة وصلوات الجماعة المفروضة، وهنالك أمور آخر نوافل "خير محراب الرجل بيته"، هنالك أمور يتقرَّب يتزلف فيها إلى ربه تكون بينه وبين الله خاصة، لحظات خاصة يلتمسها ويسرقها من العمر ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ الَّذِينَ مَا يَهْتَجُونَ﴾.

فهي ليلة من ليالي الله، ليلة تُضَاءُ بِنُورِ اللَّهِ، ليلة سَكِينَةٍ، ومواقيت الليل من المغرب من العشاء إلى الفجر والصبح مواقيت لها أسرار: الحُلُكَةُ، والدُّلْجَةُ، والدُّجَا، والغسق، وما يكون بعد ذلك وما يكون قبله، إلى السَّحَرِ، هذا كله له أسرار ومواقيت، العرب سمّوا ساعات الليل كما سمّوا ساعات النهار.

فلذلك، أنزله في ليلة مجتابة مختارة، فاختر ظلامها واختار قمرها واختار نجومها، وأخفاها عن ملمح عين الشمس، إشارة لسر ما فيها وإشارة لأنس ما فيها وإشارة لسكينة ما فيها وإشارة للملائكة التي تحف بذلك السر، وأنه إنزال وتنزيل على علم وعلى قدرة وعلى إحاطة، وأن هذه الليلة مجتابة وفيها سر الإجتباء. فالسيدة فاطمة الزهراء من النساء كليلة القدر من الليالي، والنبي عليه الصلاة والسلام من الأنبياء والخلق كليلة القدر من الليالي.

وهذا فيه إشارة لعلم إسمه "علم الميقات"، وفي علم الميقات علم للمواقيت الإلهية، مواقيت السعد ومواقيت آخر ﴿فِي أَيَّامٍ نَّحْسَاتٍ﴾. فالله ابتلى وعدب بريح صرصر قوم صالح في أيام نحسات وفي أمكنة نحسة، فبعض الأمكنة عليها نحس وبعض الأشخاص عليه نحس وبعض الأيام فيها نحس. وكذلك أيام مباركات ومواقيت ومواضع مباركة وقوم مباركون، فالمسجد الأقصى بارك الله حوله، وكذلك تكلم عن بعض الأنبياء كإبراهيم قال ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ﴾، وقال عيسى على لسان الحق وهو يتكلم ﴿وَجَعَلْنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾، وسيدنا زكريا عندما وقف في مقام السيدة مريم وعندها من كل فاكهة ليست في فصلها ويقول ﴿أَتَىٰ لَكَ هَذَا لَمْ يَدْعُكَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ قال الله ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾ موضع، ﴿فَتَادَّعَاهُ الْمَلَائِكَةُ وهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ موضع أيضاً مبارك.

مواضع مباركة ومواقيت مباركة، مواقيت سر. كهف أهل الكهف موضع مبارك فيه سر، إختاره الله. مكة والكعبة ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ موضع مبارك، طيبة موضع مبارك، قبر رسول الله موضع مبارك "القبر أول منازل الآخرة روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار"، منبر النبي موضع مبارك، الروضة النبوية موضع مبارك، مقام إبراهيم ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾، سجن سيدنا يوسف موضع مبارك، بطن الحوت الذي ابتلع سيدنا يونس صار به مباركا فتجلى عليه الحق ﴿فَتَادَّي فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾ أشهد الحضرة الإلهية، تابوت سيدنا موسى مبارك ومن علامات ملك طالوت أن تأتي الملائكة بالتابوت وأن يكون فيه سكينه وفيه بقية من آل موسى وهارون، عصا موسى مباركة، المكان الذي كان يرعى فيه غنمه..

فالبركة تحل، تكثر أو تقل، وكذلك لها ضد. فهذه من علوم المواقيت، ﴿وَدَدَّوهُمْ بِأَيْمِ اللَّهِ﴾ إذا هي مواقيت. غار حراء مبارك، والضممة مباركة، والنبي مبارك، بركة تسعى في بركة. لذلك لما وقف النبي طفلاً تحت الشجرة قال راهب نجران وراهب بحيرا راهبان قالا: "هذه الشجرة لا يقف تحتها إلا نبي". الجذع الذي حن إليه صار مباركا به، وناقته صارت مباركة فصار يأتيها شيء من إحياء "دعوها فإنها مأمورة".

وهذا من إلتماسات البركة ومن معاني المواقيت، والمواقيت لها أيضاً علم في الأمكنة يُسمى بالمواضع، في البقعة المباركة عند الشجرة المباركة ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾، وادي طوى مثلاً، وغير ذلك كثير.

ففي علم المواقيت: هذه الليلة لها رتبة عليا، هي الأعلى بين الليالي. ولعل النبي عليه الصلاة والسلام ما دام أنزلناه قد تحمل معنى الروح، فلعلَّ سرَّ مولده ليلة أخرى تُحاكي أنوار ليلة القدر (ليلة المولد النبوي الشريف)، وليلة البعثة، ليلة الإسراء والمعراج، مواقيت، ليلة إظهار الأمر ﴿وَأَسْتَمِعَ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ﴾ وليس "ليل"، فالليلة هي المفرد من الأمر، هي ليلة لها نهارها، والليل هو الحال الذي يحلّ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾، هو الظلام. أما الليلة فهي المواقيت والساعات، مثل النهار واليوم، واليوم: ما يجمع بينهما.

### ﴿الْقَدَرُ﴾

"في ليلة القدر": القدر ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ أو ﴿فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ أو الكلام عن القدر، هذا الجذر (القاف والداد والراء) له أسرار كثيرة.

فالقدر ما أراد الله في ملكوته من أمر، وأنا أرى أنّ القدر هو: المُعلّق عند الله في اللوح المحفوظ، مُقدّر، وأنّ القضاء هو تنزيل ذلك. وهذا عكس الفهم الموجود، إذ أنّ الفهم السائد أنّ القضاء في السماء وأنّ القدر في الأرض (القضاء والقدر). وهذا من الإيمان، نؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره. أنا أرى أنّ القدر في اللوح ﴿فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾، ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ برمجة ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾. ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ يبسط ويقدر، من معاني القدر هو الشيء الذي ينقص طوله، الإنقاص، قدر عليه، الإمساك.

فالقدر ما يكون في اللوح، هذا رأيي. ومن أدلة ذلك أنّ سيدنا يوسف قال للذين استفتياه في رؤياهما: ﴿فُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾، "فضي" ولم يقل "قُدِّر"، لو كان قُدِّر لكان في إمكانية أن ينجو الذي سيقتل أو الذي سيسقي ربه خمراً أن يسقيه، لكن قال "فضي الأمر الذي فيه تستفتيان".

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ حُكْم إلزامي مُنَزَّل، فهو قضاء، من بينه معنى القاضي، يقضي، ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾.

أما التقدير فهو علم الله بما سيكون، وأنا أراه مشهدياً، أعتقد أنه **تصوير مشهدي** عظيم لكل ما كان وكل ما سيكون، ما كان مودَع في نوع من الكتاب دَوْنته الملائكة و**صُوّر** تصويراً، وما يكون أيضاً مودَع في كتاب فيه ما يكون إلى أبد الأبد، من بينها مشاهد الذي اطلع فرأى قرينه في سواء الجحيم، أو كيف أنّ الملائكة يقولون للذين في النار ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾، أو حوار المستضعفين مع المستكبرين، أو كذلك حوار أهل الجنة مع بعضهم، هي مشاهد من المستقبل وليست مجرد ظنيات. فعند الله كل شيء كان وانقضى، أحاط الله بالآماد والآباد، وعندنا نحن يمضي بنا هكذا المسلسل الزمني، ولكن عند الله كله تمّ. الذي يشاهد مسلسلاً فهذا المشاهدة ترتبط وتتصل بمقدار ما يُبثّ منه، أما الذي أنتجه وأخرجه وأعدّه يعرفه كله، عنده الحلقات يبتّ كل مرة حلقة. وهذا أمر كبير جداً ويمكن أن يُتأمل فيه، حتى لا ندخل أيضاً في الجهمية والجبرية والعقائد التي فيها إلزام وأنّ الإنسان غير مخير، إنما أنّ الله يحيط علماً وإحاطته بهذا العلم لا تمنع فضل صاحب الفضل من فضل الله عليه ولا تمنع حساب صاحب الذنب من فتنة الله له. وهو صعب قليلاً في الناحية المنطقية والجدلية ولكن الإعتقاد خير من مجرد مجادلة.

فالقدر لها معاني كثيرة، ومن معانيها القدر، رفيع القدر، الشأن، وهو الأليق بمعنى الكلمة، ليلة الشأن. نقول: "هذا عظيم قدر في قومه"، رسول الله عظيم القدر مشروح الصدر طلعة البدر، وعلي عظيم قدر مشروح صدر بطل حنين وبدر، هكذا أنا دائماً أنادي وأدعو خاصةً عندما ذهبت إلى بدر. فالقدر رفعة الذكر والشأن ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾، والله عظيم القدر وله قدر ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾.

فعل المعنى: ليلة الشأن الإلهي، ليلة نزول الأمر، ليلة صدور أمر عظيم، ليلة سرّ مُقدّر ويقدر الله رؤيته عن خلقه إلا قليلاً (أي لا يقدر الكل).

والقدر فيه سرّ القدرة، والله قادر وقدير ومقتدر، مرة يقول على كل شيء مقتدرًا، مرة يقول قديراً. والقدير هي القدرة الممتدة، والمقتدر هي القدرة الفعلية، والقادر هي القدرة التي تأتي من فوق من علوّ. فهو قادر بعلوّ وعظمة، وهو قدير دائماً أبداً ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾، وهو المقتدر فعلياً ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِّنَ السَّمَوَاتِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ آيات تبين هذه القدرة العظيمة، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ - وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ عزّ فحكم.

فعل المعنى الذي الأليق بهذه الكلمة هو:

- ليلة الشأن الإلهي، ليلة تجلّي قَدْر الله سبحانه وتعالى، ليلة تجلّي قَدْر بعض خلق الله
- ليلة يقدر الله سبحانه وتعالى على ما شاء (هنا بمعنى القدرة)
- ويقدر من شاء أن يرى، ومنه قدر الرزق أي الإنقاص منه أو المنع، يحجبها على من أراد، يقدر، ويعطيها لمن أراد، يقدر، ويفعلها بقدرته، يقدر على ذلك
- وقدّر فيها منازل وقدّر لها منزلة

فجعل من قَدْره على عظيم قدرته سبحانه وتعالى وعلى رفيع قَدْره، وهو القادر القدير المقتدر، أن تلك الليلة ليلة إنزال، وأن تلك الليلة ليلة بركة، وأن تلك الليلة ليلة خير ولية نور ولية ذخر ولية عز وفخر.

﴿في﴾

فقال ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، "في" هذه: موضعية زمانية تفيد الإنطواء والإنضواء.

وقد أساء من فهم ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ أو ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾، فهم "في" هذه موضعية لله من باب الجسمانية كما يقول قائل "أنا في المنزل"، وإنما "في" هذه دلالة قدرة ودليل قوة وعظيم إحاطة واستطاعة وسمع وبصر وخبرة وعلم شامل كامل.

وتعالى الله أن يكون "في السماء"، ولو كان الله في السماء بذاتية تجسيمية توهمية وعلى الكرسي أو على العرش جالساً بتوهمية مشابهة للحوادث والمخلوقات، لكان المحتوي أعظم من المحتوى، فالذي يقول "أنا في القصر" فالقصر أكبر ممن هو فيه. ﴿فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ "في السجن" هنا موضعية، السجن أكبر من حجم يوسف، ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ﴾ الكهف أكبر حجماً، فهو محتوي وهم محتوي.

ولو كان الله في السماء بذلك المعنى، لكانت السماء أعظم من الله تحيط به ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾، وكان الله مُحِيطاً في نطاق وحاشاه من ذلك.

ثم أين كان قبل خلق السماء وقد خلقها بداراً في ستة أيام؟ أكان قبل خلقها بلا مأوى؟ حاشاه من ذلك.

فهذا من باب علم العقيدة حتى نفهمه، تعالى ربنا عن زمان يطويه وعن مكان يحويه وعن نظير أو شريك أو شبيهه، وعن شيء من خلقه يحلّ فيه. هذا من قولنا في علم العقيدة، حتى يفهم القوم أننا نتكلم عن

علم، وليست عمامتنا الخضراء ولا إرثنا الذي ندّعيه لسيد الأنبياء مجرد ادّعاء كما يدّعي بعضهم أنهم أحفاد الرسول وأنّ عندهم ورث وليس لهم من ذلك شيئاً.

### ملخص ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾

إذن ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، صدرت "إِنَّا" الأولى التي بها يدار السورة من كنف العزة، بانحناء الهمزة وضمة سرّ النون. وهذه الهمزة التي تعني الإستواء، حركتها نزولاً. فهذه الألف التي في "الله" وفي "أحمد" وفي "أحد" تدلّ على الإستواء بالعظمة والعزة والإرتفاع. ولما تقول "أَيُّ" ﴿أَيُّ لَكَ هَذَا﴾، "أَيُّ" سؤال يدلّ على استعصاء ما رآه وعلى ارتفاع مقامه وارتفاع العالم الذي جاءت منه. أما "إِنَّا" فهنا فيها هذا النزول، الذي نزل باسم إبليس فأبلس إبلاسا ويئس إياساً وأركس إركاساً وأفلس إفلاسا وأتعس إتعاساً، هكذا يمكن أن نسوقها هكذا.

"إِنَّا" فيها حركة نزول من أعلى، أعلى مقاماً، وإذا درجت في السماوات أعلى مكاناً، فعند الله أعلى مقاماً (الله ليس له مكان)، وعند جبريل أعلى مكاناً، من فوق سبع سماوات من سدرة المنتهى من قاب قوسين أو أدنى من مشارف العرش إلى قلب الحبيب محمد في هذا الكوكب الصغير في قلبه الشريف الرفيع ومقامه الرفيع، فهو في مكان من الأرض من الدنيا وفي مكانة تفوق السماوات، فرق بين مكانه ومكانته. فهو كان في غار حراء جبلاً يقف على جبل، فالجبل يتسع له مكاناً ولا يتسع له مكانة، فمكانته أعظم من الجبال والشموس والأقمار والعوالم. ويوم يبعث الله الخلق وهو الآن في عالم الروح، ويوم الإسراء والمعراج في المعراج كان أعظم مكاناً ومكانة، ما وقف بجوار سماء إلا وهو أعظم منها، وهذا أيضاً علم وعرفان.

"إِنَّا" تبتدر بهذه العزة، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾ ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَدِيرُونَ﴾، "إِنَّا" هذه تبتدئ من مقام العزة، إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ، نَزَّلْنَاهُ بِالْحَقِّ.

وذكرنا أنّ هنالك مُنْزِلٌ ومُنْزَلٌ، مُنْزِلٌ: هو الفاعل الله سبحانه وتعالى، ومُنْزَلٌ: هو المُفْعَلُ المحرّك الذي قام بحركة النزول المكانية، أما الله فهو نزول مقامي. حركة النزول المكانية قام بها سيدنا جبرائيل، فالله لا ينزل مكاناً إنما نزل من عنده ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾. وهنالك المُنْزَلُ وهو القرآن العظيم، والمُنْزَلُ عليه وهو النبي، والمُنْزَلُ وهو القلب المحمدي.

## المنازل العظيمة

ثم المنزلة، منزلة هذا المُنزَل ومنزلة المُنزِل والمُنزَل والمُنزَل عليه والمُنزَل فيه والمُنزَل، ومنزلة الميقات والموضع، لنقل أنه غار حراء موضع مبارك، وهي ليلة القدر المنزلة خير من ألف شهر، فانظر إلى هذه المنازل العظيمة. ثم المنزل هو البيت، آل البيت، منزل خديجة ومحمد عليه الصلاة والسلام، منزل الطهر بمنزلة الطهر.

وهذه المنزلة لو طبّقناها على كل ما ذكرنا، لوجدنا أنّ المُنزِل هو العظيم سبحانه وتعالى، وأنّ المُنزَل هو أعظم الملائكة، وأنّ المُنزَل هو أعظم القول كلام الله، وأنّ المُنزَل عليه هو أعظم الخلق رسول الله، وأنّ المُنزَل هو أعظم موضع قلب النبي وأطهر بيت بيت النبي، وكذلك غار حراء هذا المكان العظيم مكان الضمة الجمالية الجلالية الكمالية. فانظروا كيف نسري وتسري إلينا المعاني، وهذه نفحات الحبيب فما فكّرت يوماً من قبل في هذه المعاني التي أطرقها الآن، إنما تنجلي إليّ وتُساق إليّ سوقاً، وذلك من حمد الله الذي ملأنا ذوقاً، ورفعنا فوقاً، وأسرج قلوبنا إليه شوقاً.

فهذه هي المنازل كلها، فيصحّ حينها أن نقول: أنّ الله العظيم صاحب الشأن العظيم أنزل المَلَك العظيم على النبي العظيم في الموضع العظيم بالنبا العظيم والكلم العظيم والقرآن العظيم في الميقات العظيم ليلة القدر العظيمة التي فيها نزول هذا الأمر العظيم، عظيمة في عظمة في عظمة، تعظيماً لشأن الله ولشأن ملائكة الله وجبريل خاصة، وتعظيماً للقرآن وتعظيماً لمن لأجله كل هذا العرس. كل هذا العرس، كل هذه الليلة، ليلة النبي عليه الصلاة والسلام.

فإذا كان الأمر كذلك في العظمة، فلا بد أنّ له أباً عظيماً وأماً عظيمة، وأنّ من كفله قال ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾، المؤوي الله سبحانه وتعالى والمؤوي -إذا طبّقنا المُفَعَّل- هما عبد المطلب وأبو طالب (كما قلنا المُنزَل والمُنزَل). فاللذين آواه عندهما مباركين عظيمين، ومن أودع فيهما سرّه حتى قال: "أنا خيار من خيار من خيار، ما اختار الله بين شعبتين إلا وكننت في أفضلهما" وقال "كله كان بزواج ولم يكن من سفاح"

حفظ الإله كرامةً لمحمدٍ \* \* آباءه الأمجاد صوناً لإسمه

تركوا السفاح فلم يُصبهم عاره \* \* من آدم وإلى أبيه وأمه

وهذا العظيم يزوّج بامرأة عظيمة تنبت النبات العظيم. وتخرج من هؤلاء العظماء من أبنائه بنت عظيمة، يُزوّجها برجل عظيم، تنجب عظيمين وامرأة عظيمة تقف في البلاء (إسمها زينب والحسن والحسين

وفاطمة وعلي). ويؤيده بعضهم وأعلامهم شأناً آل بيته عمه أبو طالب عمه حمزة جعفر، ثم أصحابه الكرام أصحاب المقام العظيم أصحاب رسول الله الأتقياء الأنقياء الأصفياء، الذين أيدوا طه الأمين، ونصر الله بهم الدين، ووالوا علياً أمير المؤمنين، إذ تنادوا ونودوا في ذلك المشهد العظيم "من كنت مولاه هذا علي مولاه".

وكذلك القرآن العظيم نزل بالنبا العظيم عن القيامة وعن أمور عظيمة أخرت أو ستأتي. وكل هذا مجمع في ليلة الشأن العظيم ليلة القدر.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ هذه "وما أدراك" قد تحمل معنى الإستفهام، وقد تحمل معنى التعجب والتعظيم، وقد تحمل الإقرار.

لما يقول ربنا ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ البعض فهم منها أن النبي لا يدري، إنما أحياناً يأتي النفي موضع الإثبات، فيقول ربنا سبحانه وتعالى ﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ "لا أقسم" ﴿وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعُ عِظَامَهُ بَلَىٰ قَدِيرِينَ عَلَيَّ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾، "لا أقسم" أي: لأقسمن بيوم القيامة ولأقسمن بالنفس اللوامة. فالكلمات في القرآن تحمل بعض المعاني. ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾: هنا معنى الظن، ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: ما إعتقادكم برب العالمين؟ لها معنى آخر "ما إعتقادكم فيه؟"، ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ معنى آخر ظني تشكيكي.

فحتى يفهم الإنسان المفسر، اللغة القرآنية لغة عجيبة، ليس ذكر البدن ﴿نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾، وذكر الجسد ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾ ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُورًا﴾، والجسم ﴿نُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ ﴿بَسْطَةَ فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾، بنفس المعنى (كما بينت في الدروس البرهانية). والأنفس كذلك ليست بنفس المعاني ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ أو ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ أو ﴿يَنبَأُيْتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ لها معاني شتى آخر، تتفرع المعاني، علوم المعاني القرآنية.

"ما أدراك" هنا أي إنك لتعلم علماً كبيراً ودراية عظيمة بهذه الليلة، وإلا إذا كان هو لا يعلم من سيعلم؟! إنك تدرك وترى، هو يقول "إني أراكم من خلفي كما أراكم من أمامي" في الصلاة، ويقول لأصحابه "لو أنكم لزامتم ولزامتم على ما أنتم عليه بين يدي لصافحتكم الملائكة في الطرقات" إذاً هنالك من لزم على ما يكون بين يديه، علي ابن أبي طالب لم يغادر ذلك أبداً. وكذلك النبي إذاً النبي يرى الملائكة، مرة قُرب إليه قطف من الجنة فأراد أن يُطعمهم منه، ومرة قُربت إليه النار ورآها.

"وما أدراك": تدري أنها ليلة القدر، تدري شأنها. وكذلك تحمل معنى التعظيم والتفخيم، "جاء عنتره العبسي وما أدراك ما عنتره" من لغة العرب، "فخرج عليهم علي وحمزة في بدر وما أدراك من علي وحمزة" من باب تعظيم الشأن، من باب التعجب الذي يأتي لا من جهل بل من معرفة، إظهار وإبداء لأمر عظيم.

### ﴿مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾

ويكرر الله إسم الليلة، والتكرار دلالة على دلالة الليلة وعظيم دليلها وعظيم شأنها عند الله وعظيم شأنها في ملك الله وعظيم تجلّي ميقاتها العظيم، إذ ترتبط بشهر الصيام ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾. وإذا ربطنا "أنزل فيه القرآن" بـ "أنزلناه في ليلة القدر" وجدنا أنّ القرآن نزل في تلك الليلة نوراً من لوح محفوظ، وأنه نزل نوراً على قلب الحبيب. والبعض قال "نزل نصّاً إلى السماء الدنيا" وهذا يحتاج إلى نظر، إذا كان في السماء الدنيا لكان جبريل يأتي به من السماء الدنيا، لكن هو من عند الله. فبعض لفظه قديم وبعضه يكون تفاعلياً مع رسول الله في الجواب عن بعض الإشكاليات والردود والخطابات المباشرة التحيينية. وانظروا في القرآن تجدون أنّ ما أقوله لكم صحيح بحول الله تعالى، لن أدخل في معركة المعتزلة والحنابلة وغير ذلك من مسألة خلق القرآن والأشاعرة والماتريدية، أنا لا أدخل في ذلك.

يكرر الله المعنى، ذكر الليلة ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾. وفي القرآن الكريم إذا كرر الله الكلمات فلها معاني، أحياناً تجد الكلمة تُكرر، بعض الآيات تُكرر في سور وأخرى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ الصّف ٩، ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ التوبة ٣٣، ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ الفتح ٢٨، وكذلك كلمات أخرى تُكرر مثل كلمة الإنسان في سورة القيامة. والتكرار هاهنا لا يكون ثنائياً بل ثلاثياً، ومعلوم أنّ النبي عليه الصلاة والسلام إذا أراد أن يعلم الأمة أمراً كزّره ثلاثاً، إذا علّم صحابي كلاماً أحياناً يناديه "يا فلان يا فلان يا فلان"، لأنه: واحدة لسطح

الوعي للفت الإنتباه، والثانية لوسط الوعي بداية التركيز، والثالثة لعمق الوعي للإصغاء المطلق، فكّرْها ثلاثاً، تجدون دائماً في السنة النبوية "فكّرْها ثلاثاً".

والله سبحانه وتعالى لإبانة وإظهار شرف ليلة القدر كرر ذكرها ثلاثاً في نفس الآيات القصيرات ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾. "ما" الأولى تعجبية، و"ما" الثانية إقرارية تقريرية، الأولى تمضي في تعظيم هذا الشأن والثانية تُقرّه. "وما أدراك ما ليلة القدر، ليلة القدر" الله سبحانه وتعالى في هذا السياق يبين على شرف هذه الليلة، ويبيّن عظيم قدرها.

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ 84 سنة. والألف قد لا تعني الألف بل تعني جمع الجمع -﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ لا تعني سبعين تحديداً- وقد تعني أحياناً الرقم تحديداً، ولكن نقول أنها ما دامت في مقام المطلق فهي في المطلق، خير من آلاف الشهور.

﴿تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾

ويُكمل الله سبحانه وتعالى إثبات هذه المكانة بتنزل الملائكة والروح فيها من كل أمر، أي أنّ فيها فضائل وشمائل وأسرار وأنوار وخيرات وبركات.

تنزل الملائكة والروح أي أنّ الملائكة في تلك الليلة تنفتح لها البوابات فتنزل على هذا العالم، تتراص الصفوف، كأنما هو تدريب على ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾، كأنها مؤشرات ليوم ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةً﴾، كأنها بدايات لإجراء عيني ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾. ليلة تنزل ملائكة عظيم، كل الملائكة تنزل.

و"الروح" تحمل معنيين:

1. إما الروح بمعنى كبار الملائكة: المَلَكُ، مثل جبريل (هو الروح الأمين)، والروح القدس، أرواح..
2. أو نزول أرواح المؤمنين، أي نزولها من عليين لتزور الأحياء من أهلها، وهذا قال به السلف أيضاً. أي أنّ في تلك الليلة تنزل الأرواح إلى أجسادها تتفقدها (أرواح الطيبين طبعاً، الأخرى في سجين

وهو سجن) أو تنزل الأرواح إلى عالم الأشباح لتزور من تركت من أهل الدنيا، وهذا كما قلت قال به السلف وأنا أميل إلى هذا المعنى أيضاً.

فنزول الروح: نزول الأرواح العظمى الملائكة الكبار، ونزول أرواح أهل عليين. وأولى بهذا التنزل: تنزل الروح المحمدي وأرواح الأنبياء، مما يدل على أنّ **هذه الأرواح لها حركة وجودية مستمرة**، جمعها ومُحكّمها في ليلة القدر، ولها تفصيلات أخرى في ليال غير ذلك. هذه حركة الأرواح في عوالم الأشباح أسرار عظيمة، ولها أيضاً دلالات قرآنية يطول سياقها.

"تنزل الملائكة والروح فيها": في هذه الليلة المباركة.

﴿يَأْذِنُ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾

"بإذن ربهم من كل أمر": أي فيها قضاء شؤون عديدة، فأنت طلبك النجاة أمر، طلبك الهداية أمر من أمور الشأن الإلهي، أمور الملك الإلهي، أنت في ملك، فكان ملكاً يرسل مراسيله ويقول لهم "اقضوا حاجة رعيتي من كل أمر" أي بمطلق التفويض ﴿آتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾.

أي أنه في هذه الليلة المباركة تنزل الملائكة والروح بأمر ربها بكل أمر عظيم، ولقضاء كل أمر، إما أن يُعجل أو يؤجل أو يُترك أجراً عند الله، حسب الحال، يعني بعض البلاءات وإن كان ليلة القدر ولكن إذا كان قد قضاها ﴿فُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ موضوع آخر.

"بإذن ربهم" أي أنّ الأمر كله منوط بالله، وأنّ الله يأذن ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ﴿وَإِذْ تَأْذَنُ رَبُّكَ﴾ يأذن. والإذن هنا: الملك الكلي لله، القدرة الكلية لله ﴿وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾. علم الإذن وعلم الشرع وعلم الأمر، يُسمى "عالم الأمر" ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾. ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِإِثْمِهِمْ ظُلْمًا﴾ مثلاً، أذونات كثيرة، ﴿فَأَذَنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ﴾، إلى غير ذلك كثير جداً يطول سياقها.

فهي ليلة تنزل، ليلة فضائل وشمائل، ليلة كرم رباني، ليلة عظيمة. تخيل معي أنها ليلة خير من ألف شهر، خير من أيام حياتك كلها، وأنّ هذه الليلة تنفتح فيها البوابات في لحظة في ساعة ما. والشرف لليلة كلها، طبعاً هي ليلة القدر لم يقل ساعة القدر، البعض يقول أنها لحظة فتح باب العرش، هي ليلة. التنزل فيها يكون تنزلاً عظيماً، فيها ملائكة وأرواح، وفيها عطاء متاح وعبور مباح، فيها نجاح وفيها فلاح.

## ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾

ثم يأتي الله سبحانه وتعالى بمعنى عظيم ﴿سَلَّمَ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾ ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾، والدين إسلام، وأنبيأوه قال ﴿وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾ ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ﴾ ﴿سَلَّمَ عَلَيَّ إِنْ يَأْسِينُ﴾. هذا السلام من ربنا السلام يُبَيِّنُ أَنَّ هذه الليلة فيها أمان.

هل يعني ذلك أَنَّ الأمور الدنيوية تتوقف؟! إنما يعني هو سلام رباني روحاني، وهو سلام يغمر الله به الكائنات ويشمل به الموجودات، من كان مُبتلى يُصَبِّرْهُ، ومن كان في حال من الرخاء يُلْهِمَهُ الشكر. وهي سلام العوالم، ولها أسرار كثيرة لا تُحصى ولا تُعد.

﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ "حتى": نهاية الغاية، عندما تنتهي تلك الليلة تكون أنوار نزلت بركات أسرار، تكون مقامات ارتفعت، عطاءات مُنحت، رقاب أعتقت من النار. لا يعني ذلك الإعتاق أنه تغيير في قدر الله، إنما دخلت مقاماً غير المقام الذي كانت تسعى فيه إلى النار ﴿وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾، لكن التقديرات سابقة ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أو ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ﴾، تغيير في حالك أنت وليس في قدر الله، تطوير.

## خاتمة

فلذلك أيها الأحباب، إلتمسوا في هذه الليلة بركاتها، بإكثار الصلاة على رسول الله وياكثار تسبيح الله. وأنصح من أراد أن يأخذ بنصيحي من أبناء طريقي وسبيلي ونهجي ومدرستي أن يتلو في ليلة القدر -وهي في ما أظن وأعتقد هذه الليلة في هذا العام- تلاوة سورة يس فهي قلب القرآن (يس سورة جبريل عليه السلام)، وسورة الرحمن تقرب إلى الرحمن، وسورة طه إلى قلب طه، من المنزل إلى المنزل إلى المنزل عليه. تقرأ سورة القدر، وتقرأ الكوثر 25 مرة لأن الكوثر سورة السيدة فاطمة الزهراء وخمسة أصحاب الكساء واثنين الله ورسوله ومجموعهما سبعة والسبعة لها أسرار، ثم 11 مرة سورة الإخلاص، إستحضر عظمة الخالق الوهاب العظيم، وبعد ذلك 11 مرة ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾، والواحد مع الواحد: "لا إله إلا الله" واحد، "محمد رسول الله" واحد، فهذا واحد أحد فرد صمد، وهذا واحد في مقامه لا يدانيه فيه أحد. بعد ذلك لك أن تقرأ المعوذات وأن تصلي على النبي وتكثر قيام الليل، حاول أن تقوم الليل ولو قليلاً.

نسأل الله تعالى أن ينفعنا بما علمنا وأن يزيدنا علماً، وأن يجعلنا من أهل القدر وسرّ ليلة القدر وذخر ليلة القدر، وأن يُشفى فيها الصدر، وأن نوقى من أهل الغدر، وأن نُتعم بطلعة النبي طلعة البدر، وبسرّ أسدي الله في غزوة بدر، سيدنا حمزة وسيدنا علي، وبأنوار آل بيت النبي، وبسرّ كل نبي وولي، وأن يعلمنا العلوم الخضرية من نفحة الخضر عليه السلام، وأن يؤتينا من قوة ذي القرنين مما آتاه من كل شيء سبباً، وأن ينعمنا في الدنيا والآخرة، وأن يحفظنا أحياء ومنتقلين، وأن يجعل حياتنا خيراً ومماتنا خيراً، وأن يجعل علينا مقامنا في الإنتظار، وفردوس الجنان مقامنا في عالم الخلود الأبدي ناجين من عذاب النار، مع المطهرين والأخيار، وأصحاب الأسرار والأنوار، ونبينا الهادي المختار، وهو خير جار.

أنا قلت أنني أعتقد أنها ليلة 23، وليس هذا مبني من ظني الشخصي وإن كان لي حال قلبي مع ربي هذا شأنه ومع جدي رسول الله، ولكن أقول أنّ النبي بعض كلامه يشير أنها ليلة 23 وبعض كلامه يشير أنها ليلة 27، ولك أن ترى من الأمر ما تراه، هي بين 23 و 27، وكل عام تتغير الليالي، وأحياناً 25 أو 21، النبي قال: "إلتمسوها في العشر الأواخر والليالي الفردية".

الحمد لله على هذا، أرجو أنّ هذا الدرس وهو يحمل عنوان "شرح الصدر في فضائل ليلة القدر" أن كان ضافياً وافياً شافياً، بإمكانني أن أضيف إليه ساعات أخرى، ولكن أكتفي بهذا القدر حتى لا أتعبكم، وإن شاء الله لنا ما لنا بعد ذلك. وهذا من علوم آل بيت النبي، مما رزقنا الله من فهم ومما أعطانا على غير وهم، ومما أصابنا منه بسهم، من سهم الخير، من سهم النور، من سهم الذخر، وحتى لا يفترى المفترون ويمتري الممترون، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، في أمان الله.

الدرس بتاريخ: 2025-03-22





## نفحات رمضانية: البحر الزاخر في فضل العشر الأواخر

رحلة مع جميل المعاني وبديع المباني

مقدمة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على بركة الله تعالى، سنقدم لكم اليوم درساً من هنا من المدينة المنورة، نحن على مسافة أمتار من مسجد حضرة سيدنا رسول الله، وعلى مسافة أمتار قليلة من الجنة، إذ أنّ روضته جنة وقبره جنة وجسمه جنة وقلبه جنة وعفوه جنة، وكلّ من به جُنَّ بلغ قمة العقل، فنحن مجانين هذا النبي العظيم. فهنا في مدينة الحبيب، وها هنا في حضن الحبيب في سريان روح الحبيب عليه الصلاة والسلام، نقدم لكم درساً إن شاء الله ممتعاً سيحمل عنواناً من العناوين التي نُفحت بها وأنا في الصلاة ها هنا "البحر الزاخر في فضل العشر الأواخر".

نحن بدأنا الدرس الأول كان "الفاتحة في أحكام الفاتحة" قدّمناه في شِناص في عُمان وهو عن كتاب ألفته وكتبته، ثم "النصر في معاني سورة العصر" هذا كان بداراً كان إرتجالاً، والبارحة "شرح الصدر في فضائل ليلة القدر" أيضاً كان بداراً لم أكن قد ألفته من قبل، والحمد لله ربنا سبحانه وتعالى أكرمنا بذلك. طبعاً هذا الدرس للعقلاء والحكماء وأصحاب العقول، أما البقية فيستطيعون أن يجدوا صفحات أخرى، طبعاً كل مرة نجد تعليق غريب عجيب وهذا لا يردّنا ولا يصدّنا ولكن نأنف أن نراه، ولذلك نرجو أن يحضر

هذا الدرس أصحاب العقول. يحضرنا هنا في المدينة المنورة جمع من أحببنا من أكثر من بلد من بلادنا العربية الطيبة، وكنا قد نُفحنا ببعض الأحباب قدموا وزارونا كانوا في زيارة المدينة جزاهم الله خيراً.

قصيدة "يا من لديه جميلُ العفو مأمولُ"

ولعلي سأبتدر هذا الدرس اليوم بقصيدة كنت ألهمتها البارحة في المسجد النبوي الشريف مع صلاة المغرب، والحقيقة أنها مناجاة لكعب ابن زهير:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبولُ \* \* مُتَيِّمٌ إثرها لم يُشَفَّ مكبولُ

وحتى يقول:

إنَّ الرسولَ لنورٌ يُستضاءُ به \* \* مهنَّدٌ من سيوف الله مسلولُ

تلك التي أنشدها للنبي والنبي ألبسه بُردته، وفيها جمال وفيها لغة عظيمة، وكان قبل ذلك ضد الإسلام ضد النبي فهجا النبي، ثم جاء يطلب العفو فعفا عنه رسول الله وصفح عنه.

وكان بدارها دعاء دعوته وأنا في المسجد النبوي والأذان يُرفع في ذلك المقام العظيم، فكان بداية ذلك:

يا من لديه جميلُ العفو مأمولُ \* \* وأمره في شؤون الخلق مفعولُ

ثم كان تتالي هذه المعاني في ليلة القدر (التي أعتقد أنها البارحة ليلة القدر)، والحمد لله الآن أنهيتها بمساعدة ودعم من الكائنات الروحية التي تنبع في قلوب العارفين. وليس هنالك في الحقيقة من يستطيع أن يتكلم مع نبي أو ملاك أو روح في بثّ مباشر، نسأل الله الهداية لمن يفعل ذلك، هذا لا يصحّ علماً ولا عقيدة ولا شريعة. الوجود الروحي وجود لطيف، أما ما نراه من بعضهم فنسأل الله أن يهديهم لأنّ هذا غير صحيح، وهذا كلام يطول سوف ربما نخصص له شيئاً من الكلام في درس الليلة.

إذن مستهل درسنا هذه القصيدة أهديها لكل عشاق الحبيب عليه الصلاة والسلام، لكل محبيه ولكل من يحضرنا من أهل الحضرة والنظرة، وإلى روح الحبيب محمد وآل بيته الكرام الطيبين، إلى الأنبياء

والمرسلين وملائكة الله أجمعين، وإلى أولياء الله الصالحين والشهداء والصدّيقين، هذه بضاعتي المزجاة أهديها إليهم وأقدّمها بين يدي جدي وحببي وسؤددي وسندي سيدي رسول الله، لعلي أنال بذلك نظرة الرضا، ويعفو الله عما مضى، ويلطف بعبده في القضا، سبحان الذي عدل فيما قضى، وفعل ما شاء فيما كان وفيما مضى، ويفعل ما يشاء فيما سيكون، سبحان الله عدد ما يبصرون وما لا يبصرون، عدد ما يعلمون وما لا يعلمون، عدد ما كان وما يكون، وعدد ما أدلج مُدلج إليه والقوم نائمون، وعدد ما سجد له الساجدون وسبّح المسبّحون، وعدد ما خلق الله سبحانه وتعالى ما بين كافٍ ونون.

"يا من لديه جميلُ العفو مأمولٌ \*\* وأمرُهُ في شؤون الخلق مفعولٌ

ووعده الحق إمّا شاء أظهره \*\* وحبْلُ سرّه في الأكوان موصولٌ

وعبده المصطفى محبوب حضرته \*\* باب القبول فمن يأتيه مقبولٌ

مؤبّد الفضل في تمكين منزلةٍ \*\* من ذا يُدانيه حيث الكلّ مفضولٌ

فخرُ النبوة بل فخرُ الوجود فمن \*\* يتبعه يسعد والمحرومُ مخذولٌ

صلّى عليه الذي أبداه في حُللٍ \*\* من الجمال فمن يلقاه مذهولٌ

أعطاه ما شاء من هديٍّ وموعظةٍ \*\* بحرُ المعارف عنه العلمُ منقولٌ

وكلّ ما خلق البارئ بقدرته \*\* تحت اللواء وسترُ العرش مَسدولٌ

فهو النبي الذي قد جاد باعْثُهُ \*\* فالجودُ والخيرُ من كَفْيِهِ مبدولٌ

محمدٌ سيّدُ الكونين من كَمَلَتْ \*\* فيه الصفات فدُرِّيٌّ ومكحولٌ

قد ضامني الشوق حتى صحتُ في لَهْفٍ \*\* بانَتْ سعاد فقلبي اليوم متبولٌ

مُتَيِّمٌ إثرها قد جنّ من شَغَفٍ \*\* يرجو الوصالَ وحالُ الصبر مفصولٌ

يبكي على ظلل الأحاباب في ألمٍ \*\* كم يَأْلُمُ الصبُّ والمُشتاقُ معلولٌ

نحو المدينة طار الوجدُ يحملني \*\* خلف العمام وفي نجوى الجوى طولٌ

كم حيرَ العشقُ أربابَ الغرامِ وكم \*\* قد هامَ من مُدَنفٍ والسرُّ مجهولُ  
لكن هُياميَ بالمُختارِ أعلمه \*\* والسرُّ مُنكشفٌ والحبُّ معسولُ  
عذبٌ وإن مرّةً مرَّ يَمُرُّ به \*\* يحلو على مُرِّه والمُرُّ مَرحولُ  
هادي العبادِ إلى نهجِ الرِشادِ فما \*\* أزكاهُ من طيبٍ والأصلُ مدلولُ  
فهو الذي أصلُهُ من خيرِ مَكْرَمَةٍ \*\* أجداده المجدُّ ضرغامٌ ومفتولُ  
في كلِّ أزمنة الدنيا لهم مددٌ \*\* جاهٌ يَعزُّ إلى المُختارِ منقولُ  
هم آلُ بيتِ حباهم ربهامِ كراماً \*\* المُخبِتون فِغَطْرِيفٍ وبُهلولُ  
أكرمِ بوالدهم من سيِّدِ ذرِبٍ \*\* حُلُو الشمائلِ بالتقديسِ مَشمولُ  
أكرمِ بآمنةٍ يا طيبِ آمنةٍ \*\* بالبشرِ ضامنةٍ والظهرُ منزلُ  
مَن كان ذا شرفٍ يزهو بِسُمعته \*\* في عزِّ حضرتها عن ذاك مَعزولُ  
إنّ الذي فَضَّلَ المُختارَ فَضَّلَها \*\* قد زاعَ عن فضلها ذا القالُ والقيْلُ  
الهاشميُّ له في هاشمٍ مددٌ \*\* في عبدٍ مُطلبٍ إذ أقبلَ الفيْلُ  
والناسُ في فزعٍ ترنو لمشيته \*\* من فوقه نزلت طيرٌ أبابيلُ  
ذا نور مولده من قبلِ ينصرُهُ \*\* مَن كان كَفَّرَه فهي الأباطيلُ  
سمّاه مُبتهجاً بالحمدِ تَوَجَّه \*\* وحيّاً من المُجتبى ما فيه تَدجيلُ  
أواه من كافلٍ للطفلِ يحضنه \*\* بالليلِ يُسكنه والقلبُ مَشمولُ  
يا سيِّداً بحمي البطحاءِ يا علماً \*\* يا سرَّ حيدرَةٍ بالمجدِ معدولُ  
فيكم وجدتُ دمي مُدكُنْتُ في العدمِ \*\* يا ثابتِ القدمِ إذ تضربُ الغولُ

دهماءُ فتنُّها في عصفِ قسوتها \*\* والله مُمتَحِنٌ والعبْدُ مسؤُولُ

هذا الرسولُ هنا والنفحُ مُتَّصِلٌ \*\* وهُدَى الإلهِ سرى عِلْمٌ وتَأْصِيلُ

إنَّ الرسولَ لنورٌ يُستضاءُ به \*\* مهتَدٌ من سيوفِ الله مسلُولُ

مَنْ رُوجُه كَمُلَتْ فوق النساءِ لها \*\* في كلِّ منزلةٍ فضلٌ وتبجيلُ

في طبعها جَلَدٌ في أنسها سَنَدٌ \*\* في بيتها مَدَدٌ وحيٌّ وتنزيلُ

مَنْ بنته أُمَّنا الزهراءُ فاطمةٌ \*\* مَنْ مثلُ فاطمةٍ في سرِّها قولوا

هي بنتُ مَنْ ولِمَنْ قد زُفَّ هودجها \*\* هي أُمُّ مَنْ وبِمَنْ قد شُرِّفَ الجيلُ

مِنْ سرِّ والدها مِنْ أُمَّها شبيهاً \*\* حوراءُ في شأنها قد حارَ جبريلُ

يرضى الإلهُ إذا ترضى وإنْ غَضِبَتْ \*\* فالله يَنْصُرُها والخصمُ مغلولُ

هذا وبعْلُها مَنْ تَمَّتْ مكارمُه \*\* فهو الإمام وما في الأمرِ تَبْدِيلُ

هذا عليٌّ وذا سِبْطٌ وذا وَلَدٌ \*\* ابنُ النبي فما أَرْكَاهُ تمثيلُ

ربي سألتك بالمُختارِ سيدنا \*\* والآلِ قادتنا عُرَّ قناديلُ

إكشِفْ كروبنا يا قيومُ واهدِ لنا \*\* هدياً نؤوب به فالقلبُ مكبولُ"

والحمد لله، صلوا على رسول الله، أرجو أن هذا القصيد لمس قلوبكم ولامس عقولكم وأرواحكم، قصيدة ثقيلة في الميزان ولفظها صعب ومرتقاها صعب، ولعلي أزيد فيها، كثير من الأبيات إرتجلتهم الآن الحمد لله، فهذا بعض مما أعطانا الذي أعطى ما شاء.

## ليل سيدنا يونس

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي نزل على عبده الكتاب ولم يجعل له **عوجاً**، الذي فرض **شرعاً** وسلك **ونهجاً**، والذي أسرى بنبيه صلى الله عليه وسلم **وعرجاً**، والذي أنزل من **المُعصرات** ماءً **ثججاً**، والذي أتى أنبياءه براهين **وحججاً**، والذي أدخل العاشقين **بحراً لجاجاً**، ولم يجعل الصادقين في مقام الجدل وكان الإنسان أكثر شيئاً **جدلاً**، وكان معانداً **لجاجاً**.

الحمد لله كما ينبغي الحمد لله، والحمد لله حق الحمد لله، والحمد لله عدد الحمد لله، بكل محامد الله، ما علمناه وما لم نعلم، والحمد لله على حقيقة وخير ما سيدنا محمد يعلم، والحمد لله الذي هدى بهذا النبي، والحمد لله الذي أوصل إليه قلوب العاشقين، ووصل به عروة المتقين، وجعله إمام المؤمنين الواثقين ومعراج أهل اليقين. فصلى عليه من سرادقات قدسه، وثى بملائكة قدسه، وفرض ذلك على من اجتبى من جنه وإنسه، فاللهم صلّ عليه واهدِ السلام منا إليه ودلنا يا رب عليه وأوصلنا يا رب إليه، رسولنا النبي الأمي الهاشمي سيدنا محمد.

أحبابنا الكرام السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، ونحن في هذا الليل المونس ليل سيدنا يونس، **في مثل هذه الليلة ألقى يونس في بطن الحوت**، ولم يكن ذلك في عاشوراء كما ظنّ الظانون (أو ينجو في عاشوراء). وفي مثل هذه الليلة في ظلمات ثلاث كان ينجي موله، وكان يدعو الله ويسبح لله، وقد طال عليه الوقت، وأتاه الشيطان بالحدق والمقت، يقول له "إنّ ربك تخلى عنك وسلب السرّ منك". في ظلمات فوقها ظلمات، بحر تعلقوا **أمواجه**، وعسر يصعب **انبعاجه**، **مُتّسع مُفترق**، **تعرّس على من رتق**، في **ظلمة المطلق المطلق**، حيث يحار الفهم **والمنطق**، **ظلمة بحر لجي**، **وظلمة ليل دجي**، **وظلمة حزن قلب نجي**، **وظلمة حوت** يسعى به في **ظلام الملكوت**. فتجلّى عليه وقد **خفّت الصوت**، **وفات الفوت**، **واقترّب ملك الموت**، **تجلّى عليه حي لا يموت**، **بإشراقه نوره في ظلمة بطن الحوت**، **ناجاه فناداه فقيض الله له لساناً ناطقاً، وقلباً واثقاً، فنادى في الظلمات أن "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، لا إله إلا أنت سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي" ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.**

وما أشبه الأمس باليوم، هذه ظلمات وقتنا، وهذه ظلمة البلاء الذي أحاط بالإنسان وبأمة المصطفى، فإن لم يكن بلاء فتنة شرّ، كان بلاء رخاء ونسيان، ولكنّ المؤنس في الأمر: ذلك النداء، أن "لا إله إلا أنت سبحانك".

هذه الليلة ليلة سيدنا يونس، يسعى سرّها من المدينة إلى تونس، وإلى كلّ مكان فيه لله مكين ذو مكانة، هذه ليلة من ليالي العتق من الظلمات.

### ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾

والعشر الأواخر إذ أقسم ربنا فقال ﴿وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾، كل ليلة لها مجلى:

1. فليلة بسط تُبسط فيها الأرزاق وتُعتق فيها الأعناق
2. وليلة قبض تُقبض فيها الذنوب وتُمحى فيها العيوب
3. وليلة ستر يستر الله فيها على أحبّابه ويلقي ستره على المقرّبين من جنبه
4. وليلة كشف يكشف الله فيها الغطاء ويهب فيها العطاء ويفرّج فيها من البلاء
5. ليلة جذب يجذب الله فيها قلوب العاشقين جذبة الخضر من قبل لعرش بلقيس أمام سليمان قبل أن يرتدّ إليه طرفه
6. وليلة إرسال يرسل الله فيها الملائكة المرسلات عرفاء، تنزل بأمر ربها ملائكة وروحاً، من كلّ أمر
7. ليلة إشفاء الصدر ووقاية الغدر وطلعة البدر ليلة القدر
8. وليلة "لا إله إلا الله" لا يُسمع في ملكوت الله إلا ذلك، فترى الملائكة قد وضعت أجنحتها من العرش إلى الفرش، من حملة عرش الرحمن إلى كلّ ملك وُكّل بإنس أو جان أو ملك أحاط بكيد شيطان، كل ملائكة العوالم في ليلة من ليالي العشر الأواخر في ذلك البحر الزاخر تتنادى بـ "لا إله إلا الله". يجتمع الأنبياء ويحضر الأولياء ويدنو أهل الكساء، ويعطف رب الأرض والسماء، ويكشف سوء عمّن يُساء، ويحقن الله الدماء، ويفعل ما شاء، ويتعالى البكاء، ويلطف ربنا في القضاء، ويشفى كل مريض من كل داء، ويُمنح النُجباء ويُعتق الرُقباء، وتتجلى الأسماء على مجالي الأسماء.. نعم! ليلة "لا إله إلا الله"، ليلة النفي والإثبات، والعفو والمحو والإنبات، ليلة ترى فيها أرض القلوب هامدة، فيُنزل الله عليها ماء العفو، فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج.
9. وليلة "لا إله إلا أنت" وهي ذي الليلة، ليلة مناجاة الذات ومجالي الصفات، ليلة العفو، ليلة "اللهم إنك عفوٌ تحب العفو فاعفُ عني"، ليلة النظر إلى وجه الجميل

ليلة:

"دع جمال الوجه يظهر \*\* لا تُعْطِي يا حبيبي

طول ليلي فيك أسهر \*\* زاد شوقي ونحبي"

ليلة:

"أوميضُ بَرَقِ بالأبيريِّ لاحاً \*\* أم في رُبا نجدِ أرى مصباحاً

أم تلك ليلي العامرية أسفرت \*\* ليلاً فصيرت المساء صباحاً"

ليلة المنح والإمتاح، ليلة الذكر والأمداح، ليلة تجلّيه على من يولّيه، ليلة تجلّيه على من بادر بتخلّيه فبادر إليه بتخلّيه، ليلة من يُغلبه ومن يُعلّيه ومن يحب محمداً ويواليه، هذه ليلة عظيمة

ليلة:

"أتاني زماني بما أرتضي \*\* فبالله يا ليلُ لا تنقضي

ويا ليلةً الوصلِ دومي لنا \*\* فإنّ الحبيبَ علينا رضى"

ليلة الخيرات والبركات، ليلة الأسرار والأنوار، ليلة كشف الستار

ليتنا هذه ليلة السرّ الواقف والإمام الباقر، لكل إمام ليلة من تلك الليالي، لكل نبي ليلة: يونس والباقر.

ولكل وليّ ليلة، وهذه الليلة لصاحب القلب الذرب الواعي والعهد الراعي والبذل الساعي والنور والشعاع: أحمد الرفاعي.

وهذا كلام لا يطيقه ضعاف القلوب، من غلبت عليهم الذنوب، واسودّت في وجوههم الدروب، فما فهموا المقصود والمطلوب، ولا أحاطوا بالمرغوب، ولا حُظّوا بنظرة من ذلك المحبوب. فكلامنا موجه لمن لهم هذه النظرة، وهذا سُكرنا وفكرنا في حضرة آبائنا وأجدادنا، فإني أنوب عنهم نوبة من أخذ السر منهم، وأنوب عنهم نوبة الحق بالحق، نوبة أنا بها من غيري أحق، فالحمد لله على ذلك وهو أهل لكل ذلك.

10. فهذه الليلة تعقبها ليلة "لا إله إلا هو"، وليلة "لا إله إلا هو" هي ليلة شهادة الحق بالحق من الحق على الحق وعلى ما هو به أحق.

معنى "لا إله إلا الله"

فنرجع معكم إلى معنى "لا إله إلا الله":

- "لا" هذه نافية، وقد تعني عكس ذلك، ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّىٰ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ تنفي، ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ تؤكد، أي لأقسمن بيوم القيامة. فـ "لا إله" من قالها كفر.

- "الإله": الحاكم في ملكوت الحكم أو القادر الذي لا يُقدر عليه أو صاحب السطوة. فإذا تعلقت بالله فهو القادر الذي لا يُقدر عليه، والحُرّ في موازين الحكم، المبدئ المعيد، الخالق القادر.

وإذا نُحلت إلى غيره: المتسلط المتحكّم، ﴿أَأَلِّهِهُ مَعَ اللَّهِ﴾ أو ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَيَّ عِلْمٌ﴾ فنسب الله نِحلة إسم الإله إلى ما يظنه ذلك العبد مسيطراً عليه، أي من سيطر عليه الهوى حتى صار لا يعصي له أمراً، فجعل الله نِحلة اللفظ دون مزية اللفظ.

كذلك:

- ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى الْنَّارِ﴾ نحل لفظ إمامة
- أو ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ نحل لفظ البشارة على غير معناه
- أو ﴿فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ نحل لفظ الهداية إلى غير معناه

فهناك المعنى الأصلي، وهنالك نحل المعنى، النِحلة المعنوية. وهذا في علمنا في علوم اللغة العربية والحمد لله.

فـ "إله": هو الخالق سبحانه لا إله بعده ولا سواه. وأخر الله ابتلى الخلق وبعض الناس أن يظنوا الشمس إلهاً وهبل إلهاً وبعل إلهاً ونسراً إلهاً وبعض الطواطم إلهاً، حتى يكون أسفّ هذه الآلهة وأرذلهم: الهوى. ومن آله شيئاً أطاعه، فإبليس تألّفت عليه نفسه ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾، وفرعون

تألّفت عليه أنه **﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾**، لذلك الله يقول **﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ﴾** النفس تشحّ عليك بأن ترى الإله الحق.

وكم من عابد إله هواه **﴿أَفَمَنْ رُزِنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾** **﴿وَإِذْ رَزَيْنَا لَهُمُ الشَّيْطَانَ أَعْمَلَهُمْ﴾** **﴿كَذَلِكَ رَزَيْنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾** تزيين

- غير الزينة التي فرض الله: **﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾** **﴿يَبْنِي آدَمَ خُدُوعًا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾** **﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾**
- وغير الزينة التي تكون خديعة: **﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحَشِّرَ النَّاسُ صُحَى﴾**
- وغير الزينة التي تزول: **﴿أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَأُزِّيَّتَتْ﴾**
- وغير ذلك كثير في هذه المعاني.

ف "إلا إله" نفي، من وقف دونه هلك إما أُلحد أو جحد، أو قال "إله" وأضاف المعية **﴿أَءَلَنَّا مَعَ اللَّهِ﴾**. فمن وقف عند حدّ اللا-إله نفيًا مطلقاً كان من الكافرين الملحدين، ومن وأضاف المعية مع الله كان من المشركين.

- "إلا": أما من نفى ثم أثبت لله ما هو لله بـ "إلا" الإستثنائية، والتي كتبنا فيها كتاباً إسمه "كتاب إلا" وقلنا في مستهلّه:

"إلا" باب صغير مفتوح في باب كبير مغلق إلا في قولنا "لا إله إلا الله"

فكلّ إنسان في خسر، وكلّ إنسان كان في أحسن تقويم ورُدَّ إلى أسفل السافلين، وكلّ من قال كلمة الكفر كافر، وكلّ الشعراء يتبعهم الغاؤون، إلا..

- إنّ الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا
- أسفل سافلين، إلا الذين آمنوا
- الشعراء يتبعهم الغاؤون، إلا الذين آمنوا
- من كفر بالله من بعد إيمانه، إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان

فالأصل باب كبير مغلق: كل إنسان في خسر، أحسن تقويم ثم أسفل سافلين، إلا..

بينما لما نعكسها في "لا إله إلا الله"

• "لا إله": باب صغير مغلق

• "إلا الله": باب كبير مفتوح

فلا يُعكس المعنى إلا في هذا المعنى.

ولا تجد أيها السامع العزيز شيئاً من هذا في كتاب آخر، فمن رام أن يتكلم أنه حفيد النبي ووارث النبي ويُجلي نور النبي فليأتنا بهذا العلم أو هو دعيّ، وليستنطق الباقر والكاظم والصادق وليأتي بالبرهان الصادق، وإلا فليصمت لأنّ الإمام علي قال: "تكلم كي نعرفك"، والنبي قال: "المرء بين أصغريه: قلبه ولسانه". وهذا الدين علم، وهذه الوراثة علم، وهذا النبي أتى بالعلم، وحرّر الناس من جمود الحجر ومن استعلاء البشر ومن قلة النظر ومن عماء البصر، والحمد لله الذي على ذلك قدر، وكتب ذلك في لوح القدر. وهذا ليس سجعاً فقط، هذا علم وفيض، وغيض من فيض، فيملاً قلب الحاقد غيظاً، ونفيض بذلك فيضاً، ونزيد عليه من زيادة الحسنى أيضاً، فالحمد لله على ذلك.

إذن من قام تحت "لا إله" جاحد ملحد، ومن أضاف المعية -فكما قال الله ﴿أَءَلِهَةٌ مَعَ اللَّهِ﴾- مشرك، ومن وقف بين النفي والإثبات أنبت الله له أحسن النبات فقال: "لا إله إلا الله".

- "لا إله إلا الله": وهذا قياس منطقي فلسفي ونظر منهجي علمي، إذ أنّ الله أودع في وجوده أدلة على وجوده، بما أنّ ذات ربنا مُستعصية عن الأفهام لا تُدرَك بالأوهام، وبما أنّ ربنا لا يُرى بالعين ولا يُقاس بالتجربة ولا يُحاط به ولا يُتمثل تمثلاً ولا يشابه الموجودات ولا يُماثل المحسوسات، وليس له شيء مما أودع في الشيء، فلا جهة تحدّ ولا مكان ولا حيث ولا أين، ولا زمن يحويه ولا مكان يطويه، ولا نظير ولا شريك ولا شبيه، ولا شيء من خلقه يحلّ فيه.

وبما أنّ الأمر استعصى عن كل فهم واستعصى عن صاحب العلم أو الوهم، جعل الله لنا من مجريات الصفات ما فيه إثبات وجود الذات، أي:

• ترى في إشراق الشمس: قدرته

• وترى في الإعصار: جبروته

- وترى في قطر الندى: رحمته
- وترى وتسمع في ضحكة الرضيع: ما يكون له من أمر بديع
- وترى في الأزهار وجمالها وفي الأرض وجبالها والأشجار وفيها وظلالها وفي الأرواح التي تسري في الأجساد وما فيها من أنوار كمالها وما يسري من خلالها: دليل على مُبديها وخالقها والعليم بحالها، والقادر على إيصالها وإظهارها وإبطالها، محييا ومميتها، مبديها ومخفيها
- ترى في الأموات وما خفتت من الأصوات: دليلاً على أنّ الله حيّ لا يموت
- وترى في الأحياء وأرزاقهم وأعمارهم وما في أعناقهم: قدرة الله الذي أحصى كل شيء عددا ﴿مَّا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً﴾

لذلك قيل:

"فيا عجباً كيف يُعصى الإله \*\* أو كيف يجحده الجاحد

وفي كل شيء له آية \*\* تدلُّ على أنه واحد"

أريد أن أسوق التحية إلى أحد أحبائي في العالم الروحي، لم يجمع الله بيني وبينه ولم ترى عيني عينه، الإمام الشعراوي، ونحن بحمد الله نُكمل ما بدأ في تفسير كتاب الله على ما يليق بوقتنا، وتجدون أنّ حالي من حاله الآن، فله حضرة معنا الليلة، فحيّا الله روح الإمام الشعراوي.

ومن أراد أن يتكلم عن نوبة الأرواح، فليسكب الراح وليسقي في الأقداح، وليوقد المصباح ويدعو إلى الفلاح، ويأتي بالأمر المباح والسرّ المتاح، وإلا فقد حُقّ عليه النواح، وأحاط به كلب ذو نباح، أما البدر وقد علينا لاج، وقد أعظم الإمتاح، وغرّد بجواره المدّاح، فأتى بسرّاً يا فتّاح، هذا النبي محمد يا عالم، نعم له مجالي ومعاني، فصلى الله عليه ونظر بالحب إليه.

قلنا:

"الله في الخلق سرٌّ جلّ معناه \*\* فانظر بقلبك تُبصر كيف جلّاه

في كل شيء براه الله مُقتدرًا \*\* صوتٌ يقول: أنا قد صاغني الله"

ذيل الطاووس ينبئ أنّ من زينه ولونه وكونه، وكتب سرّه فدونه وعنونه، وأعطاه ما أعطاه من إبداء الألوان، وزهو يزهو به على الأكوان: حيّ قيوم ديان.

وهذه الأزهار المتمايلة المتحايلة على الريح، لها في جمالها تلميح وتصريح، فتلميحها أنّ محبوبها رحيم، وتصريحها أنّ خالقها عظيم.

وهذا النداء إذ بدأ، على خد زهرة فشداء، وأصبح عاشقاً ثم غدا، ينادي بصوته الشادي البادي: حيّ على درب الهادي وحيّ على الوداد، ويغرد ويرتل: ﴿أَيْحَسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكُ نُطْقَهُ مِّنْ مَّيِّ يُمَنِّي﴾.

فجعلنا الله وإياكم ممن يأخذ كتابه باليمنى، وبكل يسر وخير يُمنى، ويزيدنا ربنا بركةً ويُمننا، وفي كل "يمنى" معنى غير التي في "يمنى"، فمن كان قد ورث النبي فليأتي بها متشابهاً ﴿وَأَتُوا بِهِ مْتَشَبِهَا﴾ ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، بالصلاة والسلام على رسول الله.

الباب الأول "لا إله إلا الله"، قوم فعلوا خيراً فعلوا، الله ذكر هؤلاء القوم ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾، قال ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾. ما معنى الذكر يا أحباب؟ الذكر أنك تعلم عظمة الذي تذكره، وتعلم قداسة الذي تذكره، وتعلم سرّ الذي تذكره، أو تستجلي ذلك أو تستكنه ذلك أو تحاول ذلك، فإن لم تُحط بهذه العظمة فاعلم أنّ الله أعظم مما تعلم.

فهذه المعاني أنه لا إله إلا الله.

- "الله": إسم ذات الله لم يُطلق على غيره ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.

"الله" معناها: القدرة المطلقة الكاملة ضمن المجلى.

وأما معناها الذاتي فلا نستطيع أن نحيط به: لماذا سمى نفسه الله، هل من التأله والسيطرة المطلقة؟ هل من التأليه أي التقديس؟ هل من الألوهية أي الخلق والديمومة؟ وغير ذلك كثير.. فهو الله، معنى مطلسم ﴿هُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ﴿فَكَلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾.

﴿أَقْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ الرب هو المربّي، هو المحيط، الحرّ في موازين مُلكه.

"لا إله إلا أنت" و "لا إله إلا هو"

باب "لا إله إلا أنت" باب مجلى، تجلى، تجلى ربنا على سيدنا يونس فشهد النظرة فقال "لا إله إلا أنت".

فالذين يقولون "لا إله إلا الله" هم **العارفون بالله**، نظروا في كل شيء فأبدى لهم كل شيء أن الله حق ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾. وأما "لا إله إلا أنت": باب **العارفين عن الله**، أي تجلى الله عليهم سبحانه وتعالى ونظر إليهم فعرفوا كل شيء بالله، فهم لا يرون إلا بالله حيثما نظروا. أما العارفون بالله لا يرون إلا الله حيثما نظروا. ليس في ذلك تجسيد ووحدة وجود، إنما أي يرون دليل وجود الله، عندما نقول "لا يرون إلا الله" أي أنه إذا رأى المخلوق رأى من وراء ذلك الخالق، يقول ربنا ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ الأثر هو البصمة، أن الله له بصمة في وجوده، وهذه إنعامات الله على خلقه، نعمة الوجود ونعمة الشهود ونعمة معرفة المعبود.

وأما "لا إله إلا هو": فإن القوم الذين أشهدوا المشهد، وكل صادق منهم يشهد، أتوا من حضرة قدسه ومجالس أنسه، فشهدوا بما شهد الله به لنفسه. **فهي الشهادة الأولى، قبل "لا إله إلا الله" وقبل "لا إله إلا أنت" كانت "لا إله إلا هو"، هي الأقدم، لماذا؟**

لأن "لا إله إلا الله" قالها قوم في عالم الفناء، كتب الله في هذا العالم أن يتخذ دونه إلهاً، إمتحاناً. ف "لا إله إلا الله" بمعناها هذا الدنيوي لا تليق بالسماء، حتى المَلَك لما يقول "لا إله إلا الله" ناظراً إلى من يعبد سواه ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾، أما الحضرة الأصلية قبل هذا العالم الفاني كان فيها الله، الله! لم يخطر على بال مَلَك قط أن يتخذ أحد دون الله، لأنهم يعرفون الله، ولكن الله امتحن بذلك خلقه.

و "لا إله إلا أنت" هذه كانت بعد إشهد الشاهدين عليه، الناظرين به إليه، قامت في قيومية الأرواح، وقامت في قيومية الأشباح، قامت عند يونس في الدنيا، وقامت عند النبي محمد في الآخرة والدنيا وقبل الدنيا، وقامت عندنا جميعاً دون أن نذكر ذلك إذ تجلى علينا وقال ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ فقلنا بلى، فكانت "لا إله إلا أنت"، لذلك لما ناجى موسى قال ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاحْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾.

أما "لا إله إلا هو" فهي أقدم. هل لدي دليل؟ هل يمكن لو أوقف الدرس الآن ويجلس مكاني أدعياء الإرث المحمدي والنسب المحمدي وأدعياء أنهم أبدال وأقطاب ويجعلونك ترى النور وترى العرش أن يكمل الدرس وأن يأتينا بدليل على أن "لا إله إلا هو" أقدم؟ هذا أنا نفسي لم أكن أعلمه قبل هذه اللحظة لأنه هذا نفح، سلام على الباقر وعلى أولاده وآبائه.

لأنّ "لا إله إلا هو" وردت في مقام عظيم: فقبل خلق الخلق، شهد ربنا بذاته لذاته، وشهد بصفاته على عظيم صفاته، نظر في مشكاة الذات وتجلي على المرأة، فقال:

"ما أعظمني ما أكرمني ما أرحمني

أنا الأول الآخر الظاهر الباطن

أنا الحي

أنا الفرد أنا الصمد

أنا القيوم أنا العظيم"

وهذا سيأتي يوم كل شيء هالك إلا وجهه، سيأتي يوم لا يقوم قائم، ولا يدوم سواه دائم، "ألا كل شيء ما خلا الله زائل" كما قال لبيد وكان النبي يقول أصدق ما قال الشعراء، يأتي يوم تكون الملائكة في حال الصعق وتكون الأرواح في حال الصعق ويُجلى صاحب العرش نوره على الفرش، وينادي:

"أين الملوك أنا الملك؟"

أين الأحياء أنا الحي؟"

قبل أن يُنفخ في الناس فيقومون من الأحداث إلى ربهم ينسلون، ويأتي الله وملائكته صفاءً صفاءً في ظلل من الغمام، ويحمل عرش الله \*ثمانية\*، ولو قال "الثمانية" لكانوا ثمانية، ولكن "ثمانية" رمزاً لواحد اسمه ثمانية، حمّال العرش الواحد. لأنه لو قال بإضافة "ثمانية ملائكة" أو قال "جاء الثمانية" ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾، أما "ثمانية" هكذا ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ هذا سرّ عظيم: اللانهائي، الذي أعطاه القوة الكبرى. نعم حملة العرش كثر، ولكن في مشهد ذلك اليوم مشهد وحدانية وفردانية، فحامل عرش، وواقف بجوار عرش (وهو الحبيب محمد).

ولا يحتاج ربنا إلى العرش، العرش يا أحباب ليس كما قال الأحباب الأشاعرة: "الإستواء قهر وسيطرة، تملك" معاني تطوف بهذا.. ولا يكون هذا القهر والاستحواذ والتملك إلا بقهر سابق ومنع لاحق! إنما الإستواء هو التجلي، تجلى على العرش بنور لا يتحمله الفرش، وليس ربنا بجالس على عرش أو محتاج له. وشأن نبينا شأن عظيم، في مقام الحب فهو الأحب، **إن كان العرش عليه عظمة التجلي، فإن محمداً عليه عظمة المجلي، نعم نعم.**

فالله سبحانه وتعالى قبل خلق الخلق شهد لذاته وقال أنه "لا إله إلا -لم يقل \*أنا\* بل قال- هو". من عجيب الوصف، كأن الله سبحانه وتعالى نظر إلى ذاته من مسافة نظرية (وليس مسافة مادية)، أي الله وضع أمامه (من معنى من معاني أمامه، ليس كما نعرف)، أي الله سبحانه وتعالى شهد لنفسه بنفسه بالعظمة بالجلال بالجمال، فقال ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.

﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ ثم بعد ذلك خلق من يشهدون معه مشروع الخلق "كنت كنزاً مخفياً فخلقت الخلق لأعرف"، فشهد الملائكة كلهم قالوا "لا إله إلا هو". لماذا "هو"؟ لأنه ضمير مستتر، لأنه مستتر! "أنت": ضمير الناظر الشاهد الذي يرى، لأنه يُشهد ويُرى على حسب القلب لا على حسب البصر، بل بالبصيرة، فتغيير المقام تغيير عجيب!

ثم قال ﴿وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾: أولوا العلم لا تُحصر أيها الأحباب في عالمنا نحن، ألم يكن نبينا محمد من أولي العلم في السماء قبل الدنيا؟ ألم يأت عيسى بالعلم وقد كان رضيعاً عمره ساعة فقال "أنا عبد الله" يتكلم عن علم؟ ألم يُناجي أمه من تحتها عن علم أن ﴿وَهَرِّيْ إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَلِّطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾؟ إذاً ثمة علم، فالأرواح عالمة والأنفس ظالمة.

### الأنوار الربانية وعلم المشكاة

فهذه الليلة ليلة "لا إله إلا أنت"، واللييلة القادمة ليلة "لا إله إلا هو"، يا هو، يا هو. ليلة "لا إله إلا أنت" تعقب دائماً ليلة القدر. ليلة القدر تسمى ليلة الشأن ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾، ليلة الأنوار الفردانية التي تنجلي مرة ولا تنجلي مرة أخرى.

الله له أنوار كثيرة، من بينها:

- الأنوار القيومية
- أنوار تتخلل الأشياء
- أنوار اللطف التي تحمي الأشياء، نور لطف الله هو الذي يحمي الذرة وداخلها، يحمي الشمس أن تأكل بعضها، لما يسحب نور اللطف النجوم تنهاوى
- نور الحمد الساري في لسان الأشياء، نور التسبيح ﴿وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾، الحمد والتسبيح مُقترنان ﴿يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾.
- نور الصمدانية
- نور القهر والجلال
- نور المميت يميت، نور الحي يحيي

لذلك لما كان الخضر من أصحاب أقانيم نور الحي وماء الحياة، كانت علامة معرفة مكانه أن يرجع الحوت حياً، وأن يشهد يوشع ذلك فأنساه الشيطان، كان الشيطان حاضراً معه فبث طاقة في يوشع فنسي، من حكمة الله سمح الله له بذلك. فلما بعد ذلك أن لقياً من سفرهما نصباً، قال: الحوت لقد تركته. لأن العلم حياة، والله آتاه رحمةً وعلماً يحيي به ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾. الذي يتكلم عن النور اليوم يقول "تعال أريك النور"، والله ما يعرف علم النور، علم المشكاة، وأن لكل نور ظلمة من نوعه.

الأنوار الفردانية اسمها أنوار الشآن، هذه تنجلي مرة ولا تنجلي مرة ثانية أبداً. فالملائكة قائمون، كل يوم حملة العرش والملائكة ينتظرون ذلك المشهد، كإشراقه شمس لا تتكرر، كبصمة إلهية رحمانية لا مثل لها ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾، من بين معاني الشآن هذا النور الفردي، ولها معاني أخرى. كل يوم هو في شآن: عبد يهديه وقد يُست الملائكة منه، وعبد يضلّه وقد نبعت الهداية عنه، عبد يحييه وآخر يميته، عبد يغنيه وآخر يفقره، عبد يجبر كسره وعبد يكسر ظهره، عبد يعسره وعبد يوسره، روح يطلقها وروح يعتقها وروح يخلقها، يخلق ما يشاء يستمر في الخلق.

لذلك الذين ظنوا أنّ القرآن نزل دفعة واحدة في السماء الدنيا، كأنما حصروا الله أن لم يفعل ولا يفعل! أليس الله يستجيب؟ ألم يخلق آدم طيناً؟ ألم يكتب الألواح في التوراة لموسى؟ فالله له حياة وتفاعلية ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾، وله صمدانية ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾. والفرق بين المقامين: "إن تنصروا الله ينصركم" تنصروه مجازاً بإبداء شيء مما أعطاكم،

وينصركم حقيقة، فهذا يتجلى باسمه الودود، أما لما يتجلى باسمه الجبار ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾.

فلك مع ربك مقامان: مقام جلال، يسجد جبريل والنملة كلاهما عبدان لله ﴿وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾. أما مقام الدلال يجوز فيه الدلال تتدل كما تريد، بسط محبة ﴿لَعَمْرُكَ﴾ ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ يا سلام أعظم المدللين سيدنا محمد. أما في مقام الجلال ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾. لما لا تفهم المقامات ومدارات الكلمات لن تفهم القرآن.

فلذلك هذه الأنوار كثيرة، علم المشكاة يحتوي في المجمل 99 نوراً على عدد الأسماء، ثم 70 نوراً على عدد تجليات الإسم المفرد "الله".

فنور الرحمانية هو نور الله الذي جعله من قبل أن يخلق الخلق، فالرحمن إسمه المتعلق بذاته دون حاجة لمخلوقاته، فهو الرحمن أمدأ وأبدأ. لذلك قال ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ ولم يقل "الرحيم"، ولذلك لما نسب الملائكة إليه نسبهم لإسمه الرحمن ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنْتُمْ أَشْهُدُوا خَلَقَهُمْ سَتَكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ وقال ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾. أما الرحيمية فمستوجبة لوجود مرحومين، فنور الرحيمية متصل بالخلق ونور الرحمانية متصل بالله، وما بينهما الرحمة المهداة محمد. لذلك قال ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ولم يقل "رؤوف رحمن"، لذلك أعطى منها للنبي ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ولم يقل "رؤوف رحمن".

فأسماء فردانية لا يشاركه فيها أحد، مثل "الأحد". والفرق بين "الأحد" و "الواحد" أنّ الواحد قابل للقسمة والتثنية والمضاعفة والتتابعية، فواحد مع واحد إثنان، ويُقسم إلى نصفه، ويمكن أن يزال بأن يكون واحد إلا واحد فيكون صفراً، ويمكن أن يتناثر ويتكاثر فيكون لا نهائي، ويمكن أن يُجمع ويمكن أن يُضرب. أما الأحد فهو الذي لا يُجمع ولا يُقسم ولا يُثنى ولا يزول ولا ينقلب صفراً ولا يتعدّد، لا إله إلا هو، فهو الأحد دائماً أبداً، هو الرقم الإلهي الصمداني.

## بين سرّ "أحمد" و "محمد"

فأتى باسمه الأحد:

- ألفها استواؤه
- حاؤها احتواؤه
- دالها ديمومته
- فتحة الألف استواؤه الكامل
- وفتحة الحاء أنه بكل شيء محيط ولا يحاط به
- وأما الضمّتان فهما شهادة وغيب أو أمد وأزل، وأما السكون فهو سكون كل شيء لديه وسكونه بين يديه، "أَحَدٌ" أو "أَحَدٌ".

فأتى من قبل الخلق بين ألف استوائه وحاء احتوائه ودال ديمومته بميم ماء الحياة ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾، فأتى بميم ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾، بميم من عنده علم الكتاب، بميم الأسماء، بميم الماء، فجعلها بين ألف الاستواء وحاء الاحتواء ودال الديمومة، فكان "أحمد".

- فالألف استواء سرّه عند ربه
- والحاء احتواؤه لكل الفضائل والشمائل
- والميم أنه صاحب المنزلة الأعظم، ميم ماء الحياة
- والدال ديمومته عند ربه.

فكان أول من حمده الله وكان أول من حمد الله، فتحامدا فبلغ الحمد كماله، فأعطاه لواء الحمد.

فلما أراد أن يبشّر الأرواح به قال عيسى ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ ولم يقل "محمد"، لأنه إسمه الروحي والذي قال ربه ﴿وَأَنَا أَوْلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ وقال فيه سيدنا محمد "كنت نبياً وآدم منجدل بين الماء والطين".

﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ أي: من سرّ روح محمد، فوضع يده على ذلك الطين فإذا به ناطقاً مع الناطقين وحيّاً مع الأحياء لا مع الميتين. فروح آدم أحمدية وطينة محمد آدمية. فحُقّ له بهذه الروح أن تسجد له ملائكة السبوح، أما محمد والعالون فلم يسجدوا، فقال الله لإبليس ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾

الذين لم يؤمروا بالسجود. بل آدم أولى بالسجود لمحمد كما سجد يعقوب ليوسف ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى  
الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ أليس كذلك؟

فأين أنت يا من تدّعي الأنوار والأسرار من هذا؟

"كذبت على ليلي وإنك مُدّعي \*\* ما نلت يوماً من وصالها فهي معي"

"سوانا يدّعي وصلاً بليلى \*\* وليلى عندنا ترجو الوصال"

فلما أن أذن الله للزمان أن يدور دورته، وقال ﴿وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّجْدَيْنِ﴾ فنقل النطفة التي انتقلت إلى آدم  
وحواء فهابيل فشيث فنوح ﴿وَإِنَّ مِنْ شَيْعَتِهِ لِبِرَاهِيمَ﴾ فإبراهيم فإسماعيل فعدنان فهاشم فعبد  
المطلب فعبد الله، إلى الصدفّة المطهّرة "أنا خيار من خيار من خيار" "ما اختار الله بين شعبتين إلا كنت  
في أفضلهما" "ما لي أسمع قوماً يتكلمون في والدي؟ أي خير من آبائكم وأمي خير من أمهاتكم" إجتباهم  
في عالم الأرواح بسابق إسعاده. كما أسعد بالسابقة خديجة لتكون زوجته، وزوج مريم قبل ذلك له. وبما  
أن النبي يحقّ لبعض أزواجه الزواج قبله ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ  
حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ فحقّ لهنّ الزواج قبله ولا يحقّ لهنّ بعده، قال النبي "ألم  
تعلمي يا خديجة أن الله زوجني مريم في السماء"، فلم يؤت لمريم أن تتزوج في الدنيا، فأتاها الولد بلا أب،  
فهو في الدنيا ابن مريم وفي السماء ابن محمد، لذلك يرثه في دينه مع المهدي، نعم.

ولما أن أذن الله للنطفة المطهّرة في الرحم المطهّر أن تقوم قيامة القائم عن ذاته بذاته بعد أن قام قبله  
الأوصياء يحملون سرّه، فكانت عظمة سرّه مانعة أن يؤتوا النبوة قبله من إسماعيل، بينما أبناء إسحاق  
ويعقوب أوتوها مبشرين به، فكان أولئك من أبناء إسحاق أنبياء، وكان أبناء إسماعيل أوصياء لهم مقام  
الأنبياء، لذلك قال في علي "أنت مني بمنزلة هارون إلا أنه لا نبي بعدي" فعلي وصي في مقام نبي، وقال  
"أولياء أمي كأنبياء بني إسرائيل" لهم المقام.

لما أذن الله -انظر للحروف كيف تشكّلت- أذن لأحمد أن يحلّ في جسد محمد:

- فانطوت الألف الإستوائية في ميم الأمومة الدنيوية، فكانت ميماً مضمومة، ضُمّ في بطن أمه وضُمّ في سرّ أبيه، فتحمل الميم الأولى موعده ومولده. وكانت مضمومة بضمه في سرّ والديه وكافليه.
- ثم جاء بحاء الحياة ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾، بحاء الحب ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، جاء بحاء إنزال الأعلى إلى الأدنى: القرآن والأنوار إلى الدنيا. وكانت منفتحة بفتح الله عليه.
- ثم جاء بميمين قد تسامقتا وتسابقتا، فصهرهما صهرا، وقهرهما بالانضمام قهرا، "محمد". ميمان: مولد وممات، مسرى ومعراج، مبعث وموعد، مكة والمدينة، كل حياته في ميمين.
- ثم جعل على الميمين شدة، فجعل في الشدة شدة، وجعل على الشدة فتحة، فجعل في الفتحة فتحاً مبيناً ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾.
- ثم جاء بدال الديمومة، دال الدم المطهر، فضمها بسكون سرّه وسكونه لربه "محمد"، أو وضع عليها ضمّتين "محمد"، محموداً أمداً وأبدأ.

فإذا أحصينا الضمّات في إسمه "محمد" وجدناها ثلاثة، فكذلك ضمّه جبريل ثلاثة: جمالاً وكمالاً وجلالاً.

1. ضمّه ضمة نيابة عن ربه
2. وضمة نيابة عن الملائكة من حزبه وعن نفسه وعن قلبه وحبه
3. وضمة أحمدية للذات المحمدية، فسرى النور الأحمدى في الجسد المحمدي، فاضطرب واضطرم وقال زمّلوني دثروني، فأنزل الله ﴿يَأَيُّهَا الْمَرْمَلُ فَمِ الْبَلِّ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿يَأَيُّهَا الْمَدَّثُرُ فَمِ فَأَنْذِرْ﴾.

ومن سألي: من أين جئت بهذا؟ أقول: هذا إرثي عن جدي رسول الله، حملناه صدرًا عن صدر ولم نقرأه سطرًا عن سطر، فلما أن أراد أعداؤنا تقتيلنا لينزعوا هذا السرّ، قال ربنا من قبل ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾.

### نفحة في العرفان

أيها الأحباب حتى لا يطول بنا الكلام، البحر الزاخر في فضل العشر الأواخر: كل ليلة من هذه الليالي يُرعى فيها عفو الله، يُرعى فيها لطف الله، يُرعى فيها الأُنس بالله. فلا تكن يا هذا عابداً عبادة القطيع، لا تكن يا هذا عابداً عبادة لا عشق فيها.

كان إبليس عابداً عظيماً، سجد لله سجوداً طويلاً، وكان على ذلك مقيماً، وكان الله به رؤوفاً رحيماً، ثم أودع فيه من الحقد نقطة فخرج رجيماً. وما بين الرحيم والرجيم نقطة، وما بين العطاء والغطاء نقطة، فلما حلت نقطة الغين على العين كسرت العطاء غطاء. فدخل رحيماً وخرج رجيماً، وألغى ما كان من سجوده للخالق بسجدة لم يسجدها لمخلوق، لأن إبليس كان عابداً ولم يكن عارفاً، كان عابداً ولم يكن عاشقاً، فلو أنه عشق الله لسجد لنملة أرادها الله. فكذلك سليمان ضحك من قول نملة ولم يستكبر، وأخذ العلم عن هدهد ولم يستكبر. وكذلك الذي ابتلاه فقتل أخاه، أخذ العلم عن الغراب بعد أن خاب وحثا التراب، وسعى في الخراب والسراب، وكان أبوه قبل ذلك يتلقاه من الحي الوهاب، فرأى غراباً. فكن عابداً عاشقاً ولا تكن مجرد عابد.

كان لإبليس عنان ولم يكن له عينان (عين للعبادة دون عشق)، وكان عالماً كبيراً لذلك عرف أن آدم سيؤتي ذرية وأن منهم صالحون ومنهم عباد مخلصون، ولكنه لم يكن عارفاً، فلو عرف الله لأطاع الله. **فيعلو العارف على العالم، لأن العالم مسجون في سجن العلم، أما العارف فمطلق في آفاق العرفان.**

والعرفان - كما بينت من قبل - نوعان، يمتزجان فيكون ثالث هو كماله:

"العرفان عارفان: عارف بالله وعارف عن الله

فالعارفون بالله عرفوا الله بالأشياء فهم لا يرون إلا الله حيثما نظروا

والعارفون عن الله عرفوا الأشياء بالله (كما أعرف الآن أنا المعاني بالله) فهم لا يرون إلا بالله حيثما نظروا  
 فإذا جمع للعبد عرفانان: معرفة بالله ومعرفة عن الله، أوتي معرفة من الله، فذاك العلم اللدني الذي أوتيته الخضر وبعض من خلق الله المجتبون ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾.

فالعلم اللدني هو تمام العرفان ﴿فَاعَلَّمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ ﴿وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾.

فمن فضل الله علي أن آتاني حفظاً لكتاب الله مع آلة بحث عن كل كلمة فيه وما يرادفها وعن أماكن ذكرها، إن كانت حرفاً وإن كانت نوعاً من الأدوات أو كانت مزيجاً بين الكلمات أو رابطاً يربط بينها أو فاصلاً يفصل بينها. كقوله سبحانه ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ غير قوله ﴿تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾

غير قوله ﴿نُنَجِّكَ بِبَدَنِكَ﴾، فليس البدن والجسم والجسد بسواء. وكذلك الواو لها ألوان، فواو عزة وامتنان، وواو أخرى حملت في متنها لون الهوان، فلما يقول ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ "والملائكة" هذه الواو واو عزة عظيمة، ولما يقول ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ واو أخرى لها لون آخر، ليس نفس اللون، وإن كان كله قرآن.

### هدية من سرّ الباقر عليه السلام

فلذلك أيها الأحباب، لتكن عبادتنا في العشر الأواخر دخول على البحر الزاخر، وأنا سأعطيكم الآن هدية من سرّ الباقر عليه السلام، من تجليات إمامنا ونبيّنا صلى الله عليه وسلّم، خمس فوائد نلج بها البحر الزاخر في العشر الأواخر:

1- أول باب: سجود ابتهاال وامتثال، فيحسن بك عندما تسجد، تقول:

"سجد كلي لخالق كلي، سجد الفاني للباقي، سجد الضعيف للقويّ، سجد الفقير للغني

سجدتُ بذليّ إلى العزيز الحميد سجوداً لم أسجده لغيرك ولم أقمُ به لسواك

وقد سجدتُ بضعفي وذنبي، وذليّ وعيبي، وفقري وحوبي، ورجوعي وأوبي، إليك ربي

فانظر إليّ نظرة عطف وحنان وتحنان لا تغضب عليّ بعدها أبداً

وألقِ عليّ منك عناية لا تضرّني بعدها جناية

وانظر إليّ نظرة تحييني وتميتني، تحييني بأنسك وتميتني في حبك، وتذيقني من لذة قربك"

هذا سجود إمتثال وإبتهاال.

2- الثانية: تسبيحات بالليل على مدامع كالسيل. فتقول: "سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر" وأنت تعلم ماذا تعني من كلامك، ولا يكون كترديد البهيمة لكلام تكرر ولا تفهمه، فإنّ البهائم يُبتلون بالهزائم، يستوي مدحهم والشتائم، يستوي المستيقظ منهم ومن هو نائم، والكاره منهم والنائم،

والطرب **والسائم**، فهم **كالسوائم**. نعم، سئمت عيشها وملته، وتعبت منه فكلمته، لا، **"لا عبادة مع سأم"** كما قال الحبيب، كن عالماً بما تقول.

- لما تقول "سبحان الله"، السبحانية: التنزيه المطلق، أي: سبحان ربي أن يشابهه ربي شيء، سبحان ربي أن يحلّ ربي في شيء، سبحان ربي أن يعزب عن ربي شيء، سبحان ربي أن يعجز ربي شيء، سبحان ربي أن يسبق ربي شيء، سبحان ربي أن يغلب ربي شيء، سبحان ربي وقد أحصى كل شيء وخلق كل شيء ويميت كل شيء ويحيي كل شيء وخلق من لا شيء ويبقى حيث لا يبقى شيء، هكذا.. تنزيهاً لذاته وتمجيهاً لصفاته. هذا مقام السبحانية ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، سبِّح بحمد ربك، سبِّح اسم ربك، سبِّح بحمده، سبحان الله..

- "الحمد لله"، عليك أن تفرّق بين الحمد والشكر وأن تعرف مراتب الحمد وهي سبعون مرتبة.

أولاً، الشكر هو الثناء على المعطي بعد العطية، ربنا شكور، إذا فعلنا خيراً هو شكور يعترف لنا بالفضل ﴿اعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٍ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورِ﴾ ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾، فالحمد والشكر لله. الشكر هو الثناء ﴿فَبِأَيِّ ءَالَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ ولم يقل "نعم الله"، لأنّ النعمة الواحدة يصدر عنها نعم لا تُحصى، أعجزنا في عدّ النعمة الواحدة.

أما الحمد يا أحببنا فهو شكر المعطي على العطاء بأخذه أو منعه أو إعطائه، إذا أعطاك فله الحمد وإذا أخذ منك فله الحمد وإذا منعك فله الحمد، فالحمد لله الذي لا يُحمد على مكروهه سواه. أوله بداره ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ بداية كل شيء الحمد، وآخره ﴿وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وفيه حمديات آخر من بينها حمد جبروتي ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

- "لا إله إلا الله" كنا في حياضها ورياضها، نفي وإثبات، وأن تقولها شاهداً بذاتك على ذلك، فكيف تقول إن لم تتمعن في الملكوت؟ لماذا يقول لك ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآيَاتِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾؟ العربي يرى الإبل كل يوم، رآها بعين العادة ولم يرها بعين العبادة!! فلما ترى الأمر بعين العادة وتعتاده تجحد ما فيه، ولما تراه بعين العبادة تستعظم ما فيه، لأنّ ما فيه خلُق خالق وإيجاد موجد وإبداع مبدع، فإرادة، قدرة ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ

يَكُونُ قَدْ أَقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ قَبَائِي حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿﴾، الأرض كيف سُطحت، السماء، هكذا.. النظر. هذه "لا إله إلا الله"، "لا إله إلا الله": نظر.

لذلك حتى تصل من الإسلام لله إلى الإيمان بالله إلى العلم بالله ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ علم. وأعظم العلم العلم بالله، بعد علم الله عند الله أعظمه عندنا: العلم بالله، من العلم بالله يأتي العلم اللدني وغيره ما يكون بين الله وبين العبد. فأعظم العلم عند العبد: العلم بالله، وأعظم العلم في الوجود: علم الله، ثم ما يؤتى هو العلم اللدني الذي يأتي من عند الله، هكذا بينهما.

إذن "لا إله إلا الله" عن علم.

- "والله أكبر": أكبر من كل ما تتصور. إبدأ من نفسك، أكبر من ذنوبك، البعض يستكبر ذنوبه ويستقبحها، فلما يقف بين يدي الله، يقف بين يدي الله وحجابه ذنوب نفسه، تعطيه ظلمة، لما ييأس العبد من معبوده مصيبة "يأس العبد من معبوده عجز عن بلوغ مقصوده". ثم تستعظم محن الدنيا، المستكبرين ﴿فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا﴾. حتى لو أصبح عالم في الكواكب والمجرات وترى هذه العظمة الإلهية تصبح عالم في الملائكة وأحجامها، تعلم أن الله أكبر من كل أكبر.

3- وثالث نصيحة: إكثار الصلاة على رسول الله مع استحضر ذاته ومع حبه وحب آل بيته الكرام

4- ورابع ذلك: أن تدعو لإخوانك المؤمنين والمسلمين والمُبتَلين والضالين الذين يحبهم الله وقد نسوه حتى يهديهم إليه، وأن لا تكون أنانياً فيكون لك أن تسجد لربك وتنسى الذين لو أنهم تذكروا لسجدوا، فتدعو لهم بالهداية. تدعو لهذه الأمة بكشف الغمة، تدعو بالخير، ثم بعد ذلك تدعو لوالديك، ولمن هم موصولون بك من أحبائك، تدعو الزوجة لزوجها والزوج لزوجته والولد لوالده والوالد لأولاده، ويدعو الإنسان لإخوانه وأحبابه ولمشائخه.

5- وآخر نصيحة: حب الصالحين مع انكسار القلب، أن يكون قلبك منكسر، أن تبكي في ليل، أن تهتئ بكاءً وشوقاً وحباً وحناناً، أن لا تعبد الله لأجل نار تخافها أو جنة تصطافها، إنما لمحض عين ذاته وعظيم صفاته وجميل آياته وبلغ كلماته وفخراً بأنك من مخلوقاته، وأنه أنعم عليك بنعمة الوجود ثم الشهود ثم معرفة المعبود.

## خاتمة

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، وأحمده وأشكره فاشكروه، وأعلم أنه الحق فوحدوه وسبّحوه، وهو المرغوب المقصود فاقصدوه، لا إله إلا هو له الملك.

من مدينة رسول الله نحييكم ونهديكم السلام، فالسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، وإلى نفحة أخرى بعون الله. هذه راجعوها واكتبوها إن استطعتم وانشروها بين الأحاب، وقليل دائم خير من كثير من بهائم، فما أكثر ما يجتمع على المضلّين من عمى القلوب ومن الذين لا يستطيعون فهماً ولا يملكون في الحقيقة إلا وهماً.

أسأل الله أن يحرر كل مرید صادق من كل شيخ منافق، كل تابع صادق من كل متبوع كذاب، أن يحرر كل هؤلاء المحبين من الملاعين الذين يحسبونهم موصولين، أن يحرر كل من أراد الحق فأخطأه من كل من أراد الباطل فأصابه، هؤلاء المخادعين.

وما نصيحتي وما نصحي إلا من باب الشفقة، أما أنا فقد أغناني ربي بأكثر مما أذكر في كلامي، فإنّ ما بيني وبينه أجمل وأعظم وإنه بي لأرحم، وإنّ ما بين جدي المصطفى وما بين قلبي لأواصر قديمة. كل ما نبديه الآن قطرة من بحر، ولو تكلمنا فتكلمنا إلى أن تقوم الساعة على أهلها، وتأتي بسرعتها أو بمهلها، أو تأتي بصعبها أو بسهولة، أو تأتي بمنعرجها أو بسهولة، فكان كلامنا قطرة من بحار آل بيت النبي.

اللهم صلّ على هذا النبي وعلى آل بيت النبي، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، في أمان الله.

الدرس بتاريخ: 2025-03-23





## نفحات رمضانية: الوسيلة في معاني الوسيلة

درس قيم في حقيقة الوسيلة ووجوهها وبراهينها من الكتاب والسنة

منطلق

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، حياكم الله من مدينة الحبيب محمد. أرجو أن صوتي يصل إليكم واضحاً حتى تُسمعكم بعضاً مما نريد أن نُسمعكم إياه، وكذلك أرجو أن تشاهدوا الحلقة التي سجّلتها مع أخي الشيخ الدكتور هادي اللواتي، سجّلنا في الاستوديو الخاص به في مسقط، كانت حلقة مميزة دامت تقريباً ساعتين وتكلمنا في مسائل من بينها معاني الإحسان والمحبة في الله وبعض معاني الأسماء، حلقة موسوعية أرجو أن تنال إعجابكم، هي تأتي بعد الحلقة الرائعة أيضاً التي سجّلناها مع الأستاذ علي المعشني والتي كانت تتعلق بمسألة المخابرات الاقتصادية.

ادعموا هذا البث بالنسبة للتيك توك لأنّ الذي رأيته أنّ هنالك تبليغات كثيرة سواء على التيتوك أو على الفيسبوك، حتى أنّ الحلقة الأخيرة التي قدّمتها هنا والتي كانت في فضل العشر الأواخر تمّ التبليغ عنها بعدد كبير، وهذا يبدو من خلال ما أرسل لي أنّه تم حذف هذه الحلقة. أنا لا أفهم ذلك إلا بمعنى الحقد والحسد، لا أفهم كيف إنسان يبلّغ على محتوى ليس فيه لاشتم، ليس فيه طائفية، ليس فيه كلام سيء، ليس فيه هجوم على أحد، فيه جانب علمي يمكن أن يُناقش بهدوء من قبل الذين يمتلكون الحجة على ذلك، والذي لا يستطيع هكذا لا يجد إلا هذه الأمور التي لا نعكّر صفونا بها. نسأل الله سبحانه وتعالى

الحفظ والعناية والهداية لنا ولكم، وأن يحفظنا من قلوب الحاسدين وكيد الكائدين الفاسدين، وأن ينصر بنا هذا الدين.

الحقيقة أنني الليلة سأقدم كلاماً مبسطاً ليس فيه تعقيد كثير، وهذا الكلام يتعلق الوسيلة التي اختلف فيها واختلف في معناها، والتي هي مدار مباحثات كثيرة في الكتب العقائدية: بين من أثبتتها، وبين من أثبت جانباً وترك جانباً، وبين من نفاها بالكلية حتى وصل إلى أن قال أنها بدعة وشرك وأن المتوسلين على سبيل المثال بولي أو بالنبي أو بأي نبي أو بملك.. التوسل أنه نوع من الشرك بالله سبحانه وتعالى، وهذه رؤى مختلفة. نحن سنبيّن كالعادة بهدوء بحجة علمية أنّ المعنى الحقيقي فيه إثباتات إلهية، وأنّ هذه الإثباتات الإلهية لا يعاند فيها إلا جاحد لم يفهم المقاصد.

### العشر الأواخر بين مكة والمدينة

بداية نحن في ليلة السابع والعشرين من رمضان، أنا كنت قلت أنّ ليلة الثالث والعشرين من رمضان هي في اعتقادي الشخصي كانت ليلة القدر، هذا الاعتقاد الشخصي يلزمني ولا يلزم غيري ولا يغيّر من أمر الله شيئاً. النبي عليه الصلاة والسلام بعض أحاديثه أشارت إلى ليلة الثالث والعشرين من رمضان، وكثير منها أشارت إلى ليلة السابع والعشرين من رمضان، لذلك اعتاد المسلمون أن تكون ليلة السابع والعشرين من رمضان ليلة خاصة مميزة، ليلة لقاء الأسرة، ليلة لأفضل أنواع الطبخ بعض المناطق لديها طبخ خاص أكالات خاصة بليلة السابع والعشرين من رمضان، وإذا أخذنا الجانب العبادي ليلة ذكر ليلة صلاة على النبي..

والآن المشهد مذهل: ملايين يتراصّون موجودون في الحرم المكي، وهنا كذلك في المدينة المنورة، مشاهد تسرّ القلوب، مشاهد فيها يقين أنّ هذا النبي عليه الصلاة والسلام هو رسول الله الذي بعثه الله على علم وكرمه وشرفه على علم، وأنه سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام. فهذا الحقيقة شيء رائع وشيء يُنعش القلب ويجعل الإنسان يشعر بقرب من الله سبحانه وتعالى وقرب من رسول الله، وهذا ما نراه الآن غير مسبوق. أنا أقرأه بقراءتين:

1- القراءة الأولى: هي قراءة استراتيجية، قراءة واقعية، أنّ المملكة العربية السعودية اليوم ثمة نوع من انفتاح وتيسير وتسهيل العمرة بشكل غير مسبوق، وهناك إعدادات لوجستية عملاقة، فيزا العمرة

صارت ميسرة جداً، ونرجو أنه يكون التيسير في الحج كذلك. وهذا جعل الناس تتوافد من كل مكان، عشاق النبي من كل مكان. البعد اللوجستي نحن لمسناه، في الإفطار سواء كانوا ثلاث ملايين، خمس ملايين، مليونان، الكل يفطر، وهناك شباب ممتازون ما شاء الله يقومون بالخدمة، وكذلك في قسم النساء نتصور أنّ هنالك أيضاً فريق أعدّ لذلك، ويفطر الصائمون ويتمّ تنظيم الأمور بسرعة، وكذلك صلاة التراويح قيام الليل ما شاء الله أجواء عظيمة. كذلك مكة كنا بضع أيام في مكة قبل رمضان، وإذا يسّر الله لنا نمضي الأيام القادمة أو ربما يكون عيدنا هذه المرة في مدينة الحبيب صلى الله عليه وسلّم ليكون العيد عيدان. إذن هذا البعد الاستراتيجي اللوجستي نحيتهم عليه جزاهم الله خيراً.

2- البعد الثاني: كأنه ثمة شيء روحاني، كأنه ثمة بوابات ربانية رحمانية فتحت وأتى الناس من كل حذب وصوب. وهذه البوابات لها بوابات مضادة أيضاً تفتح، بوابات شر، بوابات دم وغم وفساد وإفساد وإلحاد وغير ذلك، تتكافأ الأمور، الله سبحانه وتعالى يفتح من هنا ويفتح من هنا والله له تديراته وله سبحانه وتعالى الأمر المطلق.

ولكن الإنسان لما ينظر في عظمة هذا المشهد يرى صدق نبوة النبي صلى الله عليه وعلى آله، ويرى حُجّية هذه النبوة، ويرى المسلمين يجتمعون وفي اجتماعهم خير ورحمة. فالحمد لله على نعمة الإسلام والإيمان، والحمد لله على نعمة اليقين، والحمد لله على نعمة القبول والوصول ومحبة الرسول وآل البيت الفحول سيّما سيدنا علي والزهراء البتول وابنيهما أصحاب النّهي والعقول.

الحقيقة أنا هنا يمحصني الله سبحانه وتعالى بين الدلع والوجع، فأما الدلع والدلال فحال من جمال، وأما الوجع والابتلاء فحال من جلال، والله سبحانه وتعالى في أمره شأن وله فينا شأن وله فينا أمر. فالحمد لله على كل حال، لقيناها هنا كالعادة أوجاع الجسد التي تكون أحياناً قاسية جداً على قدر مقامنا وعلى قدر قدرتنا على التحمّل، ولقينا من دلالات النبي عليه الصلاة والسلام ومن آيات ربه الكثير.

إن شاء الله من بين المشاريع التي سأشرع فيها هو كتابي "المرتقى في تفسير المنتقى"، وهذا الكتاب الذي ألفت شيئاً منه والباقي سيكون ارتجالاً ونظراً، هو نظر في سور من القرآن أو سورة من القرآن الكريم وفي بعض الآيات الخاصة. كنا قدّمنا لكم من كتاب كتبه وسأضيفه للموسوعة الجديدة وهو "الفاتحة في أحكام الفاتحة"، ثم قدّمنا "النصر في معاني سورة العصر"، الدرس الأول في الفاتحة كان في شناصر في بلاد عمان المباركة والثاني كان هنا، ثم "شرح الصدر في فضائل ليلة القدر"، ثم "البحر الزاخر في فضائل

العشر الأواخر". ولعلنا إن شاء الله نأتي بغيره من التفاسير التي نقرأ من كتب السابقين سلفنا الصالح تفسيرات الطبري وابن كثير والسيوطي وكذلك تفسير الجلالين (المعروف) وكذلك الآلوسي والظاهر بن عاشور، أنا قرأت في المدونة التفسيرية الإسلامية كثيراً وعُصت فيها عميقاً، ولما حفظت القرآن الكريم لم أحفظه هكذا إمراراً بل حفظته وحافظت عليه فحفظني وتمليت في معانيه. ألفت الكثير من الكتب التي تتعلق بعلوم القرآن، كموسوعة البرهان أو كتاب "الآلئ الجنان في معاني القرآن" والحمد لله على ذلك، كله من فتح الله على قلب عبده وليس للإنسان من شيء إنما نفحة يعطيها. إذا فَوَاك صرت قوياً، إذا قدّرك صرت قادراً، وإذا امتحنتك لا تستطيع أن تفعل أي شيء، فالله سبحانه وتعالى هو الذي يعطي القدرة، فله الحمد على ما قدّر به وعلى ما قدّر عليه، وله الحمد كذلك على ما امتحن به، إن شاء الله نكون من الصابرين وأن يكون كل وجع نتألمه نحمله عن أبنائنا وعن أهلينا وكذلك عن أحبائنا ومريديننا، لعلّ الإنسان يحمل شيئاً عن غيره من باب المحبّة.

## مقدمة

الليلة سنتكلم في موضوع مهم أعتقد وفيه خلافات، وهو موضوع "الوسيلة". لماذا الوسيلة الليلة؟ ولماذا الوسيلة هنا في المدينة؟ ولماذا الوسيلة في السابع والعشرين من رمضان؟ لأننا نحتاج أن نفهم ديننا، ونحتاج أن نتكلم بهدوء مع بعضنا، نحتاج أن نواجه الخلافات الموجودة بين أبناء الأمة بهدوء، لا أتعصّب لرأيي ولا تتعصّب لرأيك، ونبحث في اختلافاتنا عمّا به ندرأ من خلافاتنا وعمّا به نتفق، لأنّ الوقت اليوم والمرحلة الحالية مرحلة غريبة مرحلة عجيبة مرحلة مختلفة. عندما ننظر إلى العالم الآن بموازين قوى جديدة باتحادات جديدة، وهذا إن شاء الله سأخصص لما أرجع إلى بلادي بعون الله إلى تونس الحبيبة، أخصّص دروساً استراتيجية تأملات فكرية حول التغيرات العميقة التي يشهدها العالم الآن سياسياً جيواستراتيجياً جيوسياسياً واستراتيجياً وكذلك على المستويات الاقتصادية والتحالفات العسكرية وأمور غير مسبوقة ومذهلة، وإن كنت توقّعت عدداً منها. فهنالك تغير عميق في العالم الآن، وهذا التغير وهذا التغيير لا بدّ أن يُقرأ فيه وأن يُفهم، وليت دولنا تفهمه حتى تعرف التحالفات الجديدة وكيف تُدار الأمور.

والجليّ والواضح أننا نحتاج حقاً إلى ما يجمعنا، وأننا نحتاج حقاً إلى ما يوحد بيننا، وأننا نحتاج حقاً إلى ما يجعل المؤمنين يجتمعون والمسلمين يجتمعون على كلمة سواء، على كلمة محبة وعلى كلمة خير، وعلى أن نجتمع معاً فكراً ورؤيةً وأيضاً على المستويات الأخرى. صحيح كلامي هذا نظري، أن الواقع واقع تشرذم، وأنه حتى يُظهر الله أمره ودينه على الدين كله بقدرة باعجاز (سمّها ما تريد)، حتى يأتي ذلك اليوم أعتقد أن الناس ما يزال بينهم الخلاف وما زالت الدنيا هكذا يتصارع أهلها حتى يلقوا ربهم سبحانه وتعالى.

موضوع الوسيلة هو ما يُتوسّل به، والوسيلة قد تكون بوّابة، قد يكون جاهاً، الوسيلة لها معاني كثيرة. في كتاب الله تعالى سوف نجلس مع كتاب الله وهذا اللفظ قرآني وله سياقان بين المائدة والإسراء:

1- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

2- ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ أنا دائماً أذكر هذه الآية تحديداً أذكر المقطع ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾.

هاتان الآيتان جليّتان في كلمة لفظ "الوسيلة"، أمّا في معنى الوسيلة فكثير جداً لا يُحصى.

الوسيلة متّصلة بعلم الآلة وعلم الجاه (الذي يختص بالمنزلة)، لنقل أنها بوابات ربانية، بعضها وسيلة لأمر وبعضها إلى صاحب الأمر، بمعنى:

- ﴿اضْرِبْ بَعْضَاكَ الْبَحْرَ﴾ أو ﴿اضْرِبْ بَعْضَاكَ الْحَجَرَ﴾ هذه وسيلة، أعطى الله سيدنا موسى وسيلة ليشقّ البحر وليضرب الصخرة فتنفجر العيون. هل هذه الوسيلة عملت من تلقاء نفسها؟ أبداً. ولكن الاتحاد بين هذه الآلة وبين اليد التي تحملها والتي لا تكون إلا تلك اليد، مع الأمر الإلهي والإذن الإلهي، أدى إلى تلك النتيجة، لو أراد الله ما كان ذلك.
- ﴿وَهَٰؤُلَاءِ إِلَيْكَ يَجِدُكَ النَّخْلَةَ﴾ هذه وسيلة، الجذع والهزة وسيلتان سببان بإذن الله، لولا إذن الله ما تمّ، ولو كان في غير ذلك المكان المقدر ما تمّ، ولو كانت يد أخرى تهزّ غير يد السيدة مريم ما تمّ ذلك، يجمع الله بين المكان والمكين والمكانة (المكان ومن فيه والمكانة)، ويعطي الإذن ويعطي الأمر فيتمّ ذلك كما أراد. هذه وسائل.
- ﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ وسيلة

- الصلاة وسيلة للقرب تتوسل بالصلاة للقرب من الله سبحانه وتعالى، الصيام وسيلة، الجهاد في سبيل الله وسيلة، الزكاة الذكر التسبيح ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾... وسائل كلها للتقرب إلى الله سبحانه وتعالى.

**وسائل إلى الأمر ووسائل إلى صاحب الأمر**، لسانك وسيلة للكلام، وعينك وسيلة خلقها الله لك للنظر، يمكن أن يجعل الله لكائن آخر قدرة أخرى غير ما تتصور أنت، ولذلك جعل للخفاش ما جعل له، جعل للحوت سونار، والآخر جعل له مثل الرادار، وهكذا خالق يفعل ما يشاء. هذه كلها وسائل، وهذا لا يختلف فيه.

الذي اختلف فيه: هل يتوسل إلى الله سبحانه وتعالى بأحد من خلقه؟

1. قول: أن الوسيلة لرسول الله وآل بيته والصالحين دائماً في حال الوجود الدنيوي وفي حال الانتقال، وهذا عليه جمهور علماء الأمة.
2. وقول قال: الوسيلة لرسول الله في حياته يتوسل به ولكن إذا انتقل توقّف ذلك، وهذا بداية فساد في الرأي.
3. وقول قال: الوسيلة باطلة، إذا سألت فاسأل الله وإذا عبدت فاعبد الله ولا يغني عنك أحد من أحد، وأتي بالآيات كيف أنّ المرء يفرّ من أبيه ومن بنيه ومن زوجه ومن أهله ولا أنساب بينهم، وأتوا بالآيات التي للمشركين أنهم يتخذون الأصنام ليقربوهم إلى الله زلفى، وأودع شيء في شيء حتى يُقال: كل متوسل على ضلال وأمره باطل.

سنبداً الآن في منهاج ميسر لفهم هذه الوسائل حتى نفهم وحتى نتمعن وحتى نتملى في الأمر وحتى نستفيد، لأنّ مخ العبادة الفهم "تفكّر ساعة خير من عبادة سبعين سنة"، فلما نتفكر بهدوء ونفكر معاً بهدوء قد نصل إلى نتيجة. طبعاً لو دخل الآن واحد يحمل ذلك الفكر الذي يرى أنّ كل توسل شرك وضلال، لن يقنعه أي كلام طالما عاند في رأيه، أما إذا إنسان يأخذ الأمور بهدوء ويجلس ويستمع لعلّه (أقول لعلّه) يقتنع ويجد الخير ويجد الهدى.

## وسائل إلى الأمر و وسائل إلى صاحب الأمر

1- لنبدأ إذاً بالوسائل الأولى: وسائل الأمر. الوسائل نحو الأمر أنّ الله سبحانه وتعالى أعطى أمور لعباد منها عام ومنها خاص، ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ هذا أعطى الناس أسماً وأبصاراً وأفئدة، لكن البعض جعل وسائل تحجب ذلك جعل ختمات ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ ﴿وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ ثمة ختمات، ﴿اللَّهُ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ منعهم من أن يبصروا وأن يروا وأن يفهموا، حقت عليهم الكلمة، لم تُغن عنهم تلك الوسائل العادية. لكن ثمة وسائل آخر: الشمس وسيلة لترى في النهار، والليل وسيلة ليكون لك سكن، والأرض وسيلة جعلها الله لك فيها معاشك، وغير ذلك من الأمور حتى لا أطيل عليكم.

الوسائل المخصوصة أنواع، بعضها إعجازي وبعضها إنجازي، فما به الإنجاز مثل الحجة ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضْلَ الْخِطَابِ﴾ ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ هذه خاصة ولكن ينجز بها المهمات، وبعضها ما يفوق ذلك إعجاز مثل: القرآن الكريم، عصا سيدنا موسى، الآيات التي أظهرها على أيدي الأنبياء، إحياء الحمار أمام العزيز وإمامته مئة عام ثم يرجع، ما أوتي سيدنا عيسى من إحياء الموتى، ما أوتي سيدنا يوسف من تعبير الرؤى ومن أنه ينبئهم بما سيأتيهم من طعام، وما أوتي النبيون كلٌّ على قدر، وما أوتي الحبيب عليه الصلاة والسلام، هذه وسائل الله سبحانه وتعالى.

2- وأمّا الوسائل إلى الله (وسائل الأمر ووسائل إلى صاحب الأمر) فهي كذلك كثيرة، الله سبحانه وتعالى جعل إليه وسائل، من بينها على سبيل المثال: الوسيلة لدخول هذا الدين الإسلام المحمّدي أن تشهد أنّه لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، ما لم ينطق بها على وعي وبيّنة لم يدخل حياض هذا الدين، قد يكون طيب قد يكون له مجال آخر هذا ليس مجالنا أن نناقش الله في أمره، ولكن ليكون على الإسلام المحمّدي يعني يأتي رجل النبي يقول أشهد أن لا إله إلا الله ولا يقول أشهد أنك رسول الله، لم يكتمل له النصاب. فهذه بوابة، وسيلة، بها تكون مسلماً، مع وسائل آخر، وهذا كله للدخول على رب الأرباب سبحانه وتعالى.

- كالصلاة، ما هي الصلاة؟ هي وسيلة قرب
- السجود والركوع ووسائل ضمن الصلاة للقرب ﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ ﴿وَالرَّكْعَ السُّجُودِ﴾
- الزكاة ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾

- والتزكية ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَّى﴾ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ تزكية النفس وسيلة
- تدبر القرآن ﴿أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ وسيلة من الوسائل
- ذكر الله ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾
- وسائل تعبدية..
- العمرة والحج
- الطواف بالكعبة
- الكعبة وسيلة، وسيلة لتكون قبلة ولتكون طوافاً
- والحجر الأسعد وسيلة

كله نحو القرب من الله سبحانه وتعالى.

أليست هذه وسائل؟ نحن نتوسل إلى الله، بمعنى: لا ندخل على الله سبحانه وتعالى مباشرة هكذا، لا، ثمة وسائل: عليك أن تشهد أنه لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله كي تكون مسلماً محمدياً، عليك أن تصلي أن تزكي أن تصوم (الصوم وسيلة)، وعليك إذا وجدت قدرة على الحج أن تحج، وعليك كذلك أن تذكر الله كثيراً ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ أن تسبح الله سبحانه وتعالى، عليك بالتسبيح (التسبيح مهم جداً)، وعليك بأمر كثيرة.. وهذه هي القُرْبَات، العبادات والنوافل والباقيات الصالحات وفعل الخير، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ وذكر قوم قال: ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾. هذه كلها وسائل، كل إنسان على قدره يرى الوسيلة.

### أُسْئَلَةُ مَهْمَةٌ لِتَوْضِيحِ مَشْرُوعِيَةِ الْوَسِيلَةِ

الآن السؤال: إننا إذا أنكرنا الوسيلة بالكلية، أنكرنا هذه العبادات كلها، وإذا أدخلناها في مجال غير التوسل، فأى مجال يكون؟ ما هي الصلاة، أليست وسيلة للقرب وعبادة الرب سبحانه وتعالى؟ ما هي العبادة، أليست وسيلة لنيل الرضى حتى يرضى الله عنك؟ أليس الاتباع والافتداء وسيلة؟!

القسم الثاني من السؤال: لنبدأ بالرسول عليه الصلاة والسلام، الذي يظن أنّ الوسيلة المحمدية وأنّ التوسل برسول الله أمر باطل، نسأله ببساطة: هل تظن أنّ صلاتك وصيامك وحجّك وعمرتك وذكرك

لله وسجودك وركوعك ودعاؤك ومحاولة التقرب إلى الله، خير من رسول الله؟! إجلس مع نفسك وفكر. أعتقد أنّ صلاتك أنت -التي يعيبها ما يعيبها من سهو ومن نقص وقد لا تعرف الوضوء جيداً، وقد تخطئ في أمور كثيرة وتلحن في قراءة آية، قد يكون قلبك غافلاً وعقلك في سهو، قد تكون في أحوال كثيرة، عبادتنا ليست عبادات كاملة، لسنا كعبادة الأنبياء وعبادة الملائكة، نحن فينا نقص وفي عبادتنا نقص- إذا كنت تظن أنّ عبادتك هذه بمقامك الضئيل (نحن مقامنا ضئيل نعترف، ونحن مساكين على باب الله ومذنبون ومخطئون ومسيئون)، إذا كنت تظن أنّ ركيعات تركعها وسجودات تسجدها وبعض مال تزكّي به وذكرك لله (الذي لن يكون ذكر سيدنا أيوب أو سيدنا إبراهيم)، إذا كنت تظن ذلك أنّ ذلك أقوى وأعظم وأجدي من رسول الله، فأنت جاهل بالدين! أتظن أنّ عبادتك توصلك إلى الله بمعزل عن الحبيب رسول الله أو دون التوسل؟

والسؤال الثاني: هل كان النبي يتوسل أم لا؟ وهل علم أمته التوسل؟

### الوسيلة في الأحاديث النبوية

لنبدأ: النبي عليه الصلاة والسلام لما توفيت السيدة فاطمة بنت أسد أم الإمام علي عليه السلام وزوج سيدنا أبو طالب عليه السلام، هذه المرأة عليها سلام الله لما توفيت دعا لها فقال "اللهم إني أسألك بنبيك محمد وبالأنبياء من قبله"، ما معنى هذا الكلام؟ معناه أنّ النبي عليه الصلاة والسلام يتوسل، وأنه توسل بذاته وتوسل بالأنبياء من قبله، وهو أعظم منهم قدراً وأشرف صدرًا، توسل بالنبي النبي بذاته وبإخوته الأنبياء.

النبي عليه الصلاة والسلام عندما كان يمشي من بيته إلى منبره كان يتوسل فماذا يقول؟ "اللهم بممشاي إليك" أي بهذه الخطوات وبحق هذه الخطوات، هو صاحب الخطوة يتوسل بخطوته، "بممشاي إليك وبالسائلين عليك" والسائلون على الله يدخل فيهم الأنبياء والصالحون والصدّيقون، تدخل فيهم أعداد كثيرة من الخلق، الملائكة المقربون، أصحاب الشفاعة في الملائكة وعمومهم من باب المنزلة النورانية، وهكذا.. السائلون على الله.

فإذن، الحبيب صلى الله عليه وسلّم كان يتوسل، هذا النبي عليه الصلاة والسلام.

من بين ما علّم أمته التوسل، ومن بين ما يثبت توسل الصحابة، خبران:

1- الأول: الأعمى الذي جاء وقال إني أطلب أن يُردّ لي بصري، قال صلّ فقل "اللهم إني أسألك بنبيك ورسولك محمد، يا محمد إني أسأل الله بك". إذاً توسّل بشُعبتين، وجّه الخطاب إلى الله بنبيه، ووجّه الخطاب بالنبي بجاهه عند ربه (كلمة "مدد يا رسول الله")، أي طلب المدد الإلهي بالجاء النبوي وطلب المدد النبوي بالجاء الإلهي، تأمل معي المعاني. للنبي جاه، هو سيدنا موسى ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ له وجاهة عند الله له شفاعاة، الوسيلة "آت محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته إنك لا تخلف الميعاد". الحبيب صلى الله عليه وعلى آله وسلّم عندما علّم ذلك الأعمى ذلك الدعاء علّمه للأمة.

2- ثم إنّ الصحابة عندما جاء عام الرمادة قالوا (كبار الصحابة): "اللهم إنا كنا من قبل نتوسل ونتشفّع بنبيك محمد، واليوم ها نحن نتشفّع بعمّه العباس"، بمعنى أنّ انتقال الوسيلة المحمدية إلى عمّه بجاهه هذا حق. ولا يلغي أنّ النبي استمرت وسيلته، والشاهد على ذلك أنّ أعرابياً جاء النبي في نفس العام عام الرمادة ودخل على ضريحه الشريف وقبره المنيف وقال: "يا رسول الله أغث أمتك" وجّه الخطاب مباشر إلى حضرة الحبيب عليه الصلاة والسلام "أغث أمتك"، فيأتيه النبي عليه الصلاة والسلام في المنام فيقول له: "سأغيث أمتي"، ويُطلع هذا الأعرابي على ذلك أصحابه فيقرّونه بذلك، ويُغيث الله سبحانه وتعالى الأمة ويُغيث النبي الأمة. لما نقول "غوثنًا يا رسول الله" هذا حق، لأنه رسول الله، لأنه مُنعم ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ فالفضل لله نعم، والله أعطى الفضل لنبيه، ليس فضل النبي وجاه النبي هو يصارع جاه الله، لا يقول هذا إلا مريض عقل ملوّث قلب، إنّما هو من عند الله، الله أعطى هذا النبي هذه المكانة. إذن يثبت لنا أنّ الوسيلة لرسول الله في حياته وبعد انتقاله.

هل هنالك وسائل لغير النبي؟ النبي صلى الله عليه وعلى آله أمر الصحابة وكبارهم مهاجرين وأنصار ماذا قال لهم؟ قال "يأتيكم أويس القرني في وفد اليمن فإذا رأيتموه فاسألوه الدعاء". ما معنى هذا؟ هذا توسل، أي إذا أتاكم أويس القرني توسلوا به إلى الله. وهذا يعطي الوسيلة لسيدنا أويس القرني على الصحابة، وإن كان في ظاهر اللفظ هم أفضل منه، هم أصحاب وهو عدّ من التابعين، وإن كنت لا أراه كذلك لأنّ أويس قال عن نفسه "ما غزا رسول الله غزوة ولا شهد مشهداً إلا وكنت معه" هذا بدل من الأبدال له أسراره الخاصة، والنبي مره دخل المسجد وقال "إني أجد نور أخي أويس"، وقال "إني أرى نوراً من تلقاء اليمن ذلك نور أويس القرني"، حب عجيب.

فإذا ثبت ذلك لأويس رضي الله عنه، ألا يثبت لمن هم أسياد أويس؟! فأويس لما جاء صار من جند ومن صف ومن خدم الإمام علي، واستشهد بين يديه. هل من شاهد على هذه الوسيلة لآل بيت رسول الله بعد رسول الله وأمر الصحابة بذلك؟! نعم، النبي مرة في خطبة ماذا يقول لأصحابه؟ يقول "مثل آل بيتي فيكم كسفينة نوح، مثل آل بيتي فيكم كباب حطة"، وحديث آخر قال فيه "آل بيتي سفينة النجاة من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك". وفي خطبة الوداع عندما خطب تلك الخطبة ورجع للمدينة ومعروف موقفه في غدير حُم، ثم قال "إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما.. كتاب الله وعترتي أهل بيتي" "الله الله في أهل بيتي"، ما إن تمسكت الأمة بتعاليم القرآن وبمحبة آل بيت النبي العدنان لن تضل أبداً. وقال "آل بيتي والقرآن لا يفترقا حتى يردا علي الحوض"، وقال "علي قسيم الجنة والنار، محبوبه في الجنة ومبغضوه في النار" أليس هذه وسيلة؟

طيب، هل هذا يمكن أن يُسند للأولياء الصالحين؟ قال الحبيب صلى الله عليه وسلم "أبدال الشام بهم تُمطرون وبهم تُغاثون"، هذا الحديث معروف. وقال كذلك "إذا أضاع أحدكم سبيله" في صحراء، ماذا قال؟ "فليقل: يا أهل الله أغيثوا". هل في ذلك كفر بالله؟ لماذا لا يقول له "قل يا الله"؟ لأنها آداب مع ملك الملوك، أدباً واستئناساً، لأنني أنا عندما أتوسل بالنبي عليه الصلاة والسلام وبآل البيت وبالصالحين هؤلاء مكانهم مضمون، لا يمكن أن يشك عاقل في مقام سيدنا إبراهيم أو سيدنا عيسى أو سيدنا موسى أو سيدنا محمد أو هؤلاء الكبار من أصحاب النبي آل بيت النبي الصالحين من أمة رسول الله، ضمنوا المكانة، فعندما أتقرب بهم إلى الله سبحانه وتعالى إقراراً بميِّ بعجزتي، بأنّ صلاتي التي أصليها -وهي وسيلة- وزكاتي وصومي وذكرتي، أني أشعر بالتقصير، وأنّي لا أدخل على الله بشيء من ذلك العمل بل بحسن الظن وبالتوسل بهؤلاء أنهم يُلقون علي نظرة العناية فتُنزع عني الجناية وتُقرب إلى الله سبحانه وتعالى.

### الوسيلة في القرآن الكريم

الآن كانت أدلتي حديثية، هل من أدلة قرآنية على هذا؟ القرآن حافل بالأدلة، والقرآن الكريم يبيّن حقائق حتى للمنكرين للوسيلة للتوسل برسول الله، أي الذين يريدون الدخول على صاحب الحضرة مباشر هكذا يمضي إلى الله، وكأنه يقول "لا إله إلا الله" دون "محمد رسول الله".

## 1- ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

ما هي الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾؟ هي توسل بالنبي عليه الصلاة والسلام. عندما تصلي على حضرة الحبيب المصطفى فأنت تقول "اللهم إني أدخلك في جنة هذا النبي بالصلاة على هذا النبي" وليس معنى ذلك أن النبي محتاج إلى صلاتك أنك تدعوه له، النبي غني عنك وربه غني عنك، إنما تقول "اللهم إني أصلي على هذا النبي وآل بيت هذا النبي حتى أدخل في هذه النظرة التي أنت وعدت بها الداخلين عليك من جنابه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ومن جناب آل بيته الكرام". عندما تصلي على النبي أنت تطلب المدد من هذه الروح المحمدية، المدد يعني أن للنبي إمدادات بأمر ربه من فضل ربه، ألم يقل عليه الصلاة والسلام "ألا وإن الله معطي وأنا قاسم"؟ وفيما يكون آل البيت سفينة النجاة إذا لم يكن لديهم أمداد وأذواق وأحوال ونفحات بأمر الله تعالى؟

## 2- المجيء إلى الرسول واستغفاره

والمقامان قد رُسمَا في القرآن وحُدِّدا تحديداً دقيقاً، بين الذين يتوسلون بحضرة الحبيب وبين الذين يغترون بأنفسهم ويظنون أنهم يدخلون على رب الأرباب مباشرة هكذا دون هذه الوسيلة المحمدية العظيمة التي شُرِّفت بها الكائنات وشُرِّفت بها السماوات وشُرِّفت بها المخلوقات وشُرِّفت بها المسلمون المحمديون تحديداً أكثر من غيرهم، ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ بماذا؟ بهذا النبي عليه الصلاة والسلام.

ولذلك، عندما نتأمل في هذين المقامين: بين الذي يتخذ الوسيلة بالنبي إلى رب النبي (لا يمنع أن يذكر الله وأن يدعو الله وأن يستجيب لله) وبين الذين ينكرون ذلك، في القرآن الكريم ما فُرِّط فيه من شيء:

1- قال في قوم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾، ما معنى "يستغفر لهم رسول الله"؟ أي هم يتوسلون باستغفاره ويدخلون به على حضرة الله سبحانه وتعالى.

إذا كان أحد الذين يجهلون المعاني يأتي بآيات عن المشركين كيف أنهم يتوسلون بالشياطين وكيف أنهم يتوسلون بالأصنام فيجعل ذلك مشيراً إلى التوسل بسيد الأنام، فهذا جاهل فاسد عقيدة مريض قلب يصح فيه قول الله سبحانه وتعالى في هذه الآية ﴿لَوْوَأَرْوَسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾، هذا

يلوي رأسه ويصدّ مستكبراً ويحسب أنه يفقه ويفهم أكثر من النبي وأصحاب النبي. إذا كان كلام التوسل يمضي إلى جانب الأصنام ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ وإلى مقامات أخر وأنه ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾، ربنا يقول ﴿الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ﴾، إذا كان الكلام بهذا المعنى فهو جهل، جهل بالله جهل برسول الله. إذا كان الكلام بعلم وبقرآن وبخجة، ثم يأتي آخر جاهل ويقول عن زوار الأضرحة والقبور ويدخل أمور في أمور، فهذا من الجهل والغرور والاستكبار على العلم، ولكن ناقش الآية بالآية وناقش الفكرة بالفكرة.

الآية الأولى التي تشير إلى مقام هؤلاء: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾.

2- وأما الآخرون الذين نحن منهم، قال عنهم الله سبحانه وتعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ إذا ما هي الشرطية لهذه التوبة الإلهية؟ الذين ذكرهم الأوائل "إذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله" هذه لا تقوم في المشركين، لأنه أصلاً لا يحتاجون لاستغفار رسول الله، هؤلاء أنكروا دينه أصلاً، بل في المنافقين، في المعاندين، في المستكبرين، في الذين ظنوا أنهم يصلون دون رسول الله وأنهم يستغنون عن محمد وآل بيت محمد، هكذا هي تماماً وتحديداً. أما المخبتون المنيبون فدعوا إلى هذا المقام، "ولو أنهم ظلموا أنفسهم دائماً الإنسان يظلم نفسه، قال "جاؤوك"، هي حركة لها معنيان:

1. في حياة النبي بالنسبة للصحابة حركة مكانية حركة مكان.
2. وبعد انتقاله تصبح حركة مكانة أي نمضي إلى روحه إلى مكانته إلى جاهه العريض عند ربه.

عندما يكون النبي بينهم هي حركة مكان، "جاؤوك": مضوا إليك وجاؤوا إلى حضرتك الشريفة. أما إذا ما كان الحال بعد حياته فلها بابان: باب مكان ومكانة، ضريحه الشريف، ولذلك جاء الأعرابي إلى قبر النبي وقال "يا رسول الله أغث أمتك"، أبو أيوب الأنصاري يدخل على حضرة الحبيب ويسلم عليه فقال مروان بن الحكم: إنك تكلم حجراً، فقال أبو أيوب: "يا هذا إني أتيت رسول الله ولم آتي الحجر، وصدق رسول الله إذ قال: لا تبكوا على الدين إذا وسد لأهله وابكوا عليه إذا وسد لغير أهله".

فلذلك، "جاؤوك": أتوا إليك توسلوا بك، ماذا فعلوا؟ "استغفروا الله". بمعنى: لو أنهم استغفروا الله بعيداً عنك لم يُقبل استغفارهم، سواء بعيداً عنك مكاناً أو مكانة. استغفر كما تريد وصلّي كما تريد وأنت

تستنقص في قلبك النبي عليه الصلاة والسلام، تعتقد أنه ميت لا يضر ولا ينفع، أنّ والديه في النار وأنّ عمّه الذي كفله في النار، وأنّ آل بيته سواء مع غيرهم وأنهم لا يغنون ولا ينفعون بشيء، وأنّ الأولياء لا شأن لهم ولا قيمة لهم... صلّي كما تريد، وسأعطيكُم مثال عمن صلى ورفض الوسيلة وكيف كان من شأنه. قال "جاؤوك"، هنالك عندما جاؤوك صلوا عليك اعترفوا لك بالقدر العظيم أحنوا هاماتهم أمامك سواء بأرواحهم لروحك أو بأجسادهم لجسدك، وجاؤوك بالنيابات التي نوبتها لصالح أمتك ولآل بيتك الكرام والأئمة الكرام ولأصحابك الفخام.. إذا جاؤوك، هنالك عندك استغفروا الله ثم الشرط الثاني أن يستغفر لهم الرسول، أنّ النبي يستغفر لهم ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾، أن يستغفر لهم رسول الله، حينها سيجدون الله تواباً رحيماً.

### 3- ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾

البعض قد يقول: هذا كلام باطل، لا واسطة بين العبد وربه، لا وجود لواسطة بين العبد وربه، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾. فنقول له: يا عزيزي هذه الكاف الموجودة في فعل السؤال أين نذهب بها؟ هل قال "وإذا سأل عبادي" عني هكذا بالمطلق أم قال "وإذا سألك"؟ سألك تعني قصدك، تعني جاء إليك، دخل بابك، طرق بابك. وكيف يدخل بابه من لم يدخل من باب "أنا مدينة العلم وعلي بابها"؟ من باب المحبة له ولآل بيته؟ إذن لا مناص من هذه الوسيلة المحمدية. "وإذا سألك": إذا سألك أنت، إذا قصدوك أنت يا محمد، إذا جاؤوا من تلقاء بابك أنت، فإني حينها قريب وأجيب. وإذا بلغوا مرحلة "العباد" وليس "العبيد"، أين أنت من العباد؟ العباد الذين بلغوا مرحلة ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾، العباد الصالحون، "وإذا سألك" ليس كل إنسان يسألك، الذين مُحْصُوا بالعبودية وصاروا عباداً للرحمن.

أما القرب الآخر قرب القدرة والهيمنة ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ هذا قرب آخر. أما الذي ذكره ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ قرب محبة قرب رضا قرب استجابة، والآخر (في الموت) قرب قهر، والآخر قرب إحاطة وعلم، أنواع القرب وليست نوعاً واحداً.

أليس هذا كلام علم؟ فمن جادلنا فيه فليجادل بعلم. أما الأحكام العامة "من يلبس عِمَّة خضراء ويمسك عصا لا تسمعوا منه" "من ليس لحيته طولها مترين لا تسمعوا منه" "من كان في يزور الأولياء ويعتقد فيهم لا تسمعوا منه" "من يذكركم بأهل البيت لا تسمعوا منه" .. هذا كله كلام فارغ. ناقش العلم والحجة، وأبِن الحجة وأظهر الدليل وقدم البرهان، وتأدّب وتكلم بأدب، وكما قال شيخنا جلال الدين الرومي: "ارفع حجّتك واخفض صوتك فإنّ ماء المطر ما يحيي الأرض لا صوت الرعد".

#### 4- ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾

هذه الوسيلة المحمدية، ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ ماذا تفعلون إن كنتم تحبون الله؟ إن كنتم تحبون الله "توسلوا باتباعي" ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾. هل الاتباع أعظم من المتبوع؟ هل اتباع النبي أعظم من قدر النبي؟ إن كنتم تحبون الله حقاً، لا تغادروا باي أبداً، إنما تعالوا خلفي وامشوا ورائي واتبعوني واتبعوني، حينها إذا تبعتموني حينها إذا واليتموني وواليتم من أمرتكم أن توالونهم، حينها الله يحبكم ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبُّكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾.

#### 5- عصا سيدنا موسى

طيب، إذا كان هذا للنبي، عصا موسى وسيلة لموسى اتخذها وسيلة بأمر ربه ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾، لو شاء ربك لأظهر الأفعى دون عصا، قل "الله". لماذا يجعل يده في جنبه لتخرج بيضاء؟ لو شاء ربه لقال "قل: الله" تخرج بيضاء؟ وسائل!! إذا اتخذ موسى العصا، ألا نتخذ من هو أفضل من موسى وعصاه وسيلة ونحن أدنى؟!

#### 6- مقام "هنالك"

وإليك مقاماً توسل فيه نبي بمقام وليّة وليس وليّ، نبي مبعوث من الله يوحى إليه توسل بمقام بمكان، ماذا فعل زكريا عندما دخل على السيدة مريم؟ ﴿كَلِمًا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ ماذا وجد عندها؟ ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾. وهذا الرزق غريب عجيب، ثمار الصيف في الشتاء وثمار الشتاء في الصيف، وغلغل

آخر لا يعرفها، لعلّ بعضها أتى به ملك من أماكن بعيدة من هذا العالم أو من غير هذا العالم. والله قادر على ذلك كما أنزل مائدة على عيسى، أنزل الله مائدة، أنزل المن والسلوى على بني إسرائيل، وأنزل كبشاً فدى به إسماعيل في ظاهر اللفظ، وأظهر ناقة لصالح من غير هذا العالم، وأنزل مع آدم إثني عشر من الأنعام مختلفة من غير هذا العالم. فلعلها ثمار غريبة عجيبة، رزق، هي جالسة الباب مغلق ويدخل على مريم القديسة الصديقة الولية (ليست نبيّة بل وليّة)، فيجد عندها هذا الرزق العجيب. فيقول لها: أتى لك هذا؟ يأتي في غير فصله ويأتي من غير نوعه، فتقول ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

هذا الفهم الإلهي النبوي أدرك وجود وسيلة، أدرك وجود خصوصية. لماذا الوسيلة لها خصوصية؟ يعني أنت لما تصلي اختار الله الصلاة لخصوصيتها، القول بأنّ "العبادات توقيفية نفعها لأنّ الله أمر بها" هذا في اعتقادي قول باطل ولا يقول به إلا من لم يفهم جيداً الدين، لا وجود لأي عبادة توقيفية، بمعنى: لا وجود لعبادة نفعها هكذا دون حكمة، الله حكيم خبير، إذا كان في خلق نملة أو ذرة حكمة، فكيف بالعبادات؟! قد لا نفهم ذلك المعنى ولكنه موجود. هنالك سر لماذا الظهر أربع ركعات والعصر كذلك وسراً والمغرب ثلاثة واثنيان جهريات والعشاء كذلك ما ثمة في العشاء وصلاة الصبح والفجر والنوافل والشفع والوتر، هنالك سر في الزكاة، سر في الطواف، ما من شيء في العبادات وما أمر به الله سبحانه وتعالى مما أحلّ مما حرّم وفي الحجر الأسعد وفي غيره إلا وله حكمة عظيمة وسر عظيم وفوائد، ما أحلّ إلا لفائدة وحكمة ولا حرّم إلا لفائدة وحكمة، أبداً.

فسيّدنا زكرياء فهم الرسالة، أدرك أنه في مكان مبارك وأنه في مكان دلّال وليس مقام جلال كما هو كان فيه في محرابه، هو نبي تحت التكليف تحت التشريع مقام صعب، أمّا الولي مدلّل مقام الدلع. فلما رأى هذا الدلال ورأى هذا الجاه عند السيدة مريم، ماذا قال رينا؟ ذكر أنه لم يخرج من ذاك المكان، قال ﴿هُنَالِكَ﴾. "هنالك" زمكانية، بمعنى: في تلك اللحظة التي رأى فيها إشراقات هذا العطاء بعد أن استيقن، "كلما دخل" يعني تكرر الحدث مرة بعد مرة بعد مرة، تأمل تدبر فهم، قال ﴿هُنَالِكَ دَعَا رَبِّيَ رَبَّهُ﴾. "هنالك": في ذلك الموضوع تحديداً ابتغى إلى ربه الوسيلة، أي: توسل بمقام مريم وبجاه مريم وبدلال مريم. حينها كلمته الملائكة واستجيب له وأعطى فوق الطلب، هو طلب ولياً ﴿رَبِّ إِيَّيْ وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ ولكن أعطاه يحيى وبشّرتة الملائكة. ف "هنالك" هذه سر عظيم.

إذن أنا في المدينة المنورة في مقام أعظم من مقام السيدة مريم. إذا أردنا الصديقية، هنا قامت السيدة فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، وفي الحجون قبر السيدة خديجة سيدة نساء العالمين، سيدات نساء العالمين. السيدة آمنة في الأبواء سيدة نساء العالمين كذلك، الكاملات!! والسيدة مريم طبعاً كاملة مكملة، وهن أخوات شقيقات في عالم الروح، وتدرج عالم الأجساد موضوع آخر. قبر النبي عليه الصلاة والسلام "هنالك"، و"القبر أول منازل الآخرة" قال "بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة"، ورواية "بين بيتي ومنبري" الاثنين صحيحتان. البقيع، يتوسل بمن في البقيع، الإمام الشافعي كان يقول "قبر أبي حنيفة ذلك الترياق المجرب"، وأجمع الصالحون من علماء السنة أنّ قبر الإمام الرضا يُسمى "باب الحوائج" تُقضى فيه الحوائج، وكثير من الأخبار لا أريد أن أكثر عليكم.

#### 7- مقام سيدنا إبراهيم

أرجع إلى نفس المقام مقام التوسل، قال ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾، طيب المكان الذي قام فيه سيدنا إبراهيم يرفع الحجر مع ابنه إسماعيل عليهما السلام، يرفعان القواعد من البيت ويدعوان للأمة، يدعوان أن يخرج نبي من أنفسهم، من أنفسهم (روايتان) وأنه يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتابة والحكمة ويزكيهم، ويمنّ الله بعد ذلك بآية لكن يجعل التزكية قبل الكتاب والحكمة. الله سبحانه وتعالى عندما أتى بهذا الكلام وأتى بهذا المعنى جلّ في علاه، قال ذاكراً هذا البيت العظيم ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ آيات بيّنات! ذكر من الآيات البيّنات الكثيرة الجليلة: "مقام إبراهيم". لما وقف إبراهيم عليه الصلاة والسلام رسخت قدماه في الأرض في الحجارة، والنبي له آثار كثيرة في هذا الباب، إكرامات الله لعباده لأنبيائه وأوليائه "ما من معجزة لنبي إلا ولها صنو لها كرامة لولي".

طيب، عندما وقف سيدنا إبراهيم على هذه الحجارة ورسخت قدماه، قال الله سبحانه وتعالى ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾، من دخله ماذا؟ كان آمناً. بمعنى أنّ هذا المقام فيه سر وفيه نور وفيه بركة. وهذا المقام هو خطوتان لسيدنا إبراهيم أثر من سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فما بالك بسيدنا رسول الله؟! هو أعظم مقاماً بلا ريب. وأمر الله أن يتخذ هذا المقام مُصَلًّى ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾، النبي عليه الصلاة والسلام أخره إثني عشر خطوة إلى الوراء، وجاء مزة طوفان ورُحزح فأعاده الصحابة بالقياس، قاسوه وأخروه، ولما أرادوا أن يغيروه في مرحلة قريبة الشيخ الإمام

الشعراوي رضي الله تعالى عنه أفتى لهم بأن يجعل في بلورة كما هو موجود الآن حتى يرى وأن يبقى في مكانه لأنّ النبي وضعه هنالك، النبي مشرّع، أبعد قليلاً.

## 8- الصفا والمروة

طيب الصفا والمروة ماذا ذكر الله عنها؟ قال ﴿مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾. ما معنى الصفا والمروة؟ الشعيرة أي يتوسل ويتقرب إلى الله بها، هذه معنى الشعائر، قربات إلى الله. الصفا والمروة ما هي إلا توسل بمقام وخطوات السيدة هاجر، الصفا والمروة هي خطوات السيدة هاجر، السيدة هاجر عندما مضت تلتمس وقالت: يا إبراهيم أريك أمرك أن تتركنا هنا؟ قال بلى، قالت: إذا لن يضيّعنا. عطش سيدنا إسماعيل وصارت تسعى بين الصفا تصفو والمروة لترتوي. والنبي إبراهيم غادر متألماً وقال ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دُرَّتَيْ بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾، انظروا اليوم دعاء إبراهيم عليه الصلاة والسلام اليوم ملايين يأتون إلى الحرم المكي. وملايين يأتون إلى الحرم النبوي، هذا الذي ربط على بطنه الحجر من الجوع صلى الله عليه وسلّم كيف الناس الآن تأكل وتشرب وتنعم عنده.

فهذا النور الذي لا يطيقه طبعاً بعض مرضى القلوب، البعض يكتب لي الآن: "تتكلم يوماً على القبور"، لأنّ قلبك قبر يا هذا، أنت في قبر ولا تملك الصبر، قبر الجهل قبر الحقد قبر الحسد. والآخر الذي يتهمنا بالكذب نقول له: أي كذب تراه؟ والحمد لله الناس عقلاء تقيّم وتفهم، فذاك مرض قلبك. ولا أدعو عليك لأنّ دعوتي عليك قد تصيبك، فأقول نترك، ﴿وَالْبَعَالَ وَالْحَمِيرَ لَتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ فأنت دخلت في هذا المقام هنيئاً لك به.

المهم هذه الشعائر المقدّسة كما قلت، الوقوف بعرفات كما وقف آدم والأنبياء توسلاً بالجبل ومن وقف على الجبل، لماذا عرفات تحديداً؟ لماذا المزدلفة تحديداً؟ لم الكعبة تحديداً؟ إذا كان هذا حجر والنبي يقول أنّ دم المسلم أعظم منك حُرمة، فكيف بسيد البشر؟! أنت تطوف بالكعبة وتصلي نحو القبلة وتظن أنّ ذلك أجدى من رسول الله وأفيد وأنك تدخل دون النبي عليه الصلاة والسلام؟! فلذلك، لا بد أن تفهم الدين.

إذن الصفا والمروة إن هي إلا خطوات. طبعاً سبقتها السيدة حوّاء في خطوات تبحث عن آدمها، ونبع زمزم لما التقيا بعد أربعين عام من الفراق، كلٌّ كان في بلاد هي كانت في أفريقيا وهو كان في آسيا، هذا موضوع آخر ملف آخر. ولكن على الأقل ما عندنا مما يمكن ذكره هو أنّ نبع الماء تحت قدم سيدنا إسماعيل "زم زم" وهذا زمزم إلى اليوم، وأنتم ترون كيف أنّ هذا الفضل الإلهي العظيم يتجلى في هذه الملايين تسعى بين الصفا والمروة توسلاً بخطوات هاجر لعلها تُقبل كما قُبلت السيدة هاجر، لعلّ الله يفيض عليها من زمزم المغفرة وصفاء الروح وارتواء القلب كما أفاض على إسماعيل، وأن يرزقهم من الطيّبات ويجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم كما استجاب الله لدعاء إبراهيم.

إذن تتخذ مقام إبراهيم مصلى، تطوف بالكعبة متوسلاً ناظراً إلى النور المودع في تلك الكعبة لا إلى الحجر في ذاته، كله من الله بالله، هكذا، كله من الله بالله.

### مرضى القلوب يحاولون كتم أنفاسنا

البعض من مرضى القلوب من مرضى النفوس من الذين تلبس عليهم الشيطان، لما نتكلم هذا الكلام لا يجدون إلا الشتم والتبليغات المستمرة، محاولة كتم أنفاسنا في الكلام. نحن لا نتكلم من قناة تلفزيونية لا نملك القدرة على ذلك، لا نملك مالاً كثيراً، ولا نسمعنا مئات الآلاف، بعض البثوث الآن يسمعونها 5 مليون و 10 مليون، من قدّم كلما كان تافهاً أكثر كلما سمعه عدد أكبر، رغم هذه القلة القليلة من الذين لهم عقول يفقهون بها وقلوب يشعرون بها ولبّ يفككون به المسائل، نُحسد عليهم. حتى تروا أنّ الباطل ضعيف جداً وأن الشيطان نخاس ينخس في قلوب هؤلاء، أنّ الحق صعب عليهم على قلوبهم، لذلك يتكلمون بهذا الكلام ويبلغون ويريدون أن تُمنع حتى من الكلام، بل يرجو بعضهم والله ويصل يحقدهم، يعلم الله الآلام الجسدية التي أعانيها كل مرة، تصل إلي هذه الطاقة الحاسدة، ولعلي أحملها عن أحبائي وعن ذريتي وآبائي ووالديّ وأهلي.

فالمهم، هذا علم آل بيت النبي، هذا هو العلم. وأمّا الذي لا يحب الكلام عن القبور فليعلم أنّ سيدنا جبرائيل في مقام الإسراء والمعراج والنبي يمضي في رحلة الإسراء والمعراج يقول له سيدنا جبريل: "إنزل هذا قبر أبيك إبراهيم صلّ عنده"، ثم قال "وجدت موسى في الكِثبان الأحمر يصلي عند قبره". وقال:

"القبر أول منازل الآخرة، روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار"، إذا كان روضة من رياض الجنة يعني ذلك يُستجاب فيه الدعاء. فهذا يبيّن أنّ الحق فيما نقول وأنّ الوسيلة حق.

أترك الضربة القاضية لهؤلاء الذين هم أصحاب قلوب مريضة وأنفس بغيضة، لا يطيقون المحبة ولا يريدون أن يروا فضلاً عند ذي فضل. وقد كان مقام سيدي أبو الحسن الشاذلي في تونس فيه ألم شديد حتى حوَصر أربعين يوماً، حتى قال لما خرج:

"لو سلمت لنا تونس من أهلها \*\* لكانت لنا داراً ونعم الدار

لا يشهدون لفاضل بفضيلة \*\* وهم لكل رذيلة أنصار"

وهذا الكلام عن الحاقدين والناقمين المستمر إلى اليوم، 90% ممن يسبّونني ويبلّغون علي من أبناء بلدي للأسف، هذا ينطبق على الحاقدين والسفلة من الذين يدنّسون شرف الإنتساب للدولة التونسية العظيمة، بلاد جامع الزيتونة المعمور وجامع عقبة والأعلام والأقطاب والعلماء والأدباء، بلاد الإمام سحنون وابن أبي زيد القيرواني وابن عرفة الورغمي، بلاد محرز بن خلف وأبو إسحاق الجبنياني وأحمد بن عروس والطاهر بن عاشور والشيخ إبراهيم الرياحي والشيخ سالم بو حاجب، بلاد كبار العلماء كابن النجار وابن شباط، وكذلك بلاد حنبعل الذي كان مؤمناً موحداً، بلاد الفرسان، البلاد التي خرج منها الحصري وأبو القاسم الشابي وابن خلدون وابن منظور وغيرهم، إلى علي بن خليفة النفاقي والدغباجي وهؤلاء السادة الكرام، إلينا نحن، راية بعد راية بعد راية.

الحصري القيرواني صاحب: "يا ليل الصب متى غده" \*\* أقيام الساعة موعده" أشهر القصائد العربية، وعارضها غير واحد بينهم أحمد شوقي: "مُضْنَاكَ جَفَاهُ مَرْقَدُهُ" \*\* وبكاهُ وَرَحَمَ عَوْدُهُ"، ولي معارضة طريفة لها أيضاً. من بين المعارضين لهذه القصيدة تقريباً أكثر من سبعين شاعر عارضها.

## 9- ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾

فلنرجع إلى موضوعنا، أثبت هذا الكلام وجود هذه الوسائل. أنت لا تقم بالعبادة كالبهائم كما يفعل هؤلاء البهائم، حمار العزير عندما سرت عليه الآية وعاد حياً عاد بهيماً حماراً لم يرجع نمرأ، لم ير في الآية آية،

لا تنظر بعيني حمار العزير، انظر بعين عيني العزير تفهم. أمّا من تلبّست به روح حمار العزير والله لن يفهم، والله لو سُق له القمر كما سُقّ لمن كفر من قبله. تقول له: الوسيلة حق، يأتيك آيات عن المشركين! نحن نقول "أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله!"! صلاتك وسيلة، النفس وسيلة، الأوكسجين وسيلة لكي تحيي، الطعام وسيلة.. الحياة مليانة وسائل، قلت: وسائل لأمر ووسائل لصاحب الأمر. الأنظمة والأجهزة في جسمك وسائل، عقلك وسيلة للتحليل والمنطق، وعيك وسيلة لتعي الأشياء، والإدراك وسيلة لتدرك الأشياء، وبينهما فرق معنوي كبير، يعني السكران يدرك أنّ ما أمامه مثلاً تفاحة ولكن لا يعي المعنى، وفاقد الإدراك هذا يفقد القدرة كلياً كالمجنون. والشعور وسيلة والحسّ وسيلة، والأجهزة الدورية والأجهزة العصبية والخلايا وسائل، والكريات الحمراء والبيضاء، والنفس وسيلة الأمانة وسيلة للإغواء واللوامة وسيلة للوم، وغير ذلك كثير، كلها وسائل.

أمّا الوسائل لصاحب الأمر فيمّر بالعباد، يمرّ بالذين هم أفضل منك. لذلك لما نطلب الصراط المستقيم ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ لم يقل هكذا وتركها، ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ له أصحاب هذا الصراط. إذن طالما هم، ونحن نطلب من الله أن يهدينا لذلك الصراط، الصراط وسيلة. طيب الصراط إلى أين يوصلك إلى الله أم إلى غيره؟؟ إلى الله لكن من خلال هؤلاء أصحاب الصراط. ولماذا هم أصحابه؟ افهمها بسهولة. ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ نحن نعبد الله سبحانه بمعنى نحن لا نعبد رسول الله، ونستعين بالله سبحانه لا نستعين بأحد خارج لوائه، خارج لوائه لا نستعين بأحد، لا نستعين بصنم أو بقوتنا أو بحولنا. ولكن داخل الأقنوم الإلهي داخل الناموس الإلهي داخل الحضرة الربانية نعم نتوسل إليه نستغيث بأصحاب الصراط المستقيم، بالنبي ومن هم في تلك الرتبة العالية.

لذلك قال ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، كي نتحقق بالعبادة والاستعانة علينا أن نطلب منك أن تهدينا إلى صراطك الذي به نعرف كيف نعبدك، لولا رسول الله هل عرفنا العبادة؟ لولا هذا القرآن العظيم ومن طبّقه وآل البيت الكرام والصحابة الكرام والصالحين الفخام. "صراط الذين أنعمت عليهم": أي أنّ الصراط المستقيم الذي سنقصده ونمضي عليه سيُدخلنا في هؤلاء القوم الذين أنعمت عليهم، وبهم سنصل إليك.

هذه في بدار الحياة، نحن نقرأ هذه السورة كل يوم مع كل صلاة، نحمده ونشكره ونسبي باسمه ثم نحمده وأنه رب العالمين وأنه مالك يوم الدين، ونستعين به نعبده نُفرد بالعبادة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ولكن في النهاية سنمضي إلى أين؟ إلى الصراط، وهذا الصراط سنمضي به إلى العباد أصحاب

الصراط الذين أنعمت عليهم، غير الذين هم غضب عليهم أو ضلّوا. من أنعم عليهم: النبي وآل بيت النبي، الأنبياء أصحاب الأنبياء الخُصّ والصّالحون من عباد الله، أصحاب الصّراط المستقيم. هذا في مدار الحياة نحن في الدنيا.

## 10- ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾

طيب لما ينادي الله النفس المطمئنة لترجع إليه ماذا يقول لها؟ يقول لها ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ الرجوع إلى ربي. طبعاً إلى ربك الرجعي ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾، من الأجداث إلى أين؟ إلى ربهم ينسلون ﴿مَنْ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾، نعم هذا لا ريب فيه، نحن إلى الله رُجعانا، ولكن ثمة وسيلة!

لن ترجعي أيتها النفس المطمئنة إلى ربك هكذا، أولاً "ادخلي في العباد": أصحاب الصراط المستقيم، "ادخلي في العباد": ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾، "ادخلي في العباد": ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾، في هؤلاء العباد. إذا دخلت في العباد، دخلت جنتي، وجنتي وسيلة إلى قربي.

لأنّ أعظم ما في الجنة أمران -خذاها مني:-

1- الأمر الأول: قرب الرحمن، على معاني القرب التي تليق بالله سبحانه وتعالى، لأنه هو قريب في كل حال، دار قرب الله.

2- والثانية: التنعم بمجاورة وصحبة ورؤية سيدنا محمد وآل سيدنا محمد والخُصّ من الأنبياء المخلّصين والصحابة المخلّصين وعباد الله الصّالحين.

أما نعيم الجنة الآخر هذا في مقام آخر، الحور وعينها، والخمور ومعينها، وما فيها من قصور ومن طلعة بدور، ومن عذارى في الخدور، أبقاراً عرباً أتراباً لأصحاب اليمين، هذا أول مقام الجنة. أما المقام الحقيقي السنام الأعظم إنّما نحو الله سبحانه وتعالى، القرب من الله والدخول في العباد وأن تكون مع حضرة النبي. ليس في الجنة أجمل من أنسك بالله سبحانه وتعالى، من شعور الرضا ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، والملائكة يدخلون علينا من كل باب إن شاء الله. وليس في الجنة أنعم ولا أجمل من نظرة

من عين النبي عليه الصلاة والسلام، من ضمة إلى صدر الحبيب الأعظم، من رؤية هذا النبي من مجاورته من سماع صوته، من رؤية هؤلاء الأخيار الذين خلقهم الله وجعلهم مفاتيح الجنة مغاليق النار، أن تصبح وتمسي في أبد الآبدين تتملى في هذا الجميل.

• من لم يشفق إلى ربه، من لم يكن به شوق إلى لقيا ربه وإلى لقيا نبيه، حياته باطلة.

أنتم تنظرون اليوم الحضارة فيها كل شيء: أفخم السيارات، الجمال بمطلق الجمال الجسدي، طب وكل العلوم مسخرة ليبدو غوانهم في ذاك الجمال، في تلك الحلل المغربية، في كل ما يلد للعين التي امتلأت بالطين، للنفس التي امتلأت بالطين، لكل ما هو مطين، سيارات، فنادق عالية، الحضارة الغربية مثلاً في قمّتها.. ولكن رغم ذلك الناس ينتحرون، ومعظمهم مصابون بالاكتئاب، مصابون بالقلق، مصابون بالشذوذ، البعض يرتضي أن يكون كلباً وأن يُسجّل ككلب، والبعض لا يرتضي أن يكون الرجل للمرأة والمرأة للرجل، يفعلون كل الفواحش..

**لأنهم فاقدون للروح، فاقدون لذلك النور الذي نعيشه نحن بوسيلة النبي،** إذ النبي وسيلتنا إلى ربنا لولاه ما عرفنا الله، لماذا اختاره نبياً؟ لماذا اجتباة رسولاً؟ لماذا لم يجعل مناشير تُرسل إلى الناس في منامهم أو يقظتهم ولا حاجة لنبي؟ لماذا آل بيت وأئمة وأولياء وصالحون وعلماء وفقهاء، علماء في الحديث، علماء في التلاوة، علماء في الفقه في الأصول؟ لماذا اختار واجتبي بعضاً على بعض وفضل بعضهم على بعض درجات؟ كلها للوسيلة!!

فمن لم يكن في قلبه وهو في هذه الدنيا حنين للآخرة يغلب رهبة الموت، ليس الموت سوى شهقة تجد نفسك عند الحبيب عليه الصلاة والسلام، في بدن أقوى من جسدك، في سرعة أكبر من سرعتك الجسمية هذا الطين. ونحن نرى ونسمع كيف أنّ أهل هذا الطين إذا ما كانوا في مقام الطين فقط بحالات من الجمال بديعة للعين الجسمية، لا ينكر أحد، سيارات وطائرات وخمور ورقص وابتهاج وقفز بالمظلات وبنيات عالية وذهب ونعيم ظاهري وقدرة حتى على تغيير الملامح والشكل، ولكن فارغ الروح فارغ المحتوى. وآخر كوز ماء وكوخ وامرأة تشقى لأجل أبنائها وتحمل الحطب على رأسها عالياً أطول من حجمها (وأنا رأيت هذا رأيتة بعيني) رغم ذلك ثمة سعادة إلهية يضعها الله في تلك القلوب. كما قال سيدي أحمد بن بو بكر عن حضرة الله يقول: **"نحيبها والنار تشعل فيها \* ونقتلها والمي يجري تحتها".** فهؤلاء

لديهم نعيم الدنيا، ولكن ربنا يقول ﴿لَهُ مَعِيشَةٌ صَنَّا وَنَحْشُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾، والآخِر يقول ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاتًا طَيِّبَةً﴾ و ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِیَ الْحَيَوَانُ﴾ أي الحياة الممتدة.

الحضارة المادية ستعلو وتعلو ثم تهوي، لأنها فاقدة للمعنى فاقدة للروح فاقدة لجمال الروح فاقدة لجمال السر فاقدة لجمال الوصل بالنبي صلى الله عليه وسلم وبآل بيت النبي. لا حياة لمسلم ولا لمؤمن ولا لعارف إلا بالنبي وآل بيت النبي، حتى الصحابة أمروا بذلك. ثم الصحابة لا ننكر قدرهم ولا نجفوهم ولا نعاديهم ولا نستنقص منهم، رضي الله عنهم، لكن نعرف من هو منهم ومن ليس منهم، كما نص القرآن ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾ ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ إلى غير ذلك من السياقات. وهذا علم نكتمه ونصمت عنه ولا ندخل في الخلافات الفارغة. ولكن نقول: حب آل البيت ليس مذهبية.

وتابعوا الحلقة التي سجّلتها مع أخي الشيخ الهادي اللواتي وسمعوا العلم. أنا أتكلم بعلم وبيّنة، والله لا يناظرني في هذا أحد إلا غلبته، ولا يعانديني في هذا إلا معاند مستكبر، لأني مرتوي من سر جدي عليه الصلاة والسلام، من سر آبائي إلى من قال عنهم جدي عبد السلام الأسمري: "هازم جابتهم حزة، ضنوة الزهرة، أولاد سليمان أحرار" جدنا سليمان الفيتوري، إلى الحسن المثني وعبد الله الكامل، إلى إدريس قبل ذلك، إلى الحسنين الحسن والحسين، إلى أمنا الزهراء فاطمة وأبينا علي، إلى جدنا المصطفى. وأنا في مدينة جدي، في أرضي في أصلي في منبجي الأصلي، والوصل كامل والحمد لله، والنور متصل. وكما قال الإمام علي "تكلم كي نعرفك" يمكن لأي كان أن يدعي أنّ له مقام وأنه سيد الأولياء في زمانه والولي الختم ويُشهد الأنوار وصاحب الأسرار، وهو فارغ، كالطبل تسمع له ضجيجاً وفارغ من الداخل، يتبعه الناس على استغفال، يريد كثير منهم الحق ويخطئون، ويريد بهم الباطل فيصل إليه ويصيبه، والله حسيبه.

### نصائح رمضانية

لذلك أيها الأحباب، هذه الوسائل حق. ليكن لك في رمضان وفي هذه الليلة من رمضان المباركة اشتياق إلى مولاك، دمع تذرفه وحق تعرفه ونور تعرفه، لأنّ من عرف غرف ومن ذاق اشتاق "ومن لم يحركه ذوق ولم يُخالجه شوق، لا يرتقي إلى فوق وفوق ما فوق".

ليكن لك في هذه الليلة وما بقي لك من أيام رمضان، لا تعلم كم رمضان ستصوم، لا تدري متى يناديك المنادي ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكْ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾، لا تعلم متى ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ وَالتَّقْفُ السَّاقُ بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ ﴿فُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾. لست بمخلد في الدنيا ولا أنت ابن الدنيا، أبوك آدم ابن الجنة خلق فيها ونزل إلى هنا ندمان أسفأً، وسيدك رسول الله غادر هذا العالم، وروحك جاءت من غير هذا العالم، وجسمك نبت في هذا العالم ليرجع إلى تراب ثم يخرج من تراب، فأخرج منك هذا التراب هذا الطين.

وعالج نفسك بالصبر فإنّ النفس لا ترعوي ولا ترجع مهما رأت من كرامة الروح، وعالج روحك بالذكر فإنّ الروح لا تياس مهما رأت من اعوجاج النفس، وأنت خطاء وربك غفور، فلا تملك إلا التوسل لأنك ناقص عاجز، صلاتك ناقصة وصيامك ناقص، سهوك كثير ذنبك كثير ظلمك لنفسك كبير، فتوسل بالبشير النذير، توسل بالسراج المنير، توسل بطلعة البدر وببطل حنين وبدر يقيهك الله من الغدر ويشرح لك الصدر.

اعلم أنّ الدنيا ليست بدار مقامة بل دار ندامة، فمن أقام فيها على ذكر ربه وعلى حب نبيه وعلى انكسار قلبه وعلى إخلاص حُبّه لِحُبّه وقبول حُبّه بِحُبّه، نعم، على إخلاص حُبّه لِحُبّه وقبول حُبّه لِحُبّه، والتوسل به إلى مرضاة ربه.. كوفئ بغفران ذنبه ومحو عيبه وتيسير دربه. من أقام فيها على تلاوة القرآن، والصلاة على هذا النبي الروح العظيم الإنسان، وأن يسلم من أذاه الإنس والجان، أن يخدم الناس، يُطعم ما استطاع ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾، الذين يقفون ابتغاء وجه الله يريدون وجه الله ويتبعون إليه الوسيلة أيهم أقرب.. هذه الحياة معانيها وذوقها. حينها لما تزور المدينة، أنت زرت رسول الله واستقبلك رسول الله.

## أبواب مكة والمدينة

ولما تدخل على هذه المدينة بالأدب تتوسل إلى رسول الله بأمر المدينة، هنالك إمام وأمير، **أما الإمام مع النبي الإمام فهو الإمام علي، علي بن أبي طالب إمام الناس بعد إمام الناس "من كنت مولاه فعلي مولاه"، أما الأمير دائماً فهو سيد الشهداء حمزة العظيم سيدنا حمزة.**

لما تكون بمكة: **باب تحقيق المطالب أبو طالب،** لا تسمع لمن قال لك "جمرتان يغلو منهما الرأس وأنه مات كافر" هذا شهد آية الفيل مع أبيه، وكان يقول **"ولقد علمت بأن دين محمد \* هو خير أديان البرية ديناً"**، وله قصيدة عدّها ابن سلام الجمحي في جمهرة أشعار العرب المعلّقة الحادية عشر وقال "هي أفضل من كل المعلّقات وأبلغ" في مدح الرسول. ولما توسل عبد المطلب في عام الجفاف أخرج طفلاً وضيئاً كالبدر أبيض مشرب بحمرة أسود الشعر مكحول العينين سمح الثنايا، والناس يذهلون من ذاك الجمال المحمدي، فقال أبو طالب مستذكراً ذلك: **"وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه \* ثمال اليتامى عصمة للأرامل"** هكذا. **وخديجة عليها السلام في الحجون مقبرة المعلاة باب وسيلة.**

أما المدينة ها هنا، بابك سيدنا حمزة أمير المدينة. تزور أحد، تزور سيدنا عبد الله بن جحش، سيدنا مصعب بن عمير هذا الفتى المنعم، تتوسل بهم، تستأذن على الحبيب عليه الصلاة والسلام. **إن مررت بالأبواء تستأذن بالسيدة آمنة أقرب قلب إلى الحبيب ﴿بَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾**، أي الناس أبرّ بوالديه من النبي عليه الصلاة والسلام؟! ثم السيدة الزهراء، سيدنا الحسن، الصادق والباقر وزين العابدين، أصحاب النبي، أبناء النبي بنات النبي، زوجات رسول الله أصحاب رسول الله، العلماء الجهابذة من أمة رسول الله كإمامنا الإمام مالك رضوان الله عليه، نحن في تونس الحمد لله مدرسة مالكية بفخر واعتزاز. ويمضي قلبك إلى حيث شاء، إلى النجف إن شاء إلى سيدنا علي إلى سيدنا الحسين..

هكذا تتوسل وترى بقلبك هؤلاء، وسوف ترى من عطاءات الله بهؤلاء السادة. ما أنا فيه من خير ومن علم ومن فصاحة ومن إغراق في العلوم وموسوعية فيها لا ينكرها علي إلا جاهل أو أحمق قلب أو قليل عقل حقيقةً، ولو ناظرونا في أي باب لغلبناهم، ولكنه عناد النفس، ما أنا فيه من تراب قدم هذا النبي وآل بيت النبي، من تراب أقدام الصالحين، من طول حبي لهم وذودي عنهم وذوباني فيهم، ودموع ذرفتها ودماء نزفتها وحقائق عرفتها وغرفتها بفضل الله تعالى، بفضل الله تعالى ليس لي شيء والحمد لله. وأنا في هذا المقام مأذون، أنا في مدينة جدّي رسول الله مأذون، ولا أقول إلا خيراً ولا أدعو إلا لخير.

## أول منكر للتوسّل

ختام موضوع التوسّل، سنأتي بمثل على المنكرين للتوسّل، سأتيكم بمثال: كائن عبد الله أكثر مني ومنكم، فليس في أعمار البشر من عمّر كما عمّر، ولم يكن في البشر بيننا إلا الأنبياء ولم يُرفع في حال الحياة إلا إثنان منهما ثم بعد ذلك من كانوا منظرين إلى ذاك المقام، أي رُفِع عيسى وُرفِع إدريس وإلياس هؤلاء المرفوعون، أو النبي في الإسراء والمعراج إلى أرفع، أو آدم خُلق هنالك. هذا الكائن لم يكن لديه أي إشكال في العبادة، كان يعبد الله سبحانه وتعالى ليلاً ونهاراً، يصلي طويلاً يسجد طويلاً، لم يكفر بالله يوماً، لم يعبد غير الله يوماً، ملايين من الأعوام بأعوامنا، عابد. يسمّى "آمون" أو هكذا دَوّنت وأنت خذ ما تريد، ذُكر يُسمّى "الحارث"، ذُكر يُسمّى "أبو كردوس" المهم كان من الجن، كائن جني قوي، إذا أردت تفصيل من الجن نوع الجن الأزرق، إذا لم ترد فلك أن تقول من الجن.

بلغ من الطاعة أن صار وزير ذي القرنين، خذها مني وإن شئت لا تأخذها، ذو القرنين قبل سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام، قبل آدم عليه السلام، قديم، موضوع قصه ذو القرنين قصة قديمة أقدم من هذه الحضارة الآدمية، إن لم تشأ دعه على جنب. أقول: بلغ أن كان وزير القائد العام للجيش الإلهي في السماء الدنيا التي ملكها إسماعيل الملاك. صار من أصحاب المقامات، كوفئ بأن رُفِع من مقام الجن إلى جن نوراني هو أول نوع منه، رُفِع إلى السماء الخامسة إلى جنة السماء الخامسة، مقام عظيم. وصار يرفرف مع الملائكة جيئةً وذهاباً ويتحاور معهم، بل صار عليه إسم الإيل هذا الذي يُعطى للكبار "جبرائيل ميكائيل إسرافيل" (إيل يعني الله)، سُمّي "عزازيل"، عبادة وسجود ويناخي الملائكة. وكان يطمع في قلبه بغواية، فتنه الله ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ﴾، لذلك قال بعد ذلك ﴿رَبِّ بِمَا أَعْوَيْتَنِي﴾، يطمع أن يكون الخليفة. لأنه ترك العالم في حرب قضت على كل الكائنات القبل آدمية، حتى التي كانت في الأرض التي نسّميتها الديناصورات، وبقيت الأرض هكذا تنتظر.

طبعاً علماء التطور الأغبياء لا يبيّنون كيف هلكت كل الحياة على وجه الأرض، الديناصور يهلك، قال لك "بعض الثدييات بقيت حية" كيف يا رجل؟ إذا كان الديناصور بهذه القوة وهذه الصلابة زال، وبقيت الأرض في غبار نووي لملايين السنين، ونجت النملة والضبع نجا؟ كذّابون. بل أعاد الله الإنشاء والخلق، أعاد الله الخلق لأنه خالق. ثم التطور هذا، هذا هو تطور غبي، إذا كان أحادي خلية وصار ثدي ثم صار ديناصور ثم رجع وانتكس وصار بطة وإوّة ودجاجة، ثم هذه وجدت الشجرة عالية فصارت زرافة والأخرى وجدت قريبة صارت غزالة والآخر انتفض انتفض انتفض ففعل فعلته في نفسه فصار عنده

جناحين، والدب الأبيض جلس في الثلج ابيضّ والأسود جلس في الهجير فصار أسود. لو تأخذ دب أبيض مليار سنة في مكان في أفريقيا لا يصبح أسود، ممكن يموت لكن لا يصبح أسود، ولو تأخذ أسود تضعه في الجليد مليار سنة لا يتحول أبداً إلى لون أبيض، ولو تأخذ أفريقي للأسكيمو لا يصبح أبيض، ولو تأخذ أسكيمو لأفريقيا لا يصبح أسود بذاك الحجم، أبداً. ولو أنّ القردة تخرّجت بشراً لكان كل زمن يتخرّج مجموعة من القردة يصيروا بشر. غباء التطور الدارويني، وحُقم دوكنز ودينيت وهاريس هؤلاء الذين يسمّونهم "فرسان الإلحاد الأربعة" واحد دائماً أنساه ولا أريد أن أحفظ إسمه، أغبياء الإلحاد الأربعة الحمقى.

فهذا المخلوق الذي عبد الله تلك المدة الطويلة، سؤالي: لماذا صار إبليس شيطاناً؟ لماذا خرج من الجنة؟ هذا هو امتحان الذين يرفضون الوسيلة: رفض السجود لآدم!! ما معنى السجود لآدم؟ التوسل بآدم. يعني الله سبحانه وتعالى قال للملائكة: بمجرد أن أنفخ من روعي (هذه "روحي" لها تفصيل) في هذا الكائن الطيني، أقروا له أنه صاحب الوسيلة عليكم، فدخلوا علي من بابه وجنابه فتوسّلوا به، اسجدوا لآدم. طبعاً ناظروه بكلام من إبليس لأنّه شهد الحروب، فلما ضمن أنّها لن تكون له قال لهم: أنتم أولى يا ملائكة، لذلك قال ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ كتموا أنه كلمهم إبليس، أراد أن يفتن بينهم "أنتم تعبدون الله أنتم تسبحون لله..". فرفض ﴿أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾.

برفض سجدة واحدة لمخلوق، رُفض كل سجوده الطويل للخالق بعد أن بلغ السماء الخامسة صار جنّاً ملائكياً، وإلا لماذا هو من الجن وأمر مع الملائكة ما هي القصة؟! هذه هي القصة الحقيقية، هذه علوم آل البيت الموروثة. رفض السجود لم يكن من باب: أني لا أعبد إلا أنت، إنما من باب: أعصيك في أمرك ولا أتخذ هذا وسيلة. وهذا ما يفعله الذين عندهم العقيدة الإبلسية اليوم، يرفضون أن تسجد قلوبهم لرسول الله ولآل بيت رسول الله، قال ربنا ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ التسليم لرسول الله، يرفضون أن يأتوا للنبي فيستغفر لهم ويستغفرون بين يديه، يرفضون مقام آل البيت الذي أمر به رسول الله، ويجعلون بعض أصحابه فوقه جاهاً وقدرة وعزاً عند الله وعزاً على الله، وهذا من لغو الكلام.

إبليس دخل من باب الرحيم خرج من باب الرجيم، دخل من باب العطاء خرج من باب الغطاء، بهذه النقطة الحسدية، برفض الوسيلة، كما رفض قابيل أن يتخذ أخاه هابيل وسيلة وأن يكون أفضل منه، كما

رفض عبد شمس أن تكون الوسيلة عند هاشم. ولكن يعقوب قبل أن تكون الوسيلة عند يوسف فخرّوا له سجداً ورفع أبويه على العرش، يسجد نبي لنبي، أب لابنه! ما لك أنت ورسول الله؟ أين أنت من رسول الله؟ أنت لا تكون بعرة ولا ذرة أمام قدر رسول الله! أين أنت من يعقوب يسجد لابنه؟! هذا قلب إبليس، غروره واستكباره ﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾. ولذلك كل من يجادلنا في الحق الذي نقول، يدخل إمّا لعاناً سبباً شتّاماً، إمّا متهمكماً، إمّا مثيراً للإشكاليات، إمّا مبلّغاً عمّا نقول، رافضاً كارهاً.. قلبك على قلب إبليس.

سؤال ثاني: مَنْ مِنَ الكائنات حزن يوم وُلد سيد الكائنات؟ مَنْ كان قبل ميلاده في حالة اضطراب أن سيولد خير الخلق، أن سيولد الذي هو رآه لمّا كان عند الله، لما كان فوق في السماء الخامسة رأى هذا العالي العظيم ﴿أَمْ كُنْتُمْ مِنَ الْعَالِينَ﴾ رأى سيد الخلق، مَنْ؟ إبليس. إبليس قبل مولد رسول الله كان في تعاسة، وكان يسبّ ويشتم، وغضب يوم وُلد النبي وصرخ، نُخص. وترى أصحاب العقائد الفاسدة اليوم إذا اقترب المولد يختنقون، تُظلم وجوههم، تكفهر ملامحهم، تسودّ قلوبهم، ترید حناجرهم، تمتلئ غيظاً صدورهم، تضيق صدورهم، ويلقون على الناس "شرك بدعة شرك" لأنها قلوب إبليسية.

أيها الأحباب الكرام اقتربت صلاة الفجرها هنا بعد ساعة تقريباً، ولنا بعض أمر مع ربنا إن شاء الله. قدّمنا إليكم من عمق القلب، من علوم آل بيت النبي، من إرثنا إلى رسول الله، حقاً في حق. ابتغوا إلى ربكم الوسيلة بصاحب الوسيلة سيدنا محمد، لا تعبدوا الله عبادة إبليس، إبليس كان قد يردّد "لا تعبد إلا الله، لا تسجد إلا لله" قاصداً: أنا أرفض أمر الله. ولكن، نعم لا نعبد إلا الله، نعم لا نؤمن أنّ النافع الضار على وجه الحق إلا الله، نعم لا نؤمن بغير ذلك، نؤمن أنّ الله هو النافع هو الضار هو الحق هو المولى، أنّ الله هو الله سبحانه، لكن أيضاً نؤمن بالوسائل، نعلم أننا نحن مقصرون وأنّ دخولنا من حضرة الجناب النبوي دخول عظيم، هذا معنى الصلاة عليه. حاشى لله أن نظن أننا ندخل على الله بأعمالنا، وإلا لكان نفع إبليس أعماله، وإلا كانت نفعته صلواته وعبادته، ولكن **رفض سجوداً فخرج مسدوداً ووجد الباب دونه مسدوداً.**

## دعاء الختام

فلنقم بين يدي هذا النبي العظيم بالصلاة والسلام عليه، الصلاة والسلام عليك يا سيدي ومولاي وجدي وسؤددي وسندي، أماني في **الوحشة**، وضيائي في **الغبشة**، وأنيسي في الدنيا وعند **الموت** وخفوت **الصوت** وفوات **الفوت**، مؤنسي في الآخرة، أن نكون لك جيراناً، شفيعنا عند الله، ساقينا عند الله، هاديننا إلى الله، موصلنا إلى الله، لا تقل "هذا الولي أو ذاك يوصل إلى الله" الموصل هو النبي. لذلك بعض الدجالين يقول لك "هذا يوصلك إلى الله بلمسة" طريقة تقوم على الشهادة ويشاهد، تمسك يده تشاهد النور ويوصلك إلى الله، كذاب، أكرها: كذاب دجال. لا يوصل إلى الله إلا رسول الله، ولا أحد يُشهدك النور بهذه الطريقة والكيفية ويوصلك في خمس ثواني، تحتاج إلى ثني الركب. أنا عكفت على هذا الكتاب تأليفاً منذ عشرين عام، واحترق قلبي قبل ذلك، وما زلت في أول الطريق، ما زال الطريق بعيداً إلى آخر رمق.

وصلّ اللهم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، اللهم اجعل لنا من وسيلة سيدنا محمد نصيباً، اللهم اجعل لنا من تلك الوسيلة العظيمة نصيباً. إننا نتوسل إليك بسيدنا رسول الله وبآل بيته الكرام وأصحابه الفخام، بوالديه بأمه وأبيه، بكافليه بجده وعمّه، بحمزة وبجعفر الطيار، وبالمؤمنين والصحابة المهاجرين والأنصار، بالأنبياء قبل ذلك والمرسلين الأخيار، وبالصالحين أصحاب الأنوار والأسرار، بأصحاب السرائر والضمائر وأنوار البصائر، بكل صديقة تقية وزاهدة وليّة، لا سيّما مريم وآسيا وسارة وهاجر وحواء وبلقيس وزليخة وسيدات النساء، وكذا بآمنة وخديجة وفاطمة بنت أسد والسيدة الزهراء وابنتها زينب، بنات النبي وأبناء النبي، بآل النبي وبأحباب رسول الله وبالصالحين أهل الجاه، وبالمهدي القائم الأوّاه، وبالخضر وذو القرنين، وبالحسنين النيرين، وبكل من هو له عندك وسيلة، ومقام وفضيلة، بكل أصحاب الأسرار والأنوار والأخيار من عبادك يا رب العالمين، بملائكتك المجتبين، بحملة عرشك أجمعين، وبك أنت بأسمائك وصفاتك، وبكل إسم من أسمائك هو لك، باسمك العظيم الأعظم والقديم الأقدم، بعرشك المجيد وبك يا مجيد، وبكل أمر لك فيه سر، وبكل من أحطت به من أهل السر، بكلماتك وآياتك وآلائك..

إلا أن تُشَقَّعَ فينا رسول الله عليه الصلاة والسلام، وتدخلنا على حضرته في أحسن حال، وأن تحيينا على أحسن حال، وتشفينا وتشفي ذرارينا وأهلينا ووالدينا ومريدينا وأحبابنا **أجمعين**، تكفيننا وتغنينا وتقينا شر الحاسدين ومكر **الفاستدين**، وتنصر هذه الأمة وتفترج عن أهلنا في **فلسطين**، وعن كل مبتلى من خلقك يا

رب العالمين، وتنشر هذا النور وتبارك لكل من يسر لمعتمر وحاج لكل من يسر لهؤلاء الزائرين، وتبارك في كل من خدم، في كل من صام وقام وعلى خير أقام يا رب العالمين

وأن تتوقأنا وأنت راضٍ عنا، ليس في قلوبنا جزع، ولا في نفوسنا هلع، وأنت ناظر إلينا نظرة الرضا، ونبيك يمد إلينا يمينه، ويقسم لنا يمينه، وأن نكون بعون الله يمينه، وأن نُحشر معه ونمضي معه إلى جنان الفراديس حيث نبقي معه، وحيث نستظل بظل عرشك العظيم، وننال من رحمتك يا رحيم، ومن عظيم عطائك يا كريم

يا جواد يا خير هاد، أنقذ واستنقذ بخيرك ولطفك وعفوك أرضك والعباد، ونجّي أصحاب البلاد، من كل ذي فساد، فخذ اللهم الظالمين، وقتلة الرضع والأطفال والمساكين، كما أخذت عاد وثمود وفرعون ذا الأوتاد، صببت عليهم صوت عذاب، إنك لبالمرصاد

اللهم اجعلنا من العارفين بك، والمؤمنين بك، والمصلّين تسبيحاً وتسليماً لك، اجعلنا اللهم ممن ذكرك، ممن شكرك، ممن حمدك، ممن عبدك فما جحدك، اجعلنا اللهم من المصلّين الراكعين الساجدين الخاضعين الخاشعين، اجعل في عيوننا لك دموعاً، واجعل في قلوبنا لك خشوعاً، واجعل في أرواحنا إليك رجوعاً، اشف اللهم الأبدان والأرواح

بارك اللهم في كل من سمع القول فاتبع أحسنه، بارك اللهم في ذرياتنا، وآبائنا وأمهاتنا، وزوجاتنا، وأحبابنا، وبارك اللهم في أصحابنا، وفي تلاميذنا ومن أخذ عنا، وفي مريدنا إلى طريق الحق، وفي من سار معنا في طريق الحق، ولم يستوحش طريق الحق وقلة سالكيه، ولم يمض مع هالكيه، نحمد الله حمداً كثيراً، ونشكره شكراً جزيلاً، ونعبده رباً واحداً أحداً عظيماً جليلاً، نسبحه كثيراً، ونذكره كثيراً، إنه كان بنا بصيراً

## خاتمة

في مدينة رسول الله، في ليلة السابع والعشرين من رمضان، كان هذا نفح الحبيب الأعظم، بمدد من سيدنا حمزة، حكمةً وعلماً وسؤدداً وفصاحةً وبياناً وبلاغَةً، وهذا كلام ذرية المصطفى، على حقيقة **الوراثه**، وحقيقة **الحراثة**، وحقيقة الغوث **والإغاثة**، وعلى حقيقة ما أعطى الله، وما أبدى الله، وإنّ ما أخفى لأعظم. وصلى الله على سيدنا محمد صاحب المقام الأعظم، والحمد لله رب العالمين، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

جزى الله خير من أعاننا على مشاركة هذا العلم وعلى التعليقات حتى نتغلب على من يبلّغون، سبحان الله هنالك عصابة حقيقة، ومنذ زمن أنا أعينهم وأعرف كثيراً منهم ومن يحركهم، لسنوات طويلة يحاربوننا، بالعين والحسد والسحر والأذى والسب والشتيم والتشويه والإشاعة ومحاولة غلق كل سبيل علينا، ولكن الله ناظر إلينا ونحن منصورون.

ولا نبالي إن سمعنا واحد أو مليار أو حاربنا واحد أو مليار، والله في ميدان الحرب لو كنت أقف مع جدي علي وعمي حمزة وأبواي الحسن والحسين وخلفنا جدنا المصطفى، ومعي آباي جميعاً من الحسن المثني وعلي زين العابدين إلى جدي عبد السلام الأسمر إلى جدي علي رحمه الله والد أبي الطاهر، والله لا نبالي إن كان يقف خلفنا أو معنا بجوارنا ألف أو مئة أو خمس أشخاص، لا نبالي إن كان الذي يحاربنا واحد أو مليار، والله لا نبالي بهذه الدنيا ولا نخاف، ليس فينا من يكون فيه ذلة هيهات منا ذلك. وأنا ابنيهما الحمد لله، وهذا فخري، ومن لم يرمه فليضرب رأسه على أقرب جدار

**بسطة حرف المنجلي \*\* في كفّ روجي المخملي**

**وقلت يا نفحات جدّي \*\* بجاه أحمدك اقبلي**

**أنا ابن خير الخيّرين \*\* ابن التقي الأول**

**أنا ابن فاطمة البتول \*\* أنا ابن حيدرة الولي**

**أنا حفيد السيّدين \*\* وحقّ هذا الفخر لي**

**والخضر علّمني العلوم \*\* وكل سرّ منجلي**

أضياء نور الحب أدنى \*\* وقيل زهراء اقبلي

فلتسألني الرحمن يعطي \*\* ربُّ حباك تدلّي

قالت لأبنائي الجنان (لعشّاقِي الجنان) \*\* فقبل فردوس اقبلي

وقيل يا رحمات سيري \*\* بجاه فاطمة انزلي

نعم إنّ الله يرضى لرضاها ويغضب لغضبها

حياكم الله رمضان مبارك، أنا قدّمت لكم هذا الدرس رغم أنني أعاني من شيء ما في جسدي ومن بلاء ما، الحمد لله ربي صرف عني جزأه الأكبر لخطأ ما اقترفه إنسان ما في مكان ما هداه الله فترك في جسدي أذى، ولكن الحمد لله الروح "الروح خضرا \*\* والعشق ماليها". حياكم الله وإلى اللقاء وربنا يحفظكم ونراكم بخير وعلى خير وتصبحون على خير، شاركوا هذا الدرس وتابعوا أيضاً حصتي المميزة مع هادي اللواتي. من استطاع أن يكتب هذا الدرس وأن يُجمل ما فيه فليفعل. إلى اللقاء جميعاً، الواحد منكم بألف، لا نبالي بكثرة وبكم بل بكيف، في رعاية الله.

الدرس بتاريخ: 2025-03-27





## نفحات رمضانية: متون الشرح في معاني سورة الشرح

رحلة مع رسول الله ومنّ عليه بشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر

### مقدمة

نبدأ كلامنا بالحمد لله سبحانه وتعالى أن أقامنا في مدينة الحبيب محمد، هذه المدينة المباركة التي إن أتاه الإنسان بقلب منيب وجد الإنابة وفُتحت له أبواب الاستجابة، وإن أتاه بقلب منكسر جبر الله كسره ومنحه يسره ووقاه عسره، وإن أتاه بقلب محب نال من المحبة ما لا يتصور، وإن أتاه بقلب فيه استئناس أنس وأمن وسكن واطمئن، وإن أتاه بقلب حائر هيمان وجد هنا السكينة والاطمئنان. وحيثما أجلت قلبك في هذه الرحاب النبوية الطيبة تجد الهدى والأنس والسعادة، لذلك ابن الطيب الشرقي الفاسي المالكي المدني العلامة الكبير رحمه الله تعالى له أبيات مشهورة جداً:

إن لم تَطِب في طيبةٍ عند طيّبٍ \* \* به طيبةٌ طابت فأين تطيبُ؟

وإن لم يُجِب في أرضه ربُّنا الدعاء \* \* ففي أي أرضٍ للدعاءٍ يُجيبُ؟

والبعض غير وبدل فيها:

إن لم تَطِب في طيبةٍ عند طيّبٍ \* \* به طابت الدنيا فأين تطيبُ؟

وإن لم يُجِب في حيّه ربُّنا الدعاء \* \* ففي أي حيٍّ للدعاءٍ يُجيبُ؟

فالحمد لله أننا في مدينة الحبيب محمد الرسول الأعظم والنبى الأكرم، هذا النبى الذى جلّ قدره وشُرح صدره صلى الله عليه وعلى آله وسلّم تسليماً كثيراً، هذا الحبيب محمد يا عالم، حبيبنا رسول الله نبينا العابد التقي الأواه الذى عرفنا به الله سبحانه وتعالى وهُدِينَا به إلى مولاه، فوجدنا فى رضوانه سبيلاً إلى رضاه، فرضوان النبى عليه الصلاة والسلام فيه رضا الله سبحانه وتعالى.

وأنا أعتقد جازماً أنّ كل من دعا الله سبحانه وتعالى دون توسل بالحبيب وآل بيت الحبيب، أراه نوعاً من الاستعلاء، وكأنه يطرق الباب وحده. والحبيب عليه الصلاة والسلام كان فى جُلِّ دعائه التوسل، دائماً يقول **"اللهم بممشاي إليك وبالسائلين عليك"**، اللهم بحبيبك محمد والأنبياء من قبل، اللهم إني أسالك بأسمائك الحسنى وأنبيائك وبمحبوبيك ومقبوليه (ما معناه)... تجد أدعية كثيرة بهذا المعنى. وحتى الذين يذكروهم الله سبحانه وتعالى يدعون ربهم رغباً ورهباً لا بدّ أنهم داخلون تحت وسيلة، لا بدّ أنّ لهم بوابات وأنهم عارفون بهذه الأبواب أبواب المحبة والجاه المحمدي.

### سورة الشرح

وكنّا فى الدرس الماضي طرفنا باب الوسيلة، وكنّا فسّرنا معاني سورة العصر، وكنّا تكلمنا عن الفاتحة فى أحكام سورة الفاتحة، وأضفنا إلى ذلك ما أضفناه من سورة القدر، والليلة نمضي مع سورة الشرح. لا يخفى أنّ الليلة زحام كبير فى المدينة المنورة، لعلمهم أكثر من مليوني إنسان وقد يصلون إلى ثلاث ملايين إنسان مؤمن عاشق محب قادم من أصقاع الدنيا، صلوا هنا صلاة التراويح وكانت صلاة عظيمة، وبعد قليل هناك صلاة القيام أيضاً، ونحن ها هنا نرى هذا الأئس وتوافد الوافدين. فجزى الله خيراً كل من خدم هؤلاء العاشقين المقبلين على حضرة الحبيب الأعظم، كل من خدمهم كل من أعانهم كل من ساعدهم جزاه الله خيراً على ذلك وبارك الله له فى أعماله وحاله ومقاله.

الدرس الليلة هو تأمل كالعادة، أنا أحب أن أطلق لفظ التأمّلات، تأمل فى المعاني، سمّينا درس الليلة **"متون الشرح فى معاني سورة الشرح"**.

- "متون الشرح": متن التفسير، هنا الشرح بمعنى التفسير.
- "فى معاني سورة الشرح": من معاني شرح الصدر، من مئة الله على سيدنا محمد بقوله ﴿وَأَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾، ثم أبان عن وضع الوزر عنه ورفع الذكر.

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (1) وَوَضَعْنَا عَنكَ وَرِزْقَكَ (2) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (3) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (4) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (6) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (7) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب (8)﴾.

تأتي هذه السورة في حال من العسر عند المؤمنين والمسلمين، وتأتي في أيام صعبة عاينها وعانها سيد الخلق سيدنا محمد، أيام يضيق فيها الصدر ﴿يَضِيقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾، وأيام فيها عسر شديد، فيها بلاء وفيها فقر وإفكار ومحاصرة للمسلمين والمؤمنين، حصار الجبابرة الطاغين. كما في كل عصر وفي كل وقت نجد أنّ الحق معادي ومحارب ومستهدف وأنّ أهله دائماً في بلاء وفي ألم.

فلذلك تأتي هذه السورة رسالة إلى حضرة الحبيب المصطفى، يقول له ربه من باب المنّ عليه: ألم نشرح لك صدرك؟ يمنّ عليه ذلك سبحانه وتعالى. فتكشف هذه الآية عن جميل المبنى والمعنى، وعن جميل الغاية والإغاثة الإلهية لسيدنا رسول الله.

### ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾

أولاً، "ألم" هذه التي تأتي للاستفهام سؤال إنكاري وليس من باب السؤال الحقيقي، حتى في قوله ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظَّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾. "ألم" تُستعمل كثيراً في القرآن الكريم من باب السؤال الذي يُعلم جوابه، وأحياناً من باب التحقيق والتقرير. ففي ظاهر صيغة "ألم" تركيب فعل ريك بأصحاب الفيل "في ظاهر الصيغة سؤال عن أمر قد تمّ والحبيب عليه الصلاة والسلام في بطن أمه، وفي معانيها ومبانيها أنّ الله أراه ذلك، شهد المشهد.

لأنّ الوحي فيه وحي صوري وهذا يصعب على الحبيب عليه الصلاة والسلام عندما يكون الوحي صورياً أي مشهدياً، فيعسر عليه حاله ويصعب عليه مقاله، وآخر يتفصّد منه عرقاً.. والوحي أنواع لحضرة الحبيب المصطفى وله أحوال عديدة مختلفة مما يأتيه به "زملوني دثروني" وغير ذلك كثير. نجد في الروايات أنّ بعض الوحي كان يطرقه شديداً، أحياناً تكون مشاهد جليلة عظيمة يريه الله مشهدية القيامة أو غير ذلك. يعني ليس الوحي على حضرة النبي كما نقرأ نحن القرآن، وليس قراءة العارفين بالله كقراءة الغير عارف بالله، هنالك من يقرأ السطور وهنالك من يقرأ الصدور وهنالك من يقرأ المشهد، من يريه الله سبحانه وتعالى ما شاء، فيفتح له نافذة لرؤيا ومشهد من خلال القرآن الذي عليه يشهد.

وهذا باب واسع، فالبعض يفسر القرآن من باب معانيه أو لغته ومبانيه، والآخر يُكشف له معاني آخر يريه الله مشاهد، يريه مشهد قوم نوح وغيره.. وهذا ليس بعزيز على الله سبحانه وتعالى بث الصورة في الروع أو بثها في المنام، هذا ليس بعزيز على الله سبحانه وتعالى، يُري الله من عباده ما شاء على ما شاء، وهو القادر، ومعاني القرآن لا تنتهي، لا تنقضي العجائب والغرائب في هذا الكتاب العظيم.

"ألم" فيها ألم، لأنّ "ألم" وإن جاءت بمعنى الاستفهام ففي تشكيلها اللغوي سرّ من الأسرار، "ال م" وما فيها من سرّ يتصل إذا بالشرح مما لا ريب فيه. ﴿الْم ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾، لعل التشكيل الحرفي بين "ألم" شرح لك صدرك" وبين صبيغ "الم" هذه، وبين هذا السرّ الرقمي الحرفي الذي فسّره كثير من المفسّرين ولكن بقي غامضاً، بقيت معاني الحروف المفردة في القرآن الكريم "يس طه كهيعص الر حم عسق وغيرها" بقيت في غموض، كلُّ يرد من زاوية وينظر من زاوية، والنبي عليه الصلاة والسلام لم يشرحها على عموم الصحابة إنما أعطاهما فقط لبعض من علّمهم كسيدنا الإمام علي عليه السلام وغيره من الصحابة الكرام.

فلذلك "ألم" تحمل معاني كثيرة، تحمل معنى الاستفهام، يُبطن فيها معنى الألم الذي يشعر به كل من سُرح صدره، لأنّ شرح الصدر أمر صعب ليس بالأمر اليسير، وإن كان فيه ما فيه من خير، يشرح صدره للإسلام، شرح الصدر فيه اتساع للحكمة فيه اتساع للرحمة للمحبة. ولكن الضفة الأخرى الضفة الكارهين والحاقدين تجعل الأمر عسيراً على الذي سُرح صدره، لا أحد يُشرح صدره لعلم ولحكمة إلا ويبتلى ويُمْتحن، يمتحنه الله سبحانه وتعالى كما شاء، يجعل له امتحانات، يجعل له تزكية، يجعل له تسليطات من أعدائه من شياطين الإنس والجن، بين مستهزئ ساخر، وبين كائد وبين راصد وبين حاسد وبين مستكبر وبين معادٍ مجاهر بالعداء أو منافق يخفي عداءه في قلبه، وغير ذلك الكثير..

طبعاً هذه المعاني الجانبية لـ "ألم" ليست من جوهر المعنى الحقيقي، إنما بسبب التفسير الإشاري. وكان الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي كتب في ذلك تفسيراً إشارياً، وابن عربي وغيرهم كتبوا في بعض المعاني الإشارية. وأنا أشير إلى أنّ هذه المعاني لا يجب أن يكون فيها شطط، وكما يفعل بعض أغبياء المتصوفة بعض الغلاة الذين لا ينتسبون لحقيقة طريق القوم، أنهم يمضون إلى الإشارات بعيداً جداً ويرمون على غير حق.

وكذلك من ضاقت بهم العبارة من المفسّرين ودخلت فيها الإسرائيليات، سبّبت إشكاليات ضيق في حدود العبارة، وأحياناً يظلمون الآيات القرآنية يظلمون القرآن الكريم في حصره وفي الكثير من التبسيط حتى

يصل إلى أمور من إسرائيليّات وخزعلات حقيقية نجدها في بعض تفسيرات الآيات، مثل قولهم ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ أنه رضيع نطق في المهد وقال "انظروا إن كان قميصه قُدَّ من قُبُلٍ..". وهذا غير صحيح. وكذلك أن الله سبحانه وتعالى برأ موسى ﴿فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ أن حجراً فرّ بثوب موسى ويركض موسى خلفه بلا لباس ويضرب الحجر حتى يبقى عليه تصدّعات بقيت إلى اليوم! هذا أيضاً كلام فارغ لا حقيقة له ولا معنى له، هذا كله من الإسرائيليّات وهي كثيرة. أنا وقفت على العديد من الإسرائيليّات أثناء بحثي ودراستي لعدد من كتب التفسير للقرآن الكريم، كثير من الإسرائيليّات تسربت سواء من سيف ابن عمر التميمي أو ابن الرواندي أو من كعب الأخبار ووهب ابن منبه وغيرهم.

إذن "ألم نشرح" هذا السؤال الذي يعني المنّ والتفضّل والمساءلة، يسأل النبي عليه الصلاة والسلام من باب الإنعام عليه حتى يشدّ عضده. وهذا له سياق سابق ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾، يمنّ الله على نبيه ليس من باب المنّ بمعنى يمنّ أحد على آخر، لذلك الله نهى إتباع الصدقات بالمنّ والأذى أنه كل يوم يقول له: ألم أعطك مالاً؟ الله يمنّ من باب آخر، الله يمنّ من باب شدّ العضد، يمنّ من باب إظهار النعمة على عبده، من باب إظهار هذا الفضل الذي أعطاه لسيدنا محمد أو أعطاه لغيره ممن أعطاهم من عطايه. ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ الله يمنّ ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾. أما الذين يمنّون على النبي أن آمنوا وأن أسلموا هؤلاء كانوا من المنافقين.

فالمنّ الإلهي يحمل معاني عظيمة راقية تليق بجلال الله سبحانه وتليق كذلك بالجناب النبوي. فالحوار هنا بين العظيم الخالق وبين أعظم مخلوق، حوار في غاية الرقي. ويأتي به ملك عظيم يصل الوصل بين الخالق ومخلوقه المجتبي المختار المصطفى، يواسيه في دنيا كان فيها بلاء شديد وامتحان على المسلمين، استضعفوا وأوذوا وحوصروا في شعب أبي طالب زمنًا، وفقد النبي حباة قلبه وفقد عمّه الذي كان عضده، حتى قال "لم تمسني قريش بأي أذى حتى توفي أبو طالب". فهذه من المعاني التي نتلمسها من منّ الله على عبده محمد عليه الصلاة والسلام.

من إفضاله من إكرامه له أنه يذكره بنعمه، من باب أن يشدّ عضده، من باب أن يؤنسه، من باب أن يواسيه، من باب أن يدعوه إلى مزيد من الصبر واليقين وهو من أهل الصبر واليقين، فيقول له منبئاً مخبراً: "ألم نشرح لك صدرك؟" ألسنا قد وضعنا في هذا الصدر الشريف العلوم؟

## قصتان موضوعتان عن شرح الصدر

هنا سنأتي إلى قصتين إسرائيليتين وجب التنويه بهما، وهذا رأيي وأنا مستعدّ أن أجادل فيه كل من يتصدر لتفسير القرآن الكريم في هذا المبني والمعنى. قصة وردت في صبا النبي عليه الصلاة والسلام وتسربت في الأذهان حتى صارت حقيقة ولا يجوز نقاشها، وقصة أخرى وردت في الإسراء والمعراج وتمّ ترديدها حتى صارت حقيقة. وسنُظهر بالدليل والحجة أنّ القصتين موضوعتين باطلتين لا أساس لهما من الصحة، وأنّ شرح الصدر لا يمكن أن يحمل ذلك المعنى.

1- فأما الأولى: أنّ النبي عليه الصلاة والسلام وهو طفل صبي في بادية بني سعد عندما كان لدى السيدة حليلة السعدية وكان يرعى عندها الغنم..

وهنا سأذكر وأتكم عن شيء: أنّ النبي عندما كان رضيعاً "كان فقيراً ویتيماً متروكاً ولم تقبل أي مرضعة به" وهذا كله باطل، خذوا مني الكلام وأنتم أحرار. النبي كان ابن سيد قريش، عبد المطلب كان ثرياً وأبو طالب كذلك، وعبد الله أورث النبي 700 من الإبل، عبد المطلب نحر 100 من الإبل سود الحدق عندما عزم أن يذبح عاشر أبنائه إذا وجد الماء ووجد زمزم، وجد الغزالتين من الذهب، لأنّ قريش لم تعنه، وجد زمزم بعد رؤيا رآها، رأى سيدنا إسماعيل يريه مكان يقول له "ها هنا وسيظهر النبي المنتظر"، لأنّ زمزم اختفت زمناً بعد عدنان بقليل. فحفر عبد المطلب ثم أقسم، فكان العاشر عبد الله، ثم أشار إليه زعيم الأحباش في رواية أن يلقي الأسهم بين الإبل وعبد الله، فكل مرة يخرج سهم عبد الله حتى وصلت 100 ناقة، فنحرها وأطعمها للناس، لذلك يسمّى سيدنا محمد بابن الذبيح الثاني من إسماعيل إلى أبيه عبد الله.

فعبد المطلب كان على علم وعلى هداية وعلى إيمان **"اللهم إنّ المرء يحمي رحاله فاحم رحالك"** إن كنت تاركهم وكعبتنا فأمر ما بدا لك". وكذلك أبو طالب الذي نهدي هذا الدرس لروحه العظيمة ونستلهم من روحه الكريمة هذا الكلام وهذا المقام، أبو طالب العظيم المؤمن الموحد الموقن المصدّق المؤيد الكافل.

فلم يكن النبي عليه الصلاة والسلام ذلك الطفل الرضيع الفقير الذي لم يجد من يرضعه، إنما **ثمة إشارة منحت السيدة حليلة ذلك الشرف**، كانوا يتبارون، لم يولد في يوم ميلاد النبي أحد سواه. ولما أخذه عبد المطلب بعد فترة يطوف به ويستسقي به، ذكروا كان أبيض مشوباً بحُمْرة، شعره أسود، مكحول العينين،

لم يرَ الناس له مثيلاً. ولما أن وُلد رفعه عبد المطلب واجتمع الناس، وهو سيد قریش سيد البطحاء، رفعه فقال "هذا محمد"، وأذهل القوم مما رأوا من جمال ذلك الرضيع.

فكيف يكون الأمر هكذا؟! ثم أنه "والله كان فقيراً وكان.." تحقيرات متعمّدة! وأنّ أبا طالب كان فقيراً وأخذ منه سيدنا علي لكي يحمل عنه المؤونة. حتى في أيام الجذب كانوا أصحاب مال وأصحاب تجارة، وأخذه معه إلى تجارة الشام وأخرى إلى أرض غزة، رحلة الشتاء والصيف. وجده هاشم سُمّي هاشم لأنه هشم الخبز للناس في عام المجاعة. فهو من كرام، أصحاب مال وجاه وقوة وحظوة. عبد المطلب إبله كانت كثيرة إلى درجة أنه طلبها من أبرهة بعد أن رأى آية الفيل وعرف وأدرك أنها العلامة التي ذُكرت من وقت إسماعيل وإبراهيم عن فيل يأتي عند ظهور النبي المنتظر، لذلك كان عبد المطلب يقول لأبي طالب "إنّ ولدي هذا هو النبي المنتظر".

كثير من الأخبار فيها إسرائيليات، مثل أنّ جبريل عليه الصلاة والسلام لما دخل على دار النبي، السيدة خديجة -حاشاها- كشفت من رجلها إلى غير ذلك من الكلام الفارغ الذي لا يليق بحضرة السيدة خديجة ولا بحضرة المصطفى ولا بحضرة سيدنا جبرائيل. النبي دخله دخن وخاف وتهيب؟! إنما هو سيد الخلق محمد. نعم أثر النور كان شديداً عليه ليس سهلاً، ولكن ليس بمعاني الخوف والارتباك إنما بمعاني الحب والحيرة ونزول الأمر وحلوله في الصدر.

فالرواية عن الشرح إذاً تقول أنّ النبي عندما كان في بادية بني سعد وكان يرعى الغنم، فرّ أخوه من الرضاعة إلى والديه، إلى السيدة حليلة وابنتها الشيماء وزوجها، وقال "إنّ ملكين نزلا من السماء فأضجعا محمداً وشقاً صدره، وأخرج أحدهما سواداً من صدره وقال هذا نصيب الشيطان منك، ثم غسلوا قلبه بماء، ثم أعادوا قلبه ورتقوا صدره".

نتساءل الآن:

أولاً: الراوي للقصة هو طفل صغير رأى ملكين ينزلان ففرّ، من أعاده لمشاهدة الفيلم إذا كان هو قد هرب؟

ثم بعد ذلك يأتي ملكان فيضجعا ثم يسمع الحوار بينهما يُخرجان من قلبه قطعة سوداء؟

ثم هذه النوعية من الطب، القرآن الكريم مليء بمعطيات ملائكية، هذا النوع عن استخراج القلب وكأن القلب المادي الطيني هو الذي يحوي هذه الأمور، هذا قلب وعاء لضخ الدم. القلب المعني هو القلب النوراني، هو قلب البدن، هو الفؤاد، هو قلب الروح، هو هيكل طاقي، نعم له صبغة مادية نسيج خاص في بُعده الخاص ولكن ليس كخاصية القلب المادي أبداً، هي مضغة داخل المضغة القلبية، قلب موازي، لأنّ الإنسان فيه جسد وجسم وبدن، فيه هيكل طاقي موازي لجسده المادي.

فلا يصحّ هذا الكلام.

ثانياً: هل من خبر من النبي أنه شهد ذلك؟ لا نجد أي خبر عنه. وهب أننا وجدنا، هل من خبر عن إبراهيم أو إسماعيل أو يوسف أو يونس أو عيسى أنّ أحداً منهم جاء ملكاً فشققاً صدره وأخرجاً منه سواداً؟

2- الثانية: نفس القصة ستكرر في الإسراء والمعراج، يُشرح صدره ويُخرج منه سواداً! وسؤالنا الآن: متى كان في الأنبياء والأولياء والأصفياء والصدّيقين سواداً؟ متى كان للشيطان فيهم نصيب والله يقول ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ ويقول ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾، إذا كان هؤلاء الأنبياء صناعة إلهية هل يمكن للشيطان أن يأتي لهذه الصناعة الإلهية فيودع في قلوبهم سواداً؟

أما "النزغ": من بعيد، رمية السهم البعيدة، مثل أن تكون في مسجد وتسمع الجميع يسعل فجأة، هذا يسعل من هنا الآخر يعطس من هناك الآخر يتنح من ذاك الجانب وكأنها جوقة، هؤلاء شياطين نخاسة تلقي ما تلقيه على المصلي. وهذا حتى النبي قال له ربنا ﴿وَأَمَّا يَنْزَغُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ تُسمّى الهمزات أو النزغات، غير الوسواس ﴿يُوسُوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ هذا يكون داخل الصدر يوغر فيه. النزغ أكثر سطحية، والهمزات أكثر سطحية (أضعفها) ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾، أما أعمقها فهو المسّ ﴿يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾. ما بعد المسّ هو التلبّس، وهو أن يصبح المتلبّس به والذي يتلبّسه واحداً فيتحوّل إلى شيطان إنس نقول ﴿شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾. هذا علم وهذا كلام علم، ومن دخل منذ قليل ويقول "خزعبلات الصوفية" أنت يا بني جاهل والجاهل لا يقاس عليه، ولا تملك ربيع أن تفسّر عُشر آية، لو أقول لك فقط

أن تفسّر النقطة التي تحت الباء في بسم الله الرحمن الرحيم والله ما فسّرت منها شيء، وأنا يمكن أن أبقى 20 ساعة أفسّر لك النقطة فقط والحمد لله، لا يضرّ قوافلنا نباح الكلاب.

الله تعالى حفظ النبي في آباءه

أقول أنّ الله سبحانه وتعالى حفظ النبي في آباءه:

"حفظ الإله كرامةً لمحمد \* \* آباءه الأمجاد صوناً لاسمه

تركوا السفاح فلم يُصّبهم عاره \* \* من آدم وإلى أبيه وأمه"

النبي لما سمع قوماً يلّمزون في والديه وخرج في المدينة وخطب وقال: "ما لي أسمع قوماً يلّمزون في والدي؟! أبي خير من آباءكم وأمي خير من أمهاتكم، أنا خيار من خيار من خيار، ما اختار الله بين شعبتين إلا كنت في أفضلهما". قال: "وكله كان من زواج لم يكن فيه شيء من سفاح".

إلى اليوم تجد هذه الدعوة أنّ أم النبي في النار وأبوه في النار، وقال "أبي وأبوك في النار"، وقال "استأذنت أن أستغفر لوالدي فلم يأذن لي واستأذنت في زيارتهما فأذن"، وهذا كله كلام فارغ. كيف يختار الله سبحانه رحم أم ليكون فيها هذا الحبيب المعظم؟! الشجرة التي استظلّ بها آمنة من النار، الأرض التي مشى عليها آمنة، الأمة التي بُعث فيها تآمن بأمانه ويُغفر لها بضمّانه، الأولون والآخرين واقفون عند باب الحبيب يطلبون شفاعته الحبيب، فكيف بأمه التي أنجبته وأرضعته وحملته في بطنها وكانت تودّعه وتضع يدها على وجهه في الأبواء طفلاً صغيراً داعم العينين وتقول: "لا تبكي يا بني إنك للنبي المنتظر، ليهدين الله بك الناس، بك بشرّ جدك إبراهيم وأبوك إسماعيل، إني رأيت نوراً خرج مني غمر المشرقين والمغربين" لكأنّ الأمر حدث الآن، ما زال مسجلاً في ذرّاتنا في أنسجتنا نحن أبناء النبي وأبناء فاطمة وعلي وأولاد آمنة والحسنين النيرين.

فلذلك، الحبيب صلى الله عليه وسلّم نور من نور من نور، خير من خير من خير، أصوله وفروعه كذلك إلى يوم القيامة، يسري طهره وسرّه في أبنائه وفي المنسويين إليه والمنتسبين المحسويين عليه من عشّاقه ومحبيه، من ذريته ومن ذرية محبوبيه ومقبوليه، من كل مؤمن مخبت موقر له ولآل بيته الطيبين الطاهرين.

## مدح قاتل الإمام!!

أيضاً ملاحظة: اليوم ظهرت منشورات تمدح في ابن ملجم قاتل سيدنا علي! تمدحه وتقول أنه كان زاهداً ورعاً، مدحه عدد من الصحابة، حاملاً لكتاب الله.. حسبهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي: "أتعلم من أشقاها؟ أحيمر عاد، ومن يخضب هذه من هذه (لحيته من رأسه)"، أي أشقى الناس عاقر الناقة وابن ملجم. مجرد بغض علي نفاق، أسوأ من الكفر، المنافقون في الدرك الأسفل، قال: "يا علي حبك إيمان وبغضك نفاق". حتى الإمام علي يسير مرة ويقول: "والذي برأ النسمة، إنه لعهد الصدوق إليّ أن لا يحبني إلا مؤمن وألا يبغضني إلا منافق أو سيء ولادة".

هل نكلاً في مذهب ما نمضي إلى المعادة والجفوة؟ حتى نتبرأ من أن نكون في مذهب ما نعاديه؟ هل هذا يجوز؟ علينا اليوم أن نجتمع الأمة تحت راية رسول الله، أن يجتمع أبناء الطوائف والمذاهب معاً، نتناقش تتحاور. نعم في التاريخ إشكاليات عميقة وعويصة، نعم هنالك مشاكل حقيقية، ثمة رزية الخميس ثمة السقيفة ثمة إشكاليات حقيقية، ثمة وقعة هرشة وغيرها من غوامض التاريخ، نعم ثمة حرة وطف وكربلاء وفخ التي قُتل فيها جدنا وعمنا محمد النفس الزكية، وزيد بن علي الذي صلبوه عاماً وبقي المسك يخرج من جسمه فحرقوه! نعم التاريخ مظلم، لكن ليس ذلك بمسوّغ لنا اليوم أن نقتل لأجل ما كان في التاريخ. ليس المفروض اليوم أن نقف بين مبغض ومبغض، هذا يبغض الصحابة هذا يبغض أهل البيت، لماذا لا نجتمع؟ يمكن أن نجتمع. اليوم الناس الذين يجتمعون بالملايين في المدينة المنورة أو في مكة المكرمة لا يسأل أحد أحداً عن مذهبه أو مدرسته أو ما ينتمي إليه، نجتمع تحت راية "لا إله إلا الله محمد رسول الله" وكل منا له طريقته.

أنا ألبس هذه السبحة دلالة أنني أسلك طريق التزكية، ليس دلالة أنني متصوف التصوف موضوع ثاني، لكن أنا ألبسها لأني أسبح بها ربي وأستأنس بوضعها على صدري لأني لفتتها آلاف المرات وذكرت بها الله لساعات طوال، وغيرها من المسابح، ولأنها كانت على الآثار النبوية، هذه أهديت إلي من أمير الأنصار في العالم الشيخ الدكتور أحمد الخزرجي، وكانت مجاورة لآثار النبي، لشعرات من شعره كُحلت بها بحمد الله تعالى، شُرِفت بذلك، وشممت عقب عباؤه، وشيء من أثره وأثر سيدنا علي وأثر سيدنا عبد القادر وغير ذلك. تعني أنني أستعملها في التزكية وأنها مباركة، والبركة تُحمل والصحابة كانوا يضعون شعرات النبي.

وإذا لبست الشاشية الحمراء فتعني المجاهدين التونسيين، الدغباجي عندما قُتل وكان يلبسها ألقاها في الجو بعد أن ضُرب بالرصاص، ووقعت في يدي بحمد الله تعالى. ترمز إلى المقاومة التونسية الذين كانوا يلبسون الشاشية التونسية الحمراء دلالة على أنهم معاً كردّة فعل على ما يلبسه الفرنجة حينها (الفرنسيين في تلك المرحلة). عبد العزيز الثعالبي ولزهر الشرايطي ومصباح الجربوع وساسي لسود وعلي العياري وعلي بن خليفة النفاقي وسواهم كثير، إلى الدغباجي البطل، والذين كانت لهم أواصر مع الشيخ عمر المختار والأمير عبد القادر الجزائري والشيخ بوعمامة.. تاريخ لم يُكتب بعد، تاريخ يحتاج إلى من يعيد كتابته وصياغته، لأنّ الذي أتى بعد ذلك وانتهب كل شيء سجّل اسمه أنه هو المجاهد الأكبر والبقية كلهم إلى الجحيم، وقُتل من قُتل تحت تلك الراية.

فالجرح عميق، ولكن ندعو دائماً إلى ما يجمع بيننا، ليس الأمر أني ألزمك أن تكون على نهجي، ولكن فلتكن على نهج النبي عليه الصلاة والسلام، والسبل إلى الله كثيرة ﴿لَتَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾.

فلذلك، كفى من هذا السفه، ابن ملجم مدحه أصحابه "يا ضرية من تقي ما أراد بها" معروفة القصيدة ابحثوا فيها وابحثوا في الردود التي رُدّت عليها. "ضرية من تقي" يعني يقتل سيدنا علي تصبح ضرية من تقي؟! كفى ظلماً للمولى علي بن أبي طالب إمام المؤمنين، سنة وشيعة صوفية وسلفية إباضية وزيدية وغيرهم، "من كنت مولاه فعلي مولاه" على الإطلاق، ومن لم يشأ ذلك فذاك شأنه.

﴿يَسْرُحُ صَدْرُهُ لِلْإِسْلَامِ﴾

المهم أنّ الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلّم هاتان القصتان ترويان أنّ صدره قد شُقّ، في حين أنه طُهر من طُهر من طُهر، وأنه لا نبي قبله ولا ولي قبله أو بعده حصل معه شيء من ذلك.

لم يكن في قلب وصدر النبي إلا النور وإلا الخير، كان كاملاً مكتملاً مذ أن كان رضيعاً في بطن أمه. المسيح عليه السلام تكلم في المهد بعد لحظة من ولادته، نادى أمه من تحتها ﴿أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ وخاطب القوم ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾، مكتمل، فما بالك بسيد الخلق سيد الأولين والآخرين؟ سيدنا محمد لم يحدث له شيء من ذلك، الشرح لا يعني ذلك أبداً.

البعض يذكر قصة شرح الصدر، تعالوا ننظر في آية 125 من سورة الأنعام ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، هل كل من سُرح صدره للإسلام سُقِّ صدره؟ لأنها قاعدة، أسوة حسنة، منطوق. طالما أنّ شرح الصدر هنا ضادّه ضيق الصدر، فيعني توسعة الصدر، لأنّ الصدر مناط الهداية والوسوسة ﴿يُوسُوسُ فِيْ صُدُوْرِ النَّاسِ﴾ ﴿وَيَشْفِ صُدُوْرَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِيْنَ﴾.

والصدر هنا آلة، ليس فقط الصدر المادي الجسمي هذه الأضلاع، إنما لطيفة رحمانية في الإنسان، مثل لطيفة النفس. أين موضع النفس في الإنسان؟ لطيفة، قد تكون متحيّزة وقد تكون ذات نطاق (أي في حيّز منه) وقد تكون غير ذلك، مثل القلب ذو حيّز ونطاق، له مكان (القلب المادي أتكلم)، الرئة الأمعاء المخ هكذا... قد تكون هذه اللطيفة شمولية، قد تكون متخللة فيك كلك، مثل الروح هل هي متحيّزة أم غير متحيّزة؟ هذا تناقش فيه الفلاسفة والمناطقة وعلماء الكلام كثيراً عن طبيعة الروح، عن هيولة الروح، طبيعتها وهيولتها الأولى، والنفس كذلك وطبيعتها.

فنتكلم عن لطائف، عندما يقول الله ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ لا يتكلم عن القلوب المادية والصدور المادية. عندما يتكلم عن ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ لا يتكلم عن ناصية الجبين، يتكلم عن آليات أخر مدمجة في هذا الكائن البشري بشكل عجيب سبحانه الله. ف ﴿يُوسُوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ يشعر الإنسان بضيق في صدره، وهذا الضيق يجعله يغضب وينقم ويحقد، ولكنه في عوالم الشخصية في عوالم الطاقة وليس في العالم المادي.

العالم المادي وظيفي، الرئة المادية وظيفية تنفسية، القلب وظيفية دموية. أما العالم الآخر الذي فينا، الموازيات التي فينا، عالم البدن والجسد الأثري والروح والنفس، هذه العوالم لها أطر أخر، مدمجة فينا، ملتصقة بالبعد المادي. لذلك لما يقول الله ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ ليس الوجه المادي، وإلا لوجدنا أثر الصفع على الميت إذا كان فاجراً، لا، إنما يتكلم عن وجه آخر مدمج في هذا الوجه المادي، نحن أبعاد.

الله سبحانه وتعالى في هذه الآية يتكلم أنّ الإسلام هداية وشرح، يشرح صدره. و "يشرح صدره": أي يجعل إقبالاً منه على هذا الدين، يتسع صدره المعنوي (ليس المادي) إلى عظمة هذا الدين وعظمة الحب. أما المنافق أما الكافر أما الجاحد أما المشرك صدره ضيق فيه حرج، لأنّ الله يريد أن يُضله.

﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾: هذه الآية فيها إعجاز قرآني عظيم، أي أنّ السماء ينقطع فيها الأوكسجين ويقوى فيها الضغط الكوني، فعندما يصعد الإنسان إلى السماء بغير وقاية إلهية مثل الإسراء والمعراج، فإنه يموت، يضيق صدره. من يكون غارقاً في البحر أو يُقطع عنه الأوكسجين هكذا، يضيق صدره. هنا يتكلم عن البعد المادي، فهو يشبه عالماً معنوياً بعالم مادي لأنّ المادي أسهل للإدراك. ﴿يَجْعَلُ صَدْرَهُ صَبِيئًا حَرَجًا﴾ بشكل معنوي، يؤثر على البعد المادي، النفس تؤثر على الجسم، الروح تؤثر على الجسم. وحالة الحرج الروحية التي تكون عند الكافرين تؤثر على أجسادهم حقيقة، يشعر بالضيق في صدره يشعر به مادياً. "يصعد في السماء": البعض يأخذها باستغراب ويريد أن يثبت بها أنّ القرآن حق، والقرآن حق دون حاجة لاختراعات واكتشافات العلماء، القرآن حق بحق لأنّ الله أتى به.

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾

طيب، "ألم نشرح لك صدرك": أي وضعنا في صدرك سعة عظيمة، شفينا صدرك وكفيناه. و \*شفينا\* هنا لا تعني بعد مرض، ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ ليست بعد مرض، هنا الشفاء أي مزيد العناية، البسطة التي يعطيها الله، لم تقم على نقص إنما زيادة في خير. فشرح صدر المصطفى صلى الله عليه وسلم أنّ الله سبحانه وتعالى لم يجعل في قلبه ضغينة ولا حقداً ولا نعمةً ولا شكاً ولا تردداً، ملأ صدره نوراً وحكمة. كان النبي يضع يده على بعض أصحابه فينهض وقد تناهى في العلوم، لمسة على الصدر، لأنّ الصدر فيه جهاز يستقبل المعارف، فيه جهاز إرسال واستقبال بينه وبين الناصية، الناصية للرؤية.

وهذا يتصل بالتشاكرات إذا أردنا أن ندخل في هذه العلوم التي علّمها شيفا النبي وكريشنا النبي لقوم في الهند، وأخذ منها بوذا وبودي دارما وألّفت في الفيدا الهندية القديمة التي كانت ديانات سماوية ثم حُرّفت بعد ذلك، المغازل الطاقية، الدوامات الطاقية التي تصل بين البدن وبين الجسد. ومن معاني الشرح هذا، من يتدرب على فنون التايكشي وفنون الباغواتشانغ وفنون رياضية باطنية تنفسية، أو حتى الايكيدو مثلاً فنون السلام هذه، يصل إلى انشراح صدر، يكون هادئ الأعصاب، يكون صاحب خلق، لا يغضب بسرعة لا يؤذي الناس. يقول عنتره بن شداد: "لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب \* \* ولا ينال الغلا من طبعه الغضب".

ولها معاني طاقية عظيمة تتصل بشهر رمضان، شهر شرح الصدور وتيسير الأمور، لأنّ الإرسال الشيطاني في صدر الإنسان ﴿يُوسُوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ يُلقِي في جهاز الاستقبال الداخلي في الإنسان. والنفس آلة إرسال أيضاً ﴿وَنَعَلِمُ مَا نُوسُوسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾ ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ لها قدرة فعلية، ﴿وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ "أَمارة": فعالة، وليست فاعلة، أي توغل في الفعل، توغل في الأمر، يقول الله ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾، فرق بين قاهر وقهّار، واضحة صبيغة فعّال هذه.

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ لم يقل ما تخفي الأذهان، لأنّ الصدر يحتوي على الطوية، يحتوي على الخفية الإنسانية، يحتوي على البواطن. وهذه كلها أجهزة وأنظمة شبيهة بنظم الذكاء الاصطناعي والبرمجيات التي اليوم نجدها في جهاز يكلمك ويصنع لك وصار حتى chat gpt يتحاور معه الإنسان. إذا كان هذا الإنسان صنع هكذا بإلهام الله فكيف بصنعة الله؟ ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ سبحانه وتعالى، تقرّب المفاهيم فقط.

فذلك، شرح صدر النبي ليس شقّ صدره في صباه أو في الإسرائء والمعراج، كل هذا كذب وليس صحيحاً، إنما يعني: سعة في العلم والمعرفة وشفاءً كاملاً وعلماً كاملاً.

يقول "ألم نشرح لك صدرك": ألم نملاً صدرك علماً؟ ألم نملاًه حكمة؟ ألم نوسّع في قدراتك القلبية التي تتسع فوق الجسد؟ يعني لو أننا نقيس الهالة المحمدية لوجدنا أنها أكبر من هذا الملكوت، هي بين اللانهائي واللانهائي، سبحان الله! البعض منا قد تكون الهالات ضيقة عليه، قد يختنق بها، قد تتحول إلى ثقب إبرة، ولكن الحبيب محمد عليه الصلاة والسلام هالته طاقته نوره إشعاعه إلى اليوم نجد هذا الإشعاع المحمدي، إلى أبد الأبد، نشعر بأنس روحه وقوة روحه، بحضوره الروحاني العظيم المعنوي، عندما تقترب من قبره الشريف تشعر أنّ هذه الطاقة تُبثّ. إلا من كان أعمى قلب، إلا من كان بلا بصيرة، إلا من كان لا يشعر، إلا من كان كالأنعام بل هم أضل سبيلاً، إلا من كان موتى ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾، حينها لا يشعر بشيء.

أما العاشق الوامق المحب، عندما تقف بجوار الحبيب في ضريح الحبيب في جسد الحبيب الذي لم يتسنّه، كأنه دُفن للتو، ما زال ماء غُسله على وجهه بلا شك. سيدنا حمزة عندما حفر أحد أعدائه قبره وجد رجله تشخب دمماً، حقّاره ضرب رجله فخرج منها الدم، راجعوا من فعل ذلك. ثم أراد حفر قبر

السيدة آمنة وجاء في الأولى عجاج أحمر وفي الثانية اسودّت الدنيا وقتلته اللقوة، النبي قال "يريد رجل أن يحفر قبر أُمِّي فتقنيه اللقوة"، وكانت أمه طلبت من أبيه في غزوة الأحزاب أن يحفر قبرة السيدة آمنة، فرغب ثم قال "تعيرني العرب"، راجعوا واقروا التاريخ. المهم، لم يتسنّه هذا الجسم العظيم.

عندما تصلي في الروضة النبوية الشريفة تشعر بخطى النبي، تشعر بحضوره الجسماني كطاقة في جسده الشريف، هذا الجسد الذي سرى فوق السبع الطباق. اليورانيوم لعاب نجم ميت، انظر لو يُخصّب ماذا يفعل، من إشعاعات النجوم والكواكب والأجرام، ماذا بالجسم المحمدي الذي كان يضمّه جبريل والذي حوى أنوار الجليل والذي سرى إلى مواضع التنزيل إلى حيث لا يقدر حتى جبريل، إلى موضع عظيم ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾؟! ما الذي أبقي الله في هذا الجسد العظيم، هذا النور المقيم، هذه الخلايا الجسمية، الصلب الطاهر، من الرحم الطاهر والأب الطاهر المطهر والآباء، فتشعر بهذه القوة الروحية والجسمية، النبض الإلهي النبوي المحمدي؟ ليس حياً في قبره بحياة الأجساد، ولكن جسده لم يتسنّه، مالك الأنصاري عثروا على قبره بعد زمن وكأنه كان نائماً، قصص كثيرة عن أولياء مثل سيدي سليمان الجزولي عندما عثروا عليه بعد 500 سنة كأنه نائم، كثير من الصالحين والشهداء قصص معروفة جداً. الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء ولا أجساد الأولياء والأصفياء.

ولذلك سيدنا رسول الله حضوره الروحي والمعنوي وطاقة جسمه العظيمة ما زالت سارية في الأزمان والأكوان، ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ما زال، ﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾ ما زال فينا، طالما حضوره مستمر ونوره مستمر والمدد الصادر عنه ومنه مستمر وعطاءات الله به مستمرة، "ألا وإنّ الله معطي وأنا قاسم" قسمة أبدية أزلية دائمة من قبل ومن بعد. أخذ الأنبياء الميثاق له عليه الصلاة والسلام فكان نوره سارياً فيهم من قبل حضوره الجسماني، سرى نوره في آدم ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾، سرى نوره في إبراهيم ونار إبراهيم، سرى نوره في موسى وعصا موسى والشجرة التي كان تحتها موسى يناجي ربه، لأنه سيد الخلق لأنه رحمة الله، لأنه القاسم، ما من نعمة تأتي ولا معجزة وردت على نبي أو كرامة لولي إلا كانت من رسول الله وهي له في الأصل، ثم مُنحت لغيره.

هذه ليست مبالغة والله، رسول الله أعظم مما أقول وأعظم مما أتصور وأعظم مما أعلم، وما أعلمه عنه قليل، ولكني علمت واطلعت ولامست شيئاً من ذلك. عندما أقول أنّ نور وطاقة النبي هي اللانهائي، فإني أعني جيداً ما أقوله، وأكتم كيف عاينت ذلك هذا أمر يخصني بيني وبين وربي وبين جدي. ولكن أقول لك الخبر، الحبيب محمد أعظم مما نتصور.

"ألم نشرح لك صدرك؟" ألم نُهيئَكَ لهذا الأمر ونجعل في صدرك العلوم والفهوم تفيض عليك فيضاً غدقاً؟ من كراماتك الحسية والمعنوية، من تحمّلك للقول الثقيل ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾، هو القرآن لو نزل على جبل لكان خاشعاً متصدّعاً ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾، فكيف أطاق الرجل ما لا يطيق الجبل؟ لأنه أعظم من الجبل. تجلّى الله على الجبل فجعله دكّاً، وتجلّى على الحبيب في الإسراء والمعراج، ألم يتجلّى عليه في المعراج؟ تجلّى عليه، ورجع صلى الله عليه وسلّم وافراً غانماً سالماً، تحمّل ما لا تتحمّل الجبال وما لا يطيق عتاة الرجال، ما لا يطيق الغطاريف الكبار.

لذلك، عظم شأن وقدر سيدنا رسول الله، الله يمنّ عليه منّ المنعم ومنّ المكرم ومنّ المؤمنس، منّ يشدّ عضده، ويقول له "ألم نشرح لك صدرك؟" ألم نملأك علماً، ألم نوسّع في هذا الصدر الشريف حتى يتحمل الأنوار والأسرار، وحتى يكون مدار تجليات الحضرة ومجلى عرش النظرة، وحتى يكون عرش النور وعرش المحبة والحبور والسرور؟ نعم، سُرح صدره، وعجز الشيطان وغدره، وتجلّى بدره، وزُفِع قدره. "اللهم صلّ على سيدنا محمد الذي شرحت صدره، ورفعت قدره، وأنرت بدره، ووقيته الشيطان وغدره" هذه من صلواتي القديمة منذ أعوام.

حتى أني نسجت دعاء من سورة الشرح:

"اللهم اشرح لي صدري، وضع عني وزري، الذي أنقض ظهري، وارفع لي ذكري، واجعل لي مع العسر يسراً، واجعل لي مع العسر يسراً، فإذا فرغت أنصب، وإليك أرغب" وهذه لها علاقة بتلقّي محمدي لها قصة في ليبيا لا أريد ذكرها.

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾

"ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك": البعض من المفسرين قالوا أنّ وضع الوزر هو: "غفرنا لك ما سلف من ذنوبك وحططنا عنك ما كان من حالك في الجاهلية" وهذه جاهلية.

إنّ من عظيم الجهل أن ننسب إلى رسول الله الكامل المكمل: الذنوب. عندما يتكلم الله أنه يغفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر، من باب التأديب، من باب المنّ علينا، يرينا كيف يعامل هذا النبي بالأدب

وبالتواضع. وإلا، ما ذنبه؟ أي ذنب اقترف؟ هل أتى فاحشة في حياته صلى الله عليه وسلم؟ هل أتى سوءاً؟ هل عبد صنماً؟ هل كان أبوه يعبد الأصنام وأمه وجدّه؟

كانوا على الحنيفية الإبراهيمية الإسلامية، حتى قال عبد المطلب "لم يبقَ على الحنيفية إلا أنا وأهل بيتي". لذلك قصة ورقة ابن نوفل ودوره وكيف أنّ النبي يجهل أمره، لماذا كان يتحتّ رسول الله؟ ماذا كان ينتظر؟ ألم يطلع أبو طالب من عبد المطلب أنه النبي المرسل؟ ألم تقل له أمه آمنة أنك النبي المختار المجتبي المنتظر؟ ألم يكونوا ينتظرون النبي؟ لماذا الصراع بين هاشم وعبد شمس ولماذا نُفي عبد شمس بعد ذلك وحقد ثم حقد بنوه؟ أمية بن عبد شمس ثم حرب وعتبة ثم أبو سفيان وهند إلى من كان بعده... اقرأوا التاريخ، محصوا في التاريخ يا جماعة، اقرأوا وافهموا.

لأنّ النور رؤي. لذلك قصة المرأة التي اعترضت سيدنا عبد الله وقالت تمكّنه من نفسها، أيضاً قصة باطلة، كأنه كان يمضي إلى الغواني! هذا غير صحيح كذلك. و "النور الذي كان عندك ذهب منك" لم يذهب منه أبداً، بقي نوره ساطعاً مشعشعاً، وكان عبد الله طيباً، سيد شباب مكة، وكانت آمنة تُسمّى "زهرة قريش". ثمة تحريفات كثيرة إسرائيلية أنا نقّيت الكثير منها، والحمد لله أي بها لعليم، لكن كل مرة سوف نكشف قليلاً قليلاً مما حوينا منذ سنين، ونحن نملاً الصدر والروح والعقل حتى ننطق بالإذن في الوقت المناسب.

"ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك" كما قلت فُسّرت على أنها غفران من أحوال الجاهلية.

ولا يفهمون معنى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾، هنا الكلمة في القرآن الكريم تعني الكثير:

"قد" مثلاً، نقول: قد يأتي الرجل وقد لا يأتي، أو ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ سورة المجادلة، "قد" تقريرية هنا، و ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ لا تعني الاحتمالية كقولنا قد يأتي فلان أو قد لا يأتي، إنما تعني التقريرية، أي: نرى.

عندما يقول ربنا سبحانه وتعالى ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ و ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ هذا ظن، وعندما يقول الأنبياء ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: ما اعتقادكم؟ هنا ليست ظن.

"لا" النافية: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ مثلاً، و ﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ تعني: لأقسمنّ بيوم القيامة.

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾ لا تعني الضلال كما في قوله ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ أو ﴿وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ أو ﴿وَأَصَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾، إنما تعني الحيرة، أي كان لا يعرف سر نفسه، ليس أنه كان ضالاً عن ربه، حاشاه! وإلا هو موحد منذ البداية، يعرف الله، ولديه البشارات من أبي طالب راهب نجران وراهب بحيرا وغيرهم، وكان يحميه من يهود، كانت منظومة حماية أقامها أبو طالب لسيدنا محمد ليقينه أنه النبي المنتظر، والقوم كانوا يشعرون بذلك ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾.

فلذلك، ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾ أي في حيرة عن نفسك، لا يذكر محمدك أحمدك. وقصة نزول الوحي فيها قصص صحيحة وفيها إسرائيليات أيضاً.

ولذلك، "الذي أنقض ظهره" هو ثقل الأمانة، ما أنقض ظهر النبي هو الأمانة التي عرضت على الجبال وعلى السماء ويذكر الله أنه عرضها فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾. أعانه على الحمل الثقيل ﴿إِنَّا سَأَلْنَا عَلَيْكَ فَأُولَا ثَقِيلًا﴾، على تحمل حكم ربه ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾. وليس سهلاً أنه اطلع عليه الصلاة والسلام على شيء من الغيب، ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ خير المرشحين سيدنا محمد. ﴿وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ هذه الآية تعني الغيب المطلق، أيضاً الآية تحمل معاني، لم يكن يعرف في حاله الجسماني الغيب المطلق إنما أطلعه الله على كثير منه، فأطلعه مثلاً على الذي سيصيب آله من بعده.

وضع عنه وزره: أي أعانه على حمل أمانة تكليفه وتثريفه ورسالته، وحط عنه أحمال الحزن والأذى بشرح الصدر، فيتصل المعنيان ببعض، أي تُشفى جراحه القلبية، يقدر على إكمال المسيرة، يموت أبوه تموت أمه يموت جده ثم عمه ثم أبناؤه، ثم يُبتلى في زوجته حبيبة قلبه خديجة، ثم ابنه إبراهيم بعد فترة، ثم حمزة قبل ذلك وجعفر، ويرى آل ياسر يُعذبون ويُقتل منهم من يُقتل، وبلال تحت الصخرة، ويجلس باكياً ويقول: "أما حمزة فلا بواكي له" وقد أكل من كبده ووضع الرمح بين رجله وبين شذقيه، وجُدع أنفه وقُطعت أذناه، وهو حبيب قلبه عمّه وأخوه، ويُطلعه على المنافقين بقصة الإفك حول ابنه إبراهيم وزوجه مارية، وغير ذلك كثير.. ولكن رغم ذلك يكمل المهمة إلى آخر لحظة.

مَنْ تَحَمَّلَ كَمَا تَحَمَّلَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ؟ كَيْفَ اسْتَطَاعَ أَنْ يَسْتَمِرَّ فِي أَدَاءِ الْأَمَانَةِ؟ كَيْفَ كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ، وَكَيْفَ كَانَ لَهُ زَوْجَاتٌ، وَكَيْفَ كَانَتْ حَيَاتُهُ وَاسْتِقْبَالُهُ لِلنَّاسِ... هَذَا كُلُّهُ أَيُّهَا الْأَحْبَابُ وَرَاءَهُ شَرْحُ صَدْرِي، تَقْوِيَةٌ. فَهَذَا مِنْ مَعَانِي "وَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ"، الْمَعَانِي كَثِيرَةٌ.

### ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾

ثم يقول له "ورفعنا لك ذكرك": رفع الذكر هذا يعني أنّ النبي عليه الصلاة والسلام لا يُذكر الله إلا ويُذكر معه، فكل قائل يقول "لا إله إلا الله" لا بدّ أن يقول "محمد رسول الله"، حتى إبراهيم الخليل وموسى وعيسى ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾، حتى موسى وعيسى وسليمان وداوود، لذلك قال ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾. أخذ الميثاق لهم جميعاً، آدم توسّل بالكلمات ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ توسّل بالنبي وآل بيت النبي.

رفع ذكره في أصوله وفروعه آبائه وأبنائه، وأمه وكتابه ودينه، كل متّصل برسول الله مرفوع الذكر ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ ثم قال ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ، وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾، إذا كان للصحابة رضي الله عنهم مثل في التوراة والإنجيل أليس لسيدهم مثل؟ أليس للإمام علي مثل؟ بلى لهم. أليس لفاطمة والحسين؟ نعم، في كل الكتب السماوية القديمة ذكروهم بأسماء أخرى، عند كريشنا وعند بوذا وعند الأنبياء الذين وردوا في حضارات الهندو الحمر وفي أي مكان ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾.

أي مكان فيه نبي بشّر بهذا النبي، أبداً قطعاً، الكل بشّروا بمحمد وقائم آل محمد وعودة الروح بعد ارتفاعه، عودة المنظرين، لأنها كلها علامات القيامة، "النبي يأتي والساعة كهاتين" ثم من يكون خليفة بالاستخلاف الكلي، ثم عودة سيدنا عيسى والدجال وفتنته، ولا نقول الأعور لأنّ الحديث "هو أعور وربكم ليس بأعور" إذاً ربنا له عيون؟! كيف يصحّ ذلك؟! هذا كلام فارغ ليس صحيحاً، حاشا الله أن يكون له عين كما نظنّ نحن. "هو أعور وربكم ليس بأعور" يعني لو كان ليس بأعور يمكن أن يكون ربنا؟ الله له وجه؟ هذه جزئية إسرائيلية.

"رفعنا لك ذكرك": في اللوح المحفوظ، في ستر العرش، في أبواب الجنة.. كيف عرف آدم "اللهم بمحمد وآل محمد"؟ كشفت له فقرأها. في رايات الملائكة "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، يوم القيامة لواء الحمد مكتوب عليه "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، في القرآن العظيم، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ متى صلوا عليه؟ هل هنالك تزمين؟ صلاة الله سرمدية ليس ابتدار فعل، وصلاة الملائكة أزلية، وكلاهما مستمر بأبدية، من الأمد إلى الأبد، من السرمد والأزل إلى أبد الآباد، فهكذا صلى الله على سيدنا محمد، وهذا رفع ذكر.

وأمرنا جميعاً أن نصلي عليه، ولا زال العشاق يأتون إليه، ويوم القيامة يلوذون به. ولكن حديث الشفاعة وأنهم يذهبون يبحثون عن شفيع ﴿وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ يوم القيامة يوم شديد، لا يمكن لواحد أن يتحرك من تلقاء نفسه. ثم القصة الذي نُسبت لعيسى وموسى، وإبراهيم أنه قال "هذا ربي" هذا كان سخرية، ولما قال "إني سقيم" فعلاً كان سقيماً لأنه رأى الملكوت ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ لما رأى الكوكب رآه على حجمه الحقيقي وليس كما نراه نحن، وعندما قال "هذه أختي" قصة السيدة سارة عندما أعطاها، هذا غير صحيح، قصة مزيفة، ما كان إبراهيم الذي لما أُلقي في النار وهو فتى ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾، أُلقي في النار فتى! يقول له جبريل: ألك حاجة يا إبراهيم؟ يقول: "أما لك فلا، اللهم علمك بحالي يغني عن سؤالي". هذا سيخاف من النمرود؟ والقرآن يقول ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾، ثم في الليل يعطيه زوجته؟! ثمة رجل في الدنيا يتنازل عن زوجته لحلف شمال الأطلسي بكل جيوشه مثلاً؟ مستحيل! فكيف بإبراهيم الخليل؟ ثم "يعطيه هاجر" كأن هاجر كانت عند النمرود؟ غير صحيح، كلها إسرائيليّات. و "يختن نفسه بالقدوم"، هذا في العهد القديم موجود وفي بعض السنة موجود، وكله كذب وغير صحيح.

فرجع الله ذكر هذا النبي عليه الصلاة والسلام.

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾

وأما قوله سبحانه وتعالى "فإن مع العسر يسراً" هو بناء منطقي، أي أنه: بما أنني قد فعلت لك هذا (شرحتُ صدرك ووضعتُ عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ورفعْتُ لك ذكرك)، بالمحصلة ما سأخبرك به

الآن هو الحق. بناء منطقي ليس للنبي وحده بل لمن تبعه ليقوي القلوب، لا يعني ذلك أن النبي يشك أبدأً، ولكن هذا من باب المنطق القرآني، **البناء المنطقي القرآني**.

"فإن مع العسر يسراً" ولم يقل "بعد العسر"، قال "مع العسر"، وكثرها، "إن" التقريرية التوكيدية، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ تجدها كثيراً في القرآن الكريم، ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي﴾. قال "إن مع العسر" أي: **في لحظة العسر نفسها ثمة يسر**، من بين اليسر الذي يكون في العسر: الصبر بشرح الصدر، التثبيت والإعانة بوضع الوزر الذي أنقض الظهر.

وحكم العسر نفسها من بينها: رفع الذكر، يعني كم من بليّة أدت إلى مزيّة وكم من سلب أدى إلى عطية؟ فتكون المعية هنا مجاورة، أن في العسر ليسراً، لحكمة. ثم أن معه تكون تابعة أيضاً، أي مع تتابع العسر سيأتي تتابع اليسر، وهكذا.. ولا يُجمع عُسران على يسر.

لذلك من دعائي "اللهم أعطني اليسر الميسر الذي لا عسر بعده، منحة لا محنة فيها، وبسطاً لا قبض بعده، وعناية لا تليها جناية" نسأل الله أن يستجيب لنا في ذلك.

"فإن مع العسر يسراً" تثبيتها لقلب النبي وأصحابه، والعسر أدناه الامتحان وأعلاه الشدة والفتنة "الشدة أودت بالمهج" \* **يا رب فعجل بالفرج** \*.

ومن العسر: العسرة، وذكر الله سبحانه وتعالى "العسرة"، الشدة الشديدة التي ألمت بالصحابة، وتبعوا النبي في تلك الغزوة الطويلة في الهجير، كانت فيها فتن واختلف الصحابة ونزل النوم عليهم، فقال "نصرت بالرب"، غزوة العسرة.

العسر إذاً من الصعوبة والامتحان والبلاء والشدة ومن الفتنة أيضاً، واليسر ضد ذلك من تفريج الكروب وجلاء الهموم ورفع البلاء ودفعه والعطاءات الربانية. فالله جعل المواقيت، وهذا العسر واليسر من **علم المواقيت** ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ ﴿وَلَتَنْبَلُوَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ يمحص الله المؤمنين، تمحيص من الله، تصفية وغرلة. \* غرلة \* لمنظور الناظرين منا وليس لمنظوره، هو يعرف من البداية ولا يحتاج إلى ذلك، ليجتبي من يشاء على ما شاء من حكمة ويُظهر حكمته في ذلك.

فالدهر كله عسر ويسر، الحياة الإنسانية عسر ويسر، أيام صعوبة أيام راحة أيام وجع أيام مرض أيام فقر أيام فقدان، وهكذا الدنيا دار بلاء. أما الآخرة: عسر لا يسر بعده، يسر لا عسر بعده.

في الدنيا يُبتلى الذين هم للجنة ماضون بأحوال من أحوال النار، عبر الكائنات الجهنمية الأرواح التي كانت في سجين والتي حملت نار جهنم وحقدتها، ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ ناقمة، متجلي عليها اسم الله المنتقم، فحملت هذه الأرواح من ذلك فتذيق الناس الويلات والآلام والهموم ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ﴾.

قد يذوق أهل النار المقدرون للنار ﴿حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، قد يذوق هؤلاء من نعيم الجنة: الأكل الطيب، المسكن المرفق، اللذائذ التي لن يروا مثلها، اليسر ﴿وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ هذا مدد غواية، ﴿يُمِدُّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ﴾ هذا مدد العناية، ﴿كَلَّا تُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾ الكل يأخذ، الكل يأخذ من خزائن الله التي لا تفرغ، لأنّ عطاءه كلام. فهذا الإشتباك الدنيوي، اشتباك الحال.

أما الذين ﴿سَبَقَتْ لَهُمْ مِّنَّا الْحُسْنَى﴾ يُبتلون، ابن فاطمة الزهراء يمزق لحمه، سيد شباب الجنة، والقتلة والمجرمون كفروعون في قصر منعم، ويوسف في سجن يتألم فيه، وأيوب في بلاء، ويونس في بطن حوت، وموسى يفارق أهله، وتأتي البلاءات على المؤمنين ﴿يَسْأَلُونَكَ سَاءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾، وفرعون ينعم ويمرح، هكذا الدنيا. بل إنّ الله سبحانه وتعالى إذا أراد إهلاك قوم يفتح عليهم أبواب كل شيء ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾، ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا﴾ يجعل أكبرها المسرفين حتى يقول قائلهم قول عاد: من أشدّ منا قوة؟ وحتى يبطنوا مستكبرين.

فهو عسر في ظاهره يُسر، لأنّ بعده بلاء شديد، والآخر يُسر في ظاهره عسر، قتل الحسين وآل البيت وقتل الصحابة في الحرة وغيرها إلى اليوم، بلية، لكن في باطنها عطية لأنّ بعدها الجنة، لأنه لا يمكن أن نقيس الأمور بالمقاييس الدنيوية فقط. أما الآخرة فتُفرق الأمور ﴿يَوْمَ الْفُضْلِ﴾ ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾، فالنار عسر لا يسر بعده وخيبة لا فلاح بعدها، والجنة يسر لا عسر بعده وفلاح لا خيبة بعده، النار حبط وانكسار ووجع وعذاب لا نعيم بعده، والجنة عكس ذلك يُفكّ الإشتباك.

"فإنَّ مع العسر يسراً إنَّ مع العسر يسراً": إذن الله سبحانه وتعالى قدّم حقيقة تقريرية تخصّ ذات النبي مازة بها عن غيره، فشرح صدره ووضع وزره الذي أنقض ظهره ورفع ذكره، ثم قدّم حقيقة تمسّه وتمضي منه إلى غيره بحكم عام، أنّ مع العسر يسراً إنَّ مع العسر يسراً، مبشراً المؤمنين الذين كانوا معه مبتليين ومبشراً من سيأتي بعدهم. وهذا السر والحال متصل بهذا النبي، بشرح صدره ووضع وزره ورفع ذكره، فكل تابع له سيناله نصيب من ذلك، كل من صدّق وتبع النبي وعاهده وبايعه سيشرح الله صدره، لذلك قال ﴿يُشْرِحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾، وسيضع عنه وزره الذي أنقض ظهره، وسيرفع له ذكره.

وهكذا رُفِعَ ذكر أقوام لم يكن أحد يعرفهم، هكذا رفع الله ذكر علي ولم يكن القيصر حينها وكسرى يعرفان من علي ومن محمد، رفع ذكر فاطمة والحسين وأصحاب النبي، جمعهم من الأصقاع ورفع ذكر هؤلاء السادة. حتى الذين كانوا في مقام الاستعباد والرق، كم عبداً مع سيدنا بلال ومع عمار ومع صهيب الرومي؟ ولكن رفع ذكر هؤلاء السادة، إلى اليوم نقول "سيدنا بلال رضي الله عنه"، من تحت الصخرة إلى فوق الكعبة، من "أحد أحد" إلى "الله أكبر الله أكبر"، لها حكم لها معاني. وأمه هي الناجية الوحيدة كانت ابنة أخت أبرهة الحبشي، الناجية الوحيدة من ذلك، هي وذلك الخادم الذي سعى إلى سيده فأخبره الخبر ثم مات. نجا اثنان فقط من طير الأبايل: خادم أنجته الملائكة ليُخبر بالخبر ثم مات، وهذه الأميرة التي كان خلف والد أمية أراد تعذيبها فقال رباح: "أنا أتزوجها وأذلّها"، تظاهر بذلك ولكن كان يجلبها ويحبها وأنجبت بلال. من هذا الذي أتى ليهدم بيت الله الأحد، بنت أخته هي التي تنجب الذي رفعه الله فوق بيت الله الأحد، والذي قال تحت الصخرة "أحد أحد"، إنَّ مع العسر يسراً، من تحت الصخرة "أحد أحد"، إلى يسر أنه يرتفع فوق البيت ويؤدّن، ويكون مؤدّن رسول الله.

هكذا، لو قسنا الحياة كلها، حياة النبي والأنبياء تجد قصة العسر واليسر، قصة وضع الوزر ورفع الذكر وشرح الصدر، القرآن كله مجاميع معنوية، تجد لها مصاديق في الدنيا، مصاديق في الحياة في التاريخ والواقع الذي نعيشه. إذا أسقطنا ذلك على واقعنا نجد النفع، كل من صدّق هذا النبي سيشرح صدره وسيوضع عنه وزره الذي أنقض ظهره ويُنقذ الله سبحانه وتعالى منه ما يُنقذ منه، ويُرفع له ذكره، يُنقذ ظهره بعد أن يُنقض.

## ﴿فَإِذَا فَرَعْتَ فَانصَبْ﴾

بعد هذه المقررات الربانية تأتي المواثيق الربانية، أي: عرفاناً بهذا الجميل لك ولمن تبعك، بهذا الشرح الصدر وبوضع الوزر الذي أنقض الظهر ورفع الذكر، وببشارة أن مع العسر يسر وأنّ الفتح قريب، وأنّ الحياة ما هي إلا دار عسر وامتحان، وأنّ معها لطائف الرحمن تعينك، إن كانت المعية محايثة من باب أنّ العسر فيه يسر طالما يقرب إلى الله ويؤدي إلى نجوى الله، وكم من لطف خفي \* في \* بلاء جلي أو \* مع \* تتابعية (أي بعدها)، في الحالين يصحّان.

"إذا فرغت فانصب": إذا جئت ترتاح، إتعب. "إنّ الله يبشرك بقصر من قصب ليس فيه صخب ولا نصب"، النصب هو الاشتغال المتعب. ﴿فَرَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ في سورة الجن: الرهق هو التعب الذي لا يزول براحة، أما التعب فيزول براحة - هذا من تفسيري الخاص في القرآن الكريم بحمد الله تعالى، هذا من 20 سنة ألفته - غير الإرهاق. سيدنا الإمام علي عليه السلام يقول "أريحوا أجسادكم بالتعب ولا تتعبوها بالراحة" وهذا من معنى "إذا فرغت فانصب".

إذا فرغت من شغلك، إذا فرغت من أمور الناس، ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ ﴿فَمِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا نَّصَفَهُ أَوْ انْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾، فإذا فرغت من كل ما فعلته مع الناس، اجلس مع رب الناس ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ ﴿وَيَخِرُونَ لِلْأَذْقَانِ يَنبُكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ ﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ في كل الحالات يذكرون الله، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ انظروا للمعاني كيف تتشابه.

"إذا فرغت" من الفراغ من الأمر والانتهاء منه، فرغ من الأمر: انتهى منه. من معاني الفراغ: الانتهاء، من معاني الفراغ: الإطلاق، من معاني الفراغ: الخلاء. مكان فارغ: مكان خالي، أو سار في الفراغ أي في المطلق، أو كلام فارغ أي لا معنى له، لذلك فؤاد أم موسى أصبح فارغاً ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا﴾ أي لم يقوى على صبر.

وكما قلت في حكمة من حكمي:

كل فراغ يرنو لإمتلاء، وكل امتلاء يتوق إلى فراغ

الفقير يتمنى لو كان غنياً، والغني يتمنى لو يعيش عيشة الفقير وبساطة الفقير، وهكذا، معاني كثيرة في هذا الباب.

إذا فرغت من كل ما تفعله فانصب، العجيب إذا فرغت ليس اذهب إلى النوم وارتاح، لا، طالما أني شرحت لك صدرك وفعلت هذا معك ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾. إذا كان هؤلاء الذين ذكروا قبله وبعده ومعهم ﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾، وأنت ما مقامك؟ أنت أعظم من ذلك! إذا هم ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، فكيف بالنبى؟

عظم قدر رسول الله فوق ما تطيق، كل ما خطر ببالك النبي أعظم من ذلك، ضمن مقام المخلوقية. وحاشا أن يظن أو يُظن بمسلم موحد أن يتخذ رسول الله رباً أو يعبد قبره، هذا يقوله المغلفة قلوبهم المغفلون الجاهلون عقيدة ومبدأ، قليلو الأدب مع رسول الله أو الناقمون الحاقدون عليه من ناصبوا العداة لآل بيته، أما البقية لا أحد منا يعبد رسول الله. والله بشره أن لا يُشرك بالله بعده، والواقع ظاهر، كل الفتن جاءت لكن لا أحد اتخذ ولياً أو نبياً إلهاً أبداً، ولا رسول الله. وقوله "لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح" هذا أيضاً فيه نظر.

المهم، فإذا فرغت فانصب. إذا فرغت، عرفاناً لما فعلت معك، إذا فرغت من كل مهماتك، فاجلس مع الله، وهذه نصيحة لك في حياتك. العبادات الجماعية، الليلة 3 ملايين مجموعين هنا في مدينة رسول الله، وقرابة 4 ملايين في الحرم المكي، في تنظيم مهيب جزى الله خيراً كل من أشرف على ذلك، المملكة العربية السعودية ومن يشرفون على هذا بارك الله لهم وفيهم، تنظيم الحقيقة أنا شاهد عيان عليه. ولكن أقول أنّ هذا الذي هو محمود، صلاة الجمعة والاجتماع وأن نجتمع بالآلاف والملايين ونشعر بالفخر بهذا الدين من كل الأجناس ويتراصّ الناس صفاً كأنهم بنيان مرصوص ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ الاصطفاف. ومن هذا معاني التصوف، صف وصفوة اصطقوا على صفاء فاصطفاهم ربهم لذلك، صفوة وصف، صفوا وتصافوا ليس في قلوبهم حقد على بعضهم. هذا من تفسيراتي لمعنى "تصوف"، ليس صوف ولا صوفا (الذي كان في الجاهلية) ولا صوفيا (الحكمة) ولا صافو (الشاعرة الإغريقية التي كانت فاسدة كاسدة) ولا لباس الصوف ولا أهل الصفة، هذه معاني جزئية، أما المعنى الحقيقي: الصفاء. قال أبو الفتح البستي:

"تحير الناس في الصوفية واختلفوا \*\* وعده البعض منسوباً إلى الصوف

ولست أمتح هذا اللفظ غير فتى \*\* صافي فصوفي حتى سمي صوفي"

وإن كنت لا أدعو إلى المنهج الصوفي بمعنى أحصرك فيه، أنت حر كن كما تريد المهم تحت الراية المحمدية، هذا أكبر من أن نتخالف في هذه الأمور الأخرى، فأياً ما كان منهجك تعال إلى خيمة النبي.

المهم "إذا فرغت فانصب": هذه لك رسالة.

الآن الأمة مبتلاة، ما ترون في غزة، ما ترون في فلسطين، في لبنان، في اليمن، في السودان، في الشام، ما جرى في العراق، في ليبيا، العشرية السوداء في الجزائر، في تونس قبل ذلك، بعض الأحداث... المهم ما يجري في الإنسانية اليوم من استلاب إنسانيتها، من سلب هويتها وحقيقتها، ممن يريد أن يجعلها جندرية عمياء، الذكر يتحول إلى أنثى والأنثى إلى ذكر، أو يكتفي هذا بذاك وذاك بهذا، وغير ذلك كثير مما يفسد، أن يحولوا بعض البشر إلى كلاب وغيرها.. فهذا كله يحتاج منا جميعاً إلى أن ندعو الله حتى يهدي إليه الضالين، وحتى يشفي صدور المؤمنين، وحتى ينصر المستضعفين، وحتى يأخذ الظالمين أخذ عزيز مقتدر ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ ثم كلا لا وزر.

"إذا فرغت فانصب": يعني مع العبادة الجماعية هذه، هنالك لحظة لك مع الله وحدك، أنت مع ربك، أنت وربك، وأنت وربك، نبيك بينك وبين ربك حتى تقول "السلام عليك أيها النبي". أنا أقول لك: من قلة الأدب مع الله أن تدعو الله بدون توسل، إذا النبي عند وفاة السيدة فاطمة بنت أسد يقول "اللهم إني أسألك بنبيك محمد والأنبياء من قبله"، ويمضي يوماً إلى منبره الشريف ويقول "اللهم بممشاي إليك والسائلين عليك" يدعو متوسلاً، لأنّ التوسل تذلل، النبي يتذلل إلى ربه، حباً وكرماً. فما بالك بنا نحن؟ هذا سيد الخلق نتوسل به وبآله وبصحابه الكرام الفخام والأنبياء من قبل ذلك، وليس في ذلك شرك أبداً.

"إذا فرغت فانصب": ليكن لك مع ربك حال ومجال، سوية من زمان، نصف ساعة أكثر أو أقل حسب جهدك، والله أعطاك ﴿قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾، اذكر الله قبل أن تنام، اذكره عندما تستيقظ. كم حمداً لم تحمده؟ كم آية لم تشكر عليها؟ كم نعمة لم تشعر بها؟ نعمة الكلام، نعمة الروح، نعمة البصر، نعمة الوجود والشهود ومعرفة المعبود، كل النعم التي ينعم الله بها علينا كلها تستحق الحمد.

الاستغفار ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾، الاستغفار، الدعاء، الهيلة، الحمدلة، التسبيح، الصلاة على النبي المليح، التوسل به وبآله، الصلاة عليه وعلى آله، عدد جمالهم وجماله، السجود الإنابة البكاء. منذ متى لم تبك عينك في حب الله وحب رسول الله؟! لا تبك خوفاً من عذاب ولا طمعاً في ثواب ولا خوفاً من سكرات الموت، ابك حباً، ذلك أعظم! محبة. النبي كان يبكي طول الليل، فيقال له "أكل هذا وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر؟" يقول: "أفلا أكون عبداً شكوراً". اشكروا نعمته عليكم ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾.

### ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾

"إلى ربك فارغب": "إلى" هذه هي الغاية، هي الطريق، هي الطوق، هي المسار، هي الصراط المستقيم. ميزان الوقت، أن يكون لك وقت مع الله خاص، أنت وربك ونبيك فحسب، النبي شاهد عليك ناظر إليك. وربك سبحانه وتعالى المعبود الواحد الأحد الصمد القادر، لا نافع إلا هو ولا ضار إلا هو، ولا ينفع نافع إلا بإذنه، ولا نتوسل بالنبي إلا من بعد إذنه، لأنه نبيه وحبيبه، ولا يشاركه ولا يدانيه في المقام أحد. إقرار وإفراد العبودية لله سبحانه وتعالى لا يتعارض مع الوسيلة المحمدية والتوسل ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ -ارجعوا إلى درس الوسيلة فيه الحجج كلها- لا يتعارض مع حب الصالحين، لا يتعارض مع حب آل البيت والتوسل بهؤلاء السادة، أبداً.

"إذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب": "إلى" هذه هي الوجهة، إلى أين تمضي؟ إلى ربك ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾، نعم، إلى الله.

"فارغب" هنا تحمل معنى المحبة وتحمل معنى المسارعة ﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾. ف "رغب عنه" أي زهد فيه أشاح عنه بوجهه، و "رغب في الشيء" أي تاق إليه، منه الرغبة التي في الإنسان، ليس فقط الشهوة، الرغبة لها معاني كثيرة، التوق إلى الأشياء، فإذا خولطت بشهوة صارت نوع من الشبق الشديد، الشغف، الصبوة، يصبو إلى الشيء، فلها معاني كثيرة.

ولذلك لا بد أن يناقش العلم أصحاب العلم لا الواهمون، كمن يقول أن التوسل إلى الله بنبيه شرك وهو لا يعرف معنى الشرك، والنبي توسل بذاته إلى ربه وبالأنبياء، قال "اللهم إني أسألك بنبيك محمد وبالأنبياء

من قبله" وقال كذلك "اللهم بممشاي إليك وبالسائلين عليك". وعلم أصحابه ذلك، فعلم الأعمى فقال "اللهم إني أسألك بنبيك محمد أن يرّد الله لي بصري، يا محمد إني أسأل الله بك"، وبعد انتقاله جاء الأعرابي عام الرمادة وقال "يا رسول الله أغث أمتك" فجاءه في المنام وقال له سأغيث أمتي وأمطرت السماء، وأقره الصحابة. وكان كبار الصحابة يقولون في صلاة الاستسقاء بالعباس "اللهم إنا كنا من قبل نتوسل بنبيك واليوم نتوسل بعمه العباس"، وهذا في ظاهر حضور العباس الجسدي ولكن التوسل بالعباس ما هو إلا وسيلة إلى رسول الله ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾. أما الجهلة فهم يظنون أنهم يفقهون وهم لا يفقهون شيئاً، لا يعلمون أنّ الصلاة وسيلة وأنّ الزكاة وسيلة، وأنّ كل هذه الوسائل دون وسيلة النبي ما لها من طائل، لأنّ إبليس اللعين الرجيم لما توسل بعمله وتوسل بأمله وتوسل بعلمه وبكونه من نار أحسن من الطين هلك، لرفضه لوسيلة آدم والسجود لآدم، وما السجود إلا توسل.

"فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب": إلى ربك الرجعي، ارغب إليه أي سارع إليه ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾، سارع، أسرع إلى ربك، قال سيدنا موسى ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾. كان لي مرة مقام في خلوة من خلواتي مع ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ وذقت من معانيها حقيقة.

فإذا فرغت، أنهيت مهماتك الكثيرة، فانصب، لا تركز إلى الراحة كما تركز إليها البهائم، كما قال الإمام علي "لست كالبهيمة همها طعامها" وقال "لا تتعبوا أجسادكم بالراحة بل أريحوها بالتعب"، منظومة فكرية. لأنّ الحضارات لما ترتاح وتركن إلى الراحة الدنيوية يفسد أهلها، نعيمها خلّاب ورخاؤها سراب وناعقها إلى خراب وأستاذها غراب علم الذي علمه كيف يحثو على أخيه التراب.

"فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب": إذا فرغت يا محمد من هذا.. وأسندنا من هذا السند، هذا لكل مؤمن، أن نرغب إلى الله سبحانه وتعالى ليكون شوقنا إليه أعظم من كل شوق، وأن تكون عبادتنا إلى الله. بمعنى، "إلى ربك فارغب" تحمل معنى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْرَىٰ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ﴾ أو قوله ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾. تزول كل الغايات، لم يقل له "ارغب إلى الجنة" أو "ارغب عن النار"، قال "إلى ربك فارغب"، المقصد الله، أن يكون المحبوب عين المطلوب، وهذا قمة معاني التزكية، قمة معنى الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

وأما وسيلتنا برسول الله، فإني أشهد أني ألقى الله لا بعلمي ولا بألمي ولا بحسناتي ولا بخوف سيئاتي، بل بتوسّلي برسول الله. ومن يقول أنّ التوسل به شرك، فإن كنت فحلاً من الرجال ناد يوم القيامة "يا الله"، إذ يلوذ الخلق منادين "الغوث يا رسول الله، مدداً يا رسول الله". هذا معنى الشفاعة، يتنادى الكل "يا محمد اغثنا، إلى ربك اغثنا"، الواقفون أمام الحساب، "ألا وإنّ الله معطي وأنا قاسم" ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾. هذا معنى من معاني الوسيلة المحمدية "آت محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة"، علّمها لنا النبي لنددها بعد الأذان، أما قولهم "إنها درجة لا تجوز إلا لعبد من عباد الله وإني أرجو أن أكون أنا" وإنّ الدعاء له بمعنى حتى يأخذها، هذا كلام فارغ!! زُفعت الأقلام وجفّت الصحف، محمد لا يُداني في مقامه.

فشفيعنا، أيعني تشفّعنا به شركاً؟ أيعني أن نقول "اللهم إنا نسألك بنبيك محمد" الذي نبع من فم النبي فقال له وهو يدعو لأمه فاطمة بنت أسد "اللهم إني أسألك بنبيك محمد وبالأنبياء من قبله"، لما دعا لها ولما نام في قبرها ليكون شفيعاً، ليكون وسيلة لها، لتجنّب ما قد يلقاه الميت في قبره، أكان النبي مشركاً؟ أيها الغلمان الفارغون المتنظعون الذين قال فيكم رسول الله "هلك المتنظعون"، جاهلو العقيدة الذين جسّدوا الله وقالوا "الله في السماء، يجلس على العرش جلوس أحدنا على كرسيه، وينزل من السماء نزول أحدنا من مكان إلى مكان" وحاشى ربنا أن يكون في زمان يطويه أو مكان يحويه أو يكون له نظير أو شريك أو شبيه أو شيء من خلقه يحلّ فيه. تعلّموا دينكم ثم ناقشونا.

### دعاء الختام

الحمد لله على تمام نوره، وعلى نور فضله، وعلى حقيقة سرّه. اللهم اجعل شفيعنا ووسيلتنا إليك وداعينا بين يديك ومقامنا لديك بالحبيب محمد، وبآل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه الغرّ الميامين والأنبياء قبل ذلك والمرسلين وعبادك الصالحين المصلحين أهل الله أجمعين، أهل النوبة والحضرة المتقين، المؤمنين المخبتين العارفين، السائحين الساجدين الراكعين، الخاشعين الطائعين، ولا تجعلنا من المغضوبين ولا من المفصولين ولا من المخذولين، اجعلنا من الموصولين.

اللهم بإمام المحبوبين اجعلنا من المحبوبين، ولا تجعلنا مع القوم المحجوبين الذين حُجبوا بحجاب إبليس إذ أرى أن يسجد لآدم، فأبت قلوبهم أن تسجد لرسول الله تعظيماً، وأبت أن ترى السبيل الصراط

المستقيم، وأبت لحق أن تُقيم، وأبت إلا في باطل أن تُقيم، فالحمد لله رب العالمين. قوم يصدق فيهم قول الله سبحانه وتعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾، بمعنى: يرفضون هذا الجاه المحمدي، يقول "أنا مع الله لا أحتاج محمد ولا آل بيته"، والنبى يقول: "آل بيتي سفينة النجاة من تعلق بها نجا ومن تخلف عنها هلك" "مثل آل بيتي فيكم كسفينة نوح"، مثل آل بيتي فيكم كباب حِطَّة". ما معنى هذا الكلام أيها الأحباب؟

أما نحن، فنحن من أهل ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ هذا توسل أيضاً، لماذا نأتي إليه ولماذا هو يستغفر لنا بعد أن نستغفر حتى يقبل الله منا؟ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ إذا سألك أنت. ﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾ فينا، ما زال فينا، في صدورنا في أرواحنا نوره وسره، نطق بنوره وسره ومدد دمه ونوره صلى الله عليه وسلّم.

#### خاتمة

جزاكم الله خير على المتابعة شكراً لكل من تابعا الليلة، والحمد لله على هذا البذل، من مدينة رسول الله أحبيكم، لعلني أغادر إلى مكة إن شاء الله، فإن تم ذلك نلتقاكم من مكة المكرمة بعون الله تعالى، حتى نطوف ونلبي بالبيت العتيق، نلبي لبيك اللهم لبيك، عمرة مباركة إن شاء الله. عيد مبارك، صيام مقبول، قياماً وسجوداً وركوعاً في القبول إن شاء الله والوصول.

وكل عبادة هي بين القبول وردّها إلا الصلاة على النبي محمد، أديموا الصلاة على رسول الله، شرفوا قدر النبي العظيم ووالديه وكافليه وذريته ومن ثم أصحابه والأنبياء من قبله وأحبابه والصالحين من أمته وأولياء الله الصالحين أجمعين. وكذلك توسّلوا برسول الله ولا تسمعوا لمرضى القلوب، للجهلة لضعاف العقول، لمن لم يشرح الله صدرهم للإيمان، ولا عرفوا طريق الإحسان، ولا عرفوا طريقاً لفهم معاني القرآن، ولا عرفوا النبي المصطفى الإنسان، سيد أهل الإيمان، معراج أهل الإيقان، حجة المتقين وقبلة العاشقين وإمام الواثقين، سيد أهل اليمين، محمد الصادق الأمين، صلى الله عليه وسلّم دائماً.

فالحمد لله على ذلك، والحمد لله على كل شيء كذلك، وصلى الله على سيدنا محمد عدد ما خلق ربنا من الممالك، وعدد كل ناجٍ وهالك، وعدد كل من يحلّ عند رضوان أو عند مالك، وعدد ما خلق الله

سبحانه وتعالى من خلقه فيما مضى وفيما سيأتي وعدد ما أقام من **المسالك**، وعدد ما أخفى عنا **كذلك**، وعدد فضله وآلائه إنه أهل **لذلك**.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، أحييكم من مدينة جدي رسول الله، من جوار مسجده وحرمة كما تسمعون صوت التلاوة، من هذا المكان العظيم أحييكم، أشكر لكم على المتابعة، أرجو أن تشاركوا ما نبثه وأن تعينونا على حرب من يحاربنا، فأمثال هؤلاء المتنظعين الحمقى المغفلين لما وجدوا أنّ حجتنا عليهم قوية وأنّ لدينا الحجة التي أوتيناها ﴿**وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ**﴾ وأنّ الله أيّدنا بالحكمة وفصل الخطاب، وأنا نغلبهم علماً وفهماً ونفوقهم سُودداً ونسباً وحسباً، تبادروا إلى حربنا بأنواع الضغائن والتبليغات حقداً، وكما قال ربنا ﴿**إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ**﴾ ﴿**كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا**﴾ ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا**﴾ إذ لا يشك أحد ممن يفهم لغة الضاد وممن يفهم الكلام بالعربية أنّ كلامنا لا يصدر إلا عن عارف عالم وارث محمدي، ثبت نسبه ونسبته وحسبه، وجمّ أدبه، وأفاض الله عليه من علمه وفيوضه ونوره. فهذا التفسير أيضاً يحار فيه المفسّرون، ويعجز دون بلاغتنا البلغاء وفصاحتنا الفصحاء، ويحار فيما أعطانا ربنا العلماء، وما يناظرنا أحد إلا غلبناه، ولو كنا في ميدان المبارزة كحمزة وعلي آباي، ما بارزني أحد إلا وغلبته وصلبته، وهزمته وقلبته، كما قال جدنا الإمام الرفاعي "نحن آل البيت ما علا علينا بيت إلا خرب، ولا نبج علينا كلب لا جرب، ولا أراد سلبنا أحد إلا سلب، ولا غلبنا أحد إلا غلب"، والحمد لله رب العالمين.

في أمان الله، شاركوا هذا الدرس وأوصلوا الرسالة، وانسخوه إن شاء الله واجعلوه في كتاب، سيكون في كتاب "النفحات الرمضانية" وكتاب "المرتقى في تفسير المنتقى"، ولي بعد عودتي إلى تونس رحلة مع تفسير القرآن سواء آيات مفردة أو بعض السور الممتعة، بعلمنا وبشيء خاص لم تُسبق إليه بحمد الله، السلام عليكم.

الدرس بتاريخ: 2025-03-23





## نفحات رمضانية: آداب القوم في شهر الصوم

### كلمات ومنهج

#### مقدمة

المتابعين الكرام السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، أهلاً وسهلاً بكم إلى لقاء خاص من ليالي رمضان الكريم شهر القرآن وشهر الرحمة، شهر النبي عليه الصلاة والسلام وآل بيته، شهر الصحابة والإناة وعباد الله الصالحين، شهر فيه كل الفضائل التي يدعو إليها ديننا الحنيف والتي دعا إليها ربنا سبحانه وتعالى في قرآنه، وفيه من أخلاق الأنبياء، شهر مبارك عظيم فيه ليلة هي خير من ألف شهر، شهر الرحمت والتقرب إلى رب العالمين، شهر الصبر، وشهر الامتناع مع القدرة.

الليلة العنوان هو عنوان ديني، ولكن لعلني لن أطرقه دينياً بحكم أنني أروم أن أطرقه من جانب الفكر، عنوان ديني "آداب القوم في شهر الصوم". كان بالإمكان أن أقدمه في جُبة الشيخ وهيئته وسمته ولغته الخاصة، ولكنني أوثر أن أقدمه إليكم في هيئة الفكر، في تأمل الفكر، بهدوء، حتى نناقشه اجتماعياً ونفسياً، ولا نهوّم كثيراً في النظريات والمبادئ بقدر ما نريد أن نرى تطبيق ذلك في حياة المسلمين، لأننا نشعر اليوم أنّ المسلمين لديهم نوع من الإشكالية بين عالمهم الروحي وتطبيقات ذلك واقعياً. عندما نرى صلاة التراويح على سبيل المثال: تزدحم المساجد في رمضان بشكل كبير جداً، لكن أثرها الما-بعدي في المجتمع ككل وعلى الناس أنفسهم الذين صلوا في التراويح بعد رمضان لا يكاد يكون أثراً كما يجب أن يكون، لا

يؤثر على أخلاق الناس بشكل أعمق، لا يمثل تيار إصلاح أخلاقي، تأثير اجتماعي، إسعاد للناس، حتى الذين يصلون. إن كان الدين يتحول إلى فلكلور فقط، إلى مظهر فقط، إلى مجرد شكليات، فهذا ليس عمقه في نظري، فيما أراه.

هذا لا يعني أنني أحكم سلبياً على هذه الأمور، أحكم سلبياً على التصرفات التي لا توصل أنوار المسجد إلى خارجه، التي لا تجعل الإنسان يأخذ من صلاته قبساً يوقد به للناس، لأنَّ المسلم الحقيقي تحت بند **"بلغوا عني ولو آية"**. والتبليغ ولو آية يعني أنّ الإنسان داعية لله، وداعية بإذن واسم رسول الله عليه وعلى آله الصلاة والسلام، في أخلاقه في تصرفاته، في كل ما سيقوم به، في علاقته بربه، كيف يأخذ ذلك النور ذلك السر تلك الأمداد ويوصل منها إلى من استطاع. لا أقول يغير العالم، على الأقل يؤثر في المحيط الذي يحيط به من قريب أو من بعيد قليلاً وليس بعيد كثيراً.

هذه بعض الأفكار التي يمكن أن نتطارحها في هذا الشهر، شهر كريم شهر مبارك، قل في شهر رمضان ما تريد من الخير، قل فيه ما تريد من كلمات المحبة والامتنان، فهو أكبر ما نقول عنه، ولكن علينا أن نجاوز -كما قلت- الشكليات الخارجية إلى العمق.

### بين الصوم والصيام

في رمضان نقطع عن أمور مباحة، تبتلاً لله سبحانه وتعالى وصياماً. وكان القوم في رمضان يكثر الأذكار، فصومهم صيام وليلهم قيام. فالصوم عندهم ليس مجرد الحركات الحسية (الإمتناع عن الطعام و عما يُباح)، بل ينتقل من فعل الصوم إلى فعل صيام، وهذا التغيير الإعرابي يعني صيام الروح عما سوى السبوح، وصيام القلوب عما سوى المحبوب، فهذه من معاني.

صيام الروح عما سوى السبوح، وصيام القلوب عما سوى المحبوب، وصيام النفوس عما سوى

القدوس.

و"السوى" هنا تعني المخالفة، أي لا يدخل فيها النبي وآل بيت النبي والصالحين، هؤلاء مشمولون ضمن دائرة الحضرة الإلهية. ليس هنالك غيرية هنا من حيث الوصل، ثمّة غيرية من حيث الفرع والأصل، الله هو الله والعبد هو العبد، لكن من حيث البوتقة فثمة وصل. ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو

**الْعِلْمُ قَائِمًا بِالْقِسْطِ** ﴿﴾ ثمة وصل، "لا إله إلا الله محمد رسول الله" ثمة وصل، لما نقول "رسول الله" ثمة وصل. دائرة الوصل، **دائرة الاتصال الشمولي** بين هذه المعاني العميقة وبين هذه الدوائر المهمة، دوائر الربوبية والألوهية ودائرة الاجتباء النبوي والاصطفاء بحيث ما كان يريد الله من اصطفاء.

الصوم ضمن هذا الحد هو أمر محدود محدد، "قوم" نحدد هم هؤلاء القوم، "يوم" محدد بساعاته، "نوم" محدد بساعاته وحالته، هذا "صوم". الصوم هو الامتناع وفق الأمر الشرعي أنه لا تأكل وتمتنع عن أمور مباحة لك إلى أن يأتي الميقات الذي تفتقر فيه، بين الميقات الأول والميقات الثاني أنت لا تشرب الماء ولا تأكل الطعام ولا تأتي مما أُبِح لك في غير ذلك الموضوع. هذا صوم، حالة من حالات الحواس الظاهرية، تمنع الفم أن يرد فيه شيء يصل إلى الجوف من شرب أو طعام، تمنع الحواس في أشياء محددة معينة معروفة معلومة. هذا الكل يستطيع أن يقوم به، يمكنه أن يصوم. أما "صيام" على وزن "قيام" صيغة "فعال"، هذه تغيّر المعنى فلا يكون فقط في الجانب المحسوس بل يمضي إلى الأعماق، إلى النفوس والقلوب والأرواح.

فأنا قلت هذه الكلمات أنّ الصيام هو صيام القلوب عما سوى المحبوب، وصيام الروح عما سوى السَّبوح، (عما: عن ما يعني)، وكذلك صيام النفوس عما سوى القدوس. هذه مجمل آداب القوم في شهر الصوم، ممكن نلخص منها معاني أحوال القوم، نعي بهم أهل الله والمجتبين من الله في شهر الصيام. هذا يمكن أن يُفصّل كحكمة، وإن كنت أول مرة أقولها بهذه الصياغة، لذلك أنا الآن أكتبها في نفس الوقت فإني أراها جامعة، وهذه من نفحات القلوب.

أولاً ما معنى صيام الروح عما سوى السَّبوح؟ شهر رمضان يا جماعة الخير ليس ما أراه بين الناس اليوم. رمضان عندما يتحول إلى رمضان، إلى شيء من المرض، إلى شيء مما يمرض النفوس والقلوب، عندما يتم تحويله من معناه الأصلي الذي يعني قوة الوصل بالله سبحانه وتعالى إلى معانٍ منجرفة عنه.

وأعطيك أمثلة، كنت سأكتب مقالاً اسمه "لا تصم"، طبعاً هو مقال في خدعة "لا تصم إن كنت كذا". إذا كان الصوم إذا كان رمضان نرى الناس على أعصابهم بشكل مفرط فيه، لأنّ معظم الناس مدمنة على القهوة مدمنة على السجائر، إفراط في الغضب، مشاكل لا حصر لها، إشكاليات كبيرة، خصومات وتعارك، وشتائم لأتفه الأسباب، هذا لا شك أنكم جميعاً رأيتموه في مجتمعاتنا، قوم كأنهم فاقد عقلهم. حالة هلع لكل ما يخص الطعام وشرائه واقتنائه وتزاحم غريبة جداً، كأنه وهو يجوع نفسه تريد أن تنتقم منه،

أولاً بالغضب وثانياً بشراء ما لا يحتاج إليه. مائدة طويلة عريضة تكفي 50 شخصاً، والأخ يترجّع ويبدأ كأنه في معركة في سباق في مسابقة، يأكل طول الليل، ثم يقول يا ويل. أكل كثير، قوم يزداد وزنهم في رمضان، لا يدرك معاني السمات والهدوء والأدب أثناء الصوم، ولا يدرك معاني الزهد، وتعلم معنى الجوع وفن الجوع وهو فن كبير كنت قدّمته في محاضرة، لا يدرك أنّ الصيام والصوم شرف من الله وتشريف من الله لك واجتباء، هو لا يقدم مزية لله، الله سبحانه وتعالى تفضل عليه. يجب ألا يغضب، ألا يخاصم، ألا يشتم الناس، أن يكون حاله حال الزهد. ولكن ما نراه في مجتمعاتنا شيء آخر، بالعكس، الأماكن التي تباع الطعام والمنتجات تجد فرصة في رمضان.

إذا أقبل الليل، عندنا حركتان:

1- حركة تمضي تصلي التراويح، طبعاً يتمّ ختم القرآن الكريم، هذا جيد، ولكن هذا أيضاً يجب أن يكون معه خلوة مع الله، خلوة مع كتاب الله، تدبر في آية من آيات القرآن العظيم. **أن تجلس بينك وبين ربك، أن تكون بينك وبين ربك وشيخة ووديدة (حالة وداد)، أن يكون لك مقام مع النبي عليه الصلاة والسلام وعلى آل بيته،** أن لا تطرد رسول الله من رمضان.. لأنني لا أرى أنّ الأمر فيه ما فيه من هذا الود، لا بدّ أن نكثر الصلاة على النبي عليه وعلى آله الصلاة والسلام، أن نستذكر ذاته الشريفة وآل بيته الكرام، وأن نهيم فيه حباً.

فالبعض يمضي في مشهد التراويح، وهو أمر محمود، ولكن يجب أن يضاف إليه تدبرات قرآنية، ووقفات مع الله ومع رسوله في خلوة نفسك، في قلبك في صدرك، هذا لا بدّ منه، لأنه عندما يتحول الأمر إلى مجرد مظاهر وتظاهر، هذا لا يكسب شيئاً.

2- المشهد الثاني هو مشهد درامي: شركات الدراما تنتج الكثير في رمضان، 99% من الذي يُنتج يدمر الأخلاق، ينشر الغضب، ينشر مشاهد العنف، مشاهد الحقد، لا علاقة له بروح رمضان. كاميرات خفية فاجرة فاسقة سيئة الأخلاق والسمعة، مسلسلات في معظمها فاسدة إلا ما رحم الله، تجد أعمال جيدة، أعمال جادة، لكن معظم الأعمال تبدأ دائماً بالصراخ والصياح. أذكر مرة في رمضان من رمضانات التسعينات أول يوم مسلسل تونسي وبالصراخ ومشهد مقزز تقشعر له الأبدان، لأنّ الأسر تجتمع، فيها مشاهد تخدش الحياء أصلاً.

## الصلاة والصلوات

فهذا أيضاً مما تُحارب به روحانية هذا الشهر العظيم. **شهر رمضان شهر إبداع روجي، أن تجد الروح سبيلها إلى شيء من الحرية والتنفس في رمضان.** أنّ هذا الشهر الكريم، كما صام جسمك عن الطعام وأنقص من حال الطين، تجد الروح متنفساً ووسعة وسعة، فلا تُلقِي عليها الطين بمجرد أن تسمع الأذان، هذا الهجوم على الطعام وهذه العبادة التي تكون شكلانية مع المجموعة، وليس فيها خلوة وليس فيها وشيجة مع الله وسريرة مع الله، وليس فيها صلة مع النبي. لأنّ هنالك الصلاة والصلوات (جمع صلة)، فمن انقطعت به صلواته لم تصله صلواته، هذه حكمة أخرى، ربما أنا أقول الآن عفو خاطر.

## من انقطعت به صلواته لم تصله صلواته

ما معنى هذا الكلام: من انقطعت به صلواته لم تصله صلواته؟

لأنّ السرّ في الدين هو الصلة، الصلة مع الله بالمحبة والخضوع والإخبات والإنابة، والصلة إلى الله بالوسائل التي فرضها: برسول الله وآل بيته والأنبياء والصالحين والصديقين. وهذه الصلة لا بدّ أن تدخلها من أبوابها: انكسار القلب، أهل الله الصالحين، آل بيت النبي، والنبي ودوائر الأنبياء والملائكة وهؤلاء دوائر القرب والحضرة. لا يكون الدخول مباشراً على الله هكذا، هذا خطأ المجسمة والنواصب عموماً أنهم يريدون دخول مباشر. وارتكب هذه الحماقة إبليس، إبليس لم تقطعه صلواته بل صلواته، كان يصلي، كان عابداً عالمياً ولم يكن عارفاً عاشقاً، لم يتخذ صلة إلى الله بمن فرض الله أن تكون الصلة منه إليه به (وهو سيّدنا آدم والسجود لآدم). هذه حركة السجود الفردية الواحدة لمخلوق حرّمته من بركة ونور وخير كلّ السجود الطويل للخالق.

لأنّ الإشكال دائماً لم يكن في العلاقة مع الرب، بل مع مربوب اختاره الرب ليكون واسطة بينه وبين مخلوقه. لم تكن الإشكالية في العلاقة مع الله إنما في الواسطة، وهي ذات شعبتين:

إمّا أن تتخذ واسطة خاطئة ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ وهي الأصنام. المشرك لا يكفر إنما يشرك بالله غيره، فهو يفرض وسائل. لذلك، الخطأ الذي يرتكبه أصحاب الفكر الفاسد أن يسقطوا الآيات التي تتكلم عن الذين يتخذون 1- وسائل حرّمها الله لا خير فيها ولا نفع لها (كما اتخذ بنو إسرائيل

العجل لا يملك لهم ضراً ولا نفعاً)، وبين 2-الوسائط التي فرضها الله كالنبي عليه وعلى آله الصلاة والسلام.

أنى لو ااصل أن يصل إلى الله سبحانه وتعالى دون حضرة الرسول الأعظم؟! أنى لو ااصل أن يصل إلى حضرة الرسول الأعظم دون آل بيته؟! وأنى لو ااصل لآل البيت دون عباد الله الصالحين؟! وأنى يصل الإنسان إلى عباد الله الصالحين دون انكسار القلب ونفع الناس والخيرية والطيبة والموقف الشجاع؟! الخانع والجبان والمنافق والخائن لا يصل إلى هذا، لا يذوقه دون الهيام دون الحب ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾. هذه الصَّلَات، الله لما أراد الاستبدال قال "يحبُّهم ويحبُّونه" لم يقل "يصلُّون"، ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ المقصد هو الوجه، ولكن بالأبواب، لا بد من بوابات.

لذلك، المنافق يصلِّي أم لا؟ يصلِّي. المجرمون الذين قتلوا الناس اليوم، والذين يكفرون الناس، والمخادعين من كل فئة وجانب، يصلُّون، ولكن صلاة دون صلاة، صلاة دون صلوات. كيف لإنسان يخرج اليوم، نراهم يخرجون يتكلمون ويملأون المساجد وعندهم أصوات جميلة ويصلُّون بالناس، ولكن في قلبه في يقين لبه في داخله: النبي ميّت لا يضرّ ولا ينفع، النبي منتهية قضيته مجرد جسم في قبر، وأمّ النبي وأبوه وعمّه الذي ربّاه وآباؤه الأولين كقار وأنجاس (بالنسبة إليه)، وآل البيت كغيرهم من الناس، بل يستبهم ويكرههم ويبغضهم ويوالي أعداءهم ويشمت بهم ويتمنى لو قاتلهم فقتلهم، هذا كلام نسمعه اليوم وليس فقط ما قرأناه من سابقهم من تشابهت بهم قلوبهم.

أنى لمثل هذا؟ أنى لإنسان يتمنى أن يحفر قبر ولي وأن يستخرج جثمانه؟ أنى لإنسان يريد قتل الناس ظلماً؟ أنى لإنسان يبغض أهل الله الصالحين، يكره علي ابن أبي طالب الذي لا يكرهه إلا منافق فاسد ولادة، ويحب الأعداء ويجمع بينهم في قلبه بين المحبوب والمحجوب، أنى له أن يصل؟

فمن انقطعت به صلّاته لم تصله صلّاته، أبداً من المحال. الصلاة تأتي بعد الصلاة، وإلا كنا نقول "أشهد أن لا إله إلا الله" ونصلِّي ولا نقول "محمّد رسول الله".

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ﴾

حتى الاستغفار ما كان ليُقبل إلا بالصلة ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ ماذا فعلوا؟ ﴿جَاءُوكَ﴾. هذه اتصال بالصلة، دخول على باب الموصول الذي يصلك بالوصل الأعظم، الموصول بالموصول موصول، الدخول على باب الوصول على مجمع الأصول سيدنا الرسول.

فلما أن جاؤوك، هنا وهم قائلون بين يديك، موصولين بك، إذاً موصولين بربك، ﴿فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾، لم يستغفروه في بيوتهم، إنما جاءوك. وبما أنّ القرآن التام شامل الأزمنة، فإذا كانت تعني الصحابة هنا: جاءوك جسمياً، طيب لما انتقل الحبيب المصطفى كيف نؤول هذه الآية ونفصلها ونفسرها؟ جاءوك بالروح، بالصلاة عليك، بحبك، بالولاء لك، بالمبايعة لك، بما اشترطته عليهم من ركوب سفينة آل بيتك والتمسك بالثقلين الكتاب والعترة، "جاءوك": هنا أيضاً. وأنا قلتها وأنا في المدينة عندما زرت الحبيب عليه وعلى آله الصلاة والسلام، فنستغفر الله عنده، بين يديه قائمين. حتى في الصلاة "السلام عليك أيها النبي الكريم، والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين".

ثم ﴿وَاسْتَغْفِرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾، باكتمال ثلاثة شروط: لو ظلموا أنفسهم، لم يقل "امشوا صلّوا"، لا، لا بدّ من الصلّة، ثم تأتي إلى النبي، ثم بعد ذلك ماذا تفعل بعد ابتغاء الوسيلة؟ تستغفر بين يدي النبي منيباً تائباً (جسماً أو روحاً). ثم يستأذن لك النبي ربه بالاستغفار، لأنّ استغفارك لنفسك هذا خضوع وذلة وانكسار، أما استغفار النبي لك هذه تزكية تطهير نزع أغلال، نزع إصر ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾، وضع إصر، محو ذنب. فاستغفارك أنت ذلّة وانكسار واعتراف بالذنب بين يدي الله، إنابة وإخبات.

واستغفار النبي لك أمر مستجاب بالضرورة، أما استغفارك فلا يمكن أن يكون مستجاباً بالضرورة، ولا صلاتك مستجابة بالضرورة أو مقبولة بالضرورة أبداً. أنت لا تفرض على الله أنك مقبول، لكن تتأدّب مع الله، تستأذن عنده، فتقبل. الآداب هي في الصلّات وليست في الصلاة، الصلاة بعد الصلّات تصبح حينها صلاة حقيقية. ما بين صلاة منافق عليه ذنب فيها، وبين صلاة صادق له أجر منها، ثمة هذه الصلّة. هذا يصلّي مع النبي وهذا يصلّي مع النبي، هذا رفع الله منه الدرجات وأدخله الجنات، مقبول موصول غير مخذول، محبوب غير محجوب، وذاك جعله في الدرك الأسفل من النار، أدنى من الكافرين الذين هم

يناوشون المسلمين من خارج. سبحان الله، هذا تُبدّل سيئاته حسنات، وذاك حبط عمله، لأنه لم يدخل بالصّلة، قلب مفصول ولم يدخل بجاه الرسول.

فتستغفر الله، ثم يستغفر لك، استغفاره لك مقبول بالضرورة لأنه حبيب الله، رسول الله، حينها ﴿لَوْجَدُوا﴾، بمعنى: لن تجد الله ما لم تجد رسول الله، لن تجد سبيلك إلى ربك ولو صليت مليار تراويح وصليت في جوف الكعبة مليار سنة، ما دمت لم تتصل قلباً وحالاً ومقالاً وروحاً بالنبى وآل بيت النبى وعباد الله الصالحين من الأنبياء ومن الصّديقين والشهداء والمجتبين وأولياء الله أجمعين، أبداً.

### وقوف إبليس في بوابة الوصل

وإلا لبلغها إبليس قبلك، كان مصلياً أكثر مما نتخيل، أطول من حقبة سيدنا آدم إلى الساعة صلاها إبليس، ملايين السنين يصلي، ملايين، بأزمنتنا ملايين فعلاً، وبلغ من القرب ما لم تبلغه أنت، وصل إلى السماء الخامسة وصار من أصحاب الأجنحة ومكاشف مع الله، يكلم الله كفاحاً، من خلف حجاب لكن يكلم الله ويتحاور معه وينظره.

لكن لما لم يتصل بسرّ آدم عليه السلام، حتى الملائكة دُعوا إلى ذلك الباب، الملائكة أصحاب صلاة أم لا؟ أصحاب صلاة، موصولين. ولكن المعلم العظيم صاحب الأمر صاحب السرّ الفعّال لما يريد (معلم لأنه علم الإنسان ما لم يعلم)، الله جلّ وعلا هو الذي يشترط الأمور، ليس أنت ولا أنا ولا الملائكة أنفسهم، هو قال لهم: أنا سأخلق آدم من طين، وسأسويّه وأنفخ فيه من روجي فقعدوا له ساجدين، قالوا أتجعل فيها؟ قال أعلم ما لا تعلمون، قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم.. تدبر معي القرآن، أريدك أن تكون عقل متدبر، لا تأخذ الدين هكذا دون فقه.

فعندما وقف الشيطان، هذا قبل أن يكون الشيطان، عندما وقف إبليس في بوابة الوصل، بوابة الصّلات، اعتمد على ماضيه في الصلاة، قال: أنا مصلي وأنا صوّام وأنا قوّام، وأنا أعبدك أنت وأسجد لك أنت.

لذلك اليوم الوهابية ينادون بهذه الدعوة: لا تدعو إلا الله، لا تُسبّح إلا لله... نعم، لا تدعو إلا الله على وجه الحقيقة، لكنهم يقولونها ختالاً وكذباً، أي: "إلا الله دون رسول الله". إذا وجدوا في الجامع: «الله محمد» ينزعون محمّد ويقولون لا يجوز، شرك هذا. اصعد إلى العرش وانزع «الله محمد» المكتوبة في

العرش، مكتوبة في أبواب الجنة، في سدرة المنتهى، حيثما نظرت في الجنة والسموات، ستجد: «الله محمد» حبيبه.

فرفض إبليس هذه الصلّة، ففُصل وخُذل وأُطرد، وأُخرج مذموماً مدحوراً، ومُسَخ شيطاناً مريداً.

وهكذا المنافقون، الآن الذين وقفوا أمام السيّدة مريم وقالوا لها: يا أخت هارون لقد جئت شيئاً فرياً، هؤلاء ألم يكونوا يصلّون ويتعبّدون؟ اليوم المجرمون والفسقة والمخادعون والدجالون، ألا يصلّون؟ ألا يصومون صومنا؟ يصومون، ولكن بلا صلة.

### رمضان فرصة

ابحث عن الصلة القلبية، وخير ما تجد به تلك الصلة: رمضان الكريم. في رمضان تفتح أبواب وتفتح بوابات، ويجليّ الله سبحانه وتعالى ما شاء من وراء الحجاب، فلتكن لك وقفة مع ذلك الكتاب، تدبّراً وتفكّراً.

الذي تسمح له حالته الصحية بهذا، وأنا أنصحك به وأنا أطبّقه: أن نقلّل الطعام في رمضان لا أن نزيد فيه. أنا في رمضان أقللّ الطعام أكثر ممّا كنت، رغم أنّي الآن عندي سنة من الجوع، منذ رمضان الماضي كنت في المدينة المنورة إلى اليوم نزعت من جسدي ثلاثين كيلوغراماً من هذه الزيادات التي كان لا بدّ من نزعها. فأزاد جوعاً في رمضان، وأقللّ الطعام أكثر في رمضان، حقيقة، ويقلّ نومي أكثر في رمضان، وأزاد فيه تفكّراً وتدبّراً. وهذا أمر معكوس في ظاهره، تحتاج إلى طعام ونوم حتى تستطيع أن تكمل، ولكن بركة رمضان لما تنزل، تجد القوة والقدرة، فيها جلاء بصيرة، جلاء فكر..

فرصة رمضان لتجديد طاقتك الحيوية، تنظيف جسمك الطاق والروحي، تنظيف قلبك، تهذيب نفسك، فرصة، خصوصاً العشر الأواخر. رمضان هو إعداد واستعداد للأمداد، وعلى قدر الإستعداد يكون الإمداد، وعلى قدر الترقّي يكون التلقّي. فلا بدّ أن تتعلّم كيف تستعدّ ثم تستمدّ، يُمدك الله سبحانه وتعالى في رمضان. وهذا ينفحك نفعاً إلى عامك، في كلّ أيام الله بركات ولكن رمضان مخصّص ومنصّب في هذا الأمر، مخصّص ومنصوص، فيه نصوص وفيه خصوصيات، وهذا علم ألفته في البرهان، اسمه "علم التنصيب والتخصيص".

فلا بدّ لنا في رمضان أن نطرق أبواب الغيوب بقبضات القلوب، تحت بند:

"لا تيأسنّ وإن طالّت مطالبةٌ \* من بعدِ صبرِك يوماً أن ترى فرجا

أخلقِ بذِي الصبر أن يحظى بحاجته \* \* ومُدمنِ الطريقِ للأبواب أن يلجا"

فإذا أنت أحسنت طرق الأبواب، فتح لك البوّاب، وحينها تجد نفسك في بحبوحة. لا بدّ أن نتعلّم أنّ الشهر الكريم هذا هو شهر فتح البوّابات، فلا بدّ أن تُحسن الطرق، ولا بدّ أن يكون لك مع الله وشيجة، أن نطرق أبواب الغيوب بمطارق القلوب، لا بدّ أن نكون أصحاب استغاثة وأصحاب إنابة وتوسّل.

هذا الذي أراه منزوعاً في الأُمَّة، أرى الناس تركّز والشيوخ يركّزون في رمضان على الذكر وعلى الصلاة والتراويح وغيرها، ولكن لا يتمّ التركيز على الوصل بالحبیب الأعظم، على أن نستحضر ذاته الشريفة، وأن نقوم بين يديه مستغفرين منيبين، على مقام "جاؤوك لوجدوا الله". الوجد بعد المجيء، المجيء فالوجد، إن لم تجيء لن تجد، إن لم تجيء إلى رسول الله لن تجد الله أبداً إطلاقاً. عليك أن تجيء حتى عليك يفيء، إن لم تجيء لن تجد أبداً. أنت عليك أن تمضي إلى الله، ولكن من أيّ باب؟ من باب رسول الله.

• عليك أن تجيء حتى عليك يفيء

انظروا أنوار هذا الشهر، أنا الآن أقول لكم حكم والله ما قلتها من قبل ولا خطرت على بالي ولا فكّرت فيها، ولكن انظروا عظيم وصل هذا الشهر الكريم. الأمر ليس قشرة وليس ثوباً، والدين ليس ذلك، وليست عبادات فلكورية ظاهرية فقط. نعم، أكرّم بالصلاة بالصّلات، أعظم وأكرّم بالصيام والقيام والصلوات وقراءة القرآن، وكل ما تراه من مظاهر، والتراحم وفعل الخيرات وإغاثة الملهوف ومساعدة المسكين ووهب المحتاج والإنفاق على السائل والفقير والمعتّر، أكرّم بذلك، ولكن بعد الوصل.

الصلة أصل الأصل

يعني هذا أنا أسمّيه "علم أصول العبادات"، أصول العبادات معروفة، أمّا أصول الأصول.. -كما آلفت كتاباً فيما سمّيته "أصول أصول الفقه"، أصل الأصل - أصل الأصل في الدين: صلة، قبل أن تكون عبادات

ثمة صلوات لا بدّ منها. عليك أن تستطرق أبواب المحبة بالمحبة، وأن تُقبل منيباً، ويرى الله قلبك، وينفحك على ما أَرَادَ، **نفحة واحدة نظرة واحدة خير من عبادتك مليار عام في جوف الكعبة.**

النبى عليه الصلاة والسلام، قال: **"تفكّر ساعة خير من عبادة ألف سنة"**. التفكر ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾، وربنا يقول: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾. ولكن ما الباب الذي يؤدّي إلى أن يكون التفكّر سليماً، وأن يكون الذكر قويمًا، وأن يكون الصراط مستقيماً؟ هو الحبّ، هو حبّ الله وحبّ رسوله، هو محبّة النبي وآل بيت النبي، أن تُبرئ قلبك من الغيرية: من حبههم وحب أعدائهم معاً.

هذا لا يشترط منك أن تُسمّي أسماء وتذكر أشخاص أبداً، لكن أنا أقول: "اللهم إني أحبّ نبيّك وآل بيت نبيّك وعبادك الصالحين من النبيين". النبيون طمعوا في مقام الصالحين، إبراهيم يقول عنه ربه ﴿وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصّٰلِحِينَ﴾، وسليمان طلبه ويوسف طلبه: ﴿وَأَدْخَلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصّٰلِحِينَ﴾ ﴿وَأَلْحَقْنِي بِالصّٰلِحِينَ﴾ الصالحون ليست مرتبة سهلة. "اللهم أشهدك أيّ أحبّك وأحبّ نبيّك وآل بيت نبيّك وعبادك الصالحين، وأبرأ إليك من كلّ عدو لهم"، هكذا دون أن تُسمّي. جرّبها: اللهم إني أحبّك وأحبّ نبيّك وآل بيت نبيّك وعبادك الصالحين، وأبرأ إليك من أعدائهم أجمعين. دون أن تعين، حتى لو كنت مخدوعاً في قوم أو لا تعرف أو تجهل، تُكتب عند الله في هذا المقام مقام المحبّين، وأعظم به مقاماً: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾، يحبّهم أولاً ثم يحبّونه.

فعندما تدخل بهذه الصلّة، دون أن نلعن أحداً دون أن نسبّ أحداً، أنا أبرأ إلى الله أن أقول "إنّ والدي النبي في النار"، أبرأ إلى الله أن أقول "إنّ عرش الله سبحانه وتعالى هو كرسي يجلس عليه"، أبرأ أن أقول "إنّ الله جسم كالأجسام" ولو قيل بعد ذلك "ليس كمثله شيء". لا، لما نزل إلى الصلّة الأرضية، الصلّة البينيّة بيننا كبشر، فالله اختار لي أسياداً لم يتركني هكذا، اختار لي أبواب أفضل ممّي ذاتاً وصفةً وعملاً وخُلُقاً، أفضل ممّي في كلّ شيء، ولا أراني أستطيع شيئاً دونهم، ولا أراني أعرف الله دونهم، ولا أراني أتكلّم الآن هذا الكلام هذا النفح دون وصل بهم.

أنت تشاهدني الآن وأنا أقول الكلمة ثم أدونها وأنا مستغرب منها، ولم أمرّها في فكري ولم تخطر ببالي، وهكذا طيلة حياتي أكتب الكتب، نعم لي الجهد والسهر والقراءة والمطالعة لكن والله النفح غالب، شعراً

ونثراً وعلماً وحكمةً وفيضاً، في كلّ مجال تكلمنا فيه، يحار فينا الصاحب والعدو، المحبّ والكاره. هذا بالوصل، لمّا تكون موصول، الموضوع مفصول، انتهى الأمر.

### هل هذا صوم؟

فعليك أن تُنقّي قلبك، هذه آداب القوم في رمضان. القوم في رمضان لم يكن أحد منهم عندما يصوم إذا قال له شخص "صباح الخير" يضربه!! أنا أرى عندما أمضي وأرى وأجول في هذه الدنيا، أرى أشخاص مخابيل في رمضان.

ما ذنب الناس إن كنت مدمناً على السجائر ومدمناً على ما تريد أن تُدمن عليه؟ لِمَ أصلاً تعيش في الإدمان؟

لماذا ترى الناس يتنازعون على شراء الطعام وكأنه ستأتي مجاعة!! لِمَ ترى الشركات تستثمر في رمضان وكأنه لتلك الأمور، كأنه للدراما الفاسدة والسلع الكاسدة والقلوب الحاسدة، هكذا.

لماذا قبل الصيام ترتعش وتنتظر بارتعاش متى يؤدّن المؤدّن حتى تنطلق في حرب ضروس رماحها الأنياب والضروس؟ أكل بلا توقف. ويخاف أن يأتي الصوم غداً، عليه أن يتسحر ويأكل كثيراً وينام نصف اليوم، بعضهم ينام طول اليوم.

بالله عليك هذا يفطر أحسن، إن كلمه أحد شتمه، إذا كان يقوم بعمل مغمى عليه ومريض لأنه صائم، يسوق سيارة يكاد يقوم بحادث ينزل يخنق شخصاً، أنا شفّتهم في أول يوم رمضان ناس تتعارك، لأنه صائم. علاقاته الأسرية تُدمّر لأنه صائم، لا يقبل أن يكلم أحداً لأنه صائم، يضرب أولاده لأنه صائم.. ثم تجده محقون مختنق يكاد يموت، وينام يرتاح لأنه صائم، جاع طويلاً الرجل.. يعني يأكل آخر أكلة، مثلاً نقول الرابعة صباحاً، الرابعة والنصف، ثم يصلي، ثم بعد ذلك ينتظر، قد ينام طول اليوم (بعضهم ينام طول اليوم). والسهرات الرمضانية، والمسلسلات الرمضانية، والدراما الرمضانية، مليانة فساد، مليانة كساد، مليانة صراخ وخصومات، شيء يندى له الجبين. أنا دائماً أقوم بجولة وأطلع، مليانة روحانيات فاسدة، وجن الآن صارت موجة الجن.. هل هذا صوم؟ هل هذا صوم أهل الله؟ هل هذا صوم النبي

عليه وعلى آله الصلاة والسلام؟ هل هذا صوم علي وفاطمة والحسين؟ هل هذا صوم الأنبياء؟ بالعكس.

أنت في نهارك ما شاء الله نعمة الجوع، نعمة! أنك قادر على تحمّل الجوع نعمة من عند الله سبحانه وتعالى. والله أنا شخصياً اليوم منذ عام أميلُ إلى الجوع مني إلى الطعام، أبدأً، حتى شكلي تغيّر وأنتم ترون ذلك. من قبل كنت مشغولاً بالمحاضرات والسفر والرحلات والضيافات، ما شاء الله المشايخ خصوصاً طعامهم كثير وأكلهم كثير والغدق عندهم وفير. لكن لما قررت أن أرجع إلى ثوب الساموراي الذي كنت عليه، وجدت في الجوع راحة ومتسعاً، وصار صوم رمضان عندي بسيط لأنني أنا في غير رمضان أقوم بالصوم المائي ثلاثة أيام وأربعة أيام وخمسة أيام بلا طعام، ومنذ عام لم أتوقف أبدأً، مع التدريب والمشي والحركة، ومع السهر الكثير والعمل الكثير، والحمد لله على ذلك. وأنا أنزل بينكم الكتب تباعاً، وسوف أنزلها كاملةً بإذن الله تعالى على الرقم الذي أخبرت به.

فهذا هو الصوم الحقيقي، وهذا هو الصيام الحقيقي. شهر المدائح، شهر الأذكار، شهر الحب، شهر تدبّر القرآن.

### نزع الأقفال بالتدبر في القرآن

تدبّر القرآن يا جماعة الخير أمر عظيم جداً، ربنا سبحانه وتعالى يقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾، بمعنى: الذي لا يتدبّر هو على قلبه قفل. ما الفائدة أن تختتم القرآن في رمضان مائة مرة، وتصلي التراويح حتى ألفين ساعة في اليوم، وأنت لم تقف مع آية في رمضان؟! تدبّر آية، خذ آية تدبّر فيها طيلة الشهر، اكتب في ورقة أو على هاتفك وقرأ وابحث، اليوم الذكاء الاصطناعي يجيبك على كل شيء، قف بين يدي آية. النبي ماذا قال؟ "بلّغوا عني ولو آية" كيف تبلّغ آية لا تعي بها ولا تفهمها؟ تظن أنك غير معني؟ أنت معني تماماً، ولو يكون التبليغ بينك وبين نفسك.

قف مع آية: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ وانظر العظمة، اسبح في العظمة: من الشاهد، ولمن شهد، ومتى شهد، وكيف شهد؟ من الشاهد هنا؟ الله. ولمن شهد؟ لذاته. وكيف شهد: بالإقرار؟ بالتمعن؟ بشيء استجدّ فعرفه؟ أم بما هو معلوم عنده؟

"أنه لا إله إلا هو" ما معنى "هو" هذه التي يقولها الصوفية؟ هو الله الذي لا إله إلا هو. اسم الله اسم الذات، أنا الآن نزلت بينكم صفحات من كتابي "النور الأسنى في معاني أسماء الله الحسنى". "الله" هو المجمع، و"هو" هي الباب، "هو الله".

فشهد الله بذاته لذاته عن عظيم ذاته، وعن أنه خالق لمخلوقاته، وأنه لا تثنية له في الألوهية ولا شريك له في الربوبية، ولا يشابهه من خلقه شيئاً، **شهادة إلهية بين الله وذاته، قامت قبل أن يقوم زمان ومكان، وخلق وثقلان، وإنس وجان، وملك وروحان، قبل أن يكون كل شيء.**

ثم جلى هذه الشهادة على الملائكة: بواو عظيمة جليلة (**"علم واو"** علم رهيب). هذه الواو لها جلال، أما **﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾** هذه واو أخرى، لونها الطاقى والروحي آخر (الحروف لها ألوان في القرآن)، وإن كانت قرآناً ولكنها وصل بمفصولين، والأخرى وصل بموصولين: الله والملائكة وأولو العلم. كـ قرآن، لكن لكل لفظ فيه لون للمعنى، مستوى من مستويات تجلية الله للناموس الذي فيه المعاني القدوسية وفيه الخلق وفيه الخير والشر والجنة والنار.

عندنا في القرآن كلام إبليسي: **﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾**، هذا كلام إبليس لكنه قرآن ونتعبد الله به، الله ينقل كلام كائن من كائناته. تجد كلام فرعون: **﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾**، ورغم ذلك هو قرآن، مقدّس لذاته وإن كان تكلم عن غير مقدّس من كائناته، وهذه من أعاجيب القرآن الكريم. وهو نص مُترجم والترجمة لا تخون النص الأصلي كما تفعل كل ترجمة. لما يقول ربنا **﴿وَقَالَ نُوحٌ﴾**، أو لما يتكلم صالح أو هود أو يوسف، أو الفتيان معه في السجن، أو قال الملك: **﴿إِنِّي أَرَى﴾**، أو إبراهيم يقول: **﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾**.. كلها لم تكن بالعربية. ولكن الترجمة هنا: **﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾** جاءت على جمال عجيب، كجمال الأصلي ولعلها فيها جمالات أخرى. **﴿يَا أُخْتِ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾** هذه قصة سيدة مريم، فأشارت إليه، فلما تكلم عيسى قال: **﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾** نتوهم أنه قالها كذلك، هو قالها بلغتهم ولكن القرآن نقلها بلغة عظيمة.

وهذا من أسرار **"علم الترجمة في القرآن الكريم"**، أن كل ترجمة خيانة للنص الأصلي إلا ترجمة القرآن، ترجمة الله سبحانه وتعالى لكتابه العظيم، لأنه هو رب اللغات خالقها، من الأعاجيب التي همت فيها طويلاً.

فلما تقف بين يدي هذه الآية مثلاً، أو ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أو ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، والعلاقة بين الحي والقيوم، بين الرحمن والرحيم..

-الرحمن: اسم الذات المتعلق بالذات، والرحيم: اسم الذات المتعلقة بالخلق. لذلك، الخلق يُنسبون إلى الرحمن، والله ينسب الرحيمية إلى الخلق، يقول: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَانَّ﴾، بينما ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ وأعطاهما للنبي قال: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾. باب الرحمانية مقام وباب الرحيمية حال. وهذا من كتبنا الحمد مما نفحنا الله به، لن تجدوه في كتب أخرى. حاله مع الخلق: رحيم بهم، ومقامه قبل الخلق وعند الخلق وبعد الخلق: رحمان وحي وقيوم.

-الحي في ذاته لذاته، والقيومية إشراف على مخلوقاته، قيام عليهم، قيوم أي يقوم على خلقه يسهر عليه، لا ينام، لا تأخذه سنة ولا نوم.

لما يخرج شيخ يدعي التصوف أو التمسلف ويخرج عدد من الذين لم يوصلوا، تعالوا نتبارى في علوم القرآن، أرونا علمكم. ها أنا أكلمكم الآن بنفح بعضه لم أقله من قبل وبعضه قلته وعقلته، ولكن لا تجدونه في كتاب، هذا إرثنا من آل بيت النبي، هذا سر الدم النبوي، هذه علوم تُنقل من صدور إلى صدور لا من سطور إلى سطور.

### خوارزميات الدين تمّ العبث بها

الدين الإسلامي دين عباقرة، دين حرية، حرّر الناس من عبادة الصنم، النبي حضرة المصطفى عليه وعلى آله الصلاة والسلام أنموذج إنساني راقٍ في كل شيء، في كل شيء. ولكن الدين مُرتَهَن عند الذين لم يريدوا أن يروه بهذا السطوع، فحوّلوه إلى شكلانية، ونقلوا شهر رمضان من شهر الوصل بالنبي وآل البيت إلى شهر الفصل عنهم. كم عدد المحاضرات التي تقام عن النبي وآل بيته في رمضان؟ كم مرة يُذكر سيدنا علي والسيدة فاطمة الزهراء والحسنان في خطب الجمعة؟ كم مرة يُدعى إلى ركوب السفينة؟ ومن فعل ذلك من أهل السنة أن يقال عنه شيعي ويُضرب بالقباقيب ويُطرد من المسجد؟! أين نحن من ذلك؟

تصليّ التراويح؟ صلّ كما تريد. أين الصلّات يا مكثّر الصلاة؟ داخل على الله هكذا بصلّاتك، داخل على الله بعباداتك، تظن أنك تدخل الجنة بالعبادة؟ أنت أحقق. العبادة مقام استجابة وإجابة، فعل تكليف

وقبول تشريف، ولكنها ليست الموصلة، لأنها بين القبول والرفض، يمكن بكلمة يحبط العمل. الذي يوصل هو الموصل عليه الصلاة والسلام، هو وآل بيته سفينة النجاة.

لذلك، الصحابة ألم يكونوا يصلّون؟ يصلّون، وجاهدوا وصلّوا مع الحبيب الأعظم. إذا كنت اليوم تمضي للمدينة أو مكة الصلاة بمئات الآلاف من الصلوات، كلُّ يقول عليها رقماً، فإذا كان هؤلاء وهم يقومون بالصلاة اليوم في مكة وفي المدينة ولهم هذا الأجر، فكيف بالذين صلّوا مع النبي؟! ورغم ذلك صلّوا مع الحبيب ودخلوا النار في الدرك الأسفل!! لأنهم لم يكونوا موصولين. والصحابة أنفسهم حتى الموصولين منهم قال لهم النبي: "أهل بيتي فيكم كباب حطة، من دخله نجا ومن لم يدخله هلك"، "كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك".

افهموا دينكم، افهموا الدين، لأنّ خوارزميات الدين تمّ العبث بها. أخرجوا لنا الآن مسلماً يظن أنه يدخل الجنة بالعبادة، ويتكلم الشيوخ في رمضان "أكثر من الصلاة، والصلاة في جماعة، وفي رمضان كذا، ومن أخذ ثلاث تمرات في رمضان دخل الجنة، ومن صلّى قبل الفجر خمس ركعات دخل الجنة..." الجنة عند أبيك لتعطيها للناس؟ تمرات تدخل الجنة، وأنت تقول أن أم النبي وأباه في جهنم؟ يعني تمرات! شفت شيخ سلفي يتكلم في هذا الكلام: "ثلاث تمرات في رمضان تُدخلك الجنة"، ويجب لك حديث: "من قال سبعين مرة لا إله إلا الله وخمسين مرة سبحان الله دخل الجنة"، وأم النبي تنجبه وتحمله في بطنها، وتسقيه من صدرها، وتعطيه من رحمته ورأفتها وبرّها، ومن روحها وجسمها، ويشكّل طينه فيها، موصولاً بها، ولا يُدخلها ذلك الجنة؟! وأنت ركعاتك تدخلك الجنة، وتراويح تدخلك الجنة (التي لا أصل لها في الدين) "لا يجتمع الناس على نافلة" هذا حكم نبوي وحكم علوي، ولكن لا بأس ما دام فقه واقع عادي. سيدنا علي منعها فصرخ القوم "وا عمراه"، فقال: دونكم ذلك.

أنت صلوات تدخلك الجنة، وأربع تمرات، وأنت تسبّ الشيخ عبد القادر الجيلاني وسيدي أحمد الرفاعي والأولياء جميعاً وآل البيت جميعاً ودخل الجنة، وتحب أعداء البيت داخل الجنة، ما شاء الله. أما هذا الذي ربّي رسول الله وكان ينام على لحمه ويضمّمه ويشمّمه وهو عمّه، وذاك أبوه، وتلك أمّه، يُكفي بهم همّه ويُصرف بهم غمّه.. لا، يدخل إلى النار!!

وهذا اسمه عبد الله، عبد الله، حتى الله سبحانه وتعالى يجيب هؤلاء الحمقى حتى بالأسماء، اختيار الاسم ليس اختياراً عبثياً أو عشوائياً. هذا اسمه عبد الله، وهذه اسمها آمنة، آمنة من الأمان والإيمان،

وذاك عبد الله، سميّه عبد الله ثم يحرقه في النار وهو والد حبيبه! كما تمّ الاجتباء لحضرة المصطفى تمّ الاجتباء للأصول والفروع، نقيّ الوالدين، صفيّ الأجداد والآباء والنسبتين، إمام القبلتين، وصاحب الجنتين، وجدّ الحسنين، سيدنا محمد كحيل العين، طه الزين، جد الحسن والحسين، هكذا أو لا يكون دين.

وصلاتك وصيامك خزعلات في خزعلات إن لم تقف على هذه المعاني:

1- أولاً الله هو الله، كان كما يكون وهو على ما هو كائن عليه، لا مكان يحويه، لا زمان يطويه، لا نظير ولا شريك ولا شبيهه، ولا شيء من خلقه يحلّ فيه -هذا كلامي أنا في العقيدة- لا يماثل الأجسام والمحدثات وقد خلق الأجسام والمحدثات، ليس في السماء وقد خلق السماء وقام عليها وهي عماء ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾، ليس العرش كرسية بل تجليّه.

هذا أولاً في باب التوحيد، لأنّ الجماعة يختلون، لما يخرج شيخ دجال يقول لك: "أنا الألف واللامان والهاء (أنا الله)، والعرش في يدي.." هذا مخبول مريض، ومريض من يتبعه، وأنا تعبت منهم ولا أريد الكلام عنه. والآخر مجسم أحق يقول لك: "والله العرش غيبي إذأ نقول أنه يجلس الله عليه حتى ننتظر حتى يأتي يوم القيامة لنطلع". وعندهم الثور في الجنة، وشغلهم هو افتضاض كذا، وأنّ السحابة تمطر عليهم النساء.. هذا هو الهّم، كائنات غريزية بهائم وهوائم وسوائم ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾.

هذا الباب الأول، هذا معنى "لا إله إلا الله على معنى التوحيد الحقيقي.

2- لا صلاة تفيد دون صلوات (الصلة). كيف أدخل عليك يا ربي؟ ادخل علي بحبيبي وبأل بيته. كيف ندخل عليك يا حضرة المصطفى، هل بأصحابك؟ لا، أصحابه أنفسهم موقوفون في الباب يا عزيزي. ما معنى "وال من والاه وعاد من عاداه"؟ أنا لا أتكلم هنا مذهبياً أكلّمك إيمانياً، إن كنت سنياً أو شيعياً أو كنت ما تريد سلفي صوفي إباضي، كن ما تريد، أكلّمك بعلم.

نعم ثوبي لا ينبئ عن حالي، ولكن الثوب ليس هو الناطق بل أنا الناطق فيه، المثل الصيني يقول: "اللباس لا يصنع الراهب". شخص لم يتعلّم كونغ فو شاولين وتلبسه لباس الشاولين، لن يكون شاولين حقيقي. أعط سيف ساموراي لشخص فاشل، ما يفعل به؟ هذا الذي طلب من تأبط شرّاً "من مبلغ الحسناء أنّ

**خليها \*\* تسمى باسمي وتكثرت أبا وهب** " قال له: أعطني اسمك ولبسك وخذ زوجتي وداري وعيالي، فخرج على قوم قال أنا تأبط شرّاً فقتلوه، عنده الاسم ليس عنده الصفة.

أيضاً أنت تتسمى كما تريد، لكن هذا هو الدين، لا وصول إلى الله سبحانه وتعالى إلا بالحبيب الأعظم، ولا يمكن أن تكون لك صلة بهذا النبي وأنت خارج خيمة فاطمة وعلي والحسنين ومشمولات هذه الخيمة، سمّ من تريد: الحسن المثني، علي زين العابدين، عبد الله الكامل، زيد بن علي، جعفر الصادق، الباقر، الرضي، الكاظم، عبد القادر الجيلاني، كلهم أبناء النبي، حمزة، جعفر، العباس، الفضل بن العباس، أبوه وأمه وعمه أبو طالب باب تحقيق المطالب، أبؤه الأولون، إلى آدم، دوحة مباركة.

### حرب حقيقية على النبي وآله

اليوم العدو يعرف أنّ الزمن اقترب. والحلقة القادمة من البودكاست الخاص بالسفن الفضائية قد يكون لكم شرف أنه لأول مرة سيُجاب على الأسئلة التي حيّرت الأمريكان والبريطانيين لسنوات، الأسئلة الثلاثة: من أين يأتون؟ ماذا يريدون؟ لماذا لا يهاجمون؟ سأفصلها، وسأبين وجودها في القرآن. العقل المادي لن يجيب عن هذا السؤال، لا يجيب عنه إلا العقل العارف. وأعلم أنّ قوماً سيسرقون من فكري غداً، كما سرق مني أقوام حول موضوع القرين ويأجوج ومأجوج وغيره، ولا أبالي. بل إنّ الذين يحاربوننا يجعلون لهؤلاء الذين يسرقون منا شهرة أكبر منا حتى مع تقادم الأيام يُعتقد أنني أنا من سرقت منهم، ولكن الله غالب على أمره، نعمل مع الله لا نعمل معهم، لا نبالي.

فكذا، ثمة حملة اليوم في الأمة لما رآه الناس وما رأته البشرية وما رآه العدو من آيات قرب وعد، من عودة الناس إلى حاضنة محمد وآل بيته (لا أتكلم عن موجة تشييع مذهبي، بل عن موجة حب موجة وصل)، خاف هؤلاء وارتعبوا. **وأنا في صميم هذا بل أتقدم فيه، لي سنام ركبها وسنان رمحها، ومُقدّم جمعها وأول خطوها، ولا يعلو عليّ في هذا أحد في وقتي، إلا أن يسير بجاني فمرحّباً.** نعم هنالك رجال، هنالك رجال بلا ريب، ولكن حتى هؤلاء أنا أقدمهم وأسبقهم في أمور، وقد يسبقوني في أمور، فأنا أعلم فيما علّمت، هم أعلم فيما علّموا، ونتكامل، وكلّ يقوم على ثغر من ثغور هذا الدين. فأقول: لَمّا علموا وأدركوا واستيقنوا أنّ ثمة عودة إلى الإسلام النقي الحقيقي، إلى سنة محمد وآل محمد، لا سنة سقيفة وفتنة

سياسية، ولا سنة معاوية والنواصب من كانوا معه، ليست خيمة هند بنت عتبة، بل خيمة فاطمة الزهراء وخديجة الغراء وآمنة الطاهرة البراء، فلما علموا بذلك بدأت الحرب بشكل آخر.

عندما ترى هذه الهجمة على شخصي من شتم، ومن كبار شيوخهم واتهام بالكذب والسخرية، أياً كان الموضوع، أتكلم في فيزياء الكم هو لا يفهم شيئاً في الكم ولا كم في الكم، يسبّك. سفن فضائية، يسبّك "جاهل وكذاب"، لم يقرأ في حياته كتاباً على الموضوع. وأنا دائماً أسمّي المصادر والمراجع والأماكن. لا يعرف شيء، في الدين في الأدب في الشعر في الإبداع في أي ميدان.. لأنه موظف أن يسبّ.

بدأت حملة ممنهجة للحظّ من شأن رسول الله بذكر مثالب وضعوها وزرعوها كمثلثة أنه سحر. عندما يخرج شخص ويقول: أنا راقى أرقى الناس أنزع منهم الجن والسحر، ثم يقول: النبي قد سحر، ألم يدعي هذا بلسان حاله أنه خير من رسول الله إذ أنه هو يستطيع أن ينقذ الناس من السحر والنبي عجز أن ينقذ نفسه منه؟! ألا ينسب لنفسه فضل أكبر من علي وفاطمة وأسياده وحتى بعض الصحابة الذين كان يُروّج أنهم كانوا يغلبون الجن ويخنقون الشيطان؟! ألا يقدّم أنه أعظم من جبريل؟! ألا يجعل أنه أقوى من هؤلاء جميعاً أنه يرقى ويغلب الجن والنبي لم يغلبهم؟! فكك الكلام وافهم.

عندما يخرج ناصبي حقير وضعي قميء كالذي تكلم عني في فيديو يسمّي نفسه "الدافع"، والله هذا دافع إلى جهنم، دافع إلى حضن لائكة الأكباد، دافع إلى معاوية الذي أظهر في النفس الفساد، دافع إلى شرعة فرعون ذي الأوتاد، وليس دافع إلى دين سيد الأسياد، ولا إلى حب آل البيت الأقطاب والأوتاد. عندما يقول أنّ والدي النبي أنجاس وفيهما نجاسة، هو النجس ولسانه نجس وقلبه نجس وروحه نجسة فاسدة، يلوك كبد النبي ببيانه ولسانه، ولو شهد زمن النبي لحاربه برمحه وسنانه. هذا هو الحق، ما أقول لكم إلا حقاً. عندما يخرج ويقول: والدي النبي فيهما نجاسة، أي نجاسة؟! أعطيكُم مثال: هل يقبل أن يضع الإنسان وجهه في نجاسة وينام؟ مستحيل، يتخيّر لوجهه حيث يضعه، سريره ومخدّته. هل يتغطّى الإنسان بنجاسة في نومه؟ لا يختارها. هل يأكل نجساً من الطعام؟ يتخير لطعامه. هل يشرب الإنسان ماءً نجساً؟ لا يشربه.

فكيف يجعل الله نبيه في نجاسة؟! يجعل صلبه الذي هو سرّه في أصل نجس، ويجعل مضغته وجسمه في تشكيله الأول في رحم نجس، وهو القدس كله، والطهر كله، والشرف كله، والكرامة كلها، لا جلّها ولا أقلّها، بل أجّلّها وأدلّها وأعظمها وأشرفها!! ما خلق الله أشرف من رسول الله، ولا أعظم قدرًا، ولا أشرح

صدرًا، ولا أضوء بدرًا، سيدنا رسول الله هو الأعظم والأكرم، والمحبوب والمرغوب **والمطلوب** من علام **الغيوب**، و**غفار الذنوب**، و**ستار العيوب**، و**مصفي القلوب**.

محال أن يودع هذا الطاهر العظيم الكريم إلا فيما يناسب مقامه العظيم، كما اجتبي هم مجتبون باجتبائه، مصطفون باصطفائه، مختارون باختياره، وقد شهد على هذا بذاته وقال: "ما بال قوم يتكلمون في والدي! أبي خير من آبائكم وأمي خير من أمهاتكم" "أنا خيار من خيار من خيار، ما اختار الله بين شعبتين إلا كنت في أفضلهما". إذن، لما نختار: شعبة إسماعيل أم شعبة إسحاق؟ الشعبة المحمدية الإسماعيلية أفضل، إذن الأوصياء هنا لهم درجة عالية وأفضلية عالية بسر النبي. قال: "ما زلت أتقل بين الأصلاب المطهرة والأرحام المطهرة".

فلما يخرج هذا الناصبي الدجال يزكي العواهر البغايا بطن مكة صاحبات الرايات، ويتهم المطهرين، عند من يعمل هذا؟ من يموله؟ من يدعمه؟

شيوخ الإفك والزور هؤلاء الكذابين الدجالين، ولا يملكون معنا لا مناظرة ولا شيء، كذابين.. وكل من كتب بعضهم يقول: "أنا من تونس، أنا أعرفه"، أنت تعرفني؟ التقيتني مرة؟ جلست معي؟ أنت لا تعرفني، أنت تكذب. أنت لا تشرف هذه البلاد، أنا أشرفها، لما جاء الإرهاب كنتم أنتم إما إرهابيين أو مع الإرهابيين المكفرين الملاعين هؤلاء أحفاد اللائكة أعداء الملائكة، وأنا كنت في الصف الأول أدافع عن وطني وأقف مع الصادقين مع أبطال جيشها وأمنها. تاريخ لا يمكنكم تغييره، حتى وإن نسي الناس ما زلنا موجودين والوثائق موجودة والفيديوهات، مهما محوتم مهما حاربتهم، الرجال تعرف الرجال.

فلذلك، مما لا ريب فيه أيها الأحباب، أنا أقول أنّ هذه حرب حقيقية على حضرة رسول الله، باللمز في ذاته، برفع بعض أصحابه فوقه، وبالهجوم على أمه، حتى قال قائل منهم، قالها في تونس: أنّ السيدة آمنة لم تنجب من عبد الله بل أنجبت من عبد المطلب!! قمة الفسق. والحرب على سيدنا علي، انظر كيف حتى صمّموا صورة رجل بدين وقميء وقالوا هذا علي ابن أبي طالب، ويسبّونه الآن علناً.

لأنها **مرحلة سقوط الأئمة**، مرحلة نهاية الكذب والتضليل والقناع والخداع، مع اقتراب المهدي تنجلي **الأئمة وتختلط الأمور**. عندما تشاهد الآن عن طريق بعض برامج الذكاء الاصطناعي أنّ أبطال من فيلم افنجرز مثلاً ونيو في فيلم ماتريكس وغيرهم أو في الصور المتحركة يُدمج، وكأنّ العالم يُدمج الآن، أتكلم عن الرمزية، إذا كنت ذرب ذكي تفهم الرمز، ثمة رمزيات.

أدخلوا في التصوف فسقة فسدة شيوخ الكرتون وافتح يا سمسّم، بتمويلات رهيبّة. أظهرها مهدي مزيف في بريطانيا وصار عنده أتباع حتى في تونس، يقولون "أنت رسولنا وأنت ربنا" لعبة متقنة. ويدفعون لهذا الدافع وأشباهه، ولبعض الأغبياء من الشيعة أيضاً لعانين شتّامين مقيمين في دول غربية بعينها. وهكذا يهتجون الناس على بعضهم.

### الدين الحق

فما نقدّمه هو الدين الحق. معظم المشايخ للأسف لا يملكون جواب على الإلحاد وأسئلته الحارقة كما قدّمت وسوف يُنشر، الإعجاز العلمي للقرآن الكريم سواء في الكونيات أو في التفاصيل، لم يكوّن المشايخ فيها لأنه بالأثرية لا يفهمونها، لا بدّ من بحث في علوم الواقع.

ويترك علي مجدداً وحده مع الزهراء في بيتهما والحسين، ويُستأسد بغيرهما. من استأسد بغير ضرغام الوغي، والضارب على أنف من طغي، وهادم ركن من بغي، فما أفجح وما نجح وما وصل إلى شيء وما نال ما ابتغي، أبداً. علي ابن أبي طالب، تستأسد على علي بمن؟ بمن تريدون أن تناظرونا؟ ما علومكم؟ هذا الدافع يقول لك يناظر، من تناظر؟ تناظري أنا؟ تقدر؟

أما التشويه والصراخ ورفع الصوت والالتهام والكذب، همك الشيعة، أنا لست شيعياً ولكن الشيعة أشقائي، أنا أطرب للشيخ السيد الحتّوبي العالم والعارف والمناضل، مع الشيخ الخالصي المؤهل لثورة العشرين في العراق، عندما ينشد:

يا غزال الكرخ والهفي عليك \*\* كاد سري فيك أن يُنتهكا

فاسقني كأساً وخذ كأساً إليك \*\* فلذيد العيش أن نشتركا

والشيخ الوائي وخطبه الجميلة، وشرف الدين وكتاباته وفكره، والسيد مرتضى العسكري وسعة اطلاعه، والسيد كمال الحيدري، والشيخ حسين فضل الله، والحكمة المتعالية الملا صدرا، وغيرهم. ما بالهم؟ لماذا نكرهم؟ الذي يقاوم العدو الذي يهاجم العدو الذي يخيف العدو، الذي يغيث أهل غزة الذي يعينهم. هذا الطبيب العراقي الذي قام بعمليات كثيرة في غزة وهو شيعي، أكرهه؟

وأنا على سنة محمد وآل البيت، لست من سنة السقيفة التي ترقّع وتفعل المستحيل لتبرر، ولا على سنة معاوية الباغي الطاغي المجرم القاتل الكاره المبغض المعادي. على سنة الشيخ عمر المختار المجاهد، سنة الشيخ عبد القادر الجيلاني العلامة الرباني الرحماني شيخ الأولياء الصالحين، سنة الخضر عليه السلام. فمن أراد أن يتبعنا فمرحباً، ومن أراد أن يحاربنا فمرحباً ألف مرحباً. إذا أردت أن تحبنا أهلاً وسهلاً، وإذا أردت أن تحاربنا ألف أهلاً وسهلاً.

أنا أقول أننا اليوم في رمضان لا يكون شهرك جوعاً دون طائل، أو تقف خلف إمام وهو يقرأ القرآن وأنت جالس ساعة وترجع إلى البيت، **قف مع الآية تنل الغاية، وقف مع الله سبحانه وتعالى في لحظات خلوة وأنس وبكاء ودمع.** أسألك بالله: من كم يوم ومن كم شهر من كم سنة ربما لم تبك في حب الله سبحانه وتعالى؟ من كم؟ اجلس مع ربك. وكذلك ليقم منك قائم في قلبك إلى النبي عليه الصلاة والسلام، "جاؤوك ووجدوا الله"، امض إلى حضرته وإلى آل بيته، قف في هذه الخيمة المحمدية الواسعة، لا تحمل حقداً في قلبك ولا غلاً.

كيف يأتي رمضان ويمضي وجار معادٍ لجاره، وبخيل لا ينفق، وفقير لا يقنع، وغني لا يشبع، ومُنعم عليه لا يشكر، ومن أحاطت به نعم الله ولم يذكر، ومن علم أنّ الأجل آتٍ لا محالة ولم يُعدّ الزاد لما بعد الأجل، وللحظة الخوف والوجل، حين تلتفت الساق **بالساق** ويُعلم أنه **الفراق** ويقال **من راق** إلى ربنا يومئذ **المساق**. أعدّ العُدّة بالصلوات لا فقط بالصلاة (نعم الصلاة نعم لكن الصلوة)، وآخٍ بين المسلمين، وقف مع المظلومين.

### موقف الحق

أنا عندما أتكلم في هؤلاء الظلمة الذين سبقوا من قبل، أبني على ذلك موقفي من ظلمة اليوم: الذي يقف مع الذين حاربوا سيدنا علي وقاتلوا الناس بغير الحق، قاتل سيدنا الحسن والحسين أسيادنا، يقف اليوم مع قتلة أطفال غزة وشهدائها، هذا هو الحق. نحن اليوم علينا أن نقف موقف الحق، رمضان فرصة لتصحيح المسارات، فرصة لتنقية القلب من الشوائب، الحب الكامل للنبي وآل البيت أيّاً كان مذهبك، دون ضغينة. حتى ذكري الليلة لبعضهم أرى أنني أخطأت فيه، لكن تغلبنى الحمية في حبي للنبي وحبي لآل بيت النبي، لكن والله أكره أن أذكرهم على لساني هؤلاء، أنا أبرأ إلى الله من كل من عادى وحارب

وآذى النبي وآل البيت. أدنى الأذية أن ترفع صوتك على إنسان، أذناها، وتزداد الأذية كلما زاد المقام، يعني لما المرأة ترفع صوتها على زوجها هذا سيء، ابن يرفع صوته على والده سيء أكثر، أسوأها أن يرفع الإنسان صوته على النبي يحبط عمله، ما بالك بأفعال أكبر من ذلك؟! فنفهم ديننا جيداً ونكون على الصراط القويم إن شاء الله، فهذا هو الطريق الحق.

وحقكم، من لم يجد في رمضان ناقوس الحب يدقّ في صدره، وداعي الحب ينادي في روحه، وخمرة الحب تُسقى في قلبه، وسعار الحب يستعر في نفسه، وحمّى الحب تسري في جسده، لم يذق من رمضان شيئاً، جاع ومضى. يجب أن يهزّك الشوق إلى لقيا المحبوب لقاء الله ورسوله، أن ترى الدنيا ما هي إلا حالة صيام عن الآخرة، وأنّ الطين حالة صيام عن الروح، أنّ الأصل الحقيقي خارج هذا العالم هذا العالم وهم وظل، أن تعرف أنك خلقت من الله وليس لسواه، وأنك حتماً مفارق، إذا مررت بمقبرة هؤلاء جميعهم قصص حياة كانوا موجودين بيننا، وغداً يمرّ بك سواك. إن لم يتحرك فيك هذا اليقين أنك إلى ربك ماضٍ وأنك تحتاج إلى بوابات وإلى من يوصلك ويأخذ بيدك، فأنت ضائع.

إن كان قلبك ينبض بحب علي وينبض بحب أعداء علي، كأن ينبض قلبك اليوم بحب شهداء غزة وحب العدو الصهيوني في نفس اللحظة، لما يقول لك شخص اليوم يأخذ صوراً مع العدو ثم يقول لك "والله نحن نبكي على شهداء غزة"، ماذا ستقول له؟ أنت كذاب، أنت منافق. أي شخص جمع بين حب محبوب ومحجوب هو مع المحجوب، إنما يداري الناس بلسانه. يخرج شخص يقول لك "أنا أحب الله ولكن لا أكره ابليس، إبليس حبيبنا" تقول له: كيف يا هذا؟ كيف يجتمع حب النبي وحب أعداء النبي؟ من آذوه، من أبكوه، من قتلوا من لحمه "حسين مني وأنا من حسين"، لحمه ودمه. كيف يجتمع فيك حب علي الكرار محبوب رسول الله، خليفة رسول الله، وصي رسول الله، معجزة رسول الله، وحب أعدائه؟ لا أتكلّم عن منافسيه والسقيفة هذا ليس موضوعنا، عمن جاهروا بالعداء وقتلوا ولعنوا.

إذا تكلمنا في أي صحابي يقول لك "لا تسبوا أصحابي، أصحابي كالنجوم" إلا سبّ علي هوت شوكليت، سبّ علي ما شاء الله لذة!! لما نذكر أسيادهم "لا تسبوا أصحابي"، طيب سيدكم هذا يأمر بلعن سيدنا علي سبعين عام على سبعين ألف منبر، لولا العادل رحمه الله عمر بن عبد العزيز الرجل الصالح، وأبوه كان صالحاً، رغم فساد الأصل، لكن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، لولا أن استبدلها لظلت إلى اليوم، لوجدوا لها هؤلاء الذين يمرّون ألسنتهم بالباطل ويعتاشون على هذا الدين وعلى دم النبي وحرزته ودموعه، وجدوا لها مسوّغ فقهي. كما فعلوا بالقصة التي ذكرتها عمن قتل صحابياً وزنى

بامرأته، والخبر في الطبري وفي غيره، بنوا فقه الردّة كاملاً، في حين أنّ القرآن يقول ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾. حدّ الردة في القرآن الإستبدال، ليس فيها قتل ولا أنّ دمه مهذور وأنّ ماله مباح وأنّ زوجته حلال، هذا كله بنوه على قصة مالك بن نويرة، ثقوا مما أقول لكم لأني لا أقول لكم إلا حقاً.

### خاتمة

فوجّه بوصلتك جيداً في رمضان، وليكن لك حال خلوة وحال من الجوع أيضاً. لا تكثر، إذا كان عندك رغبة في إنقاص وزن فرصة رمضان، أو على الأقل تعديل وتطهير جسمك بشكل جيد، الجوع لن يقتلك. إلا إذا كان الإنسان عنده سكري عنده أمراض يحتاج، أصلاً لا يصوم أفضل له، إذا كان الطبيب قال لك لا تصوم لا تصوم. ولكن إذا كان جسمك معتدل، عليك ببعض المشي، خاصة قبل الإفطار بنصف ساعة، أفضل أوقات المشي، لا تكثر الطعام، لا تجلس كأنك فقرة تتناول السمك، البعض أراه في شراهة غريبة. لا تغضب في رمضان، هدّئ أعصابك.

أنا تمنيت أني أقدم لكم نفحات، أنا سجّلت بودكاست عن الإعجاز القرآني، وكنت سوف أقدم شيء من النفح، ولكني آثرت أن يكون لي فيه خلوة وفيه تدريب قاسي روجي وأمور خاصة بي، وجوع أشدّ مما كان في الفترة الماضية، كما ترون كل مرة أظهر لكم تجدون الملامح تغيرت أكثر، والجسم صُقل أكثر، وهذا بصبر. يعني أن تنقص كيلوغرام من وزنك، أما أن تحافظ، الآن أنا عندي سنة من الجوع، 30 كيلوغرام فقدتهم من وزني، ليس واحد ولا عشرة، وسأحافظ على هذا بحول الله تعالى لأنّ رمضان يعلمك الصبر. وأنا الصوم لا يتعبني، يتعبني الصيام، الحالات الروحية والمعنوية أكثر من ترك الطعام، هذا لا شيء، أنا أترك الطعام حتى أسبوع لا أبالي به، وجربته، أقصى مرة كانت 25 يوماً بلا طعام، هذه في البدايات كي أقوم بما يُسمّى فتح التشاركات السبعة، خاصة بفنون الدفاع والجانب الروحي، تدريب صعب جداً، والحمد لله رب العالمين على ذلك. فالمهم يكون شهر رمضان شهر نفحات.

دائماً أقول لكم رمضان مبارك للذين هم على عهدنا وعلى ودّنا، أما الأعداء والخصوم فيينا وبينكم الأيام إن شاء الله، تُظهر حجّتنا وتُبطل حجّتكم بعونه تعالى، ونحن نأوي إلى ركن شديد بحمد الله. فجزاكم الله خيراً شكراً على المتابعة أشكركم، وأيامكم إن شاء الله كلها بركة وكلها خير كلها سعادة. وكونوا صبورين

وانظروا عجباً فف الفترة القادمة. أفضاً ثمة الملف الإفرانف، ملف الحرب القادمة، وأمور أخرى قد نحاضر ففها بعد رمضان إن شاء الله. لفة سعفة، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته إلى اللقاء جمفعاً، السلام عليكم.

الدرس بتاريخ: 2026-02-27





## بودكاست: معجزات القرآن في زمن التكنولوجيا

بودكاست مستكوزي

دوران الأرض وتعاقب الليل والنهار

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [لقمان : 29]

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف : 54]

غاليليو دعم فكرة دوران الأرض رغم المعارضة، وفوكو تجربته أثبت دوران الأرض فعلياً، فسّر لنا الآيتين اللتين ذكرتهما، وأجبنا هل الأرض تتحرك أم ثابتة؟

الشيخ الدكتور مازن الشريف: بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صلّ على سيدنا محمد عدد العدد الذي يعدّ العادّون، وعدد ما لا يعدّون، وعدد ما بين قاف ونون، وعلى آله وسلّم تسليماً كثيراً. بهذه الصلاة من كتابي كتاب "الصلاة على أشرف المخلوقات" أبتدر هذه الحلقة الطيبة التي نرجو فيها النفع للصائمين والقائمين والعاكفين والركّع السجود، لأنّ هذا الدين دين عقل ودين علم ودين حكمة، ولأنّ نبينا عليه

وعلى آله الصلاة والسلام عالمٌ معلّمٌ معلّمٌ، علّمه الله ولقّنه، حتى قال الإمام الحسن عليه السلام: "علّم الله رسوله الحلال والحرام والتنزيل والتأويل، فعلمه رسول الله لعليّ كلّه، وعلمه عليّ لي كلّه".

اليوم نخوض غمار سرّ آخر من أسرار الكون والأرض والعالم في القرآن الكريم بإعجازه للعلم، أو ما سُمّي بالإعجاز العلمي للقرآن، وإن كنت أقول: إعجاز القرآن للعلم نفسه.

﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ [الأعراف : 54] أو ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [لقمان : 29] هذه المعاني وخاصة الطلب الحثيث، تبين أنّ الأمر قائم على حركة، وأنّ هذه الحركة إمّا أنها للآلة التي بها يكون النهار نهاراً وبغيابها ينعدم النهار ويظهر الليل، أو بالآلة التي عليها ليل ونهار. فإمّا أن يكون ناتجاً عن حركة للشمس تلفت حول الأرض، وبذلك إذا غابت صار ظلاماً وإذا ظهرت صار ضوءاً، وهذه الخدعة البصرية التي نراها نحن فنرى الشمس تطلع وتشرق ونراها تغرب. ولكن الحقيقة أنّ الأمر منوط بالتي عليها الأمر، هي الأرض، فالأمر متصل بحركتها هي لا بحركة الشمس. وأصحاب نظرية الأرض المنبسطة يجدون حرجاً كبيراً في تفسير كيف يتمّ الليل والنهار.

كيف يتمّ الليل والنهار؟ يتمّ الأمر بدوران الأرض حول نفسها من تلقاء الشمس، فتدور حول الشمس وتدور حول ذاتها، فكل دوران يُعقب نهاراً إذا كانت المنطقة من تلقاء الشمس، وليلاً على القسم الآخر من الأرض الذي يكون من تلقاء عكس ذلك.

فهذا الإيلاج (يولج الليل في النهار) أو يُغشي، هذا الإغشاء أي الأغشية -ونظرية الأغشية من النظريات الكبرى عند ستيفن هوكينغ Theory M وإن كانت في مجال آخر- هذا الإغشاء وأن يولج الله الليل في النهار، يعني أنها نظمٌ ميكانيكية تتوافر على أحزمة مكانية في الأرض، بحيث يكون هنا نهار وهناك ليل وهناك ما بينهما. الآن في الولايات المتحدة الأمريكية توقيت غير توقيتنا، في ماليزيا ثماني ساعات تباعد، في القطب الجنوبي قد يستمر الليل ستة أشهر والنهار ستة أشهر. هذه الديناميكية الحركية تثبت أنّ الذي عليه مدار الأمر (وهو الأرض) متحرك، وإن كانت الشمس تدور وتلف ولكن لا يُفهم من معناها أنها هي التي تقفز وتلف بالأرض.

كيف سنصل إلى هذا المعنى قرآنيّاً (بحكم أننا اليوم أمام نظرية الأرض المسطّحة)؟ سنصل إليها باستدلال منطقي قدّمته في أحد كتبي الذي تكلمت فيه عن هذه المسائل، والدليل في الجبال. قال ربنا: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل : 15] وقال: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا﴾ [فصلت :

**10** هذه الرواسي أي أنها تُرسي الأرض، بمعنى: تمنع مَيَدَانَهَا، لها دور في توازن هذا الكوكب ضمن هذا الفلك الذي تسبح فيه. ولكن قال في آية أخرى ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (6) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (7)﴾ [النبا : 7-6] أي أن الجبل وتد مشدود إلى الأرض.

فعندنا نظام الراسيات ودوره أن يكون مثبتاً ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾، وعندنا نظام الأوتاد والتي زُرعت في الإنشاء غرساً في الأرض من فوق، ونظام آخر: تُفجر الجبال من البراكين تفجيراً، ثلاثة أنواع من الجبال.

الجبال التي هي أوتاد، الآن لو وضعنا في كرة وتداً، ما معنى الوتد؟ الوتد الذي يُتخذ للخيمة: حديد يُدقّ في الأرض أو خشبة تُدقّ في الأرض حتى تثبت الخيمة. فشبه الله الجبال بالأوتاد لخيمة هذا الكوكب، والأرض نفسها خيمة طاقية، إلى غير ذلك من المعاني. فلو جئنا بوتد ووضعناه في كرة، ثم قلت لك: إن هذا الوتد يتحرك، ماذا يعني ذلك؟ طالما الوتد متحرك فالكرة متحركة. لو أني أضع لك وتداً في كرة أمسكها في الفضاء وأقول لك: هذا الوتد يتحرك ويجري، جريان الوتد يفيد جريان ما هو وتد له.

فيقول الحق سبحانه: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۗ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۗ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل : 88]، وترى الجبال تحسبها جامدة، لا نشعر نحن بدوران الأرض، لكن يقول حقيقة: ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾. لو أنك أوقفت إنساناً يجلس في فسحة من الكون (يجلس فوق القمر مثلاً) وكان عنده آلية يصوّر بها، لو نحن صوّرنا الأرض من فوق، لرأينا أن الجبال تجري كالسحاب، بل يقول ﴿مَرَّ السَّحَابِ﴾ أي أن سرعة دوران الأرض سرعة رهيبه، سرعة كبيرة، بهذا الحجم، وتدور وتلفّ حول الشمس. انظر لها ثلاث حركات: تدور حول نفسها، وتدور حول الشمس، وتجري مع الشمس مع المجرة مع هذا الكون ﴿كُلُّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾. حركة الدوران: دوران حول نفسها، وحول الشمس، والشمس والأرض والكواكب تجري مع المجرة مع المجرات، وهذا ما أثبتته العلماء كما تكلمنا عن آدم ريس وعن غيره.

لو توقّف دوران الأرض ماذا سيحدث؟ لو أن الأرض توقّف دورانها، لا يتوقّف الزمان، لأنّ الزمان فوق كوني، الزمن مُعطى فوق كوني، ultra cosmic، هذا تعبيره الخاص سمّيته الزمن الفوق كوني، لأنّ ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [التوبة : 36] يعني عندما خلق الله السماوات والأرض خلقهم داخل زمان. لكل زمن معنى: الله لما يقول لك أنه خلق في ستة أيام إذاً الخلق تمّ داخل زمان، ثم جعل أزمته فرعية كالزمن الذري والزمن الإدراكي، إدراك الزمن

يختلف من كائن إلى كائن، حتى الزمن الحسي زمن المشاعر، عندما تجلس في مجلس يريحك تشعر أنّ الوقت سريع، وإذا كنت في حال ضجر تشعر أنّ الوقت يبطئ، أزمنة...

فلو توقّف هذا الكوكب عن دورانه سوف تجمد حركة ما نعرفه من ليل ونهار، لكن لن يجمد الوقت. الوقت ليس فقط من أثر الحركة، الحركة هي نوع من حساب الوقت ولكنها ليست الوقت في ذاته. وهذا ما أخطأ فيه أينشتاين عندما مزج بين المكان والزمان وسمّاه "الزمكان"، وهذا ما أخطأ فيه علماء الكونيات عندما ظنّوا أنّ الانفجار العظيم وُلد الزمن، إنما تولّد المكان داخل زمان.

ولو شئنا لقصصنا عليكم مرة القصة كما أراها أنا للانفجار العظيم الذي تمّ داخل المادة السوداء، المادة السوداء في أطراف الكون، الكون عنده 14 مليار سنة يجري ولم يلمسها. فأقول لك: إنّ شجرة نمت تحت الغيم في أرض وبقيت تنمو 14 مليار سنة ولم تلحق بذلك الغيم ولا عمرت تلك الأرض كلها، ثم أقول لك إنّ تلك الشجرة نشأت في نفس اللحظة مع الأرض والغيم، ستقول لي هذا حمق! لا يمكن للكون أن يجري داخل نفسه دون أن يدرك نفسه، إنما جرى الكون داخل شيء نشأ فيه، في ظلمات ثلاث. فالمادة السوداء هي رحم هذا الكون الذي تمّ فيه تفجير هذه المفردة داخله، المادة السوداء في نظري سابقة للانفجار العظيم، أودعت فيه ثم فُجرت بقوة الله، هذا ملف آخر.

فلذلك، إنّ الله يجعل الجبال أوتاداً ورواسي، ثم يقول إنها تجري: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل: 88] أي تتحرّك. هذا فيه دليل كافٍ ضافٍ شافٍ، ولكن الله جعل أنظمة في الأرض لا تُشعرك بدورانها، لأنّ هذا سوف يجعل الحياة فيها مستحيلة، لو كنت تشعر بدوران الأرض لكان يُعْمى علينا كل ساعة.

ولكنه سبحانه وتعالى قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الرعد: 41] "ننقصها من أطرافها": المدّ البحري. المدّ البحري حركة حقيقية، الأرض تتناقص والبحر يزداد، معروفة، كانت قطعة واحدة ثم قُسمت قطعتين، ثم زمن نوح عليه السلام ثلاث قطع، أطلنتس صارت خمس قطع، وهذه حقيقة. لما يتكلم عن الجوار الكُنّس ﴿الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾، هي موجات في عمق المحيط تكنسه وتنظّفه، العلماء اليوم اكتشفوا أنّ أمواج المحيط الكُنّس تكنس المحيط تحتاج إلى ألف سنة للمرة الواحدة، كي تكنس المحيط مرة تحتاج إلى 1000 سنة. أليس هذا من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم؟

إنَّ إعجاز القرآن كبير وعظيم، وسبحان الذي نزله على خير خلقه بأعظم ملائكته ليكون دالًّا للناس إلى ربهم، وهادياً لهم إلى دينهم، وصلى الله على هذا النبي العظيم الذي فاض بالقرآن **جَنَانَهُ**، ونطق بالقرآن **لسانه**، وعبر بالقرآن **بيانه**، صلى الله عليه وعلى آله، ورضي الله عن صفوة أصحابه، وعن أسياذ الناس بعد سيد الناس.

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾ [الأنبياء : 30] ألبرت سنت يقول: الحياة هي الماء في حركة، وعلماء الناس يقولون: أول شرط للبحث عن الحياة هو وجود الماء، وبدون ماء لا توجد حياة. لماذا لا نستطيع أن نعيش من دون الماء؟ ما هذا الشيء الذي خلقه الله؟

الشيخ الدكتور مازن الشريف: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي أوجد الكون بعد **العماء**، وخلق الأرض **والسماء**، وجعل كل شيء حي من **الماء**، سبحانه له الصفات **والأسماء**، وله سبحانه وتعالى في ملكه ما يشاء على قدر ما **يشاء**، وصلى الله على إمام **الأنبياء** وسيد الرسل **والأصفياء** سيدنا محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين.

الحق جلّ وعلا لما قال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾ [الأنبياء : 30]

وقال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المؤمنون : 13]

وقال: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ﴾ [النور : 45]

كل هذه الآيات تبين أنّ هذا الماء العظيم الذي أودع الله فيه سرّ الحياة إنما هو آية تسري بين الناس. فأجسادنا معظمها ماء، وخلايانا تشكيلها أساسه الماء، وطينة خلقنا هذه تشكّلت من نطفة من ماء مهين، وكذا الدواب والكائنات كلها أصلها في الإنشاء مزيج بين مادة وماء.

والبحر في النظريات الداروينية أساس الإنطلاق الأول للحياة، وفق منهج التطور الجيني كانت كائنات أحادية الخلية ثم تطورت إلى أن وصلت إلى الثدييات، ثم غادرت من البحر إلى اليابسة فتطورت. وهذا

توصيف يصحّ جزء منه: أنّ الحياة متصلة بالماء وأنّ البحار لعلها عُمّرت قبل البرّ. لكنه خاطئ في جانب التطور من نوع إلى نوع، إنما التطور يكون داخل الأجناس نفسها، أي تتطور الكائنات البشرية، تغيرت أحجامها وأعمارها، من أب وأم وجدنا الأسود والأسمر والأشقر والأصهب، وشكل النيجيري مثلاً يختلف عن الياباني أو الكوري أو الألماني، كل ذلك من والدين. فكذا سمّيت الأمر "تطويراً جينياً" (Genetic Modification)، وليس تطوّراً بمعنى الداروينية التي صارت منوطة بالإلحاد.

فكل هذا الخلق إنما قام على عنصر مادي وعنصر غير مادي، فالعنصر المادي الذي نراه جميعاً هو الماء، لولا نشرب الماء لا يمكن الحياة، الماء أساس في تكوين أجسادنا، وأساس في استمرار عيشنا، وأساس في نمو النبات الذي نأكله، وفي بقاء الحيوان الذي يكون منه غذاء ويكون منه لباس ويكون منه ما فيه مما فيه، وكذلك الشجر الذي يُتخذ منه ما يُتخذ منه في معيش الإنسان وفي تزويده بالهواء الذي يتنفسه، كل ذلك من ماء.

هذه الحركة المائية وكأنها الروح الظاهرية للعالم، أما الروح اللطيفة فهي من أمر الله. **فكأنّ الماء هو روح ما ظهر، والروح اللطيفة الإلهية هي روح ما بطن ﴿الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾**، فكأنهما روحان، نفخة لطيفة من الله سرت في الأشياء فكوّنت ما به يكون الفرق بين التجميع الذري وبين الخلية الحية، وهذا تحيّر فيه العلماء، ما الفرق بين خلية حية وبين مجموعة تنسيقات ذرية؟ الفرق هو وجود هذه الروح، ولكن هذه الروح تفعيلها الأساسي يتم عبر الماء، فكأنّ الماء هو مُفَعِّل الأرواح، وكأنّ الماء هو روح الحياة الظاهرة السارية في الأشياء.

فالله سبحانه وتعالى بهذا التوصيف العجيب، لما يقول: **﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾** [الأنبياء: 30] يجعل إحاطة إلهية لكُنْه وكنينة الحياة على هذا الكوكب بما يشمله ويخصّه، وهذا طبعاً يمكن أن نجعله سارياً على جميع أصناف الحياة التي لا ندرىها **﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾** [النحل: 8]. فالماء لا نقول هو حياة الملائكة على سبيل المثال، لأنّ الكائنات النورانية قد يكون لها شيء يخصّها لا ندركه ولا ندرىه، وقد تتغذى أو تتكوّن أو تتطور أجسادها من شيء غير هذا الماء. لكن عموم الحياة المادية خاصة على كوكبنا وفي وضعنا منذ التنشئة الآدمية، كل شيء سارٍ في هذا العالم إنما أساسه هذا الماء.

ولكني قد أحملك إلى لغز آخر محيّر، وهذا اللغز المحيّر يثبت أنّ للماء أسراراً آخر جهلناها ولا نعرفها. وأنا قلت مرةً في كتابي "حكمة": كيف يجعل الله كل شيء حيّ من ميّت؟ بمعنى أنّ للماء حياته، وهذه الحياة

سرت، حتى أنّ أحد علماء اليابان اسمه ماسارو إيموتو قام بكتاب اسمه "رسائل من الماء". هذا العالم الذي توفي عام 2014 قام بتجربة على البلورات المائية عبر وضع أواني فيها ماء، ثم يقول كلاماً طيباً لحاوية منها ويقول كلاماً سيئاً للأخرى ويتجاهل الثالثة، بعد شهر وجد أنّ البلورات المائية التي تأتيها كلمات طيبة كانت بشكل جميل جداً، والأخرى بشعة، بل وجد أنّ الماء الذي كان يُقال له كلام طيب صار فوّاح الرائحة، بينما الآخر تعفّن وصار ماءً آسناً. وهذه نُشرت، وثمة علماء حققوا منها وعلماء آخرون سمّوها وهميات وليست حقائق علمية (خاصة الملاحدة والماديين)، لكن نُشر الكتاب وانتشر انتشاراً كبيراً يُسمّى "رسائل من الماء" وهذا الكتاب مشهور جداً، وهذا العالم الياباني أبان عن سرّ في الماء.

ونمضي إلى سرّ آخر أنّ هذا الوجود مسبوق بوجود مائي فوقي وما زال موجوداً، وقال ربنا سبحانه: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ﴾ [هود : 7] هذا ماء الأفق الأعلى، ماء الحياة السرمدية، الذي قيل أنّ الخضر شرب منه، والذي قيل أنه إذا لمس شيئاً أحياه، وفي قصة سيدنا موسى عندما ورد نقطة برزخية خرج منها ماء فأحيا ذلك الحوت، قال: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [الكهف : 61]، أو تلك البقرة التي شربت منه وهي صفراء فاقع لونها -جعلوا منها بعد ذلك بقرات حمراء في بني إسرائيل- والتي ضرب بنو إسرائيل ببعضها ميتاً فأحياه الله، لأنّ ذلك الماء الذي شربته سرى في دمها فانطلق لذلك المقتول.

هذا يُسمّى ماء الحياة، كما تكلموا عن حجر الفلاسفة، حجر الإكسير الذي يجعل النحاس ذهباً، وأنفق ستالين مليارات الدولارات لإكتشافه في تجارب خصّصها لبعض السحرة وغيرها، فيما كُشف عند الروس. فكذلك هذا ماء الحياة الماء الأزلي، ولعله هو الماء الذي يفيض من عند الله عندما ينزل على الأجساد فيخرج الناس من الأجداث إلى ربهم ينسلون. ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ هذا العرش وهذا الزمن قبل خلق هذه العوالم كلها.

لماذا العلماء يبحثون عن الماء في الكواكب؟ لأنهم إن وجدوا الماء في الكواكب -في ظنهم- سيجدون أثره لحياة خارج الأرض، وهذا بحث أراه عقيماً من جانبيين:

1- الجانب الأول: إنّ اشتراط أنّ الماء هو أساس الحياة في الكواكب يصرّ أنّ كل الكائنات على نفس التشريح والنسيج البيولوجي الذي عندنا في الأرض، وهذا نوع من العمى، لأنه لا يُشترط على الخالق -إذا

صدّقنا بالخلق- ولا على الكون -إذا لم نصدّق بوجود خالق- أن تكون طبائع الحياة ذاتها. فعندنا الجن مخلوقون من النار إذأً طبائعه وغذاؤه ونسيجه غير نسيجنا، والملائكة من نور، والله يخلق ما لا نعلم ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل : 8]، هو فعل "يخلق" يدلّ على استمرارية الخلق.

ثم إنّ هذا الكون أوسع وأشسع وأعظم من أن ندرك خواص الحياة فيه، ولكني أقول كما أجبته عن "مفارقة فيرمي" (Fermi Paradox) للعالم إنريكو فيرمي، هذا العالم الكبير في الفيزياء قال مفارقة فيزيائية مشهورة: أين اختفى الجميع؟ درس الكون ثم عرف أنّ الكون يجب أن يكون حاوياً لحياتيات أخر غير الحياة في الأرض، ولكنه لم يجد شيئاً. أنا أقول أنّ الاستخلاف الأخير في كوكب الأرض. ثم طالما الأمريكان اعترفوا اليوم بوجود سفن وأشياء تطير فوق رؤوسهم بتطورات تكنولوجية مستحيل أنّ البشر قد اكتشفوها أو وصلوا إليها، ألا يعني ذلك وجود حضارات عاقلة ولكن لا يمكن أن نرصدها بآلات الرصد التي نملكها؟ فهذا البحث أراه عبثي، يرسلون بعثات ويبحثون عن طفيليات في كوكب المريخ، وعن بكتيريا في كوكب المشتري، في حين أنّ هذه السفن تدقّ رؤوسهم يوماً منذ سنين طويلة.

هنالك كائنات أخرى تعيش معنا؟ أنا أرى أنها كائنات علوية وحضارات عليا، ليست حضارات تبحث عن الإنسان لتكتشفه. بما أنّ تحتمس الثالث مؤسس الدولة المصرية الفرعونية الثالثة الذي كتب عن بردية موجودة في الفاتيكان أنها ظهرت هذه الأمور فوق بلاده، وكذلك في الفيدا الهندية الهندوسية موجودة فيها، وغيرها تفاصيل كثيرة.. حتى أنّ البريطانيين عندما بحثوا في هذا الملف شكّلوا لجنة سنة 1952 تُعرف بلجنة الصحن الطائر بحثوا إلى عام 1908، وكشفها ديفيد كلارك مدير الأرشيف البريطاني، و "بروجيكت بلو بوك" الأمريكي سنة 1952 وغيره، هم الآن متيقنون. أنا أنصح بمشاهدة فيلم جميل اسمه Age of disclosure الذي يبيّن حقائق كانت يكتمها الأمريكان، وانهارت نظريات المؤامرة، كل ما كان يُتكلّم عنه في نظرية المؤامرة صار صحيحاً. لكن هذه أمور أخرى، أنا أوّمن بوجود حضارات عليا.

ولكنني أرجع إلى موضوع الماء فأقول: إنّ الماء آية من آيات الله، معجزة ربانية. أن يكون دمك هذا الدم الذي هو حياتك والذي يحمل الحياة فيك يكون مائياً، وأن تكون النطفة مائية، وأن تكون الذرة نواتها مائية ونسيجهما مائي، وأن يكون هذا التشفير على شيء هو لا ماء ولا طين اسمه الحمض النووي الريبوزي والحمض النووي (DNA و RNA)، وهذه النيكلوتيدات التي تُكتب، وهذا يُكتب بأربع حروف بروتينية بنموذج غير قابل للإختزال ويكرّر ملايين المرات.

فهذه إعجازات إلهية، سبحان الذي خلق هذا الخلق، سبحان الذي أودع ما أودع فيه، والحمد لله رب العالمين.

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزُخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (19) بَيْنَهُمَا بَرْزُخٌ لَا يَبْغِيَانِ (20)﴾ [الرحمن : 19-20] يقول جاك إيف كوستو أنه صور اختلاف الكتل المائية وطبقات البحر، وعلماء المحيطات شرحوا مفهوم الكثافة والملوحة والتيارات. ما معنى هذه الآية وبالضبط كلمة "برزخ"؟ وكيف لا يختلط البحران؟

الشيخ الدكتور مازن الشريف: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي هدى إلى خير دين، وشرفنا بسيد المرسلين وإمام الأولين والآخرين. الحقيقة أنّ موضوع البرزخ المائي هو جزء من علم البرزخ، وعلم البرزخ علوم وعوالم. قال تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزُخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون : 100] هذا الذي انتقل وقال رب ارجعون لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت، عبّر الله سبحانه وتعالى عن العالم الذي يكون فيه المنتقل، والذي وسمه بأنه ينقسم إلى شقين:

1- ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَارِ لَفِي عِلِّيَّيْنِ (18) وَمَا أَذْرَاكَ مَا عَلِيُّونَ (19) كِتَابٌ مَرْفُومٌ (20)﴾ [المطففين : 20-18]

2- ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ [المطففين : 7]

ولكن في الحاليين ثمة برزخ.

والبرزخ غير الحجاب، قال سيدنا سليمان عليه السلام عن الصافنات الجياد: ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾، أي ما يحجب بين عالمنا وعالم الجن على سبيل المثال، وقال ربنا حينها: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾ أي ترى به ما خلف الحجاب. أما البرزخ فهو عالم كامل، هذا العالم يحجب عالم المنتقلين والملائكة عنا.

ولما ورد في آية ما أبان عن برزخ آخر - من خصائص البرزخ أنّ العين المادية لا تقدر على رؤيته - فقال في آية ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (19) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (20)﴾ [الرحمن : 19-20] أي أنهما عندما يلتقيان يقف كلٌّ في خط محدّد ولا يمتزج هذا بذاك، فكأنما هو نطاق طاقٍ يحجب بينهما.

وكذا ربنا سبحانه وتعالى ذكر البرزخ وذكر الماء في آية أخرى أدت إلى إسلام كوستو نفسه، قال: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان : 53]، فأضاف: "حِجْرًا" أي يَحْجُرُ من الحَجْر مثل كلمة "الحجر الصخّي"، أي يمنع الاتصال بين الماءين، فجعل برزخاً فاصلاً.

كوستو عندما مضى مرة ووجد نقطة مائية بين نهر وبحر، فكان يمدّ يده إلى هنا فإذا به مالِح، وهنا ماء عذب، فقال: ما الذي يمنع اختلاط الماء العذب بالمالح؟ فقبل له: هذا في القرآن ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان : 53]. كأنّ الله سبحانه وتعالى يُرينا الوصف الذي يعاينه الباحث. لذلك الله يدعو دائماً إلى النظر:

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ﴾

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾

إلى غيرها من المعاني..

فبالنظر والتحقيق والتجربة، لذلك قال ربنا سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ العلم ثم العلم ثم العلم ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، هذا ما سمّيته مصطلح "العلم بالله". هذا العلم الذي أوتاه كوستو في علم البحار ولا يُشَقُّ له غبار في ذلك، جعل هذه الشخصية العلمية النقية القلب تؤمن وتُسلم. ولو أنّ علماء الكونيات اليوم كانوا سلمي النوايا والطوايا لآمنوا كلهم، لوجدنا أنّ أهل العلم يفتنون إلى هذا الدين وفوداً وزمراً. فلما لمس الماء ووجد هذا مالِح وهذا عذب، اكتشف أنّ البرزخ حقيقة.

أما فهمي الشخصي للبرزخ، فأعتقد أنه نطاق طاقٍ يضعه الله سبحانه وتعالى بين ماءين، فيمنع ذلك التماسّ بين هذا الماء وذاك الماء من حيث الاختلاط، يتماسان مادّةً ولا يختلطان عنصراً، فيبقى العذب عذباً ويبقى المالح مالِحاً. وهذه النطاقات الطاقية التي لا تُرى بالعين هي حقائق موجودة في الكون، هنالك

الكثير من الطاقات الغامضة التي لا يمكن رصدها ولا يمكن كشفها ولكن يمكن التأمل فيها والتأمل في طبائعها وحقائقها. فأعتقد أنه نطاق طاقى يحجب بين عالمين.

ولماذا يبقى خفياً؟ حتى يبقى الإنسان دائماً تحت خيمة العجز، أي أنك أيها الإنسان مهما علمت، ستأتي الآية الصافعة: ﴿وَمَا أوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 85]. ولذلك، قول نيل ديغراس تايسون: "إنّ الإله ما هو إلا إله سدّ الثغرات، وأنّ الإنسانية هدمت هذا الإله، وأنّ العلم عندما كشف عن خبايا الكون والعالم أغلق الباب في وجه المؤمنين" .. إله سدّ الثغرات تكلم فيه ريتشارد دوكنز وتكلم فيه نيل ديغراس تايسون وقد كذبا. إنّ العلم كلما اكتشف شيئاً، اكتشف أنه يجهل بعده ألف ألف شيء.

العالم مليء بالأسرار، ومن بين هذه الأسرار "البرخ المائي"، هو سرّ إلهي أشار له الله سبحانه وتعالى، تحقّق أحد العلماء وغيره منه، علماء البحار يعرفون وجود حواجز وطبقات تفصل الماء عن بعضه، وسنرد إن شاء الله على آية الموج: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ۗ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: 40] والحمد لله الذي هدانا إلى هذا الدين.

﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾

وفي هذا الموضوع الحاجز بين العذب والمالح، قال الله سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: 53] كيف لا يختلط ماء النهر مباشرةً بالبحر؟

الشيخ الدكتور مازن الشريف: نعم، كما كنت أقول إنّ هذه الآية سبّبت إسلام جاك إيف كوستو، لأنّ الحاجز الذي جعله الله طاقياً لا وجود لأي تفسير كيميائي لهذا الأمر، وشاهدت البرنامج الذي تكلم فيه كوستو أنه يذوق هذا الماء عذب وهذا الماء مالح. وهذا سبحانه الله تعالى هذا الاختلاط وعدمه هذا إعجاز من الله سبحانه وتعالى، التفسيرات الكيميائية عاجزة، إذا جمعت مائين فهما يختلطان، إذا وضعت ماء عذب وماء مالح يختلط الطعم بالطعم، ولكن في هذه الحالة وضع برزخاً.

إذن هنالك برزخان مائيان:

- 1- برزخ بين بحر يلتقي بحر ببحر أو يلتقي بحر بمحيط فلا يختلط هذا بذاك، ستكون هنالك نقطة معينة مستمرة وعميقة، أي الاختلاط ليس فقط في السطح حتى في العمق، لا يختلط هذا البحر بهذا البحر، ثمة حجاب ثمة حاجز طاقى إلهي يمنع اختلاط هذا البحر بذاك.
- 2- وكذا البرزخ الثاني هو الذي يكون بين مالح وعذب.

واختيار الله لفظ "برزخ" و "حجر" ليس عبثياً، لأنّ البرزخ يرمز إلى الشيء الذي لا يمكن أن نراه، لما يمنعنا من الرؤية، قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، الذي انتقل، نحن لا نرى الأرواح ولا نرى الجن كلها تختفي خلف برازخها. فعلم البرزخ يحوي على علم الجنة والنار والحدور والملائكة، وأرواح الذين وُلدوا والذين سيولدون، وأرواح الذين انتقلوا.

وحتى نحن أنفسنا فينا برازخ: فما بين جسمك ونفسك وبرزخ، وما بين نفسك وروحك وذاتك وبرزخ، وما بين جسدك الأثري والمادي وبرزخ. فنحن لا نستطيع بمشروط الطبيب إذا فتح الجسم أن يجد النفس أو يجد الروح ولا يراها، ولكن الروح أثرها جلي بين ميت وحي، بمجرد المغادرة لم تعد تلك الخلايا تنفع شيئاً. فهذا من برازخ الله سبحانه وتعالى ومن أسراره، والله المثل الأعلى.

سيدنا إبراهيم عندما ألقى في النار جعل حوله برزخ منع النار من أن تحرقه ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾.

وكذلك لما جاء يوشع بن نون مع موسى للقاء الخضر كانت من علامة ذلك أن ترجع الحياة إلى ذلك الحوت، فجعل عليه برزخ فيه ماء الحياة.

وكذلك سيدنا العزيز عليه السلام عندما أماته الله مائة عام ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾، جعل طعامه ﴿لَمْ يَتَسَنَّه﴾، أي لا يمضي عليه زمان، فوضع عليه في برزخ خاص، وجعل الحمار يموت ويتلاشى، فوضع في برزخ خاص، وجعله في برزخ يمنع تفكك جسمه وإحساسه بالوقت.

وكذا أهل الكهف عندما كانوا في ذلك المكان ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ﴾ ﴿وَنُقِلُّهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ﴾، فكانوا في برزخ لا يراهم أحد، ولو دخل عليهم أحد لرعب مما هم فيه.

وهذه أسرار كثيرة عن هذه البرازخ وهذه الأسرار التي وضعها الله حيث شاء فيما شاء كما شاء، والله له المثل الأعلى في خلقه سبحانه وتعالى.

### ﴿عُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾

قال تعالى: ﴿عُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيَعْلَبُونَ (3)﴾ [الروم : 2-3]. في الدراسات الحديثة عبر الأقمار الاصطناعية، البحر الميت هو أخفض يابسة، ما معنى "أدنى الأرض"؟ كيف ذكر القرآن هذا الإعجاز وهذه الحرب؟

الشيخ الدكتور مازن الشريف: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله كما ينبغي لمقام حبيبه على حبيبه وعلى آل حبيبه، والحمد لله الذي جعلنا منهم محبة وولاءً وانتماءً، وإنه لشرف عظيم. أنوه قبل البداية أن الغاية من ذكر الإعجاز العلمي للقرآن لا تتعلق بإثبات أن القرآن من الله، فدلائل إثباته فيه أعظم، ولا يمكن لأحد منا أن يأتي بشيء أعظم من محتوياته، ولكننا ناقش العقل وناقش أهل هذا الوقت في زمن كثرت فيه دعاوى الإلحاد وظهر فيه سفه كثير وجهل عميق بتفسير القرآن، أخذ من إسرائيليات ومكذوبات حتى أن المسلم يجد نفسه في تمزق بين عظمة الآية وضحالة التفسير.

قوله سبحانه وتعالى ﴿عُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيَعْلَبُونَ فِي بضعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِهِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بَنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ فيها أولاً نبوءة قرآنية تمت، لأن هزيمة روم البيزنطية أمام الفرس تمت قبل تسع سنين من الهجرة سنة 614 للميلاد، وأما انتصار الروم فتم بعد تسع سنين عام 622 وأجبر الفرس على توقيع معاهدة صلح، وسقطت القدس في أيدي الفرس سنة 614، سبقتها حروب ولحققتها حروب..

ولكن هذه الهزيمة نزل الله سبحانه وتعالى عنها خبراً مستقبلياً، وهذا إعجاز زمني، ونزل خبراً مكانياً كان فيه إعجاز مكاني، هاتان آيتان في القرآن العظيم تحملان إعجازاً مكانياً وزمانياً معاً:

1- فأما الإعجاز الزمني فقد تم وثبت وعرفه الناس.

2- وأما الإعجاز المكاني فقد عُرف بعد أن فُهمت معاني الآية جغرافياً من حيث اتصالها بسطح البحر. أما المعنى الأول فيعني "أدنى الأرض" أي أرض قريبة من مكة، في أرض قريبة بين فلسطين والأردن حيث البحر الميت، تَمَّت هذه المعركة في ذلك المكان. ولكن الآن عرفنا أنّ أدنى نقطة في كوكب الأرض على اليابسة هي تلك النقطة، 430 متر تحت سطح البحر، أخفض نقطة أرضية في اليابسة في العالم هي تلك النقطة تحديداً، لا يمتري في هذا إثنان ولا يختلف عليها عاقلان.

وهذا إعجاز مكاني قرآني يثبت أنّ الذي نزل هذا الكتاب هو خالق الزمان والمكان، وبما أنه قد خلق المكان فهو يعرف أدناه وأعلاه، ويعرف جميعه تفصيلاً، ويدرك ما فيه لأنه صانعه، صُنِعَ الله. وكذا بما أنه خالق الزمان فهو يعرف أوله ومبتدأه ومنتهاه، لأنّ الله أحاط بكل شيء علماً، ووسع كل شيء علماً، وهذه السعة تجعل أنّ الزمان على امتداده -في غيبيات مستقبله أو في غياهب ماضيه- مُحاط به عند الله.

لذلك، يقول سبحانه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: 3] فكأنما أنت تشاهد موسى وهو في التابوت، وتشاهد يونس في بطن الحوت، وترى يوسف في سجنه وفي بئرهِ وفي أسرهِ. وهذه الأخبار لما يرويها الله، بنو إسرائيل عندهم منها شيء ويجهلون منها الكثير، فما يأتيهم به النبي ﷺ من خبر يُبين ويثبت أنه نبي الله وأن ذلك وحي إليه من عند ربه.

وكذا، الله سبحانه وتعالى يروي لنا عن الساعة وأشراطها وأحوالها وأحوال أهل الزمان في مستقبلهم، فيروي لنا أموراً في العلم جرت وسرت وهي فعلية، ويروي لنا أموراً أخرى كثيرة، ثم تجده يذكر لنا القيامة وما بعدها. بل من عجائب ذلك أنّ الله سبحانه وتعالى يعبر عن مستقبل مطلق بصيغة ماضٍ مطلق فيقول ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ وهو فعل ماضٍ مطلق يروي به عن حدث في المستقبل المطلق، إطلاقه أنه يتم بعد انكسار الزمان الفاني وبداية الزمن الخالد. وهذا معناه أنّ المستقبل عندنا ماضٍ عند الله، الله قد أحاط بكل شيء، فالمستقبل عندنا عند الله كأنه ماضٍ وانقضى فقد أحاط به علماً. بل يرينا مشاهد من أهل الجنة ومشاهد من أهل النار، وحواراً بين الملائكة وبين أهل النار قال ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَىٰ﴾، بل حواراً بين أهل الجنة وأهل النار، إلى غير ذلك.. هذه الحوارات ليست خيالية، بل الله سبحانه وتعالى يرسم شيئاً سيحدث حتماً، قد أحاط به علماً قبل أن يقوم، وهذا إعجاز.

عندما تأتي الملائكة فتبشّر سيدنا إبراهيم بإسحاق ومن بعد إسحاق يعقوب، أو تبشّره بغلام حلیم وغلام عليم، هذه إحاطة، عندما يبشّر الله زكريا بيحيى أو مريم بعيسى، هذه إحاطة، وعندما يتكلم عيسى عليه

السلام وهو في المهد فيقول ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ عبّر عن ماضٍ سابق للجسم أي عن زمن الروح، وهي إحاطة أيضاً.

كل هذا من لطف الله ومن علمه ومن عمق وعظمة القرآن.

لذلك أقول لك ما قلته في كثير من كتبي ومحاضراتي: إنّ الذي دمر العقل المسلم أن تصدّر لتفسير القرآن قوم حُجّبوا عن العلم والفهم والكشف والنفح (إلا ما رحم ربك)، فلما حُرّموا من ذلك هاموا في الجوانب اللغوية، فأبدع بعضهم مثلاً الشيخ الطاهر ابن عاشور في العلوم اللغوية ما شاء الله أبداع، أبداع المفسر الآلوسي على سبيل المثال، والطبري في المقارنات بين التفاسير. ولكن لما نرد هذا الحوض الذي هو حوض تحدّي زمننا نحن، زمن التكنولوجيا زمن الرقمية زمن الذكاء الاصطناعي زمن هذه التحديات، وجدنا تقصيراً كبيراً، هذه فجوة الحمد لله نحن نسدها بمثل هذه البرامج والحوارات. إنّ القرآن أيضاً يمكن أن يُقرأ بالعلم، لوجاء عالم رياضيات أو عالم فيزياء أو غيرها، وثمة نماذج في العلم في العالم الإسلامي نماذج مشرّفة وجميلة ولكن لا بد أن ندعمها ونطوّرها، لأننا إذا دخلنا حياض القرآن بهذه العلوم وفهمها سوف ندمر حجج الملاحظة وسوف نقنع المسلم أنّ له كتاباً عظيماً جامعاً، ولنجتمع حينها على اختلاف مذاهبنا وطوائفنا تحت هذه الراية المحمدية الواحدة.

﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا﴾ [النور: 40]، كيف يعيش الإنسان في البادية ويعرف هذه المعجزات؟ كيف وصف هذه الظلمات المترابطة في البحر؟

الشيخ الدكتور مازن الشريف: الحمد لله الذي خلق آدم صلصالاً **تراباً**، ونزل على عبده **كتاباً**، وكشف عليه من العلم **حجاباً**، وجعل له **آلاً وأصحاباً**، وجعلنا له **أحباباً**. السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، واليوم سوف نرد بحراً جديداً من بحار القرآن العظيم ومن آيات الإعجاز في الذكر الحكيم وهذا الكتاب الكريم. الله سبحانه وتعالى يصف حال الكافر بالذي هو في ظلمات في بحر لُجِّيٍّ (اللُجِّيُّ: العميق جداً،

شديد العمق)، ثم يقول "يغشاه موجٌ" أي يتغشى هذا البحر ويسري فيه موج، من فوقه موج من فوقه سحاب، أي في ليلة مظلمة معتمة، إذا أخرج يده لم يكد يراها، ظلّمت بعضها فوق بعض، طبقات الظلام، الظلام ليس طبقة واحدة.

ولكن الأكثر إذهالاً هو طبيعة هذا البحر الذي هو لُجِّي والذي هو مظلم والذي يحمل أمواجاً فوق أمواج. أثبت العلم أنّ البحر يتكوّن في موضوع الضوء من ثلاث طبقات:

1. الطبقة المضيفة التي تعيش عليها معظم الكائنات البحرية ويسري فيها الضوء تمتدّ إلى 200 متر
2. ثم منطقة الشفق بين 200 – 1000 متر، ضوءها خافت قليل قد لا يعين على التمثيل الضوئي
3. أما ما دون 1000 متر (مثل خندق ماريانا، challenger deep أعماق نقطة 11 كيلومتر شرق الفلبين في المحيط الهادئ)، هذه كلها معتمة تماماً. تحت ألف متر إذا أخرج الإنسان يده لم يكد يراها، وصف القرآن دقيق جداً، لا يصل الضوء إلى تلك الأعماق.

فماذا أضاف الله سبحانه وتعالى؟ أضاف حاجزاً يمنع الضوء أصلاً وهو السحاب، كأنّ الله سبحانه وتعالى يريد أن يقول لنا أني أرسم لك مطلق الظلمة، مطلق الظلمة: أن يكون ليلاً معتماً وأن يكون سحاباً مدلهماً وأن يكون بحراً عميقاً لُجِّيّاً. انظر كيف وصف هذا الكافر في ظلمة حقه وعناده وكبره، كأنه أبان في باب علم النفس عن وجود طبقات نفسية مظلمة في قلب وذات وكيان هذا الإنسان. وهذا صحيح، فالنفس طبقات: نفس لؤامة ونفس مطمئنة ونفس أمارة، فالنفس المطمئنة يسري فيها النور كاملاً، والنفس اللؤامة هي بين النور وبين كثرة العتب فلا تصلح للحياة (اللؤامة تظل تلوم على صاحبها حتى تقضي عليه)، أما النفس الأمارة بالسوء ﴿وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ فهي ظلمة مطلقة.

وكذلك العوالم، فعالم نوراني كامل، وعالم هو مزيج بين ظلمة وضوء (هو عالما البشري)، وعالم مظلم بشكل مطلق (وهو العالم الشيطاني). فالوصف الذي في البحر يسري في الملكوت: ما اقترب من المادة السوداء ظلمة مطلقة، ثم بعد ذلك منطقة فيها شيء من ضوء وشيء من ظلام، ثم ما اقترب من الشمس والنجوم مضيء، وهكذا.. ثم لو عكسنا، لو ارتفعنا إلى عوالم الملكوت العليا والعرش كله نور، ثم لو نزلنا

إلى هذا العالم عالم الفرش ففيه مزيج، ثم لو نزلنا إلى العالم الشيطاني أو سجين أو جهنم فهي عوالم ظلمات مطلقة ليس فيها نور ولا ضوء.

فهذا التوصيف وكأنّ الكون كله بحر، وكأنك أنت بحر لُجِّي.

ما معنى "بحر لُجِّي"؟ اللُجِّي هو شديد العمق، منها معنى اللُجَّة "لُجَّة البحر" أي عمق البحر. "غرق فلان في لُجَّة البحر" هي أدنى مكان فيه، و "فلان بحر لُجِّي في المعارف" أي أنه بحر شديد العمق. هذا الكلام أنا فصلته، مثلاً الوعي نفسه بحار، العقل الباطن هو عمق البحر اللُجِّي، وثمة مناطق مظلمة في ذواتنا لا نراها ولا ندركها ولا نعرفها مثل الروح خلف برزخ هذا البحر اللُجِّي.

ولكن إذا عدنا إلى التوصيف المادي للبحر وجئنا إلى النبي عليه الصلاة والسلام ونزعنا مجازاً صفة النبوة، ثم جئنا إلى كافر ملحد سواء من أبناء زماننا أو أبا جهل على سبيل المثال وسألناه: كيف البحر؟ هو أصلاً لم ير البحر، لعله لم يره في حياته، ولكن هل كان سيعرف أنّ فيه أمواجاً باطنية؟ هل كان يعرف أنّ هذه الظلمات موجودة؟ وأنه لو أدخل عمق البحر، كقوله سبحانه وتعالى ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام : 125] أي أنه أبان أنه إذا خرجت من نطاق الكوكب لن تجد أوكسجين سيختمنق الإنسان، ضيقاً حرجاً كأنما يصعد، ثم قال "حرجاً" بمعنى الضغط، الضغط الكوني مدهل خارج هذا النطاق الأرضي، فأبان عن إعجاز أيضاً. أو قال: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر : 14-15] يُصاب الإنسان بحالة كالسكر، وآيات أخرى كثيرة، فالقرآن مليء بالإعجاز.

هذه الآيات لو جئنا إلى ملحد وسألناه: كيف لرجل في ذلك الزمان، كان الناس يركبون الخيل، وكان في قوم أميين ليسوا من أصحاب الكتب، ليسوا من أصحاب العلوم والمعارف، لم يكونوا أهل بحر كانوا أهل بر كانوا أهل صحراء، لم يكونوا بحارة، ليسوا فايكنغ... كيف عرف هذا النبي ﷺ هذه المعطيات الدقيقة عن البحر؟

## ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾

الأمواج في سورة النور: ﴿مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾ [النور: 40] الأمواج الداخلية هذه موجودة في البحر، كيف رسمها القرآن في آياته؟

الشيخ الدكتور مازن الشريف: هذا رسم واضح، وثمة رسم آخر إشاري ولكنه أيضاً فيه معطيات وأسرار عظيمة. بدايةً، لا أظن أحداً من الناس في زمن النبي ﷺ في أصقاع الأرض حينها كان يعرف بوجود أمواج عميقة في المحيطات، بل العلماء يقولون إنها أعظم من الأمواج الظاهرة التي فوقها، تتشكّل من التيارات المائية الداخلية ولها أدوار، وتكون أمواج عظيمة في حجمها وفي دورها.

فأما عن دورها فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ [التكوير: 15-16]. الخُنَّس، قال ﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾، ما معنى "خَنَّس"؟ أي اختفى واختبأ، لأنّ الخاء والسين إذا وضعت بينهما حرفاً آخر فدائماً يفيد معنى إلغاء قدرة، مثلاً خنس أو خرس، إلغاء قدرة. فالخُنَّس أي أنها غير جلية غير ظاهرة، والشيطان خَنَّاس أي يختفي في الصدور والضمائر يختبئ عن العين البشرية، إما أنه يخنس من الحقد، الحسود والمنافق يخنس الحقد فيه، أي يختفي في صدره، يُسمّى الضغينة.

"الجَوَارِ": أي تجري في عمق البحر، ولكن أضاف "كُنَّس" من كُنَّسَ يَكُنُّسُ، أي أنها تقوم بعملية تنظيف، وقد ثبت بالعلم أنّ الأمواج العميقة في المحيطات تقوم بحركة كنس للمحيط وتنظيف كلي. وفي برنامج وثائقي علمي دقيق تبين أنّ هذه الدورة التي تقوم بها الجوارِ الكُنَّس في المحيط الأطلسي أو المحيط الهادئ تستغرق ألف سنة، تبدأ وتنتهي في ألف عام. انظر: إذا كان مَلَكٌ يُشرف على هذا ويرقبه، مهمة تستغرق ألف سنة!

مَنْ الذي أعطى هذه القدرة للموجة، وأعطاهها هذه الخاصية أن تختفي في عمق المحيط، في أسفله تكنسه من الأسفل وتُنظِّفه، ويكون لها أدوار بيئية وأدوار في الحفاظ على الحياة المائية وأدوار في التخلص من الأشياء؟! طبعاً الإنسان لوّث البحر كثيراً فصارت تعجز هذه الجوارِ الكُنَّس عن نزع كل ما أورد الإنسان وما وضع. ولكن الله سبحانه وتعالى أبان عن: موج من فوقه موج، ولم يكن أحد يعرف بوجود هذا الموج الذي يختفي، ولم يكن أحد يعرف حينها بهذه الظلمة. فهذا دليل على أنّ القرآن كتاب الله وأنّ محمداً رسول الله ﷺ.

## السحاب الثقيل

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 57] كيف يكون السحاب خفيف الشكل ثقيل الوزن؟

الشيخ الدكتور مازن الشريف: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الحي القيوم، القدوس العظيم، الذي أرسل الملك العظيم بالنبأ العظيم إلى نبيه العظيم، وأنزل عليه القرآن العظيم.

الله سبحانه وتعالى في وصفه للسحاب جعل أوصافاً، من بينها: سحاباً ثِقَالاً، ومن بينها ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا﴾ [النور: 43]، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً نَّجَاجًا﴾ [النبأ: 14].

هذه الأوصاف علاقة الريح بالمطر والسحاب، ودور الرياح اللوواح في تشكيل هذه السحابة، وكذا دورها في تنقلها. ولكن الرائي بالعين، عندما تنظر إلى غمامة تراها خفيفة كأنه ريش أو صوف طائر، لم يخطر ببال الناس أن يكون السحاب بذلك الثقل، ولكن القرآن يصف هذا الثقل. وكذلك هذا التأليف ثم الركام، الآن السحب الركامية والسحب الركامية المزنية، تعريف علمي دقيق للسحاب.

العلماء يصنّفون هذه الأشياء، ولكن الأصل في كتاب الله، صحيح نحن كأمة مقصرون ألا نكون أول من يكتشف ذلك ليثبت صحة نبوة النبي من باب الإثبات العقلي للعقول. أما صحة نبوة النبي من باب ما صحّح ربه وأثبت، فذلك ثابت ثابت لا يحتاج إلى جهد بشر بذلك فالله تكفل به. ولكن نحن دورنا "بلغوا عني ولو آية"، أن تثبت للعلماء والعقلاء والبسطاء أنّ هذا الكتاب عظيم وأنّ هذا النبي عظيم وأنه صادق.

السحاب الثقيل أمر عظيم، العلماء اليوم يقولون: يمكن للسحابة العظيمة الواحدة أن تحوي مليون طن من قطرات الماء، انظر هذا الوزن العجيب، كأنه خيال! آخر تحوي آلاف الأطنان... ثم السحب التي تحمل البرد، والبرد أنواع. هذا إعجاز قرآني لا ريب فيه. بل إنّ نظام المطر في هذا العالم من النظم الغربية العجيبة في حكمة الله في ملكوته.

فسبحان الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، القاهر فوق عباده، كيف أنه أبان عن ظلمة البحر، وعن تشكيل الجنين ومراحل خلقه، وعن العوالم، وعن الأرض والقمر والمسارات والفلك والحسبان، والخلق الأول، والسماء وهي دخان، وعن غير ذلك، وعن الرياح ودورها، وعن السحب وحجمها ووزنها، في كتاب نزل على رجل كان يجلس على الأرض مع الناس البسطاء، وكان يقول لرجل ارتعد من مهابته: "لا ترتعد، أنا لستُ بملكٍ ولا جبار، أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد في شعاب مكة"، وقال "ما بعث الله نبياً إلا ورعى الغنم، وقد رعيته على قراريط" هذا المتواضع. هذا الذي كان يناظره في الدين أبو جهل وغيره من الجهلة، وآذاه وأساء إليه كل من لم يحمل الأمانة كما يجب حملها. ونحن كأمة محتاجين إلى مراجعة تصرفنا تجاه هذا النبي العظيم، انظر كيف أن الله سبحانه وتعالى نزل عليه وحياً ونور به لُبّه وقلبه. والحضارة الإسلامية أولى الحضارات بأن ترجع إلى مجدها، لذلك الحضارة الإسلامية قدّمت بنور النبي أكبر العلماء، أعظم الاكتشافات العلمية للحضارة الحالية كانت لعلماء مسلمين وانتهى بالغرب منهم الكثير.

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾

نحكي على إنزال المطر: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ﴾ [المؤمنون: 18]، حكمة الله في إنزال المطر ليست عشوائية، وما معنى "بقدر"؟

الشيخ الدكتور مازن الشريف: أولاً من المصطلحات الأساسية عند الملاحظة خاصة ريتشارد دوكينز في كتابه "وهم الإله"، مصطلح: العشوائية. العشوائية العدمية العشوائية ثلاث مصطلحات مهمة عنده. مثلاً يقول: التطور الجيني تطور عشوائي، هكذا عشوائياً تم اختيار قرد من القردة، تطور جينياً بشكل عشوائي، وصار بعد ذلك بين القرد والإنسان، homo sapien - sapien، ثم إنسان نياندرتال، ثم صار هذا البشري. كل شيء عندهم عشوائي عبثي عدمي، لأنهم هم عشوائيون.

أما الله سبحانه وتعالى فكلّ شيء عنده بقدر، مرّة بقدر ومرّة بحسبان. الحسبان هي الحسابات الرياضية لكل شيء، والقدر هي الموازين الخاصة بكل شيء، قدر محسوب. لكن هنا علم المقادير، من بينها القضاء والقدر، أو ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾، الله سبحانه وتعالى يقول ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾، أو ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ ليس من معنى القدرة إنما من معنى أنه يمسك الأمر، يجعل له حداً

مضبوطاً، هو ضبط إلهي. هذا ضبط رقمي حسابي، ضبط كوني فيزيائي كيميائي، والآخر ضبط في المقادير. فالله سبحانه وتعالى هو الرزاق، ومن معاني أنه يرزق أنه يعطي بحكمة، فهذا يبسطه وهذا يقدره.

لما جاء طوفان نوح غيّر ربنا الناموس، فأمر السماء أن تمطر وتصبّ الماء صبّاً، وأمر الأرض أن تفيض ما فيها وأن تُخرجه، وهذه نظم كونية مودعة يفعلها بعض الملائكة، ولكنه يُسكن هذا الماء في الأرض، لو أفاضه لغرق الناس. ويجمّد آخر منه، والتجميد كان تجميد فجائي، وهناك أدلة كونية وأرضية كثيرة عن هذه التجميدات الفجائية، بعد مثلاً أطلننتس الطوفان العظيم الثاني بعد طوفان نوح، تجميد فجائي، عثروا على ماموث في سيبيريا وقد جُمّد فجأة، وهو يأكل طعاماً فُجّمّد في حلقة وجدوا أنّ هذا الطعام من منطقة استوائية، كانت سيبيريا في المنطقة الاستوائية ثم دُفعت بقوة الماء بقوة الله وتمزّقت القطع الأرضية وتشكّلت قارات جديدة. المهم هذا مُثبت في برنامج اسمه "الأصول الغامضة للإنسان" بُثّ في الولايات المتحدة الأمريكية.

فهذا المقدار المائي هذا التقدير المائي له حكمة عظيمة، تجد بعض الدول مناخها شبه مداري جاف مثلاً أندونيسيا وماليزيا، أنا كنت في ماليزيا وأندونيسيا مراراً تجد أنّ المطر دائماً ينزل والطقس حار، تجد مناطق أخرى المطر فيها موسمي، وتجد مناطق لا يأتي فيها مطر، وتجد مناطق كانت مطيرة ثم الله يمنع عنها المطر. لو كان المطر كما يفسّر الماديون مجرد تبخّر من البحر وطبقات هواء برودة وسخونة والأمر مجرد آلية ميكانيكية طبيعية -نعم فهموا قسماً منها الآن صاروا يفرّقون السحب وصاروا يجمّعونها ويصنعون أسلحة تفتعل العواصف، ولكن هذا ظاهر الناموس - لو كان ذلك صحيحاً، لماذا يأتي القحط في مناطق؟ هذه منطقة بجوار البحر والماء ما زال يتبخّر والشمس ترسل أشعتها والرياح موجودة ولكن لا مطر، ثم يأتي بماء إلى مناطق بعيدة نائية في عمق الصحراء لا بحر بجوارها ولا شيء.

التفسير المادي وحده نعم يفسّر جزءاً من الظواهر، وهي قشرة الوجود، قشرة الوجود قابلة للتفسير الكيميائي والفيزيائي، قشرة الوجود يمكن أن تفسّر هذا نهر وهذا بحر، لكن لبّ الوجود لا يفسّر إلا بالروح. فلا يفسّر العلم المادي البرزخ بين البحرين، ولا يفسّر هذا الثقل العجيب للماء، كيف أنّ قطرات الماء في حَقَّتْها وتفرّقها في السحابة، من الذي يأمرها فتجتمع ثم تنزل وتهطل على نوعيات؟ ثمّة الذي يكون قطراً كبيراً متسارعاً، وثمّة ما يكون خفيفاً مزناً.. فرق بين مزن وودق ومطر:

- المطر ما يكون ثقيلاً سريعاً، لذلك قال ربنا: ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ﴾، كلمة مطر في القرآن دائماً كلمة صعبة.
- والودق ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ هو نوع من المطر، هو المطر الهطول الذي يستمر سيلانه.
- أما المزن ﴿أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾ المزن يعني السحابة، ويعني كذلك الماء الذي يحيي، يكون خفيفاً وفيه الرذاذ وفيه غيره.

فهذا سبحان الله من علم الله سبحانه وتعالى.

### ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ﴾

ومن إعجاز الله في خلقه: الرياح الملقحات ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ [الحجر: 22]. هناك تلقيح في النباتات عن طريق الرياح، داروين درس تكاثر النباتات والتلقيح الطبيعي. ما هو دور الرياح في تلقيح النباتات؟

الشيخ الدكتور مازن الشريف: هنالك قسم من العلم يدرس هذا، واللواقح فسّرت على بابين: باب لواقح السحب، وباب لواقح النبات. فلواقح السحب ذكرناها، أما لواقح النبات فقد ثبت أنّ قسماً كبيراً من النبات يتلاقح بالريح. النبتة المذكورة تُبتل، ثم هذا اللقاح الذي به سوف تونع الثمرة وسوف تُثمر يحملها رسول الريح، القمح والشعير على سبيل المثال أو غيره، مثلاً النخل يُلقح يدوياً في الغالب. فالكثير من نبات هذا العالم يُلقح بالية الريح.

الريح والنحلة كلاهما مُلقحان، النحل ينقل اللقاح ويساهم في اللقاح، ولذلك هنالك أزمة عالمية كبيرة من انقراض النحل وقلة النحل، يهدّد الاقتصاد العالمي، ثمة مشكلة كبيرة، والنحل آية. ومن إعجاز القرآن أنّ الله أوحى إلى النحل، وخصّص له سورة. والنمل خصّص له سورة، والنمل قال: ﴿لَا يَخْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾ [النمل: 18] ثبت أنّ النمل يتكوّن من تشكيل "بلّوري" في تشكيله الجسماني يعطيه قوة رهيبه ترفع أحياناً مئة ضعف من حجمها.

وكذلك عندما ذكر الله سبحانه وتعالى عن النحل أنه أوحى إليه، بيوت النحل وتقسيم مجتمع النحل ومجتمع النمل، هذا التقسيم الإداري والسياسي والعسكري تقسيم مذهل يثبت وجود من أودع آلية مختلفة في النحل والنمل. النمل الذي يدرك طريقه وإن اتسعت المسافة، النمل الذي له ممالك نمل تعيش فيها مليارات، ولو أن الله سبحانه وتعالى أمرها فخرجت لابتلعت هذه البشرية بأكملها بكل ما تملك، ثمّة أنواع نمل خطيرة جداً، نمل أحمر كبير وغيره... وكذلك هذا النحل بصناعته لهذا العسل المعجز المذهل، بطبيعته.

فالرياح لواقح والنحل لواقح، وكل هذا في كتابنا العظيم.

الدرس بتاريخ: 2026-03-25

صلّوا على محمد وعلى آل محمد . اللهم صلّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد .





## محاضرة محبة الحبيب الأعظم في زاوية الأشراف العيساوية

### مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله فاطر **الوجود**، **الحيّ المعبود**، الذي يُكرم على ما يشاء كما يشاء من يشاء **ويجود**، وصلى الله كما صلى الله على حبيبه ونبيّه **المحمود**، إمام هذا **الوجود**، وسيد أهل اليقين والخضوع والخشوع والركوع **والسجود**، وعلى آل بيته أصحاب اللواء **المعقود**، ورضي الله عن أصحابه الوافين **بالعهود**، وسلام على أهل الله الصالحين الأقطاب ذوي الأمداد والأذواق والأشواق من فاضت أدمعهم على **الخدود**، ومن أطالوا الركوع **والسجود**، والذين آنسونا بأنوارهم وشملونا **بأسرارهم**، إذ أقامونا في روضة من **رياضهم**، وأتوا بنا إلى حوض من حياضهم على **لحاظهم**، نتلمّى في جمالهم وكمالهم وصدق **حالهم**.. كيف لا ونحن بجوار وليّ كريم من رجال الله الصالحين من ذرية سيد المرسلين نور الدنيا وزينتها بحبّ رسول الله، وأقام في مرسى الأولياء مجالس العرفان، سيّدي عبد العزيز المهدي العارف بالله والوارث لرسول الله، والذي أخذ سند سرّه من الولي العارف بالله أبو مدين شعيب فأوصله إلى الولي العارف بالله أبي سعيد الباجي، وكان من تلاميذه العارف الكبير محيي الدين ابن عربي، وكان لفيف من أهل الله في هذه البلاد وهذه المدينة وهذه البلدة.

فيزداد النور نوراً إذ نحن في رحاب أبناء العمومة الأشراف ذرية رسول الله، وإذ نكون في ضيافة ولي كنت ضيفاً عليه قرابة العامين، لأنّ للأولياء دلالاً وكمالاً وجمالاً ووصالاً لا يعرفه إلا من ذاقه، ينكره المحجوبون ويعرفه المحبوبون، سيدي بن عيسى الشيخ الكامل فحل الرجال الذي قال "أنا ما قلت أنا، إلا بالمولى **سبحانه**" هؤلاء الذين فنوا في الله وصدقوا العهد مع الله سبحانه وتعالى ونابوا عن حضرة رسول الله.

السادة المشائخ الكرام، سيدي الشيخ جزاه الله خيراً وأسيادنا العلماء، وأنا في حضرة سيدي عبد العزيز بن سالم العالم، ولولا الحال والسكر ما تكلمت. وكلّ أحببنا وتلاميذنا الذين قدم بعضهم من ألمانيا وآخرون من الجزائر ومن المغرب وبعضهم من آفاق هذه البلاد، وكلّ هؤلاء المحبّين، ومن حضر من أهل الحضرة أكثر ممّن حضر من أهل الحضور، لأنّ هذه المجالس مشهودة، فكلّ مجلس فيه ذكر لله والصلاة على حبيبنا رسول الله يحضر إليها الصالحون وتحفّ بها الملائكة.

وهذا الدين دين أمداد ودين أسرار، لذلك لما جهله الذين جهلوا سرّ الدين، فقرأوا القرآن لم يجاوز تراقيهم ومرقوا عن الدين كما يمرق السهم عن الرميّة، رموا حرابهم وأجروا كلابهم على مقامات أهل الله هدماً وردماً وتكفيراً وتشكيكاً وتبديعاً، ولكن إفريقية العامرة بالخير أرض الزيتونة المباركة التي باركها الله سبحانه وتعالى بقدم الصحابة إليها وقدم الحسنين إليها وقدم البدرين إليها، فأبقى الله لنا عقب المقام عند سيدي أبو لبابة وسيدي أبي زمعة، وكلّ جعل معه في قبره على صدره من شعرات رسول الله تبرّكاً، فأعطوا الأمة السند في التبرّك بحضرته الشريفة. وجاءها العارفون والصالحون، وظهرت منها أنوار الزيتونة من سيدي علي بن زياد وسيدي أسد ابن الفرات وسيدي الإمام سحنون، إلى أن يمضي الزمان إلى ابن أبي زيد القيرواني وسيدي محرز ابن خلف وسيدي أبي إسحاق الجبنياني، إلى أن يمضي إلى سيدي ابن عرفة ويمضي إلى سيدي إبراهيم الرياحي والشيخ سالم بوحاجب والشيخ الزغواني، ومن عرفنا من بقيّتهم سيدي الشيخ محمد جبير والشيخ محمد الكامل سعادة والشيخ قدور الريفي والشيخ محمد مشفر وهؤلاء.. لذلك نقول لكل غلام لم يفهم الدين وأتى يريد هدم هذه البلاد، قلنا له منذ 2012 في جامع وقد طغوا وبغوا لقد قال سيدي أحمد ابن عروس:

"إذا ما جبّار طغى \*\* وصار بطغيانه يُسرفُ"

أرسله الله إلى تونس \*\* فكلّ جبّار بها يُخسفُ"

المرء مع من أحب

بالصلاة والسلام على سيّدنا محمّد، وبغذب الكلام عن سيّدنا محمّد، وبترويح الأنوار بنور سيّدنا محمّد، وبسرّ التملّي ونور التجلّي وحال التخليّ في حضرة سيّدنا محمّد. بمدحه الذي به يتقدّم المدّاحون، وبنوره الذي به يُختار الصالحون، وبهديه الذي به أفلح المفلحون، وبالتجارة في سرّه ونوره ومدده الذي به ربح

الرابحون، سيّدنا محمّد قلنا في حضرته العظيمة ونحن نزوره للمرّة الأولى، أوّل ما شملتنا النظرة والضمّة، إذ يلتقي الفرع بالأصول، وإذ يزور الغصن شجرة الأصل، وإذ يعطي الله من نور ذلك الوصل:

الموت فيك سعادةٌ لا توصفُ \*\* يا مَنْ بحُسنه قد تشبّه يوسفُ

والروح عند رحابكم يسمو بها \*\* حالٌ عجيبٌ هادرٌ لا يوقفُ

وأنا الذي يشتاق حُضنك مذ وعى \*\* طفلاً صغيراً عند بابك يُدنفُ

سيّدنا رسول الله الذي قلنا في حضرته أيضاً:

أنت الضياء فلا شمسٌ ولا قمرٌ \*\* ولنور وجهك طابَ العشقُ والنظرُ

حتى الملائك أدناهم وأقربهم \*\* كنتَ الإمامَ وأنتَ المرسلُ البشرُ

يا أكرمَ الخلق يا أعلاه منزلةً \*\* أجلى الحقائق أن في هديك الظفرُ

مذ أن صعدت إلى الرحمن في كنفٍ \*\* يشتاق خطوك حتى الرمل والحجرُ

فأسمعونا الصلاة على الحبيب "اللهم صلّ على الحبيب عنبر ومسك وطيب صلاة بها كلّ أمر يطيب وظننا بالله لا يخيب"، هذه وجدتها في قلبي نابثة وأنا في رحابه الشريفة. وما زلنا نلثم الأعتاب ونقف بالأبواب، حتى أزاح الحجاب، وأعطى وأنا، وأجزل الثواب، وأمن من شديد العقاب، وشفع لنا فلم يطلنا ذلك العذاب، بعد أن أذنبت نفوسنا، وامتلأت بالوهم رؤوسنا، وعُيبت بخمر الدنيا كوؤوسنا، أسقانا من عنده خمرا، وأطعمنا تمرا، وأورثنا جمرا، وعلمنا الأمر، فصدقنا له ومعه العهد العُمَر.

ونحن بعون الله صادقون واثقون أننا برسول الله ناجون، لأنّ النجاة على عظيم مقدار شأنه عند ربّه وليست على حقير شأن أنفسنا. ونحن الفقراء الحقرء الذين لم نقدّم بضاعة كما قدّم الأوّلون، ولا أعطانا الله من طاقة صبرهم في قيامهم وصيامهم، وصدق كلامهم، واقتدائهم بإمامهم، ولكننا عشاق، والعاشق يُعطي على قدر ما في قلبه. و"المرء مع من أحبّ" هذه البشرية التي بشرنا بها رسول الله عندما بشر سيّدنا ثوبان الذي أنحله الغرام، وأفناه الهيام، ولم ينم وقد اشتدّ من حوله الظلام، فقال "يا رسول الله فكّرت إن أدخلني الله النار كيف لا أراك؟ وإن أدخلني الله الجنّة أين مقامي من مقامك فلا أراك؟ فماذا أفعل

بجنته لا أراك فيها؟" قال: "يا ثوبان المرء مع من أحب"، حتى قال في شأن سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه: "سلمان ممّا أهل البيت".

### سيدنا محمد في العالم الروحي

أحبي الكرام، إنّ قوماً من اللئام قالوا أنّ الناس يغالون في حبّ رسول الله، أنّ الإمام البوصيري -الذي تنعمتُ بزيارة ضريحه الشريف بجوار سيدي المرسي أبو العباس- قد بالغ وعالى. وهذا الكلام إنما يقوله الذين حُرّموا والمحروم لا أقول ليس له ذنب ولكنه في مقام السلب، لن يستطيع أن يعرف ويعرف ويفهم طالما الله يحول بينه وبين قلبه.

ولكن نقول استئناساً أنّ الله سبحانه وتعالى عندما خلق الوجود جعل له **سَيِّداً**، عندما اختار الأنبياء جعل لهم **قائداً**، عندما فطر الخلق **جَبَلٍ** لهم **إماماً**، وعندما أوجد هذا الوجود أسبقه بوجود روعي معنوي سابق، فجعل أول المسلمين الذي قال عن ذاته الشريفة "**كنت نبياً وآدم منجدلٌ بين الماء والطين**". الله سبحانه وتعالى عندما خلق هذا الخلق جعل بلا ريب سيدنا محمد سيِّداً، بلا ريب، البعض ينكر علينا أن نسيّد النبي! ولا يخالج مؤمناً صادقاً، ولا يمكن لو جلست في حضرة نبيّ أو وليّ أو ملك مُرسَل إلا أن تسمع أنّ سيدنا رسول الله أشرف الخلق عند الله، كَمَل الله روحه في الأرواح، وجسمه في طينة الأشباح، جعله أول المسلمين، وسيّد النبيين، وإمام المتقين، وباب الصلاح لمجمع الصالحين، وجعله الباب المفرد الذي به يدخل العارفون إلى حضرة ربّ العالمين.

الله سبحانه وتعالى لم يترك الأمر مشاعاً، إنما جعل أبواباً ونُظماً ووسائل من عنده ووسائل إليه، هذه الوسائل التي علّم نبيّنا أمته من حاله ومقاله كيف يتوسّلون، فكان يقول كلّما خرج من حجرته الشريفة إلى منبره الشريف: "**اللهم بممشاي إليك وبالسائلين عليك**". إذا كان النبي أعظم السائلين على الله يتوسّل بمن هم دونه، ألا نتوسّل نحن به وهو سيّد الخلق أجمعين؟

إنّ سيدنا رسول الله عندما أراد الله أن يُظهره في طينة الأجسام، اصطفى في كلّ زمن أفضل الناس ليكونوا آباءه، "**ما زال يتقلّب** -كما قال عن ذاته- **في الأصلاب المطهّرة والأرحام المطهّرة**"، وقال "**أنا خيار من خيار من خيار**". فما زال الله يختار آباءه في الصلب الترابي، من سيدنا آدم إلى سيدنا شيث إلى سيدنا نوح إلى سيدنا إبراهيم إلى سيدنا إسماعيل، إلى أسيادنا الأوصياء آبائه وأجداده، إلى جدّه هاشم إلى جدّه عبد

المطلب، إلى أبويه النيرين الكريمين الذين شُرفا أن يحملوا هذا النور العظيم. يقول قائل ظالم لنفسه إنَّ أبوي النبي في النار ويدّعي أيضاً أنَّ والديه هو في الجنّة، وكأنّما يريد أن يبنى بخبث في شيطانه أنَّ والديه خير من والدي النبي، والحبيب الأعظم قال لأصحابه "أبي خير من آبائكم وأمي خير من أمهاتكم".

شُرفت شجرة وقف تحتها، شُرفت شمس مشى تحتها، شُرفت غيمة أظلتها، شُرفت أرض أفلتته، شُرفت قلب وعى من نوره، شُرفت أذن صحابي سمعت هديه، شُرفت يد عاهدته وبايعته، شُرفت شجرة الرضوان إذ كانت فيها بيعة الرضوان، فكيف لا تُشرف من حملته في بطنها؟ وكيف لا يُشرف من حمل صلب طينته في صلبه؟ وكيف لا يُشرف من كفله والله قال له ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾؟ فالمأوى من الله في الله بالله عند الله وعلى الله ومن الله، فذلك سيدنا رسول الله.

عندما ينظر العارفون بالله إلى حضرة المصطفى روحاً، ولو شاء ربه لتكلم منبئاً عن عظيم قدره كما تكلم سيدنا عيسى، ذلك كما بيّنا في كتابنا "إشراقات" فقلنا: "كلّ معجزة لنبيّ وكلّ كرامة لوليّ هي لرسول الله أُسندت لغيره". فبه استجار إبراهيم من النار، وبه نجا صاحب السفينة إذ كان في تلك السفينة، وبه وبآله عُفر لسيدنا آدم إذ تلقى الكلمات لما قرأها في اللوح المحفوظ وفي الركن المعمور وفي البيت المعمور. سيدنا محمد عندما جاءت هذه الروح العظيمة إلى هذا الصلب الطاهر المنور والعبدة التقيّة القانّنة الصالحة أمنا آمنة التي فينا ضامنة، كيف حوت هذه القطرة الطينية هذا المحيط النوراني الرباني؟

يقول العارفون بالله عن الإسراء والمعراج: ما وقف رسول الله بجوار سماء إلا وكان أعظم منها. هذا الذي لمّا أن أمر سيدنا موسى أن يخلع نعليه بالوادي المقدّس طوى لم يؤمر بخلع نعليه عند سدرة المنتهى، هذا الذي شُرف نعله وشُرف أصله، وشُرف حسبه وشُرفت ذاته، وكُملت صفاته، وكانت في الله حياته، وصدقت مناجاته، وفاضت دموعه، وطال سجوده وركوعه، واستيقن لله رجوعه فكان إلى الله رجوعه، وطال قيامه وصيامه وجوعه، وتسليمه وخضوعه، ويقينه وخشوعه، سيدنا محمد..

### سيدنا محمد في العالم الدنيوي

عندما احتوت هذه الصدفّة الطاهرة المطهّرة، هذه المضغّة التي نور الله ما فيها، فشكّل عظمها ولحمها، وأنفخ فيها وأسرى فيها وأجرى فيها ما لم يجر على مخلوق قبله، وما لم يكن في جنين من قبله، وما لم تحمل بطن أمّ كما حملت بطن أمّه. فلمّا أن كان قبل الخمسين يوم من ولادته الشريفة، حرّك الشيطان

**خيفة**، بجيوش **مخيفة**، وحشود **عنيفة**، تمضي لا تريد هدم البيت بل تريد أن تقتله **خيفة**... فحرّك الله من جيشه من **أراد**، وحرّك الله من سرّ الحبيب في بطن أمّه ما **أراد**، فأفناهم **كالجراد**، وأذاقهم ما أذاق من قبل ثمود **وعاد**، وفرعون ذي **الأوتاد**، الذين طغوا في **البلاد**، فأكثرُوا فيها **الفساد**، فصبّ عليهم ربّنا صوت **عذاب**، إن ربّنا **لبالمرصاد**.

وكان من كلام عمّه العباس له يناجيه في المدينة "أتعلم كيف آمنت بك؟ كنت رضيعاً تناغي القمر حيثما **أشرت إليه وقف**" لأنّ ذلك الرضيع سيّد الخلق جميعاً.

ولمّا أن نما وسما وفي حضن أمّه ارتمي، حنت السماء هامها، وتوسّلت الأرض إلى ربّها، كلّ بقعة في الأرض أرادت من بركة لمستته الشريفة، إنّ كلّ نقطة لمستها يده أو سعت عليها قدمه أو طالتها نظرته مباركة مقدّسة. أياكون الوادي المقدّس طوى أقدم من سيّد الخلق أجمعين؟

فلمّا كبر كان قد ذاق من مرارة اليُتم، ولي في ذلك تأويل لا أحاسب عليه، فأنا إن أقمتني في مقام السكر فهو سكر، وإن أقمته في مقام الذكر فهو ذكر، وإن أقمته في مقام الفكر فهو فكر، لأنّنا نحن في مقامات أربعة:

1. فكر: انكسار فائه دليل انكسار عقل المتدبّر في عظمة مولاه
2. وذكّر: انكسار ذاله دليل انكسار قلب الذاكر في عشق من اختاره واجتبه
3. وشكر: النقاط الثلاث على السين حضور عقل وروح وقلب في حمد الله
4. وسكر: نزع العقل والقلب والروح فيفنى في مولاه

فنحن في هذه المقامات نطوف، ذكرنا فكر وفكرنا شكر وشكرنا سكر وسكرنا ذكر، وهكذا أحوالنا.. وهذه نرثها صدرّاً عن صدر ولا تُلقَى سطرّاً إلى سطر، فقد أخذتها عن أبي عن أبيه إلى جدي عبد السلام الأسمر إلى جدّي إدريس الأزهر إلى جدّي إدريس الأكبر إلى جدّي عبد الله الكامل إلى جدّي الحسن المثنى وأمي فاطمة النبوية إلى أبويّ الحسنين إلى أبي عليّ وأمي فاطمة إلى جدّي رسول الله... حتى قلت مرّة لدعيّ تهجّم في مسجد:

**بسطتُ حرف المنجلي \*\* في كفّ روح المخملي**

**وقلت يا نفحات جدّي \*\* بجاه أحمدك اقبلي**

أنا ابن خير الخيِّرين \*\* ابن التقيِّ الأوَّل

أنا ابن فاطمة البتول \*\* أنا ابن حيدرة الوليِّ

أنا حفيد السيِّدين \*\* وحُقَّ هذا الفخر لي

والخضر علّمني العلوم \*\* وكلَّ سرَّ منجلي

أضياء نور الحبِّ أدنى \*\* وقيل زهراء اقبلي

فلتسألني الرحمن يعطي \*\* ربُّ حباك تدلّلي

قالت لأبناي/العشّاقى الجنان \*\* فقل فردوس اقبلي

وقيل يا رحمات سيري \*\* بجاه فاطمة انزلي

حبيبنا رسول الله، عندما حمل النور أباه لم يطق بعد أن أرسل السر إلى سيدتنا آمنة أياماً حتى انتقل إلى ربّه شهيداً في حبّ ولده، ولم تطق أمنا آمنة إلا سنيماً قليلة من عظيم النور الذي استودع فيها حتى مضت إلى مولاها، وحمله جدّه عبد المطلب وقال "وأبيض يستسقى الغمام بوجهه" لما قالها أبو طالب يستحضر ذلك المشهد قال له "يا بني إنّ ولدي هذا هو النبي المنتظر الذي حدّثنا عنه جدنا إسماعيل" لما أخبر سيدنا إسماعيل أنّ العام الذي يرد فيه فيل أعور العين أشرم الخرطوم مكسور الناب يولد فيه ذلك النبي المنتظر. فلما علم بصاحب الفيل، أوّل ما فعل: مضى ينظر في الفيل، فلما رآه عرفه، مكر مكرّاً بذاك الدعيّ وقال "أنا ربّ الإبل والتّوق، وللبيت ربّ يحميه".

سيدنا محمد المحبوب المخطوب

لما كبر الفتى وصار فتياً ناظراً قوياً نظيراً بهياً كان سيّد شباب مكّة، وكان من الصالحين المحبوبين المخطوبين لأنّ الحضرة بأجمعها خطبته. الحضرة يا أحبابي تُخطب وتُخطب، الناس يخطبونها بصلواتهم وابتهالاتهم وصيامهم وقيامهم، والحضرة تخطب من أرادت ويكون على أيّ حال أراد له الله أن يكون عليه. لذلك قلنا أيضاً "إنّ الحضرة كما تُخطب تُخطب، وما كلّ من خطبها نالها وكلّ من خطبته

نالت، ذلك أنه ليس الخاطب كالمخطوب، ولا الطالب كالمطلوب، ولا الراغب كالمرغوب، ولا المحبّ كالمحسوب، ولا القاصد كالمقصود، ولا الراصد كالمرصود، ولا المراد كالمريد". هذا له كلام يوافقه عند سيدي ابن عطاء الله السكندري عندما يقول "ليست القضية أن تكون محباً بل أن تكون محبوباً" مقام المحبوبين.

سيدنا بشر الحافي أمضى أربعين عاماً يعبّ من بنت العنب، ولم يسيء الأدب، ورجع يوماً يترّجّح في سكره ويغّي -محبوبي الله سبحانه وتعالى يأتي بهم كيفما كانوا، المحبوب محبوب، أنت تحبّ إنساناً، المحبوب كيفما كان حاله فهو محبوب، قد تغضب منه قد تجافيه لكنّه محبوب. وهذا الحبّ منزل عليك من ربّ العالمين لا تستطيع أن تفكّ نفسك منه، الحبّ سلطان- فهذا المحبوب المخطوب وجد في ماء آسن ورقة مرمية (ألفتها العناية الإلهية أمامه)، فأقامها فوجد فيها "بسم الله الرحمن الرحيم"، قال: بسم الله الرحمن الرحيم في الطين؟ فعكف ليله ينفخ فيها فجفّفها فوضعها على الجدار فابتسم فنام فجاءه ملك فقال "يا بشر رفعت مقامنا فرفعنا مقامك"، فأصبح في يومه ولياً من أولياء الله عارفاً بالله. نظرة، يأتي الأعرابي لا يعرف من الدنيا شيء، بنظرة من سيدنا محمّد يصبح من العارفين، بلمسة من يده الشريفة يصبح من العارفين.

الحضرة الإلهية عندما تُسمعكم كلام مخطوب من مخطوبها فقد خطبتكم، وعندما تُجلسكم في حضرة مخطوبها فقد خطبتكم، وعندما تأتي بكم بجوار وليّ من مخطوبها فقد خطبتكم. والحضرة في مولد رسول الله تخطب أحبّاءها جميعاً وتُرسل بطاقة الدعوة إلى القلوب أن احتفلوا بالمحسوب، كنزنا الموهوب، باب تحقيق كلّ مرغوب وكلّ مطلوب، الذي اسمه بالشرف في شجرة العزة ولوح العزة مكتوب، فتأتي الرياح بذاك الهبوب، بشرى من ربّها إلى كلّ قلب محبّ، فترقص أغصانه ويضطرب كيانه ويهيم وجدانه، وترى على وجهه السرور وفي حاله الحبور، ويسعى منه فيه إليه عليه حوله النور. أمّا المحجوبون فيكونون على حال دعيّ شقيّ كان أتعس أيام حياته يوم وُلد رسول الله، إبليس الملعون، فأرسل إلى قلوبهم شيئاً من قلبه، فتراهم قبل المولد وقد جحظت عيونهم واسودّت وجوههم وقالوا "بدعة، شرك". وكلّ طعام نُعدّه فرحاً بالحبيب لا يحبّونه، بل لا يأكلونه، بل لو قيّدت أحدهم برباط وجلدته وأطعمته في فمه لا يستطيع أن يدخله في جوفه، لأنّ الحضرة تأتي عليه ذلك ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾، ختم من الله.

## يا سعدنا برسول الله

فيا حَظَّنَا برسول الله ويا سعدنا برسول الله ويا فرحنا برسول الله، سل عنه من رآه في الرؤيا أو سل عنه من رآه في الكشف أو سل عنه من أرسل إليه من عنده هدية. إنّ حضرة سيّد الوجود حاضر ناظر ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّنِي فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾، ما مسّ الموت إلا انفصال روحه عن جسمه. وإذا كان طعام العزيز قد حُفِظ فلم يتسنّه، فكيف بسيدّ العزيز وكلّ نبيّ لله أن يتسنّه جسمه؟ وإذا كانت أرواح الشهداء تخاطب الذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ويبشّرونهم، فكيف بروح سيّد الشهداء ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾؟

واعلموا أحبّتي أنّ كلّ عمل من أعمالنا وأعمالكم بين الرضى والقبول إلا الصلاة على الرسول. هي صلاة ابتدأها الله بذاته، وثبّت بها على من تجلّى عليهم بعظيم صفاته، وجعلهم سادة مخلوقاته وحملة آياته ومبدي معجزاته وأشراف كائناته، ملائكته أصحاب الأنس بذاته، ثمّ أرسل إلينا بطاقة الدعوة -تخصّ المؤمنين لا المسلمين، الذين آمنوا واطمأنّت قلوبهم ورضي محبوبهم وحُقق مطلوبهم وخُطبوا من الحضرة- أن يصلّوا عليه ويسلموا تسليماً، لم يقل "سلاماً"، في آية أخرى ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ أي صلّوا عليه وسلّموا له الأمر تسليماً، وسلّموا له قلوبكم تسليماً، وسلّموا له أعمالكم تسليماً.

هذه قلتها وأنا عند سيدي أحمد البدوي أشرب من خمر سيدي العطار، هذا كلام سكر من أباه فذاك شأنه، قلت: "نظرت في حسناتي فلم أر إلا إحسانه عليّ فلا حسنات لديّ"، نظرت في حال من الجلال والجمال فوجدت أنّ كلّ هذه الحسنات إنما هي من نور الله سبحانه وتعالى الساري إلينا عبر رسول الله، لا يسري نور إليك مباشرة، من أنت؟ جبل فدك! إنما يسري إليك بواسطة سيدنا محمّد.

ما الذي أهلك إبليس؟ رفض واسطة سيدنا آدم، قال: يا ربّ لا أسجد إلا لك، قال اسجد لآدم، قال: لا هذا شرك شيخ الإسلام لم يقل هذا (لعلّه قال ذلك). فالله سبحانه وتعالى طرده بنقطة حسد حلّت في قلبه أخرجته من حاء الرحيم إلى جيم الرجيم، وحلّت على عين العطاء المفتوحة فصارت غيناً وكُسرت الفتحة فصار الغطاء، وأخرج من حضرة النور التي غاص ما فيها إلى حضرة الزور وصار مطروداً من رحمة ربّ العالمين. وكذلك من اتّبعوا منهجه، من رفضوا الوسيلة المحمدية والجاه المحمدي والمقام المحمدي والنور المحمدي والوسيلة التي والله لا يدخل نبيّ ولا صفيّ ولا ملك مقرّب نجّي على الله إلا بها.

ربنا عندما خلقنا، خلقنا جميعاً لنخدمه، وخلق سيدنا محمد ليخدم، أهدى النبي إلى ذاته، فصلّى عليه صلاة تليق بمقام الربوبية ومقام المحمدية.

### بين أحمد ومحمد

حتى في سرّ اسم سيدنا محمد أنوار وأسرار، دعوني أحدثكم عن بعضها وأحدثكم عن كلام يخصّ كتباً سرقتها من أهل الله، وما كان لهم أن يقيموا مجلساً في الظهور حتى يعلنوا أنني فعلت ذلك، فتبقى بيني وبينهم إلى يوم القيامة، وما سرقوا إنما فتحوا رحلهم وغضّوا بصرهم وأتوا بأمرهم وسقوا من خمرهم حتى فاض الله وأفاض كما أراد.

نأتي بالألف التي في "أحمد"، هذا كتاب من كتبي اسمه "المعاني اللطيفية للحروف والكلمات" ألفته منذ عشرين عاماً. ويحلّ بينكم ربيع الإدريسي أول وأفضل تلاميذي وعدد آخرون منهم، وهم في العالم كلّ. وهذا الكتاب قلت في مستهلّه في معنى "أحد":

- الألف: استواء، ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾: تجلّى بسرّه
- والحاء: احتواء، أحاط بكلّ شيء
- والذال: ديمومة، هو الدائم

أتى بهذا الاسم العظيم "أحد"، فأتى بميم تعني المنزلة، تعني ماء الحياة ﴿كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾، تعني المكانة، تعني المحبّة، تعني كلّ المعاني العظيمة، أقامها بين ألف استوائه وحاء احتوائه وذال ديمومته فكانت أحمد. فكان أحمد أول روح خلقها الأحد وأول مخلوق حمّد ربّه الأحد، وأول مخلوق حمّد ربّه وحمّد ربّه، وجعله أفعال الحمد الذي يحمد ويحمّد، كلّ ذراته كلّ ما فيه حامد لله، وكلّ ما فيه محمود من الله.

فلما أن دنا الزمان وآن الأوان..

هذه الألف مضت إلى الصدفّة المطهّرة عند السيدة آمنة فصارت ميماً: ميم منزلته، مولده، موعده، مبعثه... ميم تحمل من سرّه القديم.

ثم أتى بحاء تحمل الأعلى إلى أدنى: المعجزات من السماوات إلى أرض البشر والمخلوقات.

ثم أتى بميمين فقرنهما وضمّهما كما ضمّ الحبيب في الغار ثلاثاً كمالاً وجمالاً ودلالاً، وما كان للحبيب أن يُدعى إلا بالضمّ، فكانت الميمان: مكّة والمدينة، مسرى ومعراج، محيا وممات. وجعل على الميمين شدة، وجعل في الشدة شدة، وجعل على الشدة فتحة، وجعل في الفتحة فتحاً مبيناً ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾.

وجعل في الدال الأخيرة دوام سرّه، وجعل دال المدّ عكس "آدم" (دم / مد)، فجعل مدّ سرّ آدم ودمه فيه، "محمد"، دال ديمومة سرّه ونفاذ أمره.

فهذه هديّة من خزائن أهل الله التي لا تُبلغ بالسطور بل توهب للصدر، فالحمد لله الذي شرفنا بسيد الكائنات.

فليتقدّم المدّاحون

قلت مرّة:

لي في المدينة حبّ قد شُغفت به \*\* عن غير حبّه أهل الله قد فُطموا

حبّ من الله نور قد حباه لهم (قد حباه لكم) \*\* سبحانه الله منه الجود والكرم

الواقفون بباب الحبّ ما خسروا \*\* مستمسكون بحبل الله واعتصموا

يا أيها الحب يا نبراس شرعتنا \*\* فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

إنّ الحبيب لخير الخلق كلّهم \*\* تحت المقام جميع الخلق كلّهم

إنّ الحبيب لنور صيغ في بشر \*\* لولاه ما انهزمت في جورها الظلم

مولاي صلّ وسلّم دائماً أبداً \*\* على الحبيب وثغر الكون يبتسم

قم زين الدنيا بنور محمد

رأى أحد أحببنا من الصالحين رؤيا في المنام، فرأى سيدنا محمد ومعه العلماء والمدّاحون فأذّن للصلاة فقال: فليتقدّم المدّاحون (بشرى لكم)، قال فليتقدّم المدّاحون، فارتجلت حينها:

**صُدّ الظنون وخلّها يا صاح \*\* واظرب لشدو البلبل الصّدّاح**

**دع عنك قول المرجفين وما ادّعوا \*\* وامدح فإنّ الفوز للمدّاح**

سيدنا محمد الشاب

لذلك يا أحبّي في الله، يا أيّها الأحباب المتحابّون في نور الله وسرّ الله وحببنا رسول الله، عندما كان رسول الله شاباً كان أجمل الشباب وأكملهم أخلاقاً، وكان يعرف ربّه، وكان يعرف أنّ فيه من نور ربّه أمراً، وكان يدرك أنّ له عند ربّه سرّاً، وكان أباه يحدّثونه، وكانت الملائكة تناجي منامه، وكان الناس يعشقون كلامه، ويتمتّون إلتفاته وسلامه. فلما قامت أمور في مكّة وأرادت أن تنهدم جدرانها، أتى بسرّه فأقامه، فرفع الحجر في عام أرادوا أن يختلفوا فيه على ذلك فقالوا "قد أتى الأمين".

ثمّ صعد إلى الغار يتحنّث، وكان عليّ يصعد إليه وينزل، يسمو في أمور سوف يعلو بها بعد ذلك، حتى يُصعده رسول الله على كتفيه يوم الفتح ويقول: "يا عليّ اصعد على كتفي لتهدم الأصنام"، فيقول حضرة سيدنا عليّ: "والله لو أردت حينها أن أمسك النجوم بيديّ لأمسكتها".

ولمّا دنا الزمان زوجه الله بطاهرة مطهّرة، جنّة بهيجة، حسن الله لها النتيجة، ووقاها الأمور المريجة، وسمّاها خديجة، الحباية التي كانت نور الاستجابة، والتي أحبّت سيّدنا محمّد وفنت في عشقه وفنت في حبّه، وقدمت كلّ نفيس عندها، فكانت كنوز الدنيا لا تساوي حفنة من تراب أمام نظرة من نظراته الشريفة إليها. فأنجبت له البنين، وأنجبت له زهراء يفاخر بها في العالمين، حتى رفع يدها بعد حين، وقال "من عرفها فقد عرفها هذه فاطمة بنت محمّد" "إنّ الله يرضى لرضاك ويغضب لغضبك"، فأنجبت له حسنين أنورين أكملين. وأحاطه الله بخير الناس، أهله وأصحابه، الذين أحبّوه والذين أيّدوه والذين مضوا معه في الدرب العسير، وصدقوا في المسير، وضحووا بالكثير، وعرفوا قدره الكبير.

سيدنا محمّد، يجب أن نسيّد من سيّد الله، وأن نعزّ من أعزّ الله، وأن نحبّ من أحبّ الله. جعل الله في مجرّد اتباعه حبّاً ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، فكيف إذا أحببناه؟ لأنّ الذي يتّبع قد يتّبع اضطراراً وقد يتّبع

طمعاً وقد يتبع خوفاً. قد يتبعه لأنه رأى الناس يتبعونه، وقد يتبعه خوفاً من نار جهنم لأنه يعلم أنّ الوافي من نار جهنم سيدنا محمد، وقد يتبعه طمعاً في حور الجنّة وخبور الجنّة وجمال الجنّة، لأنه يعرف أنّ مفتاح الجنّة سيدنا محمد. ولكن الذي يحبّه لا يبالي بنار ولا بجنّة، لأنّ حبّه جنّة، لأنه ما في جمال الحور نفحة من جمال نظرة من عينيه إليك، وابتسامه منه لك، وضمة وشمة، وأن يقول "أهلاً بحبيبي"، وأن ترى كلّ الجنّة تغدو محاقاً أمام عظيم جماله، وأن ترى كلّ النار تغدو رماداً أمام عظيم جلاله، وأن ترى كلّ غاية ومُنَى في أن تراه وأن تلقاه.

### قصة زيارتي الأولى للحبيب

والله قد شهد الله، أيّ لَمّا زرت مولاي وحبيبي رسول الله، وكنت قد رأيته في رؤياي وعمري عشرون عاماً، ليلة القدر من رمضان بعد أن قمت قياماً طويلاً، وبتُّ باكياً علياً، وقدمت عملاً هزياً، وقدمت سعياً قليلاً، ولم أشف لي غليلاً، وصبرت صبراً جميلاً، وقيل عني وقيل، ولم أجد مقياً، وكنت بالعشق قتيلاً، وكنت في حبهم هابلاً، رأيته فقلت: "يا مولاي متى أزورك؟" قال: "تبلى الأربعين وتنجب ولدًا، أنا آتي بك". طفت العالم ولم أتجزأ أن أمضي يوماً قبل الأربعين عاماً، وكنت أبكي وأقول للزائرين:

سَلِّمْ عليه إذا أتيت رحابه \* \* واذكر محباً قد دعا فأجابه

يا سائلاً يطوي المدى بسؤاله \* \* إني محبٌ للحبيب وآله

لولا مني الثقلان في محض الهوى \* \* فالحب منتصر على عدّاله

تالله هل في القلب غير محمد \* \* أم هل هفت روجي لغير جماله

سميت بالله ربّ البرية وغافر السيّة

وصلت على الهاشمي بورقية

سمّيت بالله أمره كتب وشرعه وجب

وصلّيت عالمصطفى في العرب

المبعوث بالخير والليّ انوجّب

بحُجّة قويّة ورحمة من الله غيمة سخية

سمّيت بالله من بعد حزني يخفاف رزني

وصلّيت عليّ مزانه في مزني

مازن وزنت الموازن بوزني

وتنطاع ليّا من نسل بو فاطمة الهاشمية

قبل عيد ميلادي بأيام قليلة كنت عند مولاي معين الدين الجشتي في الهند اعتكفت عنده شهراً، وهو وليّ حسيني أتى المدينة المنورة، وكانت أمّه عمّة سيدي عبد القادر الجيلاني، فأتاه حضرة المصطفى وقال: "امضِ إلى الهند يا معين الدين فانشر الإسلام". مضى لا يملك جيشاً إلى مدينة اسمها أجمير يحكمها ظالم كبير، فلما أراد أن يتوضّأ وكان معه خليفته قطب الدين بختيار الكعكي الحسيني وقد أقامه خليفة له بجوار سيدي عبد القادر بحضور الشيخ السهروردي، ولما وصل -وكان معه عشرة سمّاهم عبد الله (وجدهم يعكفون على صنم، فأراهم آية من آيات الله فأسلموا، فسّمى كلّ واحد منهم عبد الله)- يتوضّأ على نهر هنالك مقدّس عندهم فمنعه الحرس من أن يتوضّأ فيه، فأتوا في الغد فلم يجدوا في النهر ماء، فأتى إليه ذلك الحاكم يتوسّل، فقال "يا قطب الدين أعد إليهم ماءهم"، فأخذ ركوة الماء فسكبها فرجع النهر نهراً. فأتى الحاكم بساحر كبير من السحرة، فألقى الساحر حبلاً في السماء فركب به إلى السحاب، فنزع سيدي معين الدين بلغته فأرسلها فضيرته حتى أنزلته الأرض. ولما أن توفي أسلم على يده عشرة ملايين هندوسي وكتب على جبينه بحضور ثلاثمائة عالم "هذا حبيب الله مات في حبّ الله".

لما كنت عند ذلك المحبوب خطبتي الحضرة، فكنت في الأربعين وعندي عليّ، ويولد حمزة ولدي وأنا عند سيدنا حمزة، كنت عند حضرة الحبيب. العبرة ماذا قلت حينها لما وقفت عند الحضرة الشريفة؟ بعض المحرومين يقول: "قمت بعمره تامّة الحمد لله، تمّيت العمرة ولم أزر الوثن"، حبيبي أنت محروم،

أنت حجر طاف بحجر قبّل حجر صعد حجر، رجع بقليل من الحجر وسبحة حجر وحال حجر وصفّق عليه الحجر. نحن نور نسعى بالنور نمضي إلى النور نمضي إلى قبلة العشاق، إذا كانت الكعبة قبلة الأعناق فمحمّد قبلة العشاق. لمّا وقفت بجوار ضريحه الشريف قلت:

"يا سيدي يا رسول الله

إن أدخلني الله الجنّة برحمته وشفاعته

فلا أريد إلا أن أكون لك جاراً

فإنّ جنّة لا أراك فيها جحيم شوق لا يُطاق..

وإن أخذ فعدل فكانت الأخرى

فاطلع عليّ فإنّ أهل الجنّة مّطلعون على أهل الجحيم

أيّ جحيم يؤذيني إن نظرت إليّ؟

أيّ نار تحرقني إن نظرت إليك؟"

### سكر العشاق

قيس ابن الملوّح فنى في حبّ ليلي، رأى مرّة -عافاكم الله- كلب ليلي فجرى خلفه، قال "هذه عين رأيت ليلي لا بدّ أن يدلّني عليها" يجري خلف ذلك.. فلمّا جرى خلفه مرّ بقوم يصلّون من جماعة الجماعة، فلمّا رجع بعد أن ضمّ الكلب وشمّه "أطوف على الديار ديار ليلي \*\* أقبل ذا الجدار وذا الجدار \*\* فما حبّ الديار شغفن قلبي \*\* ولكن حبّ من سكن الديار"، ولمّا مررت بالقوم قالوا: مالك مررت بنا نصليّ فلم تصليّ معنا؟ قال: ويحكم رأيتموني؟ كلب ليلي عماني، وأنتم قائمون بين يدي الله ورأيتموني؟ والله لو تحبّون الله كما أحبّ أنا ليلي لما رأيتموني، ارجعوا أعيّدوا صلاتكم ارجعوا... هؤلاء هم العشاق، لا يرون غير محبوبهم.

صاحب الحضرة والأمداد والأذواق الذي شُرِّفَتْ أن أتيت ببساط منور كان على ضريحه الشريف سنين طويلة، فأتينا به إن شاء الله مدداً لهذه البلاد منذ سيدي محمد المنزلي، سيدي عبد القادر الجيلاني شيخنا وسيدنا وإمام الصالحين، يقول: "المؤمنون بين الدنيا والآخرة والمتقون بين الجنة والنار" المؤمن يقول: لا أفعل هذا في الدنيا حتى أناله في الآخرة، يمنع هنا ليأخذ هناك، لا يشرب الخمر هنا ليشرب من خمر الآخرة. والمتقون بين الجنة والنار: هذا عمل يدخلني النار لا أفعله، هذا عمل إلى الجنة أفعله. قال: "والمحسنون بين الحق والخلق"، يبلغ مقاماً عبّر عنه الإمام الباقر لابنه الصادق مرسلًا إلى رسول الله قائلًا:

"يا بني إن قوماً عبدوا الله خوفاً فتلک عبادة العبيد، وإن قوماً عبدوا الله طمعاً فتلک عبادة التجار، وإن قوماً عبدوا الله حباً فتلک عبادة الأحرار"

وعبرت رائدة العشق الإلهي السيدة رابعة العدوية بقولها:

أحبك حين حبّ الهوى \*\* وحباً لأنك أهل لذلك

فأما الذي هو حبّ الهوى \*\* انشغالي بذكرك عمّن سواك

وأما الذي أنت أهل له \*\* فكشفك لي الحجب حتى أراك

فلا حمد في ذا ولا ذاك لي \*\* ولكن لك الحمد في ذا وذاك

وكنت لَمَّا زرت مدينة الدار البيضاء أبحث عن وليّها أربعة أيام أو خمسة ولم أعر عليه، لأنني كلما زرت مدينة أزور صالحيتها أصحاب البلاد، "قبوري" على رأي الجماعة، مصرّ على ذلك، فأنا قبوري الحمد لله لأنّ سيدنا رسول الله يقول: "القبر أول منازل الآخرة فروضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار". إذًا قبر الوليّ ما يكون؟ قبر الحبيب ما يكون ضريحه؟ أنا أحبّ الرياض، فالروضة فيها نور وسرور، "الموصول بالموصول والداخل بالمقبول مقبول" هذه أيضاً من حكيمي في كتاب. فلمّا بحثت لم أجده، كان معي هذا الشاب الربيع الإدريسي وأصابنا حال، قلت له: الآن بعون الله سيرسل الله إلينا من يدلّنا. فبالقلب وجدنا من سرنا خلفه، نتبعه هكذا جذبة، حتى وقف الذي سار أمام باب بجوار الفندق الذي أقيم فيه، ففتح رجل الباب، فقلت: سيدي ما هذا المقام؟ فقال هذا سيدي بليوط، هذا ولي الدار

البيضاء. هو الولي ربما في عالم المعنى أسكنني بجواره، قد يكون، قد تكون بدعة وضلالة وشرك، احذر. فالمهم زرنا هذا المقام العظيم.

ما قصة هذا الولي؟ العبرة في القصة. هذا كان يرعى الغنم عند رجل غني عشرين سنة، كانت الدار البيضاء مدينة صغيرة، بعد سنين طويلة جاء الرجل وجد الليوث ترعى والرجل يصلي، قال: يا سيدي طيلة هذه الأعوام قطب من أقطاب أولياء الله راعي غنم عندي ولا تخبرني؟ يا سيدي الدار لك والغنم لك وأصبح يقبل قدميه، وأشار الرجل إلى الأسود فمضت.. قال: أمهلني لحظة أصلي، سجد فقال "كشفتني فخذني" فمات لحينه، فبني المقام عليه وبُنيت المدينة عليه. فلما وقفت بهذا المقام المنور ارتجلت قائلاً:

إني أريدك يا كلاً لتكوييني \*\* يا خالق الماء نار العشق تكوييني

أنت الجميل وأهل الله قد عشقوا \*\* من لي سواك خمور العشق يسقيني

إني أريدك لا الجنات أطلبها \*\* ولا الملذات عند الحور تعينني

فلا النعيم حجابٌ عنك يمنعني \*\* ولا الجحيم حجابٌ عنك يُقصيني

حبي إليك بلا سؤال ولا طلب \*\* إلا اللقاء ووصلاً منك يحييني

نريد أن نصل إلى مقام المحبوبين، نريد أن نرتقي بعبادتنا أن تكون حبةً في الله لا أن تكون مقايضة مع الله، لأن كل حسناتك لو أقامك الله في ميزان أن تدفع ثمن عينيك، ولو أتاك بأعمى وقيل للأعمى: سنعطيك ثانيتين ترى ذيل طاووس أو منظر وردة وتبيع الدنيا كلها لباعها، فيقول لك ثمن العينين فقط! وكل نعمة منه لك لا تحصيها. يكون مقامنا يا أحبتي أن نعبد حبةً له وأن نفنى في محبة هذا العظيم.

كيف نصل إلى الله

وكيف نصل إلى الله؟ لا تقولوا نصل إليه بأن نسجد ونصلي، هذه لا بد منها مفروضة عليك. نصل إلى الله بمن وصل إلى الله بالله، ونصل إلى الله بمن جعل الله له الخصوصية أنه الباب الحصري الموصل إلى الله. قال الحبيب المصطفى "أحبوا الله لما يغذوكم به من النعم، وأحبوني لحب الله، وأحبوا آل بيتي

**لحبي**. نصل إلى الله بحضرة سيدنا محمد، بما يوجب من توقير لآل بيته ولأصحابه وللصالحين من أمته ولسلفنا الصالح، هؤلاء السادة الصالحين نواب عن سيدنا رسول الله، نواب عن حضرة سيدنا محمد.

نعظم سيدنا محمد في قلوبنا، نعلم يقين العلم أنه يسمع، انظر ماذا قال: قال **"من صلى عليّ رددت عليه الصلاة"**، زاد بعضهم **"ردّ الله إليّ روعي"** أي نسب الصلاة إلى اللسان الجسماني، وهذه زيادة غير صحيحة، إنما **"أجبت صلاته"** بمعنى لا يحتاج الأمر إلى نطق اللسان الجسمي، لأنّ الروح مفصولة عن الجسم والجسم محروس، بل يحرس الله بذلك الجسم الأرض كلها **﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾** **﴿وَأَعْلَمُوا أَنْ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾**.

فالآن نتخيّل للحظة يا جماعة الخير، قال: كلّ من صلى عليّ، إذا لمّا يصليّ عليه ربّه يجيب ربّه أليس كذلك؟ لما الله يصليّ عليه، يردّ على ربّه الصلاة والسلام. ولما الملائكة بأعداد لا نتخيّلها تصليّ ألا يجيبها؟ ولما الأوّلون المنتقلون يصلّون، والأنبياء يصلّون، والجنّ والخلق الذين قبلهم يصلّون، والبشر الذين من حولكم الآن فقط في هذا الكوكب يصلّون.. بل أضيف إليك أننا عندما نصليّ ونقف لنختم صلاتنا نوّديّ التحيات لله والزكيات لله التي حيّ بها رسول الله ربّه في الإسراء والمعراج، ثم نقول **"السلام عليك"**. طيب، نحن أهل بيان ولغة عربيّة، لا تُقال الكاف تلك **"عليك"** إلا على الحاضر الناظر الشاهد القريب، لو كان حاضراً غير ناظر أو شارداً ذهن يقول **"نادِ عليه، نادِ على فلان"**.

**"عليك"** أي أنّ صلاتك تُعرض عليه، فلو لم يقبل صلاتك لن يقبلها الله

**"عليك"** أي أنّه واقف بينك وبين ربّك لأنّك لن تبلغ الله إلا من خلاله

**"عليك"** أيها النبي الكريم ورحمة الله وبركاته

ثم تقول **"السلام علينا"**: تسلّم على نفسك والملائكة من حولك

**"وعلى عباد الله الصالحين"** الذين يكرهون الصالحين ويسلمون عليهم في الصلاة! أي أنّ الوليّ الصالح المكفّ بك لو لم يوقّع على ورقة القبول فوالله لن تُقبّل، لأنّه ينوب عن حضرة المصطفى. لأنّ **"عليك"** هو شاهد ناظر حاضر قريب ولكن رفيع مقام، فحضوره وقربه ليس حضور قرب طيني بل حضور قرب روعي، كما تكون الشمس متاً قريبة فتضيء لنا أيامنا ودنيانا وهي عنّا بعيدة، والشمس **"سراج وهّاج"** والحبيب **"سراج منير"** والنور أعظم من الوهّج.

فلما ندخل على حضرة الحبيب المصطفى، زرناه في عمرة، لماذا يقولون للناس لا تزوروا الحبيب؟ لأنّ الأمة المحمدية أمة مدد ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾، ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كُنُوتُكُمْ﴾، لأنّ الأمة مدديّة وليست عدديّة. نحن الآن أعداد مليارية، يغلبنا شذمة يقتلون إخوتنا في فلسطين وفي غيرها. يريدون أن يفصلوا عن الأمة المدد بفصلها عن روح وسرّ ونور سيدنا محمّد. كلّ من تكلم عن آل بيته يقال عنه مقالاً أجاب عنه سيدي الشافعي إذ قال:

"إن كان رفضاً حبّ آل محمّد \*\* فليشهد الثقلان أنّي رافضي"

وقال:

"يا آل بيت رسول الله حبّكم \*\* فرض من الله في القرآن نزلّه

يكفيكم من عظيم الفضل أنّكم \*\* من لم يصلّ عليكم لا صلاة له"

### حب آل البيت في تونس

أختم لكم بنفحتين من تونس حتى يُعلم، الذين يشاهدون دروسي أنا أتكلّم كثيراً عن آباي آل بيت النبي. سيدي إبراهيم الرياحي الحسيني كان أعلم الناس في زمانه في المذهب المالكي، له قصيدة تجدونها في الصفحة 76-77 من كتاب "تعطير النواحي في مناقب سيدي إبراهيم الرياحي"، وتجدونها أيضاً في كتاب "سيدي إبراهيم الرياحي" للكاتب أحمد الشريف، يقول في مستهلّها:

إلهي قد سألتك بالنبي \*\* وفرع الطهر بالحسن الولي

بمولانا الحسين ومن قد أضحي \*\* قتيلاً من يد الشمر الشقيّ

حتى يصل فيقول بعد أن يعدّد الأئمّة الاثني عشر:

أدم لي حبّ آل البيت حتى \*\* أموت عليه بالعهد الوفيّ

وهو سيّ.

تلميذه وخليفته أحمد ابن أبي الضياف يقول في كتاب الإتحاف: "وَحَبَّ عَلِيّ دَارِجٍ فِي أَهْلِ إِفْرِيقِيَّةٍ، يَشْتَرِكُ فِي ذَلِكَ كَبِيرِهِمْ وَصَغِيرِهِمْ وَجَاهِلِهِمْ وَعَالَمِهِمْ، حَتَّى أَنْ نَسَاءَهُمْ عِنْدَ طَلْقِ الْوَلَادَةِ يَنَادِينَ: يَا مُحَمَّدَ يَا عَلِيَّ". وقد قال الإمام الشاذلي: "إِذَا رَابَكُمْ أَمْرٌ فَقُولُوا يَا مُحَمَّدَ يَا عَلِيَّ"، ولا يخلو مسلم من هذا الحبّ. أدم اللهم علينا حبّ سيّدنا رسول الله.

### دعاء الختام

اللهم إنّنا نسألك بعظيم قدره، وبمشروح صدره، وبنوره وطلعة بدره، ونسألك بضياء عينيه، وتسبيح شفّتيه، والنور الذي في خافقيه، ونسألك بأجداده ووالديه وكافليه، ووصيّته وزهرائه وحسنيه، وبأصحابه القائمين بالخير والذخر بين يديه، وبالأقطاب الماكثين لديه، أن تحفظ بلادنا، وأن تسيل علينا الغيث نافعاً، وأن تجعله للبلاء رافعاً، وللهمم دافعاً، واحفظ هذه البلاد حاكماً ومحكوماً، ولا تذر فيها ظالماً ولا مظلوماً

اللهم ربّ العالمين دعوناك دعاء ما كان عنك محبوباً، وكان من لدنك مخطوباً، وكان لديك مكتوباً، بجاه من اخترته محبوباً، وجعلته تحقيقاً مرغوباً مطلوباً، بارك في الحاضرين أجمعين، وفي شيخنا الأمين، وفي رجال أولياء الله الصالحين، بسرّ وليّ وقفنا عنده وحوله جنود الرواحين، بسرّ سيدي عبد العزيز المهدي وسيدي محمّد بن عيسى، وبسرّ أولياء الله الصالحين أجمعين

اللهم بارك في أمّتنا، اللهم احفظ شامنا وعراقنا ويمنا وقدس أقداسنا، وفرّج عنّا كلّ ضرّ، وقنا كلّ شرّ، امحّ اللهم عيوبنا، واغسل ذنوبنا، وفرّج حوبنا، وبلّغ مطلوبنا، وحقّق مرغوبنا

يا أرحم الراحمين، أقمنا على الحقّ وتوفّنا على الحقّ وأقمنا على الحقّ وأشهدنا الحقّ واجعلنا من رجال الحقّ، إنك مرسل الحقّ وناصر الحقّ وهادي الحقّ، وإنك الحقّ لا إله إلا أنت وأنت بها أحقّ، سبحانك وبحمدك

اللهم بارك في والدينا وآبائنا وأشياخنا ومن سبقنا بالإيمان، وأفض علينا من المعاني والمباني والعلوم والفهوم يا حيّ يا قيّوم

اللهم يا من نجّيت موسى في التابوت، ونجّيت يونس من بطن الحوت، وحفظت حبيبنا بحمامة  
وعنكبوت، يا حيّ يا من لا يموت، يا عظيم الجبروت، يا نديّ الرحمت، يا صاحب الملكوت، يا رفيع  
اللاهوت، يا خالق الناسوت، أجرنا من كلّ ظلم وشرّ ومن كلّ بلاء، لا ترسل على وطننا زلزالاً، ولا ترسل  
عليها وبالاً، ولا تأخذنا بما فعل السفهاء والظالمون والغاشمون والمحجوبون

حقّق اللهم لنا كلّ مطلوب وكلّ مرغوب بجاه الحبيب المحبوب

اللهم صلّ على سيدنا محمّد عدد العدد الذي يعدّ العادّون وعدد ما لا يعدّون، وعدد ما بين ق ون، صلّ  
عليه كما تصلّي عليه، وكما يصلّي عليه ملائكتك المجتبون وأنبياءك المرسلون وأولياؤك الصالحون  
وخلقك الطيبون، وسلّم عليه وعلى آله تسليماً كثيراً

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا﴾ والحمد لله ربّ العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته،  
جزاكم الله خيراً.

محاضرة بتاريخ: 2023-05-21





## درس: نفحات حراء في الرد على أهل الافتراء

بداية لمشروع علمي ديني تأصيلي، مع ما يتعلق به ويترتب عنه، تحت شعار:

#نحن\_الذين\_بايعوا\_محمدًا

### مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد، إمام القبلتين، شريف النسبتين، الذي زين الدنيا بنوره وسرّه، باب الجنّتين، جد الحسن والحسين، الهادي إلى طاعة الله وباب برّه، اللهم صلّ وسلّم وبارك عليه وعلى والديه وكافليه وعلى آل بيته أجمعين.

أحبابنا الكرام السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته إلى هذا الموعد الخاص الذي سمّيناه "نفحات حراء في الرد على أهل الافتراء". وقد ألزمتنا في ذلك منشورات تسعى إلى المسّ من الذات الشريفة الكريمة، بل بلغ ببعضهم أن يشكك في طهر النسب وفي أبوة سيدنا عبد الله لسيدنا رسول الله وفي طهر السيدة آمنة، مما لم يجرؤ على قوله كفار قريش ولا فسقة بني إسرائيل والمنافقين. بل إنّ هذا التماذي الذي أبداه بعضهم مستميتاً في الحظّ من شأن النبي بزعمه ووهمه، منافقاً متلاعباً مدّعياً الصلاة عليه في يوم عرفة، وأنه مكث في بطن أمه أربعة أعوام وأنّ ذلك من معجزاته ساخرًا مدّعياً أفاقاً أفاقاً أثيمًا، ثم زاد بعد ذلك بنص يفسّر فيه مما يزعم أنها مصادر تؤكّد أنّ النبي ليس ابن أبيه الذي نُسب إليه (سيدنا عبد الله) وأنه تزوج جده عبد المطلب مع أبيه في نفس اليوم وولد النبي بعد عمّه حمزة بأربعة أعوام... مقتفياً في ذلك

أثراً يدعي أنه كتبه بيده وهو في الحقيقة سارق له مما كتب بعض متطرفي الأقباط من قبل، وهذا ما سنبيّنه بعون الله.

### غاية الدرس

وليس هذا الدرس إلا بداية لأمر يتمّه الله سبحانه وتعالى لهذه البلاد من وقوف في وجه هذه التيارات المتطرفة الظلامية، لأنها تمتلئ بالظلام والحقد والزور وتكفر بما يؤمن به المسلمون، إذ أنّ هذا الكلام كلام يدل عن قلب لم يدخل الإيمان إليه. وإن لم يكن كلامنا هذا حكماً شرعياً (فليس هذا من شأننا) ولكنه على الأقل رأي مبدئي، إذ لا يمكن أن نتصور مسلماً أو مؤمناً بالله أو مصدّقاً لرسول الله يصدر عنه مثل ذلك أو يتكلم في مثل ذلك. وهذا أمر ربما دُبر من قبل بعضهم ليفتنوا بعض الشباب، ولكن له تاريخ في تونس للأسف من مدرسة فاسدة مفسدة توغلت عميقاً وحجبت الحقيقة أو حاولت حجبها وطمسها، وتوغلت خاصة في الجامعات التونسية.

ليست الغاية في هذا الدرس الدفاع عن رسول الله من باب حاجته إلى ذلك، بل من باب حاجتنا إلى ذلك، فمن واجبنا وفق اعتقادنا وإيماننا بهذا النبي العربي الكريم الشخصية العظيمة المنورة التي ما برأ الرحمن لها مثيلاً، من واجبنا أن ندافع عليه لنشعر أننا موجودون حقاً، إذ دون رسول الله يصبح وجودنا عدماً، وتغدو أعمالنا ندماً، ولا نستطيع إلا أن نقول الحق في شأن من جاءنا بالحق.

وليس هذا الكلام من باب التحريض على هؤلاء، من باب الدخول في تطرف ضد تطرف، فنحن أهل رصانة وعلم وفهم بحمد الله، ولكن لعلنا نشير إشارة إلى وجوب تقنين هذه المسائل ووضع قوانين تمنع منعاً باتاً المسّ من شخصية النبي عليه الصلاة والسلام وكل ما يتعلق بحضرته الشريفة خاصة والداه وآل بيته الكرام، هذا يجب أن يكون قانوناً. كما أننا نمنع من يمسّ من السيادة الوطنية والراية الوطنية ومن يخون عهد هذه البلاد هنالك قوانين تجرّم ذلك وتعاقب عليه، فكيف بمن هو أعز علينا من كل ما ذكرناه؟ إذ أنه أكرم خلق الله وأفضل خلق الله وأحب خلق الله إلى الله، وهو روحنا وسرنا وبابنا إلى ربنا سبحانه وتعالى حضرة المعظم المفخّم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم.

## أذبال العدو

أولاً هذا الذي كتب ما كتبه لعله أراد لفت الإنتباه إليه، ولعله رام أن يرضي سيداً من أسياده يقبع خلف البحر، لعل ذلك خلفه بعض دراهم يريدها أو يرومها، أو بعض شيء من مرض في قلبه ونفسه، لكن المؤسف حقاً أنه لا ينتمي إلى عمل فردي بل إلى تيار يعمل منذ زمن: عملوا على التشكيك في القرآن، وعملوا على التشكيك في كامل السنة بالقطعية، وعملوا على إظهار ما كان موضوعاً وما كان مزيفاً وما كان فيه خبث قديم يجددونه مما كتب ودون بنو إسرائيل أو ما ادّعاه بعض بني أمية ومن والاهم في ذلك وبعض ما ادّعاه الذين يكرهون النبي كرهاً كبيراً فبادروا إلى قتل أهل بيته وإلى محاولة تشويه دينه. وهؤلاء وهم يسعون في ذلك هدفهم إستمالة بعض القلوب وبعض العقول وبعض النفوس المريضة، وهنالك أيضاً من يتبعهم على عمى ويردد ظاناً أنه يخدم بذلك الحقيقة، يردد دون بينة ولا فهم، ويصقق وينعق، ويظن أنّ مجرد تحطيم الثوابت هو حرية وثورة للبناء وللتفكير. الثورة تكون على عقم تؤدي إلى إنتاج وإبداع، ولكن هؤلاء ثورتهم هباء وكلامهم هراء وكل ما يقولونه إفك وافتراء.

إنّ وقوف المؤمنين والصادقين في خندق واحد اليوم، والأمة تواجه شرّ الصهيونية، تقتيلها وأفاعيلها وسجّيلها الذي ترميه على الأطفال وعلى الرضع والنساء، هذا الوقوف لا يجب أن يشغلنا عن هؤلاء الذين هم أذبال العدو. إذ لا يمكن أن نتصور أن يكون أحد منهم جندياً للحق خادماً للأمة، وما الذي تستفيده الأمة والإنسانية من هكذا هراء وهكذا افتراء وهكذا اجترأ على الحضرة النبوية الشريفة؟ ماذا يمكن أن يكسب الناس وهم يرون هذا الإلتباس؟! غير تطرف يضرب تطرفاً وغير جرح للمشاعر وإيذاء كان لا بدّ أن يوضع له حدّ منذ زمن..

## دعوة للتحرك

وإننا اليوم إذ نقف هذا الموقف، ندعو بكل محبة سماحة مفتي الجمهورية التونسية أن يصدر بيانه ورأيه الفقهي في هكذا مسائل، والرأي فيها مما بيّنه أكبر علماء البلاد من قبل وخاصة سحنون في ردّه على المدارس المنحرفة، ومما أجمع عليه مؤسسو المدارس الفقهية. وكذلك أن يكون هنالك موقف موحد لمشائخ هذه البلاد، مشيخة الجامع الأعظم وأهل التصوف كافة، نحن لا نقبل الأذية في رسولنا. وليست تونس التي شرفها الله بأن تكون القبلة الرابعة بالإعتبار، وشرفها بأصحاب النبي الذين أتوها حتى

أَتَاهَا الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، وَشَرَّفَهَا بِأَكْبَرِ أَهْلِ اللَّهِ وَالصَّالِحِينَ وَالْعُلَمَاءَ وَالْأَتْقِيَاءَ وَالشَّهَدَاءَ وَالصَّامِدِينَ الثَّابِتِينَ عَلَى الْحَقِّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ، لَا تَسْتَحِقُّ هَذِهِ الْبِلَادَ أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ الْفَسَقَةِ السَّفَلَةِ الَّذِينَ لَا هَمَّ لَهُمْ إِلَّا الْإِفْسَادَ وَالنُّطْقَ بِكُلِّ هَجْرٍ قَبِيحٍ وَبِكُلِّ كَلَامٍ لَيْسَ بِصَحِيحٍ، إِنَّمَا ادَّعَاءُ اتِّهَمَ وَافْتِرَاءُ اتِّهَمَ كُلُّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى دَسٍّ وَوَضْعٍ وَكَذِبٍ وَتَحْرِيفٍ وَعَلَى تَأْوِيلٍ فَاسِدٍ لِلتَّارِيخِ.

### الافتراء وبطلانه

وعلى سبيل المثال يعتمد هذا الدعي على ما كتب أدعياء قبله في منشور (سنبينه لاحقاً) وينشره ثم بعد ذلك يدعيه لنفسه، ويقول أنّ حمزة والنبي كان يجب أن يولدا في زمن واحد لأنّ زواج عبد المطلب وعبد الله عليهما السلام والرضوان -فسلام الله على أصول رسول الله كما هو السلام على فروعه- أنهما تزوّجا في يوم واحد. ويأتي ببعض الأخبار، ناسياً أنّ الزواج الذي يتكلم عنه لا يُشترط فيه البناء -إن صح ذلك كذلك- متناسياً أنّ عبد المطلب عندما دعا لحفر زمزم وأقسم ليذبحنّ عاشر أبنائه إن وجد الماء، جمعهم جميعاً وبينهم حمزة، وهذا يُثبت أنّ الأمر ليس كما يدعي المدّعون.

إنّ إكثار الكلام في هذه المسألة ومحاولة تبريرها لأمر فيه شيء من العبثية، بل عندما نرجع إلى أصل المسألة ونقول أنّ النبي عليه الصلاة والسلام أظهر الناس أصلاً، وقال عن ذاته "ما زلت أتقلب في الأرحام المطهرة والأصلاب المطهرة"، وقال "أنا خيار من خيار من خيار"، وقال "ما اختار الله بين شعبتين إلا كنت في أفضلهما". وقال ربه عنه ﴿وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ أي أنه انتقل عنصره الطيني من ساجد وساجدة وماجد وماجدة إلى ساجد وساجدة وماجد وماجدة وماجدة، من سلالة الأنبياء والأوصياء والصدّيقين والصدّيقات والصالحات، حتى بلغ يوماً وموعداً ليكون هذا المولود المبارك من سيدنا عبد الله والسيدة آمنة. وقد أجمعت قريش كلها على جمال ونقاء وبهاء وسيادة سيدنا عبد الله، الذي يصفه هذا الدعي وصفاً فاسداً كارهاً حاسداً كاسداً يُظهر به حقه وغله، بل يُظهر به أنه لم يدخل في قلبه نور إيمان، بل ادّعوا أنها كانت مزوجة وأنجبت من قبل! وحاكاه في ذلك صحفي كنا نستمع إلى تعليقاته الجميلة وهو يروي لنا عن آثار "دُقّة" وعن التاريخ بصوت أحبه التونسيون، فإذا به أيضاً يصاب بهذه اللوثة ويهذي بما لا يعرف ولا يفهم. بل إنهم جاوزوا ذلك إلى ما هو أشدّ وأقبح مما لا نستطيع قوله أو تكراره.

السيدة آمنة الطاهرة النقية، والتي لم تسلم أيضاً من دعاية أمية وما ردّد بعدهم الوهابية ومن كان على شاكلتهم من قبل من أنها في النار، وأنّ النبي أراد الاستغفار لها ولأبيه فنهي عن ذلك وسُمح له بالزيارة، مما رددناه وصددناه وأثبتنا بطلانه من قبل، مع افتراءهم على أبي طالب وأنه "جمرتان يغلي منهم الرأس". وهذا كله بهتان وكره وجحود، ولكن كفار قريش وأذنانهم الذين ورثوا عنهم ذلك وهم يضعون مثل هذه الترهات (خاصة الحاقدين من بني أمية)، لم يجرؤ أحد منهم أن يشكك في نسب رسول الله، أبداً.

### عجباً كيف يحصل هذا في تونس!

وا عجبني كيف في تونس التي كان أول من أذن فيها الحسن بن علي سنة 27 للهجرة ثم الحسين وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن عباس، كيف في بلاد الزيتونة في بلاد الأقطاب والأفذاذ والعلماء، في بلاد لها سيادتها ودينها الإسلام الدين المبارك العظيم، لها وزارة شؤون دينية ومساجد وأهل تصوف، كيف يُسمح بذلك؟! المشائخ الكرام ووزارة الشؤون الدينية عليها واجب أن تردّ وأن تلجأ إلى القضاء أيضاً حول هؤلاء. وأكد أنّ الملف سيصل إلى رئاسة الجمهورية، وأكد أنّ رئيس بلادنا الذي يُعرف عنه النزاهة والإيمان والإخلاص والصدق لن يرضى بهذا أبداً، وكما رأينا دموعه عندما حُجبت الراية الوطنية في موقف بطولي مؤكداً أنه لن يقبل بمثل هذه الترهات وهذه التجاوزات في حق الذات النبوية الشريفة، وستثبت الأيام إن شاء الله. ونحن ساعون وماضون مع نخبة من أهل العلم وأهل المحبة في اللجوء إلى القضاء وإلى كل وسيلة لردع هؤلاء وإيقافهم ومنعهم ومحاسبتهم قانونياً وإظهار الرأي الفقهي في ذلك، وتبيان أنّ هذا الأمر لا يجب أن يتكرر أو يمضي دون حساب أو عقاب ودون رد من جميع المستويات علمياً فقهياً فكرياً وكذلك قانونياً وقضائياً.

إنّ التطرف اليساري التطرف اللا-ديني يمزّق السلم المجتمعي ويؤذي مشاعر المؤمنين المسلمين، ليس فقط في أرض أفريقية بل في العالم الإسلامي ككل، ويُسيء إلى صورة تونس التي يعلم الجميع مكانتها في هذه المدرسة الزيتونية رغم كل ما أصابها وفيما لديها من علماء ومن قامات كبيرة، وكذلك يستجلب ردّات فعل متطرفة ممن يؤوّلون الأمور تأويلات فاسدة كأصحاب النزعات الإرهابية والتكفيريين الذين ما زالوا يحاولون ويسعون لأذية هذه البلاد ومحاربتها، فهؤلاء يفتحون لهم الأبواب. هؤلاء متطرفون كارهون لما عليه هذه الأمة التونسية والأمة الإسلامية.

كلام تقشعر له الأبدان، سخرية وتهكم على أم المصطفى العدنان، هذه السيدة آمنة التي اختارها الله سبحانه وتعالى لتكون أم نبيّه ونعم الاختيار، وكلام هجر وقبح في حق سيدنا عبد الله والد رسول الله الذي اختاره ربه أيضاً لهذه المسألة العظيمة والمهمة العظيمة، الأبوة الأعظم بعد أبوة رسول الله لمن هو أب لهم. أعظم الآباء سيدنا عبد الله، أي أبوة وأي شرف!!

فكيف يدعي مدّع أنّ هذا الأصل خاطئ، وأنّ السيدة آمنة التي سُمّيت زهرة قريش كانت مزوجة وأنجبت من قبل!! كيف يقبل عقل هذا الحمق والهذيان والزور والبهتان والكذب والافتراء الذي لم يجرؤ عليه الشيطان؟!

### نحن الذين بايعوا محمدا

أيها الأحباب الكرام، عندما كان النبي محاصراً مع أصحابه في الخندق، نادوا بصيحة واحدة "نحن الذين بايعوا محمداً". ولعلنا اليوم في أمسّ الحاجة، وقد حوصرنا في خندق من الصهاينة وعملائهم وأذناهم والتكفيريين، والدجاجلة الملاعين المختبئين في التشيع والتسنن والتمسلف والتصوف، كل يتاجر بشيء يرى فيه مصلحته، متاجر بآل بيت النبي أو متاجر بصحابة النبي أو متاجر بالتصوف السني السني أو متاجر بغير ذلك، هؤلاء جميعاً يقفون في خندق واحد ضدنا مع الصهاينة. وكذلك المروجون للإلحاد والشذوذ والجندرية والمفسدون في كل باب، ووصل الأمر إلى مناقشة أطروحات ورسائل ماجستير في هذه المسائل، وكأنما ضاقت الدنيا وما رحبت إلا عن الكلام في الجندريات والشذوذيات والأمور الفارغة المحظمة للأخلاق المفسدة للآفاق.

### لا نريد مجرد ردة فعل

هذا مبتدر ما نحن بصدده بعون الله، لا يكون الأمر حماسة ولا ردة فعل ثم تمضي غيرها، ولا مجرد خبط عشواء، ولا يستفزونا بشكل من أشكال الإستفزاز، إنما نريد أن نتكلم بعلم وأن يستمر هذا النبض لأعوام وأعوام. نعم على الدولة التونسية أن تبني سدّاً منيعاً بالقانون وبسلطة الدولة وبمواقف المشائخ والعلماء، دون خوف ولا خشية ولا تردد ولا تراجع، نعم هذا من الواجب. ولكن نحن في دورنا بعون الله،

وفي موقعنا وموضعنا مع تلاميذنا ومريديننا ومع أصدقائنا من المشائخ والمحبين وعشاق حضرة النبي، سنحوّل ردة الفعل والغضب المعتمل في النفوس إلى ردّ فعلي، إلى احتفائية برسول الله، إلى محاضرات ودروس عن شرف هذا النبي، إلى قصائد وأناشيد عن السيدة آمنة وسيدنا عبد الله، حتى نزيّن الدنيا بذكرهم، إلى تدمير الوهم الكاذب والأباطيل حول أنّ النبي استيقن أنّ والديه في النار وهو الذي قال من قبل "أبي خير من آباءكم وأمي خير من أمهاتكم". وعبد المطلب الذي قال لابنه أبي طالب: "لم يبقَ على الحنيفية الإبراهيمية إلا أنا وأسرّي"، وكان له موقف مع أبرهة إذ قال "أنا رب الإبل والنوق وللبيت رب يحميه"، ثم حرّك باب الكعبة قائلاً "اللهم إنّ المرء يحمي رحاله فاحم رحالك \*\* إن كنت تاركهم وبيتنا فأمر ما بدا لك". فهذا الأمر دليل على إيمانه ويقينه. هذه الأصول النقية الطاهرة المطهّرة، وهذا الصلب الطاهر المطهّر، هذه آمنة المبشّرة وهذه النقية الزكية.

نحوّل الأمر إذآ إلى فعاليات إلى قصائد، إلى تبيان لحقائق، إلى دروس وتأمّلات عرفانية إن شاء الله من دوري ومن جانبي. كل واحد من المريدين من التلاميذ من المحبين يكتب شيئاً في جمال وجلال رسول الله، في حبه، في محبته لوالديه، في برّه بهما، في حقيقة أنهما كوكبان نورانيان عظيمان من نور الله وسرّ الله، في طهر هذا الصلب المبارك، في طهر هذا المولود المبارك، لأنّ هذا التشكيك إنما غايته ضرب في عمق الذات المحمدية.

أنا أبدو هادئاً في كلامي لأنّي أجم غضباً قوياً عنيفاً، فمن لا يغضب لرسول الله ومن لا يغضب لوالدي رسول الله ولآل بيت رسول الله، هذا ميّت!! من لا يغضب للصالحين، من لا يغضب للقضية الفلسطينية وأهل غزة، من لا يغضب لكل هذا الأذى وكل هذا الشر، هذا إنسان ميّت! ولكن لا يغلبنا الغضب، ولا نقول ما يسوء بالأدب، إنما نبيّن بهدوء ونوضّح بهدوء حتى نلتمس الطريق لمواجهة هؤلاء وأمثالهم.

### تأمّر على الإسلام

ما أروم قوله في ما يقترّب من ختام هذه النفحة أنّ هنالك من يسعى حقاً للإفساد في هذه الأمة، المؤامرة التي يعلّق البعض أنها مجرد نظرية إنما هي حقيقة. نعم هؤلاء يتأمرون على شعب تونس المسلم على الأمة الإسلامية ككل، يتأمرون بإدخال الأباطيل والأراجيف، بمحاولة إفساد التصوف بتصوف فاسد فيه

لبس وتلبيس وافتراء وكذب على الله ورسوله، كالذي يدعي أنّ الذي يتبعه يشاهد النور ويشاهد الكرسي والعرش، بمجرد أن يصافحه يدخل في عالم الأنوار ويدخل في عالم الأسرار ويشاهد نور الله عياناً وكذلك أطراف مزروعة داخل التشيع، وهؤلاء ليس لهم هم ولا همّة إلا الشتم والسب والاعتداء على الرموز التي يوقرها ملايين من المسلمين، وكذلك حقد دفين يشابه قلب يزيد وهم يتنادون ظاهراً باسم الحسين. وأيضاً متطرفون في الدين مجسمون لرب العالمين، يحلو لأحدهم أن يقول أنّ وحشي قاتل حمزة وباقر بطنه ولائكة الأكباد وهؤلاء الذين ظهر منهم الفساد هؤلاء جميعاً من أهل الجنة، بينما والدي النبي وعمه أبو طالب في النار! ويتغون الحظّ من شأن آل البيت والحظّ من شأن كل من يتكلم عنهم واتهامه ومهاجمته والحرب عليه، وهؤلاء كذلك يخدمون نفس العدو، ويقولون "الحسين قُتل بسيف جدّه".

وهناك كلام كثير في الموروث حول مكث المولود في بطن أمه زمناً أو حول مسائل كثيرة، لا بدّ من الردّ عليها علمياً. نعم هنالك أخطاء ونعم هنالك تأولات خاطئة ومغلوطة، ولكن هذا لا يمسّ من قداسة النور المحمدي وقداسة الصلب المحمدي وقداسة نور والدي رسول الله وأصول رسول الله وذرية رسول الله. هذا كله لا بدّ أن ننظر فيه، وننظر أنّ الله سبحانه وتعالى يراقبنا ويرانا ويمتحننا بهذا.

### والدا النبي مختارون من الله

إنّ سيدنا عبد الله لرجل عظيم، فهذه الأبوّة لرسول الله لم تكن من عدم أو من عبث، إنما زكّي الله أخلاقه وجعله بهياً وسيماً كريماً عظيماً شجاعاً، ليورث هذه المورثات الجينية لسيد الخلق، عن أبيه عن آبائه عن هاشم إلى عدنان إلى إسماعيل، هذا كله حق ثابت زرعه نابت. والذي يتقول بغير ذلك أفاق دجال، سواء قال أنه كان على غير خلق سوي أو قال أنه مآله إلى جهنم، وذاك مآل القائلين ومآل المرجفين.

السيدة آمنة كانت زهرة قريش طهراً وعقّةً وحياءً وجمالاً، اختارها الله أيضاً ليكون لها دور في رسم هذه الشخصية المحمدية واجتباها واصطفها لذلك وطهرها. والآيات التي تتكلم عن السيدة مريم العذراء في القرآن الكريم وكيف ناجتها الملائكة وأخلصتها بطهر وقديسية وصدّيقية أهلّتها لأن تكون أم المسيح، هذه الآيات فيها إشارة خفية لمن له قلب وجليّة لمن له لبّ عن شرف السيدة آمنة، فهي بكل ذلك أولى، وهي فوق ذلك أفضل لأنّ سيدنا محمد مولودها وابنها أفضل من سيدنا عيسى ومن كل نبي سبقه ومن

كل مخلوق كان قبله أو بعده أو كان معه، فهو سيد الخلق بالكلية وبالشمولية. فأبي شرف عظيم وأي مقام عظيم!!

### لن نصمت عن هذا الإرهاب الفكري

النبى البار بوالديه لا يرتضى مثل هذا ولا نرتضى له أيضاً مثل هذا ولن نصمت على هذا. فليقم كل منا بدوره إن شاء الله، لنقف صفاً واحداً بالعلم والحجة. وأكد تسندنا القوانين تسندنا دولتنا، نحن لسنا أغراباً ولسنا أقلية في بلادنا، ليست هذه الدولة دولة هندوسية أو دولة بوذية أو دولة يعبد أهلها الأصنام والطواطم، رسخت راية الإسلام فيها منذ البدايات ومنذ العصور الأولى للإسلام، رسخ فيها العلماء والعاملون والصالحون، واستمر هذا النور، والحمد لله سيستمر. رغم كل محاولات الإفساد الأخلاقي بتوظيف كل ما يمكن توظيفه، من إعلام من أفلام من سينما من كتابات من كتب من غير ذلك ممن يندسّون في جامعاتنا ويندسّون في مجتمعاتنا، ولكن رغم ذلك إن شاء الله الأمر ثابت والمحبون والعشاق كثر.

ورغم الحملة التي كانت في العشرية الماضية للفكر الوهابي، ولكن هذا الفكر أيضاً خسر وفشل في بلادنا ولم ينجح رغم كل الإرهاب، الإرهاب أيضاً لم ينجح ولم يستطع أن يخترق هذه البلاد وأن يدمرها كما رام وكما ادّعى الذين وقفوا مرات ومرات ينادون أنّ الإسلام عاد إلى تونس وأنهم سيدمرون هذه البلاد ويقيمون فيها إمارة، وقف لهم جيشنا وأمننا ووقف لهم الأحرار وكنا في الصف الأول معهم. وخاب سعي الإرهابيين، وخاب سعي الخونة وأصحاب المشاريع المتآمرة على الأمن القومي العربي، خابوا جميعاً، انتصرت سوريا، انتصر العراق، انتصرت تونس وعادت إلى محاورها، محور المقاومة ومحور الاستقلال والحرية في الرأي، رغم كل الإشكاليات الاقتصادية والإشكاليات الأخرى، ولكن يسرنا أنّ البلاد لها موقف ولها شخصية واضحة وجليّة ومستقلّة متفردة متميّزة، أرض ترشيش المقدّسة المباركة كما بيّنا من قبل أو أرض الوعد.

المهم أنّ هذا الذي يصدر الآن يجب إيقافه بالقانون، ويجب أن يكون هنالك كلمة للمسؤولين عن الشأن الديني في بلادنا في الإفتاء وفي المساجد وكذلك لأهل التصوف. هي دعوة لهم جميعاً حتى لا يفوتوا اللحظة التاريخية، لأنّ صعود هؤلاء إلى هذا المستوى سيكون له ما بعده، إن صممتنا عليهم سيمضون

إلى ما هو أكبر وأكبر وأكبر، يؤذون الناس، يهدّدون السلم الاجتماعي، ينشرون التطرف، يستجلبون تطرفاً مضاداً وإرهاباً مضاداً. وهذا نوع من **الإرهاب الفكري** الحقيقية، لأنه تطرف كبير في الفكر، تطرف كبير في الكراهية والحقد وتشمئز منه الأبدان، تطرف كبير في الافتراء والجرأة والوقاحة.

قمة السفالة والوقاحة أن يكتب كاتب "من معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلّم أنه مكث في بطن أمه أربعة أعوام"، "اللهم صلي (بصيغة المؤنث) على حبيبك في يوم عرفة" وقلوب وهو يسخر... ساخراً في يوم عرفة! وقبلها ينشر صور لقوارير خمر، وبعدها يفصل يأخذ مقالاً منشوراً من قبل من قبل بعض الأقباط سننشر لكم إن شاء الله رابط ذلك وينشره مدّعياً أنه أتى بالأدلة، مدّعياً أنه كاتب هذا المقال. هو طبعاً التزم بفكره وسيحاسب على ذلك دنيا وآخرة، ولكن ادّعاءه أنه صاحب فكر ومفكر، هو مجرّد نكرة أراد أن يُنتبه إليه. كان يمكن ألا أجيبه، أنا الآن مئات يكتبون ضدي يهاجمون شخصي لا أجيبهم إلا أحياناً لماماً بإجابات أدبية ذوقية رفيعة، لا يمكن أن يخيفونا أو أن يشغلونا عن شيء، ولكن كان بإمكاننا أن نردّ عليهم بأساليب تشبه أساليبهم وهذا لا يتناسب معنا. هذا الدعي أيضاً لو أنه كتب في موضوع آخر ما كنا أجبناه. معلوم فكره، معلومة مدرسته، معلوم العقم الذي يعانون منه، ضيق الأفق، قلة الذوق، الفشل السياسي، الفشل الفكري، الرداءة، التعاسة، قلة الرجولة، قلة الأصل، قلة المعروف، قوة السخرية بغير عقل ولا علم، هذا كله معروف. ولكن لما يتعلق الأمر بسيدنا محمد محال أن نصمت عن ذلك!

فكل واحد منكم ممن يسمعنا الآن أو سيصله صوتنا، بادر إلى القراءة، اقرأ عن شرف رسول الله، اقرأ عن نور رسول الله، اقرأ عن أم النبي بنور النبي، لا تسمع للمرجفين والوضّاعين، حاول بينك وبين نفسك أن تتمثّل هذه الكرامة. أنت كيف تنظر إلى أمك؟ ترى أمك امرأة عظيمة، وهو حقك وواجبك تجاهها. رسول الله أولى بنا من أنفسنا، أمه أعظم من أمهاتنا، وعليها أن تكون أحب إليك من أمك، وأبوه عليه أن يكون أحب إليك من أبيك، وابنته تكون أحب إليك من ابنتك أو أختك أو زوجتك، وكذا ذريته المطهّرة تكون أحب إليك من ذريتك، ويكون رسول الله أحب إليك من نفسك. إذا استقر هذا عندك، اكتب بهذا النور وانشر في الصفحات، انشر في كل مكان، لا تجد مكاناً يمكنك أن تنشر فيه هذه الأنوار.. وضع تحتها "السيدة آمنة العظيمة، أم النبي، شرف النبي عليه الصلاة والسلام، النبي طاهر النسبتين.. وتضع إذا أحببت "نحن الذين بايعوا محمداً". جدّد البيعة القلبية مع رسول الله، جدّد البيعة القلبية مع النبي وآل بيت النبي ووالدي النبي وكافلي النبي.

## من هذا الصلب النبوي المطهر

ولا تسمع لمن يقول لك: "النبى يئس من والديه وهما في النار"، الناطق بهذا هو الذي في النار. لا يضع الله في جهنم بطناً استودع فيه نبيّه وحبّبه وخليله وصفيه ونجيه وسيد خلقه، ولا يضع الله في النار رجلاً استأمنه صلب نبيه ونطفة نبيه وسرّ نبيه وشيئاً من نور نبيه. لا يمكن أن يكون الله سبحانه وتعالى قد استودع النور المحمدي في أصول فاسدة، رسول الله صعد مرة على المنبر وقال: "إِنَّ قَوْمًا يَلْمِزُونِي فِي وَالِدِي، أَبِي خَيْرٍ مِنْ آبَائِكُمْ وَأُمِّي خَيْرٌ مِنْ أُمَّهَاتِكُمْ" "أنا خيار من خيار من خيار" "ما اختار الله بين شعبتين إلا وكنت في أفضلهما" صلى الله عليك يا سيدي يا رسول الله.

من هذا الصلب النبوي المطهر ظهر سرّ السيدة خديجة، وظهرت أنوار ذرية النبي، وظهر نور علي والسيدة فاطمة، ظهرت أمجاد حمزة والراسخون والأقطاب من الصحابة، وظهرت أنوار الحسنين، وأشعّ نور زينب وكبريائها. ومن هذا النور النبوي بالأصول المطهرة والفروع المطهّرة، أشرقت أنوار الشيخ عبد القادر الجيلاني والسيد أحمد الرفاعي والسيد البدوي والشيخ الدسوقي والإمام الشاذلي والشيخ عبد السلام الأسمر والشيخ التيجاني ومعين الدين الجشتي وابن مشيش وكل هؤلاء. من هذا النور ظهرت بطولات المحاربين المقاتلين في سبيل الله، نور الدين زنكي ومن سبقوه إلى الشيخ عمر المختار والسنوسية والأمير عبد القادر.

من هذا النور سطعت أنوار العلماء، وظهر ابن سينا وابن الهيثم والرازي وابن الجزار وابن النديم وابن شباط، وظهر العلماء وظهر ابن خلدون، وظهر أصحاب الحل والعقد، ظهر أهل الفكر، وظهر الإمام مالك وأبو حنيفة والشافعي وابن حنبل والليث بن سعد والأوزاعي، وظهر الشبلي والجنيد وظهر الحارث المحاسبي وبشر الحافي وسهل بن عبد الله التستري. من هذا النور المحمدي تطوّرت الإنسانية وظهر العلماء الذين غيّروا فهم الإنسانية للعالم وأبهروها وزيّنوها، ظهر الإبداع والشعر والرقي، ظهرت رابعة وابن الفارض وأبو مدين شعيب، ظهر المتنبّي والبحتري وأبو تمام. من هذا النور ظهر جلال الدين الرومي، وظهر كذلك كثير من أهل الشعر والإبداع والفن، وكل الجمالات والكمالات كلها ظهرت، ظهر عمر الخيام وفريد الدين العطار وغيرهم كثير. هذا النور المحمدي الذي نتكلم عنه.

من هذا النور المحمدي صمد الصامدون في كل مرحلة من مراحل تاريخ الأمة في وجه الظالمين، في وجه الحروب الصليبية. وقف محمد النفس الزكية في فخ، وقف الحسين في كربلاء، وقف علي في صفين والحسن في المدائن، بهذا النور المحمدي.

هذا كله يرجع أجره لمن؟ أليس النبي قد قال أنّ الإنسان إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث ومن بينها "ولد صالح يدعو له"؟ أليس النبي صلى الله عليه وعلى آله بيّن أنّ الآباء إذا انتقلوا ينالهم من نور أبنائهم وعملهم ودعائهم ومن شيء تركوه مما يستفاد منه (علم نافع أو صدقة)؟ وكذلك الله يبيّن إحقاق السابقين بالذريات ﴿الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾. طيب، هذا النور والأجر الذي أخذه رسول الله، هذا الفضل والمدد والدعاء وهذه الصلوات عليه، أليس لوالده حق فيها ولمرتبه عبد المطلب ولمرتبه أبي طالب؟ أليس لأمه حق في ذلك؟ ألم يكن النبي يبيّن لأصحابه أنّ هذا الابن ملك لأمه وأنّ الجثة تحت أقدام الأمهات (أو ما كان معناه إن لم يكن حديثاً) أنّ الأمهات لها قيمة كبيرة "أمك ثم أمك ثم أبوك". ألا يمكن أن نفهم قيمة الأم ونحن نفصل بين النبي وأمه، كيف نفهم هذا الأمر؟ لا بدّ إذاً أن نعيد التفكير في المسألة.

كل هذا النور الذي أورثه النبي للإنسانية، كل هؤلاء الجهابذة، كل صلواتهم كل عباداتهم وتضحياتهم، أجزها إلى رسول الله. ورسول الله صلى الله عليه وعلى آله يوصل نصيب ذلك إلى والديه وإلى أصوله كلها إلى نبي الله إسماعيل. أي عظمة أي قدر أي شرف!!

هل الله يغفل عن نبيه؟ هل يظن أحد ويقول عاقل أنّ النبي يموت والده ثم أمه ترتكب فاحشة حتى يولد من صلب آخر؟ ويتساءل من أبو محمد وهل له إخوة؟؟ الناس تخترع في العلوم، تبتكر في الفهوم، تقف وتقاوم، تجهز نفسها للحرب العالمية الثالثة، تتجهز لنييرو، تتجهز لأمر عظيمة، لخروج قائم آل محمد، لأمر كبيرة جداً، وأنت يا هذا التعس لم تجد شيئاً تشغل نفسك به إلا أن تنقّب واهماً موهماً مدّعياً كذاباً في طهر الصلب النبوي؟! أيقبل ويُعقل هذا؟

#### خاتمة

هذه إن شاء الله مجرد مقدمة علمية، ولعلها مقدمة فكرية ومحاولة لتجميع شتات الأفكار في هذه المسألة. دعوة إلى موقف إلى وقفة "نحن الذين بايعوا محمداً". في هذا الخندق الذي تعانیه الأمة جميعاً

نريد أن نرى منشوراتكم نريد أن نرى مشاركاتكم نريد أن نرى فعلكم، تعساً لعاشق عاجز، تعساً لمحِب كسول، تعساً لمؤمن لا يدافع عن أمن به، تعساً لإنسان يستطيع البعض أن يخدعه ويقول له: إن سيدنا محمد سيد الخلق ولكن والداه في النار، أو يصدّق هذه الأراجيف، وتعساً لمن يرى مثل هؤلاء ولا يجيبهم بالحجّة والعلم، بهدوء نحن أهل هدوء وأدب، اكتب شعراً إن استطعت، أنشد أنشودة إن استطعت، اكتب مقالاً إن استطعت. وأيضاً من التعاسة الكلية أن يكون ذلك لفترة ثم يمضي، نجعل هذا سنة حميدة عندنا في كل فترة نتكلم نحاضر، ونقيم مولد إن شاء الله للسيدة آمنة وسيدنا عبد الله نكلاً في هؤلاء. ولعل خبراً يسرنا من موقف الدولة الرسمية إن شاء الله نسمعه قريباً. ونكمل المهمة، جزاكم الله خيراً، نلتقي إن شاء الله في تتمّة ما بدأناه من دورات تكوينية ودروس عرفانية.

### أثقل درس على القلب

والحقيقة صعب علي الكلام اليوم كثيراً ووجدته ثقيلاً على صدري وعلى نفسي لأني لا أستطيع أن أتخيل هذا الكلام الذي قيل أو أن أعيده وأن أكرره، وحاولت أن أتلافى غضباً شديداً مسّني بحكم أنني أدين للسيدة آمنة بأمور كثيرة زرت قبرها أكثر من مرة، وأدين لها بالولاء من حيث إيماني بابنها المعظم سيدنا محمد وولائي له، من باب بيعة القلب بشهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، من حيث انتسابي إليها بالنسب الدموي بحكم أنني أنتسب لهذه الدوحة الشريفة نسباً لا ريب فيه ولا شك فيه، من حيث أمور أخرى أعجز عن وصفها والكلام فيها تخصّ أمور روحانية وأمور قلبية لا أستطيع التعبير عنها (ربما الشعر سيسعفني لاحقاً)، من باب غضب كبير جداً وعتب كبير جداً كيف سُمح أن يبلغ الأمر إلى هذا المستوى وأين آراء المشايخ وأين أقوال العلماء وأين الرأي الرسمي؟!؟

كان أولى أنّ هذا الأمر في أول يوم يتمّ إيقافه ويتمّ إيقاف هذا الشخص بالقانون، نحن لسنا همجاً ولا رعاعاً، بالقانون، بسلطة الدولة المدنية التي لها دينها ولها شرفها. كما نفتخر بعلمنا، كما نفتخر بعمامتنا الزيتونية، بالجبّة التونسية، بهذه الأصالة، نعتزّ برسول الله هو أعزّ علينا من أنفسنا. فنحن الذين بايعوا محمداً، ولن نترك هذا النبي وحده أبداً، لن نترك أهل بيته ولا والديه. وكفى يا بني وهبان وبني ثعلبان كفاكم هراء وافتراء، كفى لمن يقول أنّ والدي النبي في النار، وكفى لمن يقول أيضاً هذا الكلام وينشره. فنسأل الله أن يعيننا ويثبتنا، وأن يقوّي قلوبنا وأن يهدي نفوسنا، وأن يجعل في ألسنتنا فصاحة وملاحة.

طيلة سنين محاضراتي الطويلة لم أتكم في درس أثقل على قلبي وعلى صدري من هذا الدرس اليوم، لغضبي الشديد جداً، ولأنّ هذه الصورة التي رسمها هذا الدعي السافل ومن كان معه ممن أخذ عنهم من فجرة الأقباط، لا أتكم عن الأقباط الطيبين بل عن المتطرفين الذين لديهم علاقات بالصهاينة وبالإنجيليين في أمريكا، أقول أنّ هؤلاء فجروا فجوراً كبيراً وكتبوا حتى كتاب لعلمهم سمّوه "عزازيل" حسب ما بلغني. وأنا كنت اطلعت تلميذي محمود الحكم أجرى بحثاً وأتانا بالمقال الأصلي وكذلك بمن ردّ عليه منذ سنة 2011 رداً علمياً دقيقاً وجيداً.

المهم أنها غضبة كبيرة، لا نحب أن ن فقد بها شيئاً من أعصابنا وتماسكنا، ولكن إن شاء الله الجواب ما يراه هذا الدعي لا ما يسمعه، إن شاء الله ستكون ردود علمية وقانونية. وأنا أهيب بكل من هم من تلامذتي أو من أحببنا من المحامين من تشكيل لجنة قانونية لجنة من المحامين من المشائخ من المحبين، وأن لا نصمت عن هذا أبداً أبداً أبداً. بلغ سيل الزبي وتجاوزوا الخط الأحمر بكثير ولا يُقبل من هؤلاء. ليست هذه لا حرية تعبير ولا ديمقراطية ولا حرية فكرية ولا شيء، هؤلاء مجرد عملاء، أذبال لعدونا، أذبال للصهيونية، فسدة حسدة كسدة، ليس فيهم إلا حقوق جحود حسود لا يسود كنود، وهؤلاء أيضاً يجب أن نوقفهم بالعلم وأن نوقفهم بالقانون.

ليس مسموحاً أبداً أن تتهم شرف السيدة آمنة وأن تتهم شرف سيدنا عبد الله وأن تقول عنه كلام فاسد، ليس مسموحاً أبداً أن تعتدي على نبيّنا في أرض سقاها المسلمون سقاها الصحابة بدمائهم، سقاها المقاومون وهم يقولون "الله أكبر" بدمائهم.. حتى تخرج أنت وتتكلم بهذا الكلام! والله لو كان الأمر يُطبّق فيه جوانب أخرى فقهية، حُكمك جلي واضح، ولكن نحن في دولة قانون نترك الأمر للمفتي فهو الموكل بالجانب الديني الإفتائي، ونترك الأمر أيضاً للدولة نثق فيها إن شاء الله، ونحن نأخذ الجانب العلمي، وندفع من أبنائنا من ينوب عنا ومن أصحابنا الجوانب القانونية، وسنرفع قضية في هذا الأمر على وجه مستعجل بعون الله، وسيكون لنا موقف واضح وجلي.

نحن الذين بايعوا محمداً، لن نخون العهد أبداً، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الدرس بتاريخ: 2024-06-18





## محاضرة في عشق المحبوب الأعظم والحبيب الأكرم في مجلس الدرّة العمانيّة

### مقدمة

الحمد لله الذي على العرش استوى، فالق الحب والنوى، العليم بنية الناوي وما نوى، الذي لا إله إلا هو، والذي أرسل محبوباً فأقسم من حضرة القدس والأنس بالنجم إذا هوى، أن ما ضلّ نبينا وما غوى، وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، علّمه شديد القوى، ذو مِرّة فاستوى.

وصلى الله على محبوب رب العالمين، قبله خلق العالمين، إمام العالمين، وسدرة المتقين وقبلة العاشقين، وسيد الأنبياء والمرسلين، وشفيع الخلق في يوم الدين، طه النبي البهي المحبوب المرغوب المطلوب من قلوب العاشقين، صلّ اللهم عليه وعلى آله في كل وقت وفي كل حين، وارض اللهم عن أصحابه، وسلام على أحبائه، والأنبياء الواقفين في حضرة جنابه، وكل ملك موكل بباب من أبوابه، الذي نجى به من عظيم عذابه، وأنجى به من شديد عقابه، وأجزل به من عظيم ثوابه، وصبر به المبتلى على عظيم مصابه.

### فناء بالعشق

للعشق يا أحباب أحوال وأطوار، وأنا أسمعكم بقلب وروح ودم هو للنبي كله، هو لفاطمة سرّه، ولعلي نفحه، وللحسن مدده، وللحسين إباؤه، ولزینب صبره، ولعبد القادر الجيلاني نفحه، وللخضر علمه، ولكل ولي منه نصيب.

قلت مناجياً سادة سكنوا سدرّة المنتهى، وإليهم الجمال انتهى، وهم في كل أمر نُهي، لروح جميلة حنّت  
إلي وقد نظرت إليها ومضت روجي لها، قلت مؤلّها:

أفنيّت عمراً في هواكم \*\* ما ذبت عشقاً في سواكم

أترى تركتكم مغرماً \*\* صبّاً يئنّ وهل تُراكم

تُبْقون وجدي مُسرّجاً \*\* وأموت عيني لا تراكم

يا آل بيت محمد \*\* لاذ المتيمّ في حماكم

هذا الفتى محسوبكم \*\* ودماه بعضٌ من دماكم

هذا الفتى محبوبكم \*\* يهب الحيا دوماً فداكم

فبحقّ طه المصطفى \*\* لا تحرموا قلبي رضاكم

أنا وإن كنت درست من الفقه والعلم والحديث، فإني أراني مع العاشقين، مذنب كذنوبهم، وكان مما قلته  
في الحضرة معكم:

"أتيتكم أحمل ذنبي، فرددتموني ورددتم معي ذنبي

وأتيتكم بعيوبي، فرددتموني ورددتم معي عيبي

وأتيتكم بقلبي، فرددتموني وما رددتم علي قلبي"

فبقي عندهم القلب، وبقي عندي الذنب والعيب.. فبحق هذا المحبوب، به تُغفر الذنوب.

وجدت في عُمان

أقف بينكم مع هؤلاء المحبوبين في عمان التي وجدت فيها نفحة المصطفى، أرسلها مع من هو سميّ لي:  
صحابي كريم اسمه مازن، أتى فتبسّم النبي له ودعا له ولأهل عمان. وقد اجتمعت الشام، والمدينة

بأنصارها، والمغرب بأشرفه، واليمن ببركة سيدي الحداد ونور أويس القرني وأمداد حضرموت، والشام برسالتها حامي البر والشام وبصالحيتها، والعراق بحضرة الشيخ عبد القادر والإمام الرفاعي والجنيد وأئمة آل البيت في عمان.

قلت أني وجدت في جبال عمان جلال جبال مكة، ووجدت في طيبة أهلها وسكينة سرّها ولذيد ما فيها من خمرها وتمرها وأمرها وجدت سكينة المدينة، ونظرة محمدية، وعطفة أحمديّة، بل لكأنّ الروضة البهية أرسلت من نورها وسكيتها على عمان وأهلها حاكماً ومحكوماً، فرأيت عين الرضا تشمل الكل، رأيت من حكم بسرّ السعادة فأسعد الله به الناس، ورأيت أهل سعادة وإيناس. وحقّ الذي برأ النسمة وخلق الخلق سبحانه وتعالى ما كان ابن فاطمة هيّاباً ولا منافقاً ولا مرأياً، ولا جائنّبنا الحق يوماً ولا جائنّبنا، ولا أخطأنا رمينا أبداً، أنا آتي في مقام العشاق.

### أفعى النفس

وسيدي محمد حبيب البوزيدي هذا العاشق العظيم الذي أتاه سيدي أحمد بن مصطفى العلاوي وكان صياد أفاعي، فقال: يا بن عليوة إئتني بأعظم أفعى، فمكث أشهراً حتى أتاه بأفعى لم يرّ الناس مثلها. قال: يا بن عليوة ثمة أفعى أعظم من هذه، قال: يا سيدي والله ما في أرض الجزائر ولا المغرب أفعى أعظم منها، قال: نفسك التي بين جنبيك. فكان أن بدأت مسيرة كان لها مع تونس حال. وكنت خطبت في جامع باريس الكبير حيث كانت أول خطبة سيدي أحمد بن مصطفى العلاوي، لما دخلت المسجد قلت: إني أجد نور هذا الولي، فقالوا لي: كان أول من خطب الجمعة فيه. ومضيت إلى مستغانم وغيرها متوسلاً سائلاً، لأنهم يطبقون قول الله للنبي: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ وأنا سائل من بركة ومدد.

### قالت سُلَيْمِي

فكان من حالي في العشق، وقد زرت من قبل سيدي ابن الفارض وسيدي البوصيري فأعطوني شيئاً من عندهم يبدو للناس عظيماً وهي قطرة من قطراتهم:

قالت سُلَيْمِي أَنْتَ فِي الْحَبِّ تَدْعِي \* \* مَا زِلْتِ حَيًّا لَمْ تَمُتْ قَلْتُ اسْمِعِي

موتي بعشقتك قد تناقله المدى \*\* فأنا الغريق بمقلتيك وأدمعي  
وفناء كلي في غرامك كلما \*\* حلّ النوى لم يبق من شيءٍ معي  
وأنا القاتل المستهام بنظرةٍ \*\* كالسهم من عين البهيّ الأروع  
لو إن رأيت عينيك قيساً لانثني \*\* عن حبّ من يهوى بليّ الأذرع  
وانهار عنتره وعبلاً قد سلا \*\* ولجّ من سحر الجمال الأصمعي  
عينك مذ سلّت سيوف لحاظها \*\* قال الجمال لكلّ نفسٍ اخضعي  
هل لحظك البتار قد رحم الوري \*\* كم سبّبت تلك المدى من مصرع  
أم قدك الميأس قد عذر الفتى \*\* إذ طيف حُسنك قد تسوّر مخدعي  
واعدتي والوعد من عندك مزحةٌ \*\* ما كان ظيّي في الهوى أن تخدعي  
وسقيتني حتى ثملتُ وكلّما \*\* هجعت عيون تصبّري لم تهجعي  
تمشين في روعي كسهم مرّقت \*\* أشواقه السلوى وشقت أضلعي  
فتبسّمت جذلاً وقالت صُدّني \*\* إن كنت تغلّبني وحظّم أجمعي  
أنا فتنة العشاق أطوار الجوى \*\* فقلوبهم ختمّ يزيّن إصبعي  
لا تعتذر بالدمع أو تغرق سُدّي \*\* مُتّ لوعة ودُقّ الردى يا مدّعي

الْحَضْرَةُ تَرِيدُكَ بِأَكْمَلِكِ

هكذا الحاضرة أيها الأحباب تريدك بأكملك ولا تريد في الحب بضعاً منك، فإذا عشقت الله فاعشقه بكلك،  
وأت إليه بعين ذلك. وانظر إلى ذلك الجمال العظيم في ذلك المقام العظيم عند ذلك العرش العظيم  
بتنزل الاسم العظيم بالنبا العظيم بالملك العظيم في المشهد العظيم في الغار العظيم على النبي العظيم.

انظر إلى ضمة في الغار حرّكت العرش وحملته، ما كان للمحبيب أن يُخطب إلا بالضمّ، وما كان له إلا أن يُضمّ، وما كان ثمّ إلا ما كان ثمّ، ضَمَّ جلالاً وضَمَّ جمالاً وضَمَّ كمالاً، ومضى ينادي "زَمَلوني دَثَروني"

يا رفاقي زَمَلوني \*\* دَثَروني بالغمام

فاض دمي فاعذروني \*\* قد سبى روجي الغرام

قوم سلمى عدّبوني \*\* إنهم قومٌ كرام

وسلّمي في عيوني \*\* فهي مصباح الظلام

من قصائدي عندما أسكر

ما كان لأمر أن يتمّ إلا بأمره، ولا كان لخلق أن يتمّ إلا بأمره، خلق الله القلوب قبل خلق الأجساد، فمنح بعض الأجساد حقّ الوصول إلى قلوبها ورؤية محبوبها وتحقيق مطلوبها ومرغوبها، وحال بين امرئ وقلبه، إذ أنه من المحال أنّ عيناً ترى ذلك الجمال فلا توحدّ بخالق الجمال. فمن مُنح هذه النظرة القلبية قبل هذه الدنيا بسابق الإسعاد والإمداد ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ كانوا من العاشقين وقد أفلح العاشقون، وكانوا من المادحين وقد أفلح المادحون.

فليتقدّم المدّاحون

وقصّ لي أحد الصالحين خبراً عن أحد الصالحين قد رأى في المنام النبي المكرّم المعظّم ومعه العلماء والمدّاحون، فنودي للصلاة، فقال النبي "فليتقدّم المدّاحون"، لأنّ المحب مقدّم على غيره، فأنشدت حينها:

ضدّ الظنون وخلّها يا صاحٍ \*\* واطرب لشدو البلبل الصّدّاح

دع عنك قول المرجفين وما ادّعوا \*\* وامدح فإنّ الفوز للمدّاح

وقلت في غيرها:

صلى عليك الله كيف صلاته \*\* هل تبلغ الأكوأ مدحك سيدي

ما قولنا ما شِعرنا ما مدحنا \*\* ما لفظ مُمتدحٍ وبُرْدَة مُنشدٍ

فناء في العشق المحمدي

وكنت مرة في خطبة في مولده عن مواعده، فتبدى جمال الذي قال عنه سيدي عبد الغني: "دع جمال الوجه يظهر \*\* لا تغطّي يا حبيبي" فتوقفت عن الدرس ونظرت إلى الذي ألقى التحية على الروح التي كانت قبله كالعصا بقلب قد عصى فألقاها في سرّ طوى بقلب قد احتوى وعشق قد استوى وما إلتوى فصارت حية تسعى، قلتُ:

أنت الضياء فلا شمسٌ ولا قمر \*\* ولنور وجهك طاب العشق والنظرُ

حتى الملائك أدناهم وأقربهم \*\* كنت الإمام وأنت المرسل البشرُ

يا أكرم الخلق يا أعلاه منزلة \*\* أجلى الحقائق أن في هديك الظفرُ

منذ أن صعدت إلى الرحمن في كنف \*\* يشتاك خطوك حتى الرمل والحجرُ

إنّ كل حجارة الدنيا تأتي يوم القيامة تنازع عن حقّها أن لم يطأها النبي محمد، وإنّ كل شجر الدنيا يأتي يوم القيامة مجادلاً عن حقه أن لم يستظلّ به النبي محمد، وإنّ كل حجر مشى عليه وكل أفق سعى إليه وكل منظور تشرف بنظرة من مُقلتيه مباح يوم القيامة، تباهي ناقته النوق، وتباهي أمته الأمم، وتباهي الشجرة التي وقف تحتها طفلاً فقال الراهب "هذا نبي" شجر الدنيا والآخرة.

واعلموا أحبتي أن ما في الجنة أجمل من عيني محمد، ولا أطيب من ضمّ محمد، ولا أنعم من كفّ محمد، ولا أشدى من شمّ محمد، ولا أزكى وأدنى من ضمّة النبي محمد، ولا في الجنان وحورها، والسدرة وطورها، وسرورها وحبورها، وملموسها ومنظورها، أجمل من أن ترى ذلك الجميل.

وإنّ حضرة العلي سبحانه إذ أقامه في مقام "واصبر نفسك" قد حثّه على قوم أبان في شأنهم أنهم ليسوا الذين يدعون ربهم رغباً ورهباً، ولا الذين يقولون "إنك من تدخل النار فقد أخزيتة"، ولا من الذين يريدون لذة الجنة ونعيمها، وكل أولئك زكي، إنما أقامه مع قوم يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، مطلق الحب ومحض المحبة، يُيَمِّمون وجهة الحب ووجه المحبوب. فتساءلت بيني وبين نفسي: لماذا يأمر الله حبيبه إمام الصابرين أن يصبر نفسه مع قوم أدنى منه؟ فأجابني الروح: **لأنّ الذي يريد وجه الله لن يلقاه إلا بوجه رسول الله.**

فالنظر في وجه النبي يوصل إلى حضرة العلي، والنظر في وجه علي يوصل إلى حضرة النبي، قال: **"النظر في وجه علي إيمان"**، والنظر في وجه ذريته يوصل إلى مزيته، لأنهم بقية، شيء من دمه وبعض من نجوى فمه، من همّة وهمّته وتمام مهمّته، مبتدأ بهم مختوم بهم منصور بهم، حملوا البلية وعادوا الرزية وربحوا القضية وصقّوا النية ومنهم يُخرج الله البقية.

#### مجلس حضرة

فبحقّ كل نبي وصديقه نقيه، وبحقّ كل ولي ووليه، وكل تقي وتقية، يحفظ الله عمان وسلطانها، ويحفظ الله سبحانه شأنها، بولي قد زانها ونبي قد سكن أركانها. اللهم احفظها والحظها ببركة سيدي المكرّم السيد محمد جدّ آل بعلوي الحسيني، وبكل الأسياد فيها، وبسيدي مازن ابن غضوبة الصحابي الجليل، يحفظ الله الحاكم والمحكوم، يحفظها من كل بلاء نازل، من الهم والغم والزلازل، ويقيم فيها الضمان بما سمّاها عُمان، ويجعل فيها الأمان، وفي مسقط سقوط السرّ الذي يتنزّل من حضرة الأئمة وخمور القدس.

اللهم بارك في رمضان، وارحم أمة الحبيب المصطفى يا رحمن، فترج اللهم بلاء المبطلين، واهد إليك قلوب الذين ضلّوا وكفّوا وملّوا واختلّوا واعتلّوا وما عرفوك حق قدرك، فتنتهم الشياطين، وأنت رب العالمين غفّار ذنوب المذنبين، أصلح شأننا واجعلنا من الصالحين، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، واكتبنا في كتاب الصالحين، وثبّتنا حتى حين، حين الأجل يحين، بسرّ:

لا إله إلا الله يُشفي بها صدري

لا إله إلا الله يسلك بها أمري

لا إله إلا الله أدخل بها قبري

لا إله إلا الله يزكو بها قلبي

لا إله إلا الله يُقبل بها حُبِّي

لا إله إلا الله يَقبل بها حَبِّي

لا إله إلا الله يرضى بها ربِّي

لن أطيل عليكم لأنّ العاشق كثير هيام لا كثير كلام، وأنا في حضرة هذا الشيخ ابن الشيخ الذين أورثهم الله أمانة رسول الله فيما ترك، فجزى الله خيراً الشيخ محمد الخزرجي ورحم الله روحه في الأرواح، وبارك في ابنه سيدي أحمد، وبارك في شيخنا من اليمن كما بارك في شيخه سيدي الحبيب، وفي حبيبنا من الشام وفي أحببنا الأعلام السادة الكرام وفي أهل العراق، وفي كل من سمع وحضر في الحضرة الغيبية والحضرة السندسية. فإنّ من حاضري هذا المجلس من عنه تغنى أهل المجلس، لأنّ الحبيب أكرم منك، فإن مدحته أتى إليك، لأنّ ربه أقام من قبل الفضل فقال: "أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، ولو أتاني ماشياً لأتيته هرولة، ولو تقرب إلي ذراعاً لتقربت إليه باعاً"، وكذلك الحبيب الأعظم.

فإذا كنت في مثل هذه الحضرة فقل بلسان القلب والحب: "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، بسرّ سرّك في الأرواح وسريان سرّ جسدك في الأشباح، وأشهد أنّ ربك قد أرسلك وقد جمّلك وقد كمّلك وقد دلّك وقد أذلّ كل شيء لك، وأنت أنت المحبوب المطلوب المرغوب، وأنت مفتاح الجنة وإمام القرآن والسنة، وأشهد أنّ ربك واحد لا يجحد به إلا جاحد، وأنه فرد صمد بلا شبيه، تعالى عن زمان يطويه أو مكان يحويه أو شيء من خلقه يحلّ فيه، وأطلب منك نظرة ومدد لا أبتغي بعدها شيئاً، وصبراً إنّ وعد ربك كان مأتياً".

فالحمد لله الذي ألهم اللسان فنطق، وألهم القلب فخفق، الحمد لله الذي رزق، خلق الإنسان من علق، عدد السر وما اتسق، وعدد ما أوجد من نسق، وعدد من دعاه في الغسق، وعدد من أحبه إلى آخر رمق، وعدد من نظر ومن ترقى ومن تعلّم وتلقى، اللهم اجعلنا في العاشقين.

## قلت في حال سكر

قلت مرة في حال سكر:

زدني من حبك كي أفنى \*\* وأغيب بدالية المعنى

ولتسكب خمرك في شغفي \*\* كي أسمع لحنك والمغنى

وتجلى من غير حجاب \*\* كي أنظر للألق الأسنى

وافتح لي لجناحك باباً \*\* متنا في الوجد وما متنا

وسأسجد سجدة ولهان \*\* أفناه الحب بما أوني

وسجود ضعيف لقوي \*\* هامُ الأملاك له يُحنى

وسجود فقير لغني \*\* ما أجدى المال وما أغنى

وسجود ضعيف لقوي \*\* جبار حي لا يفنى

هبني الهوى كأساً وخذُ أنفاسي \*\* ولتسقني من خمرة القداسِ

يا مُحرقِي بالعشق لستَ معدّبي \*\* بل نارك الفردوس في إحساسي

أنتَ الذي بسطَ الجمال لناظري \*\* حتى نظرتُ وما درى جُلّاسي

أفنيّتي بالوجد حين أذقتني \*\* خمراً بروحي لا بجوف الكاسِ

إني أتيتُك مؤمناً ومسلماً \*\* ونزعتُ من قلبي هموم الناسِ

الحمد لله على هذا الحال وهذا المقال.

مرة كنت في محاضرة في مسجد وكان أحد الفتية الذين ابتلوا بالفكر المنحرف هداه الله، فشاتمني من بعيد، وعندما يأتي العلقم يشتم النحل تصنع له عسلاً منه، لأنّ كلاً يردّ على حسب ما أودع الله فيه، فلو

أَنَّ كلباً نبج على أسد لن ينبج الأسد عليه بل يزأر، وكذا أهل الجمال والآل ردّوا على الدنيا بجمالهم، وردّ الصالحون على فنائها ببقائهم في سرّ الباقي وبكمالهم، وردّوا على فنائها بعظيم حالهم وجليل جلالهم وما أمتح الله من وصالهم، فهو الماتح المانح سبحانه وتعالى، فقلت له:

بسطتُ حرف المنجلي \*\* في كفّ روجي المخملي

وقلتُ يا نفحات جدّي \*\* بجاه أحمدك اقبلي

أنا ابن خير الخيّرين \*\* ابن التقي الأول

أنا ابن فاطمة البتول \*\* أنا ابن حيدرة الولي

أنا حفيد السيّدين \*\* وحقّ هذا الفخري

والخضر علّمني العلوم \*\* وكلّ سرّ منجلي

أضياء نور الحب أدنى \*\* وقيل زهراء اقبلي

فلتسألني الرحمن يعطي \*\* ربّ حباك تدلّلي

قالت لأبنائي الجنان \*\* فقليل فردوس اقبلي

وقيل يا رحمات سيري \*\* بجاه فاطمة انزلي

كملتها شعبي شوي عالراقي:

داخل على ربي العلي \*\* بأحمد شفيعي وواصلي

داخل عليه بفاطمة \*\* وداخل عليه بعلي

داخل عليكم بالحسن \*\* وبالحسين الأكمل

داخل عليكم بالصحابة \*\* وكلّ ولية وكلّ ولي

داخل ولمن يسألوا \*\* عني ومن لي ومن إلي

أنا ابن حيدر وفاطمة \*\* والجنة داري ومنزلي

سوانا يدعي وصلأً بليلى \*\* وليلى عندنا ترجو الوصلاً

سوانا يكتوي بجمال ليلي \*\* وليلى عندنا احترقت جمالا

إن شاء الله ربي يزيدكم هيماً وغراماً، وصوتكم من الجنة، أنت صوتك عدّ بني تعذيب خاص. الله على هذا الجمال كم يُبكي، وكم يلدّ لجدّ الحسنين، وكم يحضر به الحسن ثم الحسين، وكم يُرضي طه الزين، وكم يتجلى الله به من غير أين، وكم خلق الله منه سرّاً تجلّى على من كان في الغار ثاني اثنين، الله على هذا الحال وعلى هذا المقام.

من كلام سيدي عبدالسلام

وأختم بكلمة يا أحببنا، أنا في طريقي التي لُقنتها عن الخضر عليه السلام الذي أقام في دارنا في دار آل البيت، وكان له مع جدي عبدالسلام الأسمر مواعيد ومواجيد حتى قال:

أنا قلبي مشتاق \*\* لزيارة خير الأنام

سال الدمع دفاق \*\* يسكب من روس الميامي

بالله يا عشاق \*\* للهادي ودّوا سلامي

قولوا له مشتاق \*\* لزيارتك عبد السلام

وقال مرة:

الله يا عالم بي \*\* هيا اولاد الدرعية

(أمه الدرعية حفيده سيدي سليمان الجزولي)

الله الله يا عالم بيّ

يا سادتي رشّدوني \*\* يا اهل الكؤوس النقية

هاضت عليّ فنوني \*\* أمر عجب حلّ بيّ

سرح رجالك ياتوني \*\* يا عالماً بالخفية

أريدهم يشهروني \*\* قبل نزول المنية

وانتقل السرّ إلى من كان قبلنا صابر عن صابر وكابر عن كابر..

من تلقّياتنا عن الخضر

لنا في هذه الطريقة معاني من بينها: الإمداد والإسعاد والإنشاد والإرشاد.

- الإنشاد فيه إرشاد، والإرشاد فيه إسعاد، والإسعاد فيه إمداد
- الإمداد فيه إسعاد، والإسعاد فيه إرشاد، والإرشاد يحلّ به ويحلّو به الإنشاد

وهكذا...

ثم لدينا: فكر وذكّر وشكر وسُكر.. (هذه تلقّيات مباشرة)

- أما الذِكر فهو انكسار (انكسار الذال) القلب في حب المحبوب
- وأما الفكر فهو انكسار العقل في عظمة علام الغيوب
- وأما الشُكر فهو اجتماع نقاط ثلاث: حضور عقل وقلب وروح
- وأما السُكر فهو هتك الحجب الثلاث فلا عقل ولا قلب ولا روح، بل غرام يسري وروح، وجمال يبدو ويلوح، وسرّ منفوح على صدر مشروح، به هام من قبل إبراهيم ونوح.

ولنا كذلك أمر آخر وهو أنّ لآل بيت النبي وللصالحين: جمر وتمر وخمر وأمر

- فمن قبض جمرهم
- أطعم تمرهم
- وأسقي خمرهم
- ففهم أمرهم

لا تفهم الأمر إلا وأنت سكران، الصاحي لا يفهم، الصاحي يستقيم ولكن لا يهيم، لذلك هاموا سكارى لما سكروا.

### نصائح لأهل التصوف

ختاماً هذه القصيدة العظيمة الحقيقة فيها شيء مهم أريد أن أقرأه وأنتم أنشدتموه، وهذه نصيحة لمن يسمعنا من مريدي التصوف: لا تهّم بسوى الله، كن تقياً لتلقاه، واعتمد سير لقياه، حال ذي الهيمان. بمعنى: أنّ المرید إذا قصد غير وجه المراد تاه عن السبيل وحاد.

والنصيحة الثانية العظيمة وأنا أرجو أنّ كل شيوخ التصوف في العالم الإسلامي يُقرؤون هذه القصيدة ويدرسونها لأنها مهمة جداً: انسَ ذكر الكرامات، واعتصم بالكمالات، أنت أنوار القيوم ساطع بالبيان.

الآن يا أحباب بعض الشيوخ الذين ليسوا بشيوخ ليسوا موصولين. أنا قلت مرة:

"الموصول بالموصول موصول

والداخل بالمقبول مقبول

ومعرفة المفتوح عليه فتح

ويحتاج السر سرّاً لفهمه"

وهذا يطول شرحه.

وقلت: "أعظم الكرامات قلب عن الكرى مات" و "من كانت كعبته ذاته لا يطوف به نور"

الكرامات هذه إكرامات إلهية، لم يتعمد ولي أن يظهرها علناً بل الحضرة أجبرته، كما أجبر على الكلام الآن، وإني أحبذ الصمت وأن أكون في آخر الزاوية، ولم أرني يوماً أهلاً لشيء من هذا. كان من هو أعظم مني قدراً وأشرح مني صدرًا سيدي أحمد الرفاعي في مجلس فقال: "حُشِرْت مع فرعون وهامان إن حسبتُ نفسي شيخاً على أحد من هؤلاء أو حسبت نفسي شيخاً أصلاً، أنا لاش اللاش أنا أحيمد اللاش"

فلما يُغرم المرید بالكرامات ويفتنه شيخه الشيخ الذي لم ير كرامات، وقلبه لا عن الكرى مات بل بالكرى مات، قلب نائم، فلما يُغرم بهذا: ما القصد يا فلان؟ أن أرى شيئاً من كشف، أن أصبح صاحب قدرات، سوبرمان صوفي... أين الهمة أين المهمة أين الهم أين الألم؟؟

والله يا أحباب ما زوج الله ليلى بأحد خطبها قط، ولا زوجها لأحد أرادها قط (ليلى الأسرار والأنوار).

أَوْمِيضُ بَرْقٍ بِالْأَبْيَرِ لَاحًا \* أَم فِي رُبِّي نَجِدِ أَرَى مِصْبَاحًا

أَم تَلِكْ لَيْلَى الْعَامِرِيَّةُ أَسْفَرَتْ \* لَيْلًا فَصَيَّرَتْ الْمَسَاءَ صَبَاحًا

والله ما زوجها إلا لمن خطبته الحضرة.

لذلك قلت وأنا في حلب مرة -على ذكر سيدي الرواس وأبو الهدى الصيادي كنت تحت الدراسة عندهم فترة، أنا درست كل مرة عند واحد- تأملت في هذا الحال فقلت:

"ألا وإنّ الحضرة كما تُخطب تخطب"

وما كل من خطبها نالها، وكل من خطبته نالته

ذلك أنه ليس الخاطب كالمخطوب ولا الطالب كالمطلوب ولا الراغب كالمرغوب ولا المحب

كالمحبوب ولا القاصد كالمقصود ولا الراصد كالمرصود ولا المرید كالمُراد"

وإنّ بعضنا يريد ربه على هوى نفسه ولا يريد أن يكون على هوى مولاه، يقول: أنا عبدتك لم لا تعطيني كرامات؟ أنا قمت بالأذكار 270 ألف مليون مرة... الآن الخضر لما جذب عرش بلقيس ختم يس 200 ألف مرة؟ الرسول لما خرج إلى القوم ووضع على رأسهم التراب عمل أربع ختمات للقرآن و27 ألف لا إله

إلا الله؟ هذه لنسف النفس والكبر وتنقية القلب. أنت لا تطلب من الرب، الرب يعطي على ما يريد، أنت لا تدخل عليه بحسناتك، فحسنتك سيئات عند غيرك، ادخل عليه بحسن الظن، بانكسار القلب، برغبة الوصل والعطاء، بالإنحاء في حضرة النبي تحت قدم النبي الذي سار بحذائه إلى سدرة المنتهى وإليه كل شرف انتهى "نظرتُ في حسناتي فلم أرَ إلا إحسانه إلي فلا حسنات لدي".

### مناجاة للحبيب في روضته

قلت لحضرة رسول الله وأنا في روضته، وأنا ابنه وبينني وبينه ما بيني وبينه:

"يا رسول الله

إن رحمني ربي برحمته وشفاعتك وأدخلني الجنة

فلا أرضى إلا أن أكون لك جاراً

فإن جنة لا أراك فيها جحيم شوق لا يُطاق،

وإن أخذ فعدل فكانت الأخرى فاطلع عليّ

فإن أهل الجنة مظلعون على أهل النار،

أي نار تحرقني إن نظرت إلي؟ أي جحيم يعنيني إن نظرتُ إليك؟"

### كن عاشقاً وامقاً

كن عاشقاً وامقاً واثقاً، رأى قيس ابن الملوّح مجنون ليلي كلبها، فقال عين رأته، هذا كلبها يدلني عليها، فمرّ بقوم يصلّون وهو يجري خلف من رأى عين الحبيبة، فلما ضمّ كلبها ورجع قالوا: ما لك مررت بنا نصلي ولم تصلي معنا؟ فقهاء العبارة الذين لم يفهموا الإشارة، الذين قتلوا الحلاج والسهورودي وكفّروا الشيخ عبد القادر، وينشرون إلى اليوم التقتيل والتفجير والتكفير، ضيّقوا الآفاق من كل أفاق، من أحرقتهم

نار الفسّاق، لم يكونوا من العشاق. قال: ويحكم أورأيتموني؟ كلب ليلى عماني وأنتم واقفون بين يدي الله رأيتموني؟! والله لو كنتم تحبون الله كما أحب أنا ليلى لما رأيتموني، ارجعوا أعيّدوا صلاتكم ارجعوا.

يسمّوني المجنون حين يروني \*\* بلى بي من ليلى الغداة جنون

وإني لأبغي النوم في غير وقته \*\* لعل لقاءً في المنام يكون

### خاتمة

أسأل الله أن يجمعكم بحضرة الحبيب حضرة شهودية خالصة نقية، مناماً وقياماً، وأن لا يقبض أحد منا إلا وقد شهد النظرة إليه، وتملى في مقلتيه، وقال له بلسان الحال والمقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، ونشهد أنه وأنه وأنه. وما نطقنا إلا بحضوره، ولا أنطق إلا بشرط ألزمته من قبل وألزمته. كان سيدي أحمد بن مصطفى العلاوي قال له النبي في مكاشفة: يا أحمد افتح زاوية، قال: لا أحسن الكلام، قال: أنت افتح فمك وأنا أتكلم. فالناطق أنا والمتكلمون هم، وذيل الطاووس ملكهم وما أملك إلا ذنوبي فقط. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس بتاريخ: 2025-02-27





## نفحات المولد: من هذا الرجل الذي وُلد

خواطر من وحي ذلك اليوم العظيم، ودفاع عن رسول الله وأصوله وفروعه، ورسائل إلى الأمة  
المحمدية

### مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين العزيز العظيم القوي **المتين**، وصلى الله على سيد  
الأولين **والآخرين**، المبعوث بالحق والهدي والشرع **والدين**، شفيعنا يوم **الدين**، محمد الهادي الحاشر  
الماحي **الأمين**، وعلى آل بيته الطيبين **الطاهرين**، ورضي الله عن **أصحابه** وسلام على **أحبابه** وعلى من  
وقفوا في **حضرة جنابه**، اللهم صلّ وسلّم على هذا النبي **الأنور**، صلّ وسلّم على هذا القلب **الأطهر**، اللهم  
صلّ وسلّم على هذا الحسن **المظهر**، اللهم صلّ وسلّم على العلم الأشهر والنور الأبهـر والقلب الذرب  
**الأمهر**، سيف الله الذي له في الملكوت **أشهر**، المعرّف الأجلى الأعلى الأجلى **الأشهر**، سيدنا محمد.

بعد غياب فترة اقتضاها الحال فالترّم بذلك المقال، نعود إليكم على هذه الصفحة ضمن سلسلة دروس  
نعقدها كل جمعة إن شاء الله لشهر أو أقل أو أكثر تُخصّص لمولد سيّد الخلق، سمّيناها "**نفحات  
المولد**"، لأننا في أيام عظيمة، أيام من أيام الله، ومن وصايا ربّنا لسيدنا موسى ﴿وَدَدَّكُم بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾.  
طالما نحن في هذه الأيام التي ولد فيها سيد الأنام، فإنّ الواجب يقتضي منا كما بيّنا منذ أعوام أن نتكلم  
عن شرف هذا المولد وعن قيمة هذا الموعد، وعن هذا السؤدد العظيم والمقام العظيم لهذا النبي

العظيم، الذي نزل عليه ربه العظيم، من ذلك الركن العظيم من فوق العرش العظيم بملكه جبريل العظيم، القرآن العظيم بالنبأ العظيم، فاحتواه الصدر العظيم وحواه القلب العظيم، ونطق به الفم العظيم وتكلم به اللسان العظيم. هي مقامات عظيمة، لأن سيدنا محمد أعظم الخلق قدراً وأشرحهم صدرًا، أظهره الله شمساً وأبداه بدرًا، ونصره بما نصره به من آيات وبيّنات ومن معجزات، ومن صحب سادات، ومن آل بيت هم مجالي سر الذات. هذا الحبيب الأعظم أيها الأحباب ليس مولده موعداً عادياً ولا يوماً اعتيادياً، إنما يوم من أيام الله، هو أعظمها وأكرمها وأعزّها وأقربها إلى الله، وأنسها إلى عشاق الله وأهل الله وأحباب الله وإلى عشاق رسول الله.

### سؤال طرح ليلة الميلاد

عنوان درسنا لهذه الليلة من هذه النفحات المباركات "من هذا الرجل الذي ولد؟" لعلّه عنوان مشاكس أو لعلّه عنوان يحتمل الكثير من التفكيك، لأنه سؤال طرح يوم مولده ليلة الميلاد، وهذا السؤال طرحه رجل من بني إسرائيل يسمّى صموئيل التاجر الذي رأى في مكة في شعابها ليلة ميلاد الحبيب شهباً عظيمة عجيبة تتساقط مسرعة، رأى آيات بهرت وظهرت، كالتى كانت في ميلاد عيسى وأكبر، كالتى ذكرت في ميلاد موسى وأكبر. عندما نظر إلى هذا المشهد في سماء الله، سأل سؤاله: من هذا الرجل العظيم الذي وُلد؟

لقد كان بنو إسرائيل ينتظرون النبي المنتظر، وكانوا يلوون أعناق الكلام ليبدو أنّ النبي الأخير منهم ومن ذريتهم، وهم يعرفون - كما يعرفون أولادهم (كما بين القرآن الكريم) - أنه عربي وأنه محمد أو أنه محمود، أو رُمز وأشكل عليهم الإسم ولم يخف عنهم الوسم. وكانوا أيام الإنتظار في تلك الفترة إذا خاصموا الأوس والخزرج قالوا: سيولد منّا نبي آخر الزمان نجتمع معه فنقاتلكم، ولكن الله كتب أن يجتمع الأوس والخزرج على اليهود فيقاتلوهم مع المهاجرين، لأنّ معظم بني إسرائيل للأسف خانوا الأمانة وحاربوا ما عرفوه حقاً وما تيقنوا منه صدقاً.

سأل هذا الرجل: من هذا الرجل العظيم الذي وُلد؟ طاف على بني إسرائيل يراسلهم ويزورهم: هل وُلد لكم مولود في هذه الليلة؟ فقالوا: كلا لم يولد من أحد. ثم سأل قريشاً: هل وُلد لكم من مولود في هذه الليلة؟ فقالوا: لم يولد مولود أبداً إلا واحداً، ابن عبد المطلب.

هذا السؤال المحوري "من هذا الذي وُلد" يستوجهه علينا مقام الآن واللحظة التي نحن فيها. بمعنى: هنالك من يكتب ويحاضر وينظر أنّ المولد النبوي الشريف بدعة وضلالة وأنّ الاحتفال بهذا المولد خروج عن الدين وأنه لو كان فيه من خير لبادر به رسول الله وأصحابه، وأنه يوم كباقي الأيام، وأنّ النبي بشر تميّز بالوحي ولكن يبقى بشراً ولما انتقل من هذه الدنيا انطفاً مصباحه وانتهى صباحه ولم يعد له من أثر.. وهذا فكر يُرَوِّج!!

### خيار من خيار

بل رَوَّجوا أيضاً أنّ الحبيب الأعظم من والدين كافرين، وأمه كافرة بزعمهم وأبوه كذلك، مستندين على موضوعات مكذوبات مدسوسات من الأحاديث، كما روي أنه سأل أن يستغفر لوالديه فلم يؤذن له، ثم سأل أن يزور فأذن له، وهذا من الإفك بمكان، وأنه قال لرجل "أبي وأبوك في النار". يكذب هذا بيان للنبي عليه الصلاة والسلام أيام المدينة عندما خرج في منبره غاضباً وقال: "ما لي أسمع قوماً يتكلمون في والدي؟! أبي خير من آبائكم وأمي خير من أمهاتكم، أنا خيارٌ من خيار من خيار، ما اختار الله بين شعبتين إلا كنت في أفضلهما". وهذا يكشف لنا أنّ هذه الفرية ردّدها المنافقون أيام حياته يريدون من ذلك النيل من شرفه العظيم ليُنقصوا من هذا القدر العظيم، بإبانة أنه وُلد من والدين كافرين، وأنّ عمّه الذي ربّاه وأكرمه وأطعمه وكفله أبو طالب كان كافراً، فوضعوا قصصاً لهذا الأمر..

1. أولاهها أنّ النبي طلب من أبي طالب أن يؤمن فقال "على دين الأجداد"
2. وأخرى جاءه علي فقال له: إنّ عمّك الكافر ابن الكافر قد مات، قال: إذهب فادفنه
3. والثالثة: "أهون الناس عذاباً أبو طالب، جمرتان يغلي منهما الرأس"،
4. ثم أتوا بآية ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ فلووا عنقها لتكون عن أبي

طالب

وكل هذا من الترهات!!

أبو طالب الذي قال قصيدة في مدح الحبيب عليه الصلاة والسلام: "وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه \*\*  
 ثمال اليتامى عصمةً للأرامل". بل وأنشد قصيدة من بين ما فيها: "ولقد علمتُ بأنّ دين محمدٍ \*\* هو  
 خير أديان البرية ديناً" وقد عدّها ابن سلام الجُمي في كتابه "جمهرة أشعار العرب" المعلّقة الحادية

عشر، بل قال: وهي تفضّل عن كل معلّقة سبقتها لغة ومعنى. وقصائده الكثيرة أبانت وكشفت وأوضحت وأجلّت وبرهنت ودلّت على أنّ أبا طالب رضي الله عنه وعليه السلام كان مؤمناً، والله قال له ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾، فالكافلان من الله: جدّه ثم عمّه.

وأما والداه، فإنّ بيانه الذي عبّرنا عنه من قبل، أو زيارته لأمه في ألف من الصحابة وبكى وبكوا معه، أو برّه بوالديه، أو قوله أنّ هذا الأمر لا يتمّ ولا يكون إلا بالأصلاّب المطهّرة فقال "ما زلتُ أتقلّب في الأرحام المطهّرة والأصلاّب المطهّرة، وكلّها من زواج ليس فيه سفاح". وربّه قال له ﴿وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ أي أنهم ساجدٌ عن ساجدٍ وماجدٌ عن ماجدٍ وحرّة عن حرّة، نبى أو وليّ أو وصي، وتقيةً وصديقةً إلى تقيةً وصديقةً. ثم كان الإختيار من إبراهيم وإسماعيل إلى عدنان إلى قصي إلى عبد المطلب إلى عبد الله الأنور المنور وإلى الأم العظيمة الكريمة التي اختيرت من قبل بسابق الإسعاد والإمداد والإسناد لتكون أم سيّد العباد. وهذا اجتناب من اجتناب، إذا كان النبي عليه الصلاة والسلام مجتبي بالنبوة، فإنّ أمه مجتابة بالأمومة وأبوه مجتبي بالأبوة، لأنه لا يصحّ الإجتباء الثاني دون الذي سبقه.

فلا يصحّ لنا أن نبيّن أنّ النّبى مجتبي من الله إذا لم يكن الإجتباء سابقاً في أصوله ولاحقاً في فروعها، فابنته مجتابة وزوجته خديجة مجتابة وكذلك أبنائه مجتبون القاسم وعبدالله وإبراهيم وزينب ورقية وأم كلثوم وخاصة كوثره فاطمة عليها السلام. ووصيّه الذي جعل الله النسل منه حتى قال: "إنّ الله جعل نسل كلّ رجل من صلبه، وجعل نسلي من صلب علي" فهو مجتبي أيضاً "أنت مني بمنزلة هارون من موسى". والأسباط الذين سيحملون الدم والسر مجتبون "إنّ ولدي هذا سيد وإنّ ولدي هذا سيّد" "الحسن والحسين سيّدا شباب الجنة" "الحسن والحسين سيّدان قاما أو قعدا"، ثم قال عن الإمام الحسن: "إني أحبّه وإنّ الله أمرني بحبه، أحبّ الله من أحبّ حسنا". وقال عن الحسين: "إنّ الله أمرني بحبه"، ثم قال: "الحسين مني وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً"، وجملة آل بيته الذين قال في شأنهم: "أهل بيتي سفينة النجاة من تعلق بها نجا ومن تخلف عنها هلك".

وإنّ بعض الضالين والجاهلين الذين يظنّون أنّ الكلام عن آل البيت حكراً على مذهب دون غيره، وأنّ مذهبنا نحن أهل السنة مذهب ناصبي مجافٍ لآل البيت، وهذا من الجهل بمكان. ولئن كنت لا أفضّل في هذا المقام الحديث باسم المذهب، بل سأتكلم بصفتين أساسيتين:

1. الأولى أني محمّدي في النهج والمنهج والسلوك، والمحمّدية أعظم من المذهبية، هي خيمة جامعة تجمع الصادقين أيّاً كانوا وحيثما وجدوا، والصادقون في كلِّ موجودون، والأقاقون الأفاكون في كلِّ متواجدون.

2. والصفة الثانية: أتكلم كذي نسب وصلة إلى النبي، فنحن من هذه الذرية التي باركها الله ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾، من آبائنا إلينا، وصلاً وأصلاً وفصلاً، يُبينه البيان ويكشفه اللسان ويثبتته الجنان، ولا ينأى عنه إلا جاحد جبان أو من لعب بقلبه الشيطان.

هذا الأمر الذي نتكلم عنه أمر على غاية القيمة، وهدف هذه النفحات أن ندافع عن مقام النبي وآل بيته، بلا مذهبية ولا طائفية ولا لعن ولا لطم ولا نصب ولا عداء ولا جفاء، وأن ندافع عن شرف الأب والأم والجدّ والعمّ، بعلم وحجّة، دون تعصّب ولا تصلّب ولا نصب. والنصب مرض الأمة، ومرض عسف بقلوب وعسف بقلوب ودمّر ونسف قلوباً، لأنّ الذي ابتلي بكره آل بيت النبي وكره والديه هو في الأصل مبتلى بكره النبي في ذاته غير أنه يوارى ذلك ويُداريه ويكذب ويُخفيه، وفي الحقيقة لم يكن كرهه إلا لحضرة الحبيب فأبدي الكره في أولاده وفي أحفاده وفي أصلابه وفي أصوله وفروعه.

### أحقية الفرح بالمولد

من هذا الرجل العظيم الذي وُلد؟ لم نُقيم الدنيا ونُقعدّها في أيام المولد؟ لم يتغير حالنا؟ والعام الماضي أقمنا المولد 20 يوماً في مدينة الحبيب على المباشر كما شاهدتم، بالبردة والمُصْرِيَّة والقصائد، رغم أنف كثير من الأنوف التي لا تحب ذلك جهلاً وعنناً وصلفاً وجحوداً، وقلة علم وقلة رأي وفساد رأي، وضلالاً وزيفاً وبعداً عن هدي النبي عليه الصلاة والسلام وهدي ربه. لماذا هذه المواقيت؟ ولماذا هذا الموعد يؤثر بنا إلى هذه الدرجة؟

نضرب مثلاً في أم يحيى عليه السلام، زكريا الذي استيأس أن تنجب له امرأته ولداً، فلما أن دخل على الصديقة مريم، ﴿كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ في غير أوانه في غير زمانه ومن غير مكانه، أمور عجيبة يُبديها الله، فواكه شتّى من غير المكان وغير الزمان، فواكه الصيف في الشتاء وفواكه الشتاء في الصيف، وآخر ليست من هذا العالم! فيسأل متحيراً. والإيمان والإحسان من ذرواته التحير، كما قال شيخنا ابن الفارض "زدي بفراط الحب فيك تحيراً". هذه الحيرة التي بدت على لسان زكريا حيرة

مؤمن موقن، حيرة عاشق متعجب من جمال معشوقه وآياته وإبدائه، قال ﴿يَا مَرْيَمُ أَنْي لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَزُرُّ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

عندما جاء النبي الذي تدلّل عليه الله زمنًا إلى التي دلّ لها الله زمنًا، لأنّ الله له مقامان في هذا الباب: فإذا دلّل عبداً أعطاه بغير سؤال، وإذا تدلّل على عبد لم يعطه على كثرة السؤال. فلما دخل الذي يقبع تحت جلال الشريعة (تحت ستر الجلال) إلى التي تجلس تحت ظلّ الدلال والكمال والجمال، طمع في ذلك الوصال، فلم يغادر المقام حيث قام، بل دعا حيث الله للوصال أقام، فقال ربنا عن ذلك ﴿هَذَا لَكَ دَعَا زَكْرِيَّا رَبَّهُ﴾. إلتمس القبس المريمي رغم أنه نبي، إلتمس الوصل بوليّة وهو نبي! وبعض الأشقياء يرفضون منا أن نتوسل بحضرة النبي العظيم وآل بيته والصالحين من أهل الله، صفوة خلق الله والأنبياء قبل ذلك وكل من له جاه، وهذا من العنت والجهل بمكان.

سيدنا زكريا بُشّر بيحيى وبأيام صوم عن الكلام، وأنجبت له امرأته التي بلغت ما بلغت من الكبر وكانت عاقراً، أنجبت له ولداً. لنمضي الآن إلى منظور هذه الأم بعد استئناس، ونمضي إلى السيدة سارة التي بشّرها جبريل بنفسه بولدها، والتي صكّت وجهها واستغربت وقالت ﴿أَلِدُّ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾، ولكن الله قادر على ذلك. لننظر من عيني زوج سيدنا زكريا أم يحيى ومن عين زوج سيدنا إبراهيم السيدة سارة (سارة المباركة أم إسحاق ثم يعقوب ثم يوسف): بعد هذا الاستئناس وجاء مولد مبارك عظيم عجيب، بعد عامين أو ثلاثة أو عشرة أو عشرين سنة عندما يأتي ذلك الموعد عندما تذكر أم سيدنا يحيى أو أم سيدنا إسحاق لحظة الميلاد، اللحظة التي ستحمل فيها بين يديها بشارة الله لها التي حملتها في بطنها زمنًا، والحمل يؤلم والمخاض مؤلم، وأيام انتظار وتشكيل عجيب من نطفة إلى علقة ومضغة إلى مخلوق إلى هذا الرضيع المبارك... عندما تذكر ذلك اليوم: ألا تفرح به؟ هل نستغرب أنها تقيم عيداً في ذكرى ذلك اليوم؟!

لأسباب ثلاثة أقلها:

1- الأول أنها رحمة جاءت بعد وقت وصبر طويل، والإنسان من طبعه إذا نجح في أمر بعد انتظار أو جاءته البشرية، احتفل وفرح. فلو جاء غبي وقال: أعطني دليلاً شرعياً على هذا الفرح، وإن كان الدليل جلياً واضحاً في قوله سبحانه وتعالى ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ قَبْدًا لَكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾، وهذا

الفرح المحمود غير فرح قارون بماله ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾. الفرح المأمور به بالفضل والرحمة، وهذا المولد وهذا العطاء فضل ورحمة، فتفرح بعطية الله التي أنت بعد استيناس.

2- وعنوان الفرح الثاني: الأمومة التي كانت محرومة منها، وكنت سميتها مجازاً "نبوة النساء". أكرم بالأمومة من مقام أن يشكّل لحم داخل لحم، جسم في جسم، في ظلمات ثلاث، هذه الرابطة العظيمة كيف تكون؟ هذا السركيف يكون؟ نستشعره عند أمهاتنا، ونشعر به ونحن في مقام الأبوة، ولكن لا نعرفه، لا نعرفه إلا الأم في ذاتها، وهذا من سرّ المرأة العظيم. فتحتفل لرحمة ربها، وتحتفي للأمومة التي حظيت وشُرفت بها.

3- وأما ثالث أسباب هذا الفرح: فنوع المولود. إنّ أمّا كانت عقيماً في أي مكان من هذا العالم، أيّ كان مقام مولودها وأيّاً كان مقامها، ستفرح به. كل مولود يُبهج أمّه إلا من طمس الله على قلبها، بعضهنّ يقتلن ذريّاتهنّ وبعضهنّ يُلقينهنّ في أماكن هكذا، هذه من بليّات النفس. ولكن عموماً يكون الفرح ويكون السرور وتكون المسرة. فما بالك بالتي تنجب وليّاً أو تنجب نبياً؟ أمّ سيدي عبد القادر تفرح أم لا تفرح؟ أمّ الإمام الرّفاعي تفرح به أم لا تفرح به؟ طيّب من أنجبت زين العابدين ألا تفرح بزین العابدين؟ والزهراء ألا تفرح بالحسنين وزينب وبناتها؟ وأمّ سيدنا علي السيدة فاطمة بنت أسد ألا تفرح أن أنجبت حيدرة الكرّار؟ فما بالك؟! والسيدة خديجة ألا تفرح بفاطمة؟ والسيدة ماريّا ألا تفرح بسيدنا إبراهيم؟ تقول أعطني دليلاً شرعياً؟! فما بالك بمن أنجبت بلا ريب وبلا شك وبلا جدال: سيّد خلق الله وأشرف خلق الله وأفضل خلق الله.

ومُحاطّ ذلك بحالة نفسية روحية ليست باليسيرة: أولاً أنجبت ابن الرجل الذي أحبّته ولم يمكث معها إلا أياماً قليلة ثم مضى إلى ربه. وهذا ليس بالأمر الهين، ليس عبد الله ابن عبد المطلب أي رجل حتى تُطيق امرأته فراقه، وليست آمنة آية امرأة حتى تطيق فراق زوجها الذي أحبّته والذي تزوّجته عن محبّة، قلب مشفق رقيق. وليس الأمر أيضاً بهذا اليسر، لأنه بمجرد ذلك الحمل العظيم جاءتها البشارات وزارها أصحاب النبوات وزارها من النساء الكاملات وكانت أحوال عظيمة عجيبة، حتى قالت للنبي تودّعه في الأبواء في آخر ملتقى بينهما وعمره ستة أعوام، وضعت يدها على خدّه وقالت "لا تبك يا بني، إني رأيت نوراً يخرج مني غمر المشرقين والمغربين، إنك للنبي المنتظر" هكذا كان الأمر. فليس الأمر بالهين عليه، يفارق الأب قبل أن يلقاه ويفارق الأم بعد ذلك، ثم العمّ ثم الجدّ ثم العمّ، الأمر مُحاط بالكثير من الامتحان حقيقة.

فرح السيدة آمنة بمولودها كعطية إلهية، وكأمومة مباركة ربانية، وكنبيّ هو سيد الخلق جميعاً بلا ريب ولا شك، هذا كله يجعل الفرح مبالغاً أكبر وأعظم.

### سيدنا محمد أشرف الخلق ذاتاً ونسباً

من هذا الرجل الذي وُلد؟ إن كان في خلق الله مقام رفيع عال منيع فهو له، وإن كان في خلق الله ملك عظيم بجناحين يمتدّان بين السدرة والسدرة، وإن كان في خلق الله ملك عظيم يحمل عرش الله، وإن كان في خلق الله ملك عظيم يقبض الأرواح، وآخر مكلف بالجنان وآخر مكلف بالنيران، وإن كان في خلق الله ملك كلف بالسماء السادسة أو السابعة أو الأولى، وإن كان في خلق الله ملك للمطر وآخر للرياح وآخر للبحار، وإن كان في خلق الله رواحين عظيمة وأرواح قديمة وأنبياء لهم مقام رفيع وركن منيع، وإن كان في خلق الله شهداء وصديقون وأولياء وصالحون، فإنهم جميعاً مجتمعين، إمامهم وسيدهم وحجتهم: سيدنا محمد، وهذا بلا مبالغة وبلا ريب. ما خلق الله أفضل ولا أعظم ولا أشرف ولا أكرم ولا أحب ولا أسعد ولا أحلى ولا أغلى ولا أعلى من سيدنا محمد.

من هذا الرجل الذي وُلد؟ هذا محمد بن عبد الله الزكي وابن آمنة النقية، حفيد هاشم الكريم وقصيّ صاحب الشأن العظيم، إلى عدنان وإسماعيل إلى الخليل إلى آدم من هابيل إلى شيث إلى حضرته، نبيّ فوصيّ فنبّيّ فوصيّ، ثم من إسماعيل أوصياء إلى حضرة عبد الله والده، وصديقات إلى حضرة آمنة أمه. من امتار في هذا وامترى فيه وشك به، مشكوك في إيمانه، مدحوض في يقينه، مُشكك في إسلامه. كل من لا يعتقد أنّ رسولنا صلى الله عليه وسلّم خيار من خيار من خيار، وأنه أشرف الناس ذاتاً وصفاتاً وجسداً وروحاً وخُلُقاً وسمتاً، وأنه أشرفهم أمّاً وأباً وجدّاً إلى آدم عليه السلام، وأنه أشرفهم زوجة وذريّة وبنون وحفدة، كما هو أشرفهم أمّة وكتاباً وصحباً، فإنه مشكوك في انتمائه لحضرة هذا النبيّ.

الأمر بموازينها ومصاديقها، **مصدق حسن يقينك وإيمانك وتسليمك لهذا النبيّ: أن تعتقد اعتقاداً يقينياً بشرفه الذاتي، وبشرفه في الأصول والفروع، وأنه حاشى لله ومحال أن تخرج النطفة الطاهرة من جسد كافر فاجر فاسق، أو زانٍ فاجر كما ادّعى عليه بعضهم، وأنه من المحال أن تُركّب النطفة المباركة في غير رحم طاهر نقي، بل الرحم الأطهر الأنقى والصلب الأطهر الأنقى، لا بد من ذلك أن يكون كذلك وإلا بطلت**

النبوة وبطل الشرف، ومقتضى هذا الشرف ومقتضى غيره الله واجتباء الله أن لا يأتي بمجتبي من غير مجتبي.

وأما الذين خاتل الشيطان عقولهم وأفسد نقولهم وأفسد عليهم وخبث سعيهم، فقد قالوا أن آزر أبو إبراهيم هو والده. وإبراهيم في آخر حياته يطلب من ربه أن يغفر له ولوالديه، والقرآن يبين أن استغفار إبراهيم لأبيه كان صبراً منه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، أيستغفر بعد ذلك لمن تبرأ منه؟! ولكن الأب في لغة العرب تُقال عن الأب الوالد وعن العم وعن الجد ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَنْتَمَهَا عَلَى آبَائِكَ مِنْ قَبْلُ وَإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾ "أبويك من قبل". فأبيه (آزر) بمعنى عمه.

وهذا يحدث أن يطرد الله سبحانه وتعالى أرواحاً يعرفها من قبل، ولا يفسد من سر النبوة وتسلسل ذرية بعضها من بعض في شيء أبداً.

- فآدم عليه السلام مرّ سرّه إلى هابيل ولم يمرّ إلى قابيل (قابيل قاتل ومجرم)، ومرّ سرّه وعبر إلى شيث وإلى غيره إلى نوح، ولكن من هلكوا في زمن نوح كانوا من ذرية آدم.
- إبراهيم وقد نال الإمامة ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ بمعنى أن هؤلاء الظلمة الفسقة من ذرية إبراهيم لم ينالوا من الإرث شيئاً.
- وهذا عبد شمس أخ لهاشم ولكن حسده وكرهه وحاربه، وهذا أمية ابن عبد شمس، وهؤلاء أنجبوا أبا سفيان وعتبة وهند بنت عتبة ومعاوية ويزيد، ومعلوم أنهم جميعاً كرهوا النبي وعادوه وعادوا آل بيته، حتى كان أمرهم في كربلاء كما عرفتم وكما علمنا وكما تكلمنا مراراً من قتل أبناء النبي.
- وهذا فرع من بني العباس يظلم أبناء رسول الله ويقتلهم تقتيلاً شنيعاً كفخ، وكما كان من أبناء الإمام الحسن في سجونهم.

إذن الأمر يتفرّع، ولكن النبي عليه الصلاة والسلام لا يُستشهد بهذا الفهم السقيم عن سيدنا إبراهيم ليثبت أن أباه كافر.

وقولهم "أبي وأبوك في النار" حديث موضوع كاذب، يعارضه كما ذكرنا ﴿وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾، والكلام الذي بيّناه من خطبة النبي إذ قال "أبي خير من آبائكم وأمي خير من أمهاتكم، ما اختار الله بين شعبتين إلا وكننت في أفضلهما، أنا خيار من خيار من خيار". فضّل الله قريشاً عن القبائل، وفضّل الله بني هاشم عن قريش، وفضّل الله سيدنا عبد المطلب وسيدنا عبد الله عن بقية بني هاشم، وسيدنا أبو طالب وسيدنا حمزة.

الموضوع إذًا ليس موضوعاً عرضياً أيها الأحاب يا عشاق حضرة المصطفى، الموضوع جوهرى في ديننا، وليس الكلام عنه من ترف الفكر أو من صفصفة وشقشقة اللسان أو من ترّهات البيان، إنما أمر وجب فيه التبيان، لأنه يتعلق بالنبي الذي أنزل عليه القرآن، أعظم قدر من ملك أو روحان أو جن أو جان، وأشرف إنسان، سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام. نحن نتقرب إلى الله بحبه ونتقرب إلى الله بالتوجه إلى الله به، ونتقرب إلى الله بالفرح بمثل هذا اليوم يوم المولد.

### السيدة آمنة سيدة نساء العالمين

هذا اليوم الذي الآن نحن أمام تباشيره، في خواتيم أيام الحمل المبارك، حيث اشتد الأمر على السيدة آمنة وكثرت الرؤى والتجليات، أعطيك شاهداً من كتاب الله حتى تفهمه: الملائكة في القرآن ناجت السيدة مريم ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾، في مقام الفضل أيهما أفضل: مريم العذراء أم آمنة الغراء؟ إنّ شرف الأم أيها الأحاب متصل بشرف المولود، فإذا كان المولود الذي وُلد خير فالأم التي ولدت خير. ومعلوم عندنا اعتقاداً وبقيناً، ورغم ثبات يقيننا في علو مقام السيدة مريم سيدة نساء العالمين وفي علو مقام سيدنا المسيح عليه السلام، ونحن تحت رايتهم وعند آيتهم وغايتهم، نحبههم ونودّهم ونؤمن بهم ونواليهم ونحن من مواليهم، ولكنه ثابت لدينا بما لا يقبل مثقال ذرة من شك أنّ سيدنا محمد أفضل الأنبياء، وأنّ عيسى في آخر الزمان عليه السلام سيكون من دعاة دينه ومن المنضوين تحت لوائه، وأنه صلّى خلفه مع الأنبياء، وأنه يصلي خلف المهدي بعد ذلك، وأنه ما من نبي بعثه الله من الحقبة الآدمية أو ما كان قبلها إلا وهو تحت لواء سيدنا محمد، حامل لواء الحمد، صاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود الذي ليس لأحد سواه. فإذا كان النبي هذا مقامه، فأمه ذاك مقامها، فهي بلا ريب ولا شك سيدة نساء العالمين، بل سيدة كل امرأة خلقها الله واجتباها، تحت رايتهما الوليات والصدّيات.

فهذه إبانة لا بدّ منها، دفاعاً عن هذه الأمّ المظلومة المكرومة، فلطالما ظلموها، ولطالما تكلموا في شأنها، حتى بلغ الزيغ ببعضهم من متطرّف في المسيحية ثم من أذيال أذيال أذيالهم (بعضهم للأسف في أفريقية) أن شكّوا في انتساب النبي إلى أبيه ونسبوه إلى جدّه، وجعلوا ذلك سفاحاً، مرضاً في قلوبهم يطغى عليهم حتى يوكسهم ويوكسهم في قاع صفصف من نار جهنم. فوالله من قال هذه الفرية لا يغفر الله له، ولا يقبل منه صلاة ولا توبة ولا متابة، ومن لقي الله معتقداً أنّ آمنة في النار آتت إليها، لأنّ المحكمة العليا لن ترحمه، فإنّ النبي يغار على أمه فهو الأبرّ بها، ألم يأتيه رجل فقال له "أملك ثم أملك ثم أملك ثم أبوك؟" فكيف برّه وهو الأبرّ؟! أنعتقد أننا أبرّ بأمهاتنا إذ لو أتيج لنا أن نشفع فيهنّ لشفعنا، والنبي لا يبرّ أمه؟! أمه؟!

والله سبحانه وتعالى ما كان ليضع هذه النطفة المباركة إلا في جسد باركه، وما كان لينقلها ويقلبها إلا في أصلاب رجال لله أشدّاء عظماء كرماء رحماء أوصياء أو أنبياء، وما كان ليضع ذلك إلا في أرحام طاهرة مطهّرة، وما كان ليضع حبيبه إلا في رحم طاهر مطهّر. عظّموا شأن النبي عليه الصلاة والسلام بالصلاة عليه وعلى والديه وكافليه وأصوله وفروعه، وقولوا: "اللهم صلّ على سيدنا محمد، وعلى والديه وكافليه وأصوله وفروعه، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين الغرّ الميامين، مصابيح الدجى وهداة هذا الدين، وأعلام اليقين، وحبل الله الموصول للمستوثقين".

صلّوا عليه دائماً بالصلاة على أمّه، اللهم صلّ على سيدنا محمد وعلى أبيه وأمّه، وعلى جدّه وعمّه، وعلى وصيه وزوجه وزهرائه (والزوج في لسان العرب تقال عن الزوجة، قال ربنا لآدم ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ ثم غلب أنّ الزوج للذكر والزوجة للمؤنث). فالنبي عليه الصلاة والسلام يحب ذلك يقيناً، أعطيك دليلاً بسيطاً: أنّ رجلاً أتاك يوماً وقال "إني لقيت أمك وأباك فأكرمتها وسلّمتُ عليهما واقتنيت لهما بعض الهدايا" ألا يسرّك ذلك؟! فالنبي كذلك!! النبي عليه الصلاة والسلام يُسرّ قلبه لمن يبرّ أمه، ويبرّ أباه وجدّه وعمّه، فأبو طالب مظلوم كذلك.

## ذنب أبي طالب

هؤلاء الذين أحاط بهم يوم القيامة **مالك**، هؤلاء الذين هم بين شقي **وهالك**، الذين ألقوا أنفسهم في **المهالك**، الذين هم عميان وشياطين **كذلك**، قالوا فريتهم في أبي طالب "جمرتان يغلي منهما الرأس"، غلت رؤوس النواصب والمنافقين.

كيف يُحرق الله يداً مسحت الدمع عن خد النبي ومسحت على شعره؟!!

كيف يُحرق الله عيناً أحبّت رسول الله ورعته وحرسته؟!!

كيف يُحرق الله قلباً حوى حب النبي؟!!

كيف يُحرق الله جسماً كان ينام النبي محتضناً هذا الجسد العظيم القوي؟!!

كيف يُحرق الله سيّد البطحاء وسيّد قريش وساعي الخير والداعي بالخير شهيد حب رسول الله؟!!

الذي أنفق عليه ماله وبذل عياله، والذي هو والد حيدرة، فما أعظم المقامين، بل ما أعظم مقام الأم والأب، فامرأته التي أنجبت في جوف الكعبة ولم تُكرم امرأة قبلها ولا بعدها بذلك، وكذا أبناؤه: طالب هذا الذي كان ينام مكان النبي مراراً خوفاً عليه من يهود، أو جعفر الطيار، أو علي الكرّار جدّ الحسنين.

هذا الذي أكرمه الله كرامات وإكرامات، فشهد مع أبيه حرب الملائكة والطير الأبايل وعصفهم بأصحاب الفيل وجعلهم كعصف مأكول ورميهم بحجارة السجّيل، رآها بأم عينه وشهد عليها، أيكفر بعدها؟!!

هذا الذي قال له أبوه، وقد أخذ سيدنا النبي في عام إمحال وإجداب وقحط فاستسقى به، قال الرواة: لم يشهد العرب أضواً ولا أنور ولا أجمل من ذلك المولود، رفعه عند الكعبة فقالوا: سَمَّه، وقد أبهرهم وأذهلهم جماله وكماله وحاله، فقال "مَحَمَّدٌ"، ولم يسبق أن سُمِّي مولود بذلك. أسَمَّاه أم سَمَّاه ربه له؟! **بل كان ذلك وصية إسماعيل، وكان ذلك رؤياً آمنة، وكان ذلك مكاشفة عبد المطلب.** فلما أن حملة وأمطرت السماء وأغدقت ودقاً وغيثاً نافعاً -صلاطح بلاطح كما كان يصفه الإمام الحسن "صلاطح بلاطح يغمر الأباطح" وهذا من فصاحته- قال أبو طالب مستحضراً ذلك المشهد ثم واصفاً كرمه وجوده وسخاءه: "وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه \*\* ثمال اليتامى عصمة للأرامل" يُطعم اليتيم ويُكرم الأرملة.

سمّته قريش أمينها قبل أن ينزل الوحي فيتخاذل من تخاذل ويجحد من جحد ويشرك من أشرك ويكفر من كفر.

ذنب أبي طالب أنه ربّي النبي، ذنبه أنه والد علي، والإمام أحمد بن حنبل يحدث ابنه فيقول: "يا بني إنّ القوم بحثوا لعلي عن منقصة فلم يجدوا فانتقصوا أباه، وبحثوا لمعاوية عن منقبة فلم يجدوا فمدحوا أباه" هذا حديث أحمد بن حنبل إلى ولده.

قال الشريف الرضي:

ذنبى إلى البُهَم الكواذب أنى \* \* الظرف المطهّم، والأغرّ الأقرح

يولونى خزر العيون لأنّنى \* \* غلّستُ في طلب العلى وتصبّحوا

وجذبت بالظّول الذى لم يجذبوا \* \* ومتحتُ بالغرب الذى لم يمتحوا

نظروا بعين عداوةٍ لو أنّها \* \* عينُ الرضى لاستحسنوا ما استقبّحوا

جدنا الشريف الرضي عليه سلام الله سيد الهواشم في زمانه، قال: "غلّستُ في طلب العلاء من الغلس، أي مضيت للعلى في ظلمة الليل، ومضوا صباحاً أي سبقتهم. "ومتحتُ بالغرب الذى لم يمتحوا" والتمتخ هو الكرم، الماتح هو المعطي الكريم. "نظروا بعين عداوة" وعين العداوة لا ترى إلا من أثر ظلّها.

أنا حوّلتها فقلت:

عجبي من البهم الكواذب ويحهم \* \* فلهم زعيقٌ في الورى ونعيقٌ

نظروا بعين الكره حتى كأنهم \* \* في لعنة تُزري بهم وتحيقٌ

﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ أي يصيبه إصابه جليّة واضحة مباشرة، هذا معنى "حاق" ﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا﴾ حاق بهم العذاب أي شملهم من كل جانب وأصابهم إصابة عميقة.

هذا ذنب أبي طالب، ذنبه عندهم أنه كافل رسول الله وأنه والد علي ولي الله. فلا تصدّق أيها المرید أيها المؤمن أيها المسلم وأيها المحب، لا تصدّق هذه الأباطيل، قلها بثقة ويقين واضرب عرض الحائط بكل حديث تجده بهذه المعاني الموضوعة، لأنّ النبي حاشى أن يقوله.

## موضوعات وإسرائيليات عقيمة

كما حاشاه أن يذكر عن أبيه إبراهيم أنه سلّم زوجته سارة للنمرود ثم النمرود بعد أن عجز أعطاه هاجر، أو أنه اختتن في السبعين، أو أنّ سليمان طاف على مئة امرأة وقال "لَتُنَجِبَنَّ لي كل امرأة فارساً يموت شهيداً" ولم يقل "إن شاء الله" فلم تنجب ولا واحدة إلا واحدة أنجبت نصف إنسان، كذب!! أو أنّ خاتمه أخذه منه شيطان فصار يملك مكانه وصار سليمان يأكل من المزابل! أو أنّ داوود خاتل قائده في امرأته، كذب وبهتان!! كقول بني إسرائيل أنّ لوطاً راودته بنتاه وأسكرتاه!! كل هذا إسرائيليات.

ويوماً ما أقولها أمامكم وأعلنها تحدياً، لأنها أمة فيها كثيرون لا يستحون، وكثير من المشايخ لا يراعون ولا يفقهون، وبعض محدّثين وغيرهم لا يفقهون أبداً، تعلّقوا بعلم الرجال وتركوا المتون الفاسدة ولم ينظروا فيها نظراً فيه روية. سيأتي اليوم الذي أخصّص فيه دروساً في الحديث ضمن كشف المكذوبات وضلالات بني إسرائيل وأنا بها عليم، بعضها عن القيامة أنّ الصراط أحدّ من الخنجر وأرقّ من الشعرة والله يقول: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾. الإسراء والمعراج جعلوه فلم رعب جعلوه مشهد رعب، وهو مشهد إكرام لحضرة سيد الأنام. الكذب والزور حرب كبيرة، رضاع الكبير، وأنه امرأته وجدته مع امرأته ماريّا في بيتها، أو أنّ الإفك نزل في امرأة دون أخرى وقد نزل في السيدة ماريّا، وغيرها..

والله إنّ قلبي ألمني، بدأت مراجعة الحديث وحفظه في الألفينيات أيام الجامعة، ثم غرقت في ذلك غرقاً، وفي الأديان المقارنة قراءة التلمود والتوراة والإنجيل بروايات، ثم الأحاديث المسانيد والموطأ والمختصر والجامع وغير ذلك. ثم لما كُشف عني الغطاء أثناء تأليف البرهان، والله لقد بكيت بمرارة، يشهد الله ويعلم كم من ليلة أمضيتها باكياً على حضرة مولاي لَمّا عرفت ما أصابه وعلمت مصابه، لَمّا رأيت الضلالات في سيرته، كزعمهم أنه كان يُسحر فيظن أنه يأتي الأمر ولا يأتيه، أو أنه حاول الانتحار لما تأخر الوحي. ومن الكذّابين الكبار أذكر لكم كعب الأخبار ووهب ابن منبّه، وكذلك أذكر لكم سيف ابن عمر التميمي الكذّاب الدجال الذي وضع أكثر من 80 صحابي وأكثر من 120 راوي حديث لا يعرفهم غيره، ابتكر عبد الله بن سبأ وابتكر سوى ذلك من الأراجيف التي أتى بها. فسيأتي اليوم بالحجّة والقرآن الكريم والعلم.

أُيعقل هذا عن سيدنا إبراهيم؟

أُيعقل أنّ إبراهيم على سبيل المثال وكان فتى قال قومه ﴿سَمِعْنَا فَتَى يَدُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾، أعدوا له النار أشهراً، وادّ مليء بالحطب، صارت نذر، ثم أسعروها، نار مرعبة، ووضعوه في المنجنيق من قوّة حر النار لا يقربونها، وهم يربطونه بالمنجنيق تجلّى حضرة جبريل على حضرة الخليل وقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ تحتاج شيئاً؟ أتريد مني أن أضرب بجناحي فأطفي هذه النار؟ أن أضرب القوم فأقضي عليهم؟ نظر إليه سيدنا إبراهيم نظرة المؤمن الواثق وقال: "أمّا لك فلا"، ثم قال قولته العظيمة: "اللهم علمك بحالي يعني عن سؤالي".

هذا الرجل العظيم الذي لمّا رأى في المنام أنه يذبح ابنه ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ ووضع عليه السكّين وهمّ بذبحه حقيقة، هذا الرجل العظيم الذي ترك من ذريته امرأته وفلذة كبده الذي انتظره طويلاً في وادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم، وتركض السيدة هاجر خلفه وتقول: "يا إبراهيم، يا إبراهيم" فلا يلتفت، والدموع في عينيه، قالت: أربك أمرك بهذا؟ قال بلى. قالت: إذا لن يضيّعنا.

رجل بهذه العظمة وهذا المستوى، الذي في صدره سرّ الله ونوره استوى، الذي نزل عليه شديد القوى، هذا الرجل العظيم الذي أراه الله ملكوته ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾، هذا الذي بلغ اليقين الكامل، يخشى من النمرود ويعطيه امرأته؟! أي رجل يفعل ذلك؟ عنتره بن شداد يعطي عبلة؟ من؟ أي منّا يعطي امرأته للأسطول العاشر أو السابع ولو مرّقوه؟ والقرآن يشهد لإبراهيم مجلسه مع النمرود الذي ﴿حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ طيب هذا أحكم عليه بالقتل وهذا أحكم عليه بإطلاق سراحه أنا أحكم، فماذا قال له إبراهيم؟ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ قرّمه، أيعقل أن يُقرّمه وكان قبل ذلك أعطاه امرأته؟!

والحديث فيه وصف نخجل منه، هذا الحديث الموضوع المبتذل فيه وصف مخجل أنه قال هي أختي. وسيرجعون بهذا الحديث إلى يوم القيامة عند الشفاعة وهو حديث مكذوب، الشفاعة للنبي، لكن القصة مكذوبة أنّ إبراهيم قال "كذبت ثلاث كذبات". وكأنّ القوم في مهرجان، يمضون بمفردهم يبحثون عن شفيع، ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ ﴿وَوَخَّشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾،

من يملك أن يتحرك من تلقاء نفسه ويبحث؟! ومجموعة صغيرة؟ ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ خذ لك أي رقم، رقم الجسيمات في هذا الكون الفاني الذي نحن فيه، 10 قوة 80 حسب الإحصائيات أو التخمينات الرياضية الكونية، تخيل كم خلق الله من نملة من حمامة من كائن.. ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ ما هذا العدد؟! ذرية آدم ومن كان قبل آدم، جن وشياطين ومن كان قبلهم، من سمّاهم الله "الجِبِلَّةَ الْأُولِينَ" ﴿الْجِبِلَّةَ الْأُولِينَ﴾... نبحت عن شفيع؟! فجعلوها إحدى عيوبه وذنوبه، قال "هي أختي"، عذر أقبح من ذنب، امرأتك لا تسلمها وتسلم أختك؟!

ثم يصف هذا الحديث أنّ النساء زينّ السيدة سارة على سرير النمرود، أيعقل هذا ألا نستحي؟! انظروا ماذا يفعل هؤلاء الدجالون الوضّاعون، إلى اليوم هذا الحديث لم يقع إبطاله. أبرأ إلى الله وإلى سيدنا إبراهيم وحضرة المصطفى وسيدتي سارة وابنها إسحاق ويعقوب ويوسف من هكذا كلام. فيأتي النمرود فلا يستطيع أن يقربها، وقام إبراهيم يصلّي!! مقام إبراهيم عند الله أن يتكشّف على امرأته وأن يقربها في خلوة؟! هذا إبراهيم ديوث؟ حاشاه!! فلما يئس أعطاه هاجر، ما معنى ذلك؟ أنّ النمرود كانت هاجر جاريته نالها، وحاشاها. السيدة هاجر أميرة من حلب من قوم كرام، تزوّجها سيدنا إبراهيم بأمر ربّه، وفرحت بها سارة وليست هي من قالت له اطردّها من عندي كما يروون أيضاً.

أيعقل هذا عن سيدنا موسى ويوم القيامة؟

موسى عليه السلام فقاً عين ملك الموت، أهذا يعقل؟ ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنِ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ عزرائيل الذي يراقب كل الوفيات، الآن البكتيريا أو الفيروس الذي يموت هو نوع من الموت هو كائن حي، أو الذبابة أو النملة أو السمكة التي تصطاد وتموت، كلّ الموتى الأحياء من كائنات من جن من شياطين من نمل من سمك من أيائل من أعنام تذبح كل ليلة ومن بشر... ملقّها عند عزرائيل عليه الصلاة والسلام، يراقبها كلّها، ومعه من الجند أكثر من عدد الذرّات في هذا العالم. هذا يضره موسى عليه السلام يفقاً عينه؟! وموسى مجرم؟ قال "يا ربي إنك أرسلتني لرجل شديد" هذا كلام؟! قال "ومضى عزرائيل يحمل عينه في يده".

أو ﴿فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ عن سيدنا موسى، قالوا: حجر فّر له بلباسه فخرج موسى عارياً، اتهموه بالبرص. هذا مقام نبي يخرج عاري أمام الناس؟!

أو يوم القيامة يكون الناس عراة عُزلاً، الله يسترهم في الدنيا ويعزيهم في الآخرة؟! يعني تخيل أنت نبي عاري يوم القيامة! قلّة حياء. وتسأله زوجته وتقول له: كيف يكون؟ ألا ينظرون لبعض؟ قال: هم فيها يُشغلون، واحد العرق لرقبته والثاني لبطنه..

ثقوا أنّ كل هذه ترهات موضوعات مكذوبات على حضرة سيد النبوات، بالمنطق بالعقل.

### أُنعقل هذا عن الإسراء والمعراج؟

النبي في ليلة الحزن في عام الحزن كئيب يبكي، فقد عمّه وزوجته حبيبته الحباية، فيأتي جبريل ويقول له: تعال يا محمد إركب. طبعاً ركب ما لا نتخيل، ليس حصان بجناحين، ربما يسّر الأمر للقوم، ولكن بشيء من العلم: لو طار بحصان كيلومترات قليلة في الجو يجمد يموت من البرد يختنق، الأمر أكبر من ذلك وأعقد وأجمل. لا ندخل في هذا، نقول البراق طيب، البراق على ما نعلم غير على ما تعلمون. فيأتيه فيأخذه في رحلة عظيمة غير مسبوقه، جو برّ من مكة إلى القدس ثم إلى السماوات العلى.

طبعاً جعلوه يدقّ الأبواب، يا أخي هذه السماوات محبوكة، ثقوب سوداء.. الآن عندنا المرصد جيمس ويب الأمريكي الذي كلّف 25 مليار دولار والذي مكث 25 سنة إعداد، وخرج الرئيس الأمريكي حينها قال "لا أحد مثلنا"، صورّ صور عجيبة عن الكون، وعرضها الرئيس الأمريكي بفخر، كقول عاد ﴿مَنْ أَشَدُّ مَنًّا قُوَّةً﴾. ماذا رأت عين المصطفى في الأجرام والكواكب والشمس والنجوم والسماوات الدنيا، ومن جحافل الملائكة التي تستقبله إلى السماء الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة، إلى سدرة المنتهى إلى قاب قوسين أو أدنى إلى ستار الكبرياء إلى العرش، إلى نظرة إلى الله بالقلب؟! ما الذي شهد عليه من جمال، وما الذي رآه من كمال، وما الذي اكتنفه من جلال، وما الذي عدّب عنده من وصال، وكيف سعى بنعليه إلى السبع الطباق فما فوقها؟

يحوّل ذلك إلى مشهد رعب: قوم معلقون من أفواههم، نساء معلقات من أئدائهنّ، قوم يُضربون بالحجر فتُدّس رؤوسهم، وقوم يشربون الدم والصديد، وهو يقول "ما هذا يا جبريل ما هذا يا جبريل؟" هل يأتي الله به ليُريه من آياته الكبرى ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾، ثم يُريه هذه المشاهد التي يمتعّ منها أفسى الناس قلباً فكيف بأرقّ الناس قلباً؟! أتى لمشهد الجمال، أتى لنور الكمال، أتى لكنف الجلال، أتى لعذب الوصال، أتى لأعظم حال وأصدق مقال وأجزل نوال، أتى سيد الرجال إلى حيث لم يبلغ أحد من

الرجال، أتى حضرة القدس فصال **وجال**، أتى إلى ربه لأمر ربه يواسيه، يجمعه بأحابه بفروعه وأصوله، بنا أرواحاً قبل أن نغدو أشباحاً، أتى إلى حيث ينطمس الزمان والمكان، وينعدم الوقت والميقات والتوقيت، أتى إلى شساعة ربانية وكنفات رحمانية وعطف إلهي، أتى إلى حيث كان عليه أن يأتي وعليه أن يكون، لتنال السماء بركة سزه وحضوره الجسمي كما نالت شرف الحضور الروحي، لتحتفي السماء بمحمد كما احتفت من قبل بأحمد.

### كفى سفهاً في حق أهل النبي

كفى الأمة غرقاً في الضلالات والخبل والأباطيل، كفى وضعاً ودسّاً، وكفى سفهاً في حق أم النبي وأبيه وعمّه. والله ما كان الله ليجعل ولياً في شقيّ أبداً، وما كان الله ليجعل ولياً في شقية، فكيف بمقام النبوة؟ فكيف بسيد النبوات، صاحب الكمالات، عظيم الذات والصفات، النور الشعشع المشكاة، سيدنا محمد؟!

كيف نصدّق وكيف يُعقل أنّ هذا الذي سأل عنه صموئيل فقال: "مَن هذا الرجل الذي وُلد؟" كيف بهذا العظيم الكريم، بالمؤمنين رؤوف رحيم، صاحب مقامات التعظيم والصلاة والتسليم، سيد الخليل والمسيح والكليم، إمام عيسى وموسى وإبراهيم، حبيب الرب السبّوح، إمام آدم وهابيل وشيث ونوح، حبيب الرب الودود، إمام يونس ويوسف وسليمان وداوود، وإدريس وزكريا ويحيى وصالح وهود، كنز الله المرصود، إمام أهل السعد، ومعراج أهل الصعود، أشرف موجود، وخير ما ذرأ الله للوجود، أظهر وأقدس مولود، كيف؟! كيف يُعقل وكيف يصدق أن يوضع هذا النور هذا الروح العظيم عظيم هذا المحيط في جسد فاسد لفاجر وامرأة فاسقة كافرة فاجرة حاشاهما؟! لولاهما ما شعشع هذا النور، لولاهما ما تجلّى هذا الحضور، لولاهما ما ولد من تخجل من نوره البدور، الداعي إلى صلاح الأمور، ضياء الديجور، حبيب الربّ العليّ الغفور، سيدنا محمد.

انظر للكلم كيف يزّين ويوشّي بالكلام عنه، إذ ينهل الكلام منه، إذ يدلّ عليه ويسري منه إليه. هذا جدي وسيدي وإمامي وشفيعي وقُدوتي وقائدي محمد، وهذه أمي وجدّتي آمنة، وهذا أبي عبد الله، وهذا عمّي وجدّي أبو طالب، وهذا أبي علي وأمي فاطمة، وتلك أمي خديجة، وذينك والداي الحسنان وعمّتي زينب والأئمة من آبائنا إلى جدّنا عبد السلام.

من أنكر علينا هذا الشرف، أصابه الخرف، وبخيبة انصرف، وما عرف ولا عرف. يتكلم في شأننا بعض صعاليك أدنى من صعاليك قريش والعرب في الجاهلية، أولئك كانوا قومًا كرامًا، الشنفرى وتأبط شرًا وطرفة ابن العبد وسليق بن السُلَكة، أمّا هؤلاء فذؤبان أو عميان أو أهل نفاق وافقوا ثم نافقوا. نحن والله في ركن منيع، وفي جمال بديع، وفي ربيع يتلوه ربيع، وإذا جاء الربيع الذي فيه وُلد إمام الربيع، ذلك الحسن البديع، والركن الرفيع، والمقام المنيع، سيدنا الشفيح، نظرب ونتجلى كذيل الطاووس عندما يتجلى، فهذا الجمال جماله وجمالهم، وهذا اللفظ لفظه ولفظهم، وهذا المقال مقاله ومقالهم.

### 1500 عام كاملة

ما يزيد من شرف وعظمة هذا العام أنها 1500 عام كاملة عن مولد الحبيب، وفي هذا أصرار عظيمة عجيبه، إذ ببلوغ العام 1500 يبدأ العدّ التنازلي السريع لظهور أمر الله في أرض الله، لجلاء سرّ المصطفى، لإنصار راية المصطفى، لعلّو هذه الراية أخيراً.

ولذلك، كما أنّ مولد سيدنا موسى صحبه بلاء شديد لبني إسرائيل قُتل أولادهم جميعاً من وُلدوا ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾، فإنّ الأمة اليوم تُبتلى بلاءً شديداً بالجهلة والسخفاء والمنافقين والملاحدة والمفسدين والمستكبرين والجاحدين. وكما في شعب أبي طالب، ها هو شعب غزة هاشم يقدم هذه القرابين إلى الله ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾، يقدمون الذبح العظيم. ولكني موقن كما قلت من قبل في خطاب الراية الذي ذكرته في العراق عند أحبتي من رجال الرباط المحمدي المبارك، أنّها أعوام على عدّ الأصابع، أخرج الذين كفروا من بيوتهم لأول الحشر، فإننا رأينا بني اسرائيل يفرون من ديارهم لأول الحشر، ورأينا بعض العلامات مما بدا وتجلّى.

1500 عام اكتمال دائرة كاملة، بعدها رقيمت صغيرة ثم يأتي الله بأمره، اذكروا هذا الكلام مني وخذوه وأشيعوه عني. وإني أعيدها وأكررها: اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة، وسيُنزل الله آية عظيمة على الناس فظلت أعناقهم لها خاضعين، وسيُجلي أمره وينصر جنده ويُغيث عباده، ويُعلي راية النبوة وراية آل بيت النبي فيأخذ بحق كل واحد منهم من رسول الله إلى ذرّيته.

## إرث وراثته عن آبائي

أيها الأحبة الكرام في ختام درسنا الليلة من نفحات المولد، والذي سنقيمه بعون الله كل جمعة، وإن كنت تركت المشيخة فترة فهي لم تتركني، لأنها ليست اختياراً مني ولا ادعاءً لدي، بل إرث وراثته عن آبائي فألزمته، فلقنت علومها ومُنحت فهمها، وألهمت عطاءها وبيانها وفصاحتها، فكنتُ بها الأفصح وفيها الأملح. وهذا بحمد الله إرثي عن آبائي، وبرهان نسبي وحسبي إليهم، وعزّي بهم، كما قلت في حضرة الإمام علي مرّة وأنا أواجه قبره الشريف:

إني الغيّ بكم لا لستُ أفتقرُ \*\* إن كنتُ مفتخرًا بكم سأفتخرُ

يا مَنْ هُمُ سندٌ إن جئتُ أطلبهم \*\* يا مَنْ هُمُ بشرٌ لكن ولا البشرُ

وكما قلت من قبل ذلك:

يا سائلاً يطوي المدى بسؤاله \*\* إيّ محبٍ للنبي وآله

لولا مني من الثقلان في محض الهوى \*\* فالحب منتصرٌ على عدّاله

يا لائماً والشوق يعصف بالفتى \*\* لا تسأل المشتاق عن أحواله

تالله هل في الخلق مثلُ محمّدٍ \*\* أم هل هفت روجي لغير جماله

أقول أنّ هذا إرثي عن جدّي رسول الله، عن أبي علي وأمي الزهراء، عن أمي آمنة وأبي عبد الله، عن أبي أبي طالب وعن والداي الحسنان، وعن جدي عبد السلام الأسمري، ولي من أجدادي الشيخ عبد القادر الجيلاني أيضاً في فرع من نسب أمي.

وعلى العموم، كل من رمانا بحربة رُمي بأعظم منها وما أصابنا منها شيء، وكل من قال كلمة سوء ذلكُ بها وما أصابنا منها شيء، وكل من رام حطّ شأننا حطّ شأنه ولم يُحطّ من شأننا شيء. ولو أنهم كانوا أهل علم فناظرونا أو أهل سيف فبارزونا أو أهل حجة فحاججوننا أو أهل تلقين فأرونا تلقينهم أو أهل ترقّ وتلقّ فرأينا ترقّهم في مراقبيهم وتلقّهم عن ملقّهم أو أهل فصاحة وملاحة فتفصحننا فأبان أيّنا أفصح بمنطق اللسان وقوة البيان، ولكنهم جمهرة اجتمعت كاجتماع بعض الضباع تريد النمر وترغب أن تحطّ من شأن الأسد، فاجتمع من فسد بمن فسد، ومن جحد بمن حسد، وما نالوا من مقام نمر ولا أسد.

إني عندما صمّت شيخاً لموقف أتّخذه من جملة من المشائخ، لما رأيت بعض الشيعة لظّامين، وبعض السنة نواصب ملاعين، وبعض الصوفية فسقة كذبة دجالين، تركت لهم ما هو لهم. وكما قال جدّي عبد السلام من قبل:

يا سادتي رشّدوني \*\* يا اهل الكؤوس النقيّة

هاضت علي فنوني \*\* أمر عجب حلّ بيّا

سرح رجالك ياتوني \*\* يا عالماً بالخفيّة

أريدهم يشهروني \*\* قبل نزول المنية

بيننا الأيام بإذن الله، لنرى من تعلو رايته وتظهر آيته وتبلغ غايته، ممّن يُخيّب سعيه ويُعلن نعيه وينطمس وعيه ويكذب رعيه، فقد خاب إذ سعى، وقد غفل فما وعى، وخان فما رعى. وهكذا ننطق بها كما أراد الله لنا، نُمضيها سلسلة بياناً أو شعراً، نزيّنها بديعاً، نزيدها ترصيعاً، نأتي بها جناساً وطباقاً، ونجعل أمرها سماءً طباقاً، والحمد لله لله رجال ونحن منهم.

#### خاتمة

في هذا المقام أيها الأحباب سيكون لنا الكثير من الشعر والمواجيد، ويكون لنا الكثير من الكلام العذب الرقراق السلسل الذي نهدف به تقوية الحب في قلوبكم لحضرة محبوبكم ومرغوبكم ومطلوبكم حضرة سيدنا محمد، أن نملاً هذه القلوب التي أرهقت بالكره أو بالوجع أو بالألم حبّاً لهذا النبي العظيم. وأن ندافع عن أمننا آمنة ذات المقام العظيم، وعن أبنينا عبد الله صاحب المقام العظيم، وعن أبنينا أبي طالب مولى المقام العظيم، وأن ننطق بنطق الرجال ومنطق الأبطال وكلام الأقطاب والأبدال، في منطلق بين عزيز وليس بهين. ثم أن يكون لنا بعون الله تعالى مصاديق نبرهن بها عن صدق ما نقول، آيات بينات وأحاديث نُقول، وكلام يستهدف ذوي النهى والعقول، لا يُلقاه إلا ذو حظ عظيم. وشيء من الحكمة ومقالات طيّبة، ونهديكم بعض كتب في الصلاة على النبي، وأدعية بعون الله تعالى كنا نخفيها ثم نبديها بأمر الله وإذنه القلبي الذي يرد على قلوب رجاله، والله رجال.

وأما من حاربنا أننا ندعي مقام المهدوية الذي نحن فيه بحمد الله ضمن الإلتباع وضمن القرب الذي يفرضه النسب الواحد والأصل الواحد والمشكاة الواحدة، والمعلم هو المعلم والنبي هو النبي والوصي هو الوصي والسبطان هما السبطان والزهراء هي الزهراء، ونحن في ذلك المقام من حيث الشمول وليس من حيث التشخيص والتخصيص، فكل من خرج عليكم مشخّصاً نفسه مخصّصاً ذاته أنه المهدي فهو كذاب دجال.

ومن اتهمنا أننا ندعي الولاية نقول له: إنّ الولاية لها عقب ينجلي ويظهر كالمسك، لها بيانها وبرهانها وعلمها، ولكني أكتفي بأن أقول: "خادمهم منهم ومعهم"، وأنا خادمهم الذي خدمهم منذ صباه، زيارةً وحالاً وذوقاً، وشرب من صافي أكفهم عياناً، وأخذ عنهم جهرَةً، من خضرتهم إلى جيلانهم ورفاعيهم وبدويهم ودسوقيهم وجشتيهم وشاذليهم وتيجانيهم وغيرهم، وبياني مُكشَف كاشف مُظهر مُجلٍ لذلك.

وأما من اتهمنا بالتشيع المذهبي، أولاً التشيع ليس سُبّة ولا تُهمة بل شرف، شرف لكل متشيعٍ لعلّي عليه السلام، إذا احترم نفسه واحترم هويته واحترم البلد الذي هو فيه، فإذا كان في بلد سني احترم ذلك وإذا كان في بلد شيعي أو نصف شيعي يُحترم ذلك. فكل عاقل وكل متأدّب وكل عارف من أهل المذهب الشيعي الجعفري أو غيره ممّن لم يشظّ ولم ينظّ ولم يلطم ولم يسبّ ولم يلعن، فهو لنا أخ وصديق وشقيق. ولكني أقول: واعجباه، ألم يقل الإمام الشافعي "إن كان رفضاً حب آل محمد \* فليشهد الثقلان أني رافضي"؟ ألم يكن سيدي إبراهيم الرياحي يتوسّل بالأئمة الإثني عشر وهو الشيخ الزيتوني؟ ألم يكتب تلميذه ابن أبي الضياف "وحب علي وآله دارج عند أهل افريقية يشترك في ذلك كبيرهم وصغيرهم"؟ ألم يقل الإمام سحنون: "والإمام علي إمامي وحجّتي في الدين"؟ ألم يكن للزواتنة والقيروانيين مجالس في كربلاء مجالس عزاء؟!

فلذلك، أنا كسّي وأفتخر بمدرسة خرج منها سيدي عبد القادر والحسن البصري وسيدي الرفاعي والإمام السيوطي ورؤيم ابن أحمد، وخرج منها الشيخ المجاهد عمر المختار وأبو الحسن الشاذلي ومكين الدين الأسمر، وخرج منها السري السقطي والجنيد البغدادي وعبد الكريم القشيري ومولانا جلال الدين الرومي، مدرسة خرج منها المجاهدون والأبطال والفحول، أني منها، ولكنها ليست لعداء آل البيت ولا لعداء المسلمين. العدو الذي يقتل أهلنا في غزة لم يفرّق بينهم وبين شيعي في لبنان أو في إيران، لم يفرّق بينهم وبين زيدي في اليمن. ورأينا هذا الزيدي وهذا الشيعي يُغيث الغزّي الغزّاي السّي، ولم نر النواصب في حرب إلا مع الأئمة وأبنائها، ولم نر خزعبلاتياً صوفياً أو لظّاماً شيعياً أو ناصبياً سنّياً ينطق بكلمة، كلهم

خونة صنعهم العدو، هذا يلطم ويلعن حتى يفرّق، وهذا يناصب العدا لآل البيت حتى يفرّق، وذاك يدّعي الولاية والمهدوية وأنه غوث الأغواث وقطب الأقطاب ويُشهد الناس النور حتى يمزّق ويفرّق.

فهذا فصل خطاب، ربما الشيخ في داخلي صار له زمن لم يتكلم، كان الساموراي غالباً علي وما زال غالباً، وكما ترون تغيّر الشكل وصار اللباس واسعاً جداً على حضرة سيدنا الشيخ. ولكني أقول لكم: والله لو كانت هذه المشيخة طربوشاً كتوساً لنزعته، أنا تركتها ولم تتركني، ولا أريد شيئاً ولا أطلب من أحد شيئاً. دنيا فارقها حضرة الحبيب ويُقتل فيها الأطفال الآن ويموتون جوعاً لا تستحقّ أن تُعاش، لولا الأمانة والرسالة. ولولا الواجب، ولولا أمر قلبي صدر على قلبي اليوم موقعاً من حضرة صاحبه، أن يا ابن فاطمة الزهراء اخرج فتكلم، فإنه واجبك تجاه جدّك، كما فعلت المولد في مدينة جدّي المصطفى بحضور من حضر من أحبابي وكما فعلت قبل ذلك، والله ما تكلمت، لأنّ صمّتي موقف.

### دعاء الختام

اللهم صلّ وسلّم وبارك على جدّنا وسيدنا ومصطفانا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين العُزّ الميامين، وارضَ اللهم عن أصحاب رسول الله الذين أيدوا هذا الدين ونصروا طه الأمين ووالوا عليّاً أمير المؤمنين، وسلام على أولياء الله الصالحين، وعلى النبيين قبل ذلك والمرسلين، وعلى ملائكة قدس الله والرواحين، وعلى خلق الله الطيبين أجمعين، وسلام منا إلى ربنا القوي العزيز المتين، ينزل بالسلام علينا فلا نهون ولا نستهيّن ولا نهين، وينزل علينا بسرّ الله وبسرّ رحمة الله رب العالمين، حتى نكون من الحامدين، ونصبح من الذاكرين، وحتى يغفر لنا الله مع المسبّحين المستغفرين، وحتى يقبلنا ويعفو عنا يوم الدين

فرّج اللهم عن أهل غزّة تفريج غزّة، فرّج اللهم عن أهل فلسطين وعن عبادك المُبتَلين، وارحم شهداءنا يا رب العالمين، اغفر لهم واغفر لنا عجزنا وذلنا وصمتنا، وأكرمنا بقائمتنا وإمامنا الذي ينصر دينك، ويُجلي يقينك، والذي ينجز ما وعدت به أمينك، اللهم يا رب العالمين انصر به مستضعفين اشتكوا إليك، وجرحى استغاثوا بك، وشهداء انتقلوا إليك بدموعهم في أرواحهم، وجراحهم في قلوبهم، واكسر اللهم بهم وبه شوكة المتغطرسين المستكبرين، خذهم أخذ عاد وثمود في الأولين، كما فعلت بقوم هود، وكما فعلت بقوم صالح

اللهم بحق كل وليّ صالح، لا تجعل هذا الدعاء **يباباً**، ولا لفظنا فيه **سراباً**، ولم يكن وعدك **كذاباً**، سبحان من خلق خلقاً من قبل فأغلق دونهم **باباً**، وخلق آدم صلصالاً **تراباً**، وأجرى بفضلته ولطفه **سحاباً**، وهزم بقوّته **أحزاباً**، ونزل على عبده **كتاباً**، وأنذر أعداءه عقاباً **عذاباً**، وبشّر المؤمنين عطاءً جزيلاً **ثواباً**، وجعل لنا إليه رُجعى **ومآباً**، تقبّل الله منا ومنكم من **تابٍ**، وغفر وعفا **واستجابٍ**، ونودي **فأجابٍ**، والحمد لله رب العالمين

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، سيكون لنا بعض المجالس والدروس مع بعض الأحاباب نبّهها عليكم إن شاء الله في بعض مدن هذه البلاد الطيبة. ونُهيّب بكلّ شيخ من شيوخنا وكلّ رجل من رجال الله أن يقف الموقف في المولد النبوي الشريف وأن يقول كلمة الحق لا يخشى فيها. وكذلك أنا أنصح دائماً أن نكون في مسار الحفاظ على هذه المدرسة التونسية الزيتونية المباركة والنهوض بها، وأن نُظهر أعلامها وعلماءها، وترون في الصورة من ورأي وهو أمامي في الحقيقة وفي قلبي: أخي وحببي الشيخ محمد الكامل سعادة الحسيني، الذي كتب لي مرة ورقة مع الشيخ جبير يقولان فيها "أنت تمثّلنا في كل مكان" وقد كان وسيكون والحمد لله. السلام عليكم ورحمه الله وبركاته في رعاية الله.

الدرس بتاريخ: 2025-08-22





## نفحات المولد: في فقه الفرح

بسّط لشيء من معاني قوله سبحانه ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا  
يَجْمَعُونَ﴾

مدخل

بسم الله الرحمن الرحيم

يا رب صلّ على النبي محمد \*\* خير الورى والنور فى الأكوان

هو أول الآيات فى إفراده \*\* بدأ التحقق والدليل الثانى

الحمد لله الذى منّ علينا بسيدنا محمد وأكرمنا بالنبي الهادي محمد، الحمد لله الذى أنعم علينا بنعمه  
ظاهرة وباطنة لا نحصى لها عدداً ولا نملك ردها أبداً، الحمد لله الذى استوى على عرشه قاهراً فرداً  
واحداً صمداً، الحمد لله الذى لم يدانيه أحد ولا يشرك فى ملكه أحداً، الحمد لله الذى لم يتخذ زوجة  
ولا ولداً، الحمد لله الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، الفرد الواحد الصمد، وصلى الله على  
نبينا محمد عدد من حمد الله، وعدد محامد الله، وعدد كل عدد فى علم الله، وعدد ما أظهر ربنا وما  
أخفى وما فى ملك الله، اللهم صلّ وسلّم على هذا النبي الكريم بالمؤمنين رؤوف رحيم، صلّ على ذى  
المقام العظيم، على القلب النقي التقي السليم، على محبوبك فى العهد الأزلى القديم، على من تورثه

جنات النعيم، وتدعو به إلى سبل النعيم وصراطك المستقيم، وأنذرت من عصاه وكرهه وجحده وأنكره بالويل والثبور والجحيم، صلى الله عليه وعلى والديه وكافليه وآل بيته أصولاً وفروعاً، ورضي الله عن أصحابه وسلام على أحبابه، سيّما أهل الديوان ومن هم من أقطابه، والواقفون على أبوابه الذين بشرهم الله سبحانه وتعالى بعظيم ثوابه، ونجّاهم من أليم عذابه.

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته حياكم الله وببّياكم وأهلاً وسهلاً إلى حلقة جديدة من هذا اللقاء الذي بدأناه الأسبوع الماضي وهو لقاء عن المولد. وقبله أودّ أن أشكر قناة الرقيم بالعراق والدكتور ناجي الفتلاوي على دعوتي لبرنامج مهم سننشر الحلقة إن شاء الله لاحقاً حول القرآن الكريم وواقع المسلمين، وقد نوقشت في هذه الحلقة قضايا مهمة: هل القرآن حاضر في حياة المسلمين اليوم؟ وهل يعملون به؟ وهل لديهم أنموذج تفسيري ومنهج علمي وواقعي يبني على القرآن الكريم، أم هم في عالم والقرآن في عالم آخر؟

هو وضع مؤلم الحقيقة لهذه الأمة التي يستمر نزيها ويستمر ألمها وتستمر المأساة فيها، حتى يفرّج الله عنها ما ابتلاها به ويكشف الضر ويظهر أصحاب السر ويقضي بقوته على أهل الشر، هكذا أمره نافذ وهكذا قدره تام وهكذا حكمه مطبّق وهكذا حكمته بالغة سبحانه وتعالى. فالقلب يألم والعين تدمع ولا نملك إلا أن نقول: حسبنا الله ونعم الوكيل إنا لله وإنا إليه راجعون، ربنا الله لا نعبد سواه ونبينا محمد رسول الله، ما يُقتل هؤلاء الآمنون والمحاصرون في الجوع والظروف الصعبة، إن كان صيفاً فحرّ لا يطاق وإن كان شتاءً فبرد لا يُطاق، والجوع في الحالين مُرٌّ والقصف مستمرٌّ، وهو أمر مليم أليم، ولكن لا نملك له ردّاً ولا دفعاً إلا أن ندعو لهم بقلوبنا وأن ننتظر فرجاً من محبوبنا وتمام مرغوبنا ومطلوبنا. لعل الله سبحانه وتعالى كتب أنّ هذه آخر سنيّ العذاب والألم، وأنّ حكمته البالغة في أنّ الأرض يرثها عباده المؤمنون والصالحون والمستضعفون في الأرض تتمّ، ونحن في مشهد كمشهد سيدنا نوح: طال الأمد وتأخر موعد الطوفان في نظر الناظر إليه المرتقب له، ولكن عند الله لم يتأخر شيء، إنما لكل أجل كتاب ولكل أمة أجل.

اليوم سنتكلم ردّاً عن شبهات يثيرها أعداء المولد الذين هم في الحقيقة أعداء لمحمد وآل محمد، أعداء النبي وآل بيته من حيث يشعرون أو لا يشعرون، ربما الواحد منهم إذا ناقشته سيقول لك: "أنا أحب رسول الله ولكنكم تحتفلون احتفالاً ما قام به النبي ولا الصحابة، ولا يقوم عليه دليل، وهو منافٍ للفقهِ والشرعية، بل فيه خلل في العقيدة، إذ أنّ فيه شبهة شرك" ولا ندري من أين جاءت شبهة الشرك هذه!!

بل إنهم يقولون أنّ هذا المولد أولى أن يكون مناسبة حزن وألم لأنه ذكرى وفاة النبي، أو ألا يُتخذ فيه عيد أصلاً، وأنّ المسلمين كلهم ضالون إلا هذه الفئة (التي بدأ صوتها يخفت في أماكن ويعلو في أماكن أخرى). ولكن نحن الآن نردّ بالعلم والحجة حتى نقيم ميزاناً سليماً صحيحاً صريحاً فصيحاً مليحاً عن هذا الأمر، أمر الفرح بالمولد.

### مقدمة

سمّينا درس الليلة "في فقه الفرح"، لأنّ الفرح ضربان نوعان طريقان: فرح مذموم وفرح محمود، وفي الفرح المحمود فرح يُباح (أو يحلّ) وفرح واجب، هذا جزء من فقه الفرح. نسأل الله أن نفرح قريباً بزوال الغم عن أهلنا في غزة وعن كل إنسان مكروب مبتلى، كل من يعاني كل من يتألم كل جريح كل مُعدّم كل بئس كل ضائع في متاهات الحياة أن يكتب الله له فرحاً.

الفرح هو الإبتهاج والمسرة، وهو السرور الذي يخالج القلب والنفس معاً، والفرح حال وجداني وهذا الحال الوجداني يغلب على الحواس فيورث في الوجه نضارةً وفي العين لمعاناً وفي الفم ابتساماً أو ضحكاً. والفرح بهجة يتشاركها الناس، فالسرور ذاتي، والسرور مما تراه العين والحبور مما تسمع الأذن، وكلاهما يعطي الإبتهاج، والإبتهاج جماعي، البهجة شاملة والسرور ذاتي، وبينهما مشتركات تلتقي في عوالم هذا الفرح.

والفرح يلامس النفس فيخالجها، ويلامس الروح فيحركها، ويلامس الجسم فيميله يميناً وشمالاً، كحال الطرب، فالطرب نوع من الفرح، والفرح أخ للنشوة وشقيق للذة وصديق للمتعة. والفرح على ذلك أمر يرد على الإنسان مما أودع فيه الله من قدرة الحس والشعور وقدرة الذوق، فالفرح إحساس، والفرح ما يشعر به المرء ويخالج شعوره. والفرح كذلك ذوق يحتاج إلى آلية ذوق، فمن انطمست ذوقانيته كان فرحه وسروره وحبوره في أمر يُذمّ، ومن سلم ذوقه كان فرحه وسروره وحبوره في أمر يُمدح بل قد يجب عليه الفرح في تلك اللحظة. هذا مصطلح عام عن الفرح.

أما الفقه فهو العلم بالشيء، فقه في أمر أي صار به عليمًا أو أحاط به علماً، وفقه الدين هو العلم بالدين. والفقه علم له أصول انبنت عليه (أصول الفقه)، وله أصول أصول انبنت عليها تلك الأصول كما دوّنت في كتاب لي اسمه "أصول أصول الفقه"، وكذا له مدارس ومشارب يتعلق بالشرائع والتشريع والمعاملات

وما يكون بين الناس وما يكون في علاقة الإنسان بخالقه ومخلوق خالقه والعالم من حوله وبذاته كذلك، فقه العبادات والمعاملات والمواريث والبيوع وغيرها..

والفقه يحتاج إلى فهم ويحتاج إلى آليات، كالإستنباط وهو أصل أصل، وكذلك دفع الحرج وهو أصل أصل، وكذا مراد الله في خير الإنسان فلم يحرم الله محرماً أو يحلّ حلالاً إلا لخير هذا الإنسان (أو لخير هذا المكلف). والفقه فوق ذلك: استنباط فيه تلقّيات وترقّيات، فيترقّى العالم بعلمه حتى يصير مجتهداً في الفقه ويتلقّى من مولاه ما به يصير مجتهداً، بل قد يبرز من واريث السر المحمدي من يُزقون العلم زقاً كما قيل في شأن آل بيت النبي الذين ورثوه كبراً عن كابر مع ما لهم من درس ولكن الله يفتح على قلب من يشاء.

الفقه ليس ضيقاً كما يظن بعضهم بل هو واسع شاسع، فحتى التزكية لها فقهها، والعقيدة لها فقه فهمها، أي الفهم عن الله في مراد الله من قوله ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ بلا تعطيل ولا تجسيم على رأي المجسّمة في جانب أو المعتزلة في جانب، فالمعتزلة عطلوا والمجسّمة جسّموا. ورث عنهم ذلك مجسّمة آخرون كابن تيمية الحرّاني الذي ابثلي بذلك بتأثره بمدرسة القرّاء أو من كانوا على منهج الوهابية أو السلفية، هؤلاء جسّموا قالوا "لله ساق كما للبعير ساق غير أنه ليس كمثله شيء" وهذا من السفه والجهل، و"من شبّه الخالق بالمخلوق فقد جهله" كما قال الإمام علي وكما ظهر عن الإمام الشاذلي كذلك.

فالإسلام يقوم على معتقد وعلى تشريع وعلى منهج تزكية به يسلم الاعتقاد وتسلم الشريعة، فمن خلا من التزكية ومن الذوق صار تشريعه قطعاً ومنعاً وقتلاً وتجبراً، وصارت عقيدته تجسيمياً وفساد عقيدة. وهذا سرى واستشرى في الأمة من قبل منذ عقائد حرقوص البحري والأزارقة والخوارج، إلى بعض غلاة الحنابلة خاصة في القرن الرابع، إلى ابن تيمية ومن نهج على نهجه ممن أخذوا بقول مدرسة القرّاء وقول اليهود في تجسيم الله سبحانه وتعالى. وكان لليهود دور كبير في ذلك حتى وضعوا ودسّوا بعض الأحاديث، كقولهم أنّ "الله يكشف عن ساقه يوم القيامة فيسجد له الأنبياء" أو أنه "يضع ساقه (قدمه) في النار حتى تهدأ" وكذلك أنّ "الله سبحانه وتعالى يأتي للناس على غير \*الصورة\* التي يعرفونه عليها ثم يغيّر فيرجع على صورة يعرفونها" أو أنّ "الدجال أعور وأنّ ربكم ليس بأعور".. هذه كلها تجسيمات تأتي من وضع بني إسرائيل ككعب الأخبار ووهب ابن منبه وكالذين أخذوا عنهم مثل سيف ابن عمر التميمي. وهذا قول بني إسرائيل، حتى قالوا في التوراة مما وضعوه وفي التلمود أنّ الله "بكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه" أو أنّ الله "استلقى بعد خلق السماوات ليرتاح ووضع رجلاً فوق رجل" وروي عن أحد غلاة الحنابلة

أنه روى هذه الرواية واستلقى، أو أنّ الله "ينزل من عرشه -على حسب زعمهم- إلى السماء الدنيا نزول الإنسان من مكان إلى مكان". وقد أورد ابن بطوطة في إحدى رحلاته أنه حضر في بلاد الشام لإبن تيمية الحزّاني يخطب على المنبر ثم قال: "وينزل الله من السماوات إلى السماء الدنيا كنزولي هذا" ثم نزل من المنبر، قال: فرُمي بالقباقيب وأُطرد من المسجد، وهذه راجعوا ابن بطوطة تجدون هذه الرواية والقصة. غاية هذا المدخل أن نبين أنّ الردّ العلمي الذي نتكلم عنه هو ردّ شمولي عن مدرسة كنا منذ أعوام نردّ عليها بالحجّة، وهذا تفصيل من مجمل ومن مختصر ضمن مختصرات كثيرة بيّناها حول مسائل تتعلق بالعقيدة والتزكية أو التصوف وكذلك في الفقه والتشريع، وإن كنت لم أركز في دروسي على الفقه كثيراً.

## أبواب الفرح

"فقه الفرح" مصطلح أبتكره ضمن بناء بين مصطلحين يخلقان قضية منطقية هي قضية الفرح فقهاً أو الفقه فرحاً. هل هنالك ما يبرّر لنا هذا العنوان وهذا المدخل؟ أجل، لأننا اليوم عندما نفرح بالمولد النبوي الشريف يقال لنا: إنّ هذا منافٍ للفقه ومنافٍ للدين.

قلنا أنّ الفرح على بابين: باب مذموم وباب ممدوح بل واجب.

1- فأما الباب المذموم، فمثل حال قارون إذ خرج على قومه في زينته. والله يؤشّر إلى أنّ قارون تبارى مع موسى وادّعى أنه خير، قال لموسى عليه السلام: أنت لست أفضل مني، أنت كليم الله لكني أنا أملك الدنيا ﴿أوتيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾، كان لديه علم بالكنوز وكان يستخرجها بمجرد أن يضع يده على الأرض يعرف أين الكنز، تتلمذ على يد السامري، وللسامري لغز وقصة أخرى. فلما تتلمذ على يده وتعلّم، كان باغياً على بني إسرائيل، كان مرابياً، ولكن ماله لم يكن من الربا بل كان مما يستخرج، استخرج لفرعون نصيباً ولهامان نصيباً وأخذ نصيبه من ذلك، كنوز كثيرة جداً، وهذا وباء قديم ومستمر "استخراج الكنوز".

ولاستخراج الكنوز أصل، وفيه فرعان في الإسلام وفي القرآن الكريم، فرع رباني وفرع شيطاني:

1. الفرع الرباني في قوله سبحانه وتعالى على لسان الخضر لموسى (كذلك الآن المشهد كله فيه سيدنا موسى) يقول له: ﴿فَأَزَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا﴾ الجدار لمن؟ بعد أن أقام الجدار في تلك القصة التي خرق فيها السفينة وقتل الغلام وأقام جداراً، فلم يستطع سيدنا موسى أن يتحمّل، فلما

جاء في الثالثة قال ﴿ هَذَا فِرَاقُ بَيْتِي وَبَيْتِكَ ﴾، قال: ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا ﴾، قوله: ﴿ فَأَزَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ يدل على أنّ هنالك علماً ربانياً وإذنًا إلهياً في استخراج هذه الكنوز بمباركة الله، من رزق الله، وهذا علم مكتوم.

2. وأما قول قارون: ﴿ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ يعني أنّ هنالك علماً شيطانياً أو قوة تستخدم الجن والشياطين، وهذه القدرة تفجر الأرض وتستخرج ما فيها أو تعثر على ما فيها. وهذا هنالك الكثيرون ممن برعوا فيه، وابتليت به دول، حتى البلاد التونسية ابتليت في مرحلة ما بهذا الوباء استخراج الكنوز، بعضهم يذبح ابنه أو يذبح زوجته أو يستخرج عين إنسان أو يقتلون لأجل هذه الدنيا الفانية، وهذا الذهب الذي كم بعقل قد ذهب، وهذه الفضة التي إليها الناس تمضي والدنيا كلها عنهم منفضة، وهذا المال الذي إليه كل قلب خلي مال، ولا يعلم أنه لا يدوم مال ولا حال ولا يبقى إلا ذو الجلال.

قارون كان صاحب ثروة كبيرة، يقول الله في وصف ذلك ﴿ وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾ من الرجال، المفاتيح فقط لا يستطيع حملها مجموعة من الرجال، فما بالك بالكنوز نفسها؟! خرج مباحياً، حمل كنوزه معه ووقف مباحياً، له قصر كبير دار كبيرة، وقال لموسى: أنا جاهي مباحلة -مثل المباحلة التي طلبها النبي عليه الصلاة والسلام مع النصارى- خرج مباحلاً قال: أنا سأقف أمام ربي بذهبي وأنت يا موسى بفقرك، تمسك عصا في يدك. قال قوم ﴿ يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ ﴾ قال آخرون ﴿ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ ﴾. ماذا قال هؤلاء العقلاء الحكماء المؤمنون من بني إسرائيل؟ قالوا له: ﴿ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ ﴿ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾. هذا الفرخ فرح فاسد، فرح مغرور، فرح بزائل ليس له من طائل، هذا فرح مرضى القلوب. والله يذكر أنّ هنالك من يفرح بهذه الدنيا وأنّ هذه الدنيا لا تدوم، الحبيب المصطفى يقول "لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء".

فهؤلاء القوم الصلحاء من بني إسرائيل نصحوا قارون ألا يفرح، فرح مذموم فاسد يخرج من ذوق فاسد ومن قلب فاسد ومن ذات فاسدة. كفرح أعداء الإنسانية اليوم بقتل الناس، يخرج زعيمهم الذي يقودهم إلى الجحيم فرحاً بقتل الأطفال، سعيداً بتدمير المدارس والمستشفيات، بقتل الأبرياء والنساء والعجائز، بقتل قوم يجمعون بعض الرغيف بعض الزاد، يُلقى عليهم القنابل، والذي يُلقىها فرح!! وفرعون كان فرحاً بقصره ويقول ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ﴾ فرح! فأهل الباطل في فرح، وتجد كل من يمارس الرذيلة يفرح، يسكر فيفرح ويفسق فيفرح، وكلما زاد فسوقه زاد فرحه، هو فرح النفس،

فرح الشيطان به، يلقي الشيطان على قلبه ذلك الفرح، لأنّ الشيطان يفرح بكل آدمي يضلّه ويحزن لكل إنسان لا يضلّه، فيكره الصلحاء ويحب الطلقاء وأبناء الطلقاء.

2- أما الفرح الثاني فيه فرح محمود، وهذا الفرح المحمود يذكر الله نوعاً منه في سورة الروم عندما قال ﴿غَلِبَتِ الرُّومُ﴾ ثم قال ﴿وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾ ثم قال ﴿وَيَوْمَئِذٍ يُفْرِحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾. أبان عن فرح مشروع، عن فرح فيه بشارة، عن فرح مسطور مقدور، لأنّ هذه الآيات نزلت في سياق عن هزيمة الروم أمام الفرس، والروم أهل ديانة (وإن كان فيها شيء من وضع) والآخرين حينها كانوا مجوساً، فيبين أنّ المؤمنين سيفرحون بنصر هؤلاء الذين هم ليسوا على دينهم والذين سيقاتلونهم لاحقاً.

فكيف لا تفرح الأمة والمؤمنون منها بمولد سيد الخلق؟! إذا كان الله أبان في قرآنه عن فرح بمثل هذا الأمر، فكيف لا يكون فرح بما هو أعظم من هذا الأمر؟! ولكنه فرح محمود ومقدور، قدر الله أنه سيتم، إعجازاً منه وإظهاراً لنبوة نبيّه عليه الصلاة والسلام أنه سيأتي يوم ينتصر فيه الروم ويفرح فيه المؤمنون بهذا النصر.

3- وأما الفرح الواجب، الفرح الذي دُعيت له هذه الأمة المحمدية، فيرد في آية عظيمة من القرآن الكريم، وكل القرآن آية عظيم وهو عظيم من عند ربنا العظيم على نبينا محمد ذي القدر العظيم والشأن العظيم المنبئ على النبا العظيم ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ﴾ بملك التنزيل سيدنا جبريل صاحب المقام العظيم كذلك، كلها عظمة في عظمة بأمر الله سبحانه وتعالى.

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ هذا الفضل وهذه الرحمة مبعث للسرور والبهجة، مأمور المؤمن أن يفرح بفضل الله ورحمته. لماذا عليه أن يفرح؟ أولاً، اعترافاً بالجميل لصاحب الجميل، أنّ الله آتاك ولداً، آتاك بنتاً، آتاك زوجة صالحة، آتاك زوجاً صالحاً، حقّق لأب رجاءً في ولده، أصلح من كان معوجاً، هدى من كان ضالاً، شفى من كان مريضاً، نصر من كان مخذولاً، قوى من كان ضعيفاً، أغنى من كان فقيراً، هكذا.. أعطى القناعة لمن افتقر، وأعطى الشكر لمن اغتنى، كل هذه العطاءات كل هذه النعم تأتي بالفرح. وأما الرحمة، فما يُلقى في قلب المرء من رحمة يفرح بها، وما يُلقى الله عليه من رحمته الخاصة يفرح بها، يفرح بهذه الرحمة الإلهية.

## الفضل والرحمة ضمن علم القانون

إذا أردنا أن نحصي الفضل والرحمة من الله سبحانه وتعالى، فسنأتي ببند قانوني. وهذا ضمن **علم القانون** في البرهان قد قسّمت القوانين بنوع آخر قرآني، وهو جزء مطّول مجلّد بأكمله وعكفت عليه دهرأ أكتبه. هذا القانون ضمن النعم، كل شيء محكوم بقانون، مثلاً:

- العلم محاط بقوانين ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ هذا قانون إلهي، ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ هذا فصل في هذا القانون الإلهي، ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ هذا أيضاً له فصوله، أو ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، هذه كلها محاطات بالعلم
- أو ﴿اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ هذا قانون حتمي في الدنيا، حتمي، تقنين إلهي
- ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيِّتُونَ﴾ قانون دستور لا يمكن أن يخرج عنه أحد
- ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾
- ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ حتماً هذا التقنين هذا الدستور الرباني سيُطبق
- ﴿إِلَّا مَن آتَىٰ اللَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾
- ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ ...

كلها قوانين، إذا أردنا أن نراها من منظار علم القانون. طبعاً إذا نظرنا إليها من مناظير أخرى وغيرنا الأطر نجد معاني أخرى، وهذا نصصنا عليه في موسوعة البرهان أنّ القرآن يتأثر ويتفاعل مع الإطار، إذا قرأت القرآن وأخذت آيات بعلوم فيزياء الكون ستجد، بعلم الاجتماع ستجد، بعلم اللغة ستجد، بالطب ستجد، أيّ كان العلم الذي تطرق به القرآن الكريم ستجد فيه إشارات وبشارات ومعارف وقواعد إذا كان قلبك سليماً ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ ليس على قلبك الأقفال تجد، لأنّ القرآن لا تنتهي عجائبه ولا تنقضي غرائب، هذا ضمن **علم الإطار** في موسوعة البرهان، تأطير الأمر الذي ترومه.

طيب، عندما نرد حياض هذا الفرح وهذه الرحمة فإنّ القاعدة والقانون الإلهي يقول: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾. فضيلة وسماحة الشيخ الإمام الأكبر إمام الدعاة رحمه الله سيدي الشعراوي له لفتة جميلة عندما يقول أنّ الله قال \*نعمة الله\* ولم يقل \*نعمة الله\*، لأنّ النعمة الواحدة يمكن أن تُصرّف على ملايين التصريفات، على ما لا يُحصى من التصريفات. فنعمة المال انظر كم تصريفها، نعمة البصر

كم تصريفاً لها، فالنعمة الواحدة لا يمكن أن نحصي ما فيها من النعم، فما بالك بالنعم؟ فإذا كان الأمر كذلك وعجزنا عن الإحاطة بالنعم الإلهية، والتي أُنبت في مقال لي من قبل ضمن كتابي "إشراقات" عن بعض أعظم النعم للإنسان وهي "نعمة الوجود ونعمة الشهود ونعمة معرفة المعبود".

1. النعمة الأولى: نعمة إيجادك، أن الله أوجدك وخلقك وكنتم عدماً معدماً، هذه نعمة.
2. والثانية نعمة الشهود أن الله سبحانه وتعالى جعلك شاهداً ناظراً ناطقاً، فغيرك من الجمادات لا يشهد كما تشهد، والحيوان من حولك لا يشهد كما تشهد، فهو موجود ولكن محروم من هذا النوع من نعم الشهود، وهنالك من هو أعلى منك شهوداً كشهود الملائكة لربهم وحملة العرش. نعمة وجود إبليس لديه نعمة وجود، لكن الشهود عنده فسد وبطل، وإن كان في البداية من الشاهدين.
3. ثم نعمة معرفة المعبود، لأنّ البشر من حولك كثيرون فيهم شهود ولا يعرفون المعبود، حتى ممن أسلم، لكن يقول "الله جالس على كرسي ويمدّ رجليه" "شاب أمرد"، فهؤلاء لم يعرفوا الله. فمن أعظم النعم أن الله أعطاك نعمة معرفته، وهذا سيحتاج إلى شرح وإلى درس خاص، يوماً ما إن شاء الله سأشرح سلسلة كتبي "الإشراقات" و"وصايا المعلم" وهي في الحكمة المحض.

### أعظم النعم

والآن إذا أتيتك إلى أعظم النعم، سأقول لك أن **أعظم نعمة وأعظم فضل ورحمة: أن الله ربي وربك، نعمة الوجود الإلهي**، الله سبحانه وتعالى رحمته بنا نعمة، وجوده نعمة. طبعاً ما كان يمكن أن يكون وجود دون موجد، ولكنّ شعورنا بهذا الوجود نعمة، إحساسنا بهذا الوجود نعمة، أنسنا بهذا الوجود والشهود نعمة، صبره علينا ومغفرته لنا وتربيته لنا وبلاؤه لنا ثم تثبيتنا، وأن يودع فينا الخير والشر ويجعلنا نتبارى في دواخلنا نحارب شراً بخير وأحياناً قد نخطئ نحارب خيراً بشراً.. ولكن نعمة عظيمة أن لنا رباً.

"إنا لله وإنا إليه راجعون" هذا نعمة الألوهية، نعمة الربوبية ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ ﴿أَفِرُّ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ هذا الدلال الإلهي، الربوبية التي تربّي وتشمل، والألوهية التي هي إشراف الخالق على المخلوق. نعمة السبحانية والتنزيه، نعمة فتح الأبواب لإستجابة الدعاء، نعمة وجود هذا الإله العظيم.

وأعظم نعمة منّ عليها الموجد للموجود والخالق للمخلوق والبارئ للمبروء والفاطر للمفطور، هي نعمة من جعله سيّد الموجودين والمخلوقين والمفطورين والمبروتين، سيد الكائنات والوجودات والجمادات، سيد كل ما خلق ربه، هذا الذي أعطاه مفاتيح الجنة وأعطاه مجاميع الرحمة وأعطاه مقاليد الحكمة وأعطاه جوامع الكلم وأعطاه سنام النعم وقمّة المجد ورفع العز وراية الحمد، هو سيدنا محمد. فالنبي الأعظم الأكرم والأفخم صلى الله عليه وسلّم، حضرة الجناب المعظم حضرة سيدنا محمد عليه وعلى آله الصلاة والسلام، وسلام على الأنبياء من قبله والمرسلين، وعلى الملائكة والرواحين، وحملة عرش ربنا القوي المتين، وعلى من صلح من جن وإنس ومن قبلهم من الخلق أجمعين، هذا النبي المعظم المكرّم المفخّم، **أعظم فضل لله على من عرف الله أنّ الله تفضّل علينا بوجود هذا النبي.**

فكان فضل الله عظيماً على الأنبياء من قبل:

- أن أخذ لهم الميثاق معه ومنه
- وأن أجرى سرهم من سره، وعقد لواءهم من لوائه، وأجرى أمرهم من أمره
- وأنهم جميعاً دعاة له، قائمون بين يديه بالأدب والإحترام كما ينبغي
- وأنهم جميعاً واقفون ببابه، ناظرون إلى حضرة جنابه
- وأنه صلى الله عليه وعلى آله وسلّم في مقام الأرواح بابهم إلى رب الأرواح
- وأنهم إذ كانوا في مقام الأشباح كان باب رحمة الله إليهم تحت بند النطق النبوي الذي قال فيه حضرة الحبيب **"ألا وإنّ الله معطي وأنا قاسم"** أي ما من رحمة يعطيها الله لعبده من عباده أو كائن من كائنات خلقه أو مذروء في عظيم ملكه وملكوته إلا بهذه الوساطة المحمدية

### الوساطة المحمدية

حتى الذين أرادوا مقام القرب من ربهم، وقد ظن جفاة وقساة القلوب أنّ ذلك يُخرج النبي من دائرة القرب إذ قالوا ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۗ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ قال قائلهم ظناً ووهماً وكبراً أنّ هذا يلغي مقام وساطة النبي فلا واسطة بين المخلوق وخالقه. وهذا كذب، لأنّ الله لم يقل "وإذا سأل عبادي عني" بل قال "وإذا سألك" ومقام الكاف هنا مقام عظيم، مثل

﴿أَفْرَأُ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ ﴿وَرَبُّكَ الْعَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ ﴿لَعَمْرُكَ﴾ ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾.. الكاف التي تؤدي مقام الحضرة المحمدية كاف عظيمة، ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ دلال لهذا الوجه الشريف، ﴿لَعَمْرُكَ﴾ دلال لهذا العمر الشريف. فالنبي صلى الله عليه وسلم هنا، عندما أراد الله أن ينبئ عن مقام قربه لمن رام مقام قربه، قال ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ﴾.

ثم لم يقل "عبيدي" بل "عبادي"، والعباد هنا مقام وليس اسم جمع، مثل \*العبد\* مقام وليس اسم فرد، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ هذا مقام خاص بالنبي عليه الصلاة والسلام، مقام العبد المخلص، تمام شرط العبودية. و \*عبادي\* مقام إخلاص لزمرة وثلة وعصبة من الذين اصطفاهم الله ممن وسمهم فقال ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاءً أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ أو قوله ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾.

فإذا سألك هؤلاء وهؤلاء عني، وقصدوني بك، وأتوني من خلالك، وطرقوا بابي من بابك، وجدوني قريباً، أما دون ذلك فلا قرب.

إبليس كان مناجياً لحضرة الربوبية بالمعانية بالمشاورة، ففرض الله عليه وعلى الملائكة أن يدخلوا من باب آدم، أي أن يتخذوا آدم واسطة، ما معنى سجود الملائكة لآدم؟ أي يصبح آدم هو حامل راية الوساطة بين الرب والمربوبين، بين الخالق والمخلوقين، بين الموجد والموجودين، بين الله وعباده. ففرض إبليس هذه البوابة هذه الوساطة، فخرج منها رجيماً، لم يكن الأمر لرفضه السجود للمعبود، بل لرفضه السجود لمن أمر بالسجود له المعبود.

نفس الأمر عند المشركين، رفضوا مقام النبوة ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾، والمنافقون رفضوا مقام مولانا علي كقائم بالوساطة بين يدي النبي ورب النبي أن يكون هو الإمام، والإمامة مقام وساطة عظيم ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ أوتي الإمامة بعد النبوة، فالإمامة مقام والنبوة مقام آخر. فهؤلاء الذين رفضوا آل البيت كشفعاء "مثل آل بيتي فيكم كسفينة نوح" "مثل آل بيتي فيكم كباب حطة"، هؤلاء رفضوا هذه الوساطة إلى الذات المحمدية ومنها إلى رب البرية، فخيّب الله سعيهم. وكذا كل ولي له دور في هذه الوساطة الإلهية من باب "من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب" وإذا عكسنا معنا: "من أحب لي ولياً فقد آذنته بالحب".

فإنَّ الله سبحانه وتعالى جعل هذا النبي العظيم وساطة \*الملكوت\* و \*ربِّ الملكوت\*، أي: الملكوت يتوسَّط به إلى رب الملكوت، ورب الملكوت يتَّخذُه بينه وبين العباد وسيطاً، أي وساطة خير وباب رحمة وقاسماً بين خلقه لكل الرحمات والنفحات. فما سبق وجوده الجسمي كان بالوجود الروحي، وما كان بعد وجوده الجسمي كان ويستمر بالوجود الروحي، وما كان في حضرة الوجود الجسمي فقد كان بالوجود الجسمي والروحي معاً، أي أيام حياته الدنيوية صلى الله عليه وعلى آله وسلّم.

### سيدنا محمد باب الرحمة وأعظم فضل

فأعظم فضل وأبلغ رحمة هو الحبيب الأعظم، لأنَّ الله سبحانه وتعالى عندما أراد أن يكشف له ولنا من بعده عن مدلولات ومقاصد ومصاديق هذه الرسالة والغائية القصدية التي أرادها منها، أراد أن يبيِّن لنا وله فقال له (ولنا من خلال ذلك): ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾، و \*إلا\* هذه تفيد معنى الحصر وتفيد معنى فيه بوابة ينفذ منها الشيء لا ينفذ من غيرها. ولي كتاب اسمه كتاب "علم إلا" ﴿إِلَّا مَنْ أْكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ أو ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ وغيرها..

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً﴾ لمن؟ ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾. كنا أبتاً في موسوعة البرهان والدروس البرهانية عن "علم العالمين".

\*العوالم\*: ما بينها مسافة أو اختلاف نوع، كعالم الإنس وعالم الحيوان أو عالم الجن وعالم الإنس، فعالم الجن والإنس بينهما فصل بُعدي، هذا عالم وهذا عالم، وعالم الإنس والحيوان بينهما فصل نوعي، هذا نوع الإنسان وهذا نوع الحيوان، هذا عالم البحار هذا عالم البر، عالم الأرض عالم الجوف عالم الجو عالم الملائكة العالم السفلي العلوي.. هكذا، نوعيات أو فواصل.

أما \*العالمين\* فهو العوالم المدعَّمة، هي العوالم التي يندغم بعضها في بعض، فيندغم عالم الإنس مع الجن، وهنا نظريات الأكوان المتوازية ولكن مندغمة وليست منفصلة.

وثمة أكوان منفصلة تتبع هذا الملكوت العالمين وهي: السماء الثانية وما بعدها وما فوقها إلى الجنة والنار، إلى العرش إلى السدرة إلى عوالم أخرى لا نسمع عنها ولا ندري بها ولا نتخيلها، ملك الله فيه ما لا يتخيله عقل. الذرة عالم بمنظور العين الذرية، وما دونها عوالم بمنظور تلك العين، وهذا الكون ذرة بمنظور من ينظر إليه من فوق هذا الكون، فيكاد لو مدّ كفه أمسك به.

وسبحان الله هو أعظم، لا حجم ولا جهة ولا أين ولا كيف. فكما قلنا في كتبنا التسبيحية وهذا كتبناه في مبحث العقيدة: "تعالى ربنا سبحانه وتعالى عن الشريك والنظير والشبيه، وعن مكان يحويه وزمان يطويه، أو شيء من خلقه يحلّ فيه" أصحاب المدارس الحلولية والحلول والإتحاد هذا كلها أراجيف.

فالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلّم في هذا المقام العظيم: باب الرحمة وأعظم الفضل، أعظم فضل علينا بعثة هذا النبي العظيم.

سيدنا ابراهيم أنعم الله عليه بسيدنا محمد، روحاً وصلباً ﴿وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾. سيدنا آدم عليه السلام أنعم الله عليه بالروح الأحمدية والنظفة المحمدية، بهذا ساد وبهذا تاب، وابتغى بالوساطة بآل البيت ونبي آل البيت عندما نظر نظرة في العرش فرأى مكتوباً أسماء أئمة آل البيت، كما ورد عن الإمام علي فقال "نحن وجه الله وبنا توّسل آدم"، \*الوجه\* هنا يعني: الواجهة الإلهية ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ لا يعني وجه كوجوهنا أبداً، لها معاني كثيرة، تؤخذ على معاني تأويلية عديدة. فتوّسل، كما أجمع المفسّرون والرواة قال: "اللهم بمحمد وآل محمد" فتاب الله عليه. هذه ليست رواية مذهبية، هذه رواية تروى في كتبنا أهل السنة موجودة، من بحث وجدها، لأنّ البعض لديه نعة الكلام عن آل بيت النبي، وكأنّ الكلام عنهم كفر أو فجر أو حكر على مذهب دون مذهب.

فنبينا صلى الله عليه وسلّم سرى سرّه في نوح والأنبياء بلا ريب، ما دام قد قال "إِنَّ اللَّهَ مَعِي وَأَنَا قَاسِمٌ" بإطلاق اللفظ وإطلاق الزمان، وما دام الله سبحانه ذكر أنه أخذ الميثاق من الأنبياء جميعاً أنهم يؤيدون هذا النبي وينصرونه، وعيسى عليه السلام بشّر به، ومن كانوا قبله بشّروا به، ما من نبي أرسله الله إلا بشّر بخاتم الأنبياء وبسيّده رسول الله. ففي عالم الروح قبل الجسم وقبل تغير الإسم من أحمد إلى محمد، النبي وساطة نور وسرّ إلهي.

## عظمة مشهدية التشكل الطيني للروح الأحمدية

وعندما سرى سرّه في الأكوان في التجسد المحمدي، هنا اكتمل الأمر، أي أن لهذه الروح العظيمة أن تحلّ في المرأة العظيمة وأن تسري في صلب الرجل العظيم، من سلالة عظماء كرماء أوصياء وأنبياء، وأن تحتويها صدفة عظيمة وأن يكون في رحم عظيم، وأن يطهر تطهيراً عظيماً، وأن تحتوي الأوصال العظيمة والجسد العظيم الروح العظيمة فيتحدان وينصهران، في أمان آمنة، بنور الله في سرّ عبده عبد الله، حتى أسماء والديه سبحانه الله فيها آية، **فأن يأتي بمحض عبوديته لله "عبد الله"، ويأتي بالأمان "آمنة" فيتحّد السر بالسر والنور بالنور**، فيتمخّض عن ذلك وينتج عن ذلك تشكّل صلب طيني، مضغة طينية لم يخلق الله أركب منها، يودع الله فيها الروح العظيمة التي لم يخلق الله أعظم منها، والتي كانت أول الأرواح إيجاداً وأولها إمداداً وإسعاداً وإرشاداً وإنشاداً، شدت بحب ربها وأنشدت، وهدت وأمدّت وأسعدت، في عالم الأرواح قبل تنزلات الأشباح، إذ كانت أرواحنا جميعاً قد جمّعت في مشهد عظيم "ألست بربكم؟" فقلنا: "بلى"، فكيف بروح سيد الأرواح وإمام كل روح سيدنا محمد النبي الكريم المكرّم الممدوح، صاحب السر المنفوح والصدر المشروح والقلب الذي تسري فيه أسرار الحي القيوم السبوح، سيدنا محمد؟!

فمشهدية ولحظة التشكّل الطيني لهذه الروح العظيمة التي كانت تناجي خلف الستار، تتناجي مع الأنبياء من خلف الستار.. الآيات التي تقول له **﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْعَرَبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾** **﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾** مثلاً عن سيدنا موسى أو مريم، هنا يتكلم عن ذاته البشرية ليس عن ذاته الروحية، ثمة بون وفصل بينهما. كما كلام ربنا **﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾** **﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾** يتكلم عن ذواتنا الروحية، كما كلام سيدنا عيسى قال **﴿آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾** يتكلم عن ذاته الروحية، لأنه هو لما نطق كان عمره ساعة، كان في حضن أمه رضيعاً، متى آتاه الكتاب وأوصاه وعلمه وجعله مباركاً وألقى عليه السلام حين يولد وحين يموت؟! هذا كله تمّ في عالم الروح. حتى الخضر لما قتل الغلام كيف عرفه؟ عرفه روحاً، عرف أنّ الروح من مقام سفلي.

طيب، حضرة الحبيب عندما تشكّل في بطن هذه الأم الطاهرة، هل كان حدثاً فاصلاً أم لا؟ طبعاً كان حدثاً مفصلياً في تاريخ الوجود، ما من نبي إلا ويكون حدث مفصلي. نقرب لك الصورة: القرآن الكريم لم يتكلم عن حمل آمنة لسيدنا محمد، لم ينزل سورة "فاطمة الزهراء"، إنما **وَوَظَّفَ الْآيَاتِ فِي بَعْضِ مَقاصدها في الردود.**

بما أنّ بني إسرائيل والنصارى يكتمون أو يجهلون عن أمر سيدنا عيسى وكيف حملت به أمه، أراد الله أن يثبت لهم أنّ هذا القرآن من عنده وأنّ هذا النبي نبيّه فأتى بأسرار لا يعرفها حتى هم، من بينها: لما جاء السيدة مريم هذا الملك العظيم هذا الروح الأمين الذي جاءها ليبشّرها بغلام ويهبها غلاماً، فقالت ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ فقال ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾. هذا المشهد مشهد بداية تشكيل الروح العيسوية داخل صلب الجسد العيسوي (جسد السيد المسيح)، الله جعل منه موسماً عظيماً، ينزل روح وينفخ ويهب.

ولحظة الميلاد جعل منها ملحمة ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا﴾، ولما جاءها المخاض عند النخلة ونادها من تحتها ألا تحزني، قال لها ﴿فَكَلِمِي وَاشْرِي وَفَرِي عَيْنًا﴾، هذا أول الفرح، أن تفرح الأم بمولودها، طالما أنت أنجبت هذا السيد المسيح الهمام فأنت في بشارة. فأراد الله أن يظهر لنا جانباً من الفرح، أنّ الله جعل تحتها سرياً وأن تهزّ إليها بجذع النخلة تساقط عليها رطباً جنياً، أن تأكل وتشرب وتقرّ عيناً. أتقرّ عين مريم بانجاب عيسى ولا تقرّ عين أمّة بانجاب محمد؟! أي حكم هذا!!

الملائكة التي ناجت السيدة مريم وبشّرتها بعيسى، ولعلها ناجت من قبل أمهات الأنبياء لأنّ المقام عظيم، بل قد تأتي البشارات لأمهات الأولياء والكمّل والصالحين، ملائكية أو روحانية أو غيرها، هذه الملائكة التي أثبت القرآن أنّ الله بشّر مريم بملائكة ناجتها وأنه هذا سيكون سيد وأنه سيكون وجيه وأنه حضور، وبشّرت سيدنا زكريا.. هذه البشارة للأب، عبد الله أولى بها من زكريا، لأنّ سيدنا زكريا الذي له ولده يحيى، سيدنا عبد الله سيُنجب من هو أعظم من زكريا ويحيى بلا ريب، قال سيدنا محمد "أنا سيد ولد آدم بلا فخر، أنا صاحب لواء الحمد بلا فخر، أنا أول من تنشق عنه الأرض بلا فخر".

فالنبي عليه الصلاة والسلام أمه أولى بكلام الملائكة لها كذلك، ما الذي يمنع؟ إذا كانت قد ناجت مريم، هل مريم خير من أمّة؟! كلا! رغم أنّ السيدة مريم عليها السلام طهرها سيدة نساء العالمين، لكن هذا المقام لها من يشاركها فيه: أمّة وخديجة وفاطمة، هذه سادت بالنبي أمّاً له، وهذه سادت بالنبي زوجاً وحبّية وحبابة له، وهذه سادت بالنبي بنتاً وقرّة عين له، وكوثرّاً يسري من خلالها نسله في العالمين إلينا وإلى يوم القيامة إن شاء الله أو ما كان قبلها بقليل عندما ينقطع الخير. فهي السيدة مريم طهرها الله وفضّلها الله، ثم يأتي النبي بقرينة علاقة بالسيدة مريم عظيمة عجيبة، إذ يأتي للسيدة خديجة ويقول لها: "يا خديجة أما علمت أنّ الله زوجني (يتكلم في الماضي) بمريم في الجنة"، فيضاف إلى شرف السيدة

مريم بخلاف أنها أم لسيدنا عيسى أنها في جنة الخلد زوجة لسيد الخلق، فهي أولى بذلك، فانظر هذا المقام العظيم!

هذه آمنة أمه، والأم دلالتها وحده، وهذه خديجة ومريم زوجاته، واحدة تزوجها في الدنيا وهي له في الآخرة وأخرى تزوجها في الجنة وهي له في الآخرة، وهذه بنته وحاملة سرّه "يا فاطمة شابهت خلقي وخلقتي" "فاطمة حوراء إنسية" "كلما اشتقت لشم الجنة شممت ابنتي فاطمة" "من عرفها فقد عرفها، هذه فاطمة بنت محمد" "فاطمة بضعة مني يربيني ما يربيهها" "يا فاطمة إنّ الله فطم ذريتك ومحبيك عن النار". فانظر المقام إذًا، حاول أن تتأمل معي في هذا الفقه، هذا فقه أمر، النبي عليه الصلاة والسلام قال "من أراد الله به خيراً يفقهه في الدين" وقال سيدنا علي "هو الفهم يؤتاه الرجل منا" وأنا منهم، فهذا فهم آل البيت ومدرستهم الحقيقية العظيمة المحمدية الفوق مذهبية.

إذا كانت السيدة مريم في لحظة بداية حملها لسيدنا عيسى كان حدثاً استثنائياً ذكره الله، بداية حمل السيدة آمنة من سيدنا عبد الله لسيدنا محمد هي أيضاً لحظة فارقة عظيمة، اجتماع النور بالنور! عندما تشكلت هذه النطفة في بطن السيدة مريم، بشرتها الملائكة وناجتها، قبل وأثناء، لا ريب أنّ السيدة آمنة لها مثل ذلك وأكثر، لأنّ "مقام الأم من مقام مولودها، وإذا كان رسول الله خير فأمه خير" كما ناجاني قلبي عندما صعدت إلى الأبواء إلى السيدة آمنة لما زرت مقامها أول مرة، أمي وسيدتي.

إذا كانت لحظة ميلاد سيدنا عيسى لحظة احتفاء إلهي، أمور رمزية لها رموز تحتاج إلى ذوق، لم نقل طبول، لعلها طبول ملائكية ضُربت، ولكن نتكلم عن ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ ﴿وَهَرِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا﴾ ﴿فَكُلِّي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾. آمنة أولى بذلك من مريم، لحظة ميلادها لحظة فرح، السيدة مريم تنجب وهي مألومة.

هذه السيدة فاطمة بنت أسد سنُجب معجزة النبي (بعد القرآن)، معجزة نبوية عظيمة، وأخ للنبي، وتوأم سر النبي، قال "يا علي أنا وأنت من شجرة واحدة والناس من شجر شتى"، تُنجبه في جوف الكعبة، تنشق لها الكعبة لتدخل لتلد، تحتفي الكعبة بمولودها، فكيف تحتفي الكائنات والكعبة ورب الكعبة بمن ولدت آمنة؟! حاول تتأمل معي.

## السلام من معاني الإحتفال

من بين معاني الإحتفال: السلام، السلام يحمل معنى المباركة. ماذا ذكر الله سبحانه وتعالى في سرّ عيسى عن لسان عيسى وفي سرّ يحيى عن لسان الحضرة؟ قال ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ ويحيى ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾. ما الذي يبينه هذا الكلام؟ أنّ هنالك ثلاث مواقف عظيمة في حياة المخلوق في وجوده الدنيوي، ولو أردنا أن نضيف لأضفنا "وسلاماً عليه يوم خلق روحاً".

المواقف الأولى لهذا الفرخ وهذه المباركة وهذا السرّ هو ميقات الولادة، فعيسى ناطقاً في المهد بين يدي أمه يشير أنّ الله ألقى عليه السلام يوم وُلِدَ، لحظة وُلِدَ، بهذا السرّي النهر والجذع الذي يعطي الرطب وأن تقرّ عين أمه، وأن يكون أيضاً نطقه في المهد احتفاءً بذلك المولد، آية من آيات الله. لحظة ميلاد عيسى كان فيها احتفال سماوي لكن ناطق، ولحظة ميلاد محمد كان فيها احتفال سماوي صامت، لأنّ الله أراد أن يُظهر عيسى مولوداً وأن يحفظ محمداً مولوداً، أن يخفيه من بني إسرائيل، وعيسى أن يدحض به بني إسرائيل. نفس الأمر تمّ لموسى أن يكون خفياً عن فرعون، فرح لكن معكوس، كان فيه حزن وألم، كان لحظة فارقة، يعكس الفرخ إجرام المجرم وغضبه من ولادة ذلك المبارك.

عندما نأخذ مثال فرعون عندما ذبح كل مولود لبني إسرائيل إلا موسى عليه السلام نجّاه الله، نجد أنّ إبليس الذي في قلب فرعون كان حزيناً غاضباً عند ولادة موسى، وكذا كان الشيطان غاضباً عند ولادة النبي، فيصل غضب وحزن الشيطان من لحظة المولد إلى قلوب الذين يحملون نفس الذات الشيطانية فيغضبون من المولد ويحزنون من المولد ويبسرون من المولد ويكون حالهم حال تعاسة ونكد وحال تكفير، لأنّ الشيطان ربط على قلوبهم والتوى على قلوبهم.

1. لحظة المولد لحظة مميزة

2. ثم لحظة الوفاة لحظة فارقة كذلك

3. ثم لحظة البعث لحظة فارقة جداً، عيد للطيبين.

كل طيب لحظة البعث لحظة محمودة لحظة عظيمة، وكل فاسد كاسد لحظة البعث لحظة أليمة وحتى الموت. لذلك سيدنا علي يقول:

ولدتك أمك يا ابن آدم باكياً \*\* والناس حولك يضحكون سرورا

فاعمل ليوم تكون فيه إذا بكوا \*\* في يوم موتك ضاحكاً مسرورا

والله يذكر أنّ الطيبين، الملائكة يستقبلونهم بالبشارة، والله يستقبلها ويقول ﴿أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾.

إذن السلام على الحبيب عليه الصلاة والسلام في لحظة الميلاد هو فرح له - وإن كان فيه حزن لنا - هذا من السلام. سيدنا علي وهو ينتقل يحتضر قالت بنته أم كلثوم "وا حزني عليك يا أبي"، قال: "لا حزن على أبيك بعد اليوم". علي الأكبر وهو يُقتل والظماً أخذ به، يلتفت لأبيه الحسين في كربلاء ويقول: "يا أبي هذا جدي رسول الله يسقيني وينتظرك"، هذه حكمه سبحانه وتعالى ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَأَنْهُمْ مَيِّتُونَ﴾ ﴿أَفَإِنْ مَتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾.

### ميلاد الحبيب غير الموجودات

نرجع إلى لحظة المولد، بالقرآن الكريم من خلال فهمنا وفقهنا في هذه الآيات نتبين أنّ هنالك سلاماً نزل وأنّ هنالك احتفالاً حصل في قصة سيدنا عيسى، سنحمل هذا إلى لحظة مولد الحبيب عليه الصلاة والسلام. ماذا يعني ميلاد رسول الله؟ يعني أنّ سيد الكائنات سيتجسد بين الكائنات الأرضية، أنّ الأرض تُبارك بخطوه، أنّ الشمس تُبارك بالإشراق عليه وأنّ القمر يُبارك بالإنارة عليه، وأنّ الليل يُبارك إذ يغشاه، وأنّ الشجر يُبارك إذ يستظل به. النبي عليه الصلاة والسلام سيقلب الموجودات لأنّ وجوده يغير الزمان تغيير نهائي لا يمكن الرجوع عنه، لم تعد البنوة كما هي منذ أن صار ابناً، ولم تعد الأبوة كما هي والأمومة منذ أن كان هو ابناً لأب وأم وأباً لذرية لها أم، فالأمومة بآمنة وخديجة وفاطمة والأبوة به وأبيه ووصيه وسبويه تغيرت، تطوّرت أكثر، إرتقت حالاً ومآلاً ومجالاً.

النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلّم عندما وُلد تغير الزمان بدأت المواقيت الختامية للوجود "جئت والساعة كهاتين"، عندما وُلد عليه الصلاة والسلام تغيرت مقاييس الرجولة رُفعت أعلى أعلى أعلى، تغيرت مقاييس البلاغة والفصاحة، تغيرت مقاييس اليقين ما فاق يقين نوح وإبراهيم وموسى وعيسى،

بل تغيّرت مقامات النبوة لأنّ المقام الذي لديه لا يمكن لنبي أن يبلغه، تغيّرت مقامات الرسالة لا يمكن لرسول أن يبلغه، تغيّرت مقامات الوصاية والإمامة، فالوصي الذي يليه ما من وصي قبله مثل له، والإمامة التي يؤتاها ما من إمامة قبلها تماثلها أو تناظرها، ثم يورث تلك الإمامة من علي إلى المهدي، هذا يحكم القلوب وذاك يحكم بأمر ربه الوجود (أو ما أراد له ربه من هذا الوجود)، هذا حاكم في عالم الروح سيدنا علي وإن كان تولى الإمارة أو الخلافة ولكن تولّاها بعد أن طرأ ما طرأ وضمن ظرف لم يُمتّع فيه بذلك، لكن روحياً كان إمام القلوب والأرواح لم ينازعه في ذلك منازع، أما المهدي عليه السلام فيأخذها ظاهراً وباطناً تدين له الدنيا أربعين عاماً قال سيدنا علي "يحكم شرقها وغربها".

النبي صلى الله عليه وعلى آله في لحظة ميلاده سيظهر الله طيناً نورانياً فيه ذات نورانية بروح نورانية ونفس نورانية وقلب نوراني، بوجه منور نوراني، بأعين منورة كحيلة، بجمال عظيم مبارك، لم يكن رضيعاً كالرضع، أبيض مشرب بحمرة، أسود الشعر أدعج العينين، كامل، من بطن كاملة وصلب كامل، يولد هذا الكامل في ذاته وصفاته، كملت روحه وكمل جسمه وكمل وصمه وكملت خصاله وكمل جماله وجلاله وكماله ودلاله، وكمل بعد ذلك مقاله وكملت فعالة، يولد هذا المحبوب الأحب إلى الرب في لحظة تندهش لها العوالم، لحظة إشراق لحظة نور لحظة فرح، لحظة تجلّي الفضل الأعظم والرحمة العظمى.

هل هنالك كائن خلقه الله وألقى فيه النور والحب لا يفرح بهذا الموعد؟! إذا كان لم يفرح بموسى: فرعون، فمن لم يفرح بالنبي عليه الصلاة والسلام: له ذات الحال. إبليس لم يفرح بأي نبي، أتعس لحظات تاريخ حياته ميلاد الحبيب، لأنّ لديه كره للنبي من قبل، كرهه في الأرواح قبل الأشباح، قصة طويلة. فسيدنا عليه الصلاة والسلام لحظة ميلاده هذه تجلّي للفضل والرحمة.

### لولا المولد لما كان ما بعده

ثم لحظة الميلاد لماذا فارقة؟ لأنه دون تلك اللحظة لا يكون ما بعدها، إذا أردنا أن نفرح بالبعثة المحمدية، واجبنا أن نفرح بالبعثة، عندما بُعث النبي نبياً وعرف أنه النبي.

طبعاً الروايات السمجة التي تبين أنّ النبي عليه الصلاة والسلام كان خائفاً وأنه كان يظن أنه ثمة به مسّ أو شيطان، معقول لا يعرف الحبيب حبيبه؟ معقول يضم جبريل محمداً ولا يعرف محمد جبريلاً؟

معقول سيحتاج إلى ورقة وهو يعرف أنه نبي مرسل من قول أبيه له (أبيه هنا عمه أبي طالب وجده عبد المطلب آباؤه): "إنّ هذا لهو النبي المنتظر"، من قول أمه له وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة، تضع يدها على خدّه الأيمن وتقول: "لا تبك يا بني، إنك للنبي المنتظر، إني قد رأيت نوراً يخرج مني عندما أنجبتك ملأ ما بين المشارق والمغرب" رأت!! امرأة مكاشفة!! فكان يوقن في قلبه. لماذا يتحنّث ماذا ينتظر؟ كان ينتظر اللحظة. ثم جعلوا أنّ السيدة خديجة -حاشاها- تكشف عن ساقها فيختفي جبريل، هذا كله كلام فارغ. انظر الإسرائيليات انظر لقلة الحياء لقلة الأدب مع حضرة النبي، وأنه أراد أن ينتحر عندما تأخر عليه الوحي، كلام فارغ في فارغ.

سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام لحظة الميلاد لحظة فارقة، الفرح بالبعثة المحمدية ما كانت لتتم لولا المولد، فتح مكة ما كان ليتمّ لولا المولد، أي انتصار في أي غزوة ما كان ليتمّ لولا المولد، نزول القرآن وظهور الإيمان وعلو راية الإسلام ودخولنا نحن في هذا الدين وإرثنا له، وما كان مع النبي وبعده من صحابة وتابعين من أئمة من صلحاء من أولياء من شهداء من مجاهدين ما كان ليتمّ لولا لحظة الميلاد، لحظة الإنبثاق العظمى.

كيف إذاً أيها العاقل أيها المؤمن لا تفرح بهذه اللحظة المهمة؟! كيف لا نتخذ ذلك عيداً؟ ألا نحتمي بمثل هذا اليوم؟!

### ينكرون الاحتفال بالمولد ويحتفلون بعاشوراء!

هؤلاء الذين ينكرون علينا الإحتفال بالمولد، عندما تأتي عاشوراء العاشر من محرم، وهو شهر عربي (وثمة إشكالية في تثبيت الشهور مشكلة كبيرة لا نريد ذكرها الآن)، عندما يأتي العاشر من محرم، يتصل العاشر من محرم بحدث واحد فقط ليس له مثل في التاريخ، ليس من حدث أكثر منه إيلاًماً: عندما يتمّ تقطيع أوصال ذرية رسول الله، قتل أولاده وأكباده وأبناء علي وبعض الصحابة وبعض الخلّص، وسبي بنات رسول الله صاحب الغيرة، قتل فلذته الحسين مع الرضيع عبد الله مع أولاده مع أولاد أخيه مع إخوته ومع من كان من الخلّص معه.

هذا الحدث الأليم الذي يحتاج كل مسلم أن يقف فيه الموقف مع الحق، لأنه لا يتمّ إيمانك حتى يكون النبي أحب إليك من نفسك وحتى يكون آل النبي أحب إليك من آلك كما قال النبي لأحد أصحابه "الن

يكتمل إيمانك حتى أكون أحب إليك من نفسك"، وفي رواية: "لن يتم إيمان مؤمن حتى أكون أحب إليه من نفسه وأن يكون آل بيتي أحب إليه من آله". طالما أهل بيت النبي أحب إليك من أهلك، أترضى بقتل أولاده؟ أولى بالأمة كلها، بهذه الأمة بأكملها، كلها وكلها وكلها وكن لها، أن تكون لها، موعياً. اليوم إذا جاءنا إنسان يشاهد مأساة غزة ولا يحزن قلبه ولا يفيض دمه ولا يبالي، هذا يشكك في إنسانيته! ما جرى لابن بنت النبي أعظم من ذلك، لأنّ مقامه أعظم من ذلك، باتصاله بحضرة النبي عليه الصلاة والسلام. فما بالك بالذي الآن يحب القتلة؟! كذلك الذين يحبون من قتل الإمام الحسين ويغضبون من كل من يذكره.

يأتي هؤلاء النواصب يأتي هؤلاء المرضى بالكراهية إلى حدث عاشوراء تحديداً ويجعلون منه "بابا عاشور"، عيد!! أول من أظهر فيه السرور كان الحجاج ابن يوسف الثقفي، وكان بنو أمية يحتفلون به إلا من صلح منهم، وصلاح الدين الأيوبي وكان فيه نصب شديد لأنه قتل أبناء النبي قتل الفاطميين، فصل الرجال عن النساء وخالف أميره نور الدين زنكي ثم ستممه، رغم أنه أيضاً اعتنى بالتصوف وبنى الخانقانات وله دور في ذلك كبير، وكان له دور كبير في فتح وتحرير القدس، لكن نقول للرجل ما له ونقول عليه ما عليه، بوضوح. هذا منهجنا، لسنا عميان، نرى وننقد ونبين الحق، هذا تاريخ.

هؤلاء الذين لا يفرحون بالمولد، يوم عاشوراء يكتب كاتبهم: "في مثل هذا اليوم كان موسى يخوض في البحر، عاشوراء"، ويأمرون بإظهار الفرح والسرور! والعاشر من محرم ليس له وجود في الديانات السابقة والأشهر السابقة لأنّ لهم تقويمات أخرى، هذا تقويم عربي من عرب جرهم التي تزوج منها إسماعيل. لم يكن في العرب العاربة التي أبديت، ولم يكن لدى أهل نوح وزمن نوح وقوم نوح، ولا عند بني إسرائيل إحتفال في ذلك اليوم بأي شيء، ها هم بيننا اليوم وكتبهم بيننا، لا نجد في عاشوراء أنّ موسى نجا يومها.

فجاء هؤلاء النواصب المبغضون لآل البيت، حتى يغطوا عن هذه الجريمة النكراء التي تشققت منها الأرض والسماء، والتي ما رأى الناس أنكر منها ولا أوحش ولا أقسى قلباً من الذين اجترحوها واقترفوها في حق النبي بقتل أولاده، يأتي هؤلاء فيقولون "نفرح في عاشوراء، عيد، وأظهروا الفرح وأوسعوا من دوركم وصوموا ذلك اليوم فرحاً". وأتوا بقصص: أولاً النبي وجده عيد لليهود وقال "لو عشت لقادم لصمت تاسوعاء" كأنّ النبي عاش عام في المدينة، وكأنّ النبي يحتاج أن يتعلّم من بني إسرائيل وجبريل يروح ويغدو إليه. ثم جاؤوا بقصة أنّ موسى نجا فيه، وأنّ يوسف خرج من سجنه في ذلك اليوم، وأنّ يونس خرج من بطن الحوت، وأنّ عيسى نجاه الله يومها، وأنّ نوح نجا يومها، وأنّ أيوب نجا من الغم يومها، وأنّ يومها إبراهيم نجا من نار النمرود، وأنّ آدم يومها تاب الله عليه، ما تركوا فرح إلا أتوا به!!

طبعاً لو أنّ أحداً اليوم أتى في ذكرى اغتيال محمد الدرة أو في ذكرى قتل أهل غزة ونظر إلى وجه الأب المكلوم وقال "إني أبتهج بمثل هذا اليوم لأنّ فيه ربح فريق ما بطولة وحدث حدث آخر مفرح..". يقول له: "أنت منافق أنت كذاب، تأتي في وجهي؟!". يؤذيه. إذن ما موقف رسول الله في عالم الأرواح وهو يطّلع على هذه القلوب تفرح في ذكرى يذوب فيها قلبه، بل لقد بكى عن قتل ابن بنته وابنه وسبطه قبل قتله إذ جاءه الملك فقال: "أتحبه يا محمد؟ ألا إنّ أمتك ستقتله" وأتاه بقارورة الدم، هذا حديث تورده أم سلمة. فانظر أنّ هؤلاء كيف يفسقون.

ونعم، أنا أؤيد القول الذي يقول أنّ الأشهر متّصلة بشيء في الطبيعة، محرّم لتحرّيم صيد البر، والربيع لقدوم الربيع، لكن ثمة لعبة تاريخية تمّت تمّ فيها لخبطة الأمور كلها، ونبراً إلى الله ممن فعل ولا نملك إلا أن نتبع ما هو موجود بيننا، لا نقع في فتنة ولا نفتن الناس. لكن علمياً نعم، إذا كان محرّم لتحرّيم الصيد، وهو ثابت في الطبيعة، فصل، ولكن كما غيّر تاريخ الهجرة وغيّرت أمور كثيرة، نبراً إلى الله من ذلك ولا نملك أي شيء ولا حتى لا نُحدث فتنة فلا نتكلم في هذا ولا نُفيض فيه.

أرجع وأقول أنّ الذين يرفعون علينا شعار أنّ الفرح بالمولد خارج الفقه **والشريعة**، وأنه لا يوجد له أي مسوّغ ولا أية **ذريعة**، وأنه جريمة فظيعة وفعلة **شنيعة**، هم مع النبي في **قطيعة**، لأنهم أنفسهم الذين يحتفلون في ذكرى قتل ابن فاطمة، بأمور مولد النبي أعظم منها.

هب أنه ذلك اليوم نجا موسى فعلاً، أيهما أولى: أن تفرح بنبي بني إسرائيل سيدنا موسى أم تحزن لإبن بنت نبيك؟ أيهما أولى؟! أن تحزن لإبن بنت نبيك، على الأقل بنبيك، لأنه هذا نبيك المباشر. ثم أيهما أولى: أن نفرح بنجاة سيدنا موسى أم أن نفرح بمولد سيد الخلق الذي هو نبينا وحجتنا وإمامنا ورسولنا وشفيعنا ونحن قد بايعناه؟! لما تقول "أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أنّ محمداً رسول الله" أنت تبايع النبي. وهؤلاء أنفسهم أو آباؤهم الذين ورثوا عنهم هذا الحقد، هم الذين زوّروا وزيفوا وقالوا أنّ أب النبي وأمه في النار.

## خلاصة

ولذلك، المختصر أيها الأحباب كي لا يطول بنا الكلام وكي لا ندخل في مهاترة لا داعي إليها ولا ضرورة منها، نقول: إنّ مولد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلّم يوم استثنائي، فيه مجلى لأعظم فضل من الله على العباد، وأعظم رحمة جلاها في البلاد، باب الإمداد وسند الإسعاد وإمام الإرشاد، والأولى بشدو الشاد، وبالفرح والطرب والإنشاد، الذي به ربه سبحانه وتعالى أشاد، والذي أنعم عليه وأعطاه وزاد، والذي هو الشفيع يوم المعاد، إمام الأولين والآخرين وخير هاد، الذي نُزل عليه القرآن الكريم بياسين والرحمن وطه وقاف وصاد، والذي يحبه الله وربّه لمن كرهه بالمرصاد، الذي أنبأ الله به عن حال فرعون ذي الأوتاد، وعمّا فعل بتمود وعاد، الذين طغوا في البلاد، فأكثروا فيها الفساد.

سيدنا محمد لحظة الميلاد لحظة عظيمة، والفرح الذي أبداه الله على الوجود وعلى الموجود في بشارات قصة السيدة مريم، أولى وأعظم منها الفرح بولادة من تزوّج في الجنة بالسيدة مريم، والذي سيأتي عيسى خليفة له في أمته، داعياً لدينه هادياً لطريقته مبيّناً لشرعته، متّبِعاً لنهجه وشريعته، ويُبعث تحت لوائه يوم القيامة مع كل نبي وولي وتقي وشهيد ومجتبي ووصي، سيدنا محمد.

الفرح بمثل هذه اللحظة، بذكري هذه اللحظة، فرح يمدّك بالنور ويغمرك بالسرور ويملؤك بالحبور، ويقف لك شافعاً يوم النشور، فرح تُنار به الصدور وتُضاء به القبور، وتصلح به الأمور ويُستضاء به ظلام الديجور، فرح هذا النبي الولي التقي إمام الخلق ورافع الراية فوق البيت المعمور وجبل الطور، باب الجنان وما فيها من نعيم ومن حور، سيدنا محمد.

ليس في هذا شرك ولا زيغ ولا خروج عن النهج المحمدي، نحن إذ نفرح بذكري ميلاده صلى الله عليه وسلّم إنما نبين عظيم شرفنا بالانتساب إلى أمته، بل نحن كذريته إذ نحتفي نبين عظيم شرفنا بالانتساب إليه دماً، فالمنسوب إليه دماً والمنتسب إليه ديناً من واجبهم أن يفرحوا بذلك اليوم. الأمة التي به اهتدت، به عرفت ربها، الأمة التي به لم تعد تعبد الأصنام ولا الشمس ولا النار ولا ما يُصنع من الحجار، الأمة التي به بُشّرت أن تكون خير أمة أُخرجت للناس، الأمة الموعودة التي رُفع قدرها بقدره وشُرح صدرها بصدره وأنار بدرها بطلعة بدره، أولى أن تفرح به.

كريم النسبتين، إمام القبلتين، وارث الجنتين، سيد الحرمين، كحيل العين، السمع البهي الزين، جد الحسنين، أب الحسن والحسين، من لم يخلق الله منه اثنين، ونصره ثاني اثنين، سيدنا محمد، الفرح

بمولده يرقّيك ويلقّيك. بفرحك بمولده يُضاء قلبك ويصدق حبك ويرضى ربك ويُغفر ذنبك، بفرحك بهذا الحبيب يُنار قلبك ويصدق حبك ويرضى ربك ويُغفر ذنبك.

بفرحك بهذا الحبيب، عنبر ومسك وطيب، كل شيء يطيب.

كل مولد تتنزل البركات والرحمات، يُرفع منك القدر ويُشرح منك الصدر وتوقى من أهل الغدر وترى طلعة البدر عندما تحتفل بهذا النبي العظيم، يُرفع منك القدر ويُشرح منك الصدر وترى طلعة البدر وتوقى من أهل الغدر بهذا النبي العظيم.

النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلّم قال "من فرح بنا فرحنا به" في مقام الروح في مقام التنزل في مقام السر، قالها حالاً قالها مقالاً.. لا نبالي بذلك، المهم يقيننا أنّ النبي عليه الصلاة والسلام يقول: "من فرح بنا فرحنا به". فكيف إذا فرح بك؟ أي ذنب يضرّ وأي أمر تراه كم سيسرّ؟

من رام العز وأعلاه، والقرب وأدناه، والوصل وسُقياه، ورضوان الله، فليحتفل بمولد رسول الله. هذه الحكمة أقولها الآن ارتجالاً وأنتم اكتبوها لاحقاً وصمّموها كما تريدون. هذا الذي حبه نور وذكره سرور كما ذكرنا في الصلاة الرضوانية.

### لا يصحّ الاحتفاء بالنبي دون والديه

ولا يصحّ احتفاؤك بالمولود دون الوالدين، لا يصحّ يا مسلم أن تعتقد أنّ أمك التي أنجبتك خير من أم رسول الله وأنّ أباك الذي أنجبك خير من أب رسول الله، كيف ذلك بزعمهم أنّ أم النبي مشرّكة كافرة وأنّ أباه كافر في النار؟! وهذا الذي قال يعتقد أنّ أمه وأباه في الجنة، بالنتيجة المنطقية إذاً أم هذا وأبوه خير من أم النبي وأبيه!!! كيف يعقل عاقل وكيف يُعقل يا عاقل؟! بئس المنقول وبئس الناقل، بئس المنطوق والناطق، "أبي وأبوك في النار" و "أمي في النار"...

الحبيب عليه الصلاة والسلام يصعد منبره في المدينة غاضباً ويقول: "ما لي أسمع قومًا يتكلمون في والديّ؟" هذا اللمز والغمز تمّ من قبل، قالوا مجنون وساحر، وقال المنافقون "والداه في جهنم"، إذا الأصل فاسد فالفرع فاسد..

أيرضى النبي أنّ أمه وأباه، وعمّه أبا طالب الذي ربّاه، وآباءه من قبل في جهنم، ويشفع في الفاجر وصاحب الكبيرة والمسرف على نفسه؟! الذي قال لرجل أتاها "أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك"، وربّه يقول ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾، كيف أوصى الله حبيبه -الذي ربّاه بذاته- بوالديه؟ كيف برّ النبي بأبويه وبمن ربّاه؟ العام الذي انتقل فيه أبو طالب مع خديجة سمّاه النبي "عام الحزن"، أيحزن على كافر؟ يا رسول الله!

قال "ما لي أسمع قومًا يتكلمون في والديّ؟ أبي خير من آبائكم وأمّي خير من أمهاتكم" "أنا خيار من خيار من خيار، ما اختار الله بين شعبتين إلا كنت في أفضلهما".

ثم لمزوا في امرأته ماريّا وابنه ابراهيم أنه ليس من صلبه، هذه قصة الإفك الحقيقية، يوماً ما سنتكلم عن الإفك الحقيقي، حُرّف أيضاً، وغير ذلك كثير دعنا منه.

لا يصحّ احتفالك أيها المسلم بالنبي دون والدي النبي، من أتاك بحديث أنّ والديه في النار اضرب به وجهه، وقل له "دع سفهك يا هذا وامضي عنا فإنك والله مريض قلب".

والله ما أبغض النبي إلا هالك، وهنالك هوالك مغبشون في المهالك، نافقوا النبي بين ذلك وذلك. ما هو ذلك وذلك؟

أي أنهم نافقوا رسول الله ونافقوا الناس في كره النبي، لم يُظهِروه لأنهم يغادرون الدين، فمضوا إلى والديه وعمّه، وضعوا حديثاً "أهون الناس عذاباً أبو طالب جمرتان يغلي منهما الرأس"، وقالوا أنه قال للنبي أني "أموت على دين الآباء" ما كان دين آباءه؟

ألم يقل "ولقد علمت بأنّ دين محمد \* هو خير أديان البرية ديناً"؟

ألم يقل أبوه عبد المطلب أنه "لم يبقَ على الحنيفية الإبراهيمية إلا أنا وأهلي"؟

ألم يكن مؤمناً عندما قال "اللهم إنّ المرء يحمي رحاله \* فاحم رحالك"؟

عندما جاء أبرهة ألم يقل لأبرهة "أنا رب الإبل والنوق وللبيت رب يحميه"؟

ألم يقل لسيدنا أبي طالب "إنّ هذا للنبي المنتظر"؟

عندما تقرأ السيرة النبوية، فترة ما قبل الولادة كلها والولادة كلها تجد إيمان أبي طالب وعبد المطلب، مباشر بعد البعثة يصبح أبو طالب كافراً!! بأمر من أمية ومن تزعمهم. هذا أحمد ابن حنبل يشهد بها، راجعوا كلامه مع ابنه.

و \*ذلك\* الثانية: آل البيت، آل بيت النبي، تحقيراً، والذي قُتل والذي سُجن والذي سُمّم والذي حُقّر، ووضعوا الأباطيل والأراجيف.

فلذلك، الفرح بالمولد فرح بالوالدين، أكثروا من قولكم "اللهم صلّ عليه وعلى والديه، صلاة تبلغهم فتحمل الحزن عنهم والسر منهم" بمعنى: القلوب حزينة مألومة لما يجري للأمة، مألومة لهذا الظلم، السيدة آمنة مظلومة وسيدنا عبد الله مظلوم، حتى القبور: هذا مخفي (وإن كان الله شرفنا بمعرفة مكان قبر سيدنا عبد الله) وذاك أيضاً مطوي، وحيدة في جبل محاصرة، وجاء من جاء ممّن ادّعى المدّعون أنه رجل عظيم وحفر قبرها قبل موته، الذي ابنه قتل ابن فاطمة، والذي أبوه زرع الرمح في شدة حمزة وأمه أكلت كبد حمزة، والذي جدّه ناظر هاشماً ثم طُرد إلى الشام، افهم دينك، ببساطة افهم دينك.

أنا وإن كنت هجرت هذه المشيخة، وبعد المولد سأرجع إلى هجرها وتركها، زهداً فيها، وإن كنت ورثتها وأورثتها وألبستها، إرثاً عن أبي وجدي عليه الصلاة والسلام، ولكن بعض أشياخ هذه الأمة زهدونا فيها، لا نجتمع معهم تحت سقفها، فليأخذوها إن كانت لهم وليحملوها إن قدروا على حملها. رغم ذلك هي فرصة أن أناجيك وأن أحدث قلبك وأقول لك: افهم دينك واعرف دينك واعرف ربك، واعرف عمّن تأخذ دينك، ليس الأمر بتشدّقات اللسان وترّهات البيان، الأمر بالبرهان، البرهان يكشفه اللسان والبيان والجنان.

### خاتمة

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يُتّم علينا أنوار هذا المولد، وأن يسعدنا ويسعدكم ويبهجنا ويهجمكم بهذا المولد، وأن يجعل فيه النور والسرور والحبور، ويجعل فيه التخفيف عن أهلنا في غزّة وعن أهلنا والمبتلين أجمعين، عن كل ضال ومريض، أن يشفي الله سقم نفوسنا وأن يشفي حزن قلوبنا، وأن ينزع الغلّ من صدورنا، وأن يقوّي أجسادنا على طاعته، وأن

يقوّي نفوسنا على حبّه، وقلوبنا وعقولنا كذلك على التملّي والتخلّي والتجلّي، وأن يجعل في أرواحنا نوراً من عند سيدنا محمد، وأن تكون هذه الكلمات هدية بسيطة إلى حضرة الحبيب في ذكرى مولده.

غداً إن شاء الله سأكون في مدينة قصبية المديوني في جامع الناظور إن شاء الله بعد صلاة المغرب ثمّة احتفاء ينظّمه الشيخ بدري المداني يحضر مجموعة من المشائخ جزاهم الله خير مثل الشيخ منير كمنتر وكذلك المنشد الشيخ حاتم الفرشيشي، أهلاً وسهلاً إن شاء الله نبثّها إذا استطعنا ذلك، ولدينا أيام سنحتفل بالمولد في تونس العاصمة وربما في مدينة قابس وغيرها، كل عام وأنتم بخير إلى اللقاء إن شاء الله، السلام عليكم.

درس بتاريخ: 2025-08-29





## خطبة المولد: فقه الحب ومعراج العارفين

### مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي علّمنا من علمه وأدّبنا بأدبه، ما من حيّ إلا وهو آخذ بسببه، الذي يُرتجى من رحمته ويُخشى من غضبه، وصلى الله وسلّم على من اجتمعنا لسببه، نبيّ الهدى ونور المدى، من أدبه الله بأدبه وأمنه من غضبه، وجعله سيّد مخلوقيه وإمام أنبيائه ومرسليه، فصلّى عليه بداراً في مقام الأرواح، وصلى عليه اختياراً في تجسّد الأشباح، وصلى عليه مراراً عدد ما أبدى وما أخفى وما أظلم عليه ليل وما أشرق عليه صباح، صلى الله عليه وسلّم وعلى آله وأصوله وفروعه، صلى الله عليه وعلى والديه وكافليه ووصيّيه وزهرائه وسبطيه وعلى ذرّيته وكلّ منسوب إليه ومحسوب عليه.

صلى الله عليك يا خير الورى \*\* وشريت نفسك فيه والله اشترى

ومكثت في الكونين خير مبلغ \*\* حبلاً من الرحمن موصول العرى

هذا الحبيب محمّد يا عالم، هذا النّبي الذي ما خلق الله له شبيهاً، نزّهه عن العيب تنزيهاً، وكان عند الله حصوراً وسيّداً وجيهاً، هذا النّبي الذي ما من فضيلة إلا وقد بلغ السنام فيها، هذا النّبي الذي كان خير عترة وثلة ما زال ربّنا يجتبيها ويصطفئها. فالحمد لله الذي جمعنا على محبته، وجمعنا على نهجه وسنته، وجمعنا على هديه وعلى هدايته وعلى وصيّته، والحمد لله الذي جعلنا من أمّته ومن ذرّيته وبقية عترته.

## أمتنا أمة أمداد لا أعداد

هذا الموعد الذي نحن فيه اليوم أيها الأحباب، على قلة عدده يباهي به الرحمن بكثرة مدده، لأن هذه الأمة أمة أمداد ولم تكن يوماً أمة الأعداد ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً﴾. عندما كان الصحابة في قلة عدد أنبأهم الله وقال ﴿يُمِدُّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ ءَالَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ﴾، ولما نُزعت بركة ذلك المدد لم تُغنهم كثرة العدد، فرّ من فرّ منهم لوأداً في حنين والنبي ينادي: "أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبدالمطلب"، ثم قال: "شاهت الوجوه وعميت الأبصار"، فقال ربنا ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾.

وها هي أمتنا اليوم تباهي بأعدادها، ولكنها تفضل في إعدادها، وتعجز عن غزاة وعن إسنادها، وعن قلة مستضعفة وإمدادها، يطغى عليها الشراذم، قلة قليلة من بني صهيون تفعل فيها فعل فرعون في بني إسرائيل.

## من رأني دخل الجنة

ولكن، هل اجتماعنا اليوم سفه قول أو بدعة كما يرى بعضهم؟ هل اجتماعنا اليوم على شيء من الدنيا نصيبه أو جاه نُباهي به أو مال نعقد عليه عزمنا أو شيء من لذيذ الدنيا نرى فيه طلبتنا ومطمعنا، أم مجمعنا اليوم على أمر عظيم جلل؟

الذي ينظر بعين التعظيم لن يرى إلا عظيماً، والذي ينظر بعين التحقير لن يرى إلا حقيراً، قال الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم "من رأني دخل الجنة"، قيل: وأبو جهل؟ قالوا: "لم يره، بل رأى يتيم أبي طالب" أي أنّ عيناه لم ترّ الجناب النبوي بل وقفت عند حدّ القشر الجلدي البشري، فلم يرّ النور الأبهري، والعلم الأظهر، والسيف المشهر، والمعرّف الأشهر، والقلب الأطهر، والدرب الأمهر، بل رأى يدين وقدمين ووجهاً وقال لي مثلهما، بل لي من الجاه ما ليس له.

بل تبارى قوم فقالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ وهم يعلمون أنّ أعظمهم وأكرمهم وأفخمهم وأعلمهم وأحكمهم وأشجعهم وأملحهم وأسخاهم وأجودهم وأكرمهم وأنداهم وأفضلهم صلباً ونسباً وأباً وأمّاً وجدّاً هو رسول الله، سيدهم قبل النبوة بالفتوة، وسيدهم بعد النبوة

بالنبوة، وسيدهم على أيّ وجه أرادوا وعلى أيّ أمر نظروا به أو نظروا من خلاله أو نُظِرُوا فيه، ولكن القلوب العمياء كحال الشريف الرضي إذ قال: "نظروا بعين عدواة لو أنّها \* عين الرضا لاستحسنوا ما استقبحوا"، وأنا قلت: "نظروا بعين النقص حتى كأنهم \* \* في لعنة تزري بهم وتحقيق".

### نجتمع على أمر عظيم

ما اجتمعنا اليوم فيه أو عليه أيها الأحباب هو يوم عظيم من أيام الله، يحتاج منا إلى ما أسميه "فقه الحب"، كان الدرس الماضي عن فقه الفرح، والليلة نتكلم في فقه الحب. يحتاج من يفقه في المحبة، يحتاج من ينظر بعيني قلبه لا بعين رأسه فقط، من يسمع بأذن روحه لا بأذني جسمه، من يشم بأنف فؤاده لا بأنف عناده. يحتاج هذا العطر وهذا الشذى وهذا النور وهذا الجمال وهذا الملمح وهذا المشهد وهذا الشعور إلى قلب يرى بالنور، يشتمّ بالنور، يعانق بالنور، يلامس بالنور، يستكنه بالنور، إلى عقل ذرب فيه نور، إلى قلب وفؤاد شجاع **جسور**، ينظر إلى بواطن **الأمر**، إلى ما خلف **السطور**، إلى ما تخفي **الصدور**، حتى يكتنف غياهب ظلمات **الديجور**، وحتى يرى ما هو أجمل من مجالي الجثة وما فيها من **الحور**، وحتى لا يبور ولا يقع في الثبور وعليه الأيام **تدور**.

أيها الأحباب، اجتمعنا اليوم على أمر عظيم لرجل عظيم، من أم عظيمة وأب عظيم، رباه جدّ عظيم وكفله عمّ عظيم، وتزوجته امرأة لها سرّ عظيم فأنجبا ذرية بمقام عظيم، وصعد الجبل العظيم في الغار العظيم حتى أتاه في اليوم العظيم والساعة العظيمة والميقات العظيم، الملك العظيم بالتبأ العظيم من عند ربّه العظيم، فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال ﴿أَفَرَأَى بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) أَفَرَأَى وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)﴾، فرجع مزملاً مدثراً، فناداه: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْمَلُ فَمِ الْبَيْلِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ فَمِ فَنَادِرُ﴾.

نجتمع اليوم لأجل ليلة أضاء فيها نور شعشع سطع بين الكونين، فقالت أمّه وهي تودّعه في الأبواء: "لا تبك يا بني إنّك للنبّي المنتظر، لقد رأيت ليلة ميلادك نوراً خرج مني أضواء بين المشرقين والمغربين". نجتمع الليلة على ابن أب لم يره، على ابن أم لم يمكث معها طويلاً، على حفيد جدّ فقده، وكفيل عمّ افتقده، ونبيّ ربّ وجدّه، فماذا فقد من وجدك وماذا وجد من فقدك؟

نجتمع الليلة نحن ذرية النبي الأعظم محمد وبقيته في الأرض، أحفاد عبدالسلام الأسمر، أبناء الحسينين، نيابة عنهم جميعاً، ونطقاً بفمهم وسرهم، على أمر عظيم جليل: مولد جدنا وسيدنا وإمامنا محمد، صلوا على رسول الله. نجتمع على مواعده ومولده، أحدث يمضي كما تمضي الأيام؟ وُلد الهدى فالكائنات ضياء.

**كيف ترقى رقيك الأنبياءُ \* \* يا سماء ما طاولتها سماءُ**

يقول الإمام البوصيري:

**أبان مولده عن طيب عنصره \* \* يا طيب مبتدأ منه ومختتم**

الحبيب صلى الله عليه وسلم، في أمثال هذه الأيام أو ما شاء ربنا منها، فإن لم تكن الأيام هي الأيام لتبديل في سيرورة الأعوام، أو أمر جدّ وحدث من هنا أو هناك نقصر عنه في الكلام، أو أمر دُبر بَعْلَس ظلام، ولكن هذه الأيام إلى تلك الأيام تُشير، وهذا الذي اجتمعنا على حبّه نذير بشير، أرسله الله سبحانه وتعالى هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، يبشّر المؤمنين بأنّ لهم من ربهم أجراً كبيراً، أرسله الله سبحانه وتعالى وما كان للرسالة أن تتمّ لولا أن وُلد صلى الله عليه وسلم.

**عظمة والدي النبي**

لحظة الميلاد هي لحظة الحبّ بامتياز، لأنّ أمّه رأت فيه زوجاً لم يمكث معها إلا ليالٍ قليلة. ليس عبدالله ابن عبدالمطلب أيّ فتى، كان سيّد شباب قريش، وطالما هو سيّد شباب قريش فهو سيّد شباب الأرض في زمانه، سيّد شباب الكوكب، لأنّ قريش هي زبدة الأرض. كان أزهرًا منورًا، وكان عليه السلام وسيماً حياً سخياً قليل كلام، وكان شاباً أزهر اللون، فصيحاً إذا نطق، عميقاً إذا صمت، شجاعاً إذا حارب، سخياً إذا أعطى، جواداً إذا أنفق، شريف النسبتين، سليل إبراهيم وإسماعيل، ابن سيّد قومه عبدالمطلب إلى قصي وقبله هاشم الذي هشم الخبز في المجاعة إمام الكرماء، أبأوه جميعاً أوصياء، عن أنبياء، إلى آدم عليه السلام.

كان سيدي عبدالله يعلم أنّ الله اجتباه لأمر، كثير الرؤى، الذبيح الثاني الذي أراد أبوه أن يبرّ قسمه إذ وجد زمزم بعد أن تخلّى عنه القوم، وكان ينوء بحمل ثقيل. نحن الآن تحت ثقل أمانة أنّنا على دين النبي محمد، ليس أمر سهل أن تقول "أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمد رسول الله"، لأنّ النبيّ قال: "بلّغوا

**عَيَّ وَلَوْ آيَةٌ.** أنت لما تمثّل هذا الدّين تمثّل أخلاقه وقيمه، تمثّل دم آل ياسر، تمثّل عذابات بلال، تمثّل جراح النّبّي في الطائف وفي أحد، تمثّل وجع حمزة، تمثّل آلام الكرز، وجع الحسن من السمّ، تمزّق لحم ابن فاطمة الحسين في كربلاء، تمثّل كلّ من تألم لأجل هذا الدّين، تحمل أمانة ذلك. فإذا كان حملنا بهذا ثقبلاً، فكيف حمل الذي هو والد لسيد الخلق؟ الإختيار روحانياً ثقيل، والإختيار جسمانياً ثقيل.

أنا أقول أنّ **سبب وفاة سيدنا عبدالله: النور الذي غادره استلّ روحه.** لما مضت نطفته المباركة نطفة سيد الخلق إلى الزهراء آمنة، لما غادره ذلك السرّ، ذلك الجمل الذي ناء به من قبل آدم ونوح وشيث وهابيل وإبراهيم وإسماعيل وعدنان وقصيّ وهاشم وعبدالمطلب، لما بلغ مقام التحقّق، اختطف عمره شاباً، أوّل شهداء العشق المحمّدي.

**مشهد الحبّ الذي جمعه بآمنة بنت وهب لم يكن مشهداً عادياً عندما اجتمع النور بالنور،** مشهد عظيم إذا رأيته بعين التعظيم، أن يجمع الله في بيت بين الذي اجتباه ليكون والد حبيبه وبين التي اصطفاها لتكون أمّ نبيّه. كانت آمنة آمنة من كلّ عذاب، من كلّ شرّ آمنة، من كلّ عين آمنة، في كلّ خير ضامنة، كانت آمنة مؤمنة تقيّة نقيّة سخيّة حتى سُمّيت "زهرة قريش". سرّها يرجع إلى المدينة، ونورها يسطع في مكّة، وجروحها ترحل في الأبواء، فهي بين بين **بين، كحيلة العين، أمّ طه الزين، جدّ الحسينين.**

لما جمع الله بينهما كان ميقاتاً جليلاً أحاطت به الملائكة، لما سرى سرّ عبدالله إلى آمنة وتشكّلت الموضغة الطاهرة التي ستصبح محمّداً. أنحل ذلك جسمها، ورفع قدرها واسمها، وبارك سرّها ووسمها، ولم يطل بها المقام حتى غادرت، غادرت بألمها، وغادرت بحلمها، وغادرت بسرّها. ولكّتها لم تغادر قط، باقية هي على عنق الزمان، وعلى جبهة المكان، وعلى صدر المستحيل، باقية هي على رغم أنفٍ وأنفٍ وأنفٍ الفناء، باقية بسرّ ربّها في مقام البقاء. نشمّ عطرها، ونتنسم نسيمها، ونرى نورها في نور ولدها، ونراها تبتمس له مبايعاً ومبايعاً، مضموماً مألوماً مكلوماً، مهموماً مطرفاً، مستبشراً، محارباً غازياً منتصراً. تلاقيه بحضنها في المعراج، وتسري معه بسرّها في الإسراء، وتقف بجواره في الاحتضار، وتلقاه قبل الموت وبعد الموت، وتنفض عن جبينها التراب عند بعثها، كأنّها قد كانت مغفية نائمة.

لما زرتها في قبرها، نفحني الله من سرّها وأراني من مقامها وأعطاني من نورها وعلمني من أمرها، ما أكتمه بيبي وبينها، وما أُرّجيه عند ابنها. وجدت **الأمّ،** ووجدت **الحضن والضمّ،** ووجدت **الأنس والعطر والشّم،** فكم وكم **وكم** يا آمنة.. يقول عنها نواصب أميّة أنّها في النار، وكأنّ الله يختار للأنبياء آباءً من الفجار!!! إنّ

الصدفة المطهرة التي وُضع فيها ابن عبد الله، هي مسرى نور الله ومجمع بحرِي سرّ الله. نحتاج إلى فقه حب حتى نفهم، لا إلى فقيه غبي ومحدّث فاسد يقول لك: "قال رسول الله استأذنت الله أن استغفر لوالدي فلم يأذن لي.. آمنة كافرة.. وقال لرجل أبي وأبوك في النار" تعساً للنواصب الفجّار.

سمع رسول الله مرّة قوماً يتغامزون في والديه، جاءه جبريل فقال له: إنّ القوم يتغامزون في والديك. فقال وقد صعد المنبر: "ما لي أسمع قوماً يلمزون في والدي؟ أبي خير من آبائكم وأمي خير من أمهاتكم، أنا خيار من خيار من خيار، ما اختار الله بين شعبتين إلا وكنت في أفضلهما"

"إنّ الله اجتبي العرب من الأقوام، واجتبي قريشاً من العرب، واجتبي هاشماً من قريش، واجتباني من بني هاشم"

"أنا سيّد ولد آدم ولا فخر، أنا صاحب اللّواء المعقود ولا فخر، أنا حامل لواء الحمد ولا فخر، ما من نبِيّ ولا وليّ إلا تحت لوائِي يوم القيامة، أنا أوّل من تنشقّ عليه الأرض، وأوّل من يقف عند الله في أمر، وأوّل من يفتح أبواب الجنّة".

إعرف رسولك يا مسلم، حتى لا يقول لك شدياق هنا أو هناك: "لا يضرّ ولا ينفع مات وانتهى"، وحتى لا يدّعي وراثته لكع عيّي لسان فاسد جنان ضعيف بيان مخزيّ من ألف شيطان. الوراثة المحمّديّة جليّة في البيان، ظاهرة في الوجه واللّسان، بين البيان والبنان والسنان والجنان برهانٌ فبرهان.

#### مناجاة لسَيّد المرسلين

لن أطيل عليكم حتى لا يثقل الكلام، أنا أوّجّه خطابي هذا إلى قلّة تراني ها هنا بعينها، وقلّة تراني ها هنا بعينها، وكثرة عظيمة تراني هنالك بتعيّن تعيّن سرّها وحضورها، لهي عندي أجلى ممّا أراه بعيني. فقد تركت النظر بعيني من قبل ونظرتُ بقلبي، وتركتُ وحشة العالم وارتضيتُ طول الطريق وشوكة وقتاده، وواجهتُ شيطاناً أبدى فساده، وجاحداً أزرى عناده، وعدواً أطلق زناده، فأعطى الله قلبي فزاده وزاده وزاده، لهم الحسنَى وزيادة.

أوّجّه كلامي هذا إلى حضرة أسيادي أهل الله وشيخهم سيّدي عبدالقادر الجيلاني، أوّجّه كلامي هذا إلى حضرة أنبياء الله، إمام دائرتهم سيّدنا إبراهيم، إلى حضرة آل البيت ووصيهم سيّدنا عليّ، إلى حضرة

أسيادنا الملائكة وإمامهم سيّدنا جبرائيل، إلى حضرات الأولين أجمعين، لنقول لسيد المرسلين: "نحن على عهدك ووعدك لا نفارقه ولا نتركه، إن عشنا عشنا لك محبين، وإن متنا متنا لك محبين، وإن قُبرنا قُبرنا لك محبين، وإن أتانا من الله من أتانا نعلم أنّ الله لن يضيّعنا لأنّا لك محبّون". وإن أحاطنا دهر ببلوائه، ومسنا زمان بعنائه، وقصدنا مُعاديّ بعدائه، ألقى علينا التّبيّ من كسائه، وأبدى لنا من جماله وآلائه، وجعلنا مع رجاله وأنبيائه وأوليائه وشهادته، فأعطانا الله من مّنه وإعطائه، ورزقنا من مجالي أسمائه، وأبدانا في إبدائه وأخفانا في إخفائه، وكتبنا في سادة أوليائه. فإن أظهر حجّة كُنّا فيها، وإن أخفى حجّة كُنّا منها، وإن أتى نبأ عنها كُنّا في نبأ عنها.

نقول لسيد الأولين والآخرين: ما يزال أبناء فاطمة وأولاد الحسنين وذرية الكرّار، لسانك الناطق في الوجود، وصوتك الحقّ في دنيا الشهود، وما زلنا يا أيها المحمود، يا صاحب اللواء المعقود، والحوض المورود، والأمر الموعود، أيها الكنز المرصود، مجلى مجالي السعود، وسنام قمّة الصعود، يا إمام إبراهيم وموسى وعيسى وصالحاً وهود، يا إمام يوسف ويونس وسليمان وداوود، يا إمام الأنبياء، يا سيّد الأصفياء، يا حجّة الأولياء، يا رحمة ربّ السماء، يا من ضحّى لربّه بالدماء، وأخلص في الدمع والسمع والبكاء، ما زلنا معك وما زلنا لك وما زلنا إليك وما زلنا حوالياً وما زلنا نصليّ ونسلم عليك.

إن كانت غرّة تحتاجك، جياها ووجعها ونزيفها، فقد كان آل ياسر من قبل يحتاجونك فقلت "صبراً آل ياسر إنّ موعدكم الجنّة". إذا كانت الدنيا تناديك فقد نادتك الآخرة. وإن قتلوا كما قتلوا فإنّ لك داعياً بأمرك سيّاتي، ووعداً من ربّك سوف يأتي، إنّ أمره كان مأتياً، وإنّ وعده كان مأتياً ﴿قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾.

نعم نحن نحبّ رسول الله، ونعم تجتمع العوالم كلّها لتشهد نُطق الذي ورث الأمر بأمر صاحب الأمر لينطق عن ذلك الأمر، ليس تشدّقات مشايخ أو كلام مدّعين، إنّما هو الحقّ بالحقّ من حضرة الحقّ. إن قلّ عددكم فقد كُبر مددكم، إن كان تعداد عددكم بالعين يسيراً، فقد جعل الله من حولكم مُلكاً كبيراً، وجيشاً عرمرماً غفيراً، يأتي بأمر من كان سراجاً منيراً، وداعياً إلى الله بإذن ربّه بشيراً ونذيراً. إن كان هنالك من يعجب فهو لا يرى بقلبه، إن كان هنالك من يعجب فإنّ نفسه تمنعه، وإنّ عقله يحجبه، وإنّ علمه يخذله "قلوب العارفين لها عيون \* ترى ما لا يراه الناظرون".

## يحبهم ويحبونه

فقه الحب أن تحب لمحض الحب، قال الله سبحانه وتعالى ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾. ومعنى "يحبهم" ويحبونه: "أي أن حبه سبق خلقهم وأرواحهم وأشباحهم وأفعالهم، سبق ذنوبهم وحسناتهم، ما أحبهم لحسنات ولا كرههم لذنوب، إنما أحبهم بمحض اللطف والعتو ومطلق الإرادة ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾، أحبهم لأنه يعلم أنهم سوف يكونون خلفاءه في دنيا الأشياء والأسماء، أحبهم لأنه أراد أن يحبهم.

"يحبهم ويحبونه": بين يحبهم ويحبونه ثمّة واسطة، قال "يحبهم ويحبونه" بلا واسطة، الواو مبني مثنوي مطوي فيها واسطة. ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ ماذا تفعلون؟ ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾. بمعنى: يحبهم فيجلب عليهم حبه في حبيبه، ويحبونه فيرون حبه في حبيبه، فلا حب منه يصل إليهم دون الحبيب، ولا حب منهم يصل إليه دون الحبيب، لأنّ الحبيب صلى الله عليه وسلّم واقف بيننا وبين الله.

حتى قال لي بعضهم: إنّ الله ليس بيننا وبينه حجاب، قال ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾. قلت: إنّ هذه الكاف تزن الملكوت، لما يقول ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾، لما يقول ﴿وَرَبِّكَ الْعَفْوَ ذُو الرَّحْمَةِ﴾، لما يقول له ﴿لَعَمْرُكَ﴾ ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾ ﴿فَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ﴾.. الكاف هذه هي الحضرة المحمّديّة. أي: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ﴾ أتوني بك ﴿فَأِنِّي قَرِيبٌ﴾، لم يقل "وإذا سألت عبادي عني". إبليس كان قريباً، فأراد له الله كاف آدم فقال "ادخل عليّ بهذا" اسجد، الملائكة دخلوا من الباب بالواسطة، إبليس أباه فلم تنفعه عبادته التي تعبد الله بها ما لا نتخيّل من الأعوام.

لذلك أحبوا رسول الله، عظّموا قدر النبي في صدوركم، عظّموا قدر والديه فلا يصحّ حبّ دون والديه، إذا أحببته أحببت أهله جميعاً. عظّم قدر المصطفى يُعظّم الله قدرك، عظّم قدر المصطفى يشفي صدرك، عظّم قدر المصطفى يقيك الله من السحر والعين، وتقّرّ منك العين، بجاه جدّ الحسنين.

نسأل الله لنا ولكم مولد مبارك، كلّ عام وأنتم بألف بخير، وكلّ عام وأنتم في صحّة وفي سلامة وفي عافية، والصلاة على الحبيب وعلى والدي الحبيب وعلى آل الحبيب عنبر ومسك وطيب صلاة بها كلّ أمر يطيب وظننا بالله لا يخيب، صلاة من نور إلى نبيّ النور.

## شهد النبي مقامي وسمع كلامي

أنا على يقين كامل أنّ الله قد أشهد النبي مقامي وأسمعه مقامي وأبلغه سلامي، بل أنا على يقين كامل أنّ النبي الذي قال "ما من أحد منكم يصلّي علي إلا رددت عليه صلاته"، أضاف لها الوضّاعون "إلا ردّ الله عليّ روجي إلى جسدي فأرد"، وكأنّ الروح لا تردّ، وكأنّه لما صلّى خلفه الأنبياء لم يكونوا أرواحاً، ولما لقي موسى يصلّي عند قبره لم يكن موسى روحاً!! إنّما الأرواح حيّة عند ربّها مُرزقة.

فأنا أرى أنّ النبي الكريم الذي يجيب صلاة أندونيسي من أمته قادم لا يعرف إلا "محمد محمد"، حتّى مرّة كان بعض بني وهبان يخطب على مجموعة من الأندونيسيين والباكستان ويقول "المولد بدعة"، هم يقولون "مولد مولد مولد"، هم فرحانين بالمولد، هم لا يهتمهم لا يفهمون ماذا يقول، هو يقول "المولد بدعة" وهم يقولون "مولد مولد مولد"..

واحد من الصعيد فايت عند حضرة سيدنا النبي، لاقى واحد يقول له "امشي يا حاج" وهو يبوس الشبّاك، فقال له: حضرتك بقالك كم هنا؟ قال له: عشرة سنين، قال له: مدد أنت كلّك مدد وصار يبوس رأس الرجل، والرجل لا يفقه ناصبي لا يفقه.

وسيدنا الشعراوي لما جاء إلى حضرة الحبيب يبوس الشبّاك، فقال له الحارس: أنت تقبّل شبّاك، تقبّل حديد؟! قال: لا، أنا قصدت النبيّ. فغضب، فالناس قالوا له: كيف تغضب؟ هذا إمام الدعاة، ألا تعرف إمام الدعاة؟ هذا صديق الملك الإمام الشعراوي.. فخاف منه فجاء يقبّل الرأس، فقبّل العمامة، فقال له: يا سيدي قبّلت رأسك. فقال له: أنت ما قبّلت رأسي. قال: لا والله قبّلت رأسك. قال: لا، قبّلت العمامة. قال: لكّي أعني رأسك. قال: وأنا كذلك أعني رسول الله!!

سيدنا أبو أيّوب الأنصاري كان يقبّل قبر النبي، جاء مروان ابن الحكم فقال: يا هذا أتقبّل حجراً؟ قال له: يا هذا إني أتيت رسول الله ولم آتي الحجر، صدق رسول الله إذ قال: "لا تبكوا على الدين إذا أسند لأهله، بل ابكوا عليه إذا أسند لغير أهله". وكان سيدي بلال يصلّي عند قبر النبي فلعنه مروان ابن الحكم، فقال: يا مروان إنك شتّام لعن وإنّ رسول الله نهانا أن نُجيب الشتّام اللّعان. هؤلاء بعض من أولئك ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، ربّنا قال ﴿أَتَوَاصُوا بِهِ﴾ كأنّ البعض يكتب وصيّة للبعث، فرعون يوصي هؤلاء المجرمين اليوم وصيّة روحية.

فلذلك إذا كان النبي يجيب صلاة أيّ إنسان، فأعتقد أنّ نسبي إليه يُحقّ لي مكانةً أكثر تميّزاً، وأنّ طول عشقي له، واحتراق كبدي، وضني جسدي، وفراق لبدي، وأيّ أفندي به أمي وأبي وولدي، وأيّ أرى فيه عشقي الأبدي، ونور الله الساطع الصمدي، وأيّ آنس به بأنس الواحد الأحد، وأيّ أحببته في العناء والكبد، وتلظّي من عشقه كبدي، لا أراه إلاّ يُجيبني:

يا ولدي

قل ونحن المتكلمون

وانطق ونحن القائلون

وادعو ونحن المؤمنون

واضرب فنحن الضاربون

واصعد فإنّا بأمر الله مُعرجون

واصمد فإنّ حزب الله هم الغالبون

لا نخشى كأس المنون

ونحن في سرّ نون والقلم وما يسطرون

ما أنت -برحمة من ربك وبإذن من ربك وبنور من ربك- بمجنون

فسنعلم وسيعلمون بأيّنا المفتون.

لذلك أيّها الأحباب، نعم لقد رأيت فأجاب، نعم المسك طاب المسك طاب.

## أقسم عليك قبل النوم

نعم أيها الأحباب، أيقن عند طرق الباب حتى تفوز بالجواب، إن الطارق المضطرب لا يحظى بإجابة، إن الداعي الشاك لا يحظى باستجابة، إن الساجد الذي يمترى في سجوده لا يحظى بعطاء معبوده، ولا يؤيد بالله وجنوده. قتل الناس الشك وشيوخ شخاشخ ناطقون بالأراجيف، من كل عتل زنيم سخيف، يكره الشريف ومن نسبه شريف، أهل التزييف والتخريف، لا.

أنت الليلة قبل أن تنام -أقسم عليك بالله أن تفعلها قبل أن تنام- أغمض عينيك وقل:

يا من خلقي منك ويا من رجعاي إليك، يا من خلقتني روحاً ووضعتني في بطن أمي جنيماً لا أقدر على شيء، وأخرجني من بطن أمي لا أعلم شيئاً، وحفظني صغيراً ووقاني كبيراً، وكان فضله عليّ كبيراً، وأعطاني كثيراً فما حمدته كثيراً، أذنبت وهو يراني، وعصيت وهو يحيط بي فسترتني "أعصيك تسترتني، أنساك تذكرني، فكيف أنساك يا من لست تنساني؟! يا من إذا قلت يا مولاي لباني، يا واحداً ما له في ملكه ثاني".

قل له: يا ربّي، ستأتي لحظة فيها قولك ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكْ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾، ﴿إِذَا بَلَغَتِ النَّرَاقِي وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ وَالتَّفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾، فلا تجعل في قلبي جزءاً، وزدني بك حباً وولعاً، أحييني طيباً وأمتني طيباً واحشني في زمرة الطيبين، ألق عليّ وشاح أوليائك الصالحين، واجعلني مع حضرة سيد المرسلين، واغفر لي الآن، أقسمت عليك بإسم ما من أحد أقسم عليك به إلا أجبته، إنّه مجلى إسمك الأعظم، أقسمت عليك بحبيبك محمد (لن يردّ الله قسم عبد أقسم عليه بالذي يحبه).

اللهم إني أقسم عليك بحضرة سيدنا محمد، وبأمه آمنة وأبيه عبدالله وعمه أبي طالب وجدّه عبدالمطلب إلى آبائه أجمعين، وبزوجه خديجة البهيجة وأولاده ووصيّه وزهرائه وسبطيه، وآل بيته والصحابة المنتجبين لديه، وبكل نبي وولي لك وملك مرسل، وبحملة عرشك وملائكة فرشك، إلا أن رحمتي وغفرت لي وعافيتني وعفوت عني ورحمت آبائي، لا تخزني في والدي فأدخلهما الجنة، ولا تخزني في آبائي فأدخلهم الجنة، ولا تخزني في فإني عبدك وحبیب عبدك وسلیل عبدك، فأعطني رب العالمين على قدر جودك لا على قدر حاجتي، واغفر لي على قدر رحمتك لا على قدر ذنبي، وهبني على سعة عطائك لا على ضيق كفي، وابعثني في جنة عرضها السماوات والأرض لمقام حبك وقربك لا للجنة في ذاتها، ونجني من دنيا أحاطتني بملذاتها، ولا ترفع لعدوّ عليّ راية، وأشهدني مشهد ابن فاطمة يصلي في القدس، فاجعل لي

صلاةً خلفه بالروح أو بالجسم، فإن أحبيتي فاجعني معه، وإن أمتني فاجعني معه، واحشني يوم القيامة في حوض النبي وحضن النبي وكف النبي، واجعني في الجنة جارة للنبي، ما أبتغي الجنة لا أراه فيها..

ثم قل: يا رسول الله إني حفيدك -فإن لم تكن حفيده فقل: يا رسول الله إني من أمتك محب لك- أقسمت عليك بقسم لا تردّه أبداً، أقسمت عليك برّبك الذي بعثك، وأمك التي أنجبتك وأبيك الذي ولدك، وزوجتك التي آوتك وحضنتك وعمك الذي كفلك، وعليك الذي نصرك وزهرائك التي سرتك وسبطيك الذين أمرت بحبهما، وبكلّ إمام من ذريتك ونبيّ على سنّتك وملّتك ونهجك، وبكلّ شهيد وصديق، وبكلّ ملك من خدمك، وبكلّ من هم معك، إلا أن رأيتك في الدنيا قبل الآخرة، وإلا أن حضرتني عند الموت عند خفوت الصوت قبل أن يفوت الفوت، وإلا أن حضرتني في قبوري ليُنار قبوري ويُشفي صدري، وإلا أن حضرتني في برزخ أراك فيه عياناً، وإلا أن رأيتك مناماً وجهرةً عياناً، آخذ منك العهد والوعد لا أخزي ولا أغلب ولا أسلب ولا أنهب، وإلا أن آخذ بكفك وكف مهديك إلى قدس الأقداس، وأن نرى كيف يُهزم جند الخناس وكيف يُسعدُ المستضعفون من الناس، وإلا أن آخذ بيدك وتأخذ بيدي إلى جنة عرضها السماوات والأرض فلا أحاسب ولا أعائب، أنت ذخري عند ربّي، إن أحاط بي ذنبي فأنت ذخري، وإن أحاط بي عيبي فأنت فخري، وإن أضعفني دهري فأنت سندي، وإن أثقلني زمي فأنت مددي، يا حجّتي يا حبيبي يا رسول الله.

فُلها ومُت حينها، لا تخش عزرائيل، نحن قوم لا نخاف الموت، نحن قوم لا نهاب في الله أحداً، نحن أولاد عليّ. وهذا برهان إرثنا لكلّ من تكلم فينا وقال عتاً ونحن صامتون، لكلّ من حاربنا، ستعلو رايبتنا وتظهر آيتنا وتُحقّق غايبتنا، وترونا في موضع يسوؤكم ويسرنا ويسر رسول الله، لكلّ من رمانا بحربة: لقد رُميت والله بحربة حمزة، وقد جهلت السرّ ورمزه.

### دعاء الختام

صلّ اللهم وبارك على سيّدنا محمّد، اللهم إنّنا نحتفل بمولد نبيّك فاحتف بنا، اللهم إنّنا نصليّ ونسلم عليه فصلّ علينا إنّ صلّاتك تُنجينا، واءمُر نبيّك يصليّ علينا إنّ صلّاته نُسك لنا. اللهم أحينا طيّبين وأمّتنا طيّبين واحشنا في زمرة الطيّبين. اللهم إنّنا اجتمعنا على حبّ النبي فاكتبنا في المحيّين، اللهم اجتمعنا على حبّ النبي فاكتبنا من المحبوبين ولا تجعلنا من المحجوبين ولا من المسلوبين المغلوبين.

اللّهم بارك في هذا المجلس وأهله، وبارك في والديّ وفي ذريّتي وفي أعمامي وفي أهلي، وارحم اللّهم آباي الذين انتقلوا إليك سيّما جدّي عليّ وجدّي حلّيمة، اللّهم أوسع لهما في الجنّة داراً، وابن لهما في الجنّة قصرًا، فقد أنجبا وارث من أردت من يرث، وحارث ما أردت أن يحرث، بأمرك أيّها الذي أعطى من حرث ومن ورث.

اللّهم صلّ وبارك على سيّدنا محمّد وبارك في الحاضرين أجمعين، بارك اللّهم في مريدنا وتلاميذنا وأحبابنا، واخز اللّهم أعداءنا وفرّج عن أهل غزّة تفريج عرّة، اللّهم ارحم ضعفهم وعجزهم ودماءهم وبكاءهم، وحُذ عدوّهم أخذ عزيز مقتدر، أرهم أيّام عاد وثمود وأيّام فرعون ذي الأوتاد، أرهم بطشك إنك بالمرصاد. احفظ اللّهم أرض أفريقيّة من كلّ شرّ، ونجّها من كلّ ضرّ ببركة صالحيتها. اللّهم من أتانا محبّاً فأحبّه، ومن نأى عنّا كارهاً فضدّه، ومن حاربنا فاغلبه، ومن عادانا فاخذله، ومن نصرنا فانصره، بسرّ أسرار ونور أنوار الفاتحة.

محاضرة بتاريخ: 2025-09-03





## محاضرة حرب المعنى في مجلس علماء الرباط المحمدي

مقدمة

أحبابنا في أرض العراق الحبيب، أرض الأنبياء والصالحين، وأرض أجدادنا وأسيادنا.

حيّ العراق وسادة الأسياد \*\* من تونس الخضراء إلى بغداد

حيّ العراق وقد أتيت تزوره \*\* الأرض أرضي والبلاد بلادي

السلام على أهل الفلوجة الصابرين المرابطين، والسلام على علماء الرباط المحمدي، وسلام على سيدي أبي صالح عبد القادر الألووسي الرجل العارف بالله والساعي في ما كان عليه أبوه وكان عليه أجداده إلى سيدي عبد القادر الجيلاني إلى حضرة المصطفى، وسلام على كل من أهدانا السلام، على كل من فتح لنا قلبه وحضنه، سلام عليكم بعد بلاء يعقبه رضاء، ومدد جئنا به بسند صالحين وبركة أوليائنا وبسند جدنا المولى إدريس الأكبر ابن عبد الله الكامل ابن الحسن المثنى ابن الإمام الحسن وابن فاطمة النبوية بنت الإمام الحسين، أول مولود من السيدين.

إي الغني بكم لا لست أفقر \*\* إن كنت مفتخرًا بكم سأفتخر

يا من هم كنف إن جئت أقصدهم \*\* يا من هم بشر لكن ولا البشر

\*\*\*

صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ يَا خَيْرَ الْوَرَى \*\* وَشَرَيْتَ نَفْسَكَ فِيهِ وَاللَّهُ اشْتَرَى  
وَمَكَثْتَ فِي الثَّقَلَيْنِ خَيْرَ مَبْلَغٍ \*\* حَبْلًا مِنَ الرَّحْمَنِ مَوْصُولَ الْعُرَى  
وَالصَّحْبُ حَوْلَكَ قَدْ تَلَأُوا نُورَهُمْ \*\* وَالنُّورُ فِيهِمْ مِنْ فَوْادِكَ قَدْ سَرَى  
وَقَضَى الْإِلَهَ بِأَنْ تَكُونَ رَفِيقَهُ \*\* أَفْهَلُ بِكَيْتِ عَلَيْهِ يَا أُمَّ الْقُرَى

\*\*\*

أَنْتَ الضِّيَاءُ فَلَا شَمْسُ وَلَا قَمَرٌ \*\* وَلنُورِ وَجْهِكَ طَابَ الْعَشْقُ وَالنَّظْرُ  
حَتَّى الْمَلَائِكُ أَذْنَاهُمْ وَأَقْرِبَهُمْ \*\* كُنْتَ الْإِمَامَ وَأَنْتَ الْمُرْسَلُ الْبَشْرُ  
يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ يَا أَعْلَاهُ مَنْزَلَةً \*\* أَجْلَى الْحَقَائِقِ أَنْ فِي هَدْيِكَ الظَّفْرُ  
مَنْ أَنْ صَعَدْتَ إِلَى الرَّحْمَنِ فِي كَنْفٍ \*\* يَشْتَاقُ خَطْوِكَ حَتَّى الرَّمْلُ وَالْحَجْرُ

\*\*\*

هَذَا الْمَقَامُ وَهَذَا الْبَيْتُ وَالْحَرَمُ \*\* فَسَلِ الْمَلَائِكَةَ مِنْ أَعْظَوْا وَمَنْ حَرَمُوا  
هَذِهِ الْمَطَارِحُ لَمْ تَمَسَّ قَدَاسَتَهَا \*\* تَلِكِ الدَّهْورِ ذَوْتَ فِي طَيْهَا الْأُمَمُ  
الْوَاقِفُونَ بِبَابِ الْحَبِّ مَا خَسَرُوا \*\* مَسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلِ اللَّهِ وَاعْتَصَمُوا  
يَا أَيُّهَا الْحَبِّ يَا نِبْرَاسَ شَرَعْتَنَا \*\* فِيكَ الْخِصَامُ وَأَنْتَ الْخِصْمُ وَالْحَكْمُ

الحقيقة هذه زيارة جديدة لي لأهل العراق، وجئتمكم من الشام شام رسلان الدمشقي وشام محيي الدين ابن عربي، وهذه ألبستها في الشام، فمزجت بين سرتنا في بلاد المغرب وبين سرّ الشام في رحلة من دمشق إلى النجف، من حضرة الإمام علي إلى حضرة ذبيح كربلاء وأشقائه، إلى زيارتنا اليوم إلى الباز الأشهب سيدي عبد القادر الجيلاني سيد أولياء الله وشيخ ديوانهم وإمام ركنهم، إلى علامتنا الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه وعليهم السلام جميعاً.

أتيناكم بكل محبة، بما تأمل الفكر وما تدبر النظر، ولن أطيل عليكم، سيكون كلامي عن آخر كتبي القادمة اسمه "حرب المعنى".

### بداية حرب المعنى

كما تعلمون، الحق جل وعلا حين خلق آدم علمه معنى، وجعل في كنهه واستبطانه معنى، وجعل لخلقه وسره معنى، فأوجد معناه في مبنى الطين، فاحتقر إبليس مبنى الطين، وتساءلت الملائكة عن معنى مخلوق الطين أن يكون كالذين خلُقوا قبله من طين يُفسدون في الأرض ويسفكون الدماء، فقالوا "إنّ معنانا خير: نحن نسبح بحمدك، نحن نسجد لك، نحن عبّادك المخلصون". وأما إبليس فتساءل عن المبنى، فقال "أنا خير: مبناي الناري خير من مبناه الطيني". فنفخ صاحب المعنى فيه سرّ المعنى من روحه، حتى جعل سرّ تلك الروح بوجودها الطيني أعظم من وجود النار دون تلك الروح، فأسجد له ملائكة على علم وبصيرة، وأنزله بقانون له معنى بعد أن فتنه بسرّ أراده وبعد أن عصى إبليس ربه ثم عصى آدم ربه فعوى ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾.

فقضت الحكمة أن يهبطوا إلى الأرض ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾، فكانت العداوة معنى ضمن الوجود الآدمي، فجعل لذلك باباً بدأ من قابيل وهابيل، هذا أخذ معنى الشر وهذا أخذ معنى الخير، ثم جعل ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوٌّ مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوٌّ شَيَاطِينُ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوجِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾، ثم جعل على كلّ رجلاً.

### إلتباس معنى الشر في الخير

ولكنّ أمر ما في مسألة المعنى: إلتباس معنى الشر في الخير وانغماسه فيه وادّعاءه له، وانسداد آفاق أهل المعنى الخير عن فهمه. فإما أن يتراخى أهل معنى الحق عن حقهم فيتوهّم أهل الباطل أنهم على حق، أو أن يدسّ أهل المعنى الباطل سمّهم في المعنى الحق، فيرفعون كلمة "لا إله إلا الله" وما عنوها، ويرفعون راية محمد وما قصدوها، ويتكلمون عن نبي غير نبينا وعن رب غير إلهنا، عن إله لا يعرف إلا تعذيب الناس في قبورهم، وذبحهم من نحورهم، وطعنهم من صدورهم، وتعذيبهم وتبويرهم، ونعرف رباً قال

"من أتاني كنت له الحبيب ومن جفاني كنت له الطبيب"، "ولا يزال عبدي يتقرب إلي حتى أحبه، فإن أحببته كنت عينه التي ينظر بها ولسانه الذي ينطق به"، وعرفنا رباً قال ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، وعرفنا رباً قال ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۖ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾. ونبينا قالوا "ذابح ضحّاك" "جئتكم بالذبح"، أخذوا حديثاً مدسوساً ففضّلوه على قوله في ذاته "إنما أنا رحمة مهداة"، وعن قول ربه عنه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾، وعن سمته وحبّه وعشقه وسرّه ورأفته ودموعه وخشوعه وخضوعه، في جلواته وفي خلواته في صلواته في كل حياته وبعد حياته التي انتقل فيها من حياة تُحدّد بالجسم إلى حياة تمتدّ بالروح، فهو حي فينا ﴿فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾.

فلما قام هؤلاء اللصوص بما قاموا به، قتلوا الناس في كربلاء وهم يكبرون، ذبحوا ابن فاطمة وهم يكبرون، صلوا خلفه ثم ذبحوه، قتلوا الناس في الحرّة وقتلوا الناس في كلخ وفي فخ وفي غيرها.. إلى اليوم، إلى هذه الساعة، قتل جماعة بني وهبان أكثر من عشرة ملايين مسلم منذ أن ظهرت دعوتهم الخبيثة، كما ذكر ابن بشر في "المجد في تاريخ نجد" وابن غنّام في كتاب "تاريخ نجد" عن مجازهم يقول فيها: "وهجم المسلمون على قرية كذا فجراً فقتلوا كبيرهم وصغيرهم" ويذكر كيف دخلوا كربلاء فذبحوا ثلاثة آلاف إنسان.

لماذا؟ لأنّ القائمين على معنى الحق لم يبيّنوه جيداً، خاتل من خاتل منهم، نافق من نافق منهم، كُتمت أفواه العلماء الربانيين، حوصروا في رزقهم وحوصروا في أصواتهم. وظلّت هذه الجدران تُبنى حتى صارت شاهقة، وظلّ هذا السدّ منيعاً بين الأمة ومعنى دينها وحقيقة يقينها ووجه نبيّها الأغرّ وسرّ آل بيته الأطهار وأصحابه الأبرار والصالحين الذين هم منجاة الإنسان من النار ومفتاح كل الأسرار وبوابة الأنوار، وهم الشموس وهم الأقمار، صلى الله على نبيّهم وعلى سيّدهم ما أدلج مدلج وسار، وقُدّر أمر وصار، ولفّت كوكب ودار، وطار طائر وطار، وأدلج مدلج في صحاري هذه الحياة، لأنهم هم الذين بهم نستنجد ربنا. قال رسول الله "إذا أضع الله سبيله فليقل يا أهل الله أغيثوا"، وكان عند خروجه من بيته يقول "اللهم بممشاي إليك وبالسائلين عليك". قال أولئك: "طارش لا يضّر ولا ينفع، قد مضى وأنهى مهمّته وهو ميت"، وهم يقرأون أنّ الشهداء ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾، فكيف بسيد الشهداء والأشهاد؟ وقالوا ما قالوه..

الآن تفخيخات أولئك الذين خطف الشيطان عقولهم، منهم بعض من بلادي للأسف استثمروا طاقة أولئك الشباب. للعلم: أول عملية استشهادية سنة 48 لأجل فلسطين كان قد قام بها تونسي، أهم

العمليات الفدائية مع المقاومة في لبنان قام بها توانسة، من بينها عملية الطائرات الشراعية، انتقموا من شبابنا بتلك الطريقة، استغلوا طاقتهم. أبو مدين شعيب الغوث صاحب القصائد والمواجيد تلميذ سيدي عبد القادر أتى في فتح القدس بثلاثين ألف ذاك وترك يده مقطوعة هنالك وأخذ باب المغاربة. فأتى هؤلاء وشوهوا صورة الإسلام في العالم، والحقيقة أنهم أظهروا صورة الإسلام المزيف المكذوب المخبوء المدسوس في كتب الفقه القميئة بحقدها، والروايات الموضوعية والمدسوسة وكل التزييفات.

### بصيص نور وأمل

دمروا ذلك الجدار، فتسلل منه بصيص نور وأمل قام عليه رجال أحرار من أمثال سيدي أبو صالح، ونحن في ذلك سعاة حفاة القدم وبضاعة مُزجاة وكثرة ذنوب ووفرة عيوب، ولكننا داخلون في الحضرة، ما أتينا بأعمالنا، إنما هو دمه يتحرك فينا، **وإنما هي سلسلة موصولة أعلاها بأدناها لا يضرها ذنب مذنب ولا يقع عليها الحرمان، و "من أحاطت به العناية فما أضرت به جناية".**

فتحركنا بهذا السرّ وطفنا في أرض الله سياحة ونظرنا: إنه الوقت المناسب، إن كنت صوفياً حقيقياً، إن كنت مسلماً حقيقياً، إن كنت محمدياً حقيقياً، إن كنت تعلم أنّ مذهبك وطريقتك هي التماس وقبس من رسول الله، فيا سوء ذلك إن كان حجاباً لك عن رسول الله، ويا سوء ذلك إن كان مذهبك وطريقتك وقومك وقبيلتك أكبر في عينيك من دين الله ورسوله، **إنما أعلى أشياخك مقاماً خادماً صغير أمام نبيك،** يرتضي من ذلك المقام الأخير، ويأتي حاسر الرأس ذليلاً، ولو رأيتموهم وهم أسياد الخلق كيف يكونون مع سيد الخلق لعرفتم كيف يكون المقام.

فالذي يريد أن يعمل، هذا مجاله وميدانه، والطفُ بعدُ تَمورُ بالفرسان. ففرسان الحق هم **فرسان المعنى**، الإسلام ليس مبني، تأملوا أولئك كيف جعلوه مبني: لحية على تلك الشاكلة، لباس مقصّر على تلك الشاكلة، هذا هو المسلم، قالب جامد، صنم، هبل تحوّل من الحجر وانسلّ إلى البشر، وهو هبل أخطر هبل خبيث. نريد أن نكسر هذا الصنم في عقول الناس، لديكم عمل كبير مع الشباب في التوعية، عمل كبير في إعادة المفاهيم.

لدينا صوفيون عائشون في الوهم، يقول "شيخي هو شيخ الحضرة"، وأنت ماذا فعلت مع شيخك؟ ماذا قدّمت له؟ بعض المنامات والخزعبلات، وتتبع البنيّات بالأكاذيب "رأيت النبي فأوصاني أن أتزوجك".

هكذا يفعلون، يكذبون على الناس ويأخذون أموالهم، سُراق جيوب وليسوا سُراق قلوب. وكذلك من أذعيا الفقه الحرفي الذين انحصرت فهمهم في العبارة ولم تجتاز إلى عالم الإشارة، فبذلك قُتل السهروردي والحلاج وغيرهم. وكذلك من أصحاب المذاهب ذوي الرؤية الضيقة الذي رأى أنّ نشر مذهبه أو الخوف عليه أهم من الإسلام. وكذلك أهل الديانات جميعاً.

إن كنا نؤمن بمنتظر قريب، فإنّ المنتظرين عليهم واجب، نجلس ننتظر المنتظر، الطائفة الإلهية التي ستحطّ علينا باليمن والسوى والعسل، بنو إسرائيل أصابهم خير من ذلك: شقّ الله لهم البحر وآتاهم التوراة ورفع فوقهم الطور ونزل عليهم المنّ والسوى وقلق لهم الصخر اثنا عشر عينا، ثم قالوا: القئا والبصل... ذلك أنّ عقلاً إلى ربه ما وصل، وقلباً بربه ما اتّصل، مصيره القئا والبصل. وما أكثر البصليون، البصليون كثير، الذي يبيع دينه برميم الدنيا أو برميم الخوف.

### معركة المعنى لها تاريخ طويل

معركة المعنى سادتي معركة ضارية، لأنها لا تقوم على مجموعة تفنيها في حرب كما هي حروب المباني، إنما على تاريخ يمتدّ إلى إبليس، إلى قابيل ومن كان بعده، إلى كل حرف موضوع، إلى كل معنى مزيف، إلى كل دجال، إلى كل دعيّ، إلى كل قاتل للمعنى البريء للديانة، الدين الذي جاء رحمة للعالمين، الذي نزل بسرّ "اقرأ" في أمة لم تعد تقرأ، نزل بسرّ "تدبّر" ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾.

لا تستغرب إن أخذوا أبناءك وقتلوك بهم، قال بن غوريون -ومن العدو نتعلّم- "إنّ سلاحنا الأقوى ليس القنبلة النووية، بل نشر الفوضى، ولا يقوم ذلك على مقدار ذكائنا بل على مقدار جهل الخصم"، وقال قائد جيش العدو بعد حرب تموز: "لقد آن الأوان لحرب جديدة، يكون القاتل منهم والمقتول منهم". إذا ما قرأتم -أدخل الآن إلى تخصصي الثاني وهو العلوم الإستراتيجية والعسكرية والأمنية ومكافحة الإرهاب وعلم المستقبلات- إذا قرأتم بروتوكولات حكماء صهيون أو ما كتبه برنارد لويس سنة 1975 وكيسنجر وبعده فوكوياما ترون ما يحدث الآن، ينظرون على مهل في غرف مغلقة، تقسيم الدول العربية، ويطبقون ونحن نعينهم بخونة منا.

### ثلاث مستويات لحرب المعنى

فكل هذا لا يمنع عنكم فرض عين، فرض المعنى بثلاث معان، ثم أختتم بكلام في معنى عن النبوة وأختتم، لن أطيل عليكم.

حرب المعنى لها ثلاث معاني:

1- الأول، ذاتك. أحدهم قال لي "أريد أن أجمع الأمة"، قلت له: "يا أخي عقلك في مكان وقلبك في مكان ووعيك في مكان، أنت شتات، اجمع نفسك".

فالأول: اجمع ذاتك، رقيّ وعيك، جد لك شيخاً يعلمك (وأنتم في حضرة شيخ معلّم)، جد لك معنى أرقى وأنقى، كن أنت رسولَ رسولِ الله، كنت أنت المرسل من محمد صلى الله عليه وسلّم. هم بالحضرة وتُثق إلى النظرة، يسقك ربك من خمور القدس ويُجلسك في مجالس الأُنس. كن حرّاً في عبادتك فوق مخافة وطمع، هم به لأجله.

لذلك قلت في هذا المقام:

هبني الهوى كاساً وخُذ من أنفاسي \*\* ولتسقني من خمرة القدّاس

يا محرقى بالعشق لست معدّبي \*\* بل نارك الفردوس في إحساسي

أنت الذي بسط الجمال لناظري \*\* حتى نظرتُ وما درى جُلّاسي

أفانيتني بالعشق حين أذقتني \*\* خمراً بروحي لا بجوف الكاس

حانُ تُدار بها الكؤوس بأضلعي \*\* وخمورها انسكبت بكلّ حواسي

لم يبقَ في قلبي سواك لفرط ما \*\* صار الغرام تنفّسي ولباسي

وعلمت أنك يا عظيم متّيمي \*\* ففزعت من قلبي الشقي الناسي

إني أتيتك مؤمناً ومسلماً \*\* ونزعت من قلبي هموم الناس

إبدأ بذاتك.

2- المستوى الثاني: إبدأ بالأقرب إليك، اخلق دائرة إشعاع ذاتية، أسميها "نظرية إشعاع النقطة".

الضوء لو لم يشعّ على بعضه، ونقاط البحر لو لم تتفاعل مع بعضها، وذرات هذا العالم وهكزوناته الطرية جداً والصغيرة جداً لو لم تتفاعل مع بعضها، لزال هذا الوجود. يقوم هذا الوجود على دقائق صغيرة تتفاعل مع بعضها في انسجام، ويشعّ بعضها على بعض، أدناها إلى أدناها. فاجعل ذلك لأهلك منه نصيباً.

ولا يسقي الإنسان وهو فارغ، اشرب منك، ذلك عليك، إنّ الله إذا ذلك عليك فقد ذلك على خير كثير، إنه منطوٍ بالسرّ فيك، ثم اسقي من حولك.

3- ثم اجعل بعد ذلك لنفسك همّة في ما هو أعظم. ولك مجال المنافسة من هنا إلى العرش، فنافس قدر ما استطعت، وحلّق قدر ما استطعت. **فطر مع أهل الله إن قدرت، وطر بهم إن استطعت، وطر حولهم أو سرّ في ركبهم، أو كن أنت خادمهم، أو كن أنت ساقهم.**

اجعل لنفسك مقاماً وهمّة، الهمّة تصنع الأعاجيب. خرجتُ طفلاً شاباً ملأته الذنوب، ولكن عندي همّة سيّد، فعلت دم النبي، وقلت في قلبي: إن كان اليورانيوم وهو مادة من لعاب نجم قديم أفل وكان مطبخاً أولاً في الكون بعد الانفجار الأول ليتمّ به الوجود المادي من حديد ومواد، إذا ما خُصّب أضواء العالم أو دمّه، فكيف بدم الذي صعد فوق السدرة؟ والذي جاوز مقام **"إذا تجاوزت اخترت وإذا تجاوزت احترت"** وكيف بسرّه إذا امتدّ في نسله وهو الذي قال **"إنّ الله جعل كل نسب مقطوعاً وجعل نسبي موصولاً إلى يوم القيامة"**؟ فلما أن خُصّبنا دمه قليلاً، صار هو الناطق فينا. قال سيدي أحمد بن مصطفى العلوي لما جاءه النبي في مكاشفة وقال **"افتح زاوية"**، قال **"أنا لا أستطيع الكلام"**، قال **"افتح فمك وأنا أنكلم"**.

فلما صار منا وصار فينا، هذا سر آخر وأمر آخر وما منكم أحد عنه غريب، فليس النسب فقط نسب دم، بل نسب نسبة، فإنّ المنسويين إلى نسبة الحضرة المصطفوية كلهم آخذ من بركته وسرّه. **وإنه مطلع على قلوب عشّاقه أجمعين، يعرفهم واحداً واحداً، ويطوف عليهم في الليلة واحداً واحداً، يسقي قلوبهم ويدعو لهم ويستغفر.** وهي قوة مكّنه الله منها لا ندركها بعقولنا لأنّ تسارعنا الذهني تسارع بطيء، لكن ذلك من قدرة الله التي لا تُكَيّف بكيف ولا تُنمّط بنمط. فهذا في مقام هذا.

مدارات الحياة مع النبي

وأختم بحال عن النبوة، علم قلته أول مرة في مقام سيدي ابن العربي وأريد أن أنفعمكم به. قلتُ -وكلمة قلتُ كلمة كاذبة، فلعله قال فقلت، وما كنت تدبّرت هذا من قبل ولا فكرت فيه ولكنه جنى ثمر، كما قال سيدي العزّ ابن عبد السلام عندما إلتقى بسيدي أبي الحسن الشاذلي وامتحنه أول مرة "سمعت كلاماً حديث عهد برب العالمين"، لعله من تدنيات وتدلّيات الحضرة، لأنّ الشجرة الطيبة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، فكيف بشجرة الله وقرآنه فتؤتي أكلها كل لحظة!-

قلتُ: إنّ مدارات الحياة مع النبي أو في النبي صلّى الله عليه وسلّم وعلى آله وصحبه، أن تعيش في البداية \*حول\* محمد: أن تقرأ سيرته، أن تدقق في أخباره، أن تشغل به شغفاً، أن تطّلع عليه عقلاً، أن تسعى في معرفته، حتى لا يخادعك عليه أحد، إذا جاءك أحد وقال "أنا أمثل الحضرة" تعرف إن كان يمثلها أم لا.

فإذا ما عشت حوله سنيماً، ودرست وثنيت الركبة، وسجنت نفسك بسجن اختياري في مدرسة النبي محمد تاريخاً وتأصيلاً، عشت بعد ذلك \*معه\*: فانقشع بينك وبينه حجاب، فوجدت نفسك تولد مع ولادته، ووجدت نفسك تمشي معه ومع عمّه إلى أرض الله وترى الراهب يحذّره من اليهود، ووجدت نفسك تتحدّث معه في الغار، ووجدت نفسك تراه كيف يُضمّ ولماذا ضُمّ. لأنّ موسى الكليم نودي في حضرة النار التي ليست ناراً، والخليل نودي بحضرة التأمل، أما الحبيب نودي بحضرة الحزن، فلما حضنه قال له: أنت أنت، أنت حبيب الله، وأنا أنا جبريل الذي يحبك منذ الأمد، وهو هو سبحانه الذي لا إله إلا هو، فأنت مبعوثه وأنت مرسل من لدنه.

فإذا ما عشت معه مضيت معه إلى الطائف فأدميت، وأتيت به بقطف العنب ورأيت دمعه، وأنّ "عافيتك هي خير لي"، ورأيت ملك الجبال ينزل "لعله يخرج من ظهرا نبيهم مؤمن". ورأيت في الغار كيف يحميه الجبّار بالرقّة والدقّة، رقة ريش الحمامة وعينها وبيضها ودقّة بيت العنكبوت. لأنّ الجبّار علم أنّ سرّه في الرقة والدقّة، وأنّ الأجلّاف الذين لو نظر أحدهم إلى أخصم قدمه لرآه، كانوا خارج الديانة، ما زالوا أجلافاً يطوفون حوله في مقامه يمنعون الناس من الدعاء عنده، وبينهم وبينه خيط عنكبوت، لا يدركونه وهم بجواره، لعنة الله عليهم وخلّص الله أرض جدّنا منهم. ثم مضيت معه إلى "أما حمزة فلا بواكي له"، إلى أن تصعد في معراج النور.

فلما أن يسعى ذلك النور فيك، عشت \*به\*: صار نفسك ونفسك، تكلم فيك بسرّه، وتجلّى منك بحضرته، فأفاض عليك من غدقه ومن فيوضات فيضه وفضله، فهو المتفضّل بإذن ربه، وهو المغدق بسرّ مولاّه، وهو المفتاح الذي لا يدخل بسواه.

### رسول الله المفتاح الذي لا يدخل بسواه

وبعض هؤلاء التكفيريين يقولون "إذا سألت فاسأل الله وإذا ناديت فناد الله" ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾، إذا كنت رجلاً فقل "يا الله" يوم القيامة يوم يجأر الجائرون إلى محمد. لا يدخل أحد لا ملك ولا نبي ولا ولي إلى حضرة الجبّار القيوم إلا بالمختار محمد وبأهل الكساء، شاء ذلك من شاء وأبي من أبي، ألا رغم أنف من أبي ثم رغم أنف من أبي.

رسول الله الذي توسّل به آدم ثم تلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه قيل هي "اللهم بمحمد وبآله"، الذي كتب الله اسمه جوار اسمه في العرش وفي البيت المعمور وفي أبواب الجنة، بالنور المنور من سرّ الله بنور الجلال والجمال والكمال "لا إله إلا الله محمد رسول الله"

الذي كان في سرّ الحروف "أحد": ألف استواء وحاء احتواء ودال ديمومة، عليها فتوحات وضمّ، ضمّ كل شيء في الأبد والأزل، ثم جاء بميم ماء الحياة والموت فيه بميم ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ ﴿مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾، فكانت "أحمد"، بين ألف الإستواء وحاء الاحتواء ودال الديمومة.

ثم لما انطوى في سرّ أبيه وسرّ أمه المباركة القديسة السيدة الزهراء آمنة التي قالت "أنا من نور أنار الكونين والثقلين"، سجدت ألفه في ميم "محمد"، ثم جاءت الحاء تحمل المعجزات العليا إلى العالم الأدنى، ثم جاءت ميم عليها شدة "مكة والمدينة"، والشدة بشدة وبعد الشدة فتح ميم، ثم جاءت الدال تحمل الأدنى إلى أعلى، من الجاهلية إلى الإسلام، من الظلمات إلى النور، وعليها سكون أو عليها ضمّ: محمّد رسول الله.

فبشر عيسى به أحمداء، وبشر الله به محمداً، وهو في روحه الآن أحمدي وفي قبره محمدي.

## دعاء الختام

غمرنا الله وإياكم بسرّ أحمد وبنور محمد، وزادكم الله ذخرًا، وجعلكم وجعل سيدي أبو صالح من جند  
الراية مُحَقِّقِي الغاية مُظْهِرِي الآية، وجعلكم من أجناد الإمام المهدي، أو جعل أولادكم أو أحفادكم،  
وأشهدنا وإياكم صلاة في بيت المقدس بإذنه تعالى، إذ يخزي الكافرين وإذ يخسف الأرض بالمتجبرين

وانتقم الله لما أصابكم، وعذب أعداءكم، في دنيا وفي آخرة، أبدأً آبدًا، وجعل الدنيا لهم **قبرًا**، ولم يُفْرغ  
عليهم **صبرًا**، وأخذهم أخذًا **وبيلًا**، ولم يذر منهم كثيرًا ولا **قليلاً**، مع من تأمر معهم، ومع من خان النبوة،  
ومع من خان العهد

وجعلنا الله وإياكم من أصحاب سيدي عبد القادر الجيلاني صاحب السرّ والمدد، وسيدي أحمد الرفاعي  
صاحب السرّ والمدد، وأشياخنا أهل الله أجمعين، وجعلنا الله وإياكم من أصحاب مدد أبي عبد الله  
الحسين وآل بيته وسيدنا علي، وجعلنا الله وإياكم من أصحاب حضرات المصطفى صلى الله عليه وسلّم  
الأطهار الأنوار

وجعل الله مدينتكم وأرضكم وبلادكم، بدعاء مسافر لا **يُرَدّ**، وبدعاء شريف لا **يُصَدّ**، من أهل **المدد**، حفظًا  
لأهل **العراق**، من كل دم **يُراق**، بسرّ صاحب **البراق**، بسرّ من أدنت له الدنيا **بالفراق**، بسرّ من رقى مراقي  
أعظم **راق**، بسرّ الذي هو سرّ النور من عند الله، بسرّ الذي هو سرّ الحضرة عند الله، وجعل الله هذا  
الدعاء **مستجابًا**، وفتح له من الدعاء والإستجابة **بابًا**، وجعل دوننا ودونه **حجابًا**، فأجاب من خلف  
الحجاب ورضي بنا واستجاب

اللهم اغفر ذنوبنا، وأصلح قلوبنا، وارض عنا يا محبوبنا، ونولنا مطلوبنا، وحقق مرغوبنا، واجعلنا من  
أجناد الخير، من أهل المعنى الذين ذاقوه فعرفوه، الذين أخذهم الشوق ومسّهم الذوق فارتقوا إلى فوق  
وإلى فوق ما فوق، اللهم وحققنا بسرّ النبوة

اللهم واحفظ بهذا الدعاء أشياخنا وأحبابنا والذين طلبوا منا الدعاء، والذين نحبهم فيك والذين أحبونا  
فيك، أزواجنا وذرياتنا، آبائنا وأمهاتنا، اللهم واجعلنا ممن تحبهم، اللهم واجعلنا ممن لا تحاسبهم يوم  
القيامة ولا تعاتبهم، فإنّ العتاب مشقّة على المحب

اللهم جتتك بلا حساب، ورضاك بلا عتاب، وأدخلنا الجنة من خير باب، وارفع مقامنا مع النبي ومع آل والأصحاب، واجعلنا لمحمد جيراناً، ولقننا من عندك إحساناً، واجعلنا عند قبض الروح إليك شجعاناً، ننظر نظرة الأحرار إلى ملك الموت كما فعل سيدي عبد القادر حين قال "أنا لا أخاف من الموت، أنا لا أخاف من ملك الموت، أنا لا أخاف من أي مخلوق"

اجعلنا اللهم ثابتين على "لا إله إلا الله" ندخل بها قبورنا يسعى بيننا نورنا، واجعلنا اللهم مبعوثين على "لا إله إلا الله" نُبعث عليها على الفطرة وعلى الديانة، واجعلنا من الشاهدين على أقوامنا بالحق والشافعين في أهلينا بالحق

وصلّ اللهم وبارك على سيدنا محمد نبي الحق المبعوث بالحق بسرّ أسرار نور أنوار الفاتحة.

محاضرة بتاريخ: 2019-03-11





## كلمة بمناسبة الإسراء والمعراج في مجلس علماء الرباط المحمدي

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي خلق سبلاً **فجاجاً**، وأنزل من السماء ماءً **ثجاجاً**، وجعل شرعةً **ومنهاجاً**، وأكرمنا بسيد جعله لكل فضيلة **تاجاً**، ولكل علة شفاءً **وعلاجاً**، وجعل له مسرىً إليه **ومعراجاً**، وصلى الله كما صلى الله على كُنه ما عرف الله، وكما صلت ملائكة الله على ما عرفت ملائكة الله، وكما صلى العارفون بالله في سر وصلهم بالله، على المجتبي المحبوب المرغوب المطلوب سيدنا رسول الله، وعلى آل بيته لأمر أراده ربه **وارتضاه**، ودعا إليه رسول الله ونصّ عليه ونطق به **فاه**، ونضيف إلى الصلاة أمه **وأباه**، وأصوله وفروعه بما فيه ما يسرّ **عيناه**، وإنا بالله إلى الله في الله على الله، نبتغي رضوان الله من باب رسول الله.

اللهم صلّ على حبيبنا وسيدنا ومولانا محمد الذي أعطيته **سؤدداً**، وخلقته **سيداً**، وابتعثته ليحمد **ويُحمداً**، هذا المحمود في الأبدَيْن والأزليْن **والثقلَيْن**، جد الحسن **والحسين**، وأجمل منه لم تر قط **عين**، طه السمح الجميل **الزين**، الذي لم يخلق الله منه **اثنين**، وآتاه زهراء لم يؤتها لعبد قبله ولا بعده، فلم يكن في كتاب النبوة مثلها ولم يكن في لوح الأبوة له مثل، الجميل الجليل، سيدنا محمد ابن أعظم أم وأعظم أب لولا أنه الأعظم.

وسيدنا محمد آتاه الله سيفاً من عنده، صقله في عالم الأرواح ومثّنه بسرّه في عالم الأشباح، فجعله له **جناحاً**، وجعله في كل ظلمة أحاطت به **صباحاً**، وأيّده وآتاه الراية **نُججاً وفلاحاً**، فنأدى **"الأعطين الراية** **غداً رجالاً يحبهم الله ورسوله ويحب الله ورسوله، ليس بفرار يفتح الله على يديه"**. ورفعت اليد العظمى

اليَدَ التي كانت عظمى بتلك اليد، بعد أن جعله على كتفيه فأصعده فأمدّه فأسعده، يحظّم الأصنام فوق الكعبة ويحظّم قلوب المنافقين، فرفع يده وقال: "الله مولاي وأنا مولى كل مؤمن ومؤمنة، ألا من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وإل من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله". ونُشهد الله أنا نواليه، وننصر من نصره ونؤيده.

وكان في سجود سيدنا محمد لربه نور وألق لا يمكن لملك أن يكون بينه وبينه، كان نطاق الأنوار محرّماً على مجال طيران الملائكة، وكان فيه باب بين الله وحبّبه لو عبرت به الكواكب لتناثرت، أليس الذي قال جبريل "لو تجاوزت اخترقت ولو تجاوزت اخترقت"؟ فما كان من مخلوق أن يكون بين سجدة أعظم الساجدين إلى رب العالمين إلا اثنين في مقام مخصوص، طفلان قد تسابقا وتسامقا مجدداً وسؤدداً، يدخلان عليه المسجد فيعتليان ظهره الشريف، ليكونا بين نورين: نور تنزل من رب السماوات على سيد الكائنات، ونور تصاعد من سيد الكائنات إلى رب السماوات، نور تذهل له الملائكة، نور تحار به المخلوقات. صعد الحسنان ليبين الله على مقام فرداني لم يؤتاه أحد غيرهما، ولم ينله سواهما. فلما أن كانت المنية اقتربت منه، جاء بيت الزهراء فقال لها ولعلي وقد أتيا طفلين يبكيان إليه "دعاني أضمهما ويضماني، وأتزود منهما ويتزودان مني".

أهل الكساء والعباء، أنوار المباهلة، أسرار النبوة والكوكب الزيني، وأنوار خديجة، وأسرار آمنة، فإذا كلمت الملائكة مريم لعظيم قدرها بسر شرفها بابنها، فإن آمنة بذلك أولى، لأنّ مقام الوالدة من مولودها، وبما أنّ رسول الله خير فأمه خير وأبوه خير، وهو القائل "أبي خير من آبائكم وأمي خير من أمهاتكم".

وبعد، لقد شرف الله هذه الأرض وهذه البقعة المباركة التي هي مجمع الأقطاب وركن للصالحين وزاوية انزوت فيها الأنوار والأسرار، فعرفت الشياطين بأمرها فأتت بحربها بإنسها وجنّها، فحاربت فحوربت فغلبت بأمر الله. وقد أقام الله نصاب هذا الأمر بمن أعدّه له، فأجلسه موضعه، فكان من سر القادر الذي تجلى من قبل على عبد القادر أن يتجلى على حفيد عبد القادر الذي سمّاه من أمره عبد القادر، وكان من سر رب كل صالح الذي تجلى على أبي صالح أن يتجلى على وارثه أبي صالح، ثم جمع من أرض الأزهر الشريف بلاد المرسي والدسوقي والبدوي والقناوي والشاذلي من أرادته، وأتى من أرض رسلان وابن عربي بمن أرادته، وأتى من أرض الزيتونة بمن أرادته، وزاد الفضل فزاده، فحقق مراده، فأتى بمن قدّمت 14 مليون شهيد بلاده فأعزّ الله بلاده، من رتل القرآن فأجاده، ومن عذب لنا إنشاده فمتمّن إنشاده.

ونحن في ذكرى إسراء ومعراج، كان رسول الله حزيناً في فراشه، وقد فقد باب المطالب أبا طالب شهيداً في عشقه، أكل لأجله العشب وهو سيد البطحاء، وفقد امرأة عظيمة كريمة رحيمة جميلة أصيلة لم تكن يوماً بخيلة، وأتت إليه بكلها، بسرها بنورها بحبها بطيبة قلبها بمرضاة ربها لتكون إلى جانبه، فأحسن الله منها النتيجة، وأورثها الجنة البهيجة، وسماها في لوح الإسعاد خديجة، أم **الزهراء**، الصابرة على **البلاء**، سيدة النساء وأم سيدة **النساء**، جعلها الله لحبيبه تواضع الأرض وكنف **السماء**، جعلها له **الكساء**، وأم **الأبناء**. هذه الجميلة الطيبة العظيمة الكريمة، فارقتة وفي عينها دمة، وفارقه عمه مؤمناً موحداً كما كان أبوه وآبؤه، وما كان عابد صنم ولا ترك سبيل الله مرة، هذا الذي كان يُنميه على لحمه ويعلم أنه النبي **"وأبيض يستسقى الغمام بوجهه"** **"ولقد علمتُ بأنّ دين محمد \* هو خير أديان البرية دينا"**.

قد آن يا أمة النبي أن تعلمي عن أبي طالب، مظلوم الأمة كما ظلم ولده، هذا الإمام العظيم، هذا السيد الكريم، ترك النبي الكريم، فبقي منكسر الفؤاد. إنّ السماء التي رآته متألماً تظلمت إلى ربها، وإنّ الأرض التي سجد عليها باكياً اشتكت إلى خالقها، وإنّ ملائكة العرش المستغفرين طلبوا من ربهم عوناً، وإنّ كل شيء يعرف الله ويعرف حبيب الله انكسر لحزنه في عام الحزن، فكان من جلال العظيم من فوق العرش ومن فوق الستار والأفق الأعلى وسدرة المنتهى والبيت المعمور والقبة الخضراء وجبل قاف، من فوق العوالم والجنة وما خلق الله، أن يرسل بطاقة فيها دعوة أنّ المحبوب الأعظم يدعو المحبوب الأعظم، ليلتقي الحبيب بحبيبه في موضع ما سبقه إليه مخلوق، ليسرى عنه حزنه، ليواسيه ويدلّه عليه ويدنيه منه إليه، يُقبل الحبيب الذي أتى إليه جبريل في الغار، يحاوره بالضمّة فالضمّة، ضَمَّ جمالاً وجلالاً وكمالاً. فلما جاءت الدعوة، انكسرت الأزمان وانطوت الأمكنة، وحُقّق الإمكان في مقام الإحسان، فصعد فوقها مسرّياً إلى ربه بسرّ هاء نُسبت إلى الله وعبودية نُسبت إليه، فأسرى بعبده المحبوب لديه، المقرب إليه، الدال عليه، على براق الأشواق وحال الاشتياق، يسمو فوق الآفاق إلى قدس **الأقداس**، ليجد سادة **الناس**، ليكون لذلك الأمر **انبجاس**، ليكون هو **العلم النبراس**، يخترق له صاحب الناموس ناموسه، ويضيء له الفانوس، ويمضي إلى حضرة القدوس، يصلي بهم مرفوعاً في معراج عظيم يحير الأفكار، كل ما تقرؤون مما ظن الظانون به أنه سلّم أو غير ذلك، ليس كذلك، أمر يطوي الأمكنة، أمر يخترق الأزمنة، أمر يخترق الأكوان، ويمضي في مشهد حُرّف أيضاً ليتحول إلى زيارة لرؤية مشاهد التعذيب ومشاهد التنكيل، لأنّ الله قال **﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾**، ليريه ربه من آيات ربه الكبرى.

المستفاد سادتي كي لا أطيل، وأنا أسعى جاهداً أن لا يغلبني حال السكر والفكر، أن أقول لكم: إن نبينا عليه وعلى آله الصلاة والسلام عندما مضى إلى تلك العوالم التقى من فقدهم والتقى من افتقدهم. فأما الذين فقدهم وانتقلوا قبله، أم يحبها بكأها وهي تفارقه، وأب استشهد في عشقه لأن نوره كان عليه ثقيلًا، وجدّ كان عظيمًا وكان كريمًا أصيلاً، وآباؤه أجمعين، وخديجة قلبه وعمّه، والتقى من أراد الله له أن يلقاهاهم بين سر الأرواح إذ يضمّ الأشباح. التقى من افتقدهم، ذرية ستأتي، ورجالاً سوف يأتون، أحبابه الذين نحن منهم. فلما كان ذلك، كان بيننا ميثاقاً وعهداً أن ننصره وننصر آل بيته، وأن نرى المسرى في قلوبنا إليه من مكة أرواحنا إلى قدس قلبه، وأن يكون معراجنا في حبه تلبية لندائه في كل ما نادى، صلاة وزكاة وإيماناً وأخلاقاً وحباً. وأن يكون أعظم ذلك أن نبرّ آل بيته وأن نذكرهم وأن نحبهم، وأن نوالي من أمر أن نواله، وأن ننشر البشرى بين الناس أنّ هذه الأمة الحزينة المتألّمة سيأتيها الداعي بتلك البطاقة، وسيُسرّي ربها بها بمن أراده لها، حتى يكون لها معراج في آفاق الأمم بما يذهلها علماً ورقياً، حتى تُتوّج بتاج رباني محمدي مهدوي "يملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً".

وإنا على ذلك ماضون وبه سالكون، فأيد الله لنا كل خطوة، وأيدكم الله، وجمعنا بكم حيث نحب، وكما قال جدنا الإمام علي "من أحبني فسيجدني يوم القيامة حيث أحب، ومن كرهني فسيجدني يوم القيامة حيث يكره". فنسأل الله لنا ولكم تأييداً وسنداً وعوناً، وأن نمضي في هذا الإسراء إلى سر سيدنا محمد، إلى حضن سيدنا محمد، إلى بيت سيدنا محمد، إلى أن نسكن العينين والقلب، وأن نكون في تلك النظرة الشريفة، إلى معراج الأرواح، إلى سيد الأرواح، أن يكون معراجنا إليه سجوداً عند الله بين يديه، وأن نقول السلام عليك أيها النبي الكريم ونحن نراه وهو يرانا، والحمد لله رب العالمين.

كلمة بتاريخ: 2023-02-18





## خطبة الجمعة بكلية الدعوة الإسلامية في لبنان

الجانب المنشور من الخطبة

يقول الحق جل وعلا ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾، ويقول الحق جل وعلا ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، ويقول الحق جل وعلا ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.. أي رابط بين هذه الآيات؟ ما الذي يربط بين شهر رمضان، ومحبة الله ببرهان اتباع النبي، ثم الصلاة على الحبيب المصطفى؟ هل يوجد رابط من حيث العقيدة والشريعة والفقه، أو التصوف والتزكية والعرفان، أو من حيث المعنى أو المبني، من حيث النسيج القرآني إذ أن القرآن يكمل بعضه بعضاً ويتآلف مع بعض في مقاصده؟

الباب الأول باب رمضان الذي أقبل ببركاته وخيره ونوره، شهر القربى وشهر النور وشهر المحبة وشهر الوصل بين العبد وربّه، صائماً لله نهاره قائماً لله ليلة، متعبداً يغشاه من عند الله نور، ﴿إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾، يكون فيه سمّت عباد الرحمن الذين ﴿يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ و﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ و﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ والذين ﴿هُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾، والذين وُسموا بالرحمانية حتى ناداهم المنادي على صوت الحبيب الهادي "الراحمون يرحمهم الرحمن"، والذين يناديهم الحق جل وعلا "أين أهل مودتي؟ أين أهل مودتي؟" أهل المودّة الربانية الذين بلغوا مجالس الأُنس وشربوا من خمور القدس.

هل لرمضان باب في ذلك؟ أجل، هذا الشهر الكريم هو شهر القرآن. فما القرآن؟ القرآن هذا الكلام الرباني. لمن أتى؟ قال علامة حلب سيدي عبد الله سراج الدين الحسيني المحدث "وكذلك حُقَّ على أعظم روح رباني أن ينزل بأعظم روح ملائكي على أعظم روح إنساني".

1. فأما الروح الرباني فهو الروح القرآني ﴿جَعَلْنَاهُ نُورًا﴾، وهو الذي جعله الله حياةً يُحيي به الله من أحب.

2. وأما الروح الملائكي فسيدينا جبرائيل عليه السلام.

3. وأما الروح المحمدي الروح الإنساني الأعظم هو الروح الأحمدي المحمدي.

إذن، قرآن من عند رب السماوات والأرض تهتّر له القلوب، لو أنزل على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً، بملك كريم روح أمين ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ و ﴿نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾، على خير خلق الله، أتقاهم لربهم، أقربهم إليه، أسمعهم سمعاً وأسرعهم دمعاً وخيرهم آلاً وصحباً وجمعاً، الذي كان دالاً يدلّ على ربه، كل ما فيه يتكلم، من ذرات الجسد المطهر، إلى أنوار الروح الكبرى، إلى ذلك السرّ النفسي النفيس، إلى ذلك القلب المطهر الذي شرحه الله بالإيمان، إلى ذلك الصدر الذي امتلأ حباً ونوراً، إلى تلك القربي، إلى ما أبعد من سدرة المنتهى، إلى ذلك الرحيم بأمته، إلى ذلك المتواضع للناس الذي جلس بجانبه أعرايي يرتعد فقال "لا ترتعش أنا لست بملك ولا جبار، أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد في شعاب مكة"، إلى ذلك الذي إذا مات يهودي بكى وقال "فرط مني إلى النار"، إلى ذلك الذي دميت قدماه في الطائف وضرب بالحجارة فلما جاء ملك الجبال وقال "أؤمر تُطع"، قال: "عسى أن يكون بين ظهرائهم مؤمن"، إلى ذلك الذي مشى في الهاجرة، إلى ذلك الذي كان في الغار ثاني اثنين وحماه الرب العظيم بالرقّة: رقة خيط العنكبوت (أهون البيوت) ورقّة الحمامة وبيضها، لأنّ الله يعلم أنّ سرّه في الرقة والدقة والمحبة لا في الجلافة والغلظة ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾.

الذي كان إذا ناجى ربه خشعت القلوب وحقت الملائكة وسبّحت الأرض واهتزت السماء، الذي كان يمشي تحت ظلّ الغيمة وهو أعظم من الغيمة، تشرق الشمس على وجهه وهو أعظم منها وأكرم، الذي كرمه ربه واختاره ربه وأحبّه فكان حباً وسراً ونوراً. وإن كنا نحن نوّمن أنّ الله نفخ من روحه في آدم، ولكن سرّ تلك الروح كان في محمد، كان في ذلك الحبيب سيدينا ومولانا، توسّل به آدم لأنّ آدم نسي ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَسِيٍّ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ ثم ﴿فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾، سرّ الكلمة ذلك الحبيب وجاهه ووسيلته. والذي بكى عمّه حمزة "أما حمزة فلا بواكي له"، والذي أوصى معاذ وقال

"لعلك لا تلقاني بعد اليوم" فبكي فقال "لا تبكي يا معاذ إنَّ للدموع أواناً"، الذي كان إذا دعا ربه فُتحت بوابات السماء، الذي ناداه ربه "عبيدي"، الذي أحبه مولاه.

هذا الفم الطاهر وهذا القلب الطاهر نزل عليه هذا الكتاب الطاهر، أتدركون عظمة القرآن العظيم؟ صار البعض اليوم إذا قرأ القرآن قرأه بقلب من خشب، بعين لا تدمع! إنَّ عيناً لم تدمع يوماً في حب الله ولا في الشوق إلى رسول الله ولا بنور القرآن العظيم الذي أنزل الله، إنَّ العين التي لم تبكي للنبي شوقاً إليه ولا فرحاً بمولده ولا ابتهاجاً بمبعثه ولا حزنًا على حزنه إذ يلاقي أصحابه يُقتلون ويقول "صبراً آل ياسر"، ولا دمعاً على انتقاله إلى ربه "موتي خير لكم وحياتي خير لكم"، ولا شوقاً للقياه في البرازخ أو في المنام، ولا حباً لأصحابه وآل بيته، هي عين لا تستحق النظر ولا تستحق الوجود إنَّ عيناً لم تتصل بالقلب عين مفصولة. وإنَّ بني إسرائيل نجّاهم الله من آل فرعون يسومونهم سوء العذاب يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، ورفع فوقهم الجبل، وشقّ البحر قبل ذلك نصفين وأغرق فرعون وهم ينظرون، وآتاهم المن والسلوى، ثم طلبوا القثاء والبصل.. "ذلك أن قلباً بربه ما اتصل، وعقلاً إلى ربه ما وصل، مصيره القثاء والبصل". إذا لم تبكي عينك حباً لله جل وعلا وشوقاً إلى نبيه، فابك عينك وابك قلبك.

وإنَّ البوابة العظمى التي لديك رمضان، لأنَّ رمضان يسجن النفس بسجن الجوع، لأنَّ الصوم وقاية وحماية، ولأنَّ رمضان يقرب الأبواب العصىة عليك أنت الضعيف المذنب الخائف أو أنت الغافل المتحجر القلب. رمضان يقربك من مراتب العارفين، يقرب منك أبواب الصالحين، يفتح إليك مما فتح الله للأنبياء والمرسلين، يجعلك في نجوى مباشرة مع الحبيب الأمين ومع ربه رب العالمين.

رمضان إذاً هو شهر القرآن وشهر العبادة وشهر المحبة، فكيف تصل وتتصل؟ بابان.

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، كيف نتبع النبي؟ يتكلم البعض عن اتباع السنة بالشكل ضمن شكل تصوّروه، فإن كانت السنة في الشكل فلو أنكم مضيتم إلى المدينة المنورة زمن الحبيب ونظرتهم في الشكل لرأيتم بلال الحبشي رضي الله عنه على شاكلة الأحباش، وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي، والفقير، والذي يلبس الدمقس والحريز.. لرأيتم أشكالاً مختلفة، لكن القلوب واحدة. ليس الإسلام أن يكون الشكل واحداً، بل أن تكون الشاكلة واحدة، أن يكون القلب كالقلب، متأخياً متأنساً متجانساً متآلفاً، أن تكون الأرواح المجنّدة قد تآلفت لأنه من تعارف منها ائتلف ومن تنافر منها اختلف.

فهذا الشهر هو شهر الاتّباع للنبي في أمور قلّ من تكلم عنها، يكثر الكلام عن الشاكلة. فهل جرّبوا اتّباع النبي في رحمته بالصغير والرضيع والجار؟ هل جرّبوا نظرته الرحمانية للأشياء؟ إنه الرحمة بالشجر والحجر، يحنّ إليه الجذع، والكائنات تعرفه، إذ أنّ الكائنات التي عرفت ربها وسبّحت ﴿وَأَنَّ مَنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، الذي عرّف العصفور أنّ الثعبان عدوه وأنّ الغصن صديقه، والذي عرّف الهدهد الكلام لسيدنا سليمان وعرّف النملة ذلك، عرّفهم بمقام خير الخلق عنده والأقرب إليه والأدل عليه. كل شيء يحب هذا الحبيب، وكل خلق الله يحبونه، والملائكة يخدمونه، والأنبياء يقدمونه، والصالحون يعرفونه، وأنتم تتبعونه.

ولكن فانظروا في سرّ باطن في الآية: إن كان الاتّباع، والاتّباع يكون لا على شرط القرب الجسمي أو الزمني أو المكاني، تتبع النبي ولم تره، تتبعه وبينك وبينه مسافة من زمن ومكان، تتبعه قد لا تكون مركزاً على اتّباعه، تحاول وتسعى وتصارع.. ليس اتّباعك كاتّباع الإمام علي ولا كاتّباع سيدنا صهيب وسيدنا مصعب، ولكنك تسعى. ليس اتّباعك كاتّباع الشيخ الجيلاني والدسوقي، ولا كاتّباع الإمام مالك وأبي حنيفة، ولكنك تتبع. فإن اتّبع بهذا ولو ببعض اتّباع راغباً مصرّاً، تغلبك نفسك وتغلبها، وقد قال لك ربك "من جفاني كنت له الطيب ومن أتاني كنت له الحبيب" يغفر لك، أوجب ذلك لك المحبة الربانية. فماذا لو كان سياق الآية "أحبوني"؟ والحب يلغي المسافة والزمان والمكان. ماذا لو كان الشرط المحبة في ذاتها؟ إنّ لله: فعلاً مطلقاً، وفعلاً وردّ فعل، ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾، ﴿اللَّهُ يُرِيّ مَنْ يَشَاءُ﴾ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾.

فإذن، ضمن هذه التفاعلية مع ربك تجد أنك إن دخلت في المحبة بلغت مراتباً تتجاوز المتّبعين، حتى تصل إلى عمل عظيم لكم فيه مطمع وليس لكم فيما أعلى منه مطمع أبداً، ومن طمع في ذلك فقد هلك. فأما التوظيف الرباني الأول للبشرية لمن اختارهم فهم الأنبياء والمرسلون، من يقول اليوم أنه نبي مرسل أهلك نفسه، لا حظ لك في ذلك، اختار الله الأنبياء وأرسل المرسلين وختمهم بسيد المرسلين، لذلك البعض خرج يدّعي النبوة مسكين أهلك نفسه. وبعد ذلك الصحبة، فلن تستطيع أن تكون صحابياً، لكن النبي قال "اشتقت إلى أحبائي" أعطاك مفتاحاً، والولاية اجتبائية أيضاً. ولكن حديثاً يضاف إلى "اشتقت إلى أحبائي"، قالوا ألسنا أحبابك؟ قال "بل أنتم أصحابي، أحبائي يأتون يؤمنون بي ولم يروني" وفي رواية "أجر واحد منهم بأجر سبعين منكم" لما فيه من فتنة..

حديث أرجو منكم أن تقرأوه وتبحثوا فيه، فيه عمل عظيم لكم ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾، عمل لا يتعلق بكثرة السجود، ولا بقتل الناس ادعاء لنشر التوحيد، عمل لطيف صعب، فيه جانب اجتماعي وحضاري ونفسي وثقافي، حديث يسمّى حديث منابر النور وتجذونه في رواية للبيهقي، قال الحبيب صلى الله عليه وسلّم لأصحابه: "ألا أنبئكم بأقوام ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم يوم القيامة الأنبياء والشهداء، على منابر من نور يعرفون" قالوا ومن هم يا رسول الله؟ قال: "الذين يحبون عباد الله إلى الله ويحبون الله إلى عباده"، قال فقلت: هذا يحب عباد الله إلى الله، فكيف يحبون الله إلى عباده؟ قال "يأمرونهم بما يحب الله وينهونهم عما يكره، فإن أطاعوهم أحبهم الله".

عملك كمسلم ضمن هذا الكتاب الوظيفي الرباني أعظم أعمالك وفيه مراتب تجوز الشهادة، لأنّ الشهادة لحظة موت في سبيل الله، والأعظم من الموت في سبيل الله العيش في سبيل الله (أن تكون حياتك كلها لربك)، هي أن تقوم بوظيفة بسيطة في ظاهرها تواصلية عميقة في بطنها، أن تحب الناس إلى ربهم. كان الحبيب قرآناً يمشي ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، أن تكون قرآناً محمدياً ربانياً تحب الناس، إذا رأوا سماحتك ومحبتك أحبوا الله. الإسلام في أندونيسيا انتشر بالتجارة وبالأمانة لا بحدّ السيف، بلغ أقاصي الأرض أغلبه بالمحبة والطاعة، وفي الهند على يد الشيخ معين الدين الجشتي وغيرهم. إذن تحب الناس إلى ربهم، بكلمة طيبة ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾، بالرحمة بالذوقانية بالأخلاق العالية، بتميزك الأدبي، بفعلك الاجتماعي، بأثرك في كل شيء، بإنفاقك على جارك.. هذا يُغَيِّب في خطاب كثير اليوم، لكن هذا هو الجوهر، لا يعني أن لا تكون مجالداً مجاهداً "إذا القوم قالوا من فتى خلت أني \* عنيت فلم أكسل ولم أتبلد".

ثم الأعظم من ذلك أعطاك الله سنداً، هو لا يحتاج إليك، ولكن قال الحبيب "يحبون الله إلى عباده ويحبون عباد الله إلى الله"، تحب الله إلى عباده أمر عجيب! هنالك فعل ورد فعل، هو أعطاك هذا الباب، أنك تأمرهم بما أحب ربهم، تذكّرهم بالله ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾، وهذا العمل يبدأ من أسرتك.

ولكن كيف تسقي وأنت لا ماء عندك؟ كيف تُبكي الأعين وعينك لم تبك بينك وبين ربك؟ كيف تنشر الحب وقد امتلأت نفسك حقداً؟ كيف تتجلى عليك الأنوار ومرآة ذاتك مهشمة وملطخة؟ هذا عمل هو التزكية ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾، كل الفترة المكية كانت تزكية. أما الشكل فيُنزَع في ثانية، ولكن سيدنا بلال وهو تحت الصخرة يقول أحد أحد لم يُنزع منه الإيمان، لأنه حُفر بنقش محمدي على جسد صحابي بسرّ رباني وتوقيع قرآني بمدد ملائكي روحاني، نُقش نقشاً وحُفر حفراً. ما أحوج الأمة اليوم

إلى بلال، إلى مصعب الذي عندما قيل له في أحد "إنّ رسول الله استشهد" قال "فلا خير في الحياة من بعده"، ولما وُجد قال الحبيب وهو يبكيه ولم يجد ما يكفنه به إلا بعض الأعشاب "كنت أترف شباب مكة".

هذا السرّ عليكم أن تعرفوه وتذوقوه، هنالك من يروّج لأفكار خاطئة يجعل إسلامنا العظيم الحضاري مجرد صورة مقبلة للقتل والدم والذبح، بحجة تحقيق كلمة الله. الله أغنى وأعلى وأعظم، ولو شاء لأخذ من أراد بعقوبة من عنده مثلما فعل بالأقوام السابقة، لا يعجز الله شيئاً، لكن ليس هذا دورك، دورك أن تحبّب، أما إذا جاء عدوك:

"قف للوغي فالموت ليس يحابي \*\* وانظر لنزف دماننا المنساب

واثبت إذا الريح العتية أقبلت \*\* وأزار بوجه الظلم والغصّاب

نحن الذين إذا اكفهرت أقبلوا \*\* في الحرب تعرفهم ليوث الغاب"

كما قلت في قصيدة

إذن، باب المحبة هو باب عظيم لكم بالاتباع والحب في رمضان أكثر.

أما الصلاة على الحبيب المصطفى وكما قلت له مناجياً:

"أنت الضياء فلا شمس ولا قمر \*\* ولنور وجهك طاب العشق والنظر

حتى الملائك أدناهم وأقربهم \*\* كنت الإمام وأنت المرسل البشر

مذ أن صعدت إلى الرحمن في كنف \*\* يشتاق خطوك حتى الرمل والحجر"

"يا رب صلّ على النبي محمد \*\* خير الورى والنور في الأكوان

الأحمد المحمود مصباح الهدى \*\* تاج التقى والخير والعرفان

هو أول الآيات في إفراده \*\* بدء التحقّق والدليل الثاني"

وعنيت بذلك أنّ الله أفرد الحبيب المصطفى بالسرّ الأحمدى، من "أحد" تدخل ميم الحياة وماء الحياة ميماً "أحمد" مستوية على همزتها على خطها، يعني "أول الآيات في إفراده" مقام عظيم لم يبلغه أحد من الخلق.

"بدء التحقق": بدء تحقق الكرامات النبوية والروحانية بالشهادة والميثاق النبوي، تجدونه في القرآن، أخذ من كل الأنبياء ميثاقاً غليظاً أن يتبعوا النبي الحبيب، ثم تحقق الساعة قال "جئت والساعة كهاتين" إلى غير ذلك من معاني.

أما كلمة "الدليل الثاني": فإنّ أول دليل على الله هو الله، فقد دل بذاته على ذاته ودل بصفاته على حقيقة صفاته، وأما أدلّ دليل ثاني على الله: الحبيب المصطفى، فقد دل الله به عليه وهدى منه إليه.

إذن الصلاة على الحبيب فيها ضمانات عجيبة، ولن أطيل عليكم، دونها في بعض الكتب من بينها "الصلاة على أشرف المخلوقات". الصلاة على الحبيب هي عبادة مقبولة مضمونة الوصول تماماً، وما عداها من عبادة تُمتحن وتُعرض ويُنظر في حال صاحبها "ليس للمرء من صلاته إلا ما وعى" مثلاً، يُنظر في حال قلبك تُصلي بالجسم وقلبك ليس معك وعقلك يفكر في سيارتك ومنزلك والشيطان يرقص فوق رأسك، ولكن تُعرض والله دائماً يأخذ الأفضل ويعفو عن كثير. أما الصلاة على الحبيب واصلة، فيها معانٍ ومبانٍ، نبين لكم جزءاً منها، وما نقوله مما فتح الله به علينا، وإنما يفتح الله على القلب الحزين والقلب الذي يتألم لحال الأمة، فالله يعطي من يشاء كما يشاء على ما يشاء دون أن يدخل في أمره أحد، هو هكذا، نفحاته وأنواره دائماً، إن كانت الكلمة الطيبة توتي أكلها كل حين فما بالك بالقرآن العظيم أطيب الكلمة؟

الصلاة الأولى: الصلاة الربانية الخالصة، صلى الله بذاته على الأقرب إلى ذاته بصلاة لا نعلم كيفها ولكن نعلم حقيقتها. الصلاة الكاملة الواصلة الربانية التامة ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ بمعانٍ أخرى.

والصلاة الثانية: الصلاة الملائكية تؤخذ هكذا عرضاً، ليس جبرائيل كإسرافيل، ولا مالك كرضوان، من حيث المقامية والنوعية وغيرها، ليس الملائكة الحافظة كالملائكة المعقبات كالملائكة الرمل كالملائكة البحر.. كل الملائكة كلُّ صلى على إمامه على حسب مقامه، الكل صلى على الحبيب.

ثم ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِّنَ الْجِنَّ يَشْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾، المؤمنون ممن خلق الله وممن يغيب عن أعيننا يصلون على النبي، والأرواح في برازخها تصلي على الحبيب. ثم الكائنات، الصلاة الكائناتية الملكوتية كما ذكرت بداية، الشجر والحجر وما غير البشر، كل شيء يصلي على الحبيب بما أن كل مسبح مصلي، لأن التسبيح لا يتمّ تاممه ولا الوجدانية تتمّ تاممها بغير الإقرار بالمحمدية، البعض يقول لك "الله فقط"، لا، الله يريد أن يقال "الله محمد" لأنّ الله اختار، لأنّ سيدنا محمد باب الله.. فهذه صلاة كائناتية.

أما صلاتنا نحن البشر فننقسم من صلاة الحبيب على ذاته، كما قلت في تلك الصلاة من ذلك الكتاب "كما صلى على نفسه، وكما صلى عليه الأقرب، أصحابه، العارفون بالله.. وتنقسم أيضاً إلى مقامين:

1. ثمة صلاة لفظية يقولها اللسان ولا يذوقها القلب ولا تلمسها الروح، تصلي لفظياً، مثل كلمة "إن شاء الله" الذي يعدك بوعد ولن يأتي إليك يقول لك "إن شاء الله" أما إذا سيأتي سيقول لك "آتي"، هكذا عبث الشيطان باللفظ. فتقولها بلسانك ولا يذوقها قلبك، سميتها الصلاة اللفظية.
2. أما الصلاة الحق فهي الصلاة القولية ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾، الصلاة التي تقولها روحك بتأمين الملائكة، ويقولها قلبك بشرح الله له ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ هداك سبيله ﴿يَهْدِي قَلْبَهُ﴾ ﴿أَلَا بَدْرُ اللَّهِ تَظْمِينُ الْقُلُوبِ﴾، يقولها القلب مطمئن والنفس الراضية المرضية المطمئنة والتي يعي عقلك مهابتها وجلالها وسرّ جمالها وحقيقة حالها وعظمة كمالها ومسرى جلالها وعظيم نوالها وحقيقة وصالها، تعلم في ذاتك بعقلك وقلبك وروحك أنك إذا صليت على النبي ثمة سرّ الإمام علي زين العابدين إذا صلى اصفرّ وجهه، يقول: أتعلمون بين يدي من أقف؟

...

الخطبة بتاريخ: 2016-06-03





## خطبة الجمعة بمجمع النور الإسلامي في السودان

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي خلق السماء وبنائها، ووضع الأرض وطحائها، واستوى واحداً أحداً إلهاً، ربّ الشمس وضحاها والقمر إذا تلاها والنّهار إذا جلاها واللّيل إذا يغشاها، الذي خلق النفس فسوّاه، فألهمها فجورها وتقواها، والصلاة والسلام على إمام الأولين والآخرين، ومحبيب ربّ العالمين، سيّدنا محمّد الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللهم لك الحمد على نعمة الخلق ونعمة الرزق، ونعمة الهداية ونعمة الإيمان، لك الحمد يا رحمن على نعمة "لا إله إلا الله". أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ سيّدنا محمّداً عبده ورسوله، بلّغ الرّسالة وأدّى الأمانة وجاهد في الله حقّ جهاده، وأبقانا على المحجّة البيضاء، وأورثنا بركة وعلماً، قرآناً يتلى وسنة مطهرة، وأخلاقاً وهو الذي قال "إنما بُعثت لأتمّم مكارم الأخلاق"، ورحمةً وهو القائل "إنما أنا رحمة مهداة".

عباد الله، إنّ الله سبحانه وتعالى له في الخلق آيات وحجّم، أوّل آيات خلقه: معرفة المخلوقين لربّهم وتوحيدهم له وخضوعهم له بالعبادة سجوداً وركوعاً، فأعدّ للمؤمنين منهم نعيماً عظيماً، وأعدّ لمن أبى ما أعدّ لمن أبى.

وإنّ الله جلّ وعلا لم يترك الأمر مُبهماً، بل بسط ذلك بلسان عربيّ مبين، تفصيلاً لكلّ شيء، وتبياناً لكلّ شيء، وأرسل نبياً فصيحاً طيباً محبوباً لئلاّ يظنّ الجانِب، علّم أصحابه فهداهم، وأبقى ذلك في أمّته، فانّشر عبق الإسلام في أرض الله نوراً ورحمةً وعلماً وفهماً.

وإنَّ أهل الفهم والذوق والشوق الذين عرفوا سرَّ هذه الدَّعوة، علموا أنَّ لها مفاتيح ثلاثة، وأنَّ هذه المفاتيح على كلِّ مؤمن أن يستفتح بها حتَّى يفتح الله على قلبه وعلى بصيرته، وحتَّى يجعل الله له وبه ومنه وعليه بركةً وحفظاً وخيراً.

1- فأول مفتاح: أن يشهد أن لا إله إلا الله على علمها، كما أقرَّ بها السابقون والصالحون، وكما أقرَّ بها السلف الصالح أخذاً عن أصحاب رسول الله عن رسول الله. لا إله إلا الله بغير شريك وبغير حيث، لا يشبهه شيء ولا يناظره شيء، وما من أحد هو له كفؤ أو شريك أو نظير، عقيدة سليمة نقيّة، أن تؤمن برَبِّك.

وفي "لا إله إلا الله" نفي وإثبات، وما في ذلك إلا أن تنفي ذاتك وتثبت ربِّك، أن تخضع منكسراً، أن تسجد باكياً، أن تسبِّح ليلك ونهارك، أن توقن أنَّ كلَّ ما حولك مسبِّح وإن كانت أذنك البشريّة عاجزة عن سماع ذلك. ما من شيء إلا وسبِّح بحمد ربِّه: ملائكة ساجدة، وأرواح عابدة، وأنبياء خاضعون ساجدون، وما من شيء من نجم أو قمر أو شمس أو كوكب أو شجر أو حجر أو مدر أو طائر أو حيوان إلا ومسبِّح لربِّه خاضع له.

وقد خلق الله فيك فؤاداً فاملأه بحبِّ الله وعشقه، وجعل لك سمعاً فاسمع آيات الله، وجعل لك بصراً فانظر به إلى أسرار الله وآياته، وجعل لك قدماً فأسع بها في مرضاته، وجعل لك يداً فجد بها على مخلوقاته، وجعل لك جسماً فأقمه على مرارة الطاعة، فإنَّ مرارة الطاعة تمضي ويبقى أجرها وإنَّ حلاوة المعصية تمضي ويبقى عقابها.

2- وأمّا ثاني أبواب الله: باب محمّد رسول الله، لا يرد أحد على ربِّنا إلا من باب رسول الله. إنَّ الأنبياء إذ بايعوه أخذ ربِّهم منهم الميثاق، بايعوا إماماً لهم، عن علم يقيني أن الله فضّله وقدمه وشرفه وأودع في ذاته ومكنون ذاته وأسرار صفاته من عظيم آياته وآلاء كلماته، وجعل في قلبه نوراً تضيق عنه البحار والشموس، وجعل في ذلك الصّدر شرحاً يتّسع للمؤمنين، وجعل في ذلك الجسد طهارة ونوراً، وجعل كلَّ ما فيه خير، وجعله خيراً محضاً وخيراً مطلقاً ولم يجعل فيه شرّاً، وجعله مفتاح كلِّ خير مغلاق كلِّ شرّ، باباً للجنّة وموصداً لأبواب النار عن أحبّابه وعن الذين آمنوا به.

إنّ رسول الله مفتاح نور الله، بوابة رحمة الله، أقرب خلق الله إلى الله، أشرف مخلوقات الله، المحبوب المرغوب الموهوب المطلوب، الذي ما من أحد لم يفرح بهذا الحبيب ولم يبتهج بهذا الحبيب ولم يذب حباً لهذا الحبيب إلا وهو محروم محجوب.

إنّ مفاتيح الله سبحانه وتعالى كلّها بيد هذا الحبيب المصطفى، لأنّ الله هو الذي اصطفى، هو الذي أراد أن تكون "لا إله إلا الله محمد رسول الله" في أبواب الجنة، هو الذي أرادها وهو الذي كتبها في العرش، هو الذي لقنها لآدم، هو الذي لقنها للأنبياء، هو الذي اختاره آخراً لهم في الولادة وأولهم في المقام. فرسول الله مفتاح الرحمة.

فيا محبّ رسول الله، افرح برسول الله، إنّ الإسلام ليس نكداً، إنّ الإسلام نور وزينة نورانية ربانية مصطفوية. إنّ المسلم الحقّ الذي شهد أن لا إله إلا الله وحده وهو الرحيم الكريم، وشهد أنّ محمداً عبده ورسوله وهو بالمؤمنين رؤوف رحيم، يسعد برسول الله، يرتقي برسول الله. شفاء همّك وغمّك، ترياق لسمّ النّفس، وشفاء لوسواس الشيطان، وذهاب للهمّ والغمّ والحزن، من ذكره بأمر ربّه نور والصلاة عليه سرور. بل إنّ صلاة ربنا عليه وملائكته صلاة رحمن رحيم على نبيّ هو الرحمة المهداة، فكيف لا تكون الصلاة رحمة لنا؟ وكيف لا يكون ذلك باباً للمفتاح الثالث؟

3- إنّ ثالث مفاتيح هذا الدين وهذا السرّ: أنّ المسلم الحقّ الذي شهد أنّه لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله هو نافع للخلق، نافع للناس، ما هو بضاّر ولا هو بقاسٍ ولا هو بمتعنّت ولا عنيد، ولا جاحد ولا متعالٍ.

إنّ الذي لا يرضى أن يكون سيّدنا محمد إمامه: معاند. وإنّ الذي لا يصدّق أنّ نبيّنا مرسل من عند ربّ العزّة بآيات بيّنات في ذاته وصفاته وما نزل عليه ربّه وما أظهر على يده من معجزات: معاند. وإنّ الذي لا يجلّي النور المحمّدي رحمةً للناس، نفعاً لبلادهم ونفعاً لكلّ شيء: مقصّر في حقّ الجناب المحمّدي ومقصّر في حقّ الذات الإلهية. إذ أنّ لكلّ شيء تصريفاً وانعكاساً، نور الله الذي هو نور كلّ شيء تجلّى على النور المحمّدي، فانعكس على آل بيته وأصحابه وعلى الصالحين من أتباعهم، ويجب أن ينعكس عليك فتعكسه، إنّ المرأة التي لا تعكس الضوء مرآة مهشّمة أو مغطّاة لا يصلها الضوء أصلاً.

فكيف إذا تُجَلِّي هذا التور؟ كيف إذا تُجَلِّي هذه البركة وهذا العلم وهذا اليقين؟ أن تكون نافعا لجارك، أن تكون طيباً مع أهلك "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي"، أن تكون رحمةً تبتهج بها الكائنات إذا رأتك، أن يرى الناس فيك ما يذكّرهم بربّهم وبرسولهم.

إنّ بلاد الهند وأندونيسيا وغيرها -وقد زرتها- أدخل إليها الصالحون والطيبون الإسلام لأنّ الناس رأوا فيهم تجليات "لا إله إلا الله"، ورأوا فيهم تجليات "محمد رسول الله"، فقالوا: إذا كان هذا الخادم فكيف بالمخدوم؟ وإذا كان هذا رسول الرسول فكيف بالرسول؟ وإذا كان هؤلاء الذين هم خدم لربّ العزة فكيف برحمة ربّ العزة؟ فتركوا أصنامهم وأوثانهم، وتركوا الذين يخدعونهم ويسلبون أموالهم، وتركوا الظالمين، فرأوا أمانة التاجر، ورأوا عدل العالم، ورأوا نصح الواعظ، ورأوا شفقة الرحيم، ورأوا من يُطعم الناس، ورأوا المسبّحين الذائبين في ربّهم رهبان بالليل فرسان بالنهار، فأمنوا دون أن يُشهر سيف أو أن تُسَقّ قطرة دم. إنّ الذي ينظر في كتاب الله ويقرأ آياته سيجد أنّ للأخلاق ولنفع الناس مكانة عظيمة، إنّ الأخلاق هي التي بها تُبنى الأمم.

وإنّ الله جعل قانوناً أولاً حين أنزل جدنا آدم للدنيا، وهو لعمرى قانون أليم، تجلّت آلامه في وُلدي آدم، وبقيت وتبقى إلى أن تقوم الساعة ﴿اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾، لا تخلو الأرض من مفسدين وجنود للظلمة، لا تخلو الأرض من أفاكين وكذابين، لا تخلو أرض ولا يخلو زمن من ذلك. فهمتك أيها المؤمن في أن تكون سداً وأن تقف حائلاً، لأنّ الله في الفاتحة عندما جعل دعاء المؤمنين أن يكونوا من الذين "أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين" وضعهم في مواجهة مباشرة مع المغضوب عليهم وجعل الضالين خلف ذلك، إذ أنّ الضالين لو غلبهم المغضوب عليهم غضب عليهم، ولو اخترق المنعم عليهم المغضوب عليهم إلى الضالين هدوهم، وتلك مهمّة محمّدية ربانية "لأن يهدي الله بك عبداً من عباده خير لك من حمر النعم".

أن تكون هادياً، من خالفك في الرأي فهو أمة مناقشة، ومن خرج عن النهج فهو أمة موعظة، ومن كان على غير دينك فهو أمة هداية، بسلم وبرحمانية، ليس فيه إجحاف ولا تطرف ولا انغلاق، أن تكون نافعا للناس، أن تكون محباً للناس.

انظر في سيرة حبيبك محمد، اقرأ هذه السيرة العطرة، انظر إليه في الطائف وقد أدى وانظر إلى ملك الأخشبين ملك الجبال ينزل إليه ويقول "يا محمد إن الله بعثني إليك، وإن شئت لأطبقت عليهم الأخشبين" فيقول: "بل عسى أن يكون بين ظهرانيهم مؤمن". انظر إلى هذا النبي الرحيم، تأمله في تعامله مع الأطفال، مع أزواجه، مع الناس، مع جاره اليهودي، مع من خالفه، مع من عانده، مع الذين انتصر عليهم بعد حرب فقال "اذهبوا فأنتم الطلقاء".

الله الله في أوطاننا، الله الله في ديننا، إن هنالك أعداء، قوم يريدونها أمة ملحدة، يزينون للشباب الإلحاد بكلام الفيزياء والبيولوجيا والعلوم، وقالوا أن العلم أثبت أخيراً أنه لا إله، وإن أعظم علماء العالم اليوم قالوا أن العلم أثبت أن هنالك محرّكاً غامضاً لهذا العالم، وقال آخرون إن الله حق، وهذا لو قرأتم لوجدتموه ولكنّ الدجالين يكذبون على الناس. كيف العلم لا يثبت وجود الله والله قد قال سبحانه وتعالى: ﴿سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾؟

مختزل الكلام: أول مفاتيح الله إلى الله شهادة أن لا إله إلا الله، وثاني مفاتيح الله إلى الله شهادة أن محمداً رسول الله، ولكل شهادة واجبات، وثالث المفاتيح أن تنفع الناس. ومن أراد أن ينفع فليبدأ بنفسه، إن لك أعداء فيك هم أعتى عليك من أعدائك خارجك: نفس أمارة بالسوء، وصفات سوء، وشرك عندما تغضب، وشرك عندما تريد شيئاً حتى كأنه الجنة ولا تعلم ولا تحس في تلك اللحظة أن كل شيء فان ويبقى وجه الله، وشرك حين تعاند شرك، وشرك حين يعاندك شرك، وكل هذا حرب فيك. ثم رحمتك وفطنتك وذاكوك، أن لا تكون باباً للفتن، أن لا تكون باباً للدماء، أن لا تكون باباً للخراب، أن تكون مسلماً واعياً، أن تكون مؤمناً ذكياً، أن تكون مسلماً حكيماً، أن تستشرف الآتي، أن تفهم الحاضر، أن تقرأ الماضي، أن تنطوي فيك الآيات وتنطوي فيها، ثم تبديها وتجليها جمالاً وكمالاً وجلالاً، أن يهابك عدوك، وأن يتعشّقك الذين يتبعون شرك، وأن يشعر الذين لا يؤمنون بالله إذا رأوك أنه لا إله إلا الله ولو كتموها، وأن يشعر الذين رأوك وأنت تقول "إني تابع لمحمد" بعظمة الذات المحمدية من خلالك.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يهدينا، وأن يرينا الطريق وأن يهبنا الحكمة، وأن يعلمنا أسرار الرحمة، وأن يجنّبنا النقمة وأهل النقمة، وأن لا يجعلنا نقمة على أوطاننا ولا على أهلينا ولا على ديننا، وأن يجعلنا فخرًا لرسول الله وذخراً لأمة رسول الله. أقول قولي هذا وأسأل ربي توفيقه وأدعوه أن يفتح قلوبنا وقلوبكم لتلقّي حرف "لا إله إلا الله" بخطّ النور في طيّ السرور.

الحمد لله الذي بنوره **تجلّى**، وعن أحبائه ما **تخلّى**، وما سأله حبيبنا محمد سؤالا فقال له **كَلَّا**، الذي بعث نبينا محمداً نوراً وروحاً وحياةً، ونزل عليه قرآناً هو روح من لدنه ونور وحياة، الذي أحى به القلوب ونور به الدروب وغفر به الذنوب وستر به العيوب.

إنّ الواقفين في الباب المحمّدي والباب الإلهي كثيرون، وإنّ لهذه البلاد أهل ذكر وشكر وحب وإيمان أذهلوا الدنيا وأذهلوا أهل العالمين بما متّعهم ربّهم من بركة وسرّ. وإنّ المؤمن في زمنه مُلزم بأن يوقر من أرسلوا إليه سرّ الدّين وأوصلوه إليه، فإنّ هذا الإيمان الذي أنتم فيه لستم من أتيتم به، قد أتى رجال في زمن لم تكن فيه إمكانيات الواقع، على أرجلهم، على الخيل، على الزوارق.. أتوا بـ "لا إله إلا الله" ينقشونها على القلوب. وقد كابدوا في سبيل ذلك الكثير، فرأى الناس منهم من بركات ورحمات هذا الدين وهذا الإيمان وهذه الرحمة ما جعلهم يحبّونهم ويوقرونهم ويقدمونهم، ثم اتخذوا من سبلهم وطرقهم إلى الله طرقاً، في فقه أو عقيدة أو تربية وتزكية، فإنّ التزكية أساس في الإيمان.

ولذلك من واجبنا أن نحبّ وأن نوقر الذين سبقونا وعلمونا وأن نقرأ عنهم، وإنّ في السودان أهل علم وفهم وخير في الفقه المالكي وفي العقيدة وفي مناهج التربية واللغة العربية وفي الحديث وفي تفسير القرآن الكثير، ونسأل الله أن يُظهر مخطوطات هؤلاء الرجال، لأنّ الجيل الذي يأتي ولا يجد أثر السابقين ولا يشعر بالفخر يمكن بيسر أن تجتثّه من تُربته، وأن تقنعه بأنّ الحداثة والعصرنة في كره الماضي والاستخفاف به. ومن استخفت بماضيه فلا مستقبل له، ومن انبتت عن تربته إلى تربة أخرى فلا مستقبل له، لأنّ الشجرة التي نُزعت من تربتها مصيرها الموت ولو وُضعت في الماء ألف سنة.

وإنّ الذي لا يقرأ الماضي بعين المحترم وبعين المحبّ ينخدع عنه، ومن يقرأه بعين الجاهل له ينغلق فيه، فإنّ قوماً ظنّوا أنّ التاريخ يرجع إلى الوراء وأنّ سيّدنا رسول الله يريد أمة تتخلف عن ركب العصر وتنطوي فيما كان عليه في ذلك الزمن في جانب الشكلانية الظاهرية، ولكن في الحقيقة المقصود أن تكون على ما كانوا عليه في جانب القلب والإتباع والهدي، وأن تسير أيضاً بسير زمانك فتأخذ ممّا آتاك ربّك، تفهم واقعك وتتفوّق في مجالاته.

نريد أمة تتفوّق كما تفوّق السابقون في مجالات العلوم، لولا ابن الهيثم ما كانت علوم البصريات كلّها وقد اكتشف ذلك في سجن، ولولا الكندي والفارابي وابن سينا وعلماء الفلسفة الكبار ما تطوّرت أوروبا وظهرت فلسفة التنوير، ولولا ابن النديم وابن الجرّار وكبار علماء الطبّ الذين طوّروه كالرازي وسواه ما تطوّر

الطبّ، لولا الخوارزمي وعلماء الرياضيات ما تطوّرت هذه العلوم.. ولكن كيف فعلوا ذلك؟ قرأوا كتاب الله بعقل وروح العالم، قرأوا سيرة رسول الله بروح العالم، وقرأوا من كتب الأمم، كانت بغداد زمن المأمون تُترجم فيها الكتب.

فاليوم نحن في تحدٍّ كبير بين أمواج كثيرة تهاجم هذا الدين تشكك فيه، بل تشكك في وحدانية الله. وأنت عندما تفكر كمؤمن تقول: سبحان الله

"أو عجباً كيف يُعصى الإله \*\* أو كيف يجحده الجاحد

وفي كلّ شيء له آية \*\* تدلّ على أنّه واحد"

وكما قلنا:

"الله في الخلق سرٌّ جلّ معناه \*\* فانظر بروحك تُبصر كيف جلاّه

في كلّ شيء براه الله مقتدرًا \*\* صوتٌ يقول أنا قد صاغني الله"

ولكنهم يلاطفونه بذكاء، يقنعونه أنّ ترك الدين هو الحرية، وأنّ هجر الدين هو العلم، وأنّ العلم يناقض الدين، وأنّ الإيمان بوجود خالق يناقض اكتشافات علماء الكونيات، وما ذلك إلا خدعة سحرة فرعون في يوم الزينة ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾.

فمعركتنا معركة وعي، ومعركة المسلمين اليوم قبل أن تتحوّل إلى ما رأينا من دماء كانت معركة وعي. لو أنّ أولئك الشباب فهموا معنى هذا الدين وأتته رحمة لا تعني الضعف والوهم، وأتته نورانية لا تعني القفز عن الواقع، وأتته نقل لا يعني أن نترك العقل، وأتته عقل لا يتضاد مع النّقل، لما وصلنا إلى تلك الحالة. لذلك نرجو أن تقوم حركة وعي.

ونسأل الله سبحانه وتعالى لنا ولكم مزيداً من الهداية، وإنا داعون فأمتنوا:

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد، إمام خلقك وسيّد عبادك، الذي بعثته حقّاً ونوراً ورحمة

اللهم رب العالمين وأرحم الراحمين، ارحم أمة سيّدنا محمّد، وجلّ الهَمّ والغَمّ عن أمة سيّدنا محمّد،  
واجعل بهذا الدين أسراراً وبركات للإنسانية

اللهم يا ربّ، أعنّا على أنفسنا، وأعنّا على عيوبنا، واغفر لنا ذنوبنا، وارضَ عنّا يا محبوبنا، وحقّق مطلوبنا  
ومرغوبنا

اللهم احفظ السودان، من كلّ فتنة يا رحمن

اللهم احفظ هذا البلد، بسرّ قل هو الله أحد

اللهم احفظ هذه البلاد، بسرّك يا خالق العباد

اللهم يا ربّ بارك فيها، اللهم يا ربّ اجعل فيها ذخراً وفخراً لسيّدنا رسول الله

اللهم يا ربّ عمّر مساجدك بالذاكرين، وعمّر قلوب الناس بالمحبّة، واهدِ الشباب لعظمة هذا الدين

اللهم حتّن قلوبنا على بعضنا، اللهم اجعلنا نترقّق ببعضنا

اللهم اهدِ الحاكم **والمحكوم**، اللهم يا ربّ ارحم شكوى **المظلوم**، اللهم يا ربّ أشبع جوع **المحروم**

اللهم يا ربّ يا حيّ يا من يدوم، يا حيّ يا قيّوم، بارك في هذه البلاد، لمن قام عليها ومن قام فيها ومن قام  
داخلها بكلّ خير يا ربّ العالمين

اللهم اكفنا شرور أنفسنا

اللهم يا ربّ، إنك ترى قُدسنا وإنك ترى شامنا وإنك ترى يمننا، اللهم يا ربّ إنّنا ضعاف قوّة وإنك قويّ،  
وإنّا لا نستطيع وإنك تقدر، اللهم يا ربّ اجعل في سرّ "لا إله إلا الله" في أمّتنا تحريراً لقدسنا ونجاةً لشامنا  
ويمننا وفرجاً لعراقنا وبلاد ليبيا وبلاد الكنانة وأرض الحجاز

اللهم يا ربّ باركنا بهذا السرّ وهذا النور

اللهم اجعل صلاتنا لك وحياتنا لك ودعاءنا لك وقيامنا لك وسجودنا لك واجعله منك مقبولاً

اللهم اقبلنا كما قبلت الذين قبلتهم، اللهم أحبّنا كما أحببت الذين أحببتهم

اللهم يا ربّ أرضِ عتّا رسول الله، حنّ علينا قلب رسول الله، اللهم ارزقنا شفاعته له يوم نلقاك ونلقاه

اللهم ارزقنا ثباتاً في الحياة وفي الممات وبعد الحياة والممات، نسألك اللهم هذا الخير

عباد الله، إنّ الله يأمر بالإيمان والعدل والتقوى، ويدعوكم لكلّ خير، ويأمركم أن تنفَعوا بعضكم، وإنّ الله سبحانه وتعالى أشهد خلقه أن لا إله إلا الله، وأمرنا بإيتاء الصلاة، وجعل جمعتنا جمعاً للخير.

أقيموا الصلاة عباد الله، وقفوا بين يديه قيام من يراه بعينه أو بقلبه لأنّ العين لن تراه.

الخطبة بتاريخ: 2019-02-01







تمحمد الله وفضلہ

